



# مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكمة - نصف سنوية

*Journal of Human Sciences*

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب . ليبيا

Al - Marqab University- Faculty of  
Arts- alkhomes

19

العدد

التاسع عشر

سبتمبر 2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ  
بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الروم - آية 41)

## هيئة التحرير

- د. علي سالم جمعة شخطور رئيساً
- د. أنور عمر أبوشينة عضواً
- د. أحمد مريحيل حريش عضواً

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب/ كلية  
إلاداب الخمس، وتنتشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات  
والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية.

كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط،  
ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة أية مسؤولية اتجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية

مكتب المجلة بكلية إلاداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د. علي)

(00218926724967 د. أحمد) - أو (00218926308360 د. أنور)

[journal.alkhomes@gmail.com](mailto:journal.alkhomes@gmail.com)

البريد الإلكتروني:

[journal.alkhomes@gmail.com](mailto:journal.alkhomes@gmail.com)

صفحة المجلة على الفيس بوك:

### قواعد ومعايير النشر

- تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصلية التي تتسم بوضوح المنهج ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية والإنجليزية والدراسات الإسلامية والشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

- ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

- نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

- ترحب المجلة بعروض الكتب على إلا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه



المعلومات التالية (اسم المؤلف كاملاً- عنوان الكتاب- مكان وتاريخ النشر- عدد صفحات الكتاب- اسم الناشر- نبذة مختصرة عن مضمونه- تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

### ضوابط عامة للمجلة

- يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطيا عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلاً أو جزءاً من رسالة (ماجستير - دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

- لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثاً بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير..

- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط إذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقاً محفوظاً للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

-لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبِلَ للنشر أم لم يقبل.

-تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحَكِّمين مختصين ( محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن أن يرسل إلى محكم آخر وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

- يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

**\* قبول البحث دون تعديلات.**

**\*قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.**

**\*رفض البحث.**

-تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كأن المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الإخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من

تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الإخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

-ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي، ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

-الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

- ترفق مع البحث السيرة العلمية (CV) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية وتخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الإلكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

-تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، أو ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

-إذا تم إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني أو صندوق البريد يتم إبلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

- يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

### شروط تفصيلية للنشر في المجلة

-عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصراً قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

-أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين: \_

1:البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2:البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيناً فيها أهميته وقيّمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في

كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بملخصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

-يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة (A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على (Cd) باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word).

- يجب إلا نقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن 30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع .  
-يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والإنجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

-يترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الإنجليزية و مسافة و نصف بخط Simplified Arabic 14 للأبحاث باللغة العربية.

-في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في

الأسفل بشكل مختصر كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

-يجب أن ترقم الصفحات ترقياً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع .

### طريقة التوثيق:

-يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

-ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

أولاً: الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد - أن تعددت المجلدات - والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م، ج3، ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانيا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناي، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البديان بأكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي- مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعا: إلهيات القرآنية والاحاديث النبوية:- تكتب إلهيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني ﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم إلهية. وتثبت الاحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار نفس الاسم (اسم الباحث) في عديدين متتالين وذلك لفتح المجال أمام جميع أعضاء هيئة التدريس للنشر.

## فهرس المحتويات

الصفحة	عنوان البحث
	1- تاء الافتعال في آي القرآن.
16.....	د. حسين صالح محمد الدبوس.....
	2- تحقيق المناط وأثره في الخلاف الفقهي.
63.....	د. جمال عمران سحيم.....
	3- الاعتراض على الحدّ النحويّ عند علماء العربية (محمد بن أحمد اللورقي أنموذجًا).
96.....	د. مصطفى محمد العجيلي.....
	4- تحولات الفكر النقدي السيسولوجي (من السوسيو أدبي إلى السوسيو بنيوي)
132.....	د. سليم بركان.....
	5- قراءة في فلسفة الحب عند ابن حزم.
158.....	د- مريم خليفة المبروك.....
	6- إشكالية المصطلح في الفكر الإسلامي (مصطلح الحوار في استخدامات بعض المفسرين أنموذجًا).
205.....	د. حسين علي الحبشي.....
	7- (علم الهندسة في الحضارة الإسلامية بين النظرية والتطبيق
239.....	د. محمد مصطفى المنتصر - أ. أحمد علي دعباج.....
	8- دور فزان في العلاقات التجارية والثقافية بين دول شمال إفريقيا والسودان الأوسط (دولة كانم أنموذجًا)



- د. احمد حسين الشريف -د. خالد عمران مرشان.....268
- 9- توظيف القاعدة الفقهية (التأسيس أولى من التأكيد) في ترجيح الأحكام الشرعية، دراسة نحوية دلالية
- د. محمد علي الزايدي.....311
- 10- التركيب التعليمي للسكان الليبيين من واقع التعدادات السكانية للفترة (1984 - 2006)
- د. سميرة محمد العياطي.....344
- 11- مظاهر الكراهية وعلاقتها باللامعيارية كما يدركها أعضاء هيئة التدريس وطلبة الدراسات العليا بجامعة المرقب: دراسة امبيريقية.
- د. عثمان علي أميمن- زهرة عثمان البرق- هيفا مصطفى قنبيير.....364
- 12- التوسع العمراني وأثره في تطور النقل.
- د. نورية محمد الشريف- د.صالح أحمد الاحمر- أ:هناء أبوالقاسم أبوذينة.....451
- 13- التوسع الصناعي وأثره على الاقتصاد النصري في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر (635-897هـ/1238-1492م).
- د. نعيمة عبد المولى سالم العيساوي - عبد المنعم المدني الكبير.....499
- 14-علاقة التراث العمراني بالتنمية السياحية المستدامة
- د عادل أبوبكر الكاسح- د. علي غفير علي سعيد-د. خالد سالم معوال.....531
- 15- أسلوب السخرية في الشعر السياسي الليبي

- 575..... د. ميلود مصطفى عاشور - د. إبراهيم محمد الزوام.
- 16- المنسوجات والأبسطة في العصر الصفوي " دراسة فنية نموذجية "
- 622..... د: جمال أحمد الموير.
- 17- الإنجاز الأكاديمي لدى أعضاء هيئة التدريس الجامعي  
( دراسة ميدانية على أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب . الجامعة الأسمرية الإسلامية )
- 643..... د. محمود أحمد الكبير - د. عبد المنعم محمد الغويل.
- 18- اختلاف الفقهاء في صحة العمل بالوعول (دراسة فقهية مقارنة)
- 696..... د. عادل فرحات حسين الشلبي.
- 19- مستوى التحصيل الدراسي لتلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا  
برياض الأطفال(دراسة مقارنة بين التلاميذ الصف الأول الابتدائي بمنطقة قصر الأخيار)
- 731..... د. أسامة عمر بن شعبان.
- 20- المروءة بالبذل والعطاء من الجود والكرم
- 779..... د. سليمان حندي صالح سليمان.
- 21- ( دور الفلسفة في البناء السياسي وتوطين الثقافة والقيم )
- 826..... د. قمر مفتاح الرويمي.
- 22- حذف الياء وزيادتها في رسم المصحف الشريف " دراسة تحليلية "
- 858..... د. رجب فرج أبو دقائه.
- 23- "دلالة المقطع الصوتي في سورة الناس"
- 897..... د. نجاة صالح اليسير.

- 24- المقالة الذاتية في أدب أحمد جمعة  
د. فاطمة رجب محمد موسى.....914
- 25- معالم الرفق واللين في دعوة إبراهيم - ~~الكليلا~~ - لأبيه  
د. عبدالقادر عمر عبدالقادر الحويج.....946
- 26- مدى معرفة طلاب المرحلة الثانوية في منطقة الخمس لملاح خريطة ليبيا  
د. صالحه علي فلاح- د. ابتسام عبد السلام كشيبي.....982
- 27- النفط الليبي دراسة جغرافية  
أنور عمر أبو شينة- أ. ليلي الأبيض .....1002
- 28- علم الاجتماع وإشكالية التغيير الاجتماعي  
أ. نجوى الهادي الغويلى.....1023
- 29 DIFFCULTIES THAT FACE FIRST YEAR STUDENTS IN USING  
THE DEFINITE ARTICLE IN ENGLISH  
SAMIRA MUFTAH EHMEAD- EKRAM JEBREEL .....1065
- 30- Use of literature in EFL Classes: Benefits, Difficulties & Techniques  
Zaneb ali abo algasm.....1096
- 31- How accurate is the post method in terms of teachers and learners  
Ismail Alhadi Aldeb.....1125
- 32- An investigation of the Depth and the Breadth Knowledge of the  
English Academic Words among Libyan University Students  
Suad Husen Mawal .....1144

## تاء الافتعال في آي القرآن

د . حسين صالح محمد الدبوس\*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإعجاز القرآن الكريم لا يمكن أن تُحيط بكنهه العقول؛ لأنّه كلام رب العالمين، حاول العلماء، ويحاولون اقتطاف ثماره، والولوج لآلئ مفرداته، وبديع معانيه ليظفروا - ولو باليسير - طامعين في توفيق الله، وجزيل إنعامه، جعلوا من اللغة العربية دربًا يوصلهم لمبتغاهم، فما كان لي إلا أن أقتفي آثارهم لأنثال حظًا من أسرار هذا الدرّ المكنون، من خلال مسألة صرفية صوتية بعنوان (تاء الافتعال في آي القرآن) أحببت أن أميط اللثام عن بعض الأوجه التي اختص بها هذا الصوت، لا أدعي أنني أتيت بجديد لكنّي حاولت خلال هذا البحث أن أجمع الآراء، وأصنّفها بأسلوب بسيط، واضح.

ما تضمنه البحث:

التمهيد:

التاء ثالث حروف الهجاء، مهموس، انفجاري، شديد، مرّقق، أسناني، لثوي، نطعي، زائد، مذبذب، مفتوح، مستقل، مبدل، مصمّت، مصنّم<sup>(1)</sup>، يخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، يتأثر

\* عضو هيئة تدريس/جامعة المرقب/ بكلية الآداب والعلوم /قصر خبار

<sup>1</sup> - الحروف الصنّم: هي الحروف التي ليست من الحلق، وما عدا حروف الحلق. سميت صنّمًا لتمكّنها في خروجها من الفم واستحكامها فيه، يقال للمحكم المصنّم، حكاه الخليل وغيره. ينظر كتاب العين (باب الصاد والتاء ومعهما الميم): 7 / 107، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي.

بغيره من الحروف، ويؤثّر فيها. من حروف المعاني.<sup>(1)</sup> لا تكون التاء في كلام العرب إلا مفردة، فلا تتركب مع غيرها من الحروف<sup>(2)</sup>، وتكون عاملة، وغير عاملة قال عنها تمام حسان في كتابه (مناهج البحث في اللغة) " ... وأشهر الأحشاء في اللغة العربية تاء الافتعال..."<sup>(3)</sup> صوت التاء يغلب عليه طابع الرقة، واللين، وهو من أضعف حروف العربية شخصية؛ لذلك ضعف تأثيرها في معاني المصادر التي تشارك في تراكيبها. تبدل التاء، أو تدغم في مقاربتها، أو مماثلها، أو تحذف طلباً للخفة، والسهولة<sup>(4)</sup> التاء تشترك مع بعض الأحرف في المخرج، وفي الصفات، وقد تشترك في المخرج دون الصفات، والعكس، فالطاء والتاء والذال تشترك في مخرج واحد هو: طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وتشترك في صفة واحدة كونها شديدة، وتختلف في بعض الصفات، فالتاء مهموسة، والذال والطاء مجهورتان، والتاء والذال حرفان مرققان، والطاء مفحّم<sup>(5)</sup>.

الأصوات المتقاربة التي تدغم فيها التاء:

اختلف العلماء في عدد الأصوات التي تدغم في صوت التاء على مشارب، منهم من عدّها أحد عشر صوتاً: ( الطاء، والذال، والظاء، والذال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والضاد، والشين، والحيم)<sup>(6)</sup>، ومنهم من عدّها إثني عشر صوتاً

<sup>1</sup> - ينظر الشافية في علم التصريف: 121/1، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الدويني، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1995.

<sup>2</sup> - ينظر رصف المبانى: 158، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر.

<sup>3</sup> - مناهج البحث في اللغة: 188/1، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية

<sup>4</sup> - حروف المعاني بين الأصالة والحداثة: 31، 32، حسن عباس، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - 2000م

<sup>5</sup> - ينظر الإقناع: 61/1، 62، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن الباذش، دار الصحابة للتراث.

<sup>6</sup> - عدّها ابن يعيش، الرضي، أبو حيان، المرادي.

بزيادة الفاء، أوائل كَلِم هذا البيت:

سرى طيف دعد زائرًا ذا ضنى ثوى ... شفى ظمًا جودًا صفاً فتعطفًا (1)

ومنهم من ترك الجيم (2)، ومنهم من عدّها تسعة: ( ط، ظ، ص، ض، د، ذ، ز، ث، س ) (3)،

ومنهم من عدّها سبعة (4)، ومنهم من حصرها بأصوات الصفيّر، وأصوات الأسنان (5).

أقسام التاء:

ينظر شرح المفصل لابن يعيش: 5/ 557، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلّي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2001 م

وشرح شافية ابن الحاجب: 3/ 291، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأسترابادي، ركن الدين، المحقق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراة)، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 2004م. واللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل: 1/ 128، محمد علي السراج، مراجعة: خير الدين شمسى باشا، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى 1983 م.

وارتشاف الضرب: 1/ 349، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1998 م  
وشرح التسهيل للمراي: 2/ 1135، الحسن بن قاسم، أو ابن أم قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، تحقيق: محمد عبد النبي محمد أحمد عبيد، مكتبة الإيمان/ المنصورة، الطبعة الأولى 2006 م.

1 - عدها ابن يعيش، وأبو فداء الحموي. ينظر شرح المفصل لابن يعيش: 5/ 557، والكتّاش: 340، أبو الفداء، إسماعيل بن الأفضل علي الأيوبي، عماد الدين، الشهير بصاحب حماه، دراسة وتحقيق: رياض بن حسن الخوّام، المكتبة العصرية / بيروت، 2004 م.

2 - ينظر جامع الدروس العربية: 2/ 125. مصطفى بن محمد سليم الغلابيني، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون 1993 م

3 - ينظر شرح المفصل لابن يعيش: 5/ 557.

4 - ينظر الواضح في علم الصرف: 51، 52. أبو مصطفى البغدادي، 2012م.

5 - ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: 108، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر/ دمشق 1998 م

للتاء قسمان رئيسان: أصليّ، وبدل من أصل.

فالأصلي: تاء المضارعة (تقوم)، تاء التأنيث (وردة)، تاء المخاطبة (أنت)، التاء الزائدة (اكتسب).

البدل من الأصلي: بدلاً من واو القسم (تالله)، بدلاً من همزة الوصل الداخلة على (الآن)، كقول الشاعر:

نُؤَلِّي قَبْلَ يَوْمِ نَأْيِي جُمَانَا وَصَلَّيْنَا كَمَا رَعَمْتِ تِلَانَا (1)

وتكون بدلاً من السين في بعض اللغات، قال الشاعر:

يَا قَاتِلَ اللَّهِ بَنِي السُّعْلَاتِ ... عَمْرُو بْنُ يَرْبُوعِ شَرَارِ النَّاتِ (2)

الأصل: شرار الناس.

"و بدلاً من الهاء في لغة من يقول: "ليست عندنا عربيت" (3) وبدلاً من الباء، كقولهم: الذَّعَالَتِ، الأصل: الذَّعَالِبِ، جمع ذعلوب، وهو الخلق من الثياب، أبدلت الباء تاء (4). وبدلاً من الصاد، كقولهم: نُصِتْ، الأصل: لَصٌّ (5). وبدلاً من الياء على غير قياس، كقولهم: كَيْتٌ

<sup>1</sup> - ينسب لعمر بن أحمز الباهلي في الخزانة: 176/4، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد

هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1997 م. ينظر رصف المباني: 158-173.

<sup>2</sup> - من الرجز، لعلباء بن أرقم في المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك): 509/4، أبو إسحق

إبراهيم بن موسى الشاطبي، المحقق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي

بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى 2007 م.

<sup>3</sup> - الصاحبى في فقه اللغة العربية، ومسائلها، وسنن العرب في كلامها: 70، أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا، علق

عليه، ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى 1997م.

<sup>4</sup> - الكناش: 244/2،

<sup>5</sup> - المصدر السابق.

وكَيْتٌ، الأصل: كَيْةٌ وكَيْةٌ، وبدلا من الطاء، مثل: فسْتَط، الأصل: فسْطاط ، وبدلا من الدال، كقولهم: ناقة تريبوت، الأصل: دريبوت، أي: مذللة (1).

فصلّ القدامى في أنواع التاءات فبلغ العدد عندهم اثنتا عشرة تاء ترجع للأقسام الثلاثة السابقة، هي: تاء أصلية، وتاء غير أصلية، وتاء تجري مجرى التاء الأصلية، وتاء التأنيث، وتاء الاستقبال، وتاء مزيدة في الفعل، وتاء مزيدة في الاسم، وتاء مزيدة في الأدوات، وتاء مزيدة في الأوقات، وتاء القسم، وتاء كناية المرفوع، وتاء الإضمار (2).

وعدها الرّماني سبعة: تاء الجمع (مسلمات )، وتاء التأنيث في الواحد (نعمة )، والتاء الأصلية (بيت )، وتاء العوض ( بنت )، التاء الزائدة في الواحد ( عنكبوت )، وتاء البدل ( ست، أصلها سدس )، والتاء الملحقة (عفريت ) (3).

ثانياً: تأثير صوت التاء في غيره من الأصوات:

يؤثر صوت التاء في غيره من الأصوات، أظهره: عند صياغة تاء الافتعال ومشتقاتها من الفعل الأجوف المعتل الواو، مثل : ( اتسَّق ) الأصل ( اوتسَق ) أثر صوت التاء في صوت الواو ، فأبدلت الواو تاء، وأدغمت التاء في التاء، ويسمى: تأثيراً رجعيّاً متصلاً (4).

فيما يلي نماذج من الذكر الحكيم تبين هذا التأثير:

<sup>1</sup> - ينظر الممتع في التصريف: 388/1 - 390، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين طبانة، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

<sup>2</sup> - التاء في اللغة العربية، خصائصها الصوتية، واستخداماتها، باسل بزراوي، مجلة دنيا، العدد ( 14 ) صفحة ( 1 ) الوطن 2008 م .

<sup>3</sup> - ينظر منازل الحروف: 209 - 211، أبو الحسن، علي بن الحسن الرّماني، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية/ بيروت، الطبعة الأولى 2005م.

<sup>4</sup> - التاء في اللغة العربية، خصائصها الصوتية، واستخداماتها: 4/14.



## إبدال الواو تاء، وإدغام التاء في التاء

قلبت الواو تاء لقرب المخرج، فالتاء من أصول الثنايا، والواو من الشفة<sup>(1)</sup>، "ولأن التاء حرف جلد قوى

لا يتغير بتغير أحوال ما قبله، وفيه همس مناسب للين الواو؛ لِيُوَافِقَ لفظه لفظ ما بعده، فندغم فيها، ويقع النطقُ بهما دفعةً واحدةً"<sup>(2)</sup>.

قول: "إن هذا من باب الحذف والتعويض الموقعي، فقد حذفت الواو، أو الياء لاستتقالهما في هذا الموقع، وجرى التعويض عنهما بتكرار التاء النبرية، فالتاء هنا وسيلة لتحقيق الإيقاع اللازم لصيغة الافتعال لا غير، ويسمى عند المحدثين بالمماثلة الرجعية"<sup>(3)</sup>.

- المتقين<sup>(4)</sup>:

اسم فاعل من الفعل ( اتقى ) أصله ( اوتقى ) على وزن ( افتعل ) لفيف مفروق، أبدل فاء الكلمة ( الواو ) تاء؛ لوقوع تاء الافتعال بعده، وأدغمت التاء في التاء، وفعل باسم الفاعل وما تصرف منه كما فُعل بالفعل، وله نظائر في العربية، منها: ( اتزنّ، اتصلّ، اتحدّ )، وشدّ إبدال

<sup>1</sup> - ينظر توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: 1618/3، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 2008م.

<sup>2</sup> - شرح المفصل لابن يعيش: 37/10.

<sup>3</sup> - ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: 243. قال عبد الصبور شاهين: " وقد وردت أفعال توهم أنها من هذا النوع ذي التعويض الموقعي ، مثل : ( اتخذ ) ، والواقع أن وزنها ( افتعل ) على الأصل ولا إبدال فيها لأن أصل الفعل : (تخذ) وكذلك : (اتبع) ، من تبع). ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي: 209، 210، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة/ بيروت 1980م.

<sup>4</sup> - في خمسة وعشرين موضعاً، منها: سورة البقرة من الآية 180، ومن الآية: 194، ومن الآية: 241 ...

الهمز - عندما يكون فاء الكلمة - تاء، مثل ( انْزَر ) أصله ( انْتَزَرَ ) ، و ( انْكَل ) أصله ( انْكَل )

قال ابن مالك - رحمه الله - في الخلاصة:

ذُو اللَّيْنِ فَاتَا فِي افْتِعَالٍ أُبْدِلَا ... وَشَدَّ فِي ذِي الِهِمَزِ نَحْوَ انْتِكَلَا<sup>(1)</sup>.

وجب إبدال الواو تاء؛ لعسر النطق، لما بين الواو والتاء من منافاة في الوصف، فالتاء حرف مهموس، والواو حرف مجهور<sup>(2)</sup>.

وقيل: إنَّ ( اتَّقَى ) أصله ( اوتَّقَى ) قلبت الواو ياء لسكونها، وانكسار ما قبلها، فأصبحت ( ايتَّقَى )، أبدلت الياء تاء، وأدغمت التاء في التاء، فأصبحت ( اتَّقَى )؛ لأنهما في كلمة واحدة<sup>(3)</sup>.  
- اتَّسَق<sup>(4)</sup>:

الأصل ( اوتسق ) قلبت الواو تاء فوقية طلبا لإدغامها في تاء الافتعال، للعلة السابقة في كلمة (المتقين)<sup>(5)</sup>.

- المتوكلين<sup>(1)</sup>:

<sup>1</sup> - ينظر المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك): 365/9، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المحقق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى 2007 م.

<sup>2</sup> - ينظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: 4 / 133، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1998م.

<sup>3</sup> - ينظر التفسير البسيط: 51/2، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ.

<sup>4</sup> - الانشاق، من الآية: 18.

<sup>5</sup> - ينظر المقاصد الشافية في خلاصة شرح الكافية: 12/9.

( المتوكلين ) أصله، اوتكّلتُ، قُلبت الواو ياء، لانكسار ما قبلها، ثم أُبدلت منها التاء، وأدغمت في تاء الافتعال<sup>(2)</sup>.

إبدال الياء تاء، أو إبدال الواو تاء، وإدغام التاء في التاء

- لاَتَّخَذْتُ (3)، اتَّخَذُوا (4)، لاَتَّخَذَنَّ (5)، لاَتَّخَذُوكَ (6)، لاَتَّخَذْنَاهُ (7):

قراءة الجمهور - بتشديد التاء، وفتح الخاء -<sup>(8)</sup> اختلف العلماء القدامى في فاء الفعل ( أخذ ) هل هو همزة، والأصل ( ائخذ )، وقعت الثانية ساكنة بعد مكسورة وجب قلبها ياء، فأصبحت ( ائتخذ )، ثم قلبت الياء تاء لوقوعها قبل تاء الافتعال، وأدغمت التاء في التاء فأصبحت ( اتَّخَذُ )<sup>(9)</sup>. أو أن فاء الفعل واو، والأصل (أوخذ)، وقع فاء الكلمة حرف لين، فوجب إبداله تاء - وهو

1 - آل عمران، من الآية: 159.

2 - اللباب في علوم الكتاب: 21/6. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى 1998م.

3 - الكهف، من الآية: 77.

4 - في سبعة وعشرين موضعاً، منها: البقرة، من الآية: 125، والنساء، من الآية: 153، والمائدة، من الآية: 57...

5 - النساء، من الآية: 118.

6 - الإسراء، من الآية: 73.

7 - الأنبياء، من الآية: 17.

8 - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس، ويعقوب، وواقفهم ابن محيصن، واليزيدي، والحسن البصري، بتخفيف التاء، وكسر الخاء بلا ألف وصل. ينظر إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع: 572/2، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، دار الكتب العلمية. و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 371/1، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمايطي، شهاب الدين الشهير بالبناء، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الثالثة، 2006م

9 - ينظر كتاب العين، باب الخاء، والذال: 298/4، وسر صناعة الإعراب: 368 /2، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 2000م، وإيجاز التعريف في علم التصريف: 180/1.

من فصيح اللغة - ثم أدغمت التاء في التاء (1). أو أن الأصل (تَخَذَ) لغة، وعلى هذا الرأي لا إبدال، ثم أوتي بتاء الافتعال، وأدغمت التاء في التاء. قال ابن جنّي: "فأما قولهم: اتخذت فليست تاؤه بدلا من شيء بل هي فاء أصلية بمنزلة اتبعت من تبع" (2). أيّد بعض العلماء المحدثون رأي ابن جنّي بعدم الإبدال، ووصفوه بأنه: تعويض موقعي (3).

ثالثاً: تأثر صوت التاء بغيره من الأصوات:

يتأثر صوت التاء في بعض الأبنية العربية كغيره من الأصوات، فبين القوّة والضعف، يظهر ذلك التأثير بالأصوات القويّة فينقلها للقوّة، والعكس. مثل: تاء افتعل ومشنقاتها في الأفعال التي يتصدرها حرف (الذال، والزاي، والذال، الصاد، والضاد، والطاء، والظاء) تبدل فيها التاء حرفاً مجانساً للأحرف السابقة؛ لتسهيل النطق، والحد من الجهد العضلي الذي تبدله أعضاء النطق، هذا يسمى (تأثيراً جزئياً، أو مقدّماً كلياً) (4).

فيما يلي نماذج من الذكر الحكيم تبين هذا التأثير:

#### إبدال التاء دالاً

<sup>1</sup> - ينظر شرح شافية ابن الحاجب: 80/3، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأسترابادي، ركن الدين، المحقق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراه)، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 2004م، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأسترابادي، ركن الدين، المحقق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراه)، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 2004م. والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: 370/9، ومعاني النحو: 30/2، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة الأولى، 2000 م

<sup>2</sup> - الخصائص: 287/2، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب - بيروت.

<sup>3</sup> - ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: 243..

<sup>4</sup> - التاء في اللغة العربية، خصائصها الصوتية، واستخداماتها: 4/14.

اخترت الدال، لأنها من نفس مخرج التاء وهو طرف اللسان مع ما يليه من أصول الثنانيا العليا، ولتباين الصفة فالتاء حرف مهموس، والدال حرف مجهور، ولتكون في الجهر كالدال التي بعدها، والزاي التي قبلها . (1)

قال ابن مالك في باب التصريف:

طًا تًا اَفْتَعَالِ رُدًّا اِثْرَ مُطَبَّقٍ ... فِي اِدَّانٍ وَاَزْدَدُ وَاذَكِّرُ دَالًا بَقِيٍّ (2)

- اِزْدَادُوا (3):

( اِزْدَادُوا ) على وزن ( اَفْتَعَلُوا ) أصله ( اِزْتِيدُوا ) تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فأصبحت ( اِزْتَادُوا )، فاء الكلمة هي الزاي وقعت بعده تاء الافتعال فأبدلت التاء دالا لاستنقال اجتماع التاء مع الحرف المطبق ( الدال ) .

مُزْدَجِر (4):

الأصل ( مُزْتَجِر ) الانتقال من الزاي المجهور إلى التاء المهموسة ثقيل؛ لذا أوتي بحرف يكون قريباً منهما، هذا الحرف هو الدال؛ لأنها من مخرج التاء، وصفتها صفة الزاي وهي الجهر. لا

<sup>1</sup> - ينظر تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم: 720/2، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2002م.

<sup>2</sup> - ينظر شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: 615/1، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2000م.

<sup>3</sup> - آل عمران، من الآية: 90، والنساء، من الآية: 137.

<sup>4</sup> - القمر، من الآية: 4.

يجوز إدغام الزاي في الدال لئلا يختفي فضل في الزاي، وهو الصفير <sup>(1)</sup>. وقرئ ( مزَّجِر )، بإبدال ناء الافتعال زايًا، وإدغام الزاي فيها <sup>(2)</sup>.

- تزدي <sup>(3)</sup>:

الأصل ( تزتري ) "وجب إبدالُ الناءِ دالًّا؛ لأنَّهم كرهوا اجتماعَهما للتقارب، واختلاف أجناسهما، فالزاي مجهورة، والناء مهموسة، أَرادوا تجانس الصوت، فأبدلوا من الناءِ الدال؛ لأنَّها من مخرجها، وهي مجهورة، فتوافق بجرها جهرَ الدال والذال" <sup>(4)</sup>.

تَعْتَدُونَهَا <sup>(5)</sup>: من العدد، أصلها: ( تعددونها ) أبدلت الناءِ دالا، أو من الاعتداد فلا إبدال فيها <sup>(6)</sup>.

### إبدال الناء طاء

وجب قلب الناء طاء؛ لاستتقال سلامة الناء، فقد تساويا في الشدة، وتقاربا في المخرج، لكنهما تضادا في الإطباق والاستعلاء، فوجب تخفيف اللفظ بقلبها طاء <sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر شرح التصريف: 366/1، أبو القاسم عمر بن ثابت الثماني، المحقق: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1999م.

<sup>2</sup> - قراءة زيد بن علي، ينظر منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: 306/2، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي، المحقق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث - القاهرة، مصر 2008م، والبحر المحيط: 35/10.

<sup>3</sup> - هود - عليه السلام -، من الآية: 31.

<sup>4</sup> - شرح المفصل لابن يعيش: 555/5.

<sup>5</sup> - الأحزاب، من الآية: 49.

<sup>6</sup> - ينظر إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: 193/2. ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري،

تحقيق إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية- لاهور / باكستان

" الطاء لا تجئ مكان تاء الافتعال إلا إذا كان قبلها حرف إطباق، وهي مناسبة للتاء في المخرج ولما قبلها من حروف الإطباق بالإطباق فيغلب على الظن إبدال التاء طاء لاستئصالها بعد حرف الإطباق ومناسبة الطاء لحرف الإطباق والتاء"<sup>(2)</sup>.

- يَصْطَرِخُونَ<sup>(3)</sup>، تَصْطَلُونَ<sup>(4)</sup>، اضْطَرَّ<sup>(5)</sup>، اصْطَبَرَ<sup>(6)</sup>، اصْطَفِيَنَاهُ<sup>(7)</sup>، اصْطَفَاكَ<sup>(8)</sup>:

الأصل ( يصترخون، تصتلون ) على وزن ( يفتعلون )، و ( اضترَّ ، واصتبر ) على وزن ( افتعل )، و(اصتفيناها ) على وزن ( افتعلناه ) ، وقع فاء الكلمة حرفاً من حروف الإطباق هو الصاد، أو الضاد، بعده تاء الافتعال.

إبدال التاء طاء، وإدغام الطاء في الطاء:

- المطهرين<sup>(9)</sup>، المطوعين<sup>(10)</sup>:

<sup>1</sup> - ينظر إيجاز التعريف في علم التصريف: 184/1، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين، المحقق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2002م.

<sup>2</sup> - شرح شافية ابن الحاجب: 199/3.

<sup>3</sup> - فاطر، من الآية: 37

<sup>4</sup> - النمل، من الآية: 7، والقصص من الآية: 29.

<sup>5</sup> - في ستة مواضع: البقرة، من الآية: 126، ومن الآية: 173، والمائدة، من الآية: 3، والأنعام، من الآية: 119، ومن الآية: 145، والنحل، من الآية: 115.

<sup>6</sup> - مريم، من الآية: 65، وطه، من الآية: 132، والقمر، من الآية: 27.

<sup>7</sup> - البقرة، من الآية: 130.

<sup>8</sup> - آل عمران، من الآية: 42.

<sup>9</sup> - التوبة، من الآية: 108.

<sup>10</sup> - التوبة، من الآية: 79.

الأصل: ( المتطهرين، المتطوعين ) أبدلت التاء طاء، وأدغمت الطاء في الطاء.  
- اسطاعوا (1):

تنوّعت القراءات في هذه الكلمة على النحو الآتي:  
قراءة الجماعة ( اسطاعوا ): الأصل اسطاعوا، على وزن ( استقلوا ) ، حذفت تاء الافتعال  
لكثرة الاستعمال، ولقرب

مخرج التاء من الطاء(2).

ورويت قراءة بإدغامها في بعضيهما - التاء والطاء - ( اسطاعوا )؛ لأنّ مخرجهما واحد،  
واشتركا في صفتي الشدّة والإصمات(3). عدّ النحاة هذه القراءة من باب اللحن، أو الخطأ،  
وحجّتهم: أن الإدغام يقتضي تسكين الحرف الأول، فإن أدغمت التاء التقى ساكنان السين،  
والطاء المدغمة (4). وجوّز ذلك بتعليل جواز التقاء الساكنين في (تعدّوا ) عند من قرأ

1 - الكهف، من الآية: 97.

2 - قال الرضي في شرح شافية ابن الحاجب باب الحذف 292/3: "واسطاع يستطيع بكسر الهمزة في الماضي وفتح حرف المضارعة - وأصله اسطاع يستطيع وهي أشهر اللغات: أعني ترك حذف شيء منه وترك الإدغام وبعدها إسطاع يستطيع - بكسر الهمزة في الماضي وفتح حرف المضارعة وحذف تاء استعمل حين تعذر الإدغام مع اجتماع المتقاربين وإنما تعذر الإدغام لأنه لو نقل حركة التاء إلى ما قبلها لتحرك السين التي لا حظ لها في الحركة ولو لم ينقل لا لتقى الساكنان كما في قراءة حمزة (قراءة حمزة (فما اسطاعوا) بإبدال التاء طاء وإدغامها في الطاء مع بقاء سكون السين) فلما كثرت استعمال هذه اللفظة بخلاف استنّادٍ وقصيد التخفيف وتعذر الإدغام حذف الأول كما في ظلت واحست والحذف ههنا أولى لان الأول وهو التاء زائد قال تعالى (فما اسطاعوا أن يظهره) . ينظر الخصائص: 109/2. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

3 - ينظر الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: 27/3، محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: 1422هـ)، دار الجبل - بيروت، الطبعة الأولى، 1997 م.

4 - قراءة حمزة، وطلحة. ينظر إبراز المعاني من حرز الأماني: 579/1. والإقناع في القراءات السبع: 240/1.



بالإدغام<sup>(1)</sup>، وُعِلَّ أيضًا بأنَّه مسموع، ويقويه "أَنَّ السَّاكِنَ الثَّانِي لَمَّا كَانَ اللِّسَانَ عِنْدَهُ يَرْتَفِعُ عَنْهُ، وَعَنِ الْمُدْغَمِ ارْتِفَاعَةً وَاجِدَةً صَارَ بِمَنْزِلَةِ حَرْفٍ مُتَّحَرِّكٍ، فَكَأَنَّ السَّاكِنَ الْأَوَّلَ قَدْ وَلِيَ مُتَّحَرِّكًا، فَلَا يَجُوزُ إِنْكَارُهُ"<sup>(2)</sup>. "ومن العرب من يقول استأعوا بغير طاء، ولا يجوز في القراءة"<sup>(3)</sup>. وقرئ: ( استطاعوا ) على الأصل<sup>(4)</sup>. وقرئ: ( اصْطَاعُوا ) بإبدال السين صادًا لأجل الطاء<sup>(5)</sup>.  
- اطَّيَّرْنَا<sup>(6)</sup>:

الأصل ( تَطَّيَّرْنَا ) على وزن ( تفاعلنا ) قلبت تاء الافتعال طاء؛ لأن مخرجهما واحد ( طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا )، ثم أدغمت الطاء في الطاء، وأوتيت بهمزة الوصل للنطق

- 
- 1 - ينظر الحجة في القراءات السبع: 233/1، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، المحقق: عبد العال سالم، دار الشروق - بيروت، الطبعة الرابعة، 1401 هـ.
- 2 - تاج العروس (س. ط. ع): 5429/1، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- 3 - لسان العرب (س. ط. ع): 240/8، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
- 4 - قراءة الأعشى. ينظر حجة القراءات: 435/1، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- 5 - قراءة الأعشى عن أبي بكر. ينظر البحر المحيط: 228/7، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر - بيروت، 1420 هـ.
- 6 - النمل، من الآية: 47.

بالساكن، وكسرت لسكونها وسكون ما بعدها<sup>(1)</sup>. الطاء أقوى الحروف تفخيماً، فلو سكّنت وأنت بعد التاء وجب إدغامها بعد إبدال التاء طاء<sup>(2)</sup>.

- تَطَّلَع (3) فَأُطَّلَع (4):

"( تَطَّلَع، فَأُطَّلَع ) على وزن ( تَفْتَعَل )، أصله ( تَطَّلَع ) فاء الكلمة طاء، أتت بعدها تاء الافتعال، أبدلت التاء طاء وجوباً، ثم أدغمت الطاء في الطاء فأصبحت ( تَطَّلَع )" (5). تمّ إبدال التاء طاء للتخفيف، ولأنّ الطاء أخت الصاد في الإطباق فهي أقرب للتاء<sup>(6)</sup>.

- يَطَّوَّف (7)، وليطَّوَّفُوا (8):

( يَطَّوَّف ) على وزن ( يَفْتَعَل )، الأصل ( يَطَّوَّف )، الماضي ( تَطَّوَّف )؛ للتخفيف وقعت تاء الافتعال قبل حرف من

<sup>1</sup> - ينظر كتاب سيبويه: 475/4، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل/ بيروت، وشرح المفصل لابن يعيش: 558/5، وأبنية الأسماء والأفعال والمصادر: 343/1، ابن القطّاع الصقلي، تحقيق ودراسة: أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة 1999 م.

<sup>2</sup> - ينظر النشر في القراءات العشر: 220/1، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، المحقق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

<sup>3</sup> - المائدة، من الآية: 13، والهمزة، من الآية: 7.

<sup>4</sup> - غافر، من الآية: 37.

<sup>5</sup> - ينظر الخصائص: 351/2.

<sup>6</sup> - ينظر شرح أبيات سيبويه: 345/2، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، المحقق: محمد علي الرياح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 1974 م.

<sup>7</sup> - البقرة، من الآية: 158.

<sup>8</sup> - الحج، من الآية: 29.

حروف الإطباق ( الطاء ) فقلبت التاء طاء، وأدغمت التاء في التاء لاتحاد المخرج، واحتيج لهمزة الوصل فأصبحت ( إَطَّوْف )، عند دخول حرف المضارعة ( الياء ) حذفت همزة الوصل لتمكّن الإدغام فأصبحت ( يَطَّوْف )<sup>(1)</sup>.

وقرئ: ( يَطَّافٌ ) على وزن ( يفتعل ) ، الأصل ( يَطَّوْف )، أبدلت التاء طاء، وأدغمت الطاء في الطاء، وقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فأصبحت ( يَطَّافًا )<sup>(2)</sup>.

- يَخْطَفُ<sup>(3)</sup>:

( يَخْطَفُ ) - فتح الياء والحاء وتشديد الطاء - الأصل ( يَخْتَطِفُ ) فأبدلت تاء الافتعال طاءً للإدغام<sup>(4)</sup>، ( يَخْطِفُ ) - بكسر الخاء - إتباعاً لكسرة الطاء<sup>(5)</sup>، و( يَخْطَفُ ) - بكسر الياء - إتباعاً للحاء، و( يَخْتَطِفُ )<sup>(6)</sup> على الأصل، و( يَخْطِفُ ) - بفتح الياء وسكون الخاء وتشديد الطاء - وهي رديئة لتأديتها على التقاء ساكنين، و ( يَخْطِفُ ) - بفتح الياء، وكسر الخاء، وتشديد الطاء -<sup>(7)</sup>، و( يَخْطِفُ ) - بكسر الثلاثة وتشديد الطاء -<sup>(8)</sup> و( يُخْطِفُ ) - بضم الياء وفتح

1 - ينظر شرح شافية ابن الحاجب: 199/3.

2 - قراءة ابن عباس، وأبي السمال، ينظر البحر المحيط: 67/2، واللباب في علوم الكتاب: 97/3.

3 - البقرة، من الآية: 20.

4 - إحدى قرآني الحسن.

5 - الجحدري، وابن أبي إسحاق، والقراءة الثانية للحسن.

6 - قراءة علي، وابن مسعود.

7 - قراءة الحسن، وأبي رجاء، وعاصم الجحدري، وقتادة.

8 - قراءة الحسن، والأعمش.

الخاء وتشديد الطاء مكسورة<sup>(1)</sup> - والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية، و(يَخْطِفُ) - فتح الياء، وسكون الخاء، وتشديد الطاء - ، وهذا اختلاس لفتحة الخاء لإسكان ، لأنه يؤدي إلى النقاء الساكنين على غير حد التقائهما<sup>(2)</sup>، و(يَتَخَطَّفُ) - بفتح الثلاثة وتشديد الطاء -<sup>(3)</sup>.

### إبدال التاء دالاً، وإدغام الدال في الدال:

أبدلت التاء دالاً لتعسر النطق لما بينهما من منافاة في الصفة، فالدال حرف مجهور، والتاء حرف مهموس ، ولقرب المخرج بينهما، من طرف اللسان مع ما يليه من أصول الثنايا العليا<sup>(4)</sup> .  
- فاداراتم<sup>(5)</sup>:

كل فعل على وزن ( تفاعل، أو تفعل ) فاؤه دال تقلب التاء دالاً، وتدغم الدال في الدال، ويؤتى بهمزة الوصل للنطق بالساكن<sup>(6)</sup>.

"(اداراتم " ) من الفعل تفاعلتم، أصله تداراتم، فأريد الإدغام تخفيفاً، فأبدل من التاء دالاً فسكن للإدغام، واجتلب

لها ألف الوصل، فحصل على اتفاعلتم، وقال بعض الأدباء: اداراتم افتعلتم، وكلما فيه من أوجه ... أولاً: أن اداراتم. على ثمانية أحرف، وافتعلتم على سبعة أحرف. ثانياً: أن الذي يلي ألف

1 - قراءة زيد بن علي.

2 - قراءة بعض أهل المدينة. تنتظر القراءات السابقة في البحر المحيط: 146/1.

3 - قراءة أبي. ينظر الدر المصون: 179/1. ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

4 - ينظر إبراز المعاني من حرز الأمانى: 747/1.

5 - البقرة، من الآية: 72

6 - ينظر شافية شرح شافية ابن الحاجب: 291/3، وشرح المفصل لابن يعيش: 558/5.

الوصل تا، فجعلها دالاً. ثالثاً: أن الذي يلي الثاني دال، فجعلها تاء. رابعاً: أن الفعل الصحيح العين لا يكون ما بعد تاء الافتعال منه إلا متحركاً، وقد جعله ههنا ساكناً. خامساً: أن ههنا قل دخل بين التاء والدال زائد، وفي افتعلتم لا يدخل ذلك. سادساً: أنه أنزل الألف منزل العين وليست بعين. سابعاً: أن تاء افتعل قبله حرفان وبعده حرفان، وادارتهم بعد التاء ثلاثة أحرف. ثامناً أن عين أفتعل في المستقبل مكسور، وبين " ادارتهم " في المستقبل مفتوح"<sup>(1)</sup>.

- اَدَارُكُوا<sup>(2)</sup>:

( اَدَارُكُوا ) الأصل: تداركوا<sup>(3)</sup>، فلما أريد إدغامه فُعل به ما فُعل بأدَارُتُم. "جاؤوا بهمزة الوصل عند سكون الأوّل منه. وإنما سكن الأوّل؛ لأنّهم ادّغموا تاء "تَفَاعَل" فيما بعده، إذ كان مقارباً له، ثمّ جاؤوا بهمزة"<sup>(4)</sup>.

قيل: "ولا يُستطاع اللفظُ بوزنها مع ألف الوصل؛ لأنّك تَرُدُّ الزائد أصلياً فتقول: أفأعلوا، فتصير تاء تفاعَل فاء الفعل لإدغامها في فاء الفعل، وذلك لا يجوز فإنْ وُرُنَتْها على الأصل فقلت: تَفَاعَلوا جاز"<sup>(5)</sup>. وردّ عليه بعدم الإلزام مع همزة الوصل، بل تأتي بقاء التفاعل على أصلها لا ما صارت إليه، فيكون الوزن ( اتفاعلوا ) وليس ( أفأعلوا )، ولها نظائر مثل: ( اصطبر، واضطرب )<sup>(6)</sup>. وفُرئ ( تَدَارُكُوا ) وهي أصل قراءة العامة<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر اللباب في علل البناء والإعراب: 348/2، وتفسير الراغب الأصفهاني: 229/1، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1999 م

<sup>2</sup> - الأعراف، من الآية: 38.

<sup>3</sup> - ينظر كتاب العين باب الكاف والدال: 328/5.

<sup>4</sup> - شرح المفصل لابن يعيش: 306/5.

<sup>5</sup> - قول مكّي بن أبي طالب. مشكل إعراب القرآن: 290/1، مكّي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ..

<sup>6</sup> - ينظر شرح شافية ابن الحاجب: 18/1، 19.

وقرى: ( إذا إدَّاركو ) - بقطع همزة الوصل - فعلاً ماضياً من الأفعال الرباعية<sup>(2)</sup> وهذا ليس ارتجالاً كما تبادر للبعض؛ لأن الارتجال لا يكون إلا في الشعر. قال ابن جني: "أن يكون وقف على ألف "إذا" ممّيلاً بين هذه القراءة وقراءته الأخرى التي هي "تداركو"، فلما اطمأن على الألف لذلك القدر من التمييز بين القراءتين لزمه الابتداء بأول الحرف، فأثبت همزة الوصل مكسورة على ما يجب من ذلك في ابتدائها، فجرى هذا التمييز في التلوم عليه وتطاول الصوت به مجرى وقفة التذكر في نحو قولك: قالوا - وأنت تتذكر - الآن من قول الله سبحانه: "قَالُوا الْآنَ"<sup>(3)</sup>، فثبت الواو من قالوا للتلوم عليها للاستنكار، ثم تثبت همزة الآن؛ أعني: همزة لام التعريف<sup>(4)</sup>. وقرئ: ( أدركوا ) على البناء للمفعول، بمعنى: ( أدخلوا في دركاتها)<sup>(5)</sup>.

وقرى: ( أدركوا ) - بوصل الألف وفتح الدال مشددة وفتح الراء - الأصل ( ادتركو ) على وزن (افتعلوا) - مبنياً للفاعل -، ثم أدغم، كما أدغم «ادان» من الدّين<sup>(6)</sup>.

جمهور القراء ( إذا إدَّاركو )<sup>(7)</sup> - بألف واحد ساكنة بعدها دال مشددة -، وهو جمع بين ساكنين، وجاز في المنفصل كما جاز في المنصل، وقد قال بعضهم: ( اثنا عشر )<sup>(1)</sup> - بإثبات

1 - قراءة ابن مسعود، والأعمش، ورويت عن أبي عمرو . ينظر المحتسب في تبين وجه شواذ القراءات والإيضاح عنها:

247/1، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة 1999م

2 - قراءة مجاهد بن جبر . قال مكي بن أبي طالب: إنها بتشديد الراء، الأصل ( إد تركوا ) على وزن ( افتعلوا ) ينظر البحر

المحيط: 49/5، والحجة في القراءات السبع: 273/1.

3 - البقرة: 71.

4 - المحتسب في تبين وجه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 247/1.

5 - قراءة حميد بن ثور . ينظر المصدر السابق.

6 - قراءة مجاهد بن جبر فيما روي عنه. ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 314/5.

7 - ينظر المصدر السابق: 313/5.

الألف وسكون العَيْنِ - ، يعني بالمتصل نحو: «الضَّالِّين»<sup>(2)</sup> ، ومعنى المنفصل أنْ أَلْف «إِذَا» من كلمة، والسَّاكن الثاني من كلمة أخرى. و( اَدَارَكُوا ) بمعنى تَلَاخَقُوا<sup>(3)</sup>.  
- بَلْ اَدَارِكُ<sup>(4)</sup>:

قرئ: ( بَلْ اَدَارِكُ ) - بإسكان اللام، مع همزة الوصل، وتشديد الدال بعدها ألف - الأصل: ( تداركوا ) أبدلت التاء دالاً، وأدغمت الدال في الدال، وأوتيت بهمزة الوصل<sup>(5)</sup>.  
وقرئ: ( بَلْ اَدْرِكُ ) - بفتح لام ( بَلْ ) ، وتشديد الدال دون ألف بعدها - "الأصل: ( اَدُّ تَرَكُ ) على وزن أَفْعَلْ، فأبدلت تاء الافتعال دالاً، لوقوعها بعد الدال، فصار فيه قلب الثاني للأول، كقولهم: اَنْتَرَدَّ، وأصله: ائترد من الترد"<sup>(6)</sup>.  
- مُدَّكِرُ<sup>(7)</sup>:

<sup>1</sup> - التوبة، من الآية: 36. قراءة أبي جعفر، وكذلك في يوسف (أحد عشر كوكبا)، وفي المدثر (تسعة عشر) - بإسكان العين فيهن - إلا أن النهرواني حذف الألف الذي قبل العين في (اثنا عشر). الكنز في القراءات العشر: 497/2، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التَّاجِر الواسِطِي المَقْرئ تاج الدين، ويقال نجم الدين، تحقيق: خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة الأولى، 2004م

<sup>2</sup> - الفاتحة: 7.

<sup>3</sup> - إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: 273/1.

<sup>4</sup> - النمل، من الآية: 66.

<sup>5</sup> - قراءة نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي. ينظر السبعة في القراءات: 485/1، أحمد بن موسى بن العباس

التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، 1400هـ

<sup>6</sup> - قراء سليمان، وعطاء ابني يسار. ينظر البحر المحيط: 261/8.

<sup>7</sup> - القمر، من الآية: 15، 17، 22، 32، 40، 51.

مُدَّكَر ( " قرأ الجمهور: مدَّكَر، الأصل ( منذكر ) بإدغام الذال في الدال المبدلة من تاء الافتعال؛ لأنَّ مخرجهما قريب من بعضه، فزددت في المخرج، فأدغمت التاء في الذال، لينتج التشديد فتحوّلت دالاً<sup>(1)</sup>. ولا حرج في إدغام الأصلي في الزائد؛ لأنَّه قلب وبدل لإدغام<sup>(2)</sup>.

"قريء: ( مُدَّكَر )، بقلب الدال ذالاً، وإدغامهما في بعضيهما، أو قلب التاء ذالاً، وإدغام الذال في الذال<sup>(3)</sup>. "وأجاز بعضهم: ( اذدكر )؛ لأنَّ تاء الافتعال لا يلزم أن يجيء قبلها ذال أبداً، فقلبو التاء دالاً للتقريب، ولم يدغمو"<sup>(4)</sup>.

قال سيبويه: "كذلك تبدل للذال من مكان التاء أشبه الحروف بها لأنهما إذا كانتا في حرف واحد لزم أن لا يبينا إذ كانا يدغمان منفصلين، فكهروا هذا الإجحاف، وليكون الإدغام في حرفٍ مثله في الجهر. وذلك قولك: مدكر"<sup>(5)</sup>.

- **مدَّخلاً**<sup>(6)</sup>: على قراءة ضمِّ الميم، وتشديد الدال، وهي قراءة الجمهور<sup>(7)</sup>. أصله ( مُدَّ ) **تَحَلَّا** ( على وزن (مفتعلا)، أو (مُتَدَخَّلًا ) على وزن ( مُتَفَعَّلًا )<sup>(8)</sup>.

1 - الجمل في النحو: 299/1، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، 1995م.

2 - ينظر الأصول في النحو: 271/3، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.

3 - قراءة قتادة، فيما نقل عن ابن عطية. ينظر البحر المحيط: 40/10، و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 43/14، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

4 - شرح ألفية ابن مالك للشاطبي: 385/8.

5 - كتاب سيبويه: 469/4.

6 - التوبة، من الآية: 57.

7 - ينظر النشر في القراءات العشر: 279/2.

8 - ينظر القراءات وأثرها في علوم العربية: 391/1، محمد محمد محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، الطبعة الأولى 1984 م، وإعراب القرآن: 222/2، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب 1988م.



وقرئ ( مُدْخَلًا ) بتشديد الدال والخاء معاً، الأصل (مُدْخَلًا ) على وزن ( مُنْفَعَلًا ) مِنْ تَدْخَلُ بالتضعيف، فلما أدغمت التاء في الدال صار اللفظ ( مُدْخَلًا )<sup>(1)</sup>.

اذكّر<sup>(2)</sup>: الأصل ( اذْكَرَ ) وقعت فاء الافتعال دالاً، فأبدلت التاء دالاً، وأدغمت الدال في الدال إدغامًا قويًا لا وجوباً<sup>(3)</sup>، فأصبحت "اذْكَرَ".

وقيل: إن الأصل ( اذْكَرَ ) من الذكر ، قلبت التاء دالاً فصار ( اذْكَرَ )، ثم قلبت الذال دالاً؛ لأن الدال أخف من الذال، فصار ( اذْكَرَ ) - وهو الفصح -<sup>(4)</sup>

وقرئ ( اذْكَرَ ) - بذال معجمة -، الأصل ( اذْكَرَ ) أبدلت التاء دالاً من جنس الأولى، وأدغم<sup>(5)</sup>.

- لا تَعْدُوا<sup>(6)</sup>، لا يَهْدِي<sup>(7)</sup>:

قرئ ( تَعْدُوا ) - بفتح العين وتشديد الدال -، الأصل: ( تَعْدُوا )، و( يَهْدِي ) الأصل ( يهتدي ) نُقِلَتْ حركة تاء الافتعال

للعين، ثم قلبت دالاً وأدغمت الدال في الدال (8) .

<sup>1</sup> - القراءة ل( قتادة ، وعيسى بن عمر ، والأعمش ) . ينظر البحر المحيط: 438/5.

<sup>2</sup> - يوسف - عليه السلام -، من الآية: 45.

<sup>3</sup> - ينظر شرح شافية ابن الحاجب: 961/2، واللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل: 128/1، محمد علي الشراخ، مراجعة: خير الدين شمسي بانها، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى 1983 م.

<sup>4</sup> - ينظر شرح شافية ابن الحاجب: 961/2، والأصول في النحو: 271/3.

<sup>5</sup> - قراءة الحسن البصري، ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 332/1، وشرح التصريف: 365/1، أبو القاسم عمر بن ثابت الثماني، المحقق: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1999م.

<sup>6</sup> - النساء، من الآية: 154.

<sup>7</sup> - يونس - عليه السلام -، من الآية: 135.

<sup>8</sup> - قرأ ورش بفتح العين وتشديد الدال. وقرأ أبو جعفر بإسكان العين مع تشديد الدال أيضا. ولقالون وجهان. الأول: اختلاس فتحة العين مع

تَدْعُونَ<sup>(1)</sup>: الأصل: (تدعيون)، على وزن (تفتعلون)، أبدلت تاء الافتعال دالاً وأدغمت فيها الدال فاء الكلمة، ثم استنقلت الضمة على الياء فحذفت، فلما سكنت .. التقى ساكنان، فحذفت الياء وضممت العين لمناسبة الواو<sup>(2)</sup>.

- مرَدِّفِين<sup>(3)</sup>: قرئ (مُرَدِّفِين) - بكسر الراء وضمها وتشديد الدال - الأصل: (مرتدفين)، أبدلت تاء الافتعال دالاً، وأدغمت الدال في الدال، فالتقى ساكنان فحرّكت الراء بالكسر على الأصل، أو على إتباع الدال. وبالضم على إتباع الميم<sup>(4)</sup>.

إبدال التاء ثاء، وإدغام التاء في التاء: أبدلت التاء ثاء لقرب المخرج، فالتاء تخرج من طرف اللسان. والثنايا العليا، أمّا التاء فتخرج من طرف اللسان ومن أصول الثنايا العليا<sup>(5)</sup>.

- اثَّاقَلْتُمْ<sup>(6)</sup>:

الدال. والثاني: قراءة أبي جعفر. البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والذرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: 87/1، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

<sup>1</sup> - فصلت، من الآية: 31، والملك، من الآية: 27.

<sup>2</sup> - تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: 401/25، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2001 م.

<sup>3</sup> - الأنفال، من الآية: 9.

<sup>4</sup> - قراءة رجل من أهل مكة، زعم الخليل أنه سمعه يقرأ: "مُرَدِّفِين"، واختلفت الرواية عن الخليل في هذا الحرف، فقال بعضهم: "مُرَدِّفِين"، وقال آخر: "مُرَدِّفِين". المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 273/1.

ينظر المفصل في صنعة الإعراب: 4/444، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: علي بو ملح، مكتبة الهلال-بيروت، الطبعة الأولى، 1993م، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 2/202، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.

<sup>5</sup> - إيجاز التعريف في علم التصريف: 1/181، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين، المحقق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2002م.

<sup>6</sup> - التوبة، من الآية: 38.

الأصل ( تتأقلمت ) على وزن ( تفاعلمت ) سُكِنَتِ التاء للتخفيف، وأوتيت بهمزة الوصل للنطق بالساكن، وللتأثير الصوتي الرجعي ( المماثلة الرجعية )، ثم أُدغم المثلين في بعضيهما، فأصبحت: ( اتأقلمت )<sup>(1)</sup>. وقرئ: ( تتأقلمت ) على الأصل<sup>(2)</sup>. وقرئ: ( أتأقلمت ) بهمزة الاستفهام الإنكاري، والأصل: ( تتأقلمت )<sup>(3)</sup>.

### إبدال التاء ظاء، وإدغام الظاء في الظاء:

أبدلت التاء ظاء؛ لشدة قرب المخرج، ولمجاورتها حروف الإطباق<sup>(4)</sup>.

- تظَاهرون عليهم<sup>(5)</sup>، تظَاهَرُونَ منهم<sup>(6)</sup> تظَاهَرًا عليه<sup>(7)</sup>:

( تظَاهرون ) - بتشديد الظاء، وألف بعدها -، الأصل ( تتظاهرون )، أبدلت التاء

ظاء لشدة قرب المخرج، ولمجاورتها حرف الإطباق ( الظاء )، ثم أُدغمت الظاء في الظاء<sup>(8)</sup>.

( تظَاهَرُونَ ) - بتخفيف الظاء، وألف بعدها -، الأصل ( تتظاهرون )، حذفت إحدى التائين تاء

الفعل، أو تاء الاستقبال تخفيفاً كراهة اجتماع المثلين، فأصبحت ( تظَاهرون ) لا إبدال فيها<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر شرح شافية ابن الحاجب: 291/3، وشرح المفصل لابن يعيش: 558/5، وأثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً:

93/1، عبد الرازق بن حمودة القادوسي، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة حلوان، 2010م.

<sup>2</sup> - قراءة ابن مسعود، والأعمش، ينظر البحر المحيط: 419/5.

<sup>3</sup> - قراءة الأعمش، ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 271/2.

<sup>4</sup> - قراءة الجمهور . ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: 184/1.

<sup>5</sup> - البقرة، من الآية: 85.

<sup>6</sup> - الأحزاب، من الآية: 4.

<sup>7</sup> - التحريم، من الآية: 4.

<sup>8</sup> - قراءة الجمهور . ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: 184/1.

- ، يظَهرون منكم (2)، يظَهرون من نساءهم (3):

(تَظَاهِرُونَ) (4)، (تُظَاهِرُونَ) (5)، (تَظَاهِرُونَ) (6)، (تُظَهَّرُونَ) (7)، (تَظَهَّرُونَ) (8).

إبدال التاء سينًا، وإدغام السين في السين:

أبدلت التاء سينًا فرارًا من تكرار المثل ؛ لاشتراكهما في الصفات الآتية: الهمس، والاستفال، والانفتاح، والإصمات، وقرب المخرج، فالتاء تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنانيا العليا، والسين تخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنانيا السفلى (9).

- تتسألون (10):

الأصل (تتسألون)، أبدلت التاء الثانية سينًا، ثم أدغمت السين في السين. وقرئ (تَسْأَلُونَ) - بالتخفيف، وحذف إحدى التائين (11).

- تَسْوَى (1):

1 - قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، وواقفهم الأعمش. ينظر حجة القراءات للزنجلي: 1/ 104.

2 - المجادلة، من الآية: 2.

3 - المجادلة، من الآية: 3.

4 - قراءة ابن عامر. ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: 1/ 451.

5 - قراءة عاصم. ينظر المصدر السابق.

6 - قراءة حمزة، والكسائي، وخلف، وواقفهم الأعمش. ينظر المصدر السابق.

7 - قراءة الحسن البصري. ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: 1/ 452.

8 - قراءة نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وواقفهم ابن محيصن، واليزيدي. ينظر البدور الزاهرة في القراءات

العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والثرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: 1/ 254.

9 - ينظر القراءات وأثرها في علوم العربية: 2/ 29.

10 - النساء، من الآية: 1.

11 - قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي (الكوفيين): ينظر شرح طيبة النشر للنويري: 2/ 260.

على قراءة الفتح في التاء، وتشديد الواو، الأصل ( تنسوى ) أبدلت التاء الثانية سينا، ثم أدمت السين في السين (2).

### إبدال التاء ذالا، وإدغام الذال في الذال:

أبدلت التاء ذالاً لقرب المخرج، فالتاء تخرج من طرف اللسان مع ما يليه من أصول الثنايا العليا، والذال تخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، والحرفان متفقان في الصفات الآتية: الاستفال،

والانفتاح، والإصمات (3).

- تَدَكَّرُونَ (4):

على قراءة التشديد في الذال، الأصل ( تتذكَّرون )، أبدلت التاء ذالاً، وأدمت الذال في الذال (5).

- الْمُعْذِرُونَ (6):

قرأ الجمهور ( الْمُعْذِرُونَ ) - فَتَحُ العَيْنِ وَتَشْدِيدُ الذَّالِ - على وزن ( فَعَلَ ) اسم فاعل من (عَدَّرَ)، أو على وزن ( افْتَعَلَ ) اسم فاعل من ( اعتذر )، أبدلت التاء ذالاً، وأدمت الذال في الذال (7).

1 - النساء، من الآية: 42.

2 - قراءة نافع، وابن عامر، وأبي جعفر. ينظر كتاب السبعة في القراءات: 234/1.

3 - جميع القراء بالتشديد عدا ( حمزة، والكسائي، وحفص، وخلف العاشر ) فقد قرأوا بالتخفيف، الأصل ( تتذكرون ) حذف إحدى التائين. ينظر الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: 224/2.

4 - الأنعام، من الآية: 126، والأعراف، من الآية: 26، 130، والأنفال، من الآية: 57، والتوبة، من الآية: 126، والنحل، من الآية: 13.

5 - خفف الذال حفص، والأخوان، وخلف، وشدها الباقر. ينظر كتاب السبعة في القراءات: 234/1.

6 - التوبة، من الآية: 90.

7 - ينظر الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: 282/2.

## إبدال التاء دالا أو ذالا، وإدغامهما ببعضيهما:

أبدلت التاء دالا؛ لأن الذال والتاء لا يجتمعان؛ لصعوبة الانتقال من نطق الذال المجهورة، إلى التاء المهموسة، واختير الدال لقرب مخرجه من التاء، ومن الذال، ثم أدغم الذال في الدال بتمائل رجعي (1).

- تَدَخِرُونَ (2):

الأصل (تَدَخِرُونَ) أبدلت التاء دالا؛ وأدغم الذال في الدال بتمائل رجعي، فأصبحت (تَدَخِرُونَ)، أو بتمائل تقدّمي، فأصبحت (تَدَخِرُونَ) (3). وقرئ بإبدال تاء الافتعال دالا دون إدغام (تَدَخِرُونَ) (4).

- المَدْتَر (5):

الجمهور بتشديد الدال، والتاء، الأصل (المتدثر) أبدلت التاء دالا، وأدغم الدال في الدال (6).

## إبدال التاء شينا، وإدغام الشين في الشين:

1 - ينظر البحر المحيط: 167/3.

2 - آل عمران، من الآية: 49.

3 - إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: 136/1 .

4 - قرأ الجمهور: تدخرون - بدال مشددة - أصله: ادتخر، من الذخر، أبدلت التاء دالا، فصار: ادتخر، ثم أدغمت الذال في الدال، فقيل: ادتخر، كما قيل: ادكره. وقرأ مجاهد، والزهري، وأبواب السجستاني، وأبو السمال: تدخرون - بدال ساكنة وخاء

مفتوحة - . وقرأ أبو شعيب السوسي - في رواية عنه - : وما تدخرون - بدال ساكنة ودال مفتوحة من غير إدغام - وهذا الفك

جائز. وقراءة الجمهور بالإدغام أجود، ويجوز جعل الدال ذالا، والإدغام فتقول: ادخر - بالذال المعجمة المشددة - . البحر

المحيط: 167/3.

5 - المدثر، من الآية: 1.

6 - قرأ عكرمة بتخفيف الدال، وتشديد الميم. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 335/2.

مائل صوت التاء صوت الشين في الصفة، فكلاهما صوت مهموس، وتقاربا في المخرج، فالتاء من طرف

اللسان مع ما يليه من أصول الثنايا العليا، والشين وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى؛ لذا قلبت التاء شيئا (1).

- يَشْفَقُ (2) تَشْفَقُ (3):

قرأ جمهور القراء ( يَشْفَقُ ، وَتَشْفَقُ ) - بتشديد الشين - الأصل ( يَتَشَفَّقُ ، وَتَتَشَفَّقُ ) قلبت التاء شيئا، وأدغمت الشين في الشين (4).

### إبدال التاء زايًا، وإدغام الزاي في الزاي:

قارب صوت التاء صوت الزاي فالتاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، والزاي ممًا بين اللسان وفوق الثنايا السفلى فأبدلت التاء زايًا (5).

- اَزَيْتَ (6)، تَزَاوَرُ (7)، المَزْمَلُ (8):

1 - ينظر الكنز في القراءات العشر: 166/1.

2 - البقرة، من الآية: 74.

3 - الفرقان، من الآية: 25، وق، من الآية: 44.

4 - يَشْفَقُ: قرأ الجمهور: يشفق، بتشديد الشين، وأصله يتشفق، فأدغم التاء في الشين. وقرأ الأعمش: تشفق، بالتاء والشين المخففة على الأصل. البحر المحيط: 428/1. وتَشْفَقُ: قراءة نافع، وابن كثير، وابن عامر بالتشديد، والباقون بالتخفيف. ينظر الكنز في القراءات العشر: 166/1.

5 - ينظر الأصول في النحو: 400/3.

6 - يونس - عليه السلام -، من الآية: 24.

7 - الكهف، من الآية: 17.

8 - المزمّل، من الآية: 1.

الأصل ( تَزَيْت )<sup>(1)</sup>، تتزاور<sup>(2)</sup>، المتزمل<sup>(3)</sup> قلبت التاء زايًا، وأدغمت الزاي في الزاي، وأوتي بهمزة الوصل في (أَزَيْت) للنطق بالسكان.<sup>(4)</sup>

### إبدال التاء صادًا، وإدغام الصاد في الصاد:

قارب صوت التاء صوت الصاد في المخرج - فالتاء من طرف اللسان مع من يليه من أصول الثنايا العليا، والصاد من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى -، واتفاقهما في صفة الهمس؛ لذا قلبت التاء صادًا<sup>(5)</sup>.

- يَصْعَدُ<sup>(6)</sup>:

<sup>1</sup> - الجمهور بوصل الهمزة وتشديد الزاي، والياء، قراءة الأعرج: "وأزَيْت"، وهي أيضًا قراءة نصر بن عاصم، وأبي العالية، والحسن بخلاف، وقتادة، وأبي رجاء بخلاف، والشعبي، وعيسى النقي. وقرأ: "وأزَيْت" أبو عثمان النهدي. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 311/1،

واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 311/1.

<sup>2</sup> - قرأ ابن عامر ويعقوب، (تَزَوُرُ) - بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف - مثل: تَحْمَرُ، وقرأ الكوفيون (تَزَاوُرُ) - يفتح الزاي، وتخفيفها، وألف بعدها، وتخفيف الراء-، وقرأ الباقر (تَزَاوُرُ) كذلك إلا أنهم شددوا الزاي. النشر في القراءات العشر: 310/2.

<sup>3</sup> - الجمهور بتشديد الزاي، والميم، الأصل ( المتزمل ) أبدلت التاء زايًا، وأدغم الزاي في الزاي، وقرأ عكرمة بتخفيف الزاي، وتشديد الميم. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 335/2.

<sup>4</sup> - ينظر التعليقة على كتاب سيبويه: 169/5، أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، المحقق: عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى، 1990م.

قروئ ( وأزَيْت ) وهي قراءة الأعرج، وهي أيضًا قراءة نصر بن عاصم، وأبي العالية، والحسن بخلاف، وقتادة، وأبي رجاء

بخلاف، والشعبي، وعيسى النقي. و ( أَزَيْت ) وهي قراءة أبي عثمان النهدي. ينظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 311/1 .

<sup>5</sup> - ينظر الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: 215/2.

<sup>6</sup> - الأنعام، من الآية: 125.



قراءة الجمهور، الأصل ( يتصعد ) قلبت التاء صادًا، وأدغمت الصاد في الصاد<sup>(1)</sup>.

- يَصَالِحًا<sup>(2)</sup>:

قرأ الجمهور ( يَصَالِحًا ) - بفتح الياء والصاد وتشديدها، وألف بعدها- الأصل ( يتصالحا ) أبدلت التاء صادًا، وأدغم الصاد في الصاد<sup>(3)</sup>.

وقرئ ( يَصَلِحًا ) - بتشديد الصاد من غير ألف - أصلها: ( يَصْطَلِحًا ) فَخُفِّفَ بِإِبْدَالِ الطاء المبدلة من تاء الافتعال صادًا وإدغامهما فيما بعدها<sup>(4)</sup>.

وقرئ: ( اصَّالِحًا ) الأصل ( تصالِحًا )، أبدلت التاء صادًا، وأدغمت الصاد في الصاد، وأوتي بهمزة الوصل للنطق بالساكن<sup>(5)</sup>.

- المصدِّقِين، المصدِّقات<sup>(6)</sup>:

الجمهور بتشديد الصاد، الأصل ( المتصدِّقِين، المتصدِّقات ) أبدلت التاء صادًا، وأدغمت الصاد في الصاد<sup>(7)</sup>.

رابعًا: الحذف، والإظهار في تاء الافتعال:

1 - ينظر الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: 215/2.

2 - النساء، من الآية: 128.

3 - ينظر النشر في القراءات العشر: 289/1.

4 - قراءة عثمان البتي والجحدري، ينظر الدر المصون: 108/4.

5 - قراءة الأعمش، وابن مسعود، ينظر البحر المحيط: 86/4.

6 - الحديد، من الآية: 18.

7 - ابن كثير، وشعبة عن عاصم، وواقهما ابن محيصن بالتخفيف. ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر:

من أوجه التخفيف لتسهيل النطق حذف إحدى التائين عند اجتماعهما. هل تحذف الأصل، أو تاء المضارعة خلاف بين البصريين، والكوفيّين.

فالكوفيون يحذفون تاء المضارعة؛ لأنها زائدة، والزائد أضعف من الأصلي، أما البصريون فيحذفون التاء الأصلية؛ لأن الزائدة دخلت لمعنى وهو المضارعة فهي أولى بالبقاء من الأصلية التي لم تأت بمعنى. وقد أيد ابن الأنباري (1) مذهب البصريين؛ معللاً: بأن الزائد لمعنى في قوة الأصلي (2).

لا يمكن حذف إحدى التائين إلا بشروط، أهمها:

- 1 - أن تكونا مفتوحتين، فإن انضمت الأولى مثل: (تَحَمَّل) لم يجر الحذف؛ لأن لفظها مع لفظ الباقية مختلفين، أو انكسرت الثانية امتنع لما يلزمه من الحذف بعد الحذف.
  - 2 - أن يكون الحذف مختصاً بالمضارع، فلا تحذف في الماضي، أو الأمر .
  - 3 - أن تكون التاءان غير محذوف منهما ثالثة؛ لأن الحذف بعد الحذف إخلال بالكلمة (3).
- إذا اجتمعت التاءان في أوائل الأفعال المستقبلية ولم ترسم خطأً، فاحكم بحذف إحداهما إلا عند البزّي (1). "روى البزّي تشديدها شرط وصلها مع الكلمة التي قبلها، ووجه التشديد إدغام الأولى في

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري: من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال. له (نزهة الألباء في طبقات الأدباء - ط) و (الإغراب في جدل الإعراب - ط) و (أسرار العربية - ط) و (لمعة الأدلة - خ) في علم العربية، و (الإنصاف في مسائل الخلاف - ط) في نحو الكوفيين والبصريين (ت: 577 هـ). الأعلام: 327/3، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر 2002 م.

<sup>2</sup> - ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: 2/650، أبو البركات عبد الرحمن بن

محمد بن أبي سعيد الأنباري، دار الفكر دمشق

<sup>3</sup> - ينظر المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الشافية: 468/9.

الثانية تخفيفاً، مع التنبية على الأصل؛ إذ هو تاءان: تاء المضارعة، وتاء التفاعل، أو تاء النقل، ووجه قراءة الجماعة المبالغة في التخفيف بحذف إحدى التائين<sup>(2)</sup>. وردت هذه الأفعال في واحد وثلاثين موضعاً، الشاهد فيها ما حذفته منه التاء.

ظهر الخلاف في في تشديد التاء للبري في موضعين، هما: ( تَمَنَّوْنَ<sup>(3)</sup>، تَفَكَّهُوْنَ<sup>(4)</sup> )، التشديد في الموضعين السابقين ليس من طريق الحرز، أو التيسير، وإنما من طريق الطيبة فرأى أهل العلم الأخذ بالتخفيف<sup>(5)</sup>، وأدغم في باقي المواضع.

المواضع التي تحذف فيها إحدى التائين هي: ﴿ تَطَاهَرُونَ<sup>(6)</sup>، وَلَا تَيْمَمُوا<sup>(7)</sup>، وَأَنْ تَصَدَّقُوا<sup>(8)</sup>، تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ<sup>(1)</sup>، وَلَا تَقْرَأُوا<sup>(2)</sup>، تُسَوِّىْ بِهِمُ الْأَرْضُ<sup>(3)</sup>، تَوْفَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ<sup>(4)</sup>، وَلَا تَعَاوَنُوا<sup>(5)</sup>، لَعَلَّكُمْ

<sup>1</sup> - ينظر النشر في القراءات العشر: 281/1. البري: أبو الحسن، أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، مقرري مكة ومؤذن

المسجد الحرام، ولد سنة سبعين ومائة، من رواية ابن كثير، أخذ عن أبيه، وعبد الله بن زياد، وعكرمة بن سليمان، وآخرون، توفي البري سنة خمسين ومائتين عن ثمانين سنة.

ينظر غاية النهاية في طبقات القراء: 118/1، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري الشافعي، شمس الدين

<sup>2</sup> - الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: 92/2.

<sup>3</sup> - آل عمران، من الآية: 143.

<sup>4</sup> - الواقعة، من الآية: 65.

<sup>5</sup> - ينظر الوافي في شرح الشاطبية: 225/1، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الرابعة 1992م.

<sup>6</sup> - البقرة، من الآية: 85، والأحزاب، من الآية: 4. قراءة حمزة والكسائي بتخفيف الظاء، وفتح التاء، وعاصم بضم التاء والتخفيف. ينظر إبراز المعاني: 645/1.

<sup>7</sup> - البقرة، من الآية: 267. جمهور القراء على تخفيف التاء، والبري بتشديد التاء في الوصل. ينظر إتحاف فضلاء البشر: 210/1.

<sup>8</sup> - البقرة، من الآية: 2. عاصم بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها. ينظر البدر الزاهرة: 56/1.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ<sup>(6)</sup>، قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ<sup>(7)</sup>، فَفَرَّقَ<sup>(8)</sup>، وَلَا تَوَلَّوْا<sup>(9)</sup>، وَلَا تَنَارَعُوا<sup>(10)</sup>، قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ<sup>(11)</sup>، لَا تَكَلَّمُ<sup>(12)</sup>، فَإِنْ تَوَلَّوْا<sup>(1)</sup>، إِذْ تَلَقَّوْنَهُ<sup>(2)</sup>، تَنْزِلُ<sup>(3)</sup>، تَطَّاهَرَا<sup>(4)</sup>، وَلَا تَبْرَجْنَ<sup>(5)</sup>، أَنْ تَبْدَلَ<sup>(6)</sup>، لَا

<sup>1</sup> - آل عمران، من الآية: 79. الكوفيون وابن عامر بضم التاء، وفتح العين، وكسر اللام وتشديدها، والباقون بفتح التاء، وإسكان العين، وفتح اللام وتخفيفها. ينظر التيسير في القراءات السبع: 89/1، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: اونو تريزل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1984م.

<sup>2</sup> - آل عمران، من الآية: 103. قرأ البيزي وصلا بتشديد التاء مع المد المشبع للساكنين، فإذا وقف على ولا وبدأ بتفروقا فبتاء واحدة خفيفة، والباقون بالتخفيف. البدر الزاهرة: 68/1.

<sup>3</sup> - النساء، من الآية: 42. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (لو تسوى) مضمومة التاء مفتوحة السين، وقرأ نافع وابن عامر (لو تسوى) مفتوحة التاء والواو مشددة السين، وقرأ حمزة والكسائي (لو تسوى) مفتوحة التاء خفيفة السين مماله. كتاب السبعة في القراءات: 234/1.

<sup>4</sup> - النساء، من الآية: 97. جمهور القراء بتخفيف التاء، والبيزي بتشديدها وصلا. ينظر البدر الزاهرة: 83/1.

<sup>5</sup> - المائدة، من الآية: 2. قرأ البيزي في الوصل بتشديد التاء، والباقون بالتخفيف. غيث النفع في القراءات السبع: 189/1، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 2004م.

<sup>6</sup> - الأنعام، من الآية: 152، الأعراف، من الآية: 57، النحل، من الآية: 90، النور، من الآية: 27، الذاريات، من الآية: 49. تخفيف الذال حيث كان عند حفص، وحمزة، والكسائي. ينظر الإقناع في القراءات السبع: 322/1.

<sup>7</sup> - الأعراف، من الآية: 3، النمل، من الآية: 62، الحاقة، من الآية: 42.

<sup>8</sup> - الأنعام، من الآية: 153. البيزي بتشديد التاء، والباقون بالتخفيف. ينظر البدر الزاهرة: 113/1.

<sup>9</sup> - الأنفال، من الآية: 20. قرأ البيزي بتشديد التاء وصلا مع المد المشبع للساكنين، والباقون بالتخفيف. البدر الزاهرة: 129/1. <sup>10</sup> - الأنفال، من الآية: 46.

<sup>11</sup> - التوبة، من الآية: 52. قرأ البيزي بتشديد التاء وصلا مع إظهار اللام فيجتمع ساكنان اللام، والتاء، وهو جائز قراءة ولغة، والباقون بالتخفيف. البدر الزاهرة: 137/1.

<sup>12</sup> - هود - عليه السلام -، من الآية: 105. قرأ البيزي بتشديد التاء في الوصل، والباقون بالتخفيف. غيث النفع في القراءات السبع: 315/1

تَنَاصِرُونَ<sup>(7)</sup>، لَا تَجَسَّسُوا<sup>(8)</sup>، لِيَتَعَارَفُوا<sup>(9)</sup>، وَلَا تَتَّبِعُوا<sup>(10)</sup>، أَنْ تَوَلَّوْهُمُ<sup>(1)</sup>، تَكَادُ تَمَيَّرُ<sup>(2)</sup>، وَلَمَّا تَحَيَّرُونَ<sup>(3)</sup>، عَنْهُ تَلَهَّى<sup>(4)</sup>، نَارًا تَلَطَّى<sup>(5)</sup> ﴿٥﴾.

<sup>1</sup> - في عشرة مواضع، منها: آل عمران، من الآيات: 32، 63، 64 ... ينظر إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: 131/1.

<sup>2</sup> - النور، من الآية: 15. قرأ البزي بخلفه بتشديد التاء وصلًا، والباقون بالتخفيف إلا من أذم. غيث النفع في القراءات السبع: 421/1.

<sup>3</sup> - الشعراء، من الآيتين: 221، 222. قرأ شعبة بتاء مضمومة، ونون مفتوحة، وزاي مشددة مفتوحة، ورفع الملائكة. وشدد البزي التاء وصلًا، مع

المد المشبع، وقرأ الباقر بتاء مفتوحة، وزاي مشددة، مفتوحة، ورفع الملائكة. ينظر الفوز الكبير في الجمع بين قراعتي عاصم وابن كثير: 23/2، فائز عبد القادر شيخ الزور، الطبعة الأولى (2000 م)

<sup>4</sup> - القصص، من الآية: 48، والتحرير، من الآية: 4. بتخفيف الظاء على حذف إحدى التاءين: عاصم وحزمة والكسائي وخلف، والباقون بتشديدها. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 548/1.

<sup>5</sup> - الأحزاب، من الآية: 33. "شدد البزي التاء وصلًا ويجب حينئذ إشباع المد للسالكين فإن ابتدأ خفف"، والباقون بالتخفيف. الدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: 256/1.

<sup>6</sup> - الأحزاب، من الآية: 52. تشديد التاء للبزي، والباقون بالتخفيف. ينظر العنوان في القراءات السبع: 155/1، أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي، تحقيق: زهير زاهد، وخليل العطية، عالم الكتب، بيروت 1405هـ.

<sup>7</sup> - الصافات، من الآية: 25. 'بتشديد التاء وصلًا البزي بخلفه وأبو جعفر، والباقون بالتخفيف". إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 472/1.

<sup>8</sup> - الحجرات، من الآية: 12.

<sup>9</sup> - الحجرات، من الآية: 13.

<sup>10</sup> - الحجرات، من الآية: 11. "ولا تتابروا ولا تجسسوا وليتعارفوا قرأ البزي بتشديد التاء في الأفعال الثلاثة، الأولين حال الوصل، والثالث مطلقًا، لوجود اللام قبل المشددة، فاتصل الساكن المشدد بشيء قبله وكل من أطلق التقويد بحال الوصل فيخصص كلامه بهذا، وتفترق في الأتعام أو يقال يحمل الوصل في كلامهم على العموم أي سواء وصل الحرف المشدد بآخر حرف من كلمة قبله أو بحرف متصل بكلمته". غيث النفع في القراءات السبع: 551/1.

أثبت سيبويه<sup>(6)</sup> الخيار في حذف التاء من عدمه، عند اجتماعها مع تاء أخرى قال: " فإن التقت التاءان في تتكلمون وتنترسون، فأنت بالخيار، إن شئت أثبتهما، وإن شئت حذفتهما ... وإن شئت حذف التاء الثانية ... وكانت الثانية أولى بالحذف لأنها هي التي تسكن وتدغم ..."(7).

تظهر التاءان معًا إذا اختلَّ شرط من شروط الحذف، ولا وجه للثقل، فكلَّ حرفين متماثلين أولهما متحرك، وثانيهما ساكن وجب الإظهار عند جميع القراء، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما ورد آنفًا في قراءة بعض الكلمات على الأصل<sup>(8)</sup>، ومنها:

- 1 - الممتحنة، من الآية: 9. أن تَوَلَّوْهُمُ قرأ البيزي بتشديد التاء في الوصل، والباقون بالتخفيف. المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر: 437/1، أبو حفص، عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري، سراج الدين النشار الشافعي المصري، تحقيق: أحمد محمود عبد السمیع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 2001 م
- 2 - الملك، من الآية: 8. البيزي بتشديد التاء من تَمَيَّرُ في الوصل والسوسي على أصله بإدغام التاء، والباقون بالتخفيف والإظهار. المرجع السابق: 454/1.
- 3 - الواقعة، من الآية: 20، والقلم، من الآية: 38. شدد البيزي التاء وصلًا مع المد المشيع للساكنين وخففها غيره. البذور الزاهرة: 348/1.
- 4 - عيس، من الآية: 10. للبيزي بخلفه تشديد التاء وصلًا مع صلة هاء الضمير ومدها مدا مشيعًا. والباقون بعدم التشديد وهي رأس آية. فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات: 710 / 4، محمد إبراهيم محمد سالم، دار البيان العربي - القاهرة، الطبعة الأولى 2003 م.
- 5 - الليل، من الآية: 14. روى البيزي عن ابن كثير بتشديد التاء، والباقون بالتخفيف. كتاب السبعة في القراءات: 690 / 1.
- 6 - أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد الفرهودي الأزدي، ولازمه، وتلمذ له، وأخذ شينا من النحو عن عيسى بن عمر الثقفي، وعن يونس بن حبيب، وأخذ عن غيرهما. وأخذ اللغة عن أبي الخطاب الأخفش الكبير وغيره، له: الكتاب (ت: 180 هـ).
- ينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة: 346/2، أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، جمال الدين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى 1982م.
- 7 - كتاب سيبويه: 476/4.
- 8 - مثل: تتساعلون، ينظر ص: 17، وتتذكرون، ص: 8.

﴿ نُنْتَلَى (1)، نَنْفُوا (2) نَنْزَكُهُ (3)، نَنْبَعَانِ (4) نَنْبِيب (5)، نَنْبِيرًا (6)، نَنْبِعَانِ (7)، نَنْتَلِفَاهُمْ (8)، نَنْزَى (9)، نَنْقَلِبُ (10)، نَنْجَافِي (11)، نَنْفَكُرُوا (12)، نَنْمَارِي (13)﴾.

الخاتمة:

من خلال رحلتنا المختصرة في رياض تاء الافتعال وقفنا على نقاط، وأسس لا غنى لمن أراد خوض الغمار أن يتوشح بها؛ لتكون نبراسًا له، أهمها:

1: تاء الافتعال حرف ضعيف قد يؤثر في غيره، لكن تأثره بمن جاوره أكثر.

2: التخفيف عند تكرار التاء قد يكون بالإدغام، وقد يكون بالإبدال، وقد يكون بالإبدال والإدغام معًا، وقد يكون بالحذف.

1 - في ستة عشر موضعًا، منها: آل عمران، من الآية: 101، والأنفال، من الآية: 31.

2 - آل عمران، من الآية: 28.

3 - الأعراف، من الآية: 176.

4 - يونس - عليه السلام -، من الآية: 89.

5 - هود - عليه السلام -، من الآية: 101.

6 - الإسراء/ من الآية: 7.

7 - طه، من الآية: 93.

8 - الأنبياء، من الآية: 103.

9 - المؤمنون، من الآية: 44.

10 - الفرقان، من الآية: 5.

11 - السجدة، من الآية: 16.

12 - سبأ، من الآية: 46. قرأ رويس بإدغام التائين في حالة الوصل، ينظر إتحاق فضلاء البشر: 1/461.

13 - النجم، من الآية: 55. قرأ رويس، وروح، ويعقوب، بإدغام التائين. ينظر الإقناع في القراءات السبع: 1/129.

3: تبدل تاء الافتعال بأحرف مخصّصة لاتحاد المخرج، أو الصفة، أو للتقارب في المخرج، أو في الصفة.

4: تاء الافتعال من أقسام التاء الأصلية؛ لأنها زائدة، عند اجتماعها مع تاء المضارعة وأردنا الحذف يجوز حذفها، وفق رأي الكوفيين، ويجوز حذف المضارعة وفق رأي البصريين.

5: جُلّ الآيات القرآنية المستشهد بها يظهر فيها تأثر التاء بغيرها، وهذا ما يدلّ على ضعفها كما دُكر آنفًا.

6: انفراد البريِّ - عند اجتماع التائين - بالإدغام لا بالحذف، إلا في موضعين: ( تمنّون، ونكّهون ) ووافقه أبو جعفر في ( تتاصرون )<sup>(1)</sup>.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- إبراز المعاني من حرز الأمان، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، دار الكتب العلمية.
- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، ابن القطّاع الصقلي، تحقيق ودراسة: أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة 1999 م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدميّطي، شهاب الدين الشهير بالبناء، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الثالثة، 2006م.

1 - الصافات، من الآية: 25.



- أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً، عبد الرازق بن حمودة القادوسي، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم- قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة حلوان، 2010م.
- ارتشاف الضرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1998 م
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب 1988م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر 2002 م.
- الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن الباذش، دار الصحابة للتراث.
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية- لاهور / باكستان.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، جمال الدين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى 1982م.
- الإتيان في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، دار الفكر دمشق
- إيجاز التعريف في علم التصريف، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين، المحقق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2002م.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر . بيروت، 1420هـ.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة -
- التاء في اللغة العربية، خصائصها الصوتية، واستخداماتها، باسل بزراوي، مجلة دنيا، العدد ( 14 ) صفحة ( 1 ) الوطن 2008 م .
- تاج العروس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2002م.

- التعليقات على كتاب سيبويه، أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، المحقق: عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى، 1990م.
- النَّقْسِيُّرُ البَسِيطُ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ
- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1999 م
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهجري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2001 م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 2008م.
- التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1984م.

- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون 1993 م
- الجمل في النحو، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، 1995م.
- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، المحقق: عبد العال سالم، دار الشروق- بيروت، الطبعة الرابعة، 1401 هـ.
- حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - 2000
- خزنة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة 1997م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- رصف المباني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مكتبة الثقافة

الدينية، الظاهر .

- سر صناعة الإعراب أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 2000م،
- الشافية في علم التصريف، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الدويني، تحقيق : حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، 1995.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2000م.
- شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، المحقق: محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 1974 م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1998م.
- شرح التسهيل، الحسن بن قاسم، أو ابن أم قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، تحقيق: محمد عبد النبي محمد أحمد عبيد، مكتبة الإيمان/ المنصورة، الطبعة الأولى 2006 م.
- شرح التصريف، أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني، المحقق: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1999م.
- شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المحقق: مجموعة محققين: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، معهد البحوث

- العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 2007 م.
- شرح المفصل لابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلية، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2001 م
- شرح شافية ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ركن الدين، المحقق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراة)، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 2004م.
- الصاحبى فى فقه اللغة العربية، ومسائلها، وسنن العرب فى كلامها : 70، أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه، ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى 1997م.
- العنوان فى القراءات السبع، أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطينى، تحقيق: زهير زاهد، وخليل العطية، عالم الكتب، بيروت 1405هـ.
- غاية النهاية فى طبقات القراء، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري الشافعي، شمس الدين،
- غيب النفع فى القراءات السبع، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 2004م.
- فريدة الدهر فى تأصيل وجمع القراءات، محمد إبراهيم محمد سالم، دار البيان العربي - القاهرة، الطبعة الأولى 2003 م.

- الفوز الكبير في الجمع بين قراءتي عاصم وابن كثير، فائز عبد القادر شيخ الزور، الطبعة الأولى (2000م)
- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.
- القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، الطبعة الأولى 1984 م.
- كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، 1400هـ.
- كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق : مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي.
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل/ بيروت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
- الكناش، أبو الفداء، إسماعيل بن الأفضل علي الأيوبي، عماد الدين، الشهير بصاحب حماه، دراسة وتحقيق: رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية / بيروت، 2004 م.
- الكنز في القراءات العشر، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التاجر الواسطي المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين، المحقق:

- خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة الأولى، 2004 م.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين، المحقق: عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، 1416هـ 1995م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى 1998م.
- اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى 1983 م.
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة 1999م
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، تحقيق : حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ، 1405هـ..
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر/ دمشق 1998 م



- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة الأولى، 2000 م
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، 1993م
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المحقق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى 2007 م.
- المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر، أبو حفص، عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري، سراج الدين النشار الشافعي المصري، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 2001 م.
- الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين طبانة، دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: 306/2، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي، المحقق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث - القاهرة، مصر 2008م.
- منازل الحروف، أبو الحسن، علي بن الحسن الرّماني، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية/ بيروت، الطبعة الأولى 2005م.
- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية.

- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة/ بيروت 1980م.
- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، المحقق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى إتصوير دار الكتاب العلمية].
- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: 1422هـ)، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، 1997 م.
- الواضح في علم الصرف، أبو مصطفى البغدادي، 2012م.
- الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الرابعة 1992م.

## تحقيق المناط وأثره في الخلاف الفقهي

د. جمال عمران سحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وبعد، فإن باب الاجتهاد من أبواب أصول الفقه المهمة للمجتهد، ولا يستطيع المتهيي للفقه أن ينال درجة الاجتهاد إلا بشروط، بعضها متفق عليها، وبعضها مختلف فيها، ومن بين تلك الشروط: العلم بأصول الفقه، ودراسة هذا العلم والتعمق في فهمه ألزم ما يكون للمجتهد، وذلك لما تعطيه دراسة أصول الفقه لمن يتصدى للاجتهاد من قدرة على الاستدلال وتمكّن من الاستنباط بشروطه.

كما أن مباحث علم أصول الفقه لا تنحصر في دائرة الاجتهاد في استنباط الحكم الشرعي واستخراجه من أدلته التفصيلية، وإنما يتجاوزها ليشمل دائرة أخرى تتمثل في الاجتهاد في تنزيل الحكم المستنبط على وقائعه وأفراده وجزئياته التي تصلح أن تكون محلا مناسباً لتطبيق الحكم عليها وموقعا ملائماً لحلوله فيها.

ويبحث علماء أصول الفقه ما اصطلاحوا على تسميته بـ "تحقيق المناط" في مسالك العلة في باب القياس، ثم جاء الإمام الشاطبي وصرح بأهمية هذا النوع من أنواع الاجتهاد، وتوسع في مدلوله وأقسامه، وأظهر مكانته في عملية الاجتهاد.

## أهداف الدراسة:

1/ بيان مفهوم تحقيق المناط عند الأصوليين، والفرق بينه وبين تنقيح المناط وتخريجه.

2/ تُبرز الدراسة كيفية تعامل فقهاء الأمة مع الواقع الذي يُرومون تنزيل الحكم الشرعي عليه، والمنهج الذي التزموه، ومقدار مراعاتهم للظروف الخاصة التي تحيط ببعض الجزئيات والوقائع والأعيان.

3/ إبراز أثر تحقيق المناط في التفسير الفقهي.

### خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين:

المبحث الأول: في تحقيق المناط، وصوره، والفرق بينه وبين تنقيح المناط، وتخريج المناط.

المبحث الثاني: تحقيق المناط وأثره في التفسير الفقهي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي خلص إليها البحث.

### منهج البحث:

- جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية.

- عزو الأقوال إلى قائلها، وتوثيق النصوص.

- التعريف بالمصطلحات العلمية.

- شرح الألفاظ الغريبة، وذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة.

- تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

- تحرير موطن النزاع، وذكر الأقوال والأدلة والمناقشات في المسألة مع بيان الراجح في نظري بدليله.

### المبحث الأول: في بيان معنى تحقيق المناط، وصوره.

أولاً: تحقيق المناط بمعناه الإضافي: الحق نقيض الباطل، تقول: حق الشيء يحق حقاً، معناه: وجب يجب وجوباً، والحق: اليقين بعد الشك، ويقال: أحققت الأمر إحقاقاً: إذا أحكمته وصححته<sup>(1)</sup>.

قال ابن فارس: " حَقَّقْتُ الأمر وأحققته، أي كنت على يقين منه، وحَقَّقْتُ حَذَرَ الرجل وأحققته: فعلت ما كان يحذر"<sup>(2)</sup>. وأما المناط لغة: ناطه نوطاً: علّقه، وانتاط تعلق، والأنواط: المعاليق، وناط الشيء ينوطه نوطاً: علّقه، وكل ما علق من شيء فهو نوط<sup>(3)</sup> وقال أيضاً: " النون والواو والطاء أصل صحيح يدل على تعلق شيء بشيء، ونُطُّهُ به: علقت به، والنُّوط: ما يتعلق به أيضاً، والجمع أنواط، والنياط: عرق علق به القلب، والجمع أنوطة، وهو النائط أيضاً، ونياط المفازة: بعدها، سمي به لأنه كأنه من بعده نيط

(1) انظر القاموس المحيط 3/ 300، وتهذيب اللغة 1/ 876، ولسان العرب 3/ 256، مادة ( حقق )

حقق ( والمصباح المنير ص ( 125 ) مادة حقق.

(2) معجم مقاييس اللغة 1/ 271، مادة ( حقق )

(3) انظر المصباح المنير ص ( 516 ) ، والقاموس المحيط 2/ 590، ولسان العرب 10/ 328،

مادة ( نوط )

أبداً بغيره"<sup>(1)</sup> والمناط في اصطلاح أهل الأصول " هو علة الحكم؛ لأن بها تعلقه، فهو نوطها وهي مناطه". قال القرافي: " العلة ربط بها الحكم وعلق عليها فسميت "مناطاً" على وجه التشبيه والاستعارة"<sup>(2)</sup>.

وبهذا نصل إلى أن المعنى الإضافي لتحقيق المناط هو " إثبات المناط " أي إثبات وجود ما علق به الحكم.

### ثانياً: تحقيق المناط بمعناه اللقبي الاصطلاحي:

تنوعت العبارات والألفاظ في الكشف عن حقيقة المقصود بهذا المصطلح الأولي: فمنهم من عرفه بأنه: " النظر في معرفة وجود العلة في آحاد الصور بعد معرفتها في نفسها، وسواء أكانت معروفة بنص أم إجماع، أو استنباط "<sup>(3)</sup>. ومنهم من عرفه بقوله: " أن يتفق على عليية وصف بنص أو إجماع، ويجتهد في وجودها في صورة النزاع "<sup>(4)</sup>. وعرفه الإسوي بأنه " تحقيق العلة المنفق عليها في الفرع، أي إقامة الدليل على وجودها فيه"<sup>(5)</sup>. أما الإمام الشاطبي فعرفه بقوله: " أن يثبت الحكم بمدركه الشرعي، لكن يبقى النظر في تعيين محله " <sup>(6)</sup> ومن خلال النظر في التعريفات السابقة نجد أنها اتفقت على المعنى

(1) المعجم 2 / 532، مادة ( نوط )

(2) شرح تنقيح القرافي ص ( 301 )

(3) الإحكام للأمدى 379/3

(4) الإبهاج لابن السبكي 6 / 2399

(5) نهاية السؤل 2 / 877

(6) الموافقات 4 / 65

العام لتحقيق المناط، والمتمثل في البحث والنظر في مدى تضمن الواقعة المعروضة للمناط الذي تم تحريره وإدراكه وتخريجه بالمسالك المعروفة، وأن دور الباحث فيه هو اكتشاف قوة تحقق المناط المدرك في عين تلك الواقعة المعروضة.

كما أن عملية تحقيق المناط تستدعي أن يكون هناك مناط معلوم قد سبق تحريره وإدراكه وتحديده، وهو ما يفهم من التعريف الأول للآمدي حيث قال: " بعد معرفتها في نفسها " ولا يشترط في المناط أن يكون محل وفاق وقبول من جميع الفقهاء؛ لأنه هناك العديد من العلل والمناطات التي اختلف الأصوليون في تعيينها، منها اختلافهم في تعيين علة تحريم ربا الفضل في الأصناف المطعومة الأربعة، فقد اختلف العلماء في تحديدها، فالحنفية يذهبون إلى أن العلة هي الكيل، أو الوزن مع اتحاد الجنس<sup>(1)</sup>، أما المالكية فالعلة عندهم هي كون تلك الأشياء من المققات والمدخر، مع اتحاد الجنس<sup>(2)</sup>. والعلة عند الشافعية هي كون تلك الأصناف من المطعومات مع اتحاد الجنس<sup>(3)</sup>. فالاختلاف في تعيين المناط لا يسد الباب أمام النظر في تحقيقه.

### ثانيا: صور تحقيق المناط:

**لتحقيق المناط صورتان متميزتان، كل منهما انفردت بمصطلح خاص من خلال**

ضميمة وصفية، وهما:

أ- تحقيق المناط العام:

(1) الهداية للمرغيناني 3 / 67

(2) الإشراف 2 / 531، المعونة 2 / 5-6

(3) مغني المحتاج 2 / 22

هو " نظرٌ في تعيين المناط من حيث هو لمكلف ما، فإذا نظر المجتهد في العدالة مثلا، ووجد هذا الشخص متصفا لها على حسب ما ظهر له أوقع عليه ما يقتضيه النص من التكاليف المنوطة بالعدول... " (1).

وله أربع صور: الأولى: ترجع إلى النص، فهي المناطات التي حققها الشارع نصا، وانتهى أمرها، فلا اجتهاد معها بعدئذ، ولا تدخل مع سائر الصور التي ضمنها الشاطبي تحت مصطلح الاجتهاد.

الثانية: وهي الراجعة إلى اجتهاد المجتهد اجتهادا محضا (الاجتهاد الشرعي لا العرفي).

الثالثة: وهي الراجعة إلى تقليد المجتهد الشرعي غيره.

الرابعة: وهي الراجعة إلى اجتهاد المكلف، أي سواء كان مجتهدا أو عاميا، وهي المعبر عنها عند الشاطبي بـ (اجتهاد المكلف).

ب- تحقيق المناط الخاص: هو " نظر في كل مكلف بالنسبة إلى ما وقع عليه من الدلائل التكليفية، بحيث يتعرف منه مداخل الشيطان ومداخل الهوى والحظوظ العاجلة، حتى يلقبها هذا المجتهد على ذلك المكلف مقيدة بقيود التحرز من تلك المداخل" (2).

ثالثا: الفرق بين تحقيق المناط وتنقيحه، وتخريجه:

**تنقيح المناط:** التنقيح في اللغة مأخوذ من التهذيب (1)، وكلام منقح لا حشو فيه، فتنقيح

المناط هو تصفية العلة بإزالة ما لا يصلح لها، وتعيين ما يصلح لها (2)، وعرفه صاحب مراقي السعود بقوله (3):

(1) الموافقات 4 / 70

(2) انظر تفصيل ذلك وأمثله في الموافقات 4 / 70 وما بعدها



وهو أن يجي على التعليل

بالوصف ظاهر من التنزيل

أو الحديث فالخصوص يطرُدُ

عن اعتبار الشارع المجتهد

يعني أن تنقيح المناط هو: أن يدل ظاهر نص من كتاب أو سنة على التعليل بوصف، فيطرد المجتهد، أي يحذف خصوص هذا الوصف الذي دل ظاهر النص على أنه العلة وينيط الحكم بما هو أعم من ذلك الوصف<sup>(4)</sup>. ومثال تنقيح المناط في القرآن: قوله تعالى ﴿فَعَلِيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَدَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تُصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾<sup>(5)</sup> فقد ألغى الفقهاء خصوص الوصف الذي هو الأثوثة في تشطير الحد وأناطوه بالرق تنقيحا للمناط. ومثاله في السنة: قول الرسول صلى الله عليه

(<sup>1</sup>) المصباح المنير ص ( 508 ) مادة ( نفتح )

(<sup>2</sup>) نثر الورود 2 / 522

(<sup>3</sup>) المصدر السابق 2/522، وينظر في تعريفه أيضا المستصفي 2 / 238، والمحصول للرازي

2 / 296، وشرح المنهاج للبيضاوي 2 / 706، ومفتاح الوصول ص ( 696 ) وإرشاد الفحول

ص 731، وشرح الكوكب المنير 4 / 203، ونشر البنود 2 / 204

(<sup>4</sup>) نثر الورود 2 / 523

(<sup>5</sup>) النساء، الآية (25)

وسلم: (( لا يقضينَ حَكَمَ بين اثنين وهو غضبان ))<sup>(1)</sup> فقد ألغى الفقهاء خصوص الغضب وأناطوا الحكم بأعم منه وهو التشويش المانع من استيفاء النظر والفكر<sup>(2)</sup>.

ومثاله: تنقيح مالك وأبي حنيفة المناط في قول النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي قال: واقعت أهلي في نهار رمضان: (( اعتق رقبة ))<sup>(3)</sup>، فألغيا خصوص الوقاع في رمضان، وأناطا الحكم بأعم منه وهو انتهاك حرمة رمضان؛ فأوجبوا الكفارة بالأكل والشرب فيه عمدا<sup>(4)</sup>. وهذا القسم من تنقيح المناط يعبر عنه بأسماء مختلفة، يسمى: مفهوم الموافقة، ولحن الخطاب، وفحوى الخطاب، ويسمى تنقيح المناط وإلغاء الفارق، والقياس في معنى الأصل<sup>(5)</sup>. وإلغاء الفارق هو تبيين أنه لا فرق بين ما ذكره

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب هل يقضي الحاكم أو يفتى وهو غضبان، رقم ( 7158 ) فتح الباري 13 / 167، ومسلم في كتاب الأفضية، باب كراهية قضاء القاضي وهو غضبان، رقم الحديث ( 1717 ) إكمال المعلم 5 / 575.

(2) نثر الورود 2 / 523.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الصيام، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر، رقم

(1936) فتح الباري 4 / 200، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب تغليب تحريم الجماع في نهار رمضان، رقم ( 1111 )

(4) ينظر في فقه الحنفية تحفة الفقهاء 1 / 553، وتبيين الحقائق للزيلعي 1 / 328، وفي فقه المالكية المنتقى 3 / 43 - 44، وبداية المجتهد 1 / 302.

(5) ينظر نهاية السؤل 2 / 876، والإبهاج 6 / 2396، والبحر المحيط 5 / 257.

الشارع وما سكت عنه إلا فرقا لا أثر له في الحكم فيثبت الحكم لما اشتركا فيه؛ لأنه إذا لم يفارق المسكوت عنه المنطوق به إلا فيما يؤثر، فإنه ينبغي اشتراكهما في المؤثر، فيلزم من ثبوت الحكم في المنطوق به ثبوته في المسكوت عنه<sup>(1)</sup>.

ومن أمثله:

1- إلغاء الفرق بين الضرب والتأفيف في المنع.

2- وإلغاء الفرق بين العمياء والعوراء في منع الأضحية.

3- وإلغاء الفرق بين إحراق مال اليتيم وأكله في المنع.

4- وإلغاء الفرق بين الأمة والعبد في سرماية العتق<sup>(2)</sup>.

3- تخريج المناط:

هو تعيين العلة من أوصاف غير مذكورة، مثل العلة في الربا هل هي الطعمية،

أو الاقتنيات، أو الكيل أو الوزن، أو غير ذلك؟<sup>(3)</sup>.

لذلك قال الناظم<sup>(4)</sup>:

وذاك تخريج المناط وهو إن تعيينها من غير مذكور رُكن

(1) نثر الورود على مراقبي السعود 2 / 523

(2) المصدر نفسه

(3) تقريب الوصول لابن جزى ص ( 128 ) وينظر شرح تنقيح الفصول ص ( 302 )، وانظر

أيضا البحر المحيط 5 / 257، وبيان المختصر 2 / 732، والمستصفي 2 / 240، والإحكام

للأمدي 3 / 379، والإبهاج 6 / 2399، وشرح الكوكب المنير 4 / 202

(4) نيل السؤل على مرتقى الوصول ص ( 181 )

مثل الربا في البر أو مثاله  
وذلك باعتبار وصف ظاهر  
وإن يكن خفياً أو لا ينضبط  
وإن يكن يقصُر عن تأثير  
إذ تقتضى علته من حاله  
مناسب منضبط لا نافر  
فبالمظنة الرجوع يرتبط  
لم يلتفت كاللون والتصوير

**مثاله:** الربا في البر أو أمثاله من الشعير والتمر والملح، فالوصف الظاهر المنضبط في حكم الربا في هذه الأوصاف يجتهد فيه المجتهد بالنظر إلى أحوال هذه الأصناف، أي أوصافه الموجودة فيه والتي تقتضي العلية، فهي عند المالكية<sup>(1)</sup>: الاقتيات والادخار، وعند الحنفية<sup>(2)</sup>: مطلق الادخار، وعند الشافعية<sup>(3)</sup>: الطعمية.

ويتركز دور المجتهد في عملية تخريج المناط على إخراج العلة من الخفاء إلى الظهور؛ لأنها غير مذكورة في النص، لا صراحة ولا إيماء، وهذا بخلاف تنقيح المناط الذي تكون العلة فيه مذكور في النص، ولكن مع أوصاف أخرى مختلطة بها، وهو ما صرح به القرافي بقوله: " فهذا هو تخريج المناط؛ لأننا أخرجنا العلة من غيب، والأول تنقيح المناط؛ لأنه تصفية وإزالة لما لا يصلح عما يصلح، وتنقيح الشيء إصلاحه "<sup>(4)</sup>

(1) ينظر الشرح الكبير للدردير 47 / 3، والإشراف للقاضي عبد الوهاب 531 / 2، والمعونة 2 /

(2) ينظر بدائع الصنائع 183 / 5، والهداية شرح البداية للمرغيناني 67/3

(3) الوسيط للغزالي 48 / 3، والإقناع للشرييني 15 / 2، ومغني المحتاج 22 / 2

(4) شرح تنقيح الفصول

ففي تخريج المناط يتناول النص الحكم والمحل دون العلة، وأما في تنقيح المناط فيتناول الحكم والمحل والعلة، ولكن من غير تعيين لها نظرا لاختلاطها مع غيرها من الأوصاف<sup>(1)</sup>.

وتخريج المناط له مراتب بيّنها الناظم في الأبيات الأخيرة السابقة وهي:

1/ أن يكون الوصف ظاهرا مناسباً للحكم، منضبطاً لا نافراً منه، ولا يختلف كثرة وقلة، بحيث يناسب الحكم كالإسكار في الخمر<sup>(2)</sup>.

2/ أن يكون خفياً كالرضى والغضب، أو لا ينضبط كالمشقة في السفر، فهنا يرجع في تعليل الحكم إلى المظنة فيقال بأن السفر مظنة المشقة، فهذا وصف مناسب للقصر لكنه لا ينضبط، فهو متفاوت بين الناس، فهذا أكثر العلماء على عدم اعتباره علة في الحكم.

3/ أن يكون قاصراً عن التأثير في الحكم، فلا يلتفت إلى هذا الوصف ولا يعطل به الحكم، كاللون أو التصوير أي الصورة، فاللون في الخمر لا أثر له في التحريم، والصورة في الخنزير لا أثر لها في التحريم، وكذلك الطول والقصر والعرض لا تعتبر عللاً للأحكام الشرعية<sup>(3)</sup>.

**المبحث الثاني: أثر تحقيق المناط في التفسير الفقهي**

ومن بين المسائل الفقهية التي ذكرها الشنقيطي في تحقيق المناط:

**المسألة الأولى: تحديد المسافة التي يجب فيها قصر الصلاة:**

(1) ينظر الإبهاج 6/ 2399 ، البحر المحيط 5/257

(2) ينظر مفتاح الوصول ص ( 677 )

(3) انظر نيل السؤل على مرتقى الوصول ص ( 181 )

وأما عن تحقيق المناظ في المسألة فيقول الشنقيطي: " فالظاهر أن الاختلاف في تحديد المسافة من نوع الاختلاف في تحقيق المناظ، فكل ما يطلق عليه اسم السفر في لغة العرب يجوز القصر فيه؛ لأنه ظاهر النصوص، ولم يصرف عنه صارف من نقل صحيح، ومطلق الخروج من البلد لا يسمى سفراً، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يذهب إلى قباء وإلى أحد ولم يقصر الصلاة، ... وقصر أهل مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دليل عند بعض العلماء على القصر في المسافة غير الطويلة" (1)

وعليه اختلف الفقهاء في المسافة التي يجب فيها القصر على أقوال:

القول الأول: قال أبو حنيفة - رحمه الله - أقل ما يقصر فيه الصلاة في السفر إذا قصد مسيرة ثلاثة أيام بمشي الأقدام وسير الإبل (2).

دليله: قوله عليه الصلاة والسلام: (( لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي رحم )) (3). واستدل أيضاً بقوله عليه الصلاة والسلام (( يسمح المقيم يوماً وليلة والمسافر ثلاثة أيام ولياليها )) (4). القول الثاني: قال مالك والشافعي وأحمد - رحمهم الله -: لا يقصر

(1) أضواء البيان 1/ 294

(2) انظر المبسوط 1/ 235، وفتح القدير 1/ 393، وحاشية ابن عابدين 121/2

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب في كم يقصر الصلاة، رقم ( 1086 )

ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، رقم ( 1338 )

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين، رقم (

276).

المسافر الصلاة إلا في مسيرة أربعة برد، وهي ثمانية وأربعون ميلاً تقديراً ( وهي مسيرة يومين ) (1).

واستدلوا على ذلك بما روى مالك عن نافع عن سالم أن ابن عمر - رضي الله عنهما - ( ركب إلى ذات النصب فقصر الصلاة في مسيرة ذلك ) (2) قال مالك: وبين ذات النصب والمدينة أربعة برد (3).

واستدلوا أيضاً بما روى مالك عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه ( أنه ركب إلى ريم فقصر الصلاة في مسيره ذلك ) (4). قال مالك: وذلك نحو أربعة برد (5).

**الراجع في المسألة: والذي يراه الباحث راجحاً في المسألة هو أن المسافر لا يقصر الصلاة إلا في مسيرة أربعة برد ( مسيرة يومين )؛ لأن الأحاديث التي استدل بها أبو حنيفة وإن كانت صحيحة فالحديث الأول متفق عليه، رواه البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث المشهورين، والحديث الثاني رواه مسلم وغيره من أئمة الحديث، إلا أن**

(1) انظر المدونة 1/ 114، وبداية المجتهد 1/ 167، والأم 1/ 18، والمجموع 4/ 189، والمغني

91 / 2

(2) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الصلاة، باب ما يجب فيه قصر الصلاة، رقم ( 334 )

المنتقى شرح الموطأ 2/ 252 .

(3) المنتقى شرح الموطأ 2/ 252 .

(4) رواه مالك في الموطأ، كتاب الصلاة، باب ما يجب فيه قصر الصلاة، رقم الحديث ( 333 )

(5) المنتقى شرح موطأ مالك 2/ 252

الحديثين ما سيقا لأجل بيان مسافة القصر، بل لنهي المرأة عن الخروج وحدها لما قد تتعرض له من فتنة ومشقة وخطر<sup>(1)</sup>.

ومما يقوي هذا الترجيح: أن الإسلام شرع القصر وغيره من الأحكام المتعلقة بالسفر تخفيفاً على الناس ورحمة بهم ونفياً للحرج والمشقة عنهم، ولا شك أن هذا يحصل في تقييد القصر بمسيرة يومين أكثر من تقييده بمسيرة ثلاثة أيام. والله أعلم

### المسألة الثانية: السقط هل يغسل ويصلى عليه؟

أجمع الفقهاء على أن المولود إذا استهل صارخاً غسّل وصلى عليه.

قال ابن المنذر: "وأجمعوا على أن الطفل إذا عرفت حياته واستهل صلي عليه"<sup>(2)</sup>.

أما إذا ولد ولم يستهل صارخاً لكنه تحرك فقد اختلف الفقهاء في المسألة على أقوال:

**القول الأول:** إذا تحرك المولود ثم لم يستهل صارخاً ولا طال مكثه طويلاً يستدل منه على حياته، فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه، وهذا قول مالك؛ لأنه لم يستهل بالصراخ وهو علامة الحياة، وأن هذه الحركة لا تدل على الحياة لأمرين:

أ/ أنه قد كان يتحرك في البطن.

ب/ أن المقتول يتحرك وليس بحي<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر فتح الباري 2/ 690

(2) الإجماع ص 45

(3) انظر المدونة 1/ 162، وتتنوير المقالة في شرح ألفاظ الرسالة لابن أبي زيد 3/ 102، والمعونة 1/ 200، وشرح التلقين للمازري 3/ 1178، والإشراف على نكت مسائل الخلاف



**القول الثاني:** يغسل ويصلى عليه؛ لاعتبار حركة السقط دليلا على الحياة، وبهذا قال الحنفية والشافعية<sup>(1)</sup>.

**والحجة في ذلك:** أن الحركة أمارة على الحياة، فإذا مات بعد استهلاله وحركته غسل وصلي عليه<sup>(2)</sup>.

**أدلة المالكية:**

احتج المالكية بأدلة، منها:

1/ أن الصلاة إنما هي على من علمت حياته قبل موته، وأمارة الحياة هي الصياح أو ما يقوم مقامه من طول المكث إذا طالبت به مدة يعلم أنه لو لم يكن حيا لم يبق إليها، ويؤكد هذا حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( إذا استهل الصبي صلي عليه ))<sup>(3)</sup>.

2/ أن الحركة لا تدل على الحياة؛ لأن المقتول يتحرك وليس بحي؛ ولأنه قد كان متحركا قبل وضعه ولم يحكم بحياته<sup>(4)</sup>.

(1) انظر فتح القدير 1/ 465، والدر المختار 1/ 828، ومغني المحتاج 1/ 519

(2) ينظر روضة الطالبين 2/ 117، والمجموع 5/ 255، والبيان للعراني 3/ 77

(3) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الجنائز، باب ما جاء في ترك الصلاة على الجنين حتى يستهل رقم ( 1032 ) وابن ماجه، كتاب الجنائز، رقم ( 1508 ) من طرق عن أبي الزبير عن جابر، وصحح الترمذي وقفه

(4) ينظر المعونة 1/ 200، وشرح التلقين 3/ 1178

**القول الثالث:** ومن الفقهاء من لا عبرة عنده بالحركة وعدمها في هذا الباب، وإنما أناط الأمر بنفخ الروح في الجنين، ويكون ذلك بعد مضي أربعة أشهر، فإذا مضت ثم سقط الجنين غسل وصلي عليه، أما إن سقط قبل مضي أربعة أشهر فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه ويلف في خرقة ويدفن. وبهذا قال الحنابلة<sup>(1)</sup>.

ودليلهم على ذلك: ما رواه المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الطفل يصلى عليه))<sup>(2)</sup>. وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ( ما أحد أحق أن يصلى عليه من الطفل )، ولأنه نسمة نفخ فيه الروح فيصلى عليه كالمستهل<sup>(3)</sup>.

### الراجع في المسألة:

والذي يراه الباحث راجحاً في المسألة هو ما ذهب إليه الحنابلة من إناطة الأمر بنفخ الروح وعدمه، وذلك منضبط بالأربعة أشهر، فإذا مضت على الجنين ثم سقط غسل وصلى عليه، استهل صارخاً أم لا تحرك أم لا، أما إن سقط ولم تمض عليه الأربعة فلا يصلى عليه بل يلف في خرقة ويدفن.

(1) ينظر المغني 2/ 393، وكشاف القناع 1/ 576

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب المشي أمام الجنائز، رقم ( 3180 ) والترمذي في سننه، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الأطفال، رقم ( 1031 ) وابن ماجه في سنه، رقم ( 1507 ) من طرق عن زياد بن جبير بن حية، عن أبيه، عن المغيرة به. قال الترمذي: " حديث حسن صحيح "

(3) المغني 2/ 393

المسألة الثالثة: في الدين هل يزكى قبل القبض؟ وهل إذا لم يزكّه قبل القبض يكفي زكاة سنة واحدة، أو لا بد من زكاته لما مضى من السنين؟.

يقول الشنقيطي - رحمه الله - : "الظاهر فيه أنه من الاختلاف في تحقيق المناط، هل القدرة على التحصيل كالحصول بالفعل أو لا؟ ولا نعلم في زكاة الدين نصاً من كتاب ولا سنة ولا إجماع، ولا كون الدين مانعاً من وجوب الزكاة على المدين إن كان يستغرق أو ينقص النصاب إلا آثاراً وردت عن بعض السلف..."<sup>(1)</sup>.

#### اختلاف الفقهاء في المسألة على مذاهب:

**المذهب الأول:** ذهب الحنفية إلى أن الدين يمنع وجوب الزكاة في جميع الأموال ما عدا الزروع والثمار إذا كان للدين مطالب من قبل العباد كدين القرض والسلم ودين الزكاة<sup>(2)</sup>.

**المذهب الثاني:** ذهب المالكية وأحمد في رواية إلى أن الدين يمنع وجوب الزكاة في الأموال الباطنة دون الظاهرة إذا كان له مطالب من قبل العباد، فالأموال الظاهرة كالماشية والزروع والثمار فلا تسقط زكاتها بالدين؛ لأنها موكولة إلى الساعي يأخذها قهراً ولا ينقص شيئاً من لأجل الدين، ولأن تعلق الزكاة بالأموال الظاهرة أكد؛ لظهورها وتعلق قلوب الفقراء بها، وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر وعثمان يبعثون

(1) أضواء البيان 2/ 663، المسألة الخامسة: في زكاة الدين

(2) الهداية للمرعيناني 96/1، وبدائع الصنائع 6/2

الخرّاص والسّعة لا ينقصون شيئاً لأجل الدين من ثمرة ولا ماشية، وكانوا يسألون عن الدين في العين<sup>(1)</sup>.

### المذهب الثالث:

ذهب الشافعية إلى أنه إذا كان له نصاب من المال، وعليه دين يستغرق ماله أو ينقصه عن النصاب ففي وجوب الزكاة قولان: الأول: قال في القديم: لا تجب عليه الزكاة<sup>(2)</sup>. ودليله: ما روي عن عثمان أنه قال في المحرم (( هذا شهر زكاتكم، فمن كان عليه دين فليقضه، ثم ليزك بقية ماله ))<sup>(3)</sup>.

والثاني: قال في الجديد: تجب فيه الزكاة، ودليله: قوله صلى الله عليه وسلم: (( في خمس من الإبل شاة، وفي أربعين شاةً شاةً ))<sup>(4)</sup>. ولأن الدين يجب في الذمة، والزكاة تجب في عين ماله، فلم يمنع أحدهما الآخر، كما لو كان عليه دين<sup>(5)</sup>.

(<sup>1</sup>) انظر المنتقى للباحي 3 / 164، والمقدمات لابن رشد 1 / 332، وحاشية الدسوقي 1 / 481، ونهاية المحتاج 3 / 132، والمغني 3 / 42، والإنصاف 3 / 24

(<sup>2</sup>) البيان للعمرائي 3 / 146

(<sup>3</sup>) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الزكاة، باب: الزكاة في الدين، رقم ( 659 ) المنتقى شرح الموطأ 3 / 164

(<sup>4</sup>) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب ي زكاة السائمة، رقم ( 1568 ) 3 / 19، والترمذي في جامعه أبواب الزكاة، باب: ما جاء في زكاة الإبل والغنم، رقم ( 621 ) 2 / 9، وقال عنه: حديث حسن

(<sup>5</sup>) البيان للعمرائي 3 / 147

**المذهب الرابع:** ذهب أحمد في رواية إلى أن الدين يمنع وجوب الزكاة في قدره في الأموال الباطنة والظاهرة، سواء كان الدين حالاً أو مؤجلاً، وسواء كان لله أو للعباد، وسواء كان من جنس المال الذي تجب فيه الزكاة أو لا<sup>(1)</sup>.  
والدليل على ذلك:

1- ما روى الإمام مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد أن عثمان بن عفان كان يقول: " هذا شهر زكاتكم، فمن كان عليه دين فليؤد دينه، حتى تحصل أموالكم فتؤدون منها الزكاة "<sup>(2)</sup>.

2- ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل حينما بعثه لليمن " أخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم "<sup>(3)</sup>. فدل على أنها إنما تجب على الأغنياء، ولا تدفع إلا إلى الفقراء، والمدين محتاج إلى قضاء دينه كحاجة الفقير أو أشد، فلا تجب عليه الزكاة<sup>(4)</sup>.

أما الشافية فقد عللوا للقول بمنع الدين للزكاة بوجهين:

الأول: ضعف ملك المدين.

(1) المغني 3/ 41، والإتصاف 3/ 24.

(2) الموطأ ، كتاب الزكاة، باب الزكاة في الدين، رقم (659) 3/ 164

(3) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (1395)

(4) انظر المغني 2/ 633، باب زكاة الدين والصدقة

الثاني: أن مستحق الدين ( الدائن ) تلزمه الزكاة، فلو أوجبناها على المدينون أدى ذلك إلى تثنية الزكاة في المال الواحد<sup>(1)</sup>.

**الراجح في المسألة:** والذي أراه راجحا في المسألة هو أن الدين يمنع وجوب الزكاة في الأموال الظاهرة والباطنة، والتفريق بينهما أمر غير واضح؛ " لأن الظهور والبطون أمر نسبي، وربما أصبحت عروض التجارة في هذا العصر أشد ظهورا وبروزا للفقراء وغيرهم من الأتعام والزروع.

والتعليل الذي ذكره أصحاب الرأي القائل بأن الدين لا يمنع الزكاة في الأموال الظاهرة لا يقوى على معارضة عموم الأدلة التي تدل على عدم وجوب الزكاة على من عنده مال وعليه دين يستغرق نصاب الزكاة في المال الذي عنده أو ينقصه عن النصاب، فعموم الأدلة يفيد أن الدين يمنع وجوب الزكاة في سائر الأموال، سواء أكانت أموالا ظاهرة أم أموالا باطنة، والشريعة الإسلامية تحثنا دائما على أن نيسر على المدين وأن نأخذ بيده بكل وسيلة وفي شتى المجالات، وهذا لا يتفق وإيجاب الزكاة عليه<sup>(2)</sup>.

**كما أن الاختلاف الذي وقع بين الفقهاء من الاختلاف في تحقيق المناط، كما ذكر الشنقيطي في تفسيره، فمن نظر من الفقهاء إلى القدرة على تحصيل المال قال بوجوب الزكاة، ومن لم يتوفر عنده مال، ولم يكن عنده من العروض والنقد ما يفي به دينه فلا زكاة عليه، يقول الإمام مالك في موطنه: " الأمر المجتمع عليه عندنا أن الرجل يكون عليه دين وعنده من العروض ما فيه وفاء لما عليه من الدين، ويكون عنده من**

(1) روضة الطالبين 2 / 180

(2) فقه الزكاة 1 / 119

الناض<sup>(1)</sup> سوى ذلك ما تجب فيه الزكاة، فإنه يزكي ما بيده من ناض تجب فيه الزكاة، وإن لم يكن عنده من العروض والنقد إلا وفاء دينه فلا زكاة عليه، حتى يكون عنده من الناض فضل عن دينه ما تجب فيه الزكاة فعلياً أن يزكيه<sup>(2)</sup>.

**المسألة الرابعة: اختلف الفقهاء فيما إذا ترك الحاج جمرة أو رمي يوم، أو حصة أو حصاتين، هل يعد ذلك نسكا فيلزمه دم، أو لا يطلق عليه أنه نسك بل هو جزء من نسك، فلا يلزمه دم؟ في ذلك مذاهب:**

**المذهب الأول:** ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الدم يلزم بترك الجمرات كلها أو رمي يوم واحد من أيام التشريق، ورمي الجميع عندهم سواء، يلزم في ترك كل واحد منها دم واحد، وما هو أكثر من نصف رمي يوم عندهم كرمي اليوم يلزم فيه الدم. فلو رمى جمرة وثلاث حصيات من جمرة وترك الباقي فعلياً دم؛ لأنه رمى عشر حصيات وترك إحدى عشرة حصة، فإن ترك أقل من نصف رمي يوم كأن ترك جمرة واحدة فلا دم عليه، ولكن عليه الصدقة عندهم فيلزمه لكل حصة نصف صاع من بر أو صاع تمر أو شعير إلا أن يبلغ ذلك دماً فينقص ما شاء<sup>(3)</sup>.

(1) الناض: اسم الدراهم والدنانير عند أهل الحجاز، وإنما يسمونه ناضاً إذا تحول عينا بعد أن كان متاعاً؛ لأنه يقال: ما نض بيدي منه شيء. لسان العرب 10/180، مادة نضض

(2) المنتقى 3/166، كتاب الزكاة، باب الزكاة في الدين

(3) انظر بدائع الصنائع 2/223

**المذهب الثاني:** ذهب مالك وأصحابه إلى أن من أخرج رمي حصاة واحدة من واحدة من الجمار إلى ليل ذلك اليوم لزمه الدم، وما فوق الحصاة أخرى بذلك، وسواء عندهم في ذلك رمي جمرة العقبة يوم النحر أو رمي أيام التشريق<sup>(1)</sup>.

ومعلوم أن من توقف من المالكية في كون الرمي ليلاً قضاء يتوقف في وجوب الدم إن رمى ليلاً، ولكن مشهور مذهبه هو أن الليل قضاء كما قال الشيخ خليل في مختصره: "والليل قضاء"<sup>(2)</sup>.

**المذهب الثالث:** مذهب الشافعي يرجع إلى قولين:

الأول وعليه اقتصر صاحب المذهب أنه إن ترك رمي الجمار الثلاث في يوم من أيام التشريق لزمه دم، وإن ترك ثلاث حصيات من جمرة فما فوقها لزمه دم؛ لأن ثلاث حصيات فما فوقها يقع عليه اسم الجمع المطلق، فصار تركها كترك الجميع، وإن ترك حصاة واحدة فنثلاثة أقوال:

يجب عليه ثلث دم - يجب عليه مد - يجب عليه درهم.

وحكم الحصاتين كذلك، قيل: يلزم فيها ثلثا دم، وقيل: مدان، وقيل: درهمان، فإن ترك الرمي في أيام التشريق كلها، فعلى القول المشهور عندهم أنها كيوم واحد، فاللزم دم واحد، وإن قلنا بأن كل يوم منفرد بوقتة فنثلاثة دماء، وإن ترك رمي جمرة العقبة يوم النحر ورمي أيام التشريق، فعلى القول بأن رمي يوم النحر كرمي يوم من أيام التشريق لزمه على القول الأول أنها كيوم واحد دم واحد.

(1) انظر الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي 1/ 47

(2) مواهب الجليل للحطاب 4/ 187



**القول الثاني:** أن الجمرات الثلاث كلها كالشعرات الثلاث فلا يكمل الدم في بعضها، بل لا يلزم إلا بترك جميعها، بأن يترك رمي يوم، وعليه فإن ترك رمي جمرة من الجمار ففيه الأقوال الثلاثة المشهورة عندهم فيمن حلق شعرة أظهرها مد، والثاني درهم، والثالث ثلث دم<sup>(1)</sup>.

وللشافعية في هذا المبحث تفاصيل كثيرة تراجع في مضانها<sup>(2)</sup>.

**المذهب الرابع:** ذهب الحنابلة إلى أن من آخر رمي يوم إلى ما بعده، أو آخر الرمي كله إلى آخر أيام التشريق ترك السنة ولا شيء عليه؛ إلا أنه يقدم بالنية رمي اليوم الأول ثم الثاني ثم الثالث؛ لأن أيام التشريق وقت للرمي، فإن أخره من أول وقته إلى آخره لم يلزمه شيء، كما لو أخر الوقوف بعرفة إلى آخر وقته؛ ولأنه وقت يجوز فيه الرمي، فجاز في آخر كالיום الأول<sup>(3)</sup>.

**أدلة الحنابلة:**

استدلوا بما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (( من نسي من نسكه شيئاً أو تركه فليهرق دماً ))<sup>(4)</sup>.

(1) المهذب مع المجموع 8 / 206

(2) ينظر المجموع 8/207، ومغني المحتاج 1 / 741

(3) ينظر المغني 3 / 487

(4) حديث ابن عباس ضعيف مرفوعاً، وصحيح موقوفاً، أخرج الموقوف الإمام مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب ما يفعل من نسي من نسكه شيئاً، وأما المرفوع فقد ساق سنده ابن حجر، وضعفه، وصحح الموقوف، تلخيص الحبير 3 / 846، وانظر المحلى 7 / 256

## تحقيق المناط في المسألة:

أما اختلاف العلماء في لزوم الدم بترك جمرة أو رمي يوم أو حصة أو حصاتين، فيقول الشنقيطي - رحمه الله - هو من نوع الاختلاف في تحقيق المناط، " فمالك يرى أن الحصة الواحدة داخلة في أثر ابن عباس المذكور، فمناط لزوم الدم محقق فيها؛ لأنها شيء من نسكه فيتناولها قوله: ( من نسي من نسكه شيئاً أو تركه فعليه دم ) ولفظة " شيئاً " نكرة في سياق الشرط فهي من صيغ العموم<sup>(1)</sup>، ومن قال من الفقهاء إنه لا يلزم في الحصة والحصاتين دم، قالوا: الحصة والحصاتان لا يصدق عليهما نسك، بل هما جزء من نسك، وكذلك الذين قالوا: لا يلزم في الجمرة الواحدة دم، قالوا: رمي اليوم الواحد نسك واحد، فمن ترك جمرة في يوم لم يترك نسكا، وإنما ترك بعض نسك، والذين قالوا: لا يلزم إلا بترك الجميع، قالوا: إن الجميع نسك واحد، والعلم عند الله تعالى<sup>(2)</sup>.

## الخاتمة

وفي ختام هذا البحث توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1- تحقيق المناط هو الأصل الذي يعوّل عليه في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية

على أرض الواقع من خلال تبين الوقائع والأفراد التي تصلح لتنزيل الحكم

الشرعي عليها.

(1) ينظر مذكرة أصول الفقه، للشنقيطي ( 197 )

(2) أضواء البيان 4 / 1847، سورة الحج، الفرع الخامس: اختلاف العلماء في القدر الذي يوجب

تركه الدم من رمي الجمار

2- يحتاج تحقيق المناط إلى فهم تام وإحاطة دقيقة بالواقعة محل الحكم، وذلك من خلال الاطلاع على تفصيلاتها وتركيباتها وظروفها التي تحيط بها.

3- الاجتهاد في التطبيق يستند إلى مجموعة من الأسس والقواعد أهمها وأبرزها ما اصطلح الأصوليون على تسميته بـ " تحقيق المناط " ويعتبر الإمام الغزالي هو أول من أشار إلى موقعه في عملية الاجتهاد، ثم نتابع الأصوليون من بعده على تداوله وبحثه في سياق تناولهم لمسالك العلة، إلى أن جاء الإمام الشاطبي فتوسع في مدلوله وأقسامه، وأظهر مكانته في عملية الاجتهاد.

4- أورد الباحث أمثلة تطبيقية فقهية من خلال تفسير أضواء البيان كشفت عن أثر الاختلاف في تحقيق المناط في اختلاف الفقهاء؛ لأنهم اتفقوا على أصل كلي واحد، واختلفوا في مدى انطباقه على بعض الوقائع والجزئيات .

### ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم، المصحف الإلكتروني.

أولاً: كتب التفسير والحديث:

الاستنكار لمذاهب فقهاء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، لابن عبد البر (ت463هـ) دار الكتب العلمية، طبعة 2000	
تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ( للإمام الحافظ أحمد بن علي	

بن حجر العسقلاني ت 852هـ) ، تحقيق السيد عبد الله هاشم، طبعة المدينة المنورة 1384هـ	
سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1333هـ-2012 م	
سنن ابن ماجه، للإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ( ت 275هـ) تحقيق محمود نصار، دار الكتب العلمية، طبعة 1419هـ- 1998م.	
سنن الترمذي، المسمى بالجامع الكبير لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ) تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي 1998م	
السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلمية، ط: 1420هـ/ 1999م	
صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي ( ت 256) ضبط النص محمود نصار، دار الكتب العلمية، طبعة (1421هـ-2001م)	
صحيح مسلم ( أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت 261) ضبط النص محمود نصار، دار الكتب العلمية، طبعة (1421هـ-2001 م )	
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ( ت 852هـ) عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن باز، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م.	
المنتقى في شرح موطأ مالك بن أنس، تأليف القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف	

الباجي ( ت 494هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، طبعة أولى 1420 هـ - 1999م.	
---	--

ثانيا: كتب الفقه

أ/ الفقه الحنفي:

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تأليف الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، ( ت 587هـ) تحقيق محمد طربي، دار المعرفي، بيروت، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000م	
حاشية رد المحتار، لمحمد أمين الشهير بابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، الطبعة الثالثة 1386 هـ-1966م الحلبي.	
فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفي ( ت 681هـ) الطبعة الأولى / الحلبي 1389 هـ-1970م	
المبسوط، تأليف شيخ الإسلام أبي بكر محمد بن أحمد السرخسي الحنفي ( ت 490هـ) تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2001م.	
الهداية شرح بداية المبتدي/ لشيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني ( ت 593هـ) حققه وعلق عليه محمد تامر و حافظ عاشور، دار السلام، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000م.	

ب: الفقه المالكي:

- الإشراف على نكت مسائل الحلاف، للقاضي عبد الوهاب البغدادي(ت422هـ)  
 حقه د. الحبيب بن طاهر، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1420هـ-1999م  
 بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، شرح وتحقيق: د. عبد الله العبادي، دار  
 السلام، الطبعة الأولى 1416هـ-1995م  
 تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، وهو شرح أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن  
 خليل التتائي المالكي (ت 942هـ) على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت  
 386هـ) تحقيق: محمد عايش شبير، طبعة أولى 1409هـ-1988م  
 حاشية الدسوقي للعلامة شمس الدين محمد عرفة الدسوقي على الشرح الكبير لأبي  
 البركات سيدي أحمد الدردير، دار الفكر للباعة والنشر، ط: د ن  
 شرح التلقين، للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري (ت  
 536هـ) تحقيق محمد المختار السلامي، دار الغرب الإسلامي، طبعة أولى  
 1997م  
 المدونة، رواية سحنون، دار صادر، بيروت، ط: بلا  
 المعونة على مذهب عالم المدينة، تصنيف القاضي أبي محمد عبد الوهاب علي  
 بن نصر المالكي (ت 422هـ) تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية،  
 الطبعة الأولى 1418هـ-1998م  
 المقدمات الممهيات، تأليف أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت 520هـ) تحقيق  
 سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م  
 مواهب الجليل شرح مختصر خليل، تأليف: أبي عبد الله محمد بن محد بن عبد

الرحمن المغربي المعروف بالحطاب ( 954هـ)، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى  
1416هـ - 1995م

## ج: الفقه الشافعي

الأُم، محمد بن إدريس الشافعي(ت205هـ) دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية (1393هـ-1937م)	
البيان في مذهب الشافعي، الشيخ الجليل الفقيه العلامة أبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني الشافعي اليمني ( ت 558هـ) اعتنى به قاسم النوري، دار المنهاج، الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م.	
روضة الطالبين، للإمام أبي زكريا بن يحيى بن شرف النووي(ت676هـ) تحقيق د.عادل عبد الموجود و علي معوض، عالم الكتب، ط: 1423هـ - 2003م. المجموع شرح المذهب للنووي، دار الفكر ، ط: بلا	
مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، اعتنى به محمد عيتاني، دار المعرفة، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.	
نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، تأليف ابن شهاب الدين الرملي(ت1004هـ) دار الكتب العلمية، طبعة 1414هـ-1993م	

## د: الفقه الحنبلي

الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي، صححه وحققه: محمد حامد الفتي، الطبعة الأولى 1375هـ - 1956م	
---	--

كشاف القناع عن متن الإقناع، للشيخ العلامة منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: محمد الضناوي، عالم الكتب. ط: بلا	
المغني مع الشرح الكبير، لابن قدامة، دار الفكر، طبعة: 1404هـ - 1984م.	

## هـ/ الفقه الظاهري

المحلى، تصنيف الإمام الجليل أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ( ت 456هـ) المطبعة المنيرية بالأزهر، 1352	
--	--

## و/ الفقه المعاصر:

فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، طبعة أولى 1428هـ - 2007م	
---	--

## ثالثاً: كتب أصول الفقه

الإبهاج في شرح المنهاج، شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي ( ت 756 هـ) وولده تاج الدين السبكي ( ت 771 هـ) دراسة وتحقيق: د. أحمد الزمزمي، د نور الدين صغيري، دار البحوث دبي، الطبعة الأولى 1424هـ - 2004م	
الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (ت631هـ) تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، ط: 1، 1424هـ - 2003م	
إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمد صبحي حلاق، دار ابن كثير، الطبعة الثانية 1428هـ - 2007م	
البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي محمد بن محمد بهادر (ت794هـ) تحرير أسامة الأشقر، مراجعة عبد الستار أبوغدة، وزارة الأوقاف الكويتية، طبعة أولى 1409هـ - 1988م	



بيان المختصر، شرح لمختصر ابن الحاجب، لأبي الثناء محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني(ت749هـ) تحقيق د. علي جمعة، دار السلام، طبعة أولى 1424هـ-2004م	
شرح تنقيح الفصول، للقرافي (ت684هـ) دار الفكر، طبعة أولى 1418هـ-1997م	
شرح الكوكب المنير، لابن النجار(ت972هـ) تحقيق د. محمد الزحيلي، و د. نزيه حماد، مكتبة العبيكان، 1418هـ-1997م	
شرح المنهاج للبيضاوي، لشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني ( ت 749هـ) تحقيق: د. عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1420هـ-1999م.	
المحصول، للرازي (ت606هـ) اعتناء شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م.	
المستصفي، للغزالي (ت505هـ)، تحقيق وتعليق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى1433هـ - 2012م.	
مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، للإمام الشريف أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسيني التلمساني ( ت771هـ) دراسة وتحقيق محمد علي فركوس، المكتبة المكية- مؤسسة الريان، الطبعة الثانية 1424هـ-2003م	
الموافقات في أصول الشريعة، تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، ط: بلا	
نثر الورود على مراقبي السعود، شرح الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق	

واكمال د. محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، دار المنارة، الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م	
نشر البنود على مراقبي السعود، للشيخ عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي (ت 1235هـ) طبع: صندوق إحياء التراث الإسلامي	
نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، تأليف جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (ت 772هـ) حققه وخرج شواهد د. شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م	
نيل السؤل على مرتقى الوصول، للعلامة محمد يحيى الولاتي، قام بتصحيحه ومراجعته حفيده بابا محمد عبد الله محمد يحيى الولاتي، مطابع دار عالم الكتب باليابض، 1412هـ - 1992م	

## رابعاً: كتب معاجم اللغة

تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370هـ) تحقيق: د. رياض قاسم، دار المعرفة، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م	
القاموس المحيط، الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت 817هـ) دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م	
لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، طبعة: بلا	
معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت 395هـ) وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، منشورات دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م.	

المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي بن المقرئ الفيومي (ت 770هـ) اعتنى به: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1425هـ - 2005م.	

## الاعتراض على الحدّ النحويّ عند علماء العربية (محمد بن أحمد اللُّورقيّ أنموذجاً)

د. مصطفى محمد العجيلي

## خلاصة البحث

يهدفُ هذا البحثُ إلى الوقوفِ على أهميةِ كتابِ "المحصّل في شرح المفصّل" لعلمِ الدين اللُّورقيّ، وعلى ما أبداه اللُّورقيّ من اعتراضاتٍ حولَ كتابِ المفصّل في صنعةِ الإعرابِ لجارِ الله الزمخشري، والتي تركّزت في معظّمها حولَ اعتراضاته على الحدودِ النحوية، وما شابها من قصورٍ وغموضٍ يخصُّ الحدّ النحويّ منها على وجهِ الخصوص، ويعكسُ مدى تمسُّكِ علمِ الدين اللُّورقيّ بالأفاظِ الحدّ النحويّ، محاولاً بذلك وضعَ معيارٍ للحدّ النحويّ، وعدمِ احتمالِ هذه الألفاظِ لمعانٍ آخرٍ تُخرِجُها عن مرادها في الحدّ المذكور، ويكتسبُ الحدُّ من خلالها صفةَ الجمعِ والمنع، وهو ما يبدو جلياً وواضحاً من خلالِ اعتراضاته على الحدودِ، وألفاظه في الردِّ، فردّ على هذه الحدودِ، وصوبها، وهو طابعٌ اتسمَ به الدرسُ النحويّ الأندلسيّ، واعتماده على الحجةِ العقليةِ في إثباتِ المراد<sup>(1)</sup>، كما استعان اللُّورقيّ على التذليلِ لصحةِ ما ذهبَ إليه بأراءٍ من

سبقة من النحاة على وجه العموم، وعلى من سبقه من شراح المفصل كالخوارزمي وكتابه "التخمير"، والسخاوي وكتابه، "المفصل على شرح المفصل"، وابن يعيش وكتابه "المفصل"، وابن الحاجب وكتابه "الإيضاح على شرح المفصل".

(المقدمة)

يعدُّ كتاب "المحصل في شرح المفصل" لعلم الدين اللُّزقيّ، الأندلسيّ، من أكثر شروح المفصل في صنعة الإعراب بسطا حيث استفاض مؤلفه في رشحه أيّما استفاضة، مستعيناً بأراء من سبقه من الشراح، فهو بالكاد يكون آخرها أوّما قبل آخرها، والذي فصلّ فيه اللُّزقيّ القول في الأبواب النحوية مجملها.

وتكمن أهمية كتاب المحصل في شرح المفصل لعلم الدين اللُّزقيّ، الأندلسيّ في كثرة الرسائل العلمية التي أجراها الباحثون حول اللُّزقيّ كعالم نحويّ، وحول آرائه النحوية والصرفية<sup>(1)</sup>، والتي لا يسع المكان لحصرها، وذكرها، وتكمن أهمية كتاب المحصل في شرح المفصل لعلم الدين اللُّزقيّ أيضاً في ثناء العلماء عليه وعلى مؤلفه، وأهم ما يمتاز به كتاب المحصل وصاحبه استيفاؤه في شرح المسائل النحوية، بحيث تمكن القارئ من الاطلاع على شخصية المؤلف، وجرأته في المناقشة، وقوة الردود على الزمخشري في بعض الأحيان، وعلى غيره من العلماء السابقين له أو اللاحقين، وغالباً ما يكون الرد ممزوجاً بالقساوة والتهكم، إلا أنها لا تبعث عن التوجيه النحويّ أو اللغويّ المقبول.

وهذا البحث جزء يسير للوقوف على مسألة من المسائل التي استشكلت على العلماء وبسط لها اللورقي في محصله.

قسم البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع:

\* المبحث الأول: كتاب المحصل للورقي أسباب التأليف، والمنهجية.

\* المبحث الثاني: نشأة الاعتراضات النحوية.

\* المبحث الثالث: نماذج من اعتراضات اللورقي على الحدّ النحوي.

\* الخاتمة

\* قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

كتاب المحصل في شرح المفصل، أسباب التأليف، والمنهجية.

أولاً: أسباب التأليف.

من المعروف أنّ لكل مؤلف سبب تأليف دعته صاحبه إلى ذلك، ولعلّ أهمّ سبب لتأليف كتاب المحصل للورقي رؤيته الثاقبة إلى مدى شغف طلاب حلقات العلم بكتاب المفصل في صنعة الإعراب، ومن قبلهم العلماء الذين اهتموا به روايةً وشرحاً، فشرحه الخوارزمي (ت617هـ) في كتاب سمّاه "التخمير"، وشرحه ابن يعيش (ت643هـ) في كتاب سمّاه "شرح المفصل"، وشرحه علم الدين السخاوي (ت643هـ) في كتاب سمّاه "المفصل في شرح المفصل" وشرحه ابن الحاجب (ت646هـ) في كتاب سمّاه "الإيضاح في شرح المفصل"، وشرحه الزمكاني (ت651هـ) في كتاب سمّاه "غاية المحصل في شرح المفصل"، وشرحه

الجندي(ت700هـ) في كتاب سماءه "الإقليد"، فسبقة خمسة منهم، وأعتبه واحداً، وبذلك كان مجال سبق بين العلماء في حفظه، وفهمه، وشرحه، والدليل على ذلك هذه الشروح المتعددة، وفي ذلك يقول اللورقي: "ولمّا رأيت أهل زماننا من أهل الأدب شغوفين بكتاب المفصل كنت واحداً من رجالهم، آخذاً بمذهبهم ومقالهم"<sup>(1)</sup>.

ومنها أيضاً أهمية المفصل العلمية، وشهرته لدى أبناء عصره، كل هذه الأسباب وغيرها دعت اللورقي للتصدي لشرح كتاب المفصل، وبيان ما استغلّق منه<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: المنهجية.

لم يحدد اللورقي منهجه الذي سار عليه في شرحه لكتاب المفصل في صناعة الإعراب للزمخشري، كما يفعل بعض العلماء في بداية مؤلفاتهم، إلا أن المتمعن في كتاب المحصل للورقي يرى أنه سار على نهج سابقه من الشراح الذين التزموا بما قسمه الزمخشري في كتابه المفصل في صناعة الإعراب، وقد بين القفطي جانباً من هذا المنهج فقال: "والذي تولاه أبو القاسم النحوي اللورقي الأندلسي من شرح هذا الكتاب، فإنما تبع الموفق في طريقه، وموفق بذلك إلى مرتبة ترتيبه، وحقيقة تحقيقه، واقتدى به في إزالة الأشكال والانتباه، ونقل جميعاً النحو من كلام النحاة، فقبض أحدهما وبسط الآخر، ووجد الثاني بالأول شرعاً واضحاً"<sup>(3)</sup>.

وفي هذا النص إشارة واضحة إلى أن اللُّورقيَّ سارَ على نهجِ موقِّقِ الدين بن يعيش في شرحه، وهو بذلك لم يخالف صاحبَ المِفْصَلِ في منهجه، حيثُ رتَّبَ علمُ الدين اللُّورقيُّ كتابَ المِحْصَلِ في شرحِ المِفْصَلِ بحسبِ ترتيبِ كتابِ المصنّف، مع أنه عاب عليه هذا التقسيم حيث قال: "لقد بددَ فيه شملَ أبوابِ العربية، وفرَّقَ بين العاملِ والمعمولِ بتقاسيمِ الهندسية، فلا جرَمَ صعبَ على المبتدئِ مدرّكُهُ، وتوعَّرَ على المنتهى مسلّكُهُ، هذا مع زعمه أنه ردَّ كلَّ شيءٍ إلى نصابه، وحطَّه في مركزه، وأولَّجه من بابِه، وكلاً تاللهٍ لقد أكثرَ فيه من التخلُّيطِ، ووضعَ ما حيَّره المركزُ في المحيطِ، وقد رامَ أن يعرِبَ فأعجمَ، وقصدَ أن يوضِّحَ فأبهمَ"<sup>(1)</sup>، وهذا نصٌّ واضحٌ من اللُّورقيِّ على عدم رضاهُ على تقسيمِ كتابِ المِفْصَلِ للزمخشري، إلا أنه لم يخالفه، إذ قسَمَ اللُّورقيُّ كتابَهُ المِحْصَلِ إلى أربعةِ أقسامٍ : الأسماءُ، والأفعالُ، والحروفُ، والمشتركُ.

استفتح اللُّورقيُّ شرحه بمقدمة، ثم قامَ بالترجمة لصاحبِ الكتابِ المشروحِ، وقبل الشروعِ في شرحِ النصِّ يذكرُ النصَّ من المِفْصَلِ، ثم يبدأُ بمقدمةٍ عن الموضوعِ، ثم يذكرُ آراءَ العلماءِ فيه، وأحياناً يعترضُ على هذه الآراءِ، أو يؤيِّدها، ويكثرُ لها من التمثيلِ والاستشهادِ، إمَّا للتأييدِ، أو للمعارضةِ، ثم يقومُ بتذييلِ الفصلِ أو المسألةِ بمسائلٍ، كما فعَلَ في بابِ العلمِ<sup>(2)</sup>.



ونظراً لضخامة حجم الكتاب وكثرة الآراء آثرت أن يكون حدود البحث اعتراضات التورقي على الحدود النحوية، وسعيث إلى الموازنة بين ما فهم الشارح من نص المؤلف صاحب الكتاب، وبين ما وجهه الشارح الآخرون من اعتراض ونقد؛ لأقف على مواطن الاعتراض عند الشارح من جهة، وبين ما نقله واستمدده من الشارح قبله، ولبيان شخصيته النحوية، ومدى عمقه في الاعتراض على الحد النحوي عند الزمخشري، وختمت البحث بعدة نتائج أوردها في مكانها.

### المبحث الثاني:

#### نشأة الاعتراضات النحوية:

دأب النحاة منذ القدم على الاعتراض بشكلٍ أو بآخر، فرى أحدهم يعترض على الآخر عند تناوله لمسألة نحوية، أو لغوية، أو صرفية، فلا تجد قضية إلا كان منشؤها الاعتراض، وأيضاً إلا وجد لها معترض، وردّ مُنصفٍ من غيره على المعترض، وإن كان في الغالب متفقاً على صحة جوهر المسألة.

ومسائل الاعتراض بين النحويين تتصل اتصالاً وثيقاً بأنواع الخلاف النحوي، ويقف خلفها الأسباب التي تقف وراء الخلاف، وهي أسباب أرى أنها سيرت الدرس النحوي ورسمت طريقه لدى كثير من النحاة ممن نهجوا هذا النهج، واختلاف الثقافة اللغوية وغيرها من الأسباب التي ذكرها النحاة في كتب الخلاف، كاختلاف منهج الدراسة النحوية، واختلاف البيئة والثقافة اللغوية، ومهما تعددت زوايا النظر إلى اللغة واختلقت، فهذا في حد ذاته لا يشكل ضرراً لها، بل يزيداً زحماً ومحاولة للوقوف على أسرارها وتحليلها.

وتعدُّ مرحلة ما بعد منتصفِ القرنِ الثالثِ الهجريِّ مرحلةً يكادُ يتفقُ الباحثون على أن النحو العربيَّ قد تأثَّرَ فيها بالمنطق، خاصةً في الحدود<sup>(1)</sup>، والمطلَّعُ على الفكرِ النحويِّ بعد منتصفِ القرنِ الثالثِ الهجريِّ يجدُ التأثَّرَ جليًّا وواضحًا، فالزجاجي (ت 337هـ) يقولُ في تعريفِ الاسمِ هو: "مَا كَانَ فاعلاً أو مفعولاً، أو دخلَ عليه حرفٌ جرٌّ"<sup>(2)</sup>، وحدَّه المنطقيون وبعضُ النحويين بحدِّ خارجٍ عن أوضاعِ النحو، فقالوا: "الاسمُ صوتٌ موضوعٌ دالٌّ بالاتفاقِ على معنى غيرٍ مقترنٍ بزمانٍ"<sup>(3)</sup>، وليسَ هذا من ألفاظِ النحويين، ولأوضاعِهم، وإنما هو من كلامِ المنطقيين، وإن كان قد تعلَّقَ به جماعةٌ من النحويين، فهذا نصٌّ يحكي ما استقرَّ في الدراساتِ النحويةِ في ذلك العصر، وفيه اعتمادٌ على تنظيرِ أهلِ المنطقِ في الحدودِ.

ولعلي أرى أن هذا التطورَ قد بلغ ذروتهُ في القرنِ السابعِ عند ابن يعيش (ت 643هـ) عندما أرادَ شرحَ حدِّ الكلمةِ الذي وضعهُ الزمخشري في مفسِّله، وقدَّم بمقدمةٍ عن الحدِّ، وهي مقدِّمةٌ منطقيَّةٌ حيث قال: "اعلمُ أنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا الدَّلَالَةَ عَلَى حَقِيقَةِ شَيْءٍ وَتَمْيِيزِهِ عَنْ غَيْرِهِ تَمْيِيزًا ذَاتِيًّا حُدُوهُ بِحَدِّ يَحْصِلُ لَهُمُ الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ، وَقَدْ صَاحَبَ الْكِتَابَ الْكَلِمَةَ بِمَا ذَكَرَ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْحُدُودِ، أَنْ تَأْتِيَ بِالْجِنْسِ الْقَرِيبِ ثُمَّ يَقْرُنُ بِهِ جَمِيعَ الْفُصُولِ، فَالْجِنْسُ يَدُلُّ عَلَى جَوْهَرِ الْمَحْدُودِ دَلَالَةً

عامةً، والقريبُ منه أدلُّ على حقيقةِ المحدودِ؛ لأنه يتضمنُ ما فوقَهُ من الذاتياتِ العامةِ، والفصلُ يدلُّ على جوهرِ المحدودِ دلالةً خاصةً<sup>(1)</sup>.

ويعتبر زمن اللُّورقيّ ت 661هـ هو امتدادٌ لزمنِ ابنِ يعيش، حيثُ وجّهَ علمَ الدين اللُّورقيّ جُلَّ اهتمامِهِ واعتراضاتِهِ على الحدودِ النحويّةِ في كتابِ المفصلِ للزمخشري، وقابلهاً بالتحليلِ والتعليلِ، متبعاً في ذلكَ أسلوبَ المنطقيينَ أحياناً لإبرازِ العلةِ، وتوضيحِ مواطنِ الخللِ في التعريفاتِ، وأحياناً أخرى بنقلِ آراءِ السابقينَ في توضيحِ ما يرمي إليه، ومن هنا وجب الوقوفُ عند كتابِ المحصلِ في شرحِ المفصلِ لعلمِ الدين اللُّورقيّ الذي يعتبرُ أقربَ ما يكونُ إلى جمعِ آراءِ شراحِ المفصلِ الذين سبقوه في كتابِ واحدٍ، فلا يخلو موطنٌ من نقلٍ أو رأيٍ لهم، وعلى الأخصِّ شرحُ التخميرِ للخوارزمي، والإيضاحِ في شرحِ المفصلِ لابنِ الحاجبِ.

**والاعتراضُ عند اللُّورقيّ على الحدِّ النحويّ مقصودٌ به:** رفضُهُ لبعضِ المصطلحاتِ الواردةِ في بعضِ الحدودِ عندِ الزمخشري، وهي سمةٌ اتسمتْ بها جُلُّ اعتراضاتِهِ على كتابِ المفصلِ في صنعةِ الإعرابِ.

يمتازُ اعتراضُ اللُّورقيّ تارةً بالتفصيلِ في مسألةِ الحدِّ النحويّ، ومحاولةَ التزامِهِ بأن يكونَ للحدِّ ألفاظٌ معينةٌ تبعده عن الدورانِ في الحدِّ، والحدُّ لماهيتينِ مختلفتينِ في حدِّ واحدٍ، والجعلِ من الحدِّ النحويّ جامعاً مانعاً لغيرهِ من الألفاظِ ولا يحتملُها، وهو مبتغى كلِّ حدِّ نحويّ.

لقد مثلت الاعتراضات عند اللُّورقيّ على الحدودِ النحويّةِ الجزءَ الأكبرَ في اعتراضاته، وذلك راجعٌ إلى العقليّةِ النحويّةِ التي سادتْ عصرَ نحاةِ الأندلسِ، بعد أن فرغَ الصراعُ القائمُ بين المدرستين البصريّةِ والكوفيّةِ، وكثرتْ ما وردَ من كتبِ الخلافِ، على غرارِ ما قدمه ابن الأنباري من منهجٍ واضحٍ تمثل في كتابه الإنصافِ في مسائل الخلافِ، وطريقتهُ في بسطِ الآراءِ والحُكمِ عليها، ولعلَّ اهتمامَ النحاةِ في ضبطِ الحدودِ النحويّةِ يبيّنُ مدى اهتمامهمُ بهذه المسألةِ، فألفوا في ذلك كتبًا لهذا الغرضِ، وخصّوا مجهودهمُ بالحدودِ النحويّةِ من حيثُ ضبطِ ألفاظها وعباراتها، منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب الحدود في النحو للرماني، وكتاب الحدود للفاكهي.

**فالحدود كما عرفها اللغويون جمعُ حدٍّ، والحدُّ هو: "الفصلُ بينَ الشيئينِ لئلاً**

**يختلطُ أحدهما بالآخر" (1)، والحدُّ طرفُ الشيءِ ونهايته (2).**

**وحدُّ الشيءِ: الوصفُ المحيطُ بمعناه المميّز له من غيره، وحدُّ الحدِّ: الجامعُ**

**المانعُ الذي يجمعُ الحدودَ، ويمنعُ غيره من الدخولِ فيه (3).**

**وفي اصطلاح النحويين بأنها: القولُ الدالُّ على ماهيّةِ الشّيءِ المتعلّقِ بذاتيّاته،**

**وفي اصطلاحِ الأصوليين فهو الجامعُ المانعُ، وذلك يشملُ الرسمَ (4)، ومن العلماء من**

**يستخدمُ لفظَ "التعريفِ" قاصداً به "الحدُّ"، ف"الحدُّ" و"المعرّفُ" في حدِّ النحاةِ والفقهاءِ**

والأصوليين اسمان لمسمّى واحدٍ، وهو ما يميّز الشيءَ عمّا عداه، ولا يكونُ ذلكَ إلاّ إذا كانَ جامعاً مانعاً<sup>(1)</sup>.

### أقسام الحد:

في أقسام الحدّ قولان:

القول الأول: أنه على ثلاثة أقسامٍ: لفظيٌّ، ورسميٌّ، وحقيقيٌّ.

فاللفظي: ما أنبأ عن الشيء بلفظٍ أظهرَ السائلُ من اللفظِ المسؤولِ عنه مرادفٌ

له.

والرسمي: ما أنبأ عن الشيءٍ بلازمٍ له مختصّ به.

والحقيقي: ما أنبأ عن تمامِ ماهيةِ الشيءِ وحقيقته.

القول الثاني: أنه على خمسةٍ أقسامٍ هي: حدٌّ تامٌّ، وحدٌّ ناقصٌ، ورسمٌ تامٌّ، ورسمٌ

ناقصٌ، وتعريفٌ لفظيٌّ.

وللحدود شروطٌ ينبغي مُراعئُها عند صياغتها منها<sup>(2)</sup>:

1- أن يكونَ جامعاً مانعاً.

2- أن يكونَ مطرداً ومنعكساً، فمتى وُجِدَ الحدُّ وُجِدَ المحدودُ، ومتى عُدِمَ الحدُّ

عُدِمَ المحدودُ.

3- أن يذكرَ جميعُ أجزاءِ الحدِّ من الجنسِ والفصلِ.

4- أن يذكرَ جميعُ ذاتيّاته بحيثُ لا يشدُّ واحدٌ، ويقدمُ الأعمُّ على الأخصِّ.

5- أن يكونَ مساوياً للمحدود، بحيثُ يصدقُ كل منهما على جميع أفراد الآخر.

6- أن يكونَ خالياً من الشكِّ ونحوه.

7- ألا يكونَ مشتملاً على حُكْم من أحكام المحدود.

وقد أفاد اللُّورقيُّ من هذه الشروطِ السالفة الذكرِ في اعتراضاتِهِ على الزمخشري، فتوَعَّتْ هذه الاعتراضاتُ، وأخذتُ أشكالاً مختلفةً ، وهذه نماذج من اعتراضات اللورقيِّ على الحدِّ النحويِّ، وردود بعضِ شراحِ المفصلِّ عليها:

### المبحث الثالث:

نماذج من اعتراضاتِ اللُّورقيِّ على الحدِّ النحويِّ.

أولاً: (اعتراضُ اللورقيِّ على حدِّ المبتدأ والخبر)

حدَّ الزمخشري المبتدأ والخبر بقوله: "هُمَا الاسمانِ المجردانِ للإسنادِ"<sup>(1)</sup>، واعترضَ على هذا التعريفِ اللورقي فقال: "وبذلك يتبينُ لك فسادُ رسمِهِ لهُمَا؛ لأنَّ الشيينِ المختلفي المعنى لا يتصوَّرُ اجتماعُهُما في رسمٍ واحدٍ، ولا في حدِّ واحدٍ"، حيثُ ساوى الزمخشري بينَ المبتدأ والخبر، وهذا لا يستقيم؛ لأنه يلزمُ منه اتفاقُهُما في الحقيقة.

وعلق أبو البقاء على تعريفِ الزمخشري وقال: "إنَّ فيه إهمالاً واحتراراً".

أما الإهمالُ فقوله: "المبتدأ والخبرُ هما الاسمانِ"، وقد عَلِمَ أن الخبرَ قد يكونُ اسماً، وقد يكونُ غيرَ اسمٍ، فإدراجُ الاسمِ في هذا لا يَدْفَعُ عنه النقضَ بالخبرِ الذي هو

فعل، واعتذر للزمخشري عن ذلك فقال: "ويمكنُ أن يعتذر له عن ذلك بأن يُقال: "أرادَ التنبية على أن الأصلَ في الخبر أن يكونَ اسمًا، وغيرُهُ واقعٌ موقعُهُ، والحدودُ تجري على الأصول"، وهذا مقبولٌ من حيثُ الشكل، ونقل اللُّورقيُّ عن صاحب المِكمَل رَدًا على هذا الإشكالِ فقال: "والجوابُ عن هذا الإشكالِ أنَّ الفعلَ ليسَ بخبرِ المبتدأ، بل الفعلُ مسندٌ إلى الفاعلِ الظاهرِ أو المضمِرِ كقولك: "زيدٌ قامَ" أي: قامَ هو، و"زيدٌ قامَ أبوه" ثمَّ الفعلُ والفاعلُ خبرٌ للمبتدأ، فالفعلُ تابعٌ للفاعلِ والفاعلُ اسمٌ"<sup>(1)</sup>.

وأما الاحترازُ فقوله: "الاسمان" عن الفاعلِ والفعلِ، ولو قال: "هو الاسمُ المجرَّدُ للإِسنادِ؛ لكانَ مستقيمًا؛ لأنَّ الفعلَ مسندٌ إلى الفاعلِ، وهو مجردٌ لذلك، ولم أقف على هذا الرأي للعكبري في ما لديّ من مصنفاتٍ، ولكنَّ هذا النصُّ نقلُهُ اللورقي في شرحه<sup>(2)</sup>، فالإهمالُ والاحترازُ منقصةٌ في الحدودِ.

وذكر السخاوي أن الزمخشري خصَّ المبتدأ والخبرَ بكونهما لا يكونانِ إلا اسمين فقط، والخبرُ يكون جملةً، كيف؟ وقد ذكر ذلك عند قوله: "والخبرُ على نوعين: مفردٌ، وجملةٌ....والجملةُ على أربعةِ أضربٍ"، فجعل الخبرَ على أضربٍ، فقوله لا يستقيم<sup>(3)</sup>.

وعلق الخوارزمي على تعريفِ الزمخشري بقوله: "هذا الكلامُ مستدرَكٌ على الشيخ<sup>(1)</sup> من وجهين"، أحدهما: أن قوله: "وكونُهُما مجردَين للإِسنادِ هو رافعُهُما"

بمعنى: أن الاسمين متى جرى بينهما إسنادٌ مع أنهما لم يدخل عليهما سائر العوامل اللفظية، وهذا لا يقتضي سوى أن يكون للاسمين من الإعراب حظٌ، وأما أن يكون حظهما على الخصوص الرفع فلا... وقرّر الخوارزمي أنّ الصواب في هذه المسألة أن يقول: "الموجب لنفس الإعراب فيهما موجودٌ، وهو وقوع العقد والتركيب بينهما؛ لأنه متى وقع بينهما ذلك تولّد منه معنى ثالثٌ، والإعرابُ وضعٌ ليُدلّ على ذلك المعنى، والموجب لخصوص الإعراب فيهما أيضًا موجودٌ، وهو شبه كل واحدٍ منهما للمرفوع، فشبه المبتدأ للمرفوع، فلأنه يشبه الفاعل من حيث إنه مسندٌ إليه، والفاعل كذلك، وأما شبه الخبر للمرفوع؛ فلأنه يشبه الفعل المضارع من حيث إنه خبرٌ عن غيره، وهو متناولٌ للحال والاستقبال، والفعل المضارع كذلك، والمانع لموجب الخصوص معدومٌ، وهو تجردهما عن العوامل اللفظية، فوجب أن يرتفعاً"<sup>(2)</sup>.

وذهب ابن الحاجب في قول الزمخشري: "هما الاسمان المجردان للإسناد" أنه حدّ المبتدأ والخبر بحدّ واحدٍ بعد ذكرهما بخصوصية اسميتهما، وهذا غير مستقيم، إذ لا يستقيم أن يحدّ مختلفان بحقيقة واحدة نحو: "الإنسان والفرس جسم متحرك"، والقصدُ تحديدهما، فكذلك هنا، وإن أراد العموم وهو كون كل واحدٍ منهما مجردًا عن العوامل لم يستقم إلا على تقدير أن يُذكرًا باسميتهما من تلك الجهة العامة، نحو: "الحيوان جسم متحرك" فيدخل فيه الإنسان والفرس، بإطلاق الأخص باعتبار مجرد الأعم



خطأ، كإطلاق الإنسان على الفرس باعتبار الحيوانية، فهي دلالة تَصْمُن، وهي غير مستعملة، ويمكن أن يقال: "المرفوعان بالابتداء هما الاسمان المجردان للإسناد" (1).

وعَلَّ ابن الحاجب عدم ارتكاب الزمخشري لإفراد المبتدأ بتعريف، وكذلك الخبر، بأنه لو أفرَدَ للمبتدأ فإنَّ النحويين إنما يميزونه بكونه مسنداً إليه، ولورَدَ عليه "أقائم الزيدان"؛ فإنه اسمٌ ليس مسنداً إليه، وهو مع ذلك مبتدأ عندهم، فيخرج عن الحدِّ ما هو منه، فلا ينعكس، وأيضاً إذا حدَّ الخبر بكونه مسنداً به، وردَّ عليه "أقائم الزيدان"؛ لأنه مسندٌ به وليس بخبر، فلا يطردُّ، فلمَّا لم يمكنه إفرادهما لذلك السبب ولم ير الخروج عن اصطلاحهم، جمعهما في حدِّ واحد، وكان يمكنه أن يحده بكونه مسنداً إليه، ويرادفُه القسمُ الآخرُ وهو الصفةُ التي بعدَ حرفِ النفي وحرفِ الاستفهام رافعةً لظاهر، إلا أنه كره التنويعَ في الحدِّ (2).

ونص ابن فلاح اليميني على هذه المؤاخذه وعلَّل لها، وذكر أنه لا يمكن الجمع بين المبتدأ والخبر في حدِّ واحد؛ لاختلاف حقيقتهما، وقال: "ولذا أُخذَ على صاحبِ المَفْصَلِ في قوله: "هُمَا الاسمان المجردان للإسناد"، وذكر أنه لا يخلو إما أن يكون المقصودُ القدرَ المشتركَ بينهما، أو المقصودُ حدُّ كلِّ واحدٍ منهما، فإن كان الأولُ لم يحصلَ به تحديداً كِلَ واحدٍ منهما؛ لأنَّ تعريف القدرِ المشتركِ بين شيئين لا يكونُ

تعريفًا لكل واحدٍ منهما، وإن كان الثاني فهو محالٌّ؛ لأنَّ لكلِّ واحدٍ منهما خصوصيةٌ ليست للآخر، فتحديدهما بشيءٍ واحدٍ محالٌّ؛ لأنه يُخلُّ بخصوصية كلِّ واحدٍ منهما<sup>(1)</sup>.

وعلق اللُّورقيُّ على قول الزمخشري بقوله: "الاسمان" أنَّ شرطَ المبتدأ أن يكون اسمًا أو في معنى الاسم؛ لأنه مخبرٌ عنه ومسندٌ إليه، وأمَّا الفعلُ فموضوعٌ للخبرية، فلا يكون مبتدأً لما فيه من تغييرِ الوضع، وكذلك الجملة، وأمَّا الحرفُ فإنما جيء به للرِّبْطِ والنسبة، فيستدعي تحقق المنسويين، وذلك هما المبتدأ والخبر<sup>(2)</sup>.

وهذا الاعتراض يمتثل لدى اللُّورقيِّ وبعض شراح المفصل أنَّ الزمخشري جمعَ فيه بين ماهية شيئين مختلفين في حدِّ واحدٍ، وهو ما يعابُّ على الحدودِ النحويَّةِ.

وبذلك يتضح أن اللُّورقيِّ لم يكن متفردًا في اعتراضه على حدِّ الزمخشري للمبتدأ والخبر، وكيفية الجمع بينهما في حدِّ واحدٍ، فاعترض على هذا الحدِّ العكبري، وقال: إن فيه إهمالًا واحترارًا، وعلَّق عليه الخوارزمي بقوله: "وهذا الكلامُ مستدركٌ على الشيخ"، ووصفه الجنديُّ في الإقليد بغير المستقيم.

ثانياً: (اعتراض اللُّورقيِّ على تعريف الاسم المعرب)

عرّف الزمخشري الاسمَ المعربَ بأنه: "ما اختلفَ آخرُهُ باختلافِ العواملِ لفظًا بحركةٍ، أو حرفٍ، أو محلاً"<sup>(1)</sup>.

فاعترض على ذلك اللُّورقيُّ في المحصل بقوله: "فإن قلت: ولو قال: "هو الاسمُ الذي يختلفُ آخرُهُ لأخذَ المحدودِ في الحدِّ"<sup>(2)</sup>.

أن تعريف الزمخشري للاسم المعرب لم يكن جامعًا مانعًا من حيث ألفاظه، وأنَّ المأخوذَ في الحدِّ هو الاسمُ المطلقُ، وأحدُ الاسمين هو عينُ الآخرِ، فحدُّ المعربِ مركبٌ من ذاتِ المعربِ، وحدُّ الإعرابِ، وبتنمُّ الحدُّ عند قوله: "باختلافِ العواملِ"، وما زادَ على ذلك فهو للتفهِيمِ وبيانُ الاختلافِ، وهو قوله: "لفظًا بحركةٍ أو حرفٍ أو محلاً"<sup>(3)</sup>.

\*أن قوله: "ومحلُّ الألفِ الرفعُ" سهوٌ منه؛ لأنَّ المحكومَ عليه بالرفعِ هو كاملُ الاسمِ لا حرفَ الإعرابِ وحدَهُ.

\*تحرير العبارة عند اللُّورقيِّ بدل قوله: "أو محلاً": أن يقال: "أو تقديرًا كاللفظِ"، وبذلك يكملُ التعريفُ في حدِّ الإعرابِ.

فتعريف الزمخشري اشتمل على ثلاث شرائط:

**الأولى:** وهي "الاختلاف"؛ لأن تبيين تلك المعاني لا يتحصّل بتسكين أو آخر الكلمات.

**الثانية:** وهي "اختلاف الآخر"؛ لأن الآخر أقبّل للتغيير؛ لاحتماله الحركات والسكون<sup>(1)</sup>.

**الثالثة:** وهي "اختلاف الآخر باختلاف العوامل"؛ لأنه لا يلزم من اختلاف آخر الكلمة كونها معربةً، فنحو قولنا: "مِن زَيْدٍ" و"مِنَ الرَّجْلِ" و"مَنِ ابْنُكَ" فاختلاف حركة النون في "مِن" ليس بإعراب؛ لعدم اختلاف العوامل، فتعريفه للاسم المعرب هو تعريف الجمهور له<sup>(2)</sup>.

وعلق أبو البقاء على قول الزمخشري: "أو محلاً" فقال: "قوله: "أو محلاً" قريب من قولهم: "وضع الاسم كذاً وكذاً، وإنما يطلقون هذا على المبني نحو: "من" و"كم"، وأما المقصور فلا يقال: محله أو موضعه كذا، وإنما يقال في ألفه: مقدر كذاً وكذاً<sup>(3)</sup>، وهذا دليل على أن المقصور في محله أو موضعه، وهو ما اعترض به اللورقي على تعريف الزمخشري للاسم المعرب.

وفي إشارة إلى إبهام قول الزمخشري قال ابن يعيش: إن قول الزمخشري: "ما اختلف آخره" يريد به الأسماء، لكنه تركه ثقةً بعلم المخاطب به، ولولا هذا التقدير؛ لكان اللفظ عامًّا يشمل الاسم والفعل المعريين، وإنما مرادُه تفسير الاسم المعرب لا غير، ويجوز أن يكون من إطلاق العام مع إرادة الخاص، واحترز بذلك من المبني؛ لأنه لا يختلف آخره، فهو يلزم طريقة واحدة، وأيضاً فإن المراد من اختلاف الآخر اختلاف الحركات عليه، لا أن الحرف في نفسه يختلف ويتغيّر، وقوله: "باختلاف العوامل" احترازاً ممّا قد يتحرّك من المبنيات على السكون بغير حركة للاتقاء الساكنين نحو: شدّ، وشدّ، وشدّ، فهذا وما شابهه يجوز فيه ثلاثة أوجه: الضمّ للإتباع، والفتح للتخفي، والكسر للاتقاء الساكنين<sup>(1)</sup> أو لإلقاء حركة غيره عليه، نحو قولك: "كَمْ خَدَّتْ" في "كَمْ أَخَذَتْ" و"كَمْ بُلِّكْ" في "كَمْ إِبْلُكْ" و"كَمْ خُتَا لَكَ" في "كَمْ أُخْتَا لَكَ" فألقيت حركات الهمزات على الميم تخفيفاً للهمزة، فهذا اختلاف كائن في المبنيات، وليس بإعراب؛ لأنه لم يحدث بعاملٍ، فلذلك قيّد الاختلاف أن يكون بعاملٍ ولم يكن مطلقاً، أما قوله: "لفظاً أو محلاً" فهو احترازٌ من الأسماء التي لا يتبيّن فيها الإعراب، وإنما يدرك البيان من العوامل قبلها<sup>(2)</sup>.

وممن اعترض على كلام الزمخشري أبو علي الشلوبين (ت645هـ) في حواشيه حيث قال: "إن هذا التعريف يخرج المصادر المنصوية مثل: "سبحان الله"، و"معاد"

الله، و"قعدك الله"، فقال: رَسْمُ المَعْرَبِ بهذا إِنَّمَا هو الأَكْثَرُ، وإِلَّا فَإِنَّهُ قد ذَكَرَ "سَبْحَانَ الله"، و"مَعَادُ الله"... وهي لا تَتَصَرَّفُ، ومعنى ذلك أَنها لا تَتَصَرَّفُ بِوَجْهِ الإِعْرَابِ، ولا يَدْخُلُهَا إِلا النَصْبُ... فهذه مَعْرِبَاتٌ لم يَخْتَلَفْ أَوَّخَرُهَا لِإِخْتِلَافِ العَوَامِلِ لا لِفِظًا ولا مَحَلًّا<sup>(1)</sup>.

واعترض ابن الحاجب على حدِّ الزمخشري للاسم المعرب فقال: "وقد اعترض على هذا الحدِّ بأنه حَدَّ الشَّيْءِ بما هو متوقِّفٌ على حقيقتِهِ، وذلك أَنه إِنَّمَا يَخْتَلَفُ آخِرُهُ لِإِخْتِلَافِ العَوَامِلِ بعد فَهْمِ كونه مُعْرَبًا، فإذا تَوَقَّفَ إِخْتِلَافُ آخِرِهِ على معرفة كونه مُعْرَبًا وتوقَّفَ كونه مُعْرَبًا على معرفة إِخْتِلَافِ آخِرِهِ؛ لكونِهِ عَرَّفَ حَقِيقَتَهُ بِهِ، تَوَقَّفَ كُلُّ واحدٍ مِنْهُمَا على الأخر، وتحقيقه: أَنك إِذا عَلِمْتَ المَفْرَدَاتِ وكيفية التَّركِيبِ ثم رَكَّبْتَ فَمَا لم تَعْلَمْ أَنَّ الاسمَ من قبيلِ المَعْرَبِ، تَعَدَّرَ عَلَيْكَ أَن تَحْكَمَ بِإِخْتِلَافِ آخِرِهِ، فَتَحَقَّقَ أَنَّ إِخْتِلَافَ الآخِرِ؛ لِإِخْتِلَافِ العَوَامِلِ متوقِّفٌ على فَهْمِ كونه مُعْرَبًا، فتعريفُهُ بِهِ دَوْرٌ"<sup>(2)</sup>(3).

وبما علل به ابن الحاجب علل به ابن فلاح في اعتراضه على تعريف الزمخشري فقال: "والاعتراضُ على هذا الحدِّ أَنَّ إِخْتِلَافَ آخِرِهِ يَتَوَقَّفُ على معرفة كونه مُعْرَبًا؛ لِأَنَّ إِخْتِلَافَ آخِرِ المَبْنِيِّ لا يَصِحُّ لُغَةً، لِأَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ، ومعرفة كونه مُعْرَبًا يَتَوَقَّفُ

على اختلافٍ آخره، وإذا توقف هذا على هذا، وهذا على هذا، أفصى إلى الدُّورِ، والتعريف بالدور مُلبسٌ، إذ لا يتعيَّن لأحدِ المُحمَلينِ، والأجودُ في حدِّه أن يقال: "الاسمُ المعربُ هو ذو التركيبِ الجمليِّ<sup>(1)</sup> الذي لم يشبهِ المبتئيِّ<sup>(2)</sup>"، فُتعرَّضُ في الحدِّ لسببِ الإعرابِ وهو التركيبُ؛ لأنه لا يستحقُّ الإعرابَ إلا بالتركيبِ؛ لأنَّ الألفاظَ وضعتُ للدلالةِ على المسمَّى، وأمَّا ما يحدثُ من المسمَّى فالإعرابُ دالٌّ عليه، والحادِثُ من المسمَّى إنما يكونُ بعد التركيبِ، فيلزمُ أن يكونَ الإعرابُ بعد التركيبِ؛ لأنَّ المراد الفصلُ بين المعاني، والمعاني إنما تحدثُ بالتركيبِ<sup>(3)</sup> وقريبٌ من هذا الحدِّ ما أقرَّه ابن الحاجبِ في شرح الكافية للرضي<sup>(4)</sup>.

وذهب علم الدين السخاوي أن قوله: "ما اختلفَ آخرُهُ باختلافِ العواملِ..." يبطلُ بفعلِ الحالِ فإنه معربٌ؛ لأنَّ حروفَ المضارعِ فيه، ولم يختلفَ آخرُهُ باختلافِ العواملِ؛ لأنه لو دخلَ عليه عاملٌ عادَ مستقبلاً أو ماضياً<sup>(5)</sup>.

وهذا الاعتراض يقودُ إلى وجودِ الدَّورِ في الحدِّ النحويِّ، فالـ"دَّورُ" كما عرّفهُ العلماءُ هو: "توقُّفُ وجودِ كُلِّ واحدٍ من الشَّيئَيْنِ على وجودِ الآخرِ"<sup>(1)</sup>، ومن شروطِ الحدِّ عدمُ الدَّورِ، وهو كثيرٌ في الحدودِ النحويةِ.

فاللورقي استمد اعتراضه على حدِّ الاسمِ المعربِ ممن سبقه من شراحِ المفصلِ كابنِ الحاجبِ، وذلك لقربِ زمنه من زمنِ الشارحِ، وما يؤكدُ صحةَ ما ذهب إليه في اعتراضه أيضًا اعتراضُ من أتى من بعدِ اللورقيِّ كابنِ فلاحِ اليمينيِّ في كتابهِ المُعنيِّ.

ثالثًا: (اعتراض اللورقي على حدِّ الفعلِ)

حدُّ الزمخشريِّ الفعلِ بأنه: "الفعلُ ما دلَّ على اقترانِ حدثٍ بزمانٍ"<sup>(2)</sup>.

ونقل اللورقيُّ اعتراضَ شيخه أبي البقاءِ وارتضاه فقال: "اعتراضُ أبو البقاءِ شيخنا فقال: ليس هذا بصحيحٍ؛ لأنَّ الفعلَ لا يدلُّ على الاقترانِ بالوضعِ، وإنما يدلُّ على الحدثِ المقترنِ بالزمانِ، والفرقُ بينَ اقترانِ الحدثِ والحدثِ المقترنِ ظاهرٌ، وذلك أن الاقترانَ مصدرُ اقترنَ، والمقترنُ فاعلُ اقترنَ، والمطلوبُ من هذا الحدِّ دلالتُهُ على المقترنِ لا على الاقترانِ"<sup>(3)</sup>، ثم قال<sup>(4)</sup>: وفي تعريفِ الزمخشريِّ أن نقولَ



ما دلَّ على الحدث والزمان جميعاً، وحرَّر الحدَّ بقوله: "هي الكلمة الدالَّة وضْعاً على معنىٍ مستقلِّ مقترنٍ بزمانٍ معيَّنٍ من الثلاثة"<sup>(1)</sup>.

ونقل اللورقي اعتراض أبي البقاء على حدِّ الفعلِ بأنه لا يدل على الاقترانِ بالوضع، وإنما يدلُّ على الحدثِ المقترنِ بالزمانِ، وبينهما فرقٌ.

وصحَّح اللورقي تعريف الزمخشري للفعل بقوله: "هي الكلمة الدالَّة وضْعاً على معنىٍ مستقلِّ مقترنٍ بزمانٍ معيَّنٍ من الثلاثة" بإضافة "التعيين"، وهو ما عناه بعضهم بقولهم: "في زمانٍ محصَّلٍ".

وعرف ابن يعيش الفعل بأنه: "كلُّ كلمةٍ تدلُّ على معنىٍ في نفسها مقترنةً بزمانٍ"، واستدرك على قومٍ من النحاة أنهم أضافوا إلى هذا الحد زيادةً قيدٍ، فيقولون: "بزمانٍ محصَّلٍ"، والقصد من ذلك التفرقة بينه وبين المصدر، حيث إنه يدل على زمانٍ، إذ الحدث لا يكون إلا في زمانٍ، لكن زمانه غير متعَيَّنٍ، كما كان في الفعل (2)، وأجاب بأنه لا يحتاج إلى هذا القيد، وذلك من قِبَل أن الفعل وُضِعَ للدلالة على الحدثِ وزمانِ وجوده، ولولا ذلك لكان المصدر كافياً، فدلالته عليهما من جهة اللفظ، وهي دلالةٌ مطابقةٌ، وأشار إلى أن قولنا: "مقترنٍ بزمانٍ" إلى أن اللفظ وضع بإزائهما دفعةً واحدةً، وليست دلالة المصدر على الزمان كذلك، بل هي من خارجٍ؛ لأن المصدر تُعقَلُ حقيتهُ بدون زمانٍ، وإنما الزمان من لوازمه، وليس من مقوماته، بخلاف الفعل،

فصارت دلالة المصدر على الزمان التزاماً، وليست من اللفظ، فلا اعتداد بها، فلذلك لا يحتاج إلى الاحتراز عنه(1).

وانتقد ابن يعيش تعريف الزمخشري للفعل فقال: "وقول صاحب الكتاب في حده: "ما دل على اقتران حدث بزمان رديء من وجهين:

الأول: أن الحد ينبغي أن يؤتى فيه بالجنس القريب، ثم بالفصل الذاتي، وقوله: "ما دل" أن "ما" من ألفاظ العموم، فهو جنس بعيد، والحيد أن يقال: كلمة أو لفظة أو نحوهما؛ لأنهما أقرب من الفعل من "ما"، فإن قيل: إن "ما" وإن كان عاما فالمراد به الخصوص، ووضع العام مكان الخاص جائز، أجيب عنه بأن ما ذكر من قبيل المجاز، والحد مطلوب به إثبات حقيقة الشيء، فلا يستعمل فيه مجاز ولا استعارة.

الثاني: أن قوله: "على اقتران حدث بزمان"؛ لأن الفعل لم يوضع دليلاً على الاقتران نفسه، وإنما وضع دليلاً على الحدث المقترن بالزمان، والاقتران وجد تبعاً، فلا يؤخذ في الحد، وهذا يبطل بقولهم: "القتال اليوم"، فهذا حدث مقترن بزمان وليس فعلاً، فوجب أن يؤخذ في الحد "كلمة" حتى يندفع هذا الإشكال(2).

وانتقد ابن الحاجب قول الزمخشري في هذا الموضع فقال: "قوله: "ما دل على اقتران حدث بزمان" ليس بجيد، لأن الفعل يدل على الحدث والزمان جميعاً، وإذا قال: ما دل على اقتران حدث فقد جعل الاقتران نفسه هو المدلول، وخرج الحدث والزمان

عن الدلالة، ولا ينفعه كونهما مُتَعَلِّقَ الاقتران؛ لأنك تقول: "أعجبتني اقترانُ زيدٍ وعمرو دونهُما" فثبت باعتبار الاقتران، ولا يثبت باعتبار متعلِّقِهِ، وكذلك كل مضاف ومضاف إليه وإن كان متعلِّقًا له لا يلزم من إخبارك عن المضاف إخبارك عن المضاف إليه" (1).

وأشار ابن الحاجب أن الاقتران ليس من مدلول الفعل البتة، وإنما جاء لازماً لما دل على الحدث والزمان دلالة واحدة لزم اقترانهما، إذ لا يعقل إلا كذلك، فلم يكن لذكر الاقتران معنى، ثم وإن سلمنا أن الاقتران مدلولُ الفعل فالمقصود في حدود هذه الألفاظ أن يذكر ما هو مدلول له باعتبار وضعه، ولا شك أن الحدث والزمان باعتبار وضعه، فكان التعرض لهما باعتبار حدود الألفاظ هو الوجه الأليق (2).

وممن احترز على تعريف الزمخشري الزملكاني حيث قال: "معنى الحدث والزمان غير اقتران أحدهما بالآخر، والفعل وُضِعَ للحدث والزمان لاقترانهما، وإذا وضح ذلك ظهر أن قوله: "الفعل ما دلَّ على اقتران حدثٍ بزمانٍ" ليس بالمرضي، لما فيه من التعريف بالأمر اللازم، وإيهامه الوضع له، إذ الظاهر أن يشرَح الشيء باعتبار حقيقته" (3).

وذكر الجَندي في الإقليد أن الزمخشري وقع فيما هرب عنه في حد الكلمة فقال: "قوله ما دلّ على اقتران حدثٍ بزمانٍ... فإن قلت: قد وقع فيما هرب منه في حد الكلمة باللفظ من الأشياء الأربعة الدالة على المعنى، فإن "ما" كلمة مبهمة تحتوي الدوال الخمس، ودافع عن تعريف الزمخشري للفعل لوجود "ما" في التعريف فقال: "ما" اسم موصول، فلا بد من أن يرجع إلى مذكورٍ له سابقٌ في الذكر، أو بمنزلة السابق؛ لشهرته بوقوع الإشارة إليه، وقد وقعت الإشارة إليه في حد الكلمة، فكأنه قال: "الفعل هو اللفظة الدالة على اقتران حدثٍ بزمانٍ، واقتصر على لفظة "ما" ثقةً منه بفهم السامع، وتعويلًا على ابتدارِ خاطره إلى أن التقدير على ما ذكرنا كما هو دأبُهُم" (1)، واستشهد الجَندي لذلك بحذفهم الموصوف لشهرته، وحذفهم المضاف للعلم به.

وذكر أن الحدّ لا ينتقض بالمصدر كما ذهب إليه بعضهم باعتبار أن المصدر يدل على الحدث، فهو وإن كان كذلك فهو لا يدلّ على اقترانه بالزمان، ووضّح أن هناك فرقاً بيّن بين نفس الحدث وبين وقوع الحدث في زمانٍ معيّن، ومثال ذلك "الضربُ" فهو يدلّ على نفس الفعل من غير تعرّض لوجوده أو عدمه، بخلاف "ضرب" فإنه يدلّ على وجود ذلك الفعل فيما مضى من الزمان، واعتراض على ذلك بـ"كان"، فإنه يدلّ على الزمان المجرد دون حدث، والحدث شرطٌ في تحديد دلالاته على الحدث، فسميت بالأفعال الناقصة، فهي وإن كانت كذلك فهي دلّت على اقتران حدثٍ بزمانٍ، فكان "في قولنا: "كان زيدٌ منطلقاً" دلّ الفعل على اقتران الحدث بالزمان، وذلك

الحدثُ هو "الانطلاقُ"، كما دلَّ "ضربُ" على ذلك الحدثِ وهو "الضربُ" حتى وإن كانت "كانَ" في المثال السابق مثل "ضربَ" في قولك: "ضربَ زيدٌ" في الدلالة من حيث تعدد اللفظ وعدم تعدده، فالافتراضُ في الأول بتعدد اللفظ، وفي الثاني بدونه (1).

ومن خلال ما سبق يتضح أن اللورقي استمد اعتراضه على حدِّ الفعلِ ممن سبقه من شراح المفصل قبله كالعكبري، وابن يعيش، وابن الحاجب، والزملكاني، ولعل نصه يقرب من نص ابن الحاجب في شرحه.

### الخاتمة

بعد هذا البحث المتواضع في اعتراضات اللورقي على الحد النحوي من خلال كتابه المحصّل في شرح المفصّل، والتعرف على أسباب تأليفه ومنهجيته، والتعرف على نشأة الاعتراضات بوجه عام، والبحث في الاعتراض على الحد النحوي عند اللورقي بوجه خاص، توصل الباحث إلى بعض النتائج، والتي أوجزها في النقاط الآتية:

\* أن الاعتراض على النحاة منهج متبع من زمن سيبويه، واعتراض بعض العلماء عليه، وانتصار بعضهم الآخر له.

\* أن منهج الاعتراض أسلوبٌ شاع وانتشر بداية القرن الرابع الهجري، بعد انتهاء الجدل الواقع بين المدرستين البصرية والكوفية، وهو ميزة تميز بها نحاة الأندلس عن غيرهم، نظرا للعقلية النحوية السائدة في ذلك الوقت.

\* أن اللورقي كان ناقلا لآراء ممن سبقه من النحاة والشراح كالخوارزمي، وابن يعيش، والعكبري، وابن الحاجب.

\* أن اعتراضات اللورقي على الحدّ النحوي اتسمت بالدقة في اختيار اللفظ، وتحديد العبارة.

\* كثيرا ما كان ينقل المسألة ويقف عندها دون إبداء رأيه، ويكتفي بنقله عن سبقيه.

\* اتسمت اعتراضاته أغلبها في الحدود النحوية، وهو ما يميز الفترة الزمنية اللورقي.

\* اتسمت اعتراضاته في الحدود بشيء من التمنطق، وهذه الحدود في أغلبها لم يتفق النحاة في وضع حد معين لها.

\* للورقي أسلوبه الخاص فهو يعترض في غالب الأمر بصريح عبارة الاعتراض كالخطأ، والوهم، والخلط، وعدم الصواب.

\* يبقى كتاب المحصل لعلم الدين اللورقي بحسب رؤيتي من أهم الكتب التي شرحت كتاب المفصل للزمخشري، لما فيه من نقلٍ للآراء، ونسبتها إلى أصحابها، فضلا عن شخصية اللورقي المتفردة والمستقلة.

## الهوامش:

- 1- ينظر مقدمة الحجة العقلية في الدرس النحوي الأندلسي "السهيلي أنموذجا" مقدمة.
- 2- ينظر القاسم بن أحمد اللورقي وجهوده النجوية: "رسالة علمية" جامعة المنصورة. الباحث/سالم محمود عبد العزيز محمد، وعلم الدين اللورقي وآراؤه النحوية والصرفية، رسالة دكتوراه / الباحث: عزت عبد الرحمن محمد حرحش، جامعة القاهرة. كلية دار العلوم 2000م.
- 3- ينظر المحصل في شرح المفصل لعلم الدين اللورقي ص 61 "رسالة علمية"
- 4- ينظر المحصل في شرح المفصل لعلم الدين اللورقي ص 61 "رسالة علمية"
- 5- ينظر إنباه الرواة 48./4
- 6- ينظر المحصل في شرح المفصل للورقي ص 158، رسالة علمية".
- 7- ينظر المحصل في شرح المفصل لعلم الدين اللورقي ص 61، 62، 266 "رسالة علمية".
- 8- ينظر الحدود في الدرس النحوي الحديث ص. 31
- 9- ينظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور 51/1.
- 10- ينظر إصلاح الخلل الواقع في الجمل للبطلبوسي ص 61.
- 11- ينظر شرح المفصل لابن يعيش 43/1.
- 12- ينظر اللسان "حدد" 140/3.
- 13- ينظر القاموس المحيط "حدد" ص 352، والمعجم الفلسفي ص 281.

- 14- ينظر الكليات ص238، 239.
- 15- ينظر الكليات ص239/2، 40.
- 16- ينظر الحدود في النحو ص49.
- 17- ينظر الكليات ص239/2، 240.
- 18- ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص53.
- 19- ينظر المكمل بفرائد معاني المفصل ص 148، والمحصل في شرح المفصل للورقي رسالة ص264.
- 20- ينظر شرح المحصل في شرح المفصل للورقي رسالة ص264.
- 21- ينظر المفصل في شرح المفصل للسخاوي ص292/1.
- 22- يعني الزمخشري.
- 23- ينظر التخمير ص128/1. بتصرف يسير
- 24- ينظر الكافية لابن الحاجب ص74.
- 25- ينظر الإيضاح في شرح الفصل ص144/1، 145.
- 26- ينظر المغني لابن فلاح ص579/2.
- 27- ينظر المحصل في شرح المفصل رسالة ص265.
- 28- ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص44.
- 29- ينظر المحصل في شرح المفصل ص223.
- 30- ينظر المحصل في شرح المفصل ص223.
- 31- ينظر الإيضاح في علل النحو ص76، ومسائل خلافية في النحو ص102،



- والأشباه والنظائر 82/1، 83.
- 32- ينظر التعريفات ص 31.
- 33- المحصل في شرح المفصل للورقي رسالة علمية ص 424
- 34- ينظر الكتاب 3/531-533، والمقتضب 1/185، وشرح المفصل لابن يعيش 1/115. وشرح الشافية للرضي 2/244-245، وارتشاف الضرب 2/726.
- 35- ينظر شرح المفصل لابن يعيش 1/115.
- 36- ينظر حواشي المفصل للشلوبين 1/85.
- 37- "الدور" هو توقف كل واحد من الشيئين على الآخر. ينظر التعريفات ص 87.
- 38- ينظر الإيضاح في شرح المفصل 1/71
- 39- يقصد بالجملي نحو: بعلبك، وعبد مناف.
- 40- يقصد بالذي لم يشبه المبني نحو: المبنيات إذا وقعت مركبةً نحو: "قام هؤلاء".
- 41- ينظر المغني لابن فلاح 1/174.
- 42- ينظر شرح الكافية للرضي 1/42، وما بعدها
- 43- ينظر المحصل في شرح المفصل للورقي رسالة علمية ص 224.
- 44- ينظر الكليات ص 447.
- 45- ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص 311.
- 46- ينظر التبیین ص 34، والمحصل في شرح المفصل للورقي ص 174.
- 47- والمراد: اللورقي.
- 48- ينظر المحصل في شرح المفصل للورقي ص 175 رسالة.

- 49- ينظر شرح المفصل لابن يعيش 5/7.
- 50- ينظر شرح المفصل لابن يعيش 6/7. بتصرف يسير.
- 51- ينظر شرح المفصل لابن يعيش 6/7. بتصرف يسير.
- 52- ينظر الإيضاح في شرح المفصل 7/2.
- 53- ينظر الإيضاح في شرح المفصل 7/2.
- 54- ينظر غاية المحصل في شرح المفصل ص 1.
- 55- ينظر الإقليد 1439/3.
- 56- ينظر الإقليد 1439/3، 14340. بتصرف

### (قائمة المصادر والمراجع)

#### أولاً: المصادر.

- \* **المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري** إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1999م
- \* **المحصل في شرح المفصل لعلم الدين اللورقي** (مجموعة رسائل علمية).

#### ثانياً: المراجع.

- \* **ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي** أثير الدين تحقيق محمد عثمان، مطبوعات دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 2011م.
- \* **الأشباه والنظائر في النحو** للشيخ جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان.

\* **الإقليد على شرح المفصل للجندي تحقيق ودراسة محمود أحمد علي أبو كته الدراويش، وزارة التعليم العالي المملكة العربية السعودية الإدارة العامة للثقافة والنشر الطبعة الأولى 1422هـ.**

\* **الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب، تحقيق: أ. الدكتور: إبراهيم محمد عبد الله، منشورات دار سعد الدين، الطبعة الثانية، 2010م.**

\* **الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، منشورات دار النفائس، الطبعة الثالثة، بيروت لبنان، 1979م.**

\* **التبيين على مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: عبد الرحمن سليمان العثيمين، إشراف الدكتور: أحمد مكي الأنصاري، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية 1976م.**

\* **التخمير للخوارزمي تحقيق: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى.**

\* **التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى، 1405هـ.**

\* **الحجة العقلية في الدرس النحوي الأندلسي "السهيلي أنموذجا" للدكتور: محمد جواد الطريحي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 78.**

\* **الحدود النحوية في الدرس الحديث، رسالة ماجستير 2008م، للباحث: عبد الحميد وقاف، إشراف الدكتور إبراهيم البب، جامعة تشرين، سوريا.**

- \* **القاموس المحيط**، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
- \* **الكافية في علم النحو**، لابن الحاجب، تحقيق: د. صالح عبد العظيم الشاعر، منشورات مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى، 2010م.
- \* **الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي** تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1998م.
- \* **المعجم الفلسفي** لمراد وهبة، دار قباء للطباعة والتوزيع 1998م.
- \* **المغني لابن فلاح النحوي** تحقيق عبد الرزاق عبد الرحمن أسعد السعدي رسالة دكتوراه جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية إشراف الدكتور أحمد مكي الأنصاري 1984م.
- \* **المفضل في شرح المفصل**، لعلم الدين السخاوي، إعداد عبد الكريم جواد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1979م.
- \* **المقتضب للمبرد** تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة الطبعة الثالثة 1994م.
- \* **المكمل بفرائد معاني المفصل**، لأحمد بن يحيى المرتضى، إعداد: عبدة علي محمد حريش، إشراف: إبراهيم حسين إبراهيم، فائز زكي محمد دياب، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، القاهرة، 1986م.
- \* **إنباه الرواة على أنباه النحاة** لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف

- القطني، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ.
- \* شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي تحقيق وتصحيح وتعليق: أ. د. يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس ليبيا.
- \* شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، تحقيق أ، د. إبراهيم محمد عبد الله، منشورات دار سعد الدين الطبعة الأولى 2013م.
- \* شرح جمل الزجاجة لابن عصفور المعروف بـ"الشرح الكبير" تحقيق د/ حامد أبو جناح عالم الكتب الطبعة الأولى 1999م.
- \* شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الأستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزقراف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1982م.
- \* شرح كتاب الحدود في النحو، للإمام عبد الله بن أحمد للفاكهي، النحوي، المكي، تحقيق: الدكتور المتولي رمضان أحمد الدميري، جامعة الأزهر، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1993م.
- \* غاية المحصل في شرح المفصل، لعبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الزملكاني، دراسة وتحقيق: أسماء بنت محمد صالح الحبيب، إشراف أ. د. رياض الخوام، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى.
- \* كتاب الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلبوسى، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي.

\* كتاب **حواشي المفصل** من كلام الأستاذ أبي علي الشلوبين، تحقيق ودراسة: حماد بن محمد الثمالي، إشراف الدكتور: يوسف عبد الرحمن الضبع، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 1982م.

\* **لسان العرب** لابن منظور دار صادر بيروت الطبعة الأولى.

\* **مسائل خلافية في النحو لأبي البقاء** عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري تحقيق محمد خير الحلواني الناشر: دار الشرق العربي بيروت.

**الكتاب سيبويه** تحقيق عبد السلام محمد هارون علم الكتب الطبعة الثالثة 1983م.

ثالثا: الرسائل العلمية.

\* **القاسم بن أحمد اللورقي الأندلسي وجهوده النحوية** رسالة دكتوراه جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالمنصورة للباحث/ سالم محمود عبد العزيز محمد إشراف أ.د/حمود حمد السيد الدريني مشرفا أساسيا، وأ.د/ محمد المتولي الدسوقي حرب مشرفا مساعدا، سنة 2010م.

\* **المحصل في شرح المفصل** رسالة ماجستير جامعة المرقب للباحث/ أحمد علي شخطور دراسة وتحقيق، من قوله: (ومن أصناف الاسم الثلاثي، إلى نهاية: "ومن أصناف الفعل المضارع المرفوع) إشراف د/ محمد أبوراس سنة 2014-2015م.

\* **المحصل في شرح المفصل** رسالة ماجستير جامعة المرقب للباحث/ مصباح عبد السلام رمضان دراسة وتحقيق من بداية الكتاب إلى قوله: (وخطَّة وهيلَّة للغنم، وضُمْران وكسَّاب للكلاب) إشراف أ. د/ محمد عبد السلام ابشيش سنة 2006م،

2007م.

- \* **المحصل في شرح المفصل** رسالة ماجستير للباحث/ محمد الزايدي جامعة المرقب دراسة وتحقيق من قوله:(ومالا يتخذ ولا يؤلف) إلى قوله:(وأما السبب الواحد فغير مانع أبدا) إشراف أ. د/ محمد عبد السلام ابشيش، سنة 2006، 2007م.
- \* **علم الدين اللورقي وآراؤه النحوية والصرفية** رسالة دكتوراه جامعة القاهرة كلية دار العلوم قسم النحو والصرف والعروض، للباحث/عزت عبد الرحمن محمد حرحش، إشراف أ.د/ صلاح رؤاي سنة 2000م.

## تحولات الفكر النقدي السوسيولوجي (من السوسيوأدبي إلى السوسيوثقافي)

بقلم: د/سليم بركان\*

## ملخص:

تتناول هذه الدراسة الموسومة بـ: تحولات الفكر النقدي السوسيولوجي -من السوسيو أدبي إلى السوسيو نقدي- أهم مسارات التحول الفكري والنقدي التي تشكل من خلالها الخطاب النقدي السوسيولوجي، من منطلق أن النقد الأدبي يمثل نشاطا فكريا وجماليا مستمرا، وبتفاعلهما عبر مختلف المراحل النقدية التي اتسم بها النقد الأدبي، أفرز طرحا نقديا اجتماعيا، تجلت بوادره السوسيو فلسفية/ السوسيو نقدية من خلال القراءة الجدلية لعلاقات الأدب بالواقع ثم النقد بالمجتمع وبين هذا وذاك تجلى الطرح النقدي و المنهجي للخطاب النقدي السوسيولوجي، الذي تؤكد حضوره في الساحة النقدية الأدبية، كروية نقدية جديدة قائمة على أصول فكرية نقدية وأخرى نقدية منهجية سوسيولوجية، أخذت على عاتقها فهم وتفسير التكوين السوسيولوجي للإبداع الفكري/الأدبي/الفني/الذي أفرزته الساحة الإبداعية، وعليه سنتبنى منهجية نقد النقد من أجل توصيف مسارات الخطاب النقدي السوسيولوجي.

\* أستاذ محاضر بجامعة: محمد لمين دباغين - سطيف-2-الجزائر



الكلمات المفتاحية: نقد- رؤية- سوسولوجيا- جمالي- بنوية.

## The sociological criticism evolution

### From socio- literary to sociocritical

**Realized by:** Dr. SalimBerkane, University of Sétif 2.

**Abstract:** This study, titled :sociologicalcritism evolution, from socio- literary to sociocritical, deals with the principle paths of the intellectual and critical transformation that has contributed to the creation of socio- critical discourse. This has occurred owing to the fact that the literary critic represents an ongoing intellectual and aesthetic activity, and their interaction during the different critical steps which characterize the literary critic, creates a sociocritical object which the sociophilosophical / sociocritical signs are in the dialectical reading of relations linking literary to reality, then to society. This relation contributes to the creation of the critical and methodological question of sociocritical discourse. This creation

appears in the critical and literary arena as a new critical vision based on critical origins and critical, methodological and sociocritical origins carrying on shoulders the task of understanding and explaining the sociological formation of the intellectual / literary/ technical creation resulting from the creative arena.

**Key words:** critical, vision, literary, socio-critical.

### مقدمة:

إن الحديث عن قضية تحولات مسارات الفكر النقدي السوسولوجي ضمن حركة النقد الأدبي الحديث، يجعلنا نفر بأثره على صناعة منهجيات ونظريات نقدية أدبية سوسولوجية، والتي يبدو أنها قامت كلها على علاقة جدلية بين الأدب والواقع من جهة والنقد والمجتمع من جهة أخرى، بل وقد يكون مجدياً قبل أن نوضع إشكالية التحول للدراسات الفكرية والنقدية السوسولوجية، إن على المستوى الفلسفي النقدي أم الأدبي النقدي، أن نشير إلى أن التحول الفكري النقدي الاجتماعي، قد بدأ خلال القرن الثامن عشر وتأكد إجرائياً اجتماعياً، ربما في صيغته النهائية في القرن التاسع عشر، ومن ثم يكون لزاماً علينا أن نؤطر "إشكالية هذه الدراسة"، والتي تتمثل في: هل أن الأدب/النقد ظاهرة اجتماعية؟ ومن ثمة فهل هو المنتج لهذا الابداع، الفكر أم الواقع؟ أم هل أن النقد

الأدبي هو الذي أطر إنتاجية هذه الأحداث الإبداعية، سواء أكانت فكرية أم أدبية؟ ،وعليه فما هي أهم مسارات تحولات الخطاب النقدي الفكري الاجتماعي؟ وبين هذه وتلك ،فإنه يمكن الإشارة إلى أن هذه العلاقات كانت ولازالت قائمة محل أخذ ورد/جدل بين المفكرين والنقاد، لكن يبقى المسلم به، هو أن الفكر النقدي في إطاره الاجتماعي، قد أكد على أن: "الأثار الأدبية التي لا تخضع لهذه الشروط لا تعتبر فنا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى إبداعي وإنساني، فلا يصبح الأثر/ النقد فنا إلا إذا فهمناه فنا ونقدا مشروطا بشروط جمالية وتاريخية معينة"<sup>1</sup> وبناء عليه فإن الدراسة تسعى إلى تحقيق جملة من **"الأهداف"** لعل من أبرزها التأكيد على الطبيعة الاجتماعية لكل من الأدب والنقد، ذلك أن كل أثر أدبي /فكري/نقدي، لا بد أن يكون مرتبطا بطريقة أم بأخرى بشروط اجتماعية وتاريخية وثقافية ولغوية معينة، أما **"أهمية الدراسة"** فهي تروم أساسا في محاولة تتبع أهم المسارات الفكرية والنقدية الاجتماعية التي صنعت تكوينية الخطاب النقدي الاجتماعي في الساحة الفكرية/النقدية/الأدبية الغربية والعربية المعاصرة، أما **"المنهجية"** المعتمدة في إنجاز هذه الدراسة الراهنة فهي استراتيجية **"نقد النقد"** القائمة إجرائيا على توصيف أهم أنساق الخطاب الفكري النقدي الاجتماعي سواء الأيديولوجية أم الاجتماعية عند المفكرين والنقاد، و حتى نؤطر أفقا نقديا نظريا وإجرائيا لهذه الدراسة، فقد أشرنا في **"التمهيد"** إلى

<sup>1</sup>سمير حجازي. مناهج النقد الأدبي المعاصر. بين النظرية والتطبيق. دار الآفاق

أهم قضايا التحول الفكري/النقدي الأدبي الاجتماعي لمسارات الخطاب النقدي الفكري الاجتماعي، بدءاً من مهاده الإيديولوجي إلى إطاره الاجتماعي، وهذا من خلال خمسة مباحث تناولت فيها مختلف تطور مسارات الفكر النقدي السوسيولوجي، و"خاتمة" أشرت فيها إلى بعض النتائج.

**تمهيد:** إن التأسيس على أن قضية تحول الفكر النقدي السوسيولوجي، لها أثر في صناعة الأحداث مثلها مثل النصوص الأدبية العظيمة، يجعلنا بداءة نطلق من المرجعيات الفلسفية الماركسية الحديثة التي أفضت إلى تبني إطار سوسيو أدبي، قائم على علاقة البنية بالمجتمع، لذلك فإن فهم وتغيير إفرزات الخطاب النقدي السوسيولوجي من جينيته النقدية الاجتماعية وصولاً إلى تكوينه البنوية السوسيولوجية، يجعلنا نحتكم إلى بعض الاعتبارات التي على أساسها قام فعل التحول الفكري النقدي السوسيولوجي ومن ثم إفرزه لمناهج ونظريات واستراتيجيات نقدية أدبية اجتماعية والتي تهدف كلها إلى فهم وتفسير لمختلف الأعمال الفكرية الأدبية.

إن الإبداع الأدبي يشكل في حقيقته بناءً فكرياً وآخر لغوياً فنياً لذلك فإن إطار التفاعل مع مختلف الأنساق الاجتماعية قد لا تخرج عن سياق هذا الطرح الفكري النقدي الاجتماعي/ *lasociologie*، الذي بدأ ضمن نشوئته فلسفياً ثم انتهى نقدياً اجتماعياً، مما نتج عن ذلك إطار منهجي نقدي سوسيولوجي شكل بحق مساراً نقدياً جديداً قائماً على

جهاز نظري وآخر إجرائي جعل الخطاب النقدي السوسولوجي يفرض نفسه إيديولوجيا ونقديا وأدبيا ضمن الساحة النقدية الأدبية الحديثة.

لعل اقتفاء أثار هذا التحول الفكري النقدي السوسولوجي تكون نفسه على أساس فلسفات اجتماعية حديثة، حاولت تأطير هذا التحول الفكري الفلسفي الاجتماعي الى نقدي اجتماعي أدبي أي من سوسولوجيا أدبية إلى سوسولوجيا بنيوية.

### أولاً: الفلسفة الاجتماعية للأدب:

يبدو أن الإشكاليات النقدية السوسيوثقافية أو التي تعرف في أدبيات النقاد: "النظريات النقدية السوسيوثقافية"<sup>1</sup> والتي نهضت على مرجعيات الفلسفة النقدية الجدلية الماركسية التي تنظر من زاوية العلاقة بين الأدب والمجتمع من منظور التفسير الاجتماعي للأدب والتي ركزت على ضرورة تمثل مقولات التفسير السوسيوثقافي الذي ينظر إلى حقيقة تقييم الهوية المجتمعية في الأدب إلى بنيتين هما البنية الفوقية بما تحتويه من أفكار وتصورات فلسفية وإبداعات فنية وأدبية والبنية التحتية والمتمثلة في مختلف الأنساق الاقتصادية وأساليب وصيغ تنظيمها، ولذلك فإن المعادلة تهض بفعل التأثير والتأثر بينهما، ومن ثم فإن أي تغيير في البنية التحتية قد يستتبعه تحول في البنية

<sup>1</sup> ينظر: حميد حميداني. النقد الروائي والإيديولوجيا. المركز الثقافي العربي. ط. 1993. ص: 64

الفوقية، لذلك اعتبر "ماركس" أن تكوين مجموعة علاقات الإنتاج للبنية الاقتصادية للمجتمع يمثل الأساس الملموس الذي تشيد عليه بنية فوقية قانونية وسياسية أو به تتقل أشكال اجتماعية من الوعي، ذلك أن: "نمط إنتاج الحياة المادية يتحكم في مجرى الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية عامة، إذ ليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم بل أن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم"<sup>1</sup> وعليه فإن هذا التأسيس الفلسفي الماركسي النظري أظهر وبشكل جدي فعالية العلاقات المادية الاجتماعية التي تربط الإنسان بالمجتمع من خلال التطور التاريخي وبالمقابل فقد أظهر كذلك بشكل جلي علاقة التأثير والتأثر التي تحصل بين الأدب والمجتمع من خلال السيرورة الاجتماعية ومن ثم القول بأحقية أنماط الفكر النقدي السوسيولوجي على المستوى الإطار النقدي الأدبي، ذلك أنه وفي الوقت نفسه هو محاولة لتجاوز الإطار التبسيطي لهذه العلاقة العضوية التي تربط الأدب بالمجتمع ومن ثم فإنها في جانب آخر قد أفرزت رؤية نقدية سوسيولوجية نشطت بفعل مجالها لان تأخذ اتجاهين في رحاب نظرية النقد الأدبي السوسيولوجي هما: نظرية الانعكاس والتي قامت على أسس الفلسفة النقدية الجدلية الماركسية، ونظرية السوسيونقدية والتي نهضت على أسس نقد بنيوي أجناسي ماركسي جديد أصله كل من: لوكتاش و غولدمان ومن جاء بعده.

<sup>1</sup> أعمار بلحسن. الأدبوالإيديولوجيا. المكتبة الشعبية. دط. دت. الجزائر. ص: 40

## ثانيا/ الاصول الفكرية للنقد الأدبي الاجتماعي:

لعل المرجعيات الفكرية والعلمية اليونانية كان لها الفضل في تأطير فهم فكري ونقدي لحينية الخطاب النقدي السوسولوجي، ذلك أن مفهومي المحاكاة/ التقليد كان لهما الأثر الكبير على مختلف البدايات النقدية الاجتماعية التي قدمها الباحثون والمنظرون والنقاد في مجال النظرية النقدية الاجتماعية، ومن هذا السياق الفكري النقدي الاجتماعي، لابد من استحضار محاولة المفكر فيكو/ VICO: الذي تبنى طرحا فكريا نقديا اجتماعيا أساسه التركيز على مختلف الأدوار الثقافية والاجتماعية والتاريخية التي يؤديها الأدب ضمن مختلف الحضارات<sup>1</sup> معتبرا أن المجتمع لا يتبنى بل انه ينتج وينمي أدباء يستخلصون إنتاجهم الفني منه (هنا نبين قضية صناعة الأحداث النقدية) وفي السياق الفلسفي النقدي الاجتماعي، لا يمكن أن نقفز على الجهود الفكرية النقدية الاجتماعية ل: "مدام دي ستايل" التي بحثت في العلاقة الوجودية لعلاقة الأدب بمختلف المؤسسات الاجتماعية مثل: القوانين، الدين، الأخلاق، وغيرها، وبمنظور آخر كيف تصنع هذه المؤسسات مختلف الأحداث ضمن مجالات الفكر والأدب والنقد، لذلك فقد انتهت الكثير من الحلقات الاجتماعية والتفسيرية ذات الطبيعة الاجتماعية إلى أن هناك علاقة سوسيو أدبية توّطرها مرجعيات بنائية ذات طبيعة اجتماعية هي:

<sup>1</sup> سيد بحراوي. علم اجتماع الأدب. الشركة المصرية العالمية ط.1. القاهرة. 1994. ص: 17

## ثالثا/الإطار التكويني للفكر السوسيوأدبي:

## 1 /من المرآوية إلى الانعكاسية:

لقد وصل الفكر النقدي الأدبي الاجتماعي من خلال مختلف علاقاته مع الفلسفات المادية الاجتماعية و الثقافية الاجتماعية إلى الإطار المرجعي الانعكاسي والقائم على تفسير الأدب من منظور الجدلية الفكرية والمادية، ومن ثم اعتبار الإبداع الأدبي تكوين إيديولوجي بامتياز، وعليه فهو يتجلى من خلال الفكروى الذي يمثل أساس الوجود الاجتماعي، لذلك السبب كان الاهتمام بإطار مضمون الأفكار الاجتماعية، الذي له علاقة مباشرة في تكوين الإطار الفكري للأدب ومن هذا المنطلق تحدث جورج بليخانوف عن "المعادل الموضوعي للأدب"<sup>1</sup>، ذلك انه يتعين على الناقد ترجمة فكرة ذلك الإبداع الأدبي من منظور اللغة الفنية الأدبية إلى اللغة العلمية الاجتماعية، وهذا من أجل تأطير ما يمكن تسميته ب: المعادل السوسيوولوجي في الأدب الذي يؤطر هو الآخر فعل المعارضة للإبداعات الفكرية والأدبية بمختلف أنساقها الاجتماعية أو حتى لمعرفة ما تحتويه من حقائق تجعل من الإبداع يكون في إطار عضوي، أي يؤطر إطارا جماليا من خلال مختلف الأشكال الفكرية ومن ثم يتأطر المفهوم المرآوي للأدب في مرحلته الأولية حيث يقوم بعكس بانورامي لكل الوقائع الاجتماعية والتاريخية والسياسية والاقتصادية

[ينظر: محمد خرماش. إشكالية المنهج في النقد المغربي المعاصر. ط1. مطبعة انفور. 2001. المغرب. ص: 24]



وغيرها ، ومن ثم يمكن اعتبار الأدب شكل من أشكال النشاطات الإنسانية الأخرى ،  
الذي يمكن اعتباره ضمن تطور قوانين الوجود الفكري و الاجتماعي و الثقافي، و من ثم  
فهو يتأسس فكريا و فنيا على ثنائيات هي: الأدب /الحياة، الأدب/الواقع، الأدب/المجتمع  
و غيرها التي أخذت بها" نظرية الانعكاس" ضمن مختلف مسارات النقدية الأدبية  
الاجتماعية، و بالتالي لا يمكن اعتباره في إطار النظرية الجدلية بسيطا بل أخذ مفهوما  
فعالا ضمن مجال النقد الأدبي السوسولوجي من منظور البحث عن المسارات الواقعية  
الخارجية التي لها علاقة بالإبداع الأدبي بمعنى آخر أنّ المفهوم الإجرائي للانعكاس  
الواقعي ينهض فعله أنيا، بحيث أن المبدع يبقى في إطار تصوير ما يحدث في زمنه  
فقط، حتى يكون أكثر فعالية من أجل احتواء فعلي لكل الوقائع السوسيو تاريخية و  
السوسيوثقافية، فعندما جعل النقاد ضمن نظرية الانعكاس أن ينطلقوا من إطارين أساسيين  
هما: المرآة والانعكاس الفعال .

أما الأول فلا ينظر للإبداع الأدبي على أنه قائم على الهيمنة التاريخية الصرفة،  
بل إن العناصر السوسيو تاريخية تتعكس فيها بشكل أو بآخر ووفق صور انزياحية  
لمختلف الأحداث الاجتماعية والتاريخية والثقافية، ومن ثم فإن هذا التجاوز هو الذي تأخذ  
به التكوينية الإجرائية لفعل الانعكاس، أما هذا الأخير والذي لا يأخذ بإطار التشخيص  
الدقيق، بل إنه يقع في عتبة الإطار الواقعي ضمن عمليات التصوير الفني والأدبي ،

وعليه تكون للمبدع إمكانية التفسير على رؤيته للعالم، وعلى خلفية هذا الإطار النقدي الأدبي الاجتماعي وتحديدًا على أرضية الانعكاس، تصبح مجمل الرؤى المختلفة ضمن النصوص الروائية لا تعبر عن فعل التناقض ضمن إيديولوجية المبدع فحسب، بل أنها تعبر عن مختلف الظروف غير المتجانسة التي يواجهها المجتمع ككل إبان فترة تاريخية محددة، فمثلاً يمكن اعتبار أدب تولستوي: "مرآة لحقيقة تاريخية ممتدة من 1861 إلى 1905 فتناقضات "تولستوي" منسجمة مع تناقضات عصره، فهو أرستقراطي يملك إيديولوجية الفلاحين ولا يدعو للتغيير عن طريق العنف"<sup>1</sup>. ومن هنا تتحقق الجمالية الفنية والأدبية للأعمال الفكرية والأدبية .

وبناء عليه تبدو تكوينية الأحكام النقدية وفق هذه الرؤية الفكرية النقدية الثورية الاجتماعية أنها تركز بكثرة على القيمة الفكرية الوجودية المهيمنة مع تجاوز مطلق للعناصر الشكلية البنائية، وهذا الذي تميز به الفكر النقدي الأدبي الاجتماعي في بداياته الأولى في تشكيل خطاب نقدي اجتماعي، ذلك أنه ركز على الأدوار الوظيفية التي تؤديها الأعمال الفكرية والأدبية، وهذا باعتبارها وثائق تاريخية أو سياسية إيديولوجية يمكن إدراجها ضمن التكوينية الفنية للأعمال الأدبية والتي أنتجت ضمن فترة تاريخية محددة، لذلك يمكن التأكيد على أن الذي اعتمده فلاديمير لينين وغيره هو نقد سياسي إيديولوجي

<sup>1</sup> عبد الرشيد الصادق محمودي. لينين ناقدا لتولستوي.م.فصول.م.5.ع.3.القااهرة.ص:141

بامتياز، يركز على: "البحث في العناصر الفكرية الخارجة عن النص ومن ثم فهو يأخذ بالقيم الاجتماعية وكذا الإيديولوجية السائدة في المجتمع ومقابلتها بالعناصر الإيديولوجية الأخرى وذلك بالربط بين المقومات التاريخية لصيرورة المجتمع ونظام أفكار طبقاته المختلفة<sup>1</sup> وبعبارة أخرى أنها محاولة نقدية من "لينين" لتثبيت المواقف الشخصية للمبدع ضمن نسق الصراع الأيديولوجي هذا ما جعل في جانب آخر عمار بلحسن يعقب على رؤية "لينين" النقدية التي مارسها على أدب تولستوي في أن: "منطقية الربط بين الإنتاج الأدبي والروائي للمجتمع والإيديولوجية تضع عنصرا أساسيا هو علاقة الأدب بما هو تعبير جمالي إيديولوجي بالتناقضات والصراعات الاجتماعية والوطنية التي تحدث في المجتمعات ومدى قدرة الأدب والرواية على عكس هذه التناقضات"<sup>2</sup> ومن ثم يمكن التأكيد على أنه قد أطر تفسيراً لأدب تولستوي من منظور إيديولوجي صرف مع محاولته الاحتكام بالموضوعية العلمية التي توقع المبدع موقع يمثل الإيديولوجية المضادة، لذلك جاءت كتابات تولستوي الإبداعية، تنحو إلى الإطار الفكري الصرف ذي الطبيعة الإيديولوجية السياسية بحيث أنها تعبر بطريقة أم بأخرى عن مواقف شخصية للمبدع، وبذلك يكون التركيز على سيرة شخصية المبدع ثم إلى انتمائه الطبقي، وعليه يمكن القول

1/ ينظر. سليم بركان. النسق الإيديولوجي وبنية الخطاب الروائي. منشورات

ج. الجزائر. 2004. ص: 19

<sup>2</sup> عمار بلحسن. ما قبل بعد الكتابة حول الإيديولوجية. م. فصول. المجلد. 5. ع. 4. ص: 170

أن هذا الفكر النقدي الاجتماعي من خلال إطاره الإجرائي يبدو أنه ساذج في تفسيره للأدب، حيث يبدو في أحيان كثيرة ضيق الأفق، لأنه منزوي في حدود الحكم الإيديولوجي الصرف الذي لا يحاول أن يؤطر فهما أو تأويلا لمختلف القيم الفكرية والشكلية للأدب بل إنه يركز على تمثل إطار نقدي بسيط هو البحث عن المضامين السوسيو إيديولوجية، وبالمقابل فإن هذا لا يعني أنه لم يقدم إطارا نقديا اجتماعيا لتفسير الأدب بل أن هذا التصور لنظرية الانعكاس هو ما فتح الباب أمام مجال التفكير النقدي السوسيلوجي لأن يؤطر استراتيجيات ونظريات نقدية منها على الحصر هي النظرية النقدية البنوية الجدلية الاجتماعية في محاولة فهمها وتفسيرها للأدب .

#### رابعاً/الإطار التكويني للبنية الفكرية الاجتماعية:

#### ب/من النقد الجدلي إلى النقد السوسيو بنيوي

لقد اكتشف النقاد في مجال الدراسات النقدية السوسيو لوجية عدم كفاية الانعكاس على تفسير الأدب، ذلك أنه ينظر إلى الإبداع الأدبي ضمن علاقته المباشرة مع الواقع الاجتماعي باعتباره نتاجا ماديا مثله مثل باقي النتاجات الأخرى في المجتمع، لكن وبالمقابل فإن الإبداع الأدبي هو أكثر من ذلك، بحيث أن جوهره هو الجمال والفن ومن ثم فهو قائم: على الخيال وعلى العبقرية التي تنهض على مختلف البنيات الذهنية

التي تشكل في النهاية وعيا فرديا جماعيا<sup>1</sup>، لذلك فقد تجاوزت النظريات السوسيوينبوية الجديدة البحث في المؤثرات الفكرية أو تلقف صورة المجتمع في ثنايا العمل الأدبي أو حتى عناصر مجتمعية يملأها ذلك الفراغ من منظور الانعكاس من الإطار الأدبي التخيلي وكذا الإطار الاجتماعي الواقعي، وبناء عليه فقد أكد رواد السوسيو أدبية/ النقد السوسيوأدبي على ضرورة الربط بين الإطار السوسيو إيديولوجي والإطار الجمالي باعتبارهما نسقان دلاليان متلازمان ومتكاملان في ثنايا النص الأدبي، هذا ما أفضى إلى تأطير مفهوم فكري نقدي سوسيوولوجي مرتبط بالمسار المادي الجدلي الماركسي في مقابل الإطار الفكري المثالي الذي ينظر إلى الأدب على أنه مجرد نزوع فردي، لا يعتد بمختلف السياقات الاجتماعية التطبيقية التي كانت سببا في إنتاجه وعليه فقد نهضت رؤية فكرية نقدية سوسيوولوجية نادت بضرورة الكشف عن مختلف أنساق الوعي الاجتماعية والتطبيقية، ذلك إن: "كل الإيديولوجيا بما فيها الفن وما يسمى بالأداب الجميلة إنما تعبر عن الميول والأحوال النفسية لمجتمع بعينه، وإذا كان هذا المجتمع منقسم إلى طبقات أو إلى طبقة بعينها، واضح أن الناقد الأدبي الذي يحاول تحليل أثر ما ملزم قبل كل شيء أن يدرك العنصر المعبر عنه في هذا الأثر من عناصر الوعي الاجتماعي أو الوعي الطبقي"<sup>2</sup> هذا

<sup>1</sup>أحمد سالم ولد أباه .البنبوية التكوينية و النقد الأدبي الحديث .الشركة المصرية

العالمية.ط1.القاهرة2005.ط1.ص:85

<sup>2</sup>جورج بليخانوف.الفنو التصور المادي للتاريخ .تر: جورج طرابشي .دار الطليعة.ط1.ص:59.

يعني أن التركيز على احتواء المضمون الاجتماعي للأعمال الأدبية، هو تصور غير كافي من أجل فهم قيمة الإبداع الفنية والفكرية على السواء، لذلك فإن التركيز: على " هذه الجوانب هو الذي جعله - بليخانوف - . يضعه في أولويات الدراسة النقدية ويبقى التركيز على الجوانب الجمالية في مرحلة لاحقة، فالجمالي يبقى حسبته تنمة ضرورية للبحث النقدي الإيديولوجي"<sup>1</sup> ومن ثم فإنّ النقد الأدبي الاجتماعي لا يمكن أن يتأسس على المرجعيات السوسيو إيديولوجية فقط وبالمقابل فإن إشارات العناصر الفنية باعتبار أنها عناصر تكميلية للعملية الإبداعية، ما يعني بدءاً عدم اكتراثه للعناصر الشكلية أو لجوانب الصياغة الفنية الأدبية لا من بعيد ولا من قريب ومن ثم تركيزه على تأطير الأبعاد الاجتماعية لها، التي تعمل هي الأخرى على صناعة أطر نقدية ذات طبيعة إيديولوجية صرفة وهو ما بدا قائماً من خلال التركيز على البحث عن مختلف القيم الإيديولوجية أكثر من أي قيم أخرى، ليبقى الأدب وفق هذا الطرح يبني مواقف شخصية ويبث بيانات إيديولوجية تكون في كثير من الأحيان منبثقة من لدن المبدع.

**خامسا/الإطار النقدي السوسيو لوجي الجديد:**

**ج/من السوسيو بنيوي إلى السوسيو نصي:**

<sup>1</sup>.صجورج بليخانوف.الفنو التصور المادي للتاريخ.تر:جورج طرابشي.دار الطليعة.ط1.ص:53

لقد اهتدى الفكر النقدي السوسيولوجي الجديد في مقابل التصورات النقدية الاجتماعية السابقة إلى صناعة أطر فكرية نقدية سوسيولوجية جديدة قائمة على أساس فكرة الوساطة، التي تسهل عمليات الفهم والتفسير لمختلف الأبنية الفكرية والأدبية للإبداع الفكري والأدبي، حيث أنه يتم من خلال خلق تفاعل جدلي بين نسقين: فكري وأدبي حيث ينتجان ضمن بنية أدبية جديدة تتصهر فيها القيم الفكرية مع القيم الاجتماعية ومن ثم تتجلى الخصوصية السوسيوينبوية للخطاب الأدبي الذي يبقى في إمكانه احتواء كل الخطابات الفكرية ضمن عالمه التخيلي، ولذلك فإن محاولة فهمها وتفسيرها لا يمكن أن يحصل إلا من خلال فهم أطر المفصلات للغة الخطاب في العمل الأدبي.

وبناء عليه فقد تأسست النظرية الجدلية النقدية الاجتماعية على يد "جورج لوكاتش" الذي رفض بما يسمى بالاجتماعية الساذجة، أي تعاطي الأدب من منظور إيديولوجي صرف، حيث ينظر إلى القيمة الثورية للأدب من خلال ما يحتويه من أفكار تقدمية ، أما تبنيه الجدلية النقدية السوسيولوجية الجديدة فهو يتمثل في مجموعة من المفاهيم البنوية لعل أهمها: رؤية العالم، البنية الدالة، التناظر، وغيرها، لذلك ولما كان الإبداع الأدبي يشكل بنية دينامية مثلها مثل البنى الفكرية التي تبناها المبدعون من أجل خلق نوع من التوازن بين ما هو فكري و ما هو فني<sup>1</sup>، ومن ثم فقد غدا النتاج الأدبي

---

/1.voir.lukacs.george.therie du roman.seuil..preface.paris.1964.p.06:

"بنية دالة" لا يمكن فهمها وتفسيرها إلا من خلال تحديد أنظمتها العلائقية فيما بينها لتؤول الأعمال الأدبية إلى بنية تعبيرية منتجة ضمن مسار الحركية السوسيوثقافية والسوسيومادية، لذلك فإن تفسيرها لا يحصل إلا بربطها بالقيم التي تبناها المبدع ضمن مختلف بنى الوعي التي تقضي في النهاية إلى تبني "رؤية للعالم" لدى الطبقة التي ينتمي إليها المبدع.

ولعل ما حققته هذه النظرية الجدلية من تمثّل لخطابات نقدية اجتماعية من حيث تأطير فكري نقدي يفسر علاقة الأدب بالمجتمع من منظور فلسفي واقعي جمالي فعلى الرغم من ذلك فإنها كثفت من التركيز على البعد الاجتماعي للخطاب الأدبي وتجاهلت أدبية الأدب التي يمكن اعتبارها الجوهر الأساسي للإبداع وفي جانب آخر أن هدفها هو الوصول السريع إلى احتواء المضامين الاجتماعية التي يتبناها الأدب، لذلك و لهذه الاعتبارات فقد تبنت النظرية الجدلية فكرا نقديا بنيويا تكوينيا قائما على التعامل مع الإبداع الأدبي من منظور أنّه يمثل بنية من المدلولات المتحولة و ليس من الدوال اللغوية الثابتة و هو ما أتاح و حفزّ على ظهور الدراسات النقدية البنيوية التكوينية التي تنهض على تفسير و فهم الأعمال الأدبية.

لقد ظهرت بوادر الفكر النقدي السوسيوولوجي ضمن مسارات الحركة النقدية الأدبية الجديدة ممثله في النقد السوسيوبنوي، القائم على مرجعيات فلسفية ماركسية جديدة



وأطر إجرائية نقدية منهجية، ولقد اعتبر لوسيان غولدمان<sup>1</sup> رائد/ مرجعية التحول الفكري النقدي السوسولوجي بامتياز، من خلال تبنيه لمنهجية نقدية بنبوية تكوينية جديدة، ارتكزت على الإرث الفكري والفلسفي النقدي "اللوكاتشي" حيث استوعبه "غولدمان" من منظور إطاره الإجرائي والمتمثل في المقولات التالية: النظرة الشمولية، الشكل، الكلية، الرؤية الكونية، وغيرها، مع احتفاظه بالبعد الاجتماعي لها، ومن ثم فقد ظهرت المنهجية البنوية التكوينية إلى الوجود، ومتميزة بشكل بارز على مختلف المناهج النقدية الأخرى ذلك أن "غولدمان" قد ركز على فهم وتفسير البنى الفكرية والفنية للأعمال الأدبية من أجل الكشف عن درجة تمثل النصوص الإبداعية لفكر الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المبدع، ومن هنا يمكن القول ببدء أن "غولدمان" بهذا الطرح الفكري والنقدي السوسولوجي قد تجاوز تلك الرؤى النقدية الضيقة وكذا للآلية التي وقع فيها رواد النقد الاجتماعي التقليدي للأدب من منظور التركيز على تفسير البنية الفكرية التي تحيل بطريقة أم بأخرى إلى مفهوم الرؤية للعالم و التي تتوسط بنائيا بين الأساس الاجتماعي الطبقي الذي ينطلق منه المبدع وكذا للأنساق الفنية والفكرية التي تحكمها هذه الرؤية

---

lucien goldman.le dieu cache.ed.gallimard.ed.galimard.p.122

1/voir.

وتولدها"<sup>1</sup> ومن ثم يتأسس التعارض في الفكر النقدي الأدبي الحديث، بين الخطاب البنيوي التكويني، وخطاب سوسولوجيا المضامين، التي يتجلى من خلالها العمل الأدبي كانعكاس مرآوي (ليس فعال) وآلي لعناصر الواقع ولوعي الجماعة، وبناء عليه يبدو أن البنيوية التكوينية تهتم بالطابع الاجتماعي للإبداع وكذا الشكلي والبنائي له، لذا يتعين علينا النظر إلى الأعمال الأدبية ككتلة واحدة: "تتضمن بنية ذهنية لإحدى التصورات الموجودة في الواقع فقط، والتي نتبناها فئة دون أخرى وتبقى حرية الكاتب هي الأساس في عملية التشكيل الجمالي"<sup>2</sup> وبالتالي فالمنهجية البنيوية التكوينية تتحدد في البحث عن البنية المتماسكة دلاليا والتي تتدرج ضمن سياق إيديولوجي وفني داخل العمل الأدبي وتنهض مهمة الناقد في محاولة الكشف عن البنية الدالة التي تفضي إلى رؤية للعالم، أي يقوم بعملية البحث عن كل عناصر العمل الأدبي الفكرية والفنية التي تشكل في النهاية محيط المبدع الإيديولوجي والأدبي، وعليه حتى في تقسيم مسارات الفكر النقدي السوسولوجي على إطار إجرائي فلقد احتكم "غولدمان" إلى مجموعة من المقولات الإجرائية من أجل أن يقيم فهما وتفسيرا للأعمال الأدبية لعل من أهمها: البنية الدالة، الرؤية للعالم، الفهم والتفسير، وغيرها لذلك فإن النقلة العلمية التي حققها الإطار الفكري النقدي الاجتماعي بالنسبة لمنهجه هي تجاوز للإطار المضموني الفكري الاجتماعي

<sup>1</sup> ينظر. جابر عصفور. نظريات معاصرة. مكتبة الأسرة. ط1. القاهرة. 2007. ص: 108.

2/luciengoldman..pour une sociologie du roman.ed.gallimard.p.345

التقليدي ، حيث أن الأعمال الفكرية أم الأدبية أم الثقافية يمكن دراستها بوصفها: "بنيات مماثلة ومناظرة للبنيات الاجتماعية و لكن في عالم يتمتع باستقلاله وبقوانينه الخاصة"<sup>1</sup> وعبارة أخرى أن بنيات العوالم الأدبية مناظرة لمختلف البنيات الذهنية لدى زمرة اجتماعية، بحيث أن هذه الأخيرة تمثل إطار تمتص فيه أوعاء الأفراد المنتمين لها، ثم تأخذ هذه الأوعاء في النمو والتطلع حتى تحقق درجة من التجانس والتكافؤ فتصل إلى تحقيق أقصى درجات الوعي لتصبح ما اصطلح عليه غولدمان "رؤية العالم" التي تمثل بالنسبة للمبدع وسيطا يعبر من خلاله عن مختلف تطلعات وأحاسيس الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها وبناء على ذلك فإن مفهوم الرؤية للعالم يتمثل في ذلك النسق الفكري الذي يكون سابقا على عملية تحقق الإبداع الأدبي، ومن ثم فهو يتلخص وفق منظور "ولدمان": من أنه يمثل مجموعة من التطلعات والعواطف والأفكار التي يلتف حولها أفراد الجماعة الاجتماعية<sup>2</sup>، فهذه الرؤية للعالم، تجعل منهم معارضين للمجموعات الأخرى الأخرى، من أجل تحقيق مجموعة التطلعات والأفكار ومن ثم يتكون وعيا طبقيًا، متفاوت الوضوح والتجانس، حيث يصل إلى ذروة وضوحه وتجانسه إما عند الفلاسفة أم العلماء أم الأدباء، ولعل التكوينية الفكرية النقدية للرؤية للعالم تنهض على فعل الوعي

<sup>1</sup> محمد خرماش. إشكالية المنهج في النقد المغربي المعاصر. ط1. مطبعة

انفو. 2001. المغرب. ص: 19

<sup>2</sup> ينظر. المرجع نفسه. ص: 22

الممكن فالأول يمثل الإحساس الحقيقي والواقعي لدى الفرد في حين أن الثاني يمثل أقصى درجات الوعي الواقع، أي هو تصور لما ينبغي أن يكون عليه الفرد فهو بذلك يمثل التطلع لإمكانية التغيير للواقع وحتى تعديله لكن وفق ما تراه الجماعة في تحقيق التوازن المنشود، ومن ثم يظهر بفعل هذا البناء المفهومي مفهوم الذات المبدعة، أو الذات الجماعية التي تجاوزت فرديتها، ومن ثم فإن عمليات التشكيل الفكري والفني لمختلف الإبداعات الإنسانية تعود للمبدع الحقيقي وهو: "الجماعة الاجتماعية وليس الفرد الذي بفضل ولادته أو وضعه الاجتماعي يؤلف جزءا من الجماعة"<sup>1</sup> معنى أن المبدع العبقري هو الذي يملك القدرة على خلق إطار جدلي جمالي بين البنى الذهنية والبنى الفنية في ثنانيا العمل الإبداعي كما أن فهمها وتفسيرها لا يتحقق إلا بتحليل علائقها الداخلية والخارجية القائمة على نسق الإبداع الفكري والفني على السواء، لذلك تبقى هذه الذات تمثل لسان الجماعة التي ينتمي إليها المبدع.

إن المنهجية البنوية التكوينية تقوم على مستويين يشتغلان وفق نسق إجرائي واحد وهما: مستوى الفهم والذي ينهض على الدراسة المحايثة للبنيات النصية في العمل الأدبي، كما أنها تؤطر نموذجا بنائيا دالا يتألف من مجموعة من العلاقات القائمة بين هذه العناصر اللغوية، لذلك فإن الباحث مدعو لان ينطلق من النص ثم يعود إليه أي

<sup>1</sup> عبد الله أبو هيف. النقد العربي الجديد. مركز الإنماء العربي. بيروت. ص: 175

وفق حركية مكوكية، أما مستوى التفسير فينهض هو الآخر على ربط مختلف البنيات النصية بأطرها السياقية الخارجية، لتهض بعد ذلك بنية دالة تفضي هي الأخرى إلى تشكيل رؤية للعالم، بمعنى أن هذا المستوى ينهض إلى إدماج بنية النص اللغوية ضمن بنية فكرية ليصبح ما كان تفسيراً للبنية الأولى فهما للبنية الشاملة وهكذا لأن تحقق الدلالة التي يحتفي بها العمل الأدبي، وعلى هذا الأساس فلقد نبه غولدمان إلى أنه وأثناء مباشرة التحليل وفق هذين المستويين، أنه لا يجب إعطاء أهمية كبيرة للنوايا الإيديولوجية لأن ذلك قد يجعل من الدراسة وكأنها تنحو إلى احتواء المضمون لذلك فإن هدف البحث هو الكشف عن البنية الدالة القابعة في ثنايا العمل الأدبي، حيث أنها تتوسط الإطار الفكري الذي يؤول إلى وعي ممكن ضمن إطار الأنساق البنائية للإبداع الأدبي، لذلك فإن الكشف عنها يقتضي إطار معرفياً ونقدياً معمقاً من أجل احتواء مختلف الأنساق الفكرية والأدبية والثقافية واللغوية التي تمثلها الجماعة الاجتماعية ومن ثم فإن الكشف عن النظام العلائقي الدلالي لها يستدعي: " البحث عن التصور والمخطط الأساسي للبنية الدالة يتطلب سيرا جدياً وكاملاً و مفعلاً للأفعال والوقائع الفردية التي تتم بعد صياغتها كقيم مجردة مطلقة مفهومية ونظرياً"<sup>1</sup>بمعنى أن تكوينية البنية الدالة قائمة على فعل الالتحام بين الإطار الفكري والإطار الفني المتمثل في مختلف الأنساق المعرفية والثقافية للزمرة

---

1/lucien goldman.le dieu cache.ed.gallimard.paris.p:111

الاجتماعية لذلك يبقى فعل التقابل بين البنيتين هو الذي يفضي إلى تشكيل البنية الدالة في النص الأدبي .

وعلى خلفية الأطر الفكرية النقدية السوسولوجية الجديدة، توصل "غولدمان" إلى تبني مفهوم فلسفي ونقدي لمساراته النقدية البنوية التكوينية، من ذلك مقولة رؤية العالم التي تمثل شكل من أشكال الوعي، القصى لدى طبقة اجتماعية معينة، لذلك فهو يشكل: "جوهر الظاهرة الاجتماعية التي يدعوها علماء الاجتماع الوعي الجماعي"<sup>1</sup> وبالمقابل فقد أخذ بعدا فلسفيا مع كل من: دلثاي، ولوكاتشن ذلك أن هذا الأخير خصه بقدرة: "إدراك المبدع لمشاكل حياته ومشاكل عصره بغريزة فنية"<sup>2</sup> لذلك فإن تشكلها في الأعمال الأدبية ينطلق من انصهار بعدين أساسيين في مسار فكري متميز هما: الاجتماعى منطلقا من الواقع المعيش، والثاني فردي منطلقا خيال المبدع بالإضافة إلى مختلف تطلعات وأحاسيس الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها والتي تؤثر في الفرد الكاتب المبدع بطريقة أم بأخرى"<sup>3</sup> وبناء عليه يمكن التأكيد على أن الإطار الفكري النقدي البنوي التكويني قد تجاوز بحق الأطر الفكرية النقدية التقليدية، ومن ثم فقد

---

<sup>1</sup>ibid.p:25

<sup>2</sup>فاطمة أزرويل. مفاهيم نقد الرواية بالمغرب. دار الفنك. المغرب. 1989. ص:173.

<sup>3</sup>ينظر: جمال شحيد. البنوية التركيبية. دارابن رشد. ط1. لبنان. ص:38.

تبلورت هذه الرؤية الفكرية النقدية السوسيولوجية الجديدة التي ساهمت في بناء مسارات نقدية جديدة واكبت التحول النقدي الذي تشهده الحركة النقدية الأدبية المعاصرة من خلال إعادة قراءتها لمختلف أصول الفلسفة الماركسية المادية الجدلية التي أفرزت فكريا نقديا سوسيولوجيا جديدا استطاع أن يحتوي الأدب في كل مساراته الفكرية والأدبية.

### الخاتمة

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج لعل من أهمها:- يمكن أن تؤكد على الحضور المتميز للإطار الفكري النقدي الاجتماعي ضمن مختلف مجالات الدراسات النقدية الأدبية حيث أفضى إلى طرح الكثير من النظريات والاستراتيجيات والمناهج النقدية الأدبية الاجتماعية، لذلك فهي ضمن هذا الإطار تحتاج إلى إعادة فهمها وتفسيرها ومن ثم تأويلها من أجل تبني رؤية فكرية نقدية صلبة مثلها مثل التي قامت بداءة على فكرة المحاكاة التي أفضت إلى الانعكاس لمختلف الفلسفات والعقائد والإيديولوجيات التي اعتبرت أن الإبداع الأدبي والنقدي هو تمثل لحقائق سوسيو تاريخية وسوسيو ثقافية، ومن ثم فإن رهان الفكر النقدي الاجتماعي الجديد متمثلا في محاولة استخلاص لأطر سوسيو بنيوية تفضي للكشف عن الأنساق الفكرية والأدبية للإبداع الأدبي وهو ما يسعى الفكر النقدي المعاصر التأكيد عليه بطريقة أم بأخرى.

- أن مرجعيات الخطاب الفكري النقدي الأدبي قائمة على تصورات فلسفية، واقعية/ماركسية و أخرى بنيوية/نصية

- أن رهان الفكر النقدي الاجتماعي الجديد تمثل في محاولة استخلاص لأطر سوسيو بنيوية أفضت للكشف عن الأنساق الفكرية والأدبية للإبداع الأدبي

- أن الفلسفة النقدية الجدلية الماركسية الجديدة، نهضت على أساس تبني نقد بنيوي تكويني أجناسي ماركسي جديد، أصله كل من: لوكاتش وغولدمان ومن جاء بعده.

### المصادر والمراجع:

1: سمير حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية والتطبيق، دار الآفاق

العربية. القاهرة. ط. 1. 2007.

2: حميد لحميداني، النقد الروائي و الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، ط: بدون، 1993.

3: عمار بلحسن، الأدب والإيديولوجيا، المكتبة الشعبية، الجزائر، الطبعة: بدون، تاريخ: بدون.

4: سيد بحرأوي، علم اجتماع الأدب، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1994.

5: محمد خرماش، إشكالية المنهج في النقد المغربي المعاصر، مطبعة انفو، المغرب،

الطبعة: الأولى، 2001.

6: عبد الرشيد الصادق محمودي، لنين ناقد التولستوي،

م.فصول.م. 5.ع.3. القاهرة. 1996.



- 7: سليم بركان، النسق الإيديولوجي وبنية الخطاب الروائي، منشورات جامعة الجزائر ، 2004.
- 8: عمار بلحسن، ما قبل بعد الكتابة حول الإيديولوجية، م.فصول.المجلد.5.ع.4.القاهرة.1989.
- 9: أحمد سالم ولد أياه، البنيوية التكوينية و النقد الأدبي، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، الطبعة : الأولى، 2005.
- 10: جورج بليخانوف، الفن والتصور المادي للتاريخ، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1989.
- 11: جابر عصفور، نظريات معاصرة، مكتبة الأسرة، القاهرة، الطبعة الأولى، ، 2007.
- 12: عبد الله أبو هيف، النقد العربي الجديد، مركز الإنماء العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001.
- 13: فاطمة أزرويل، مفاهيم نقد الرواية بالمغرب، دار الفنك، المغرب، الطبعة: بدون، 1989.
- 14: جمال شحيد، البنيوية التركيبية، دار ابن رشد، لبنان، الطبعة: الأولى، 1981.
- 15 lukacs.george.therie du roman.seuil..preface.paris.1964
- lucien goldman. pour une sociologie du ..Gallimard.1969.
- 17roman.ed
- 18lucien goldman.le dieu cache.ed.gallimard.Paris.1973.

## قراءة في فلسفة الحب عند ابن حزم

إعداد: د. مريم خليفة المبروك\*

## المقدمة :

الحب عاطفة إنسانية نبيلة يشترك فيها الناس بحكم الفطرة ، تعادل في مفهومها معنى الحياة ، وقد ذهب الكثير من الفلاسفة إلى اعتبارها فضيلة الفضائل ، لأنها تتطوي على قيمة أخلاقية عظيمة هي " الإرادة الخيرة " ولهذا كان الحب أكمل الخلال ، وأعلى صفات الكمال ، لأن في جوهره قرب واتصال وإثبات وإحياء وبناء ، حتى وإن كانت كلمة الحب تتطوي على دلالة عاطفية وجدانية ، إلا أنها في الأصل ميل إيجابي ونزوع عملي يتجلى في تحول الاهتمام من الأنا إلى الأنت ، وبالتالي الحب هو نية واتجاه وسلوك . فالحب يكسب الوجود البشري اتجاه ، وقصدا ، وغاية ، فيخلع عليه بذلك عمقا ومعنى ، وقيمة ، بل يوصف الحب بأنه أعمق تجربة ميتافيزيقية عرفها الإنسان ، وهذه التجربة جوهرية حية أساسية في وجود كل فرد منا .

وإذا كان الحب هو شغل الناس جميعا منذ بدء الخليقة لأنه الفضيلة الإيجابية والقيمة الإنسانية النبيلة ، بل هو الحياة واستمرارها ، وقد عبر عن تلك الحقيقة ذاتها الفلاسفة والمفكرون بل الأدباء والشعراء ، وابن حزم الفقيه والمؤرخ والأديب والفيلسوف من بين الكثيرين الذين حاولوا تحديد ملامح هذه العاطفة وتتبع مسارها وإظهار كيفية أعراضها

\* عضو هيئة تدريس بجامعة سرت / كلية الاداب/ قسم الفلسفة

واشتغالها من خلال ما طرحه في كتابه " طوق الحمامة " والذي يعده الكثير من المفكرين والفلاسفة مرجعية حقيقية في هذا الموضوع .

وعلى الرغم من أن ابن حزم ليس أول من كتب في الحب من أدباء وفلاسفة العرب ، فقد سبقه إلى ذلك " الجاحظ " في رسالته العشق والنساء . ( وأبو بكر محمد بن داوود الاصفهاني ) في كتابه الزهرة . ( وإخوان الصفا ) في بعض رسائلهم (رسالة ماهية العشق). وأبو الفرج عبد الرحمن الجوزي في كتابه ( ذم الهوى ) . وابن القيم الجوزية في كتابة روضة المحبين ونزهة المشتاقين . إلا أن ابن حزم قد فاق كل هؤلاء في دقة منهجه وتسلسل أفكاره ، وترابط بحثه ورقة حسه ، وأتباعه منهاجا إستقرائيا فجاءت رسالته ( طوق الحمامة ) حافلة بالملاحظات النفسية الدقيقة ، والخبرات الحية المعاشة ، أو بتعبير أدق أن ما قدمه ابن حزم في طوق الحمامة يعتبر نظرية متكاملة عن الحب .

ومن هنا تأتي أهمية الدراسة أنها ترصد النظرة الفلسفية والواقعية للحب عند ابن حزم مع مقارنته ببعض السابقين وعليه واللاحقين له من الفلاسفة والمفكرين ، وذلك لتقييم إسهاماته الفكرية في هذا المجال . فقد استطاع ابن حزم أن يرسم صورة مميزة للحب والمرأة في ظل الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس .

**والهدف من هذه الدراسة** إبراز معالم نظرية الحب وأبعادها ، من خلال رسالته الموسومة طوق الحمامة ، وذلك بتحديد مفهوم الحب وأعراضه ، ومظاهره ، وإبراز صورته الخيرة ، المقابلة لصورته القبيحة المنفرة ، وبيان التغيرات الحاصلة في الحب والمحبوب ، ومدى مراعاتها للحدود المرسومة من الدين والأخلاق ، والأعراف ، والنظام الاجتماعي .

وتتضح أهداف الدراسة وأهميتها على ضوء حقيقة مهمة وواقعية ، وهي أن الدراسات في هذا المجال في ثقافتنا العربية لم تحظى بالعناية والاهتمام من قبل الباحثين ، ويبدو لي أن نقص الكتابة في هذا المجال تقليد قديم في الفكر العربي الإسلامي ، ومن هنا يكتسب البحث أهميته العلمية ، حيث يقوم جانباً من جوانب الفكر الفلسفي في تراثنا الإسلامي على ضوء العقيدة الإسلامية ، وفي إطار فكري معاصر .

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التحليلي المقارن الذي يقوم على تحليل كافة الآراء المتصلة بالموضوع ومقارنتها، مع الالتزام التام بالموضوعية باعتبارها شرط أساسي أما عن الإشكالية التي تطرحها الدراسة هي : هل كان طرح موضوع الحب عن ابن حزم بمثابة كشف المستور عن كثير من الانحرافات الأخلاقية التي كانت تمارس باسم الحب في عصره ، أم أنه كان انعكاساً لتجربة ذاتية مر بها ابن حزم شخصياً أم كلاهما معا ؟ وهذه الإشكالية يتفرع منها تساؤلات عدة منها ما هو مفهوم الحب عند ابن حزم ؟ وما هي أهم أعراضه وأسبابه ؟ وما هي أهم أبعاده ؟ وغيره من التساؤلات التي يحاول البحث الإجابة عليها من خلال دراسة المسائل التالية :

أولاً : مفهوم الحب في اللغة والاصطلاح

ثانياً : ماهية الحب عند ابن حزم .

ثالثاً : نشأة الحب ( أطرافه . أعراضه . أنواعه . آفاته ) .

رابعاً : الأبعاد الخلقية والجمالية والحسية والمعرفية لنظرية الحب عند ابن حزم .

أولاً - مفهوم الحب في اللغة والاصطلاح:

**الحب لغةً** نقيض البغض، وهو الوداد، والمحبة، والميل إلى الشيء السار، والغرض منه إرضاء الحاجات المادية أو الروحية، وهو مترتب على تخيل كمال في الشيء السار أو النافع يفضي إلى انجذاب الإرادة إليه، كمحبة العاشق لمعشوقه، والوالد لولده، والصديق لصديقه، والمواطن لوطنه. وقد يكون الحب ناشئاً عن عامل غريزي، أو عامل كسبي، أو عامل انفعالي مصحوب بالإرادة، أو عامل إرادي مصحوب بالتصور، وهو على كل حال لا يخلو من التخيل. وأظهر أشكاله الحب الحسي، وله درجات مختلفة، أولها الموافقة، ثم المؤانسة، ثم المودة، ثم الهوى، ثم الشغف، ثم التيم، ثم الوله، ثم العشق<sup>(1)</sup> وأيضاً الحب ميل في الشيء الملد، فإن تأكد الميل وقوي يسمى عشقاً، والعشق مقرون بالشهوة، والحب مجرد عنها، لذلك هناك فرق بين الحب الشهواني، والحب العذري "الأفلاطوني"، فالحب الشهواني حب أناني غايته نفع المحب لذاته وإرضاء رغائبه ومآربه، وشهواته. أما الحب العذري كما تسميه العرب فهو حب محض مجرد من الشهوة والمنفعة، وله درجتان: درجة الرضا واللفظ ودرجة الإحسان والرحمة.

ويطلق اصطلاح الحب الخالص على حب العبد لله تعالى لذاته لا لمنفعة، أو خوف، أو أمل، بل لمجرد ما يتصور في الحضرة الربانية من الجمال والكمال<sup>(2)</sup>.

(1) راجع جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1 (بيروت، دار الكتاب العربي، 1982)، ص 439 - 441.

(2) المصدر السابق، ج1، ص 441، 442. راجع عبد المنعم حنفي: المعجم الفلسفي، ط1 (مصر، الدار الشرقية، 1990)، ص 90.

أما الحب اصطلاحاً فقد تعددت معانيه ، فنجد أفلاطون يصف الحب بأنه انجذاب نحو الخير الكلي فيرى منه إليها عظيماً تمتد قدرته إلى كل مكان ويطوى تحت جناحيه كل شيء<sup>(1)</sup>، وأيضاً الحب هو الترفع عن شوائب الحب والمادة والسمو إلى نورانية الروح ، فالحب شوق يدفع إلى الحصول على المعرفة والخير والجمال<sup>(2)</sup>، ويرى أرسطو الحب : بأنه عشق وانجذاب للمحرك الأول<sup>(3)</sup> ، أما ابن سينا فيرى أن لكل واحد من الموجودات المدبرة شوقاً طبيعياً وعشقا غريزياً وإن هذا العشق هو سبب وجود الموجودات كلها<sup>(4)</sup>، وعند أخوان الصفا فالحب أو العشق هو شدة الشوق للاتحاد بين النفوس<sup>(5)</sup>، وإمتزاج الروح بالروح . أما الغزالي فيرى الحب بأنه توتر باطني نحو كائنات خارجية ونحو اكتشاف الذات لذاتها فلا محبة إلا بعد معرفة وإدراك<sup>(6)</sup>.

- 
- (1) نقلاً عن المهدي احمد جحيدر : القيم الأخلاقية بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي ، ط1 (طرابلس ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، 2010م) ، ص 257.
- (2) أحمد فؤاد الأهواني : الحب والكراهية ( القاهرة ، دار المعارف ، د.ت ) ، ص 1 - 11.
- (3) نقلاً عن المهدي احمد جحيدر : القيم الأخلاقية بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص257.
- (4) سهير أبو وافية : الفلسفة الإنسانية في الإسلام ، ( القاهرة ، المكتب المصري للخدمات العلمية ، 1990م)، ص 243.
- (5) راجع إخوان الصفا : رسالة في ماهية العشق ، ضمن رسائل إخوان الصفا ، تصحيح خير الدين الزركلي ، (المطبعة العربية بمصر ، 1928م) ، ج3 ، ص 272.
- (6) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، (القاهرة ، مكتبة الشعب ، 1969م) ، ص 76.

ولقد تعددت الأساليب واللغات التي تناولت تجربة الحب مما أفضى إلى نوع من البلبلة الفكرية في فهم الدلالة الإنسانية لخبرة الحب، حتى صار التفاهم مستحيلاً أو شبه مستحيل بين الشاعر، وعالم الأخلاق، وعالم الاجتماع، والمتصوف في حين أنهم جميعاً يتحدثون عن شيء واحد بعينه هو ما درج على ما انفقوا على تسميته باسم الحب. فمثلاً اللغة الشعرية تربط الحب بالجمال وتنتزع تجربة الحب من محيطها العادي، لكي تسمو بها إلى عالم لا واقعي تصبح فيه غانية الشاعر ملكاً سحرياً لا ككل النساء، وتصير فيه تجربته الخاصة خبرة فريدة لا مثيل لها في عالم الحب، والشاعر يغذي حبه بالآلام، فيحدثنا عن الفراق، والبين والحنين، والحزن، والزمان والماضي، والموت ... الخ. والسمة الخاصة التي تميز اللغة الشعرية هي سمة المبالغة أو الإسراف في التعبير.

أما اللغة الأخلاقية في الحديث عن الحب إنما هي لغة الحلال والحرام، والمباح وغير المباح، والغريزة والجسد، أو الفساد والانحلال ... الخ.

أما اللغة الاجتماعية في الحديث عن الحب فهي لغة أولئك الذين لا يرون في الحب سوى سلوك اجتماعي يضطلع به كائن مدني لا يملك إلا أن يعيش في جماعة. وتبعاً لذلك فإن الناطقين باللغة الاجتماعية لا يجدون أدنى صعوبة في ربط الحب بالزواج، والنسب، والوراثة، والمحارم والعائلة، والأبناء وصلة الأرحام، واستمرار العلاقة بين السلف والخلف.

أما اللغة الصوفية في الحديث عن الحب، فأصحابها يرون أن تذوب الذوات الفردية وتندمج في حقيقة عليا تستوعب كل الموجودات في الذات الإلهية، فالحب عندهم أن تتنكر الذات الفردية وتتخلى عن ذاتيتها حتى تتحد بالكل التي هي جزء منه<sup>(1)</sup>.

ومهما يكن من تعدد لغات الحب، يبقى الحب بكل لغاته هو الدافع الأساسي للإنسان في التواصل والبقاء، ويبقى الحب هو البحث الأبدي الذي لا يتوان الإنسان عنه، فهو سبب وجوده.

### ثانياً: ماهية الحب عند ابن حزم:

ناقش مفكرنا الحب في كتابه "طوق الحمامة" باعتباره حالة أو وضعاً إنسانياً له القدرة على تغيير الإنسان المحب لحظة الحب، وبعد التجربة، إذ لا بد أن يخرج المحب بنوع جديد من الخبرة الخلقية. فقد بين ابن حزم، في حديثه عن الحب، التغييرات الحاصلة في المحب والمحبوب، ومدى مراعاتها للحدود المرسومة من الدين، والأخلاق، والنظام الاجتماعي، فإذا تعدى التغيير هذه الحدود فإن للحب عندئذ آثاراً أخلاقية سلبية. أما إذا كان التغيير داخل هذا الإطار فمعنى ذلك أن الحب تجربة إيجابية. ورغم اهتمام ابن حزم بتحليل الجانب السلوكي في الحب، فقد كان حريصاً على إبراز أهمية العناصر الخلقية

(1) لمزيد من التفصيل راجع زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، ط2 (القاهرة، دار مصر للطباعة، د.ت)، ص 26 وما بعدها، راجع: يوسف ميخائيل أسعد: الحب والكراهية (مصر، مكتبة غريب، د.ت)، ص 57 وما بعدها.



فيه، فالسعادة مرتبطة بتمسك المحب بالقيم الخلقية. فكلما زاد هذا التمسك شدة، زادت القيمة الخلقية لهذه التجربة<sup>(1)</sup>.

## 1- تعريف الحب عن ابن حزم:

بداية يستهل ابن حزم، في صدر كتابه، الحديث عن جلال الحب وقداسته، فيقول: "الحب أعزك الله - أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالته عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة ولا بمحذور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل"<sup>(2)</sup>. يشير هذا النص إلى ثلاث نقاط هامة، حاول ابن حزم توضيحها للكثيرين من معاصريه، الذين عابوا عليه - وهو الإمام الفقيه - التعرض لدراسة موضوع الحب، وهي: الأولى: أن ابن حزم كان متوجساً أن يقع في ظن البعض أن الحديث عن الحب هو حديث عن الفاحشة والشهوة والجنس، لذلك حرص على إبراز قدسية تلك العاطفة النبيلة، خصوصاً وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثيرون<sup>(3)</sup>.

أما الثانية: هي جدية قضية الحب عند ابن حزم، وتأكيدده على أن الحب خبرة وتجربة واقعية معاشة، وليست قولاً أو هزلاً، وكأن لسان حاله يقول لا تتخدعوا ولا

(1) حامد الدباس: فلسفة الأخلاق والحب عند ابن حزم (لندن، دار الحكمة للنشر والتوزيع، 1993)، ص 166.

(2) ابن حزم: طوق الحمامة، تحقيق: الطاهر مكي، ط6 (القاهرة، دار المعارف، 2001)، ص 19.

(3) زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، مرجع سابق، ص 292.

تستهينوا بالأمر فالقضية جادة؛ لغرابتها وجلالتها في الوقت نفسه. لأن معناها صعب أن يوصف أو يحدد، ولا يتسنى ذلك، إلا إذا عشناها وعانينا منها. فابن حزم يستند، في حديثه عن الحب، إلى تجربته الخاصة، ولعل هذه الخاصة هي ما يميز مؤلفه "طوق الحمامة" عن باقي المؤلفات التي كتبت في الحب.

**والنقطة الثالثة والأخيرة هي تنزيه هذه العاطفة النبيلة وإزالة الغموض واللبس حولها، وإخراجها من دائرة الذم العرفي والإثم الشرعي.** فالحب عنده ليس بمنكر في الديانة، ولا هو بمحظور في الشريعة.

بعد أن أوضح ابن حزم النقاط الثلاث الهامة المشار إليها آنفاً في الدفاع عن الحب وإجلاله وتقديسه، يعرف الحب بقوله: "اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع"<sup>(1)</sup>. ولا شك أن هذا التعريف يذكرنا بحديث أفلاطون المشهور عن الأيروس في محاورة المأدبة - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - خصوصاً وأن ابن حزم يستطرد بعد ذلك فيقول إن المحبة "استحسان روحاني وامتزاج نفساني" ولكن ابن حزم لا ينص على الأصل اليوناني لهذه الفكرة أو النظرية، بل يحاول ردها إلى الآية الكريمة التي تقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾<sup>(2)</sup>. فجعل علّة الكون أنها منه وسبب الحب هو اتصال النفوس في أصل عالمها العلوي وحجة ابن

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 21.

(2) سورة الأعراف، آية 189.

حزم في ذلك أنه لو كانت علة الحب هي جمال المحبوب، أو حسن الصورة الجسدية لما كان المحرومون من الجمال أو ناقصو الصورة موضوعاً للحب، في حين أن التجربة شاهدة على أن كثيراً من المحبين قد يتعلقون بالأدنى، وهم يعلمون فضل غيره، دون أن يجد الواحد منهم محيداً لقلبه عنه. فلا بد إذن من أن يكون الحب شيئاً في ذات النفس، وأن يكون سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال<sup>(1)</sup>.

فالانقسام من الأصل هو السبب البعيد للتقرب، أما وقوع الحب، فناتج عن القرب أو البعد، بين الأفراد بعد حلول النفوس في الأجساد، أو الاتصال والانفصال، فحالة تذكر النفس لا يقويها ولا يضعفها، إلا القرب أو البعد، لذا يعتبر ابن حزم أن النفوس المقسومة في أصل الخليقة في شوق دائم إلى الاتصال بعضها ببعض. إذ أن النفوس في أصلها متصلة غير منفصلة وهي أجزاء من النفس الكلية. يتفق القول بالوجود السابق للنفوس وتشابهها وامتزاجها مع ما ورد عند أفلاطون في المأدبة، حيث تحدث عن إنقسام النفس شطرين، وأن كل شطر قد التقى مع نظيره، فحدث بينهما الحب<sup>(2)</sup>. وأيضاً يتفق إلى حد كبير مع ما ذكره ابن داود في تحليله للحب - كما أشرنا أيضاً - حين تحدث عن فكرة

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 21.

(2) راجع أفلاطون: المأدبة، ترجمة: وليم الميري (القاهرة، دار المعارف، 1965)، ص 43

الأكر المقسومة<sup>(1)</sup>. فالحب إذن عند ابن حزم هو اتصال بين أجزاء النفس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع.

## 2- المشاكلة في الحب:

تعد أساس نظرية الحب عند العرب، فهي علة أولية أزلية يتسبب عنها الوقوع في الحب، وقد استمسك بها صاحب كتاب الزهرة (أبو داود) وجعلها أصلاً للوقوع في الحب واستند إليها في تفسير عدد من المواقف المتصلة بالحب في كتابه، وأرجعها إلى العامل الفلكي حيث تتحكم الأبراج في اتفاق الأرواح وتشاكلها، فلا يجد المرء بدءاً من أن يحب صاحبه<sup>(2)</sup>. وإلى مثل هذا ذهب ابن حزم إلى أن الحب يقوم على التشاكل، إذ يقول: "إنك لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة"<sup>(3)</sup> إلا أن ابن حزم لا يرجعها إلى العامل الفلكي كما ذهب ابن داود، بل أرجعها إلى السبب الميتافيزيقي. حيث اتصال النفوس التي تشابهت في أصل خلقها في الأزل. يقول ابن حزم: "قد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات، إنما هو الاتصال، والانفصال، والشكل دأباً يستدعي شكله والمثل إلى مثله ساكن، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد. والتنافر في الأضداد والموافقة في الأنداد والنزاع فيما تشابه موجود، فيما بيننا فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي، الخفيف،

(1) راجع: أبو بكر بن داود: الزهرة، تعليق: خالد محي الدين البرادعي (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1992)، ج1، ص 48.

(2) راجع: أبو بكر بن داود: الزهرة، ج1، ص

(3) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 23.

وجوهرها الصعاد المعتدل، والميل والتوق والانحراف والشهرة، والنفار، كل ذلك معلوم بالفطرة في أحوال تصرف الإنسان، فسكن إليها<sup>(1)</sup>. الحب إذن استحسان روحاني، وامتزاج نفساني، فيه تتمازج النفوس، فإذا حلت هذه النفوس في الأجساد، بقيت كل واحدة منها تحمل صفاتاً من الأخرى، وهذا الارتياح الناجم عن الامتزاج، والتشابه في الصفات يدعوها إلى نوع من التذكر لما كانت عليه من سعادة وما هي فيه من آلام في هذا الجسد. فتشتاق إلى ذلك الحال. فالحب بهذا المعنى لا يقع إلا ولكل محبوب صفة في الآخر توافقه<sup>(2)</sup>. أي مشاكلة واتفاق الصفات الطبيعية لابد في هذا وإن قل، وكلما كثرت الأشباه زادت المجانسة وتأكدت المودة. وقد استند ابن حزم في قوله هذا إلى ما جاء في الحديث النبوي: "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"<sup>(3)</sup>. فالتعاون يكون عن مناسبة قديمة وتشارك سابق.

وقد تابع ابن القيم رأي ابن حزم في أن المحبة تقوم على المشاكلة إذ يقول: "إن التناسب بين الأرواح من أقوى أسباب المحبة فكل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، وهذه المناسبة: نوعان: أصلية من أصل الخلقة، وعارضة بسبب المجاورة أو الاشتراك في أمر

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 21.

(2) فهمي عودة: نظرية التراث "داعي المشاكلة في نظرية الحب عند العرب"، ط1، (عمان، دار الشروق، 1985م)، ص 139 وما بعدها.

(3) مسلم بن الحجاج القشيري: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، حديث رقم 2638، باب الأرواح جنود مجندة، ج4، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ص 2031.

من الأمور .. فأما التناصب الطبيعي فهو اتفاق أخلاق وتساكل الأرواح، وشوق كل نفس إلى مشاكلها، فإن شبيه الشيء ينجذب إليه بالطبع، فتكون الروحان متشاكلتين في أصل الخلق، فتتجذب كل منهما إلى الأخرى بالطبع<sup>(1)</sup>.

فالحب إذن في هذا العالم لا يوجد إلا بين أصحاب النفوس المتحاببة المتشاكلية، لكن الحب أو البغض قد يقع - في الواقع - من طرف واحد أحياناً، كما نرى أن يحب الإنسان من لا يحبه، فكيف نفس ذلك؟ يجب ابن حزم على ذلك بأن نفس الذي لا يحب من يحبه محجوبة بالطبائع الأرضية، فحلول النفس في الجسم قد أنساها أشياء كثيرة مما كانت تتحلى به، فالجسم أرضي جاهل، وهذا لا بد أن ينعكس على النفس، فيكون كالحجاب، وقد يقع النسيان لواحد من المحبين دون الآخر، فيحب أحدهما الآخر بينما الآخر يكرهه، وقد يقع النسيان للاثنتين فلا يوجد الحب بينهما، وقد تبقى النفس نقية عند المحبين فيقع الحب عنيفاً.

يقول ابن حزم "إن نفس الذي لا يحب من يحبه، مكتنفه الجهات ببعض الأعراض الساترة، والحُجُب المحيطة بها من الطبائع الأرضية، فلم تحس بالجزء الذي كان متصلاً بها قبل حلولها، حيث هي ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة، ونفس المحب مخلصه، عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة طالبة له، قاصدة إليه، باحثة

(1) ابن القيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المتشاقين، ط2 (بيروت، دار الكتاب العربي،

عنه مشتبهة لملاقاته، جاذبة له لو أمكنها كالمغناطيس والحديد<sup>(1)</sup>. وهنا نلاحظ تأثيراً أفلاطونياً واضحاً في إجابة ابن حزم.

يتبين لنا مما سبق أن الحب لا يقوم بين اثنين متنافرين أو متضادين، وإنما يقوم بين اثنين متحابين متشاكلين، لأن الشكل يستدعي دائماً شكله، وكلما كثرت عناصر المشاكلة زادت المجانسة بين المتحابين. والسؤال هنا هو كيف تتم المشاكلة أو معنى آخر كيف يقع الشبيه على الشبيه؟

يجيب ابن حزم على ذلك بأن هذا يتم بفعل القوى الحسية، وأهمها النظر، فهو المفتاح الذي يدل على المشاكل، فتتعلق النفس بما يشابهها، فالنظر هو نقطة بداية انطلاق شرارة الحب، ومع هذا يبين ابن حزم أن الحب من نظرة واحدة لا يكفي لأن يكون حباً قوياً راسخاً، لاعتقاده بأن النظرة الواحدة الواقعة على استحسان جسدي مدفوعة من النفس الشهوانية بتأثير الغريزة المسيطرة التي تسوغ لطلبها ذلك الجسم بادعاء حبه<sup>(2)</sup>. يقول ابن حزم: "واني لأطيل العجب من كل من يدعي أنه يحب من نظرة واحدة، ولا أكاد أصدقه، ولا أجعل منه إلا ضرباً من الشهوة"<sup>(3)</sup>. لأن النظرة الواحدة دليل على قلة الصبر، ومخبر بسرعة السلو، وشاهد الطرافة والملل وهكذا في جميع الأشياء أسرعها نمواً أسرعها فناء، وأبطؤها حدوثاً، وأبطؤها نفاذاً لأنها تعني عدم وجود رابطة قوية وصفات مشتركة، بل

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 23.

(2) حامد الدباس: فلسفة الحب والأخلاق، مرجع سابق، ص 170.

(3) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 44

هي مجرد قلق جسماني يعكس رغبة دفينية. والحب الحقيقي ما كان معتمداً على النظر المرة تلو المرة، أي يحتاج إلى زمن متطول، ليستقر في النفس ويبلغ التعلق بقلبهما مداه. ويخبرنا ابن حزم عن نفسه وتجربته في الحب بقوله: "ما لصق بأحشائي قط إلا مع الزمن الطويل، وبعد ملازمة الشخص لي دهرًا وأخذى معه في كل جد وهزل"<sup>(1)</sup>.

ويكشف لنا ابن حزم هنا عن عقلية سيكولوجية ممتازة؛ لأنه يربط الحب بالزمان؛ وقيم العاطفة على تعدد التجارب وارتباطها بموضوع واحد، فيبين لنا كيف أن للاستقرار النفسي دوراً هاماً في تأصيل عاطفة الحب ودوامها<sup>(2)</sup>.

والظاهر أن خبرة ابن حزم الخاصة قد دلته على أن العشق السريع هو أقرب للشهوة منه إلى الحب، في حين أن العاطفة البطيئة التي تتكون على مر الأيام والسنين لا بد من أن تدوم وتثبت بعكس الشهوة العابرة أو المغامرة العاطفية الخاطفة.

**3- واحدية الحب** : ينكر ابن حزم فكرة التعلق بشخصين في وقت واحد، مؤكداً على واحدية الحب. إذ التعددية في الحب حليفة الشهوة، في حين أن الواحدية قرينة المحبة، ولهذا يقرر ابن حزم أن كل من يزعم أنه يحب اثنين، ويعشق شخصين متغايرين في آن واحد فقد اختلطت عليه المحبة بالشهوة، والشهوة لا تسمى حباً على الحقيقة، بل على سبيل المجاز<sup>(3)</sup>.

(1) المصدر السابق ، ص 43 - 44.

(2) زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، مرجع سابق، ص 297.

(3) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 45.



ومن الغريب أن يؤمن ابن حزم بواحدية الحب، في عصر كان العرف السائد يتيح فيه للرجل أن يحب ويقتني ما شاء من الجواري، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على وفاء ابن حزم وولائه لمن يحب، ولهذا بقى ابن حزم في تصويره لعاطفة الحب، "واحدياً" لأن حالة الحب الفردي العميق علاقة صحيحة صادقة تقوم على التبادل المطلق بين اثنين فقط، ولابن حزم في ذلك أبيات جميلة.

يقول فيها:

كذب المدعي هوى اثنين حتماً	مثل ما في الأصول كذب ماني
ليس في القلب موضع لحبين	ولا أحدث الأمور بثاني
فكما العقل واحد ليس يدري	خالقاً غير واحد رحمان
فكذا القلب واحد ليس يهوى	غير فرد مباعد أو مدان <sup>(1)</sup>

فالإيمان بواحدية الحب عنده ثابت لا يتزعزع سواء كان ذلك في الحب أو في المعتقد أو في الدين، من أجل هذا يستتكر ابن حزم التقلب والتأمل في الحب، ويحمل بشدة على القائلين بإمكان الجمع بين حب اثنين أو أكثر في آن واحد.

ولقد تابع ابن القيم ابن حزم في القول بواحدية الحب وانفراد الحبيب بالمحبة، وجعل ذلك "من موجبات المحبة الصادقة وأحكامها.. [لأن] قوى الحب متى انصرفت إلى

(1) المصدر السابق ، ص 46.

جهة لم يبق فيها متسع لغيرها، ومن أمثال الناس: ليس في القلب حبان، ولا في السماء ريان<sup>(1)</sup>. وهو يرى أن المحبة لشخص واحد، تؤدي إلى تركيز الحب وتقويته، وتفرقه يؤدي إلى ضعفه، وهذا يؤدي إلى سلب الحب صفاته الأساسية وهي الصدق والقوة، لأن من "المستحيل أن يوجد في القلب محبوبان لذاتهما"<sup>(2)</sup>. فإن الحب يكون عندئذ مبادرة إلى لذة، وسعي وراء شهوة، لكن هذا المفهوم الواحدي للحب لدى ابن حزم، لا يعني مطلقاً بقاء الإنسان طوال حياته مرتبطاً بالمحبيب، ففكرة المجاورة والاتصال تستوعب إمكان وجود أكثر من مشاكل، لكن سيطرة أحد المشاكليين يغطي على غيره وإذا ما تعرض المحب إلى حالة الفقد خاصة، فإنه يبحث عن مشاكل ثانٍ أي عن حب ثانٍ. وقد عبر ابن حزم عن هذا المفهوم تعبيراً شخصياً، فهو قد أحب الجارية "نعم" التي ملكت عليه قلبه وتزوجها، وعندما توفت تألم جداً لفقدائها، وبقي حتى زمن بعيد يتحدث عن نفسه متسماً "وعلى ذلك ما سلوت حتى الآن"<sup>(3)</sup>. ورغم ذلك الحب العنيف الذي جعله سبعة أشهر لا يتجرد من ثيابه. فقد بحث عن حب ثانٍ على تلك الجارية التي أطبق وصف جمالها قرطبة<sup>(4)</sup>. وكل هذه الأحوال تعبر عن إمكان تكرار تجربة حب عنيف ثانٍ في حالة فقدان الحب الأول لظرف من الظروف.

(1) ابن القيم: روضة المحبة ونزهة المشتاقين، مصدر سابق، ص 288

(2) المصدر السابق، ص 292.

(3) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 124.

(4) المصدر السابق، نفس الصفحة. راجع: حامد دباس: فلسفة الحب والأخلاق، مرجع سابق،

## 4- الحب بين الاختيار والاضطرار:

هناك مسلمة ميتافيزيقية في الحب، طالما تعرض لها العشاق العذريون، وهي "اعتقاد [هؤلاء] العشاق أنهم مسيرون في أفعالهم وتصرفاتهم بقدرة خارقة لا حول لهم ولا قوة في ردّها أو السيطرة عليها، وهم يصورون قوة العشق الخارقة على أنها قدر محتوم، أو طاقة سحرية تنفذ وتسلبهم إرادتهم فلا يستطيعون الإتيان بشيء في سبيل ردّها، أي يعتبرون أنفسهم مسحورين مفتونين، فترفع عنهم اللوم في جميع أعمالهم، وترفع عنهم المسؤولية في كل ما يفعلونه، باعتبارهم مجبورون لا مخيرون"<sup>(1)</sup>.

ينظر ابن حزم إلى هذا الأمر على أنه شكل من الجبر والاضطرار يتحقق في الوقوع في الحب لا في استمراره، يعني أن الإنسان مفطور على الحب وعلى استحسان الجمال، ومن الطبيعي أن يتمكن الحب من قلبه. وقد عبر عن هذا المعنى في مواضع متفرقة من كتابه، فيقول: "وأما استحسان الحسن وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه، إذ القلوب بيد مقلبها... والمحبة فخلقة"<sup>(2)</sup>. وفي ذلك أيضاً قوله: "اعلم أعزك الله أن للحب حكماً على النفوس ماضياً، وسلطاناً قاضياً، وأمرأ لا يخالف، وحدأ لا يعصى، وملكأ لا يتعدى، وطاعة لا تصرف، ونفاذاً لا يرد..."<sup>(3)</sup>. فليس بإرادة المحب ولا باختياره

(1) صادق جلال العظم: في الحب والحب العذري، ط3 (بيروت، دار العودة، 1981م)، ص 97-98.

(2) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 60.

(3) المصدر السابق، ص 47.

أن يقع في الحب، بل هو أمر خارج عن إرادته، ولا بد لمن يقع فيه، ولا حيلة له، أي أن التشاكل أمر خارج عن اختيار الإنسان وإرادته، ولكن مع تسليم ابن حزم بدعوى الاضطرار هذه، إلا أنه لا ينكر الجانب الاختياري في الحب حيث يحمل الإنسان مسئولية ما يقع فيه من الحب والعشق، فالمحب يملك ذاته، ويتحكم في حركات جوارحه المكتسبة، فلا يأتي الرذيلة ويتمسك بالفضيلة ما أمكنه ذلك - ودليل ذلك أن ابن حزم أفرد باباً للتعفف - فالأمر ليس قدراً وجبراً مطلقاً كما ظن العشاق العذريون أن أفعالهم خارجة عن استطاعتهم، فتصبح التجربة محكومة بقوة فوق إنسانية فلا يمكن والحالة هذه أن يصل الإنسان إلى خبرة محدودة<sup>(1)</sup>. وهذا يتفق مع نظرة ابن حزم للفعل الإنساني في نظرية الكسب، أنه فعلاّن أحدهما تابع لنظام الطبيعة المخلوقة من الله، ويسري على هذا الفعل قدر الله بالتسيير، وفعل خاص بالإنسان أي الكسب، فالإنسان له قدرة على إتيانه والامتناع عنه.

ثانياً: نشأة الحب (أطرافه - أعراضه - أنواعه - آفاته):

إن لتجربة الحب الإنساني أطرافاً يساهم كل طرف منها بنصيب في إيجاد هذه التجربة وهذه الأطراف هي:

أ: المحب : وهي نقطة الانطلاق الأساسية في هذه التجربة، ومشاعره إما أن تقابل بالرفض أو القبول.

(1) حامد الديباس: فلسفة الحب والأخلاق، مرجع سابق، ص 181 وما بعدها.

**ب: المحبوب:** هدف الفعالية، ويتميز عن المحب بأن في استطاعته حرية المشاركة في هذه التجربة، بعكس المحب فينقاد في الغالب، وإلى هذه التجربة غير مختار، فإذا كان المحبوب نقي الصفات موافقها، فإنه يسعى ليرتبط مع المحب، وإلا فإنه يرفض وينعكس ذلك سلباً على المحب وحده.

**ج: رابطة الحب ذاتها:** وهي الفعالية التي تركز في داخل المحبين، ويمكن دراستها أو قياسها من حيث الكيف، هل هي قوية أم ضعيفة؟ صادقة أم كاذبة؟ عفيفة أم غير عفيفة؟

**د: الظروف المحيطة بالفعالية ،** كالوسط الاجتماعي، وثقافة المجتمع السائدة، والمحيطين بكل من المحب والمحبوب، كناصرين والساعين من الإخوان والسفراء... أو العكس من ذلك كالوشاة والنمامين والعدال... وأهمية هؤلاء جميعاً نابعة من كونهم جزءاً لا يتجزأ من هذه التجربة، ذلك أن المحبين ليسوا منقطعين عن الآخرين. فالحب تجربة اجتماعية تقع ضمن مجتمع، ويؤثر عليها موقف هذا المجتمع ونظرتيه إليها<sup>(1)</sup>. ومن خلال هذه الأطراف يتحدث ابن حزم عن نشأة الحب وبيدائته بالتفصيل، فيعقد فصلاً يسميه "باب التعريض بالقول" يتحدث فيه عن أساليب المحبين المختلفة في الإعراب عن حبهم، ثم

(1) راجع: إحسان عباس: دراسة في الحب عند ابن حزم (تونس، مجلة شؤون عربية، مايو 1981م)، العدد 3، ص 134-162. راجع أيضاً: سالم يفوت: الأسس الميتافيزيقية لنظرية الحب لدى ابن حزم (المغرب، مجلة تكامل المعرفة، عدد مزدوج 7 - 8 - 1983م)، ص 12 - 32. راجع: حورية خليفة ميلود: الحب بين ابن حزم وابن فارض، ص 103 وما بعدها.

يتبعه بفصل آخر يسميه "باب الإشارة بالعين" يتحدث فيه عن لغة العيون وإشارات الأخطار! فيقول: "واعلم أن العين تنوب عن الرسل، ويدرك بها المراد والحواس الأربع أبواباً إلى القلب ومنافذ إلى النفس، والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعاها عملاً. وهي رائد النفس الصادق ودليلها الهادي، ومرآتها المكشوفة التي بها تقف على الحقائق، وتميز الصفات، وتفهم المحسوسات. وقد قيل ليس المخبر كالمعاین" (1)

ومع بداية نشأة الحب تتغير تصرفات وسلوك المحب عما كانت عليه قبل الحب، إذ يصبح سلوكه موجهاً نحو التكيف مع الشعور الجديد الحادث، إذ يساق المحب إلى هذا الشعور برغبة قوية يشعر بغرابتها أحياناً. وتبدأ مرحلة التغيير مع ظهور علامات الحب الأولى، حيث يسعى المحب إلى تطويع نفسه لتوافق مراد المحبوب، بتثبيت حالة "الانجذاب" واعتماداً على حالة "السرور" التي يشعر بها المحب تجاه الحالة القائمة، فإنه ينزع إلى تحقيق أكبر درجة من التوافق مع المحبوب، فالردائل التي كانت قبل حالة الحب تتحول إلى فضائل، فالبخيل تنطلق يداها بالإنفاق، والجبان يصبح شجاعاً، المهمل الصورة يتجمل لتكون صورته مرغوبة غير منفردة، بل يحاول أن يغير من داخله وسلوكه الخارجي لتزداد رابطة الحب قوة.

ويتحدث ابن حزم واصفاً حالة المحب وما يطرأ عليها من تغيرات جذرية إيجابية، فيقول: "يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه، مما كان ممتعاً به قبل ذلك، كأنه هو الموهوب له، والمسعى في حظه، كل ذلك ليبيدي محاسنه ويرغب في نفسه، فكم من بخيل

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 52.

جاد، وقطوب تطلق، وجبان تشجع، وغلظ الطبع تطرب، وجاهل تأدب، وفقير تجمل، وذو سن تفتى، وناسك تفتك، ومصون تبدالاً<sup>(1)</sup>. وقد تابع ابن القيم هذا الرأي حين قال: "العشق يصفي العقل ويذهب الهم، ويبعث على حسن اللباس، وطيب المطعم، ومكارم الأخلاق، ويعلي الهمة، ويحمل على طيب الرائحة، وكرم العشرة، وحفظ الأدب والمروءة"<sup>(2)</sup>.

ويستمر التغيير الإيجابي ما دامت حالة الحب قائمة، حتى وإن لم يتوافق المحبوب مع المحب، فإن المحب يسعى لإرضائه بكل السبل، فيطيعه في كل أحواله. يقول ابن حزم: "من عجيب ما يقع في الحب، طاعة المحب لمحبيه. وصرفه طباعه قسراً إلى طباع من يحبه، وربما يكون المرء شرس الخلق، صعب الشكيمة، جموح القيادة، ماضي العزم، حمي الأنف، فما هو إلا أن يتنسم بنسيم الحب، ويتورد غمره، ويعوم في بحره، فتعودا لشراسة لياناً، والصعوبة سهولة، والمضاء كلاله، والحمية استسلاماً.."<sup>(3)</sup>. وقد يقع في ظن البعض أن تذلل المحب لمحبيه أو صبره على دلاله إنما هو دناءة في النفس، ولكن ابن حزم لا يرى في ذلك أي غضاظة، فليس التذلل للمحب ذلاً للنفس أو إهانة بقدر ما هو فضيلة<sup>(4)</sup>. ذلك أن الموافقة حالة خاصة، ينجرف إليها المحب إنجرافاً لا يستطيع إنسان أن ينكرها. وقد تشتد حالة الحب بالمحب تطرفاً، فيغلب "الجهر على الحياء" فلا يملك المحب حينئذ لنفسه صرفاً ولا عدلاً... حتى يمثل الحسن في تمثال

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 28.

(2) ابن القيم: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، مصدر سابق، ص 173.

(3) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 68.

(4) المصدر السابق، ص 69.

القبيح، والقبيح في هيئة الحسن، وبهذا يكون الحب قد سهل ما كان وعراً وهان ما كان عزيزاً. ولأن ما كان شديداً<sup>(1)</sup>. إن المحب يسعى جاهداً للتغيير نحو الأفضل والأحسن، محاولاً التخلص من كافة عيوبه، لأنه يريد أن يعلو على ذاته، لكي يصل إلى حالة الكمال الذي ينشده، وما كان لهذه القيم الإيجابية أن تبرز عنده، دون تجربة الحب، التي دفعته إلى هذا الاتجاه.

أما الطرف الثاني في تجربة الحب وهو "المحبيب" فيأخذ أحد موقفين: الأول: الاستجابة للمحب وهذه قمة الحب إذا تكافأ المحبان في الحب. الثاني: موقف دون السابق، أي موقف أقل تعاطفاً بحيث لا يكون المحبون على نفس الدرجة من التعلق مقارنة بالمحب، وقد يصل الأمر إلى حالة الرفض الكامل. وهذا ينعكس سلباً على المحب وحده. أما إذا استجاب المحبوب للمحب على مضض، أي استجابة أقل تعاطفاً، فقد تنشأ تجربة حب ليست بقوة يعترئها الملل الذي يعبر عن نقص في الصفات المشتركة والتشاكل بينهما يقول ابن حزم: "الملل من الأخلاق المطبوعة في الإنسان وأخرى لمن دهى به، ألا يصفوا له صديق، ولا يصح له إخاء، ولا يثبت على عهد، ولا تطول مساعده لمحبه،... لذلك أبعدنا هذه الصفة عن المحبين. وجعلناها في المحبوبين، فهم بالجملة أهل التجني، والتعرض للمقاطعة، وأما من تزيبا باسم الحب وهو ملول، فليس منهم، وحقه ألا يتجرع مذاقه، وينفي عن أهل هذه الصفة، ولا يدخل في جملتهم"<sup>(2)</sup>.

(1) المصدر السابق، ص 64.

(2) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 104.



أما العنصر الثالث في تجربة الحب فهو رابطة الحب ذاتها، وهي قوة تغيير المحبين، إنها على حد تعبير ابن حزم "داء عياء، وفيه الدواء، منه على قدر المعاملة ومقام مستلذ وعلّة مشتهاة، لا يود سليمها البراء، ولا يتمنى عليها الإفاقة، يزين للمرء ما كان يأنف منه، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطبايع المركبة، والجبلة المخلوقة"<sup>(1)</sup>. فالحب له "حكّم على النفوس ماضٍ، وأمرٌ لا يخالف، وحد لا يعصى، وملكٌ لا يتعدى، وطاعةٌ لا تُصرف، ونفاذٌ لا يرد، وإنه يحل المبرم، ويحلل الجامد، ويحل الثابت،..."<sup>(2)</sup>. والمحبة عند ابن حزم أنواع أفضلها المتحابين في الله عز وجل، ومحبة القرابة، ومحبة الألفة والاشترار في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة الطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر، وأخيراً محبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس، فالمحبة كلها جنس واحد ورسمها أنها الرغبة في المحبوب وكراهة منافزته<sup>(3)</sup>.

وأما عن آفات الحب فهي عديدة منها:

أ - الهجر : وهو من آفات الحب وهو أنواع: هجر يوجبه تحفظ من رقيب حاضر، وهجر يوجبه التذلل، وهجر يمتحن به المحب صبر محبوبه، وهجر يوجبه

(1) المصدر السابق، ص 25 - 26.

(2) المصدر السابق، ص 47.

(3) المصدر السابق، ص 22، راجع ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص 165 -

العتاب لذنب يقع من المحب، وهذا فيه بعض الشدة، لكن فرحة الرجعة وسرور الرضى يغفر أو يعدل ما مضى، وأما أقسى ضروب الهجر فهو هجر الذي يوجب الوشاة، ثم هجر الملل، وأيضاً هجر القلى وهو الذي تنفذ فيه الحيل والمكايد من العذال والوشاة والرقباء. وأمتع ضروب الهجر "هجر التذلل" وهو ألد من كثير من الوصال<sup>(1)</sup>. ولا شك أن هذا الهجر ينطوي على مفارقة بلاغية رائعة، فالهجر يعني الانقطاع وهو ضد الوصال، كما أن الهجر يؤلم المحب في حين أن الوصال يسره، ومع هذا فهجر التذلل ألد بكثير من الوصال بالنسبة للمحبيب المهجور.

ب- **الفراق**: وهو من آفات الحب أيضاً، يقول ابن حزم: "إن سنة الحياة أنه لا يد لكل مجتمع من افتراق، ولكل دان من ثناء، وقد قال أحد الحكماء: إن الفراق أخو الموت!"<sup>(2)</sup>.

**والفراق أنواع**: فراق لمدة محدودة من الزمن، وهو بمثابة منع من اللقاء، أو حظر على المحبوب من أن يراه المحب، وفراق يتعمده المحب تجنباً لأقوال الوشاة، ثم فراق الموت، وهو الغوث أو الهول الأكبر، لأنه غياب لا يرجى منه إياب<sup>(3)</sup>. وقد اختلفت الآراء في أي الأمرين أشد: الفراق أم الهجر؟ يقول ابن حزم: "كلاهما مرتقى صعب، وموت أحمر، وبليّة سوداء وسنة شهباء، وكل يستشبع من هذين ما ضاد طبعه، فأما ذو النفس الأبية، الألوّف الحنانة، الثابتة على العهد، فلا شيء يعدل عنده مصيبة

(1) ابن حزم ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، مصدر سابق ، ص 98 وما بعدها.

(2) المصدر السابق، ص 117.

(3) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق ، ص 118 - 124.

البين، لأنه أتى قصداً، تعمدته النوائب عمداً... وأما ذو النفس التواقفة الكثيرة النزوع والتطلع، القلوق العزوف، فالهجر دواؤه وجالب حنقه، والبين له مسلاة ومنساة، وأما أنا فالموت عندي أسهل من الفراق، وما الهجر إلا جالب للكمد، ويشوك إن دام أن يحدث أضراراً<sup>(1)</sup>.

**ج - الضنى والسلو والموت:** يحدثنا ابن حزم في "باب الضنى" عن الآفات والأمراض النفسية والجسمية التي قد تترتب على قمع الحب أو كتمانها، فيقول: "الأعراض الواقعة من المحبة غير العلل الواقعة من هجمات العلل، ويميزها الطبيب الحاذق والمتفرس الناقد"<sup>(2)</sup>. ويروي لنا ابن حزم في هذا الصدد بعض حالات الحب التي سمع عنها، مما أدى بصاحبه إلى الجنون والمرض العقلي<sup>(3)</sup>.

ولما كان الحب في نظر ابن حزم ظاهرة بشرية تخضع لما تخضع له سائر الظواهر البشرية الأخرى، فليس غريباً أن نراه يتعرض بالحديث عن السلو والموت اعتقاداً منه بأن كل ما له أول فلا بد له من آخر. والسلو ينقسم قسمان: سلو طبيعي وهو المسمى بالنسيان، يخلو به القلب، ويفرغ به البال، ويكون الإنسان كأنه لم يحب قط في حياته. وسلو تطبّعي قهر النفس، وهو المسمى بالتصبر، أي إظهار المحب التجلد والتصبر وفي قلبه أشد الألم والقهر على فراق محبوبه. أما أسباب السلو فهي ثلاثة أصلها من المحب

(1) المصدر السابق، ص 125.

(2) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 137.

(3) المصدر السابق، ص 138 - 140.

وهي الملل والاستبدال والحياء، وأربعة أصلها من المحبوب وهي الهجر والمفارقة والجفاء والغدر، وقد يكون السلو لأسباب خارجة عن إرادة المرء: إما لموت، أو لبعده لا يرجى بعده عودة، وإما لعلّة مزمنة طرأت على المحب وهذه جميعها تدخل في باب اليأس<sup>(1)</sup>. ثم يحدثنا ابن حزم عن الموت، فيقول: "ربما تزايد الأمر ورق الطبع وعظم الإشفاق، فكان سبباً للموت ومفارقة الدنيا.."<sup>(2)</sup>.

هذه هي باختصار أهم آفات الحب التي تهدد العشاق، فإذا نجح المحبون في القضاء عليها، وعلاج أسباب الكدر والاغتمام، تحققت لهم أسمى مرتبة من مراتب الحب وهي الوصل. يقول ابن حزم: "ولولا أن الدنيا دار ممر ومحنة وكدر، والجنة دار جزاء وأمان من المكاره، لقلنا إن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه، والفرح الذي لا شائبة ولا حزن معه، وكمال الأماني، ومنتهى الأراجي"<sup>(3)</sup>.

**ثالثاً: الأبعاد الرئيسية لنظرية الحب عند ابن حزم وهي:**

**1) البعد الجمالي:** إن الشعور بالجمال من أقدم أنواع الوعي الإنساني، ومرد ذلك إلى أن في الإنسان قوة باطنية فطرية للإحساس بالجمال والنفور من القبح، والدارس لكتاب "طوق الحمامة" يلمح بوضوح في ثناياه ذلك الائتلاف والتوافق والتمازج بين الجانبين المتداخلين والمتكاملين في الآن ذاته: الحب والجمال "فطوق الحمامة كناية عن

(1) المصدر السابق، ص 141 - 145، راجع: زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، ص 306.

(2) المصدر السابق، ص 152.

(3) المصدر السابق، ص 90.

استلهم الجمال الذي هو مثار الحب... فهذا كتاب يتحدث عن العلاقة السرية بين الجمال والحب"<sup>(1)</sup>. ويرجع هذا إلى أن الصور الحسنة في نظر ابن حزم، ذات أهمية واضحة في الحب، لأن عالم النفس الأول، عالم منسجم جميل، لا كدر فيه، فارتبطت النفس بالانسجام والجمال، فأصبح في ذاتها، أما تعلق النفس بأخرى فراجع إلى كون هذه النفس جميلة مثلها أصلاً، وإن لم تكن جميلة "فقبجها" حادث لظروف الاتصال بالطبائع الأرضية من الجسم، وهذا لا يشكل عائقاً أمام استمرارية العلاقة بين النفسين، يقول ابن حزم: "أما العلة التي توقع الحب أبداً في أكثر الأمر على الصورة الحسنة، فالظاهر أن النفس حسنة تولع بكل شيء حسن، وتميل إلى التصاوير المتقنة"<sup>(2)</sup>. وهذا الاستحسان يعود إلى صفة نفسية بحتة وهي أن النفس خيرة وجميلة في ذاتها، لا ترتبط إلا بكل صور الكمال، والجمال أحد معابر الكمال لأن القبح نقص في الخلقة، فتتفر منه النفس "فالاستحسان طبيعي في النفس للصور"<sup>(3)</sup>. فميل النفوس إلى الصور الحسنة شيء متأصل في طبيعة النفوس ذاتها، لأن "الحسن هو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر عنه غيره، ولكنه محسوس في النفوس، باتفاق كل من رآه، وهو برد مكسو على الوجه، وإشراق يستميل القلوب نحوه، فتجتمع الآراء على استحسانه، وإن لم تكن هناك صفات جميلة، فكأنه شيء في نفس المرئي، تجده نفس الرأي لأن كل من رآه، راقه، واستحسنته

(1) ابن حزم: رسالة طوق الحمامة، ضمن رسائل ابن حزم، ج1، ص 37.

(2) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 24.

(3) المصدر السابق، ص 167.

وقبله<sup>(1)</sup>. فالصورة الحسنة أو الظاهرة ليست دائماً شرطاً للوقوع في الحب، فقد يقع الحب دون أن يتوفر في المحبوب دواعي الجمال الحسي، وقد يعمي المحب عن الصفات الذميمة في المحبوب.

ولكن مع هذا لم ينكر ابن حزم أن الجمال الحسي الظاهري يجذب النفوس ويأسرها، ويستولي على المشاعر، وأن المحب يفضل في المحبوب أشياء وصفات معينة، تختلف من شخص إلى آخر، وابن حزم يحدثنا عن هذا في فصل من كتابه (طوق الحمامة) عنوانه "باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها" ويقدم لنا فكرة (التثبيت) التي لم تعرف في التحليل النفسي إلا في العصر الحديث، وهي عبارة عن ارتباط المرء في صباه بشخص أو شيء ارتباطاً وثيقاً بحيث يدوم هذا الارتباط حتى بعد انتقاله إلى مرحلة النضج النفسي أو البلوغ العاطفي<sup>(2)</sup>. ومما يقوله ابن حزم في هذا الباب: "... وأعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة إلى القصر، فما أحب طويلة بعد هذا. وأعرف أيضاً من هوى جارية في فمها فوة لطيف، فلقد كان ينتقد كل فم صغير ويذمه ويكرهه الكراهية الصحيحة... وعني أخبرك أنني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسننت من ذلك الوقت سوداء الشعر ولو (كانت) على صورة الحسن

(1) ابن حزم: الأخلاق والسير في مداوات النفوس، مصدر سابق، ص 179.

(2) زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، مرجع سابق، ص 299.

نفسه. وأني لأجد هذا في أصل تركيبتي من ذلك الوقت، لا تؤاتيني نفسي على سواه، ولا تحب غيره البتة"<sup>(1)</sup>.

ولهذا يلعب الجمال بشقيه الروحي والحسي عند ابن حزم دوراً بارزاً في ميلاد الحب وتقوية أواصره، كما أن له أثراً كبيراً في نشوء الإعجاب لدى المحب، فمنطلقات الرؤية الجمالية لديه هي انعكاس لرؤيته لأنواع وتدرجها، حيث أن "أولها الاستحسان وهو أن يتمثل الناظر صورة المنظور إليه حسنة، أو يستحسن أخلاقه... ثم الإعجاب وهو رغبة الناظر في المنظور إليه، ثم الألفة وهي الوحشة إليه متى غاب، ثم الكلف وهو غلبة شغل البال به، وهذا النوع يسمى في باب الغزل بالعشق، وهو امتناع النوم والأكل والشرب إلا اليسير، وربما أدى ذلك إلى التوسوس أو إلى الموت، وليس وراء هذه المنزلة في تناهي المحبة أصلاً"<sup>(2)</sup>. فالحب يبدأ باستحسان الصورة ثم يتدرج وينتقل إلى الاستحسان والامتزاج الروحاني. وبهذا يكون ابن حزم قد مزج بين رؤيته لدرجات المحبة مع نظريته للجمال، لذا يميز بين خمس درجات من الجمال هي:

- 1 - العذوية والحلاوة: وتتمثل في رقة وخفة الإشارات ، وجمال وكلف الحركات.
- 2 - دقة وتجانس عناصر الأشكال (الوجه).
- 3 - السحر - أو الكمال - والبريق عند التعبير.

(1) ابن حزم طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 47 - 48.

(2) ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مصدر سابق، ص 175 - 176.

4 - الحسن وهو شيء سام جداً لدرجة أنه لا يمكن وصفه إلا بلغة استعارية، لأن ليس له في اللغة شيء يعبر به عنه، لكنه محسوس في النفوس باتفاق ممن رآه، فهو برد مكسو على الوجه وإشراق تستميل القلوب نحوه، فتجتمع الآراء على استحسانه (1).

إن التمييز آنف الذكر يوضح، وبكل تأكيد، العلاقة الوثيقة بين الجمال والحب، كما أن الجمال في نظر ابن حزم أمر واضح للجميع، ولكن التعبير عنه قد لا يملكه الكثيرون، لذلك أكد على أن الحب ليس نابغاً من الجمال الحسي فقط الذي يتمتع به صورة المحبوب، ولا قيمة للحب في بعدها الذوقي الجمالي الناتج عن تلك الجاذبية الحسية فقط، وإنما هو بما تشبع به النفس من حيوية، وبما تضيفه من فاعلية وجدانية وإشراق معنوي على هذه المحبة، وهذا بعكس فكرة التدرج في الحب عند ابن حزم من تأمل الجمال الجسدي واكتشاف عناصره المشتركة في الكثير، ثم الارتقاء إلى جمال الروح والمتمثل في إشراق معنوي تتجذب إليه الروح لتألفها معه، وهكذا يتم الانتقال في الحب من الحسي إلى المعنوي.

## (2) البعد الخلقى للحب: ينطوي الحب في صميمه، عند ابن حزم، على قيم

أخلاقية كبرى تتفاوت تبعاً لمرتبة الحب ذاته، ومن أهم هذه القيم "الوفاء" إذ أنه حميد

(1) المصدر السابق، ص 178 - 179، راجع: كروت ايرنانديت: تاريخ الفكر في العالم

الإسلامي، ترجمة: عبد العال صالح، تعليق: عبد الحميد مدكور، ط1(القاهرة، المركز

القومي للترجمة، 2-13م) مج، ص 110.



الغرائز وكريم الشيم، وإنه لمن أقوى الدلائل، وأوضح البراهين، على طيب الأصل، وشرف العنصر (1). وأول مراتب الوفاء أن يفى الإنسان لمن يفى له، وهذا فرض لازم وحق واجب على المحب والمحبوب، لا يحول عنه إلا خبيث المحتد، لا أخلاق له ولا خير عنده (2). ثم يضيف قائلاً: "لولا أن رسالتنا هذه لم نقصد بها في أخلاق الإنسان وصفاته المطبوعة والتطبع بها لزدت في هذا المكان ما يجب أن يوضح في مثله، ولكننا إنما قصدنا التكلم فيما رغبته من أمر الحب" (3).

وهذا القول من ابن حزم يوضح الصلة الوثيقة بين الأخلاق والحب، لأن الحب كما سبق إن قلنا فضيلة الفضائل، وينطوي على الكثير من المبادئ والقيم الخلقية التي تحدد اتجاهاتنا وترسم سلوكنا.

من أجل هذا يؤكد ابن حزم أن الوفاء على المحب أوجب منه على المحبوب وشرط له الزم. أما المرتبة الثانية: فهي منوطة بالمحب الذي سعى إلى المحبوب واختاره، فعليه أن يثبت ويتقبل لما يبدو منه، فإذا غدر المحبوب، فعلى المحب الوفاء لهذا المحبوب الغادر، لأنه المتكفل بالسعي والبادئ بالارتباط به. وهذا الوفاء من المحب دون المحبوب خطة لا يطبقها إلا جلد قوي، واسع الصدر، حرّ النفس، عظيم الحلم، جليل

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 109.

(2) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(3) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الصبر، حصيف العقل، ماجد الخلق، سالم النية<sup>(1)</sup>. وغاية الوفاء في هذه الحال ترك مكافأة الأذى، بمثله، والكف سيء المعارضة بالقول أو الفعل. والثاني جز حبل الصحبة والمودة ما أمكن. طمعاً بالرجعة<sup>(2)</sup>.

أما المرتبة الثالثة للوفاء، فحاله غريبة عجيبة لا يصل إليها الإنسان إلا بعد وقوع تغيرات طارئة من طرف المحب أو المحبوب "وهي الوفاء مع اليأس البات، وبعد حلول المنايا وفجاءات المنون، وأن الوفاء في هذه الحالة لأجل وأحسن منه في الحياة، ومع رجاء اللقاء"<sup>(3)</sup>. فالوفاء هنا يصبح موقفاً أخلاقياً مقصوداً لذاته. وأيضاً للوفاء شروط على المحبين لازمة، منها: أن يحفظ المحب عهد محبوبه، ويرعى غيبته، ويغطي على عيوبه، ويحسن أفعاله، ويتعافل عما يقع منه على سبيل الهفوة، ويرضى بما حمله ولا يكثر عليه بما ينفر منه<sup>(4)</sup>. ثم يتحدث ابن حزم عن وفائه للآخرين، فيقول: "لقد منحني الله عز وجل من الوفاء لكل من يمت إلى بُلقيهِ واحدة، ووهبني من المحافظة لمن يتذمم مني ولو بمحادثته ساعة خطأ، أنا له شاكر وحامد، ومنه مستمد ومستزيد، وما شيء أثقل عليّ من الغدر"<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر السابق، ص 110.

(2) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(3) المصدر السابق، ص 111.

(4) ابن حزم، طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 112.

(5) المصدر السابق، ص 113.

أما القيمة الخلقية الثانية التي يحض عليها ابن حزم وبشدة في الحب، فهي "العفة" فيقول: "ومن أفضل ما يأتيه المرء في حبه التعفف وترك ركوب المعصية والفاحشة، وألا يرغب عن مجازاة خالقه له بالنعيم في دار المقامة، وألا يعصي مولاه المتفضل عليه الذي جعله مكاناً وأهلاً لأمره ونهيه"<sup>(1)</sup>. ويأخذ ابن حزم كثيراً من أقوال ابن داوود في كتابه الزهرة فيورد قوله عن الرسول ﷺ "من عشق فحف فمات فهو شهيد". فالعفة في الحب هي قوة وانتصار على الشهوة والمعصية، وهي مجاهدة مستمرة للنفس والابتعاد ما أمكن عن دواعي الهوى، لأن الإنسان خلق ضعيفاً بطبعه. ويوضح ابن حزم ثواب جزاء من أحب وعف، فيقول: "إن من هام قلبه وشغل باله واشتد شوقه وعظم وحده ثم ظفر فرام هواه أن يغلب عقله وشهوته، وأن يقهر دينه، ثم أقام العدل لنفسه حصناً وعلم أن النفس لأمانة بالسوء وذكرها بعقاب الله تعالى،... وحذرهما من يوم المعاد، ونظر بعين ضميره إلى انفراد عن كل مدافع بحضرة علام الغيوب... وطوى كشحه على أحد من السيف وتجرع غصصاً أمر من الحنظل وصرف نفسه كرهاً عما طمعت فيه، وتيقنت ببلوغه، وتهيات له ولم يحل دونها حائل، لحرى أن يسرّ غدا يوم البعث ويكون من المقربين في دار الجزاء وعالم الخلود"<sup>(2)</sup>.

وهكذا يلخص النص، كما هو ملاحظ رؤية ابن حزم لنوع العلاقة التي يجب أن تربط بين المحبين، فالعفة عنده واجبة ومفروضة وحدّها "أن تغض بصرك، وجميع

(1) المصدر السابق، ص 184.

(2) المصدر السابق، ص 184 - 185.

جوارحك عن الأجسام التي لا تحل لك، فما عدا هذا فهو عهر، وما نقص حتى يمسك ما أحل الله تعالى فهو ضعف وعجز"<sup>(1)</sup>.

ويرفض ابن حزم زعم من قال: إن الرجال وحدهم هم الذين يستطيعون قمع شهواتهم، مؤكداً على أن الرجال والنساء سواء في الجنوح. وهذه الفكرة صادرة عن تصوره للطبيعة الإنسانية وتكوينها من عناصر الخير والشر، حيث يقول: "وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب وطال في ذلك، ولم يكن ثم مانع، إلا وقع في شرك الشيطان... وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته، حتماً مقضياً وحملاً نافذاً لا محيد عنه البتة"<sup>(2)</sup>. فهذه النظرة للسلوك الإنساني ونزوع الذكر والأنثى، وتشوق الأنثى للذكر، لا تحول مطلقاً بينه وبين الإيمان بوجود العفة، ووجود الصلاح في الرجال والنساء على حد سواء، شأنه شأن الجنوح تماماً، وهذا أمر نسبي. فالرجال والنساء سواء في المقدرة على قمع الشهوات والتعفف - بعكس ما وقع في ظن الكثيرين.

وينتهي ابن حزم إلى تقرير رأيه في معنى الصلاح بين المرأة والرجل عندما يتعلق الأمر بالطبيعة الفطرية لديهما والتي تقضي بانجذابهما، وميل كل واحد إلى الآخر، خاصة إذا كان الطرفان متحابان ويهوى كل واحد منهما الآخر، فالمرأة الصالحة، عنده،

(1) ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مصدر سابق، ص 128.

(2) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 163.

هي تلك التي إذا ضَبِطت انضبطت، والرجل الصالح هو الذي لا يداخل أهل الفسوق، ولا يتعرض للمناظر الجالبة للأهواء، خلافاً للرجل غير الصالح<sup>(1)</sup>.

المهم في التعفف هو ضبط الإرادة، وحسن توجيه الانتباه، وتجنب أسباب الخطر، والتحمي بالذات عن مواطن الغواية، إذا أريد ضبط النفس وامتلاك زمام الذات. فالحب الحقيقي، عند ابن حزم، علاقة روحية لا تنفصم عراها، ويجب السمو بها والمحافظة عليها وصيانتها بالعفاف والبعد عن المعصية والرذيلة، لأن المعصية تفسد العلاقة بين المتحابين في الدنيا، وتقطعها في الآخرة، ويستشهد ابن حزم بحملة بكم وافر من النصوص والحكايات والأشعار - لا يتسع المقام ذكرها - وكلها تشيد بالحب العفيف الطاهر، وتؤكد على أن المعصية تفسد الحب<sup>(2)</sup>. وقد التزم ابن حزم العفة ويقول عن عفته وطهارته: "... يعلم الله وكفى به عليمًا، أني برئ الساحة، سليم الأديم، صحيح البشرة، وأنني أقسم بالله أجل الأقسام أني ما حللت مئزري على فرج حرام قط، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلت إلى يومي هذا. والله المحمود على ذلك، والمشكور فيما مضى، والمستعصم فيما بقى"<sup>(3)</sup>. فابن حزم يرى أن هذه العفة التي صحت بها نفسه إنما هي نعمة من الله يجب الشكر عليها والحمد لله، والدوام عليها.

(1) المصدر السابق، ص 164.

(2) المصدر السابق، ص 184 وما بعدها.

(3) المصدر السابق، ص 165.

كذلك يرجع ابن حزم هذه العفة والطهارة التي تحلت بها نفسه إلى نشأته بين الرقباء وإلى صحبته لشيخه الجليل "أبو علي الفاسي" الذي كان غاية في الصلاح والنسك والعفة، فنفعه الله به كثيراً حيث علمه موقع الإساءة وقبح المعصية وكان له قدوة حسنة صالحة اقتدى بها. وابن حزم لا يتحدث عن نفسه بغرض المدح والمباهاة، وإنما يؤكد صلاحه وعفته في تجارب شخصية مرت به وقد خرج منها سليماً طاهراً عفيفاً منتصراً على نفسه وأهوائها، والتي تعكس في مجملها طبيعة شخصيته الناشئة على الأخلاق الفاضلة الحميدة.

### (3) البعد المعرفي للحب: يؤكد ابن حزم أن الحب أمر حتمي وواحد عند جميع

الناس لكون القلوب بيد مقلبيها، إلا أن الإنسان مخير في أفعاله، وقادر على الاحتكام إلى عقله الذي هو زمام على شهوات جسده، مما يمكنه من الابتعاد عن مغريات النفس التي تقودها الشهوات الدنيوية. "فإذا غلب العقل النفس، ارتدع الإنسان، وقمع عوارضه المدخولة واستضاء بنور الله، واتبع العدل، وإذا غلبت النفس العقل، عميت البصيرة، ولم يصح الفرق بين الحسن والقيبح، وعظم الالتباس، وتردى في هوة الردى ومهواة المهلكة"<sup>(1)</sup>. وعلى ذلك يتبين من النص، كما هو ملاحظ أن في مجال الحب العقل يعمل بطريقة تعتمد على الارتقاء بقوى النفس الشهوانية التي تميل إلى استحسان الشهوات وحب الانغماس في الملذات، مما تجعل الحب يرتدع عن الوقوع في الخطيئة، أو أن يرتكب أمراً مشيناً في حبه. ولكن لا بد للعقل من سند يساعده في تجاوز الرذيلة، إذا ما وقعت

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 161.

أسبابها، والتمسك بالفضيلة مع غلبة أسباب الحب ونوازعه، وهذا السند هو "طول الرياضة وصحة المعرفة، ونفاذ التمييز، ومع ذلك اجتناب التعرض للفتنة"<sup>(1)</sup>. لذا يرى ابن حزم أن من عرضت له الشهوة الشديدة، ولم يقع فيها، فذلك راجع لأمرين هما:

**الأول:** اتساع المعرفة ورسوخها، لكن هؤلاء لا يصمدون طويلاً إذا ما استمر الإغراء، إذ سرعان ما يستجيبون لداعي الغزل، فيسقطون في المعصية، إلا أن يعصمهم الله من الوقوع في ذلك، يقول ابن حزم: "إما طبع قد مال إلى غير هذا الشأن، واستحكمت معرفته بفضل سواه عليه، فهو لا يجيب دواعي الغزل من كلمة ولا كلمتين، ولا في يوم ولا يومين، ولو قال على هؤلاء المحبين ما امتحنوا به، لجادت طباعهم، وأجابوا هاتف الفتنة ولكن الله عصمهم بانقطاع السبب المحرك نظراً لهم، وعلماً بما في ضمائرهم، من الاستعانة به، من القبائح واستدعاء الرشد"<sup>(2)</sup>.

**الثاني:** بصيرة حضرت في ذلك الوقت فرأوا شر الخطيئة والرذيلة" فانقمعت به طوابع الشهوة في ذلك الحين، لخير أراد الله عز وجل لصاحبه"<sup>(3)</sup>. وهناك طبيعة ثانية في المقابل تدعو إلى الوصال وهي قوة قائدتها الشهوة فتلبس على الإنسان فلا يرى العقل شيئاً، وتعمي البصيرة، ولا يعود المحب يفرق بين الصح والخطأ والحسن والقبیح، فيعظم عليه الالتباس، فيتجاوز في حبه كل الحدود، فيحدث من جراء ذلك "أن يهون القبيح،

(1) المصدر السابق، ص 162.

(2) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 186.

(3) المصدر السابق، نفس الصفحة.

ويرق الدين، حتى يرضى الإنسان في جنب وصوله إلى مراده بالقبائح والفضائل<sup>(1)</sup>.  
وبوصول المحب إلى هذه الدرجة لا يرجى منه صلاح.

من أجل هذا حرص ابن حزم على أن يجعل العقل مسيطراً على العواطف وضابطاً لها بهدف توجيه سلوك المحب إلى ترشيد تلك العواطف والمشاعر وتفريغها فيما يعود عليه بالعفة والحلال، وعدم الإفراط الذي ينشأ عنه العديد من الآفات، والأمراض التي تصيب الإنسان وتكدر عليه صفو حياته.

**(4) البعد الحسي للحب:** لم يخلط العرب قديماً بني الحب والحس أو بين الحب والاشتهاء الحسي، بل ظل الحب عاطفة تقوم على الميل القلبي، المقرون بالإيثار، ميل ينتفس في اللقاء العف، والتأمل في حركة النفس والرغبة في توحيد الشعور نحو الأشياء، وإيثار ما به يصير المحبوب أكثر سعادة وأنساً، وإن يكن المحب - بسبب ذلك - يعاني ضروباً من الحرمان والشقاء، فلم يكن الاشتهاء أو الرغبة الحسية جزءاً من مفهوم الحب، ولا عاملاً من عوامل بقائه، بل على العكس، لقد كانوا يعتقدون أن النكاح يفسد الحب ويقضي عليه<sup>(2)</sup>.

رفض ابن حزم هذا المفهوم للحب، لأن الحب عنده وسيلة وغاية، فمن حيث أنه وسيلة، فهو وسيلة لأجل الزواج والاستقرار والسعادة، ومن حيث أنه غاية، يجب أن يكون

(1) المصدر السابق، ص 170.

(2) محمد حسن عبد الله: الحب في التراث العربي (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1981) ص 93.



الحب نمطاً إنسانياً رفيعاً عفيفاً لا يتعدى فيه المحبون هذا النمط تحت كل الظروف حتى يصل إلى نتيجته الطبيعية وهي الزواج، وإلا تحولت هذه التجربة إلى نوع من الشقاء لتناقضها مع معتقدات المحب والمحبوب، كونهما يعيشان ضمن حدود مجتمع له تقاليده وعاداته، التي تمنع تعدي هذه الحدود.

وهنا تظهر نظرة ابن حزم الدينية، لأن الدين قد نظم العلاقات الإنسانية الاجتماعية، والحب أحد هذه العلاقات التي ينظمها، وتحكم بإطاره، وبالتالي لم يستطع ابن حزم إخراج الحب عن إطاره الديني والاجتماعي. فالنهاية الطبيعية لأي حب صادق هي الزواج وللزواج أهمية كبرى عند ابن حزم، باعتباره قمة سعادة المحبين. ذلك أنه بمثابة انتقال المحب لمشاركة المحبوب في الجسد، بعد أن كانت مشاركة في الروح فقط. فالانتقال من المشاركة الوجدانية إلى المشاركة الجسدية بين العاشقين يوصل إلى الروح "نوعاً من الظمأ" كان يقلقها<sup>(1)</sup>. لذلك كانت "أقصى أطماع المحب، ممن يحب المخالطة بالأعضاء، إذا رجا ذلك"<sup>(2)</sup>. فمثل هذا وشبهه إذا وافق أخلاق النفس ولّد زيادة المحبة بين المحبين فيصلوا إلى حالة تكامل الحب وجدانياً وجسدياً، لذا يعترف ابن حزم بتأثير عامل الحب الجسدي على الحياة العاطفية، عندما يشير بدون استخدام كلمات تورية مبالغ فيها، إلى طريقة المعاشرة الجسدية لأحد أصدقائه<sup>(3)</sup>. حيث يقول: "إذ الأعضاء الحساسة

(1) حامد الدباس: فلسفة الحب والأخلاق، مرجع سابق، ص 177.

(2) ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مصدر سابق، ص 167.

(3) كروث إيرنانديت: تاريخ الفكر في العالم الإسلامي، مج 2، مصدر سابق، ص 110.

مسالك النفوس ومؤديات نحوها"<sup>(1)</sup>. فالاتصال الجسدي يعد عنصراً هاماً لاستطالة عمر الحب من خلال ما ينشأ عن الإشباع الغريزي من وفاق بين الزوجين. ويؤكد ابن حزم أن من رزق العشق الحقيقي لا يرتوي منه أبداً كلما نهل طلب المزيد، لأن القلب الصادق الحب ظامئاً أبداً مستزيداً، لذلك يرفض الرأي القائل إن النكاح أي الوصال يؤدي الحب ويقتله، بل إن الوصل يبقى على الحب، إذ يقول: "إن من الناس من يقول إن دوام الوصل يقتل الحب، وهذا هجين من القول، إنما ذلك لأهل الملل، بل كلما زاد وصلاً زاد اتصالاً"<sup>(2)</sup> ثم يحدثنا ابن حزم، بجرأة غير مسبوقة، عن تجربته في الوصل بمن يحب، ومعايشته وتذوقه لهذا الشعور تذوقاً واقعياً فيقول "وعني أخبرك أنني ما رويت قط من ماء الوصل ولا زادني إلا ظمأً.. ولقد بلغت من التمكن بمن أحب أبعد الغايات التي لا يجد الإنسان وراءها مرمى، فما وجدتني إلا مستزيداً، ولقد طال بي ذلك فما أحسست بسأمة.. ولقد ضمنني مجلس مع بعض من كنت أحب، فلم أجل خاطري في فن من فنون الوصل إلا وجدته مقصراً عن مرادي وغير شاف وجدي، ولا قاض أقل لبانة من لبناتي، ووجدتني كلما ازددت دنواً ازددت ولعاً، وقدحت زناد الشوق نار الوجد بين ضلوعي..."<sup>(3)</sup>. فيصل الإنسان بالارتواء من الوصل إلى حالة الاتحاد والتكامل الروحي والجسدي. وبالرغم من أن الحب حالة نفسية، إلا أن باعثها معتمد في الأصل على الباعث الغريزي الحسي، فالاتصال الجسدي ليس شيئاً معيباً أو دنياً في نظر ابن حزم،

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 46.

(2) المصدر السابق، ص 92.

(3) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 92.

بل هو تعبير عن شعور صادق، لهذا يترك أثراً روحياً إيجابياً في الإنسان مع أنه تعبير جسدي في الظاهر.

وتتردد أصداء الفعل الجسدي، وحيل العشاق وأفانينهم في الحصول على ملاذهم، في أخبار عدة أوردها ابن حزم في ثنايا كتابه "الطوق" بجرأة واضحة، ولا يعنينا أن نتوقف عندها، غير أننا نخلص منها إلى أن ابن حزم يؤكد على أن الوصال الجسدي من أهم المسالك المؤدية إلى الرضا النفسي والمحبة بين الزوجين. إذن "فلا اعتراض على الحسيّة في طوق الحمامة إن أدت إلى تهذيب العاطفة"<sup>(1)</sup>. وبهذا استطاع ابن حزم أن يحدث نوعاً من التوازن بين حاجات الجسد وحاجات الروح.

### الخاتمة

مما تقدم نرى أن ابن حزم الأندلسي استطاع ببراعة نادرة أن يقدم لنا نظرة واقعية شمولية متكاملة عن الحب، مزج من خلالها الأسلوب الفلسفي العميق لصلات المحبين بالمحبيين مع ما يكتنفها من علاقات متشابكة متداخلة... الخ بالأسلوب النفسي الدقيق لأسباب الحب وأعراضه وآفاته مستعينا بالواقع عندما اعتمد على التجربة المعاشة بفرعيها

(<sup>1</sup>) ماري تيريز: قراءة الأدب عبر الثقافات ، (القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1997م)، ص25.

الذاتي والجماعي للاستشهاد والتدليل. فعكست الكثير من التجارب الحية الواقعية، والنماذج البشرية المتنوعة، ومن خلال هذه النظرة الواقعية خلصنا إلى النتائج التالية:

1- اتسمت دراسة ابن حزم للحب بالجدية والواقعية حيث اشتملت على تعريف الحب، وبيان عوارضه، وأسبابه، وأوصافه، وأنواعه ومظاهره مبرزاً صورته الخيرة الإيجابية، ومقابلها تلك الصورة المنفرة القبيحة، فظهر ابن حزم بمظهر الخبير العارف والمحلل النفسي لنزعات وخلجات النفس البشرية وأسرارها.

2- إن حديث ابن حزم، الفقيه الظاهري المتحمس لمذهبه، لموضوع الحب يدل دلالة كبيرة على تحرر فكري وجراً. فقد حاول اختراق عادات وتقاليد عصره، وقيود العرف المتبع، والتزمت الديني المتشدد، فتكلم عن بعض ذكرياته في ميدان الحب واصفاً حبه الشخصي، وبعضاً من التجارب التي مر بها هو وغيره، ويعتبر صنيعة هذا حدثاً غير عادي وطريقة مبتدعة لم يألفها الناس في ذلك الوقت، ولذلك عاب عليه الكثيرون كتابته في الحب.

3- اختار ابن حزم في دراسته للحب أن يكون إنساناً عادياً وفقهياً ورعاً في الوقت نفسه كان إنساناً عادياً أثناء سرده لتجاربه المحبين وتجاربه الخاصة ذات مشاعر وأحاسيس مرهفة يتفهم النزوات والهفوات، فيظهر نوعاً من المرونة في الحكم على تصرفاتهم متعاضياً، في أحياناً كثيرة، عن إصدار أي حكم، مكتفياً بالسرد فقط، ثم لبس ثوب الفقيه والمصلح الديني الورع عندما خصص الفصلين الأخيرين من كتابه (قبح المعصية وفضل

التعفف) لتقديم مواعظ شتى، وجهها مباشرة إلى لمحبين، راسماً من خلالهما حدود التعامل مع الحبيب، ووجوب تسليط العقل وسيطرته على النفس الأمارة بالسوء ليصل بعدها إلى نتيجة مفادها أن الحب الحقيقي هو الحب الملتزم العفيف الذي يتقيد بمبادئ الدين، فيجسد الزواج نتيجة طبيعية له.

4- إن لمفهوم الحب عند ابن حزم أبعاداً مختلفة متنوعة تتعدى كونه سيرة ذاتية، أو مجرد استقراء الظواهر السلوكية لأحوال المحبين في المجتمع الأندلسي. وتهدف هذه الأبعاد في مجملها للحض على الفضيلة، والدعوة إلى العفة، وتذوق الإحساس بالجمال الروحي والحسي، وتقوية أواصر الحب، وإعطاء حاجات الجسد قدرها مع التزام العفة وحق الوفاء. وبهذه الأبعاد أصبغ ابن حزم على الحب صبغة إنسانية نبيلة، إذ لم يعد الحب عملية حسية يغلب عليها الطابع الشهواني الدنيء.

### المراجع والمصادر

#### القران الكريم

أولاً : المعاجم والموسوعات

- 1 . جميل صليبا : المعجم الفلسفي : ب ط ( بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1982 م )
- 2 . عبد المنعم حنفي : المعجم الفلسفي ، ط1 ( مصر الدار الشرقية ، 1995 م ) .

ثانياً : المصادر

1. ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، تحقيق : الطاهر مكي ، ط2 ( القاهرة ، دار المعارف ، 1995م ) .
- 2 . ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة والألاف ، تحقيق : الطاهر أحمد مكي ، ط 6 (القاهرة ، دار المعارف ، 2001م ) .
- 3 . ابن حزم : رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : إحسان عباس ط 1 ( بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1980 م ) .
- 4 . ابن القيم الجوزية : روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ط2 ( بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1986م ) .
- 5 . إخوان الصفا وخلان الوفاء : رسالة في ما هيه العشق ضمن رسائل إخوان الصفا ، تصحيح خير الدين الزركلي ، ( مصر الطبعة العربية ، 1928م ) .
- 6 . أفلاطون : المأدبة ، ترجمة : وليم الميري ، ( القاهرة ، دار المعارف ، 1965 ) .
- 7 . الأمام مسلم بن الحجاج القشيري : الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ( بيروت ، دار إحياء التراث ، العربي ، د . ت ) .
- 8 . أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، ( القاهرة ، مكتبة الشعب ، 1969م ) .
- 9 . أبي بكر محمد بن داؤود الاصفهاني : كتاب الزهرة ، تعليق : خالد محي الدين البرادى ( دمشق ، منشورات وزارة الثقافة : 1992م ) .

### ثالثا : المراجع

- 1 . أحمد فؤاد الأهواني : الحب والكراهية ، ( القاهرة ، دار المعارف ، د.ت ) .

- 2 . الطاهر أحمد مكي : دراسات عن ابن حزم وكتابة طوق الحمامة ، ط4 ( القاهرة ، دار المعارف ، 1993م ) .
- 3 . المهدي أحمد جحيدر : القيم الأخلاقية بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي ، ط1 (طرابلس ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، 2010 م ) .
- 4 . سهير فضل أبو وافية : الفلسفة الإنسانية في الإسلام ( القاهرة ، المكتب المصري للخدمات العلمية 1995م ) .
- 5 . حامد أحمد الدباس : فلسفة الحب والأخلاق عند ابن حزم الأندلسي ، ( لندن ، دار الحكمة للنشر والتوزيع ، 1993 م ) .
- 6 . محمد حسن عبد الله : الحب في التراث العربي ( الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1981م ) .
- 7 . فهمي عودة : نظرية التراث " داعي المشاكلة في نظرية الحب عند العرب ، ط1 (عمان، دار الشروق ، 1985م) .
- 8 . زكريا إبراهيم : مشكلة الحب ، ط2 ( القاهرة ، دار مصر للطباعة ، د.ت ) .
- 9 . صادق جلال العظم: في الحب والحب العذري ، ط3 ( بيروت ، دار العودة ، 1981م) .
- 10 . كروت إيرنانديت : تاريخ الفكر في العالم الإسلامي : ترجمة عبد العال صالح ، تعليق عبد الحميد مذكور ، ط1 ( القاهرة ، المركز الوطني للترجمة ، 2013 م ) .
- 11 . ماري تيرز: قراءة الأدب عبر الثقافات (القاهرة الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 1997م)

رابعاً : الدوريات والمقالات

1. إحسان عباس : دراسة الحب عند ابن حزم ، مجلة شؤون عربية ، تونس ، العدد (3) مايو . 1981م .
2. أحمد خالد : ما هيه الحب حسب ابن حزم ، مجلة الفكر تونس، العدد (9) ، جواز 1963 م
3. سالم يغوت : الأسس الميتافيزيقية لنظرية الحب لدى ابن حزم ، مجلة تكامل المعرفة ، مجلة جمعية الفلسفة بالمغرب ، عدد مزدوج (8.7) ، 1982 م .
4. يوسف الشاروني : طوق الحمامة لابن حزم ، مجلة العربي ، العدد (13) ، ديسمبر 1959م

#### خامسا : رسائل الماجستير والدكتوراه

1. حورية خليفة ميلود : الحب بين ابن حزم وابن فارض ، جامعة القاهرة . كلية الآداب قسم الفلسفة ، 2012 م .



## إشكالية المصطلح في الفكر الإسلامي (مصطلح الحوار في استخدامات بعض المفسرين أنموذجا)

أ. حسين علي الحبشي<sup>(1)</sup>

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فهذا الموضوع الموسوم بـ ( إشكالية المصطلح في الفكر الإسلامي) من الموضوعات القديمة المتجددة، ومن أهم مباحث الفكر الإسلامي التي لا تبلى جدتها، ولا تنقص أهميتها، ولا تنقضي حاجتها، مهما توالى أطوارها؛ وتكررت أفكارها؛ وذلك تبعا لأهمية موضوعها؛ وتجدد مادتها؛ وخطورة آثارها.

والسبب وراء تحديدي هذا الموضوع للبحث لم يكن اختيارا من موضوعات مطروحة، أو إشارة من أحد كما جرت به العادة غالبا؛ وإنما السبب يرجع إلى نقاش حصل بيني وبين زميل لي أيام الدراسة حول مسألة، واحتد هذا النقاش بيننا، وكان أحد الأساتذة حاضرا فنصحن بالهدوء، واللين وسعة الصدر في الحوار، ثم قال مستشهدا لكلامه: إن الله - تعالى - حاور إبليس) وأراد بهذا أن الله -ﷻ- حاور إبليس وهو شر خلقه، وأولهم وأكثرهم عصيانا ومخالفة له، فلماذا لا نعتبر بذلك، ونلتزم الهدوء والحلم وليس بيننا مهما اختلفنا

(1) عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية / كلية الآداب / جامعة المرقب.

وخالفنا من هو في مستوى إبليس شرا ومخالفة.

لم يقع مني هذا المثال موقعه المرجو من قائله، بل أثار في ذهني تساؤلات عديدة ما فتئت تلح علي بطلب إجابات شافية لها حتى اكتملت صورة هذا البحث في ذهني، ومن هذه التساؤلات:

1- ما الحوار في اللغة؟

2- ما مدلوله في الاصطلاح؟

3- هل يجوز في حق الله - تعالى - أن ننسب إليه الحوار بأن نقول: إن

الله - تعالى - يحاور أحدا من خلقه؟

4- هل يجوز العكس بأن نقول إن أحدا من الخلق يحاور الله - تعالى - .

5- هل يجوز أن يقع تحاور بين الله - تعالى - وبين غيره؟

6- هل يتفق الحوار مع الكمال الواجب لله - تعالى -؟

7- هل جاء في الكتاب والسنة اتصاف الله - تعالى - بالحوار؟

8- هل يتفق هذا الكلام مع تفسير الآيات التي تذكر قصة امتناع إبليس عن

السجود لآدم - عليه السلام - ؟

9- ماذا نسمي هذا الذي حصل بين الله - تعالى - وبين إبليس عند

امتناعه عن السجود؟

10- هل جاء مصطلح الحوار في القرآن الكريم؟ وما مدلوله بحسب التفسير؟

- 11- هل جميع المصطلحات المتداولة في فكرنا الإسلامي صحيحة في وضعها أو استعمالها
- 12- هل هناك مصطلحات خاطئة من حيث وضعها أو استعمالها؟ وما سبب وجودها؟

إلى غير ذلك من التساؤلات التي تمثل مشكلة البحث، وأرجو أن يقدم إجابات لها.

منهج البحث: يستلزم هذا البحث استخدام المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل بعض المصطلحات؛ ثم وصف وتحليل مدلولاتها بحسب استخداماتها، وكذلك المنهج التاريخي؛ لترتيب الأسبق من أهل التفسير في استخدام هذا المصطلح، وتمييز التابع من المتبوع، وكذلك المنهج التكميلي (النقدي) والمنهج البرهاني؛ لإظهار المآخذ والمخالفات على هذا الاستخدام في محالها، ثم المنهج التركيبي؛ لصياغة النتائج.

### التمهيد

يتناول التمهيد الكلام عن مطلبين:

الأول: التعريف بالمصطلحات وأهميتها.

الثاني: ساحة الفكر الإسلامي أمام المصطلحات.

المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات وأهميتها:

في المفهوم اللغوي: أخذت كلمة المصطلح من أصل المادة: (صلح)، ( صلح )

صلاحا وصلوحا زال عنه الفساد و الشيء كان نافعا أو مناسباً يقال هذا الشيء يصلح لك... (اصطلاح) القوم زال ما بينهم من خلاف و على الأمر تعارفوا عليه و اتفقوا... ( الاصطلاح ) مصدر اصطلاح و اتفاق طائفة على شيء مخصوص و لكل علم اصطلاحاته..<sup>(1)</sup>.

أما في المفهوم الاصطلاحي: فالمصطلحات ألفاظ محددة تشبه أسماء الأماكن وأفراد الناس غير أن هذه الأسماء لأشياء حسية، بينما المصطلحات أسماء لأشياء معنوية هي مفردات وفروع في العلوم والمعارف، وتكون لها معان ظاهرة يفهمها الناس ومعان أخرى هي مدلولات جديدة لها لا يفهمها إلا أصحاب العلم التي تنتسب هذه المصطلحات إليه، وهم من اتفقوا على وضعها ومدلولاتها؛ لتيسر لهم دراسة علومهم بها.

ولكل فرع من فروع العلم مصطلحات خاصة به تتم باتفاق بين أصحابه، فهناك مصطلحات في الفقه، والعقيدة، والحديث، والنحو...وأحيانا يكون المصطلح بنفس اللفظ لكن مدلوله يختلف من علم لآخر، فمثلا: كلمة الخبر يختلف مدلولها عند النحويين عنه عند المحدثين عنه عند البلاغيين.

(1) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ج 1 ص520، تحقيق / مجمع اللغة العربية: دار الدعوة.

والمصطلحات لا توضع ارتجالاً، بل باختيار واتفاق أصحاب العلم، ووجود مناسبة بين الأصل اللغوي والمدلول الاصطلاحي.

والمصطلحات هي: مفاتيح حصون العلوم، ولغة الباحثين، وعدة الدارسين، بمدلولاتها يتفاهمون، واليها يتحاكمون، ولهذا ينبغي أن نعنى بها بمدلولاتها، وأن نستخدمها بتحديد ودقة استخداماً صحيحاً واضحاً، وإلا وقع الالتباس، وحل الخلاف، وتنازعنا فيما نحن متفقون عليه.

### المطلب الثاني: ساحة الفكر الإسلامي أمام المصطلحات.

اللغة هي وعاء الفكر، وآلة العقل، وعدة المفكر، وترجمان الأفكار والمشاعر بقدرها يكون قدر مؤداها: من فكر أو شعر أو علم أو حجة أو غير ذلك، فإذا كانت اللغة مستقيمة في قواعدها، قوية في بنيانها، جميلة في صياغتها عاد ذلك على مؤداها سلامة وقوة وجمالاً، ووضوحاً للمعنى، وفهماً للعلم، ونصراً للحجة، وحسناً للشعر واقتناعاً وقبولاً للفكر، والعكس بالعكس، فضعف اللغة على أهلها فهما أو استخداماً هو ما يتيح الظهور والتداول لمصطلحات خاطئة، وتعبيرات ركيكة.

والمستخدمون للغة على صنفين، الأول: عامة المتعلمين، وهؤلاء إن كانوا يعذرون في هذا الضعف؛ بمحدودية تعلمهم وثقافتهم، لكنهم لا يعذرون في المشاركة في إضعاف اللغة بتداول ما تبين خطؤه، وأمكن إصلاحه، وفيما يستجد منهم من أخطاء تزيد اللغة ضعفاً على ضعفها، مثلما يحصل من بعض العاملين في قطاع الإعلام بالتركيز على العامية

بدل الفصحى في البرامج المباشرة، وإقحام كلمات دخيلة من لغات أخرى داخل لغتنا، ومن ذلك رأيت في إحدى الفضائيات أحد مقدمي برامج المسابقات يقول عندما يريد إيقاف عدد اختيار الأرقام: (نتوكل على الله ونقول استوب)، وفي قناة أخرى كان عنوان البرنامج (سيمافرو)، وفي اللغة المكتوبة يقع الخطأ أحيانا بتغيير حرف من الكلمة فينقلب معنى الكلمة إلى عكسها تماما، ومن ذلك رأيت في شريط الأخبار لإحدى القنوات كلاما يدعو للتبرع بالدم جاء فيه (قطرة دم تنقذ حياة إنسان) أما رفع المجزوم، وجر المنصوب فنكاد نألفه؛ لكثرتة وتكرره.

أما الصنف الثاني فهم: نخبة المجتمع من العلماء والدارسين، وأساتذة الجامعات والباحثين، وكونهم نخبة المجتمع لا يعني بالضرورة أنهم جميعا على أكمل ما يكون في اللغة، ولكن هناك منهم من هو متمكن أتم ما يكون من تخصصه لكنه في قواعد اللغة لم يبلغ أشده، والخطأ اللغوي من هؤلاء لا يكون في الغالب ناتجا عن قصور في اللغة؛ وإنما بسبب الانجرار وراء مصطلحات وعبارات عظمت شهرتها، واتسع تداولها في وسائل الإعلام وغيرها وهي خاطئة من حيث وضعها أو استعمالها، وذلك مثل قول الشاعر:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

فشهرة هذا البيت جعلت معظم الناس علمائهم وعوامهم يستشهدون به وينشدونه وهو يتضمن مخالفة صريحة لما هو مقرر في عقيدتنا الإسلامية من أنه: لا شيء إطلاقا يتحتم على الله - تعالى - ولو كان دخول المؤمن الجنة، ودخول الكافر النار.

والكلام إذا كان يستلزم خطأ نظريا فإنه لا يكون باديا لكل ناظر، وإنما يحتاج إلى شيء من الانتباه والتأمل، بخلاف ما إذا كان يستلزم خطأ عمليا، أو كان يتغير به حكم شرعي - وأكثر ما يكون ذلك في أبحاث الفقه - فإنه يكون باديا أو أيسر في الانتباه إليه، فالقول مثلا: لا يجوز للرجل أن يتزوج أكثر من أربعة حرائر، لا يقع من الفقهاء، ولا يمرونه لتلاميذهم أو غيرهم؛ لأن مدار الحكم على المعنى، والمعنى يقوم على العبارة، والمعنى على هذه العبارة لا يدل على محرم شرعا؛ فللرجل أن يتزوج ما شاء، ولهذا يصحون هذه العبارة بالقول: لا يجوز أن يجمع أكثر من أربعة حرائر.

ومن الكلام الذي يستلزم خطأ نظريا، ويستلزم شيئا من الانتباه: رأيت في مفردات إحدى المقررات الدراسية بالجامعة هذا العنوان: (صلب المسيح من وجهة النظر الإسلامية) فهذا التعبير خاطئ؛ لأنه يسوي بين يقين الإسلام ووهم وكذب اليهود والنصارى حين يجعل جميع أقوالهم وجهات نظر، وما قاله الإسلام عن صلب المسيح - ﷺ - ليس وجهة نظر تحتمل الخطأ والصواب، بل يقين بنص القرآن.

### المبحث الأول: إشكالية المصطلح في مظاهرها

تتجلى هذه الإشكالية في ثلاثة مظاهر: المظهر الأول: نرى في ساحة فكرنا الإسلامي مصطلحات بوجوه عربية، وأرواح غربية تقف وراء وضعها وتداولها أطراف مناوئة للإسلام، تسعى من وراء ذلك إلى بث مفاهيم مغلوطة مخالفة للدين؛ بهدف تشويهه؛ أو الاستتقالص منه؛ أو تغيير أو إبطال شيء من ثوابته، ومن هذه المصطلحات، مصطلح: الإرهاب الذي ذاع، وعم وانتشر، وملأ الإذاعات، والصحف، والمنابر، وصار يوصف به

كل من وقف في وجه الظلم والطغيان، ودافع عن أرضه وعرضه، أو حتى رفض الانصياع لأهواء الطغاة والمستعمرين. وهذا المصطلح بهذا المدلول الخاطئ لا أصل له في الشرع، ولم يعرفه المسلمون قبل أن ينشره ويروج له من لهم أغراض سياسية واستعمارية مشبوهة، أما في مدلوله الصحيح المختلف تماما عن هذا المدلول الراجح في عصرنا فقد جاء في القرآن الكريم متصرفا عن أصله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾<sup>(1)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

وهذه الآيات وغيرها تتضمن بوضوح أمر المؤمنين بالخوف من الله - وبامتنال هذا الأمر من المؤمنين يندم الظلم، والفساد، والفرع؛ لأن الله - تعالى - يحرم ذلك. أما قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(3)</sup>.

فلا يدل إطلاقاً بأي وجه من الوجوه على الدعوة إلى الاعتداء على أحد، أو إفزاعه، وإنما المقصود (من إعداد هذه القوة هو إرهاب العدو حتى لا يطمع فيكم؛ لأن مجرد الإعداد للقوة، هو أمر يسبب رهبا للعدو. ولهذا تقام العروض العسكرية ليرى الخصم مدى قوة الدولة، وحين تبين لخصمك القوة التي تملكها فلا يجترئ عليك، ويتحقق بهذا ما نسميه بلغة العصر «التوازن السلمي»، وهو الذي يحفظ العالم الآن، وصار الخوف من رد

(1) سورة البقرة الآية 40.

(2) سورة الأعراف الآية 154.

(3) سورة الأنفال الآية 60.



الفعل أحد الأسباب القوية المانعة للحرب، وكل دولة تخشى مما تخفيه أو تظهره الدولة الأخرى، وهكذا صار الإعداد للحرب ينفي قيام الحرب<sup>(1)</sup>.

**المظهر الثاني:** الاختلاف في مدلول بعض المصطلحات بين الباحثين، وعدم الاتفاق على مدلول واحد مما يحدث خلافاً جديداً، أو يزيد خلافاً قائماً، ومن هذه المصطلحات على سبيل المثال، مصطلح: الإيمان فقد اختلف المسلمون بعد انقسامهم إلى فرق عديدة في تعريف هذا المصطلح، مما كان له آثار كبيرة وخطيرة، ليس بزيادة انقسامهم وحسب بل بتقريب بعضهم وتهاونه بما فهمه من الإيمان من أن العلم به يغنيه عن أداء الطاعات واجتتاب المنهيات، وفي الجهة الأخرى هناك من فهم من الإيمان أن المؤمن من كان ينطبق عليه تعريفه هو للإيمان فقط وما عداه فهو كافر مباح الدم، والعرض، والمال. ومن هذه التعريفات المختلفة لمصطلح الإيمان لبعض الفرق الإسلامية: يقول الجهمية: الإيمان هو مجرد المعرفة بالله تعالى، وأن الكفر هو الجهل به<sup>(2)</sup>.

ويقول الكرامية: الإيمان هو الإقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الأعمال وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمناً فيما يرجع إلى أحكام الظاهر والتكليف وفيما

(1) انظر: الشيخ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي - الخواطر الناشر: مطابع أخبار اليوم 1997م/ ج8 ص477.

(2) الجهمية: فرقة منحرفة، تنسب إلى الجهم بن صفوان (ت 128 هـ / 746 م) الذي قال بالإجبار، والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص 199،

يرجع إلى أحكام الآخرة والجزاء<sup>(1)</sup>. (واختلفت المعتزلة في الايمان ما هو؟ على ستة اقاويل، فقال قائلون الايمان هو جميع الطاعات فرضها ونفلها....)<sup>(2)</sup> وعند أهل السنة، الإيـمان هو: التصديق بالله تعالى وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب<sup>(3)</sup> إلى غير ذلك من الأقوال العديدة بعدد الفرق، المتفرغة بفروعها، والخطر الأشد في هذا الاختلاف يظهر في علاقة الإيـمان بالعمل، والحكم على صاحبه به بحسب مفهوم الإيـمان لدى كل فرقة، ومن هذا اختلافهم في أصحاب الكبائر: (فقال بعضهم: هم كفار، وهو قول الخوارج، وقال بعضهم: ليسوا بالكفار الذين تحل دماؤهم وأموالهم، ولكنهم كفار نعمّة، وهم منافقون؛ لأن لهم حكم المؤمنين. وقال آخرون: ليسوا بمؤمنين ولا كفار، ولكنهم فسقة أعداء الله، ويوارثون في الدنيا المسلمين ويناكحونهم ويحكم لهم بحكم الإسلام، غير أنهم من أهل النار مخلدون فيها. وهذا قول المعتزلة....)<sup>(4)</sup>.

- 
- (1) الكزّامية: نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن كزّام بن عراق السجستاني (225هـ). الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني ج 1 ص 110، تحقيق: محمد سيد كيلاني الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1404هـ.
- (2) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لعلي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، ج 1 ص 266، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثالثة تحقيق: هلموت ريتز
- (3) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل - لأبي بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلائي تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ج 1 ص 390 الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت الطبعة الأولى، 1987
- (4) التبصير في معالم الدين ابن جرير الطبري (224 - 310هـ)، تحقيق: علي بن عبد العزيز

أما عند أهل السنة والجماعة فأصحاب الكبائر "مؤمنون بالله ورسوله، ولا نقول: هم مؤمنون بالإطلاق؛ لعل....ونقول: هم مسلمون بالإطلاق؛ لأن الإسلام اسمٌ للخضوع والإذعان فكل مدعٍ لحكم الإسلام ممن وحد الله وصدق رسوله ﷺ بما جاء به من عنده، فهو مسلمٌ.، ونقول: هم مسلمون فسقةٌ عصاةٌ لله ولرسوله. ولا ننزلهم جنة ولا ناراً، ولكننا نقول كما قال الله تعالى ذكره: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾<sup>(1)</sup>. فنقول: هم في مشية الله تعالى ذكره، إن شاء أن يعذبهم عذبه وأدخلهم النار بذنوبهم، وإن شاء عفا عنهم بفضله ورحمته فأدخلهم الجنة"<sup>(2)</sup>.

**المظهر الثالث:** استخدام مصطلحات في غير موضعها بحيث تستلزم مدلولاتها تعارضاً مع موضوع الكلام الذي وردت فيه، أو مع جانب من جوانبه، ومن هذا الاستخدام الخاطيء: تسمية بعض المفسرين ما وقع من الله - تعالى - من سؤال إبليس عن سبب امتناعه عن السجود لآدم - ﷺ - وكذلك بعض الخطابات الأخرى لبعض خلقه. حواراً، والمأخذ هنا على هذا الاستعمال للمصطلح يكون من حيث المخالفة للدين وهو أشد منه من حيث اللغة، ولهذا خصصت هذا البحث للكلام عنه في المبحث التالي. وهذه جملة مختارة ومتنوعة من تسمية بعض المفسرين خطابات الله - تعالى - لبعض خلقه حواراً، وأولها: ما كان من سؤال الله - تعالى - إبليس عن سبب امتناعه عن السجود لآدم -

بن علي الشبل، ص: 183، 184، دار العاصمة، الطبعة: الأولى 1416 هـ - 1996م.

(1) سورة النساء، الآية 48.

(2) التبصير في معالم الدين للطبري ص 183، 184.

عليه السلام: - جاء في البحر المحيط في التفسير: (لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة إلى ما يستقرون فيه، نبههم على مبدأ أصلهم آدم، وما جرى لعدوه إبليس من المحاورة مع الله تعالى).<sup>(1)</sup> وفي موضع آخر جعل ما ظهر من الأرض والسماء من التذلل والخضوع لأمر ربهما -عليهما السلام- مما هو بمنزلة القول حوارا، فقال: فجعل ابن عطية هذه المحاورة بين الباري تعالى والأرض والسماء بعد خلق الأرض والسماء ورجح قول من ذهب إلى أنهما نطقا نطقا حقيقيا، وجعل الله لهما حياة وإدراكا يقتضي نطقهما...<sup>(2)</sup> وفي موضع آخر جعل سؤال الله - تعالى - رسوله عيسى - عليه السلام - لإقامة الحجة على من اتخذوه إليها حوارا: (مناسبة افتتاح هذه السورة لآخر المائدة أنه تعالى لما ذكر ما قالته النصرارى في عيسى وأمه من كونهما إلهين من دون الله، وجرت تلك المحاورة وذكر ثواب ما للصادقين)<sup>(3)</sup> وفي التفسير الحديث سمي خطاب الله - تعالى - ملائكته حوارا: (ويلحظ أن المقطع الأول من المقطعين في الآية الذي فيه المحاورة بين الله عز وجل والملائكة وتعليم آدم قد سبق المقطع الثاني الذي فيه الأمر للملائكة بالسجود لآدم).<sup>(4)</sup> وفي موضع آخر يفترض حصول حوار بين الله - تعالى -

(1) البحر المحيط في التفسير ج 6 ص 475

(2) البحر المحيط في التفسير ج 9 ص 289. يقصد: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (542هـ): صاحب تفسير: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .

(3) البحر المحيط في التفسير ج 4 ص 428

(4) التفسير الحديث ج 5 ص 101.

وبين الكفار بعد أن يصيروا إلى النار: (هذه الآيات حكاية لمحاورة مفروض وقوعها بين الله تعالى والكفار، حيث يخاطبهم الله بعد أن يصيروا إلى النار بأسلوب التقرّيع) (1) وفي موضع آخر سمى أمر الله - تعالى - ذي القرنين وخطابه إياه حواراً: (أما مواضع العظة والعبرة في القصة فمنها: أولاً: المحاورّة التي حكيت بين الله تعالى وذي القرنين... (2) وفي التفسير الوسيط جعل أمر الله - تعالى - نبيه - ﷺ - بقول ما يسكت الكفار ويوبخهم حواراً: (حاور الله تعالى من علياء سمائه المشركين أمراً نبيّه بهذا السؤال، وهو: من مالك جميع ما في السماوات وما في الأرض؟ ولمن هذا الكون والوجود وما فيه؟ والمقصود من السؤال التّبكيّ والتويخ..)

أما صفوة التفاسير فجعل استغاثة أهل النار بأهل الجنة، وما في ذلك من حكمة إلهية حواراً بين أصحاب النار والجنة: (يخبر تعالى عن المحاورّة بين أهل النار وأهل الجنة بعد استقرار كلّ من الفريقين القرار وإطمأنت به الدار، وعن استغاثتهم بهم عند نزول عظيم البلاء من شدة العطش والجوع والمعنى ينادونهم يوم القيامة أغيثونا... (3).

### المبحث الثاني: مفهوم الحوار وضابطه :

المطلب الأول: مفهوم الحوار: مفهوم الحوار في اللغة: الرجوع من الشيء إلى الشيء،

(1) المصدر السابق ج5 ص336/335.

(2) التفسير الحديث ج5 ص101.

(3) صفوة التفاسير ج1 ص415، والتفسير الحديث ج5 ص101

وعنه حورا ومحاراً، ومحارة، وحوّورا رجع عنه وإليه وفي الحديث: من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حار عليه أي رجع إليه ما نسب إليه والحوار النقضان بعد الزيادة؛ لأنه رجوع من حال إلى حال، وفي الحديث نعوذ بالله من الحوار بعد الكور، معناه: من النقضان بعد الزيادة، وقيل معناه: من فساد أمورنا بعد صلاحها، والباطل في حوار أي: في نقص ورجوع، وذهب في الحوار والبور أي: في النقضان والفساد، وأحار عليه جوابه: رده، والمحاورة: المجاوبة والتحاوير: التجاوب، وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة<sup>(1)</sup>.

### مفهوم الحوار في الاصطلاح:

عند المتقدمين لا يختلف الحوار عن الجدل كما ذكر ابن عطية في تفسيره: (والجدال عند العرب: المحاورة بمغالطة أو تحقيق أو ما اتفق من القول إنما المقصد به أن يغلب صاحبه في الظاهر إلا أن يتطلب الحق في نفسه)<sup>(2)</sup> أما عند المتأخرين فهناك تعريفات عديدة لا تكاد تختلف فيما بينها إلا في اللفظ، مع تمييزهم الحوار عن الجدل بالأدب والرفق، وطلب الحق، والابتعاد عن الخصام والعنف، ومن هذه التعريفات: الحوار هو: أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع، أو

(1) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور ج4 ص217/ 218 دار صادر بيروت.  
 (2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ج5 ص61، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ .

الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة، ويكون لنفسه موقفاً<sup>(1)</sup> ومنها: الحوار هو: محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر<sup>(2)</sup>.

**مصطلح الحوار في القرآن الكريم:** جاء لفظ الحوار في القرآن الكريم في موضعين، الأول في سورة الكهف، قوله - تعالى -: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنْ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرْتِيبَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ

(1) أصول التربية الإسلامية وأساليبها عبد الرحمن النحلاوي ص206 دار الفكر دمشق ط3 .

(2) ينظر: الحوار الإسلامي المسيحي بسام عجبك ص20 دار قتيبة

طَلَبًا (41) ﴿ وجاء في تفسيرها: {يُخَاوِرُهُ} أي: يجادله بأن يقول أحدهما فيرد عليه الآخر حتى يصلوا إلى نتيجة. أي قال صاحب الجننتين لصاحبه المؤمن وهو يجادله ويخاصمه ويفتخر عليه ويتعالى: أنا أغنى منك وأشرف، وأكثر أنصاراً وخدماءً ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُخَاوِرُهُ﴾ أي قال ذلك المؤمن الفقير وهو يراجع أخاه ويجادله ﴿كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ أي أجدت الله الذي خلق أصلك من تراب ثم من مني ثم سَوَّاكَ إنساناً سويًا<sup>(1)</sup>.

والموضع الثاني في سورة المجادلة، قوله - تعالى - : قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) ﴿

والمعنى: حقاً لقد سمع الله قول المرأة التي تراجعتك وتحاورك في شأن زوجها<sup>(2)</sup> ويتضح جليا من خلال التفسير أن مدلول لفظ الحوار في القرآن الكريم لم يخرج عن أصله اللغوي إلى معنى آخر، ولم يختلف عن ما اصطلح للدلالة عليه.

### المطلب الثاني: ضابط الحوار:

من خلال مدلول الحوار في القرآن الكريم، وتعريفاته من المتقدمين والمتأخرين، ومفهومه في اصطلاحاتهم يمكننا أن نصل إلى وصف للحوار يحدد لنا ضابطاً يميزه به

(1) ابن كثير ج5 ص157/ تفسير الشعراوي الخواطر الشعراوي ج14 ص 8906.

(2) صفوة التفاسير، للصابوني ج3 ص315.



من غيره، يجتمع هذا الضابط في النقاط التالية:

- 1- الحوار يكون بين طرفين فأكثر سواء كانا فردين أم فريقين.
- 2- في الحوار تحصل مراجعة للكلام ونقاش بالأسئلة أو غيرها من كلا الطرفين، فلا يستأثر أحد بالكلام دون الآخر.
- 3- يكون الحوار حول مسألة أو موضوع فيه خلاف وتعارض بين الطرفين.
- 4- لا بد أن تكون هذه المسألة الخلافية بين الطرفين قابلة للحوار والنقاش، فلا يقع حوار بين أمر ومأمور على أمر واجب التنفيذ؛ لأن الأمر لا يعود أمرا حين يحاور مأموره على طاعته.
- 5- يسعى كل طرف في الحوار إلى إظهار حجته على الآخر، أو إقناعه، أو التقارب معه.
- 6- أسلوب الحوار يكون بحسب أطرافه وأخلاقهم: فقد تحصل بذاءة، واستعلاء، واستكبار على الحق من المعاندين والمغرورين، وفي المقابل يحصل حوار المؤمنين بالحكمة والموعظة الحسنة، مع الرفق واللين، وقد يشد للمصلحة مع من يلزمهم ذلك.

### المبحث الثالث: خطابات الله - تعالى - واختلاف المخاطبين

خطابات الله - تعالى - لخلقه تختلف باختلاف المخاطبين منهم، فخطابه - ﷺ - لأوليائه

غير خطابه لأعدائه، وهذا ما غفل عنه بعض المفسرين - رحمهم الله تعالى - حين سوى بعضهم بين خطاب الله - ﷻ - لروحه وكلمته عيسى - ﷺ - ، وخطابه لعدوه وأول وأشد خلقه عصيانا إبليس - أبعد الله - وجعلوا من كلا الخطابين حوارا !! ، فضلا عن أن وصف خطابات الله - ﷻ - لا توصف بالحوار سواء مع أعدائه أو أوليائه كما سيتبين لنا إن شاء الله - تعالى - وهذا الاختلاف في الخطاب هو ما جمع بين بعض آيات توهم تناقضا وتعارضا بينها كقوله - ﷻ -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلَانِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾<sup>(1)</sup> وقوله - ﷻ -: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾<sup>(2)</sup>. يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله تعالى -: ( صحيح أنه سبحانه يقول لهم: {وَلَا تُكَلِّمُونَ} ولكن الكلام حين ينفي من الله فالمقصود به هو كلام الحنان وكلام الرحمة وكلام الإيناس والالطف، أما كلام العقوبة فهو اللعنة. إذن {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ} أي لا يكلمهم الحق وصلا للأنس. ولذلك حين يؤنس الله بعض خلقه يطيل معهم الكلام. ومثال ذلك عندما جاء موسى لميقات ربه، ماذا قال الله له؟ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا تَلَّكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾<sup>(3)</sup> فهل يعني هذا السؤال أن الله يستفهم من موسى عما بيده؟ . إنه سؤال الإيناس في الكلام حتى

(1) سورة البقرة الآية 174.

(2) سورة المؤمنون الآية: 106

(3) سورة طه الآية: 17.

يخلع موسى من دوامة المهابة... (1)

وكما تكون رؤية الله -ﷻ- يوم القيامة تنعيما للمؤمنين، والحجب عذابا للكافرين، فكذاك كلامه -ﷻ- يكون رحمة وأنسا لأولياته، وعقوبة وعذابا لأعدائه، وبهذا الاختلاف في الخطاب الحاصل باختلاف المخاطبين أجاب بعض العلماء على اعتراض مفترض يقول: (إنه لم يتفق لأحد من أكابر الأنبياء عليهم السلام مكالمة مع الله مثل ما اتفق لإبليس وقد عظم الله تشريف موسى بأن كلمه حيث قال: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾<sup>(2)</sup> وقال: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾<sup>(3)</sup>. فإن كانت هذه المكالمة تفيد الشرف العظيم فكيف حصلت على أعظم الوجوه لإبليس؟ وإن لم توجب الشرف العظيم فكيف ذكره الله تعالى في معرض التشريف الكامل لموسى ﷺ؟ والجواب: أن بعض العلماء قال: إنه تعالى قال لإبليس على لسان من يؤدي إليه من الملائكة ما منعك من السجود؟ ولم يسلم أنه تعالى تكلم مع إبليس بلا واسطة. قالوا: لأنه ثبت أن غير الأنبياء لا يخاطبهم الله تعالى إلا بواسطة ومنهم من قال: إنه تعالى تكلم مع إبليس بلا واسطة ولكن على وجه الإهانة بدليل أنه تعالى قال له: ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ وتكلم مع موسى ومع سائر الأنبياء عليهم السلام على سبيل الإكرام ألا ترى أنه تعالى قال لموسى: ﴿وأنا اخترتك

(1) تفسير الشعراوي - الخواطر ج 2 ص 723

(2) سورة الأعراف الآية: 143

(3) سورة النساء الآية: 164

﴿(1). وقال له: «واصطنعتك لنفسي»﴾<sup>(2)</sup>. وهذا نهاية الإكرام.<sup>(3)</sup> وبهذا الاختلاف أيضا نل نظر في تفسير هذه الآية، ثم يكون لنا بعد ذلك محاوراة مع من سمى كلام الله - ﷻ - فيها أو في غيرها محاوراة: قال - تعالى - :

﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) ﴾ يقول أحد المفسرين: (هذه الآيات حكاية لمحاوراة مفروض وقوعها بين الله تعالى والكفار، حيث يخاطبهم الله بعد أن يصيروا إلى النار بأسلوب التقرير عما إذا لم يكونوا قد نالوا ما يستحقونه لأنهم كانوا يكذبون بآياته كلما كانت تتلى عليهم. ولسوف يجيبون بأن روح الإثم والشقاء قد تغلبت عليهم فضلوا عن طريق الهدى ثم يلتمسون إخراجهم من النار معلنين توبتهم على أن يكونوا إذا عادوا ظالمين مستحقين أشد العذاب. فبرّد الله عليهم أن اخسأوا ولا تراجعوني بكلام.)<sup>(4)</sup> والصحيح أن (هذا تقرير من الله وتوبيخ لأهل النار على ما ارتكبه من الكفر والمآثم والمخارم والعظائم التي أوبقتهم في ذلك) وليس من المحاوراة في شيء، وعلى فرض جواز المحاوراة فكيف تكون بعد انتهاء

(1) سورة طه الآية: 13

(2) سورة طه الآية: 41

(3) التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى:

606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثالثة 1420 هـ ج14 ص209/210

(4) التفسير الحديث ج5 ص335/336

الحساب والصيورة إلى النار؟! (1). أما قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (12) (2). فقال أحد المفسرين في تفسيرها: (حاور الله تعالى من علياء سمائه المشركين أمرا نبيّه بهذا السؤال، وهو: من مالك جميع ما في السماوات وما في الأرض؟ ولمن هذا الكون والوجود وما فيه؟ والمقصود من السؤال التّكيت والتوبيخ، لأن المشركين في الجاهلية كانوا يعتقدون بأن الله هو الخالق، كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (25) (3)(4).

ولو سلمنا جدلا بأن الله - ﷻ - يحاور أحدا من خلقه، فكيف يبدأ حوارهِ بالتوبيخ؟! وهو - ﷻ - يأمر عباده باللين والرفق والموعظة الحسنة في الدعوة إليه - سبحانه - كما في قوله - ﷻ - : ﴿إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)﴾ (5) .

وقوله : - ﷻ - ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ

(1) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ج5 ص433،

(2) سورة الأنعام، الآية 12.

(3) سورة لقمان الآية: 25.

(4) التفسير الوسيط، لوهبة بن مصطفى الزحيلي ج 1 ص 531 دار الفكر دمشق ط

الأولى 1422هـ

(5) سورة طه الآية: 44

كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (53) ﴿ . وصاحب هذا التفسير لا يجهل هذا، قال في تفسير الآية السابقة: (أمر الله تعالى في الآية الأولى جميع المؤمنين فيما بينهم بخاصة بحسن الأدب، وإلانة القول، وخفض الجناح، واطراح نزعات الشيطان، وفيما بينهم وبين الكفار أثناء المحاوراة والنقاش بالكلمة الطيبة، والكلام الأحسن للإقناع لأن الشيطان يفسد بين الناس، ويلقي العداوة والبغضاء بينهم لأنه شديد العداوة للإنسان. وتقويتنا للفرصة عليه، وادخارا للجهاد في سبيل إبلاغ الدعوة، ونشر الإسلام، وتوصلا إلى الغاية المرجوة، يلزم أن يكون النقاش منطقيا عقليا هادئا، بعيدا عن السب والشتم والأذى. ) (1) والأقرب إلى المراد - والله أعلم - في تفسير قوله - ﷺ - ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ ما قيل في تفسيرها: (إنَّ الله - تبارك وتعالى - أمره بالسؤال أولاً ، ثمَّ بالجواب ثانياً ، وهذا إنما يحسُنُ في المَوْضِعِ الذي يكونُ جوابُهُ قد بَلَغَ في الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره مُنْكَرٌ ، ولَمَّا كانت آثار الحدوث والإمكان ظاهرة في ذَوَاتِ جميع لأجسام ، وفي جميع صفاتها ، ولا جَزَمَ كان الاعْتِرَافُ بأنها بأسرها لله تعالى ، ومِلْكٌ له ، ومَحَلُّ تَصَرُّفِهِ وَقُدْرَتِهِ ، لا جَزَمَ أمره بالسؤال أولاً ، ثمَّ بالجواب ثانياً لِيَدُلَّ ذلك على الإقْرَارِ بهذا المعنى ممَّا لا سبيل إلى دفعه أَلْبَتَّةَ ، كما قال تعالى : ﴿ وَ لَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج وهبة بن مصطفى الزحيلي ج15 ص102،

دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة : الثانية ، 1418 هـ

وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿١﴾ (2).

أما خطابات الله -ﷻ- لأنبيائه - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - فتكون وحيا قد يكلفون فيه بتبليغ أمر للناس وقد لا يكلفون، وأحيانا يكون خطاب الله -ﷻ-؛ لأمر آخر

كما في خطابه -ﷻ- لرسوله عيسى بن مريم -ﷺ- في سورة المائدة في قوله -ﷻ-:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118) ﴾ ففي هذا السؤال والجواب تَهْدِيدٌ لِلنَّصَارَى وَتَوْبِيحٌ وَتَفْرِيعٌ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وإقامة للحجة عليهم، وتعريف عيسى -ﷺ- أَنَّ قَوْمَهُ غَبَرُوا بَعْدَهُ، وَادَّعَوْا عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ، كما أن فيه إقرار عيسى -ﷺ- على نَفْسِهِ بِالْعُبُودِيَّةِ فَيَسْمَعُ

(1) لقمان الآية: 25

(2) سير اللباب لابن عادل أبو حفص عمر بن علي ج 1 ص 1997 دار الكتب العلمية .

بيروت / 1998

قَوْمُهُ، وَيَظْهَرُ كَذِبُهُمْ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ<sup>(1)</sup>. وليس هذا من المحاوراة في شيء كما ذكر ذلك أحد المفسرين، فقال: (مناسبة افتتاح هذه السورة لآخر المائدة أنه تعالى لما ذكر ما قالته النصارى في عيسى وأمه من كونهما إلهين من دون الله، وجرت تلك المحاوراة وذكر ثواب ما للصادقين،...) (2). أما خطاب الله - ﷻ - لملائكته - عليهم السلام - الذي جاء في قوله - سبحانه - : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)﴾ (3). ففيه حكم عديدة منها:

- امتنان الله - ﷻ - على بني آدم بتتويبه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم.

- علم الله - ﷻ - أن الملائكة إذا اطلعوا على ذلك السر أوردوا عليه ذلك السؤال، فكانت المصلحة تقتضي إحاطتهم بذلك الجواب، فعرفهم هذه الواقعة لكي يوردوا ذلك السؤال، ويسمعوا ذلك الجواب.

- أراد الله - ﷻ - أن يزيدهم بياناً، وأن يفصل لهم ذاك المُجمل، فبين - ﷻ - لهم من فضل آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما لم يكن معلوماً لهم، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها،

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج3 ص208، واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل ص1971.

(2) البحر المحيط في التفسير ج4 ص428

(3) سورة البقرة الآية: 30



ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كَمَالِ فَضْلِهِ، وقُصُورهم عنه في العلم، فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي.

- في هذا الخطاب من الله - ﷻ - تعليم لعباده المَشُورَة، ولما نكته أنه - ﷻ - يخلق خلقا أكرم عليه منهم، واختبار لهم لِيتميز من أضر الحسد والكبر والعصيان.

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، - ﷻ - ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين، وقد وصفهم الله - تعالى - بأنهم لا يسبقونه بالقول، أي: لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك<sup>(1)</sup>.

أما قوله - تعالى - : ﴿فَلَمَّا يَآذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88)﴾<sup>(2)</sup>.

فهو خطاب من الله - ﷻ - لذي القرنين (يحكمه في من وجدهم، ويخيره إن شاء قتلَ وسبى وإن شاء من أو قدى) وليس من المحاورة ولا ما يقاربه في شيء<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج 1 ص 216/ الباب في علوم الكتاب ص 499 /

(2) سورة الكهف الآية 88.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ج 5 ص 174.

أما قوله -ﷺ- : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (11) (فليس المراد منه توجيه الأمر والتكليف على السموات والأرض بل المراد منه أنه أراد تكوينهما فلم يمتنع عليه ووجدتا كما أرادهما، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الأمير المطاع، وهذا عدول عن الظاهر، لكنه جاز؛ لأن قوله -ﷺ- (ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) لا يمكن إجراؤه على ظاهره؛ لأنه حصل قبل وجودهما، وإذا كان الأمر كذلك امتنع حمله على الأمر والتكليف، فوجب حمله على المعنى المذكور)<sup>(1)</sup>.

فتبين أنه لم يكن هناك تبادل للكلام أصلاً حتى نصفه بالتحاور أو غيره، ولو حصل تكالم فالسما والارض خارجان عن التكليف، ولا يحصل منهما إلا الطاعة التامة. أما قوله - تعالى - : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50)﴾ ففيه: (يخْبُرُ تَعَالَىٰ عَنْ ذِلَّةِ أَهْلِ النَّارِ وَسُؤَالِهِمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ شَرَابِهِمْ وَطَعَامِهِمْ وَأَنَّهُمْ لَا يُجَابُونَ إِلَىٰ ذَلِكَ)<sup>(2)</sup> وفي هذا زيادة غم على الكافرين؛ لأن الآيس من الشيء الذي يتمناه، المنصرف عن التطلع إليه أهون حالاً ممن يتأمل حصوله، ويلوح له ذلك ثم يزداد يأساً على يأسه.

المبحث الرابع: الإنكار على من نسب إلى الله - تعالى - الحوار

(1) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ج27 ص550 (بتصرف) .

(2) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ج3 ص380

الحوار كما مر في ضابطه لا يكون من غير خلاف وتعارض بين طرفين فأكثر على مسألة ومحاولة كل طرف التغلب على الطرف الآخر، والظهور عليه بالحق - بحسب فهمه - أو بالباطل قصداً أو من غير قصد، وهذا إنما يناسب الناس وما هم عليه من ضعف ونقص، أما مع الله - تعالى - فإنه يتنافى تماماً مع صفات الكمال الواجبة له - سبحانه - ، كما سيتبين من خلال الدليلين النقلي والعقلي كالتالي:

أولا الدليل النقلي، قال - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(1)</sup>.

(وقوله: لا مُعَقَّبَ أي لا راد ولا مناقض يتعقب أحكامه، أي ينظر في أعقابها أمصيبة هي أم لا؟)<sup>(2)</sup>.

وقال - عز وجل - : ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

(أي هُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ أَحَدٌ لِعِزَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَلَطْفِهِ، وَهُمْ يُسْئَلُونَ أَي وَهُوَ سَائِلٌ خَلْقَهُ عَمَّا يَعْمَلُونَ)<sup>(4)</sup>.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾<sup>(5)</sup>.

(1) سورة الرعد، الآية: 41

(2) المحرر الوجيز لابن عطية ج3 ص 319

(3) سورة الأنبياء، الآية: 23

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج5 ص 295.

(5) سورة الأحزاب، الآية: 36.

"هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا حَكَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِشَيْءٍ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مُخَالَفَتُهُ، وَلَا اخْتِيَارَ لِأَحَدٍ هُنَا، وَلَا رَأْيَ وَلَا قَوْلَ.." (1).

أما الدليل العقلي: فإن القول بأن الله -ﷻ- يحاور أحدا يتناقض مع حقائق العقل، ويتعارض مع صفات الكمال التي يحكم العقل بوجودها لله -ﷻ-؛ لاستنزاهة أموراً كثيرة منها:

- أطراف الحوار يكونون أناداء في رتبهم أو متقاربين، وأحياناً تكون بينهم عداوة تستلزم طرفاً آخر يكون وسيطاً بينهم، وراعياً لحوارهم، وهذا كله مستحيل في حق الله -ﷻ-.

- كل طرف في الحوار يكون مؤثراً أو متأثراً، وموافقاً صراحة أو ضمناً على الرجوع عن رأيه إلى رأي الطرف الآخر إذا ظهرت له حجته، أو التقارب معه إن لم تظهر لأحد حجة، والله -ﷻ- يؤثر ولا يتأثر، وله الحجة البالغة، وليس لأحد عليه حجة.

- المتحاورون جميعهم شركاء في النتيجة التي يتوصلون إليها بالحوار، ولا شريك لله -ﷻ-.

- جميع المسائل والقضايا التي يبين الله -ﷻ- وبين خلقه لا تصلح أن تكون موضوعاً للحوار لأنها تكاليف واجبة الامتثال والطاعة من الخلق، فإما أن يطيعوا فيثابوا، أو يعصوا فيعاقبوا.

ولا يشكل على هذا قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76)﴾ (2).

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج6 ص377.

(2) سورة هود، الآية: 76.

ووجه الإشكال في مفهوم هذه الآية هو: أن هذه المجادلة إن كانت مع الله - تعالى - فهي جراءة

عليه - ﷺ - واعترض على حكمه، وسخط من قضائه وقدره، وهذا كفر، وإن كانت هذه المجادلة مع الملائكة فإن اعتقد فيهم أنهم من تلقاء أنفسهم يجادلون في هذا الإهلاك فهذا سوء ظن بهم.

وإن اعتقد أنهم بأمر الله جاءوا فهو يطلب منهم مخالفة أمر الله تعالى وهذا منكر.

والجواب عن هذا الإشكال هو: أن ما حصل بين إبراهيم الخليل - ﷺ - وبين الملائكة من كلام لم يكن من الجراءة والجدال المذموم؛ لأن الله - ﷻ - مدحه عقيب ذكر الجدل، فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾

وإبراهيم - ﷺ - طمع في أن تلحقهم رحمة الله - ﷻ - فطلب تأخير العذاب عنهم؛ لعلمهم يؤمنون ويتوبون، ورأى أن أمر الله - ﷻ - الوارد بإيصال العذاب مطلق لا يوجب الفور بل يقبل التراخي، فلما علم من الملائكة أنه على الفور وغير مردود أسلم لأمر الله - تعالى - (1).

والذي يظهر للباحث - والله أعلم - أنه لم يحصل بين خليل الله إبراهيم - ﷺ - وبين الملائكة ما يحصل بين المتجادلين من خصام وتبادل حجج ومحاولة كل طرف الظهور والتغلب على الآخر إضافة إلى أن ما طلبه - ﷺ - في كلامه لم يكن لخاصة نفسه أو آله وهو ما يجادل المتجادلون من أجله، ولكن قوة العزم، وبالغ الرجاء، وشدة الإلحاح في طلب

(1) ينظر: التفسير الكبير، الرازي. ج18 ص376  
233

الإمهال جاء في صورة الجدل وهذا نظير قوله - ﷺ -: ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾<sup>(1)</sup>.

يقول الشيخ الرازي - رحمه الله - في تفسيرها: (فإن قيل الملائكة لا يجوز أن يقال إنهم اختصموا بسبب قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ﴾<sup>(2)</sup> فإن المخاصمة مع الله كفر، قلنا لا شك أنه جرى هناك سؤال وجواب، وذلك يشابه المخاصمة والمناظرة، والمشابهة علة لجواز المجاز، فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه)<sup>(3)</sup>.

**الخاتمة:** وتتضمن: أهم نتائج البحث، وبعض التوصيات.

### أولاً: النتائج.

1:شهد فكرنا الإسلامي اضطراباً في بعض المصطلحات من حيث وضعها أو استعمالها أو الاختلاف والتصرف في مدلولاتها؛ بأسباب عديدة منها: ضعف اللغة، وغياب النقد، وجمود القدرات.

2: تتلخص إشكالية المصطلح في الفكر الإسلامي في ثلاثة مظاهر: (أ) الوضع الخاطيء (ب) الاختلاف في المدلول (ج) الاستخدام الخاطيء .

3: أخطأ بعض المفسرين باستخدام مصطلح الحوار، ووصف بعض خطابات الله - ﷻ - به.

(1) سورة ص الآية: 60

(2) سورة البقرة الآية: 30.

(3) التفسير الكبير، الرازي ج26 ص 408.

4: تختلف خطابات الله -ﷻ- إلى خلقه باختلاف المخاطبين: فكلامه -ﷻ- يكون رحمة وأنسا لأولياته، وعقوبة وعذابا لأعدائه.

5: من خلال الدليلين النقلي والعقلي لا يجوز أن ننسب الحوار إلى الله -ﷻ- ؛ لأن الحوار يتنافى مع صفات الكمال الواجبة له - سبحانه - .

### ثانيا: التوصيات.

1- ينبغي الاهتمام بتنمية القدرات، والرفع من مستوى اللغة لدى الدارسين والباحثين بمختلف مستوياتهم، وزيادة الرصيد من المفردات، والقدرة على تمييز الأصيل فيها من الدخيل.

2- ينبغي الاهتمام بالنقد البناء، وتعليم وتدريب الطلاب عليه، وتعويدهم على تقبله برحابة صدر، والاستفادة منه.

3- ينبغي التركيز على المصطلحات ومدلولاتها، والعمل على تصحيح المخطئ منها، وعدم الاستسلام للأخطاء المشهورة منها أو من غيرها.

## المصادر والمراجع:

## القرآن الكريم.

- 1- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، لعبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دار الفكر دمشق، الطبعة: الثالثة.
- 2- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
- 3- التبصير في معالم الدين لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (224 - 310هـ)، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة، الطبعة : الأولى 1416 هـ - 1996م.
- 4- التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: 1383هـ.
- 5- تفسير الشعراوي - الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم 1997م.
- 6- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م.



- 7- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
- 8- تفسير اللباب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة 880 هـ، دار الكتب العلمية .بيروت. 1997.
- 9- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة: الثانية ، 418 هـ.
- 10- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل - لأبي بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلاني تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت الطبعة الأولى ، 1987 ،
- 11- الحوار الإسلامي المسيحي، لبسام عجك، دار قنتية.
- 12- صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
- 13- الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: 429هـ)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1977م.
- 14- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الرويفعي (المتوفى: 711هـ)، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ دار صادر بيروت.

- 15- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ
- 16- المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، تحقيق / مجمع اللغة العربية، الناشر: دار الدعوة.
- 17- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لعلي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، تحقيق : هلموت رينتر، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثالثة.
- 18- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، 1404هـ.

## (علم الهندسة في الحضارة الإسلامية بين النظرية والتطبيق )

د. محمد مصطفى المنتصر - أ. أحمد علي دعباح

## المقدمة:

عرفت الهندسة في الحضارة الإسلامية بعد ظهور حركة الترجمة وازدهارها نقلة نوعية وذلك عن طريق ترجمة كتب الإغريق والتي تركت الأثر الكبير في عقول علماء المسلمين وعلى رأسها كتاب إقليدس (أصول الهندسة) حيث شق ذلك العلم طريقه في التطور وأخذ حيزاً مهماً بين العلوم الإسلامية من الناحيتين النظرية (العقلية) والتطبيقية (العملية) حيث قدم العلماء المسلمون إسهامات جليلة في علم الهندسة؛ فلقد كانت لهم نظرياتهم التي دونوها وبرهنوا عليها في مصنفاتهم ورسائلهم التي لازالت شاهداً على أعمالهم العلمية، ومن هؤلاء (البيروني وابن الهيثم) ومن تبعهم من العلماء على مر عهود الحضارة الإسلامية.

أما على الصعيد التطبيقي (العملي)، فقد طبق المسلمون العلوم الهندسية على الأرض تجسّد ذلك في العمارة الإسلامية (المدن) والتي تشمل : المساجد- القصور- والدور- الأسوار- الأبراج-السدود- الجسور وغيرها. وما شملته من تصاميم وزخارف تعبر عن درجة التطور والإتقان في الهندسة الإسلامية كذلك ظهر الإبداع في علم الهندسة في الحضارة الإسلامية من خلال صناعة الآلات ذات الطابع الهندسي الميكانيكي. ذلك عبر عهود مختلفة ومناطق متباينة من الدولة الإسلامية المترامية الأطراف والتي تنوعت بنتها. تأسيساً على ما سبق يرتئي الباحثان جدوى دراسة هذا الموضوع وفق العنوان المذكور من خلال طرح إشكالية بحثية متمثلة في التالي:

• ما دور العلماء المسلمين في علم الهندسة نظرياً وتطبيقياً في تاريخ الحضارة الإسلامية ؟  
 أ- ما درجة استنباط واستنتاج علماء المسلمين ما ورد في كتب الإغريق وتطويره من الناحية النظرية ؟

ب- كيف استفادت الحضارة الإسلامية من علم الهندسة في النواحي التطبيقية العملية ؟  
 يحاول الباحثان مناقشة وحل هذه الإشكالية في متن البحث والإجابة عن التساؤلات من خلال طرح مساهمة وإضافات العلماء المسلمين في علم الهندسة النظرية (العقلية) والتطبيقية (العملية). وهي محاولة متواضعة لدراسة هذا الموضوع وفق هذا الطرح فقسمت هذه الورقة حسبما تطلبت طبيعتها إلى مقدمة ومبحثين: درست في المبحث الأول : الجانب النظري العقلي في علم الهندسة عند العلماء المسلمين والإسهامات النظرية من خلال المؤلفات والرسائل في علم الهندسة بشتى فروعه

وتناول المبحث الثاني : الجانب التطبيقي العملي وتمثل في العمارة وتصميم الآلات والاختراعات التي طبقها المسلمون على الواقع. ثم خاتمة تضمنت النتائج وذيلتها بقائمة للمصادر والمراجع.

**أولاً: الجانب النظري العقلي في علم الهندسة عند العلماء المسلمين:**

**تعريف الهندسة:** يقال إن أصل كلمة هندسة هي الكلمة الفارسية (الاندازة) وتعني القدرة على حل المشكلات، ويعرفه أهل اللغة بأنه العلم الرياضي الذي يبحث في الخطوط والأبعاد والسطوح والزوايا والكميات والمقادير المادية من حيث خواصها وقياسها أو تقويمها وعلاقة بعضها ببعض وهي مرادفة للكلمة الانجليزية (Geometry).

وجاء تعريف علم الهندسة في العلوم بأنه: علم يعرف بأنه أحوال المقادير ولواحقها وأوضاع بعضها عند بعض وتسميتها وخواص أشكالها والطريق إلى عمل ما سبيله أن يعمل بها واستخراج ما يحتاج إلى استخراجة بالبراهين اليقينية<sup>(1)</sup>.

وقد تحدث ابن خلدون عن علم الهندسة في مقدمته بما يصور هذا العلم بتصور اسلامي أصيل قائلاً: "هذا العلم هو النظر في المقادير، إما المتصلة: للخط والسطح والجسم وإما المنفصلة: كأعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل: إن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا إلى غير نهاية، ومثل: إن كل مثلث فزواياه مثل قائمتين، ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان، مثل: أن الأربعة المقادير المتناسبة ضرب الأول منهما في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك"<sup>(2)</sup>.

ولقد عرف علم الهندسة في الحضارات قبل الاسلام كالحضارة المصرية القديمة التي تجسدت في بناء الأهرامات والتي تعتبر من عجائب الدنيا والتي كشف بنائها عن دراية كبيرة بعلم الهندسة لازالت شواهدا قائمة البناء حتى عصرنا الحاضر<sup>(3)</sup>.

كذلك الحال في الحضارات القديمة مثل البابليون الذي عرفوا علم الهندسة وتمكنوا فيه ودونوا ذلك في نقوشهم الصخرية، وقد تجسد دور الحضارات القديمة في علم

(1) صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، تح: عبد الجبار الزكار، دار الكتب العلمية، دمشق، 1978م، م<sup>2</sup>، ص 423.

(2) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، المقدمة، دار الكتب العلمية 2001م، ص 215.

(3) علي عبدالله الرفاعي، لمحات من تاريخ الحضارة العربية والاسلامية، دار العلم للملايين، القاهرة، ص 77.

الهندسة في المباني الكبيرة الضخمة، كذلك الجسور والسدود التي دعت الحاجة لابتكارها إذ يمكن القول أن اغلب العلوم الهندسية في الحضارات القديمة لم تتعدى الهندسة المعمارية نظرياً وعملياً.

ولما كان علم الهندسة من العلوم العقلية النظرية والتي لا بد فيها من التفكير وتحفيز العقل على المعرفة وهي التي دعى إليها الإسلام وتعاليمه، وأوامره للعلم وحثه عليه، ومن هذا المنطلق استطاع علماء المسلمين أن يطوروا هذا العلم وينموه حتى أنهم أصبحوا فيه من المبدعين من خلال ما اقتبسوه من الحضارات السابقة وطوروه حتى طبع بطابع الحضارة الاسلامية المميز عن طريق ترجمة كتب اليونان في العصر العباسي<sup>(1)</sup>.  
ومن أبرز الكتب الهندسية اليونانية كتاب (إقليدس) الذي دون علم الهندسة في (330-320 ق.م)، ومن تم ترجم إلى العربية كما تمت الاشارة وسموه الأحوال حيث كان الفضل لعماء المسلمين في حفظ هذا العلم من الضياع وتطويره وانتقل منهم إلى أوروبا<sup>(2)</sup>.

وبناء على ما تمت الإشارة إليه فإن لعماء المسلمين الفضل في إضافات ومساهمات أدخلوها على علم الهندسة، ومن أمثلة ذلك: تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية والدائرة أيضاً، وقد ألف الكندي العديد من الرسائل في تقسيم المثلثات والمربعات واستخراج صفة القبلة وكانت مؤلفاته مرجعاً لبناء السدود وشق القنوات ومن القواعد المعمارية الهندسية التي كان للمسلمين اليد الطولى فيها الزخارف التي عرفت باسم الزخارف الاسلامية، وفيها هندسة متطورة تعتمد على المعلاقات وترتيب خطوطها بطرق فنية بديعة وكانت تظهر فيها

(1) شوقي أبو خليل، علماء الأندلس ابداعاتهم المتميزة وأثرها في النهضة الأوروبية، ص20.

(2) حكمت فريجات، إبراهيم الخطيب، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، ص157.

النباتات المتشابكة وأوراق النبات والأزهار وقد جمع علماء المسلمون بين الجبر والهندسة ويعتبر بذلك لهم الفضل في وضع الهندسة التحليلية<sup>(1)</sup>.

ويرى البعض أن اهتمامات المسلمين بالناحية العملية التطبيقية كانت أكثر من الناحية النظرية العقلية وتجسد ذلك في المدن الاسلامية الكبيرة ودورها وقصورها ومساجدها والتي قامت في أرجاء الدولة الاسلامية، وهذا الرأي قابل للنقد، حيث إن معرفة علم الهندسة وتطوره نظرياً عند المسلمين أسهم وتجسد في الشعر العملي التطبيقي على أرض الواقع وبذلك كان الجانب النظري أساس للجانب العملي في تطبيقه على الواقع فتبلورت الهندسة الاسلامية في صورتها الكاملة ما بين النظرية العقلية والتطبيقية العملية فأصبح الجانب العملي شاهداً أو برهاناً على نجاح الجانب النظري، فأصبح التطبيق برهاناً للنظريات العقلية.

وفي مجال الهندسة الميكانيكية برع علماء المسلمين في تطويرها والابتكار فيها منذ أوائل القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وعرف هذا المجال العلمي المتميز عند المسلمين باسم (الحيل النافعة) وهي تصميم الآلات النافعة والتي توفر على الانسان الجهد والوقت وتشتغل من الطبيعي إما الماء أو الهواء وهو ما يعرف علمياً بـ(الايروديناميكا) و(الهيدرواستا تيكا) وهنا يبرز دور علماء المسلمين جلياً واضحاً فبالرغم مما ورثه المسلمون من الحضارات السابقة ولكن دورهم يظهر في مدى التطور والتقنية في مجال الآلات واستخدامها وتطبيقها والاستفادة منها، حيث يمثل علم الحيل

(1) راغب السرحاني، الهندسة في الحضارة الاسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية 2010م القاهرة

النافعة الجانب التقني المتقدم في العلوم الإسلامية في الحضارة العربية فكان العلماء يستخدمون كل مبتكراتهم في كل ما يخدم الدين والدنيا، وقد ساعدت هذه الابتكارات والاختراعات المسلمين في حياتهم العملية فأصبحوا لا يبذلون الكثير من الجهد وكانت الآلات كقيلة بتقديم أداء جيد لهم في أمور حياتية مختلفة ووفرت عليهم الجهد والوقت<sup>(1)</sup>. ولعل من أهم إنجازات الهندسة الميكانيكية (الحيل النافعة) ما تجسد في الإمكانيات التي من خلالها استطاع المسلمون رفع الأحجار وباقي مواد البناء لارتفاعات شاهقة كالمآذن والأسوار الكبيرة والمباني العالية، فهي من شواهد استعمال المسلمين للآلات الميكانيكية لاستكمال المرافق المذكورة، وقد عبر عن ذلك صاحب كتاب الإسلام والحضارة العربية بقوله "وللعرب في باب الهندسة إبداع أقرهم عليه كل عارف ولم ينازعهم فيه منازع". وقد تجلّى في هندستهم حبهم للزخارف والرسوم واخترعوا القوس المقنطر... وجعل تقننهم في هندسة القباب والسقوف واقتباسهم من الأشجار والأزهار بجوامعهم وقصورهم لا يبلى على الدهر جديدها<sup>(2)</sup>.

ومن علماء الهندسة المسلمين الذين كان لهم اليد الطولي في تطوير علم الهندسة وبعض العلوم الأخرى حيث اتصفوا بالعلوم الموسوعية مميزة ذلك العصر.

### 1- ثابت بن قرّة من أهل حران شمال العراق:

وقد كان من الصابئة قبل أن يسلم، وقد التحق ثابت بن قرّة ببيت الحكمة البغدادي، وعرف بذكائه ونبوغه في كثير من العلوم ومنها علم الهندسة، حتى قيل عنه

(1) أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي الإسلامي، دار الفكر العربي، 2002م، ص 28 وما بعدها.

(2) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، دار الفكر دمشق، دون تاريخ، ج 1، ص 321.



أعظم هندسي مسلم، فقد أسهم بنصيب وافر في علم الهندسة وتطوره وهو الذي مهد لإيجاد علم التكامل والتفاضل كما استطاع أن يحل المعادلات الجبرية بالطرق الهندسية، وتمكن من تطوير وتجديد نظرية فيثاغورث المعروفة، وكانت له أبحاث وابتكارات ورسائل في مجال الهندسة، حيث ألف كتاباً في الجبر شرح فيه العلاقة بين الجبر والهندسة واستطاع أن يعطي حلولاً لبعض المعادلات التكعيبية وهو ما أفاد علماء الغرب فيما بعد في تطبيقاتهم وأبحاثهم الرياضية في القرن السادس عشر، ومن نتاجه العلمي: كتاب في مساحة الأشكال المسطحة والمجسمة وكتاب في مساحة المجسمات المكافيلية وقول في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية<sup>(1)</sup>.

## 2- بنو موسى بن شاكر:

وهم ثلاثة أخوة (محمد وأحمد والحسن)، عاشوا في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي ولمعوا في العلوم العقلية النظرية والتطبيقية العملية ومثلها علم الهندسة، وألفوا كتاباً عرفوا بكتاب "حيل بن موسى"، وقد ذكره بن خلكان قائلاً: "ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة، ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد<sup>(2)</sup>، وهذا الكتاب يحتوي على مجموعة كبيرة من التركيبات حوالي المئة تركيب ميكانيكي مع رسوم وشروح توضيحية لتلك التركيبات وتشغيلها.

(1) الذهبي، شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 2001م، ج3، ص48.

(2) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان

عباس، دار صادر، بيروت، 1972م، ج1، ص305.

ولقد كان لبني موسى السبق في بعض الابتكارات والاستخدامات كاستخدام الصمامات المخروطية والأعمدة التي تعمل بصورة آلية وغيرها من مبادئ التحكم الآلي، وتعد هذه الابتكارات انجازات في عالم الهندسة الاسلامية والتقنية بشكل عام.

ومن الأشياء والتركيبات التي استخدمها بنو موسى الآلات لخدمة الزراعة والفلحة وتربية الحيوانات تنظر الملاحق شكل(6) والآلات لتوفير المياه وعدم هدرها، وتبقى تحت السيطرة في تحديد الكمية المطلوبة، وكان لهؤلاء العلماء اسهامات كبيرة في دفع تقنية (الحيل النافعة) أو الهندسة الميكانيكية<sup>(1)</sup>، وقد كان لهم أيضاً على الصعيد النظري أيضاً كتابات مهمة مثل كتاب (معرفة مساحة الأشكال البسيطة والكروية) وقد شكل هذا الكتاب تطوراً مهماً لكتابي ارسميش عن (حساب مساحة الدائرة) وعن (الكرة والاسطوانة)، وقد استطاع الأخوة الثلاثة تحليل نصوص تلك الكتب ودمجها وتطويرها مما كان له بالغ الأثر في المشرق الاسلامي وأوروبا فيما بعد وقد ذلك هذا الكتاب على صبغ العمل الجماعي من خلال نصوصه التي جاءت بصيغة الجمع مثل نقول أردناه .... إلخ، كذلك حرص هؤلاء الاخوة في مؤلفاتهم على الأمانة العلمية بالإشارة إلى مصادرهم وأفكارهم وغيرهم<sup>(2)</sup>.

### 3- أحمد بن خلف المرادي:

- 
- (1) أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الاسلامية، مطابع دار المصارف، مصر، 1983م، ص 57-66.
- (2) محمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الاسلامي، دار الهداية القاهرة، 1995م، ص 123.

ظهر اسمه في مخطوط في أواخر القرن العشرين بفرنسا، وهذا المخطوط في الحيل النافعة وموسوم ب(الأسرار في نتائج الأفكار) يرجع إلى حضارة المسلمين بالأندلس ويدور موضوعه حول الآلات ومنها الطواحين والمكابس المائية ويحوي أكثر من ثلاثين نوعاً من الآلات الميكانيكية وساعة شمسية متطورة عما كانت عليه في المشرق الاسلامي، ولقد أشاد على الغرب بهذا الكتاب ومنهم (جوان فيرنية) الاستاذ في العلوم العربية بإيطاليا، حيث يؤكد نسبة الكتاب المذكور لمؤلفه أحمد بن خلف المرادي ويرجعه إلى القرن الخامس الهجري، ويصفه بأنه اختراع في علم الهندسة الميكانيكية، ويذكر الساعة المائية المميزة التي ابتكرها المرادي في مؤلفه المختص.

ومن أمثلة الابتكارات والاختراعات التي صورها كتاب الأسرار للمرادي (حامل للمصحف) والموجود بجامع قرطبة المدينة الأسبانية، وهذا الحامل يشتغل بطريقة آلية مميزة ذاتية الحركة في إخراج المصحف وفتح وطي أوراقه وركنه من جديد، وذلك بحركة ذاتية عند البدء وحركة عكسية عند إنهاء العملية عن طريق سيور مخفية عن الأنظار، وفي موضع آخر من كتاب المرادي يعرض قضية أخرى ملفتة للنظر وهي تقنية أخرى متقدمة في إحدى القصور بالأندلس وهي تحريك مقصورة الخلفية آلياً عن طريق قاعدة محركات لها إلى جانب المقصورة وهو ما يعكس مدى التطور والاختراع الذي وصل اليه علماء تلك العصور في مجال الهندسة بصفة عامة والحيل بصفة خاصة<sup>(1)</sup>.

#### 4- بديع الزمان الجزري:

(1) راغب السرجاني، المرجع السابق، ص116.

تنوعت وتعددت اختراعات علماء المسلمين في مجال الهندسة الميكانيكية أو ما يعرف عندهم (الحيل النافعة) ما بين محركات وساعات والآلات ورافعات يتم فيها نقل الحركة من متوازية طويلة إلى دائرية بواسطة الدواليب والدوائر المتحركة وعن طريق التروس المتتالية والمتوازية، وهو اساس الحركات الآلية الحديثة بالإضافة إلى السيور والتي توصل هذه القطع ببعضها أحياناً إن كانت فصوله، أما إن كانت ملتصقة فبعضها بمحرك آخر، وفي هذا السياق كتاب بديع لعالمنا المذكور آنفاً بعنوان: (الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل)، وهو المكنى بأبي الغريين إسماعيل الجزري من علماء القرن السابع الهجري وقد ترجم عمله المذكور إلى اللغة الانجليزية وأثنا عليه المختصين والعلماء المحدثين ومنهم جورج سارتون واصفاً إياه بأنه أكثر الكتب من نوعه وضوحاً، وهو من أفضل ما ألفه علماء المسلمين في هذا العلم.

وقد حوى هذا الكتاب تفاصيل عن ساعات بها دمي صغيرة متحركة عبارة عن عصافير متحركة أو أناس يقرعون الطبول وينفخون بالأبواق وتتحرك هذه الساعات عن طريق آلية مخيفة عن الأنصار بدقة متناهية وعرض فيه أيضاً الآلات رفع المياه وفيه وصف لمضخة فيها ماسورتين متقابلتين في كل منها ذراع يحمل مكبساً إسطوانياً، فإذا كانت إحدى الماسورتين في حالة ضغط أو كبس تكون الثانية في حالة سحب الماء وقد ثبت كل من الدراعين في قرص دائري مسنن يدار بواسطة عمود الحركة المركزي، وهناك

ثلاث صمامات تسمح بمرور الماء في اتجاه واحد من أسفل إلى أعلى ولا تسمح بعودتها<sup>(1)</sup>.

وهناك مؤلف آخر للجزري بعنوان: (كتاب في معرفة الحيل الهندسية)، يوجد به قسم خاص لآلات رفع المياه يتضمن وصف لمضخة مائية بها زنجير طويل عليه مجموعة من الدلاوي وهي نموذج لنافورة مصغرة محاطة بالرخام وبها أرضية من الرخام بها دولايب للإدارة والحركة وبها تمثال متحرك وبعض الأدوات تعبر عن جانب الترفيه، وقد عرض في هذا الكتاب بعض الآلات المستخدمة في قصور الخلفاء والتي تسهل العمل داخلها من تناول للماء في أثناء الوضوء ونحوه<sup>(2)</sup>.

### 5- تقي الدين الدمشقي:

لا يمكن في هذا المقام إغفال دور شخصية مميزة وصفه البعض بأنه فخر للتقنية الإسلامية، وهو من أعلام القرن العاشر الهجري وهو تقي الدين بن معروف الدمشقي صاحب كتاب (الطرق السنية في الآلات الروحانية) وفيه وصف دقيق لعدد من الأجهزة الميكانيكية مثل الساعات المائية والرملية والآلية ينظر ملحق (7) والروافع بالبكرات والتروس المسننة والنافورات المائية والآلات الدوارات باستخدام المراوح الهوائية، ويعتبر كتاب الدمشقي المذكور على جانب كبير من الأهمية إذ أنه يكمل مراحل في الهندسة الميكانيكية الإسلامية ويقدم وصفاً لآلات كثيرة لم يرد وصفها في كتب أخرى،

(1) ينظر: (الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الجيل)، لبديع الزمان الحراري، ترجمة: دونالد هيل، منشورات دور درشت ديدل، 1979م.

(2) راغب السرجاني، المرجع السابق، ص118.

ويعتبر أقرب ما يكون في وصف هذه الآلات للرسم الهندسي الحديث ذي المساقط أو المجسمات، ومجمل القول أن علماء الهندسة والتقنيون المسلمون في الحضارة الإسلامية يتبعون المنهج العلمي وهو رسم مخططات للآلات ويصنعون مجسمات صغيرة كنموذج لها قبل تنفيذها على أرض الواقع والاستفادة منها على الصعيد العملي التطبيقي حسب ما أورده في كتاباتهم<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: الجانب العملي التطبيقي لعلم الهندسة في الحضارة الإسلامية:

استكمالاً لما تم بيانه من الحديث عن علم الهندسة في الحضارة الإسلامية والتي يطول الحديث عنه، وقد حاول الباحث عرض أبرز النظريات والآراء العقلية ذاكراً نماذج لبعض العلماء المسلمين في هذا المجال حسب طبيعة هذه الورقة البحثية والتي لا يتسع المجال فيها للإسهاب في تلك القضايا والذي يحاول الباحثان فيها التعرف على الجانبين النظري العقلي والتطبيقي العملي فقد تعرفنا فيما سبق على النتائج العلمي النظري وبعض مصنفات العلماء المسلمين في علم الهندسة بفروعه أو ما يعرف لديهم (بالحيل النافعة).

يحاول الباحثان في هذا المقام دراسة الجانب التطبيقي العملي والذي تجسد في الجانب المادي الملموس في حياة المسلمين وتاريخهم الطويل، وحضاراتهم المزدهرة في جميع مناحي الحياة، ولعل تجسيد لفن الإسلامي في المجال الهندسي يتمثل في التالي:

**1: العمارة:** كان للتوسع الإسلامي في خارج حدود الجزيرة العربية واختلاطهم بشعوب البلاد المفتوحة واطلاعهم على الفنون والعلوم في شتى المجالات لاسيما المعمارية

(1) أحمد فؤاد باشا، المرجع السابق، ص35-40.

منها، وأدخلوا عليها الكثير من التطوير والتحوير فبنوا المدن الاسلامية الكبيرة والتي تحمل السمات والطابع الهندسي المعماري الاسلامي ولازالت شواهدا قائمة إلى وقتنا الحاضر، كالمساجد والقصور والدور وكلها تحمل طابع عصرها الذي بنيت فيه وتعكس التطور المتلاحق للعمارة الإسلامية والتي بدأت على أساس ديني بما يتماشى مع الشرع الحنيف من حشمة وستر للحرمان وغير ذلك، وكذلك وفق الأدوار المنوطة لهذه العمائر، فالمسجد مثلاً للعبادة والتعليم وتجهيز الجيوش وكان موقعه دائماً في الوسط ليسهل على الناس إدراك صلواتهم به ، لقد شهدت العمارة الإسلامية ازدهاراً واسعاً فتنوعت المنشآت والعمائر فشملت المساجد والزوايا والقلاع والحصون والأبراج، كذلك منشآت اجتماعية كالبيمار ستانات والسبل والبيوت والقصور<sup>(1)</sup>.

وظهرت على تلك المنشآت ابتكارات واختراعات هندسية ميزتها عن سابقتها أصبحت من خصائص ذلك الفن المعماري البديع كالعقود والأعمدة والأقواس والمقرنصات والقباب والمآذن والمحاريب والمناشير والمشربيات المزخرفة في البيوت وظهرت الهندسة المعمارية في أجمل حللها وأصبحت اقواس حذوة الفرس تدل على الفن الاسلامي، كما كانت المقرنصات من خصائص العمارة الاسلامية، وأيضاً المشربيات المخرمة والمزخرفة

(1) محمود إسماعيل عبدالرزاق، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع،

التي تتماشى مع طبيعة الحشمة في البيت الاسلامي حيث تدخل الضوء ولا تسمح برؤية ما بداخل البيت بوضوح<sup>(1)</sup>.

ومن أبرز المدن الإسلامية والتي تجسدت فيها العمارة الإسلامية هندسياً وفي فترة مبكرة تعود لمنتصف القرن الثاني الهجري هي مدينة بغداد في العراق أيام الدولة العباسية. تنظر الملاحق شكل (1)

فبنائها يعتبر نموذجاً فريداً لبناء المدن في الإسلام فبعد اختيار موقع المدينة جمع الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ) المهندسين والعمال وشرع في بناء المدينة سنة (45هـ/762م)، وقد روعي في بنائها كافة الاحتياطات العسكرية والأمنية حيث صممت على شكل مدينة دائرية يحيط بها سوران الداخلي أكثر سمكاً وأعلى ارتفاعاً، ويحتوي على أبراج دفاعية تزيد عن المئة برج ويطل البرج على خندق يحيط بالمدينة والمسجد الجامع في مركز المدينة.

حيث كان القصر مربع الشكل طول ضلعه 200م<sup>2</sup> شيد بالجص والطوب وسمي بقصر القبة الخضراء نسبة للقبة الخضراء العالية التي تعلوه، وتميزه عن باقي المباني بالمدينة وبلغ ارتفاعها حوالي 40م على سطح الأرض، وعلى رأسها تمثال يمسك برمح ويدور مع الرياح<sup>(2)</sup>.

(1) عبدالمنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، 2010م، ص 255 وما بعدها.

(2) الخطيب البغدادي، محمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، ج1، ص 93.



أما المسجد الجامع فقد شيد باللبن والطين وكان ملاصقاً للقصر وهو مربع الشكل طول ضلعه 100م والذي أجريت به التوسعات المتلاحقة في فترات مختلفة وكانت مجموعة من المباني استخدمت كإدارات للدولة وأسواق تجارية متصلة بمركز المدينة، أما المساكن فكانت على مسافة أبعد من مركز المدينة، وكان يفصلها سور صغير وكانت البيوت بين سور المدينة الكبير والسور الصغير وتربطها شوارع مستقيمة، وبها أبراج لحماية المدينة وأربع بوابات رئيسية سميت كل بوابة باسم المنطقة التي تتجه إليها طريق المسافرين من بغداد وهي باب الشام وباب البصرة وباب الكوفة وباب خراسان<sup>(1)</sup>.

أما عن المساجد والتي أولها المسلمون اهتماماً كبيراً حيث كان المسجد على أهمية كبيرة من الجانب الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي، فجااء فن معماري مميزاً عن غيره بعيداً عن الشبهات والمحرمات مغاير للدير والكنائس المعروفة قبل الإسلام، وما بها من رسومات ومجسمات، فاقترنت زينة المساجد على الآيات القرآنية وزخارف النباتات وكان المسجد يشتمل على العديد من العناصر الهندسية المعمارية كصحن المساجد الذي تتم فيه الصلاة والساحة الخارجية التي تتبع المسجد والمحراب الذي يحدد الاتجاه في الصلاة والمأذنة التي يعتليها المؤذن والمنبر الذي يقف عليه الخطيب في الخطبة.

---

(1) المصدر نفسه والصفحة.

ولكل العناصر المذكورة ميزات وخصائصها هندسياً لتؤدي الدور المنوط بها، فالصحن يشكل بيت الصلاة ويكون مستطيل الشكل في الغالب يمتد أفقياً ليصطف فيه المصلين أثناء تأدية الصلاة في صفوف منتظمة خلف الإمام<sup>(1)</sup>.

المحراب وهو المكان المخصص لوقوف الإمام في الصلاة، ويحدد فيه اتجاه القبلة، أما المأذنة فهي التي يؤذن فيها للصلاة بعد دخول الوقت، وقد استحدثت بنائها في عهد بني أمية في خلافة الوليد 87هـ وقد تطورت المأذنة عبر فترات مختلفة، وأخذت أشكالاً هندسية متنوعة من اسطوانية و مدببة وغيرها عبر التاريخ الإسلامي، ومن أبرز المساجد والتي يتجسد فيها الفن الهندسي الإسلامي مسجد قرطبة بالأندلس في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري على يد عبد الرحمن الأموي (الداخل) تنظر الملاحق شكل (2) أقيم المسجد على منحدر في قرطبة يشرف على نهر الوادي الكبير على شكل مستطيل طوله 180م وعرضه 130 متر، وبنى من الحجارة الضخمة المنحوتة نحتاً جيداً، وسقفه من القراميد ومكوناته هي: قاعة الصلاة - المئذنة - المنبر - المحراب - الصحن، وكان قاعة الصلاة فيه قمة الروعة في جمالها وزخارفها، وفيها 850 عموداً مزدوجاً، أي كل عمود عمودين متلاصقين وتربط بينهما الأقواس الحدوية والمفصصة والمتقاطعة والمتراكبة والمحمولة ولها تيجان من الآثار القديمة في الأندلس وأفريقية فجاء

(1) سعد زغلول عبد الحميد، الفنون والعمارة في دولة الإسلام، منشأة المعارف، 1986م، الإسكندرية، ص246.

في غاية الروعة والجمال، وكان للمسجد إحدى وعشرون باباً ومئتان وثلاثة وتسعون سارية<sup>(1)</sup>.

أما المحراب فلم يكن على نمط المحاريب المعروفة بنصف الدائري المجوف بل كان على شكل قاعة صغيرة مثمثة الشكل كسيت جدرانها بالرخام المحفور والجص المذهب وفيه أعمدة من حجر المرمر، ترفع قبه سقف المحراب ويشمل المحراب على لوحات فنية رائعة من الأشكال الهندسية المزخرفة بالأوراق والنباتات والأزهار، وكتابات بالخط الكوفي لآيات من القرآن الكريم، وأسماء الله الحسنى، ويحوي الفسيفساء الزجاجية بالألوان المختلفة<sup>(2)</sup>.

وعن نماذج القصور في الحضارة الإسلامية وهندستها البديعة نذكر قصر الحمراء بغرناطة تنظر الملاحق شكل(3) المدينة الأندلسية المعروفة بجمالها الخلاب، واشتملت قصور الحمراء على مجموعة من القصور والأبراج والممرات والحدائق ذات البناء الجميل والهندسة المعمارية الرائعة وأبراج تحيط بالمدينة وبها أبراج دفاعية وتتميز تلك القصور بموقعها بين الغابات الكثيفة والمناظر الخلابة، وقد استثمر المعماريون من مهندسين وفنانين تلك الطبيعة في بنائها وزخرفتها، حيث جاء بنائها اختراع من اختراعات هندسة البناء والفن المعماري، وقد زينت تلك القصور بساحات جميلة بها النافورات المزينة

(1) سعيد عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية، 1997م، ص50.

(2) محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، العين، 2001م، ص262.

بالرخام والزخارف الجميلة والأشجار العالية، وكان بها العديد من القاعات الفاخرة للأمرء والملوك ورجال الدولة، وأيضاً كانت الحمامات في هذه القصور قمة في الإبداع والتفكير حيث قسمت إلى أربع أجزاء أو أقسام: قاعة للاستراحة والاستحمام البارد، فالدافئ والحار وتزينها الزخرفة الجصية الملونة والخزفية المتمثلة في قطع القاشاني الجميلة الرائعة بألوان مختلفة.

ومجمل القول أن ما وصل إليه الفن المعماري الإسلامي من تطور تطبيقي عملي جعل منه من أروع الفنون على يد علماء مسلمين استطاعوا أن يتخرعوا وابتكروا أفكاراً في علم المساحة والهندسة المعمارية ككل جسدها على أرض الواقع في بناء المدن والمساجد والقصور وتفاصيلها المختلفة، كما تم بيانه خلفت فناً متميزاً متطبعاً بطابع الحضارة الإسلامية عرف باسم الفن الإسلامي المعماري، من خلال مفكرين مبدعين في مجال الهندسة المعمارية والعمارة الإسلامية.

من جهة أخرى حرص المسلمون على تزويد مدنهم بالمياه بطرق شتى تجلت فيها عبقرية علماء المسلمين فمند البواكير الأولى للدولة الإسلامية ها هو البلاذري يحدثنا عن مدينة البصرة والتدابير التي اتخذت لتزويد تلك المدينة بمياه الشرب والري ولم تنظم عملية الري بالشكل المتكامل إلا في أيام الدولة الأموية وأصبحت مركز الزراعة وقد وصف الرحالة والجغرافيين الشبكات الضخمة من أقنية المياه بالمدينة وإنتاجها الزراعي الوفير أما خرسان فكانت الأنهار مستغلة فيها على نطاق واسع لأغراض الري إبان العصور الوسطى ينظر ملاحق (4-5) ولقد أسهب الرحالة والجغرافيون في الحديث أنظمة الري في خرسان وتُعنَى هذه الأوصاف المفعمة بالحيوية الأعمال الهيدروليكية على نهر مرغاب فقد كتب

المقدسي واصفاً نضام الحواجز الصناعية المدعومة بأجزاء خشبية للمحافظة على مجرى النهر من دون تغيير وكان النظام قيد المراقبة والحراسة الدائمة وكان هؤلاء الحراس مقسمون إلى فنيين وغواصين لإصلاح ما يصيب تلك الحواجز وكان كل هؤلاء الحراس متأهبين مجهزين بالخشب والأدوات للصيانة الفورية كذلك تضمن نظام الري مقياساً لتسجيل ارتفاع الفيضان<sup>(1)</sup>.

وبالقرب من مر وكانت مياه النهر محجوزة في حوض دائري ضخم تتفرع منه أربع قنوات لتغذية المدينة وضواحيها وكان يتم تنظيم ارتفاع الماء بذلك الحوض عن طريق بوابات تحكم وكان التركيز على التفكير في طرق الري وابتكار الآلات التي توفر الجهد والوقت على الناس هي الشغل الشاغل لعلماء المسلمين فقد اخترعوا آلة تدار بقوة الماء وكانت هي الآلة العادية للاستعمال اليومي في عصر الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ومن الآلات التي جازمت على تطور علماء المسلمين في تقنية الآلات وهي مضخة كابسة تمت الإشارة إليها عند الحديث ابتكارات العلماء ويهمنا هنا أنها أول نموذج معروف لمضخة ذات أنابيب استعملت لسحب الماء<sup>(2)</sup>. أما عن طواحين الماء تعددت وتنوعت أشكالها تم استخدامها بشكل أكبر عند الأندلسيين والتي تستغل في سحب الماء وتحويله إلى قنوات أخرى ناهيك عن الطواحين الهوائية والتي ذكرها الاصطخري في كتابه المالك والممالك وأنها استخدمت في المشرق الإسلامي ولا يمكن في هذا المقام إغفال ما

<sup>1</sup> - دونالدرهيل، العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، المجلس الوطني للثقافة والفنون 2004م ص230.

<sup>2</sup> - دونالدرهيل، المرجع السابق 145.

يعرف بالتقنيات الدقيقة كالنافورات الصغيرة والساعات المائية و الآلات الصغيرة والتي استخدمت احيانا للتسلية وقد تعرض الباحث انفاً إلى بعضها نضريا وما يهمننا هنا هو استعمالاتها على الصعيد العملي ومواقع تواجدها والتي تذكر المصادر منها أرض الشام مكان صناعة الساعات زمن الأمويين كذلك ما تم الإشارة في كتاب الحيل ووجود هذه الأنواع من الآلات في بغداد<sup>(1)</sup> ومن التقنيات النافعة على أرض الواقع والعملية التطبيقية إقامة السدود والتي اهتم بها حكام المسلمين لا سيم في اول فترات حكمهم وجعلوها من اولوياتهم وهي خطوة أساسية في طريق تطوير الاقتصاد واستصلاح الأراضي ولقد أقيمت العديد من السدود والقناطر الضخمة فوق الأنهار كسد النهروان وسد الرستن وسد الفرات ولقد برع علماء العرب وتقنيوهم في بناء السدود وتصريف المياه وحضارة الأندلس أكبر شاهدا على ذلك التطور وللمدن الإسلامية في المشرق والمغرب تجارب كثيرة مع الماء وطريقة استهلاكه في الجانب العملي<sup>(2)</sup> ومجمل القول أنا المقام لا يتسع هنا للتبع التقنيات الإسلامية التطبيقية من الآلات وعمارة وفن بمختلف أشكاله ولكن الجانب التطبيقي العملي واضح ملموساً ولا زالت شواهد موجودة حتى الآن. تعبر عن حضارة ومستوى رقي علماء الحضارة الإسلامية الأقداد.

### الخاتمة:

في الختام لا يسعنا إلا أن نسرد بعض النتائج التي توصل إليها الباحث :

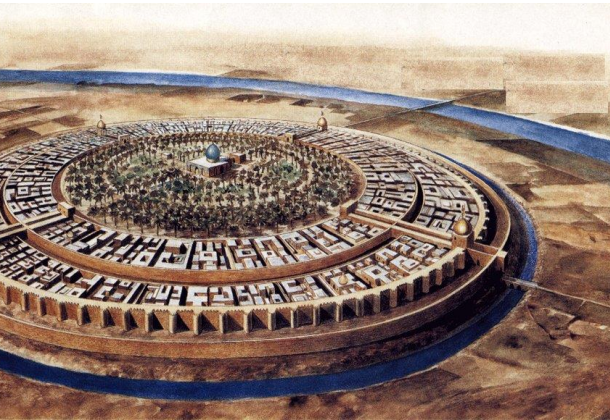
<sup>1</sup> - شدى السنان ،بنو موسى وعلم الحيل، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي 2018م ص55.

<sup>2</sup> - خالد عزب كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة الماء ،سيسكو الرباط المغرب 2006م. ص78.

- 1- عُرف علم الهندسة في الحضارات السابقة للإسلام وطبق على الصعيد العملي في العمائر والجسور والسدود والتي لازالت آثارها المادية قائمة.
- 2- من خلال ترجمة الموروث الثقافي للحضارات السابقة تبلور علم الهندسة وكتبت فيه المؤلفات واستحدثت فيه النظريات واصبح علم قائم بذاته عرف باسم (الحيل النافعة).
- 1- بالعمل الجليل الذي قام به علماء المسلمين استطاعوا حفظ تلك المؤلفات القديمة واعادة بث الحياة فيها من خلال ترجمتها وتطويرها وازضافة نظريات جديدة لها اتسمت بطابعها الإسلامي.
- 2- تطبيقا لتعاليم الإسلام في الحث على المعرفة وطلب التعلم استطاع علماء المسلمين أن يضيف لعلم الهندسة نظريات جديدة استطاعوا تجسيدها والاستفادة منها في الحياة العملية.
- 3- ظهر العديد من العلماء المسلمين الذين كان لهم الفضل في تطوير واختراع الآلات والتقنيات التي كانت من دعائم وركائز الحضارة الإسلامية في جانبها المادي والمعنوي.
- 4- إن ما حققه علماء المسلمين في مجال الهندسة (الحيل النافعة) والعمارة الإسلامية والنتاج الفكري للعلماء كل ذلك كون منظومة متكاملة مترابطة من ناحية النظرية والتطبيق اتسمت بطابعها الإسلامي البديع القائم على أسس علمية منهجية مميزة والتي لازالت شواهدا حية في عصرنا الحاضر.

ولأن طبيعة هذه الورقة لا تتسع لتفاصيل كثيرة عن الموضوع اکتفى الباحث بعرض بعض النماذج النظرية والتطبيقية ويرجوا ان يكون فتح المجال لدراسات قادمة اوسع واشمل.

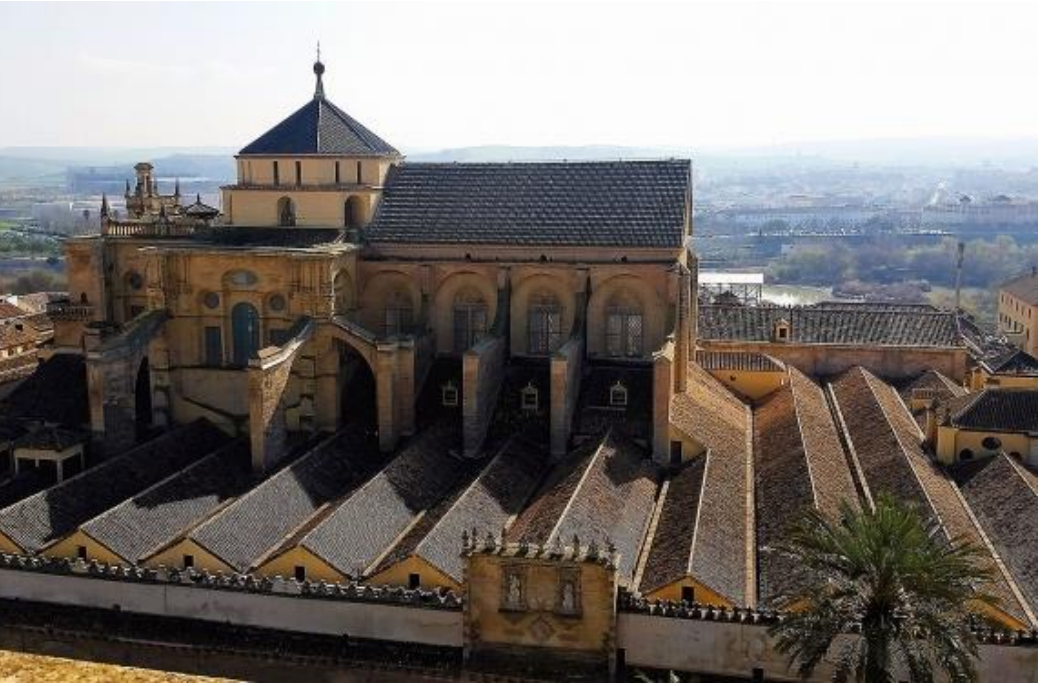
(الملاحق)



<https://www.arageek.com/2016/11/28/building-baghdad-history.html>

شكل رقم (1) مخطط مدينة بغداد





<http://www.akhbarturkiya.com>

شكل رقم(2)جامع قرطبة



[/https://mawdoo3.com](https://mawdoo3.com)

شكل (3) قصر الحمراء بغرناطة

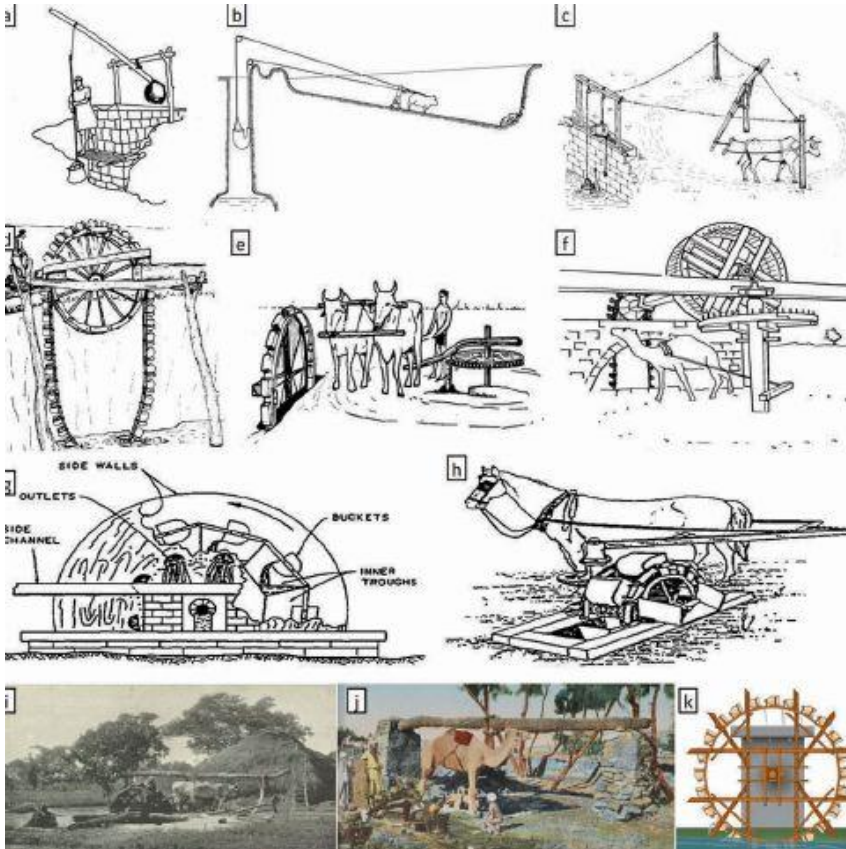


<https://ar.wikipedia.org/wiki/>

شكل (4) السدود في الحضارة الإسلامية



شكل (5) القنوات المائية على الأنهار



شكل رقم (6) الالات الميكانيكية



<http://teachersguidetn.blogspot.com>

شكل رقم (7) نماذج لبعض الساعات في الحضارة الإسلامية

## قائمة المصادر والمراجع

- (1) أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي الإسلامي، دار الفكر العربي، 2002م.
- التراث العلمي للحضارة الاسلامية، مطابع دار المصارف، مصر، 1983م.
- (2) بديع الزمان الحراري، الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الجيل ، ترجمة: دونالد هيل، منشورات دور درشت ديدل، 1979م.
- (3) حكمت فريحات، إبراهيم الخطيب، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية.
- (4) خالد عزب ،كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة الماء، سيسكو الرباط المغرب 2006م.
- (5) ابن خلدون ،عبدالرحمن بن محمد، المقدمة ،دار الكتب العلمية 2001م.
- (6) الخطيب البغدادي، محمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.
- (7) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م، ج1، ص305.
- (8) دونالدرهيل، العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية ،ترجمة :أحمد فؤاد باشا، المجلس الوطني للثقافة والفنون 2004م.
- (9) الذهبي، شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 2001م.
- (10) راغب السرجاني، الهندسة في الحضارة الاسلامية، مكتبة الأنجلوالمصرية 2010م القاهرة.

- (11) سعد زغلول عبد الحميد، الفنون والعمارة في دولة الإسلام، منشأة المعارف، 1986م، الإسكندرية.
- (12) سعيد عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية، 1997م.
- (13) شدى السنان ، بنو موسى وعلم الحيل، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي 2018م.
- (14) شوقي أبو خليل، علماء الأندلس ابداعاتهم المتميزة وأثرها في النهضة الأوروبية.
- (15) صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، تح: عبدالجبار الزكار، دار الكتب العلمية، دمشق، 1978م.
- (16) عبدالمنعم ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، 2010م.
- (17) علي عبدالله الرفاعي، لمحات من تاريخ الحضارة العربية والاسلامية، دار العلم للملايين، القاهرة.
- (18) محمود اسماعيل عبدالرزاق، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2010م.
- (19) محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، العين، 2001م.
- (20) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، دار الفكر دمشق، دون تاريخ.
- (21) محمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الاسلامي، دار الهداية القاهرة، 1995م.

## دور فزان في العلاقات التجارية والثقافية بين دول شمال إفريقيا والسودان الأوسط

(دولة كانم أنموذجًا)

إعداد: د. أحمد حسين الشريف- د. خالد محمد مرشان

## المقدمة

تقع بلاد كانم في الوقت الحاضر شمال شرق بحيرة تشاد، وتبلغ مساحتها حوالي 7000 كم<sup>2</sup>، وتضم أكثر من مئة وخمسين ألف نسمة، ويسكنها الآن عرب من أولاد سليمان والكانمين وبعض القبائل الأخرى، وهي واقعة ضمن حدود جمهورية تشاد الآن، وبعض أجزائها أصبح تابعًا لجمهورية النيجر المجاورة وجمهورية السودان، ولكن أغلب أهلها باقون كوحدة بشرية عاصمتها أبشيو، وهي واحة ضخمة إلى جنوب جبال التبستي وتلالها، وهي واقعة في منخفض يمكن اعتباره من امتدادات منخفض فزان الواسع<sup>(1)</sup>.

يعرض هذا البحث الدور الذي قامت به فزان في التواصل الاقتصادي والثقافي بين دول شمال إفريقيا والسودان الأوسط، واتخاذ دولة كانم أنموذجًا.

رغم قسوة الظروف الطبيعية للصحراء إلا أنها لم تكن مانعًا بين السكان القاطنين في شمالها وجنوبها، بل كانت جسرًا تعبر من خلاله جميع المؤثرات إلى جانبها الآخر، فكان لموقع فزان الأثر الكبير في كونها حلقة الوصل بين شمال إفريقيا والصحراء، مما أهلها إلى أن تلعب الدور الكبير في نشر الإسلام في المناطق الواقعة إلى الجنوب منها،

(3) الشاطر بصيلي عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر للميلاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972، ص



فضلاً على ذلك تنشيط حركة التجارة بين أواسط إفريقيا وشمالها، ومن أهم الدول التي ظهرت في جنوب الصحراء ( السودان الأوسط) دولة كانم.

تم اختيار دولة كانم لأنها من الممالك الإفريقية القديمة التي قامت في قارة أفريقيا في الشرق من أرض الهوسا، حيث نشأت في أرض السافانا التي امتدت بين النيل والنيجر.

وتتطلب هذه الدراسة من عدة فرضيات بحثية تكون موضعاً للتساؤلات الآتية:

أ) ما هو دور فزان في التواصل الاقتصادي بين كانم ومراكز الحضارة في شمال

إفريقيا، وما هو أثر المد الحضاري لدول شمال إفريقيا على دولة كانم عبر فزان؟

ب) هل كان دور فزان في ربط العلاقات بين دولة كانم في العصور الوسطى مع دول

شمال إفريقيا ممتداً من روابطها التاريخية أو الدينية أم أنها بدوافع أخرى؟

ج) ما هي مظاهر التواصل الاقتصادي بين دولة كانم ودول شمال أفريقيا؟

لم تكن العلاقات بين سكان شمال أفريقيا مع جيرانهم علاقة جنس أرقى قادم من الشمال على جنس أدنى منه في الجنوب كما يصوره بعض الكتاب؛ بل كانت علاقات بين مصالح متبادلة للطرفين أوجدتها الحاجة، لعلها تتمثل في السلع التجارية أو التيارات الفكرية التي سادت مفاهيمها في المجتمعين في الشمال والجنوب<sup>(1)</sup>.

وقد ارتبطت دولة كانم مع دول شمال أفريقيا بروابط تجارية قوية، وقد ساعد على تلك الصلات الاقتصادية الطرق الصحراوية التي تربط فيما بينهما؛ ذلك لأن القوافل

(1) علي حامد خليفة، المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على

الحياة الاجتماعية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2003م، ص 21.

التجارية كانت تخترق الصحراء من جميع جوانبها عبر فزان، وكان الدخول إلى مناطق غرب ووسط القارة الأفريقية مألوفًا للتجار المسلمين؛ الذين كانوا يذهبون بتجارة الشمال ويعودون بتجارة الجنوب<sup>(1)</sup>.

ولعب موقع منطقة بحيرة تشاد دورًا مهمًا في جعلها حلقة وصل بين الشمال والجنوب، فوقعها على الطرف الجنوبي للصحراء جعلها منفذًا لا غنى عنه لمنتجات الشمال المتجهة نحو أواسط أفريقيا، كما جعلها من جهة أخرى منفذًا للبضائع الأفريقية المتجهة نحو الشمال، كما أن عدم وجود حدود ثابتة بين منطقة بحيرة تشاد ومنطقة فزان جعلها امتدادًا لها، حيث يذكر البكري أن كانم امتدت وراء صحراء زويلة<sup>(2)</sup>.

كما يؤكد ابن حوقل هذا التداخل بين بلاد شمال أفريقيا ومنطقة بحيرة تشاد، حيث يقول عن بلاد السودان: "... وحدًا له ينتهي إلى بَرِّيَّة بينه وبين أرض شمال أفريقيا"<sup>(3)</sup>، فابن حوقل هنا لم يضع حدودًا ثابتة بين المنطقتين، ويؤكد البكري بقوله: "إن كانت امتدت وراء صحراء زويلة"<sup>(4)</sup>.

(1) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985م، ص 49.

(2) البكري (أبو عبد الله البكري)، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى ببغداد، 1852م، ص 11.

(3) ابن حوقل: (أبو القاسم بن حوقل النصيبي)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، ص 24.

(4) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مصدر سابق، ص 11.

قد أثر انتشار الإسلام في المنطقة تأثيرًا إيجابيًا على النشاط التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها بحكم أن الإسلام فتح أمامهم أبواب العالم الإسلامي، وبتواصلهم بإخوانهم المسلمين اكتسبوا الكثير من المعارف منها فنون التجارة<sup>(1)</sup>.

إلا أن العلاقة التجارية بين بلدان شمال أفريقيا ومنطقة بحيرة تشاد سبقت وصول الإسلام إلى المنطقة بعدة قرون، كما دلت رسوم العربات المنتشرة على الصخور والكهوف على طول طرق القوافل القديمة من فزان إلى منطقة بحيرة تشاد على عراقلة الصلات التجارية بين المنطقتين<sup>(2)</sup>، فقد كان هناك طريقان يربطان منطقة الشمال الأفريقي بوسط القارة، يقع أحدهما في الغرب ويخرج من جنوب المنطقة التي بنيت فيها مراكش فيما بعد ويصل إلى منطقة النيجر الأعلى، ويخرج الآخر من فزان حتى يصل إلى الجانب الشرقي من انحناء نهر النيجر<sup>(3)</sup>.

استمرت العلاقات التجارية بين مناطق الساحل ومناطق وسط أفريقيا بعد قدوم الفينيقيين للمنطقة وبناء المدن الثلاث: لبدّة - أويا - صبراتة، فعلى الرغم من أن الفينيقيين لم يتوغلوا في الداخل إلا أن هذه المدن أصبحت منافذ للتجارة الأفريقية التي كان السكان المحليون يجلبونها من أفريقيا عن طريق القوافل التي تمر بواحات فزان،

(1) فضل كلود الكو: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ط1، 1998م، ص 277.

(2) بوفيل: الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، نقله إلى العربية زاهر رياض، الانجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص 47، 48.

(3) فيج، جي، دي: تاريخ غرب أفريقيا، ت: السيد يوسف نصر، ر بهجت رياض، دار المعارف، ط 1982، ص 45.

وأكبر دليل على ما نقول هو أن طرابلس كان يطلق عليها اسم بوابة الصحراء<sup>(1)</sup>، ويعد قيام دولة قرطاجة في شمال أفريقيا ازدهرت تجارتها مع بلاد السودان<sup>(2)</sup> وكان من أبرز البضائع التي جلبت من تلك المنطقة العقيق والذهب والرقيق<sup>(3)</sup>.

وحتى سنة 500 ق.م كان تجار قرطاجة ينفون للتجارة مع سكان تيبستي الذين يعيشون في بلاد ممطرة كثيرة التماسيح والزواحف؛ وهذه الصفات المناخية تنطبق إلى حد كبير على منطقة بحيرة تشاد فمن المعروف أن التماسيح لا تعيش إلا قرب البحيرات والأنهار، مما يدل على وصول التجارة القرطاجية إلى منطقة بحيرة تشاد<sup>(4)</sup>.

أما الرومان -الذين استولوا على شمال أفريقيا خلال القرن الثاني الميلادي- فقد توغلوها في الداخل عن طريق حملة بالبوس التي سيطر فيها على الجرمانتين، ثم تحسنت العلاقة بين الطرفين وقاما بحملة مشتركة بقيادة فلاكس منطقة من جرمة حتى وصلت إلى جبال تيبستي على الأرجح<sup>(5)</sup>.

(1) البغوي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح)، تاريخ البغوي، دار العروق، بيروت، 1955م.

(2) هوبكينز، التاريخ الاقتصادي لأفريقيا العربية، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 158.

(3) فيج جي دي، تاريخ غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص 43.

(4) بوفيل، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص 79.

(5) أمين الطيبي، كانم برنو بالسودان الأوسط - صلات تاريخية وتجارية عريقة بالشمال الإفريقي، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس: مركز دراسات جهاد الليبيين العدد 2، 1987م، ص 72.

قد ظهر عامل مهم أسهم في ازدهار التجارة بين الشمال والجنوب عبر الصحراء هو دخول الجمال إلى مجال النقل التجاري في القرن الرابع الميلادي<sup>(1)</sup>، وقد تزامن دخول الجمال مع التغيرات المناخية التي بدأت تشهدها المنطقة والمتمثلة في نقص الأمطار تدريجياً، واقتصار وجود الماء على الواحات المتناثرة في الصحراء مما جعل الضرورة ملحة إلى وجود وسيلة نقل تتحمل العطش لمسافات طويلة<sup>(2)</sup>.

واستمرت الحركة التجارية مزدهرة بعد دخول المسلمين إلى بلاد شمال أفريقيا، حيث كان من نتائج وصول الإسلام إلى المنطقة انتشار الأمن، مما أدى إلى ازدهار حركة القوافل بين شمال الصحراء وجنوبها، كما أصبحت هذه القوافل تحمل إلى جانب بضائعها ديناً جديداً سرعان ما انتشر في بلاد كانم وأسهم في خلق رابط روحي بين سكان بلاد كانم وبلاد شمال أفريقيا، وانعكس هذا الرابط بالتأكيد بشكل إيجابي على العلاقات التجارية بين الطرفين<sup>(3)</sup>، مما أدى إلى معرفة دولة كانم للنظام الإسلامي في التعامل المالي، واهتمام السلاطين بضبط الكسب والإنفاق، حيث أشرف على ذلك علماء أجراء تحملوا أعباءه بالوعظ والإرشاد، وحل المنازعات، والإشراف على بيت المال الذي كانت

(1) عبد اللطيف البرغوثي: التاريخ الليبي القديم، من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي دار

صادر بيروت، 1971 ط 1، ص 319.

(2) فيج جي دي، تاريخ غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص 42.

(3) المرجع نفسه، والصفحة.

أغلب موارده من الزكاة والجزية، بالإضافة إلى المكوس التي تؤخذ من التجار الذين يأتون إلى المملكة من مختلف الجهات، وتورد كلها إلى بيت المال في العاصمة<sup>(1)</sup>.

وهنا أود أن أعطي نبذة عن أهم ملامح الحياة الاقتصادية والثقافية في دولة كانم التي قامت على مجموعة من العناصر الأساسية مثل: الزراعة والثروة الحيوانية وما ينتج عنها من بعض الصناعات والحرف ثم التجارة والتسويق إلى شمال القارة عبر واحات فزان، وعن علاقة كانم الثقافية مع دول الشمال الإفريقي.

### أولاً- الحياة الاقتصادية

#### \_ الإنتاج الزراعي في دولة كانم:

عرف أهالي كانم الزراعة البدائية البسيطة منذ زمن بعيد، حيث تتكون دولة كانم من أقاليم ومناطق يختلف فيها المناخ وتتباين فيها كمية الأمطار السنوية، كما تتوفر لها وديان وأنهار كثيرة خصبة وصالحة للزراعة، ويتجلى ذلك في تنوع منتجاتها الزراعية؛ ورغم ذلك فالزراعة لم تلق أي اهتمام يرمي إلى تنظيمها وتوسيعها من قبل حكام هذه البلاد، بل بقيت زراعة بدائية رغم أنها المورد الأساسي لاقتصاد البلاد، تنصب أغلب الزراعة في الوديان والقيزان<sup>(2)</sup> والنقعات<sup>(3)</sup> وعلى جانب بعض الأنهار، مثل نهر شارى،

(1) عبد الله قمبر أبكر، كانم برنو في عهد السلطان إدريس بن علي (ألوما)، بحث غير منشور، تشاد: جامعة الملك فيصل، 1998م، ص54-55.

(2) القوز، أرض رملية صالحة للزراعة خاصة زراعة القطن.

(3) النقعة، أرض عارية من الحشائش والأشجار كان يستعملها الكانميون في زراعة بعض الحبوب.

وفي الواحات والأراضي الصالحة للزراعة، كما اشتهرت هذه البلاد بخيرات متنوعة من الزروع والثمار والنباتات والأشجار.

وتذكر المصادر جانبًا من هذه الخيرات الزراعية، مثل الأرز والقمح والذرة والتين والليمون واللفت والبادنجان والرمان والموز والرطب والبلح<sup>(1)</sup>.

وإلى جانب هذه المزروعات توجد هناك بعض الفواكه والحشائش الأخرى<sup>(2)</sup>.

وقد نقل لنا الرحالة والجغرافيون لا سيما العرب منهم عن هذه الحاصلات، حيث نلاحظ أن الأرز كان عندهم بكميات وفيرة، إذ يعتبر غذاء رئيسًا وشعبيًا في نفس الوقت، كما ذكروا لنا أن الأرز كان ينمو عندهم برئًا من غير سقاية أو رعاية<sup>(3)</sup>.

إلى جانب الأرز يكثر أيضًا القمح والذرة التي تعتبر في ذات الوقت هي الغذاء الرئيسي<sup>(4)</sup> كما جادت أرضهم واتصفت بكثرة إنتاج اللوبيا، إلى جانب بعض المنتجات

(1) العمري، مسالك الأبصار، مصدر سابق، ص 95.

(2) المقدسي: (أبو عبيد الله محمد بن أحمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ليدن، 1920، ج 1، ص 241.

(3) العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق د. حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، السفر الرابع، 2002م، ص 96.

(4) هنري بيرس، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق لأفاق، الجزائر، 1957، ص 13.

والمزروعات الأخرى كالبقول والحبوب التي يتم تسويقها إلى دول الشمال وأحيانًا تباع في واحات فزان<sup>(1)</sup>.

و يزرع في أراضيهم أيضًا القطن والسّمسم والفول السوداني والبصل والثوم والطماطم والرمان والخوخ وقصب السكر والعنب والبطيخ، أما أشجار النخيل فهي كثيرة في كانم، حيث اعتمد السكان على تمرها في غذائهم، لما له من قيمة غذائية فعالة، بما يحتويه من طاقة منشّطة ومقوية للأبدان، كما أن هذه الأشجار لها القدرة على تحمل الجفاف والعطش، ولهذا كثرت في بلادهم وانتشرت في مناطق عديدة متفرقة من البلاد، لاسيما في مناطق الواحات وكوار وغيرها، وأمدت دول شمال إفريقيا بكميات كبيرة من البلح والتمر<sup>(2)</sup>.

وكذلك عظمت عندهم أشجار الموز الذي يميل المواطنون لأكله، وعُرف عنهم نبات يقال له: الكلاري، وهو نبات ثماره بباطن الأرض، يُقتلع منها حين جَنُّيه، وهو أشبه ما يكون بالفلقاس، وهذه النباتات يندر وجودها في واحات فزان، فكانت سلعًا مرغوبة في تجارتهم التي نقلوها إلى الشمال عبر واحات فزان<sup>(3)</sup>.

(1) عبد الله قميم أبكر: كانم برنو في عهد السلطان إدريس بن علي ألوما، بحث غير منشور، جامعة الملك فيصل، تشاد، 1998م، ص 55-56.

(2) ابن سعيد المغربي، (أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي)، كتاب الجغرافيا، حققه إسماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1988م، ص 114، 115.

(3) ابن سعيد، بسط الأرض، المصدر نفسه، والصفحة.



وكانت الواحات من أخصب المناطق في كانم وأوفرها محصولاً، حيث تم فيها زراعة القمح والذرة والبقول، واختص أهل الزغاوة بالذرة التي كانت أكثر ما يزرعون، إلى جانب أنواع أخرى من البقول.

كما كثرت ببلاد كانم الغابات، لاسيما في المناطق الجنوبية، حيث كانت غابات القصب والنخيل تنمو هناك، واستغل الكانميون القصب في صنع القوارب للتنقل بين جوانب بحيرة تشاد، حيث كانوا يضمون قضبان القصب إلى بعضها، لكي تصبح في النهاية بمهارة الصناع قارباً ينقل الركاب عبر البحيرة بدفع الريح أو دفع القوارب بالعصا<sup>(1)</sup>، كما استغل القصب أيضاً في بناء بيوتهم الشعبية<sup>(2)</sup>.

وكانت توجد ببلاد كانم أشجار التوت التي تنتج كميات وفيرة من ثماره، كما أن عاصمة كانم (انجيمي) كانت تحيط بها البساتين الغزيرة والتي تضيء عليها الروعة والجمال<sup>(3)</sup>.

إلى جانب زراعة الأرز والذرة تزرع القطنيا في بلاد كانم، والتي يصنعون منها "العصيدة" إذ إن الخبز لا يوجد عندهم، وإن وجد فهو يعتبر شيئاً غريباً، والذي هو حكر على ملوكهم<sup>(4)</sup>.

(1) رباح شيخ الأرض، تشاد والعرب، لندن: المركز العربي للطباعة والنشر، 1981، ص 32.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، ص 216.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث، مادة برنو، دار الشعب، القاهرة، ص 578.

(4) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، مصدر سابق، ص 91.

كما استرعت الأنظار ضخامة أشجار القطن وكبرها، وما تحمله من الثمار بأقدار كبيرة، وكانت تسقى من بحيرة كوري وغيرها<sup>(1)</sup>.

واشتهرت بعض المدن الكانمية بالخصوبة والعطاء، ومن هذه المدن مدينة (حاجة) القريبة من بحيرة كوري، حيث تنوعت فيها الحاصلات والخيرات، بالإضافة إلى شجر الأبنوس الذي يستفاد من خشبه في منافع عدة، كما توفر في البلاد الكثير من القصب الذي ينمو تلقائياً؛ فاستغله المواطنون الذين سكنوا حول بحيرة تشاد في عمل القوارب التي اشتهروا بها<sup>(2)</sup>.

وكانت الواحات من أخصب المناطق في تلك البلاد وأوفرها محصولاً، وقد مارس تجار كانم الأغنياء الإشراف على زراعة القمح، في حين كان الرعاة الذين كانوا يسكنون الجبال يجلبون الذرة والبقول الفائضة عن حاجتهم إلى مناطق السهول<sup>(3)</sup>.

وتشكل الأمطار في كانم أحد الموارد المائية، والتي تسقط في المناطق بنسب متفاوتة، حيث تكون المناطق الشرقية الجنوبية أكثر وفرة من المناطق الشمالية، أما

(1)الدمشقي (شمس الدين أبي عبيد الله محمد بن أبي طالب الأنصار الدمشقي المعروف بشيخ

الريوة)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار المثنى، بغداد ، ص 240.

(2) ابن سعيد، بسط الأرض، مصدر سابق، ص27، زين العابدين عبد الحميد السراج: دولة كانم

الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة في تاريخ العصور الوسطى، كلية الآداب جامعة

القاهرة، 1975م ، ص 143.

(3)ريمون فيرون: الصحراء الكبرى، ترجمة: جمال الدين الدناصوري القاهرة، 1963، ص 114.

المناطق الجنوبية فكمية الأمطار التي تنزل بها أكثر بقليل من هذه المناطق، وربما تنزل الأمطار الإعصارية على مرتفعات تيبستي التي تسمح بنمو بعض الحشائش لفترة قصيرة ترعاها الماشية والأغنام<sup>(1)</sup>، وعموما فإن أمطار هذه البلاد تكون صيفية تبدأ من شهر يوليو حتى نهاية شهر أكتوبر.

وبالإضافة إلى مياه الأمطار فقد اعتمد أهل مدينة جيمي وزغاوة وغيرها من بلاد كانم على الآبار في الشرب، في حين أن أهل مدينة كوار كانوا يشربون من مياه الأمطار، كما اعتمدوا عليها في زراعاتهم، ومع أن الآبار كانت كثيرة في مناطق عديدة، إلا أن مياهها كانت بعيدة عن سطح الأرض كما كان الحال في أرض مدينة تلمة في كوار<sup>(2)</sup>.

إلى جانب الآبار كانت هناك ينابيع كثيرة وعيون متعددة في هذه البلاد، والتي أسهمت هي الأخرى في هذا المصدر المائي<sup>(3)</sup>.

كما أسهمت الأنهار أيضاً في مصادر الثروة المائية في البلاد وجعلت جزءاً كبيراً من سكان البلاد يعيشون على جوانب الأنهار والبحيرات العذبة، مثل بحيرة تشاد العظيمة ذات المياه العذبة، ويغذيها نهر شاري، ويبلغ متوسط عمقها من أربعة أمتار إلى سبعة أمتار، ثم بحيرة كوري بمياهها الحلوة ونهري شاري ولوجون.

(1) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث، مادة برنو، مرجع سابق، ص 578.

(2) زين العابدين عبد الحميد السراج، دولة كانم الإسلامية، مرجع سابق، ص 145.

(3) الشاطر بصيلي، تاريخ وحضارات السودان الشرقي ولأوسط، مرجع سابق، ص 409، 410.

من هنا نلاحظ أن دولة كانم كانت غنية بمنتجاتها التي زادت عن احتياج السكان، فما كان لهم إلا أن يقوموا بتصديرها إلى خارج دولتهم عبر الصحراء إلى دول الشمال، فكانت فزان هي المعبر الرئيس لهم.

- **الثروة الحيوانية في دولة كانم:** كانت دولة كانم تحتوي على أعداد كبيرة من الحيوانات المختلفة البرية والمائية، متوحشة ومستأنسة، فضلاً عن الطيور والدواجن والأسماك وغيرها، مع ملاحظة جودة بعض أنواعها وكبر حجمه<sup>(1)</sup>. وكانت مدينة جاجة التابعة لهذه المملكة ذات أراضي خصبة وفيرة الخيرات، انتشرت فيها أعداداً كبيرة من الطاووس والبيغاء والدجاج والرقط، والغنم البلق والتي كانت كبيرة الحجم. وتختلف عن صور الكباش المغربية، كما احتوت هذه البلاد على الزرافات<sup>(2)</sup>.

ويصف ابن سعيد هذه المنطقة فيقول: "فهي موصوفة بالخصب وكثرة الخيرات، والطواويس والبيغاء والدجاج الرقط، والغنم البلق التي على دون الحمير الصغار، ولها صور تخالف صور كباشنا والزرافات"<sup>(3)</sup>. إلى جانب هذه المجموعة يحدثنا ابن رسته عن

(1) ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 112.

(2) أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين محمد بن محمد بن عمران شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة)، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية باريس، 1850م، ص 180.

(3) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، مصدر سابق، ص 48.

وجود حيوانات مختلفة الأشكال والأحجام أيضًا مثل الفيل، والذي استفاد منه الكانميون في صنع ملابسهم وفي صناعة الدروق من جلده، والاستفادة أيضًا من أسنانه<sup>(1)</sup>.

لكنهم لم يستأنسوا الأفيال ولم يستفيدوا منها في حروبهم الكثيرة التي عرفوا بها، كما لم يستغلوها في الركوب أو النقل، وكانوا يصطادونها بالتحايل عليها، عن طريق وضع ورق ولحاء وأغصان نوع معين من بعض الأشجار في الماء، ثم يتخفون، وعند عودتهم يجدون الضحية لا تستطيع الفرار أو الحركة بسبب ما أصابها، ثم يقضون عليها بحرابهم السامة ليستفيدوا بئمن أنيابها، ويصنعون من جلدها دروعهم<sup>(2)</sup>.

وتوجد النمر في هذه البلاد، حيث قام السكان بصيدها والاستفادة من جلدها<sup>(3)</sup>. وكانت بيئة كانم رعوية خصبة، مما جعلها موطنًا مناسبًا للرعي والرعاة، كما شجع السلاطين هؤلاء الرعاة بتسهيل الأمور لهم، من إعطائهم حرية التنقل والترحال، وشق الترع، بغية الاستفادة من هذه الثروة الحيوانية<sup>(4)</sup>.

واهتم الكانميون بتربية الإبل نظرًا لخصوبتها وتوالدها السريع، فهي حسن النتاج، يستفاد بألبانها ومستخرجاتها من سمن وجبن وغير ذلك، كما كانوا يأكلون لحومها، وعمل

(1) أبو علي أحمد بن عمر ابن رسته، الأعلام النفيسة، طبعة ليدن، 1891م، ص 162.

(2) المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي): -مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ج1، ص 236.

(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 240.

(4) عبد الله قمم أبكر، كانم برنو في عهد السلطان إدريس بن علي (ألوما)، مرجع سابق، ص56.

الزغايون في تأجير إبلهم لحمل السلع المختلفة، وملك أهل مانان -تبعد عن مدينة انجيمي ثمانية أيام- الجمال والماعز، وأعطوا عناية كبيرة وبخاصة لتربية الماشية، واصطاد أهل كانم الزراف الذي كان يكثر عندهم واشتهروا به (1) ونتيجة لوجود البحيرات وبعض الأنهار في هذه المملكة فقد توفرت ثروة سمكية جيدة، ففي بلاد كوار بحيرة مالحة اسمها (أبزن) طولها اثنا عشر ميلاً، كانوا يصطادون منها سمك البوري، وهو من أسمن الأسماك وأطيبها، وزخرت بحيرة (كوار) -وهي بحيرة عميقة وحلوة المياه- بالسمك البوري الذي كانوا يملحونه ويصدرونه إلى جميع بلاد العالم (2).

وإلى جانب هاتين البحيرتين هناك بحيرة (الشوك) العذبة، والتي تحتوي على مياه غير عميقة، مما سهل اصطياد الأسماك التي بها، واشتهرت أسماكها بكثرة الشوك، وهاتان البحيرتان كانتا محل نزاع مستمر بين أهالي كوار وفزان، من أجل السيطرة عليهما والاستفادة من مياههما العذبة وموقعهما المهم (3).

ونظراً لطبيعة البلاد الصحراوية، فقد كثرت قطعان الغزلان البرية والريم، والتي تحتاج في حياتها إلى الماء الذي تستمده من عصارة العشب وأغصان الأشجار، كما يوجد الودان في بعض المرتفعات الجبلية.

(1) الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص5. وهنري بيرس، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، مرجع سابق، ص 13.

(2) الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مصدر سابق، ص 241.

(3) زين العابدين عبد الحميد السراج، دولة كانم الإسلامية، مرجع سابق، ص 149.

## - أوجه النشاط الصناعي في دولة كانم:

لم تكن الصناعات في بلاد كانم متطورة ومتقدمة بالقدر الكافي، بل كانت في معظمها صناعات بدائية؛ اعتمدت في خاماتها على ما تحتويه البلاد من معادن وأخشاب وجلود وغيرها، وكان اهتمام الكانميين بهذا المجال يرجع إلى الأهمية الصناعية في سد النقص المحلي وفي الاكتفاء الذاتي فيما تحتاجه البلاد من فخار أو دبغ جلود، أو بعض الصناعات الحديدية الأخرى وما تكتسبه بعض الصناعات من أهمية عسكرية وتجارية، فقامت بها عدة صناعات حرفية استخدمت في غاراتهم العسكرية على بعض القبائل الوثنية. واشتهرت بعض المدن ببعض الصناعات الخاصة، فمثلاً اشتهرت مدينة "المفزا" الواقعة شرقي مدينة جاجة على ركن بحيرة كورى بصناعة القوارب، كما أنها كانت أيضاً مركزاً أساسياً للصناعة بكانم<sup>(1)</sup>، فحظيت بأهمية اقتصادية في البلاد، واتخذ منها السلاطين الكانميون قاعدة ومركزاً لأساطيلهم الحربية التي تتطلق للغزو على القبائل الوثنية، وقد وصفها أبو الفدا بأنها مدينة مشهورة؛ وذلك بسبب أهميتها الصناعية ولأثرها الواضح في حياة المجتمع الكانمي الاقتصادية، بالإضافة إلى ما كان يوليه سلطان كانم لها من عنايته الخاصة الواضحة<sup>(2)</sup> كما اشتهرت كانم أيضاً ببعض الصناعات الصوفية، مثل الثياب والمنسوجات عامة، حيث كانت هذه الثياب تستخدم كعملة، واشتهرت هذه الثياب فيها باسم "دندى"، يقول القلقشندي: "ومعاملتهم بقماش ينسج عندهم يسمى دندى،

(1) ابن سعيد المغربي، كتابا الجغرافيا، مصدر سابق، ص 94.

(2) أبو الفدا، تقويم البلدان، مصدر سابق، ص 163.

طول كل ثوب عشرة أذرع فأكثر، ويتعاملون أيضا بالودع والخرز والنحاس المكسور، والورق، لكنه جميعه بسعر ذلك القماش<sup>(1)</sup> وهناك صناعات أخرى مثل صناعة الفخار والتي أتقنها الكانميون وصنعوا منها التماثيل وأواني الأكل والشرب والجرار، كما صنعوا التماثيل البرونزية أيضا<sup>(2)</sup>.

وعمل الكانميون على استغلال الخامات المحلية في سد احتياجاتهم المنزلية، فقاموا بصناعة بعض الأواني الخاصة بالأكل والشرب من الخامات المحلية مثل القرع<sup>(3)</sup> المتوفر عندهم بكثرة، وقاموا بتزيينه ببعض الرسومات والأشكال الزخرفية فأعطوه جمالا وروعة<sup>(4)</sup> كما قاموا بصنع القداح، وهي متنوعة الأشكال، وتنقسم إلى ذات الأرجل وغير ذات الأرجل، وتنقسم إلى أقداح للأكل وأقداح للسفر، وصممت أقداح الأكل إلى قسمين في حياة القدح المعهود، إلا أنه مقسوم بحاجز من نفس الخشب المحفور، قسم يوضع فيه الطعام "العصيدة"، وفي القسم الآخر الإدام "المرقة"، وسمى هذا بأبوظنين، إلى جانب

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج5، ص 281.

(2) عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 173.

(3) القرع، نوع من الخضراوات، من فصيلة القرعيات، يشبه البطيخ، يترك حتى يجف ويستخرج ما بداخله.

محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين،

تحقيق الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، القاهرة: مكتبة السنة، ج1، ص238.

(4) ابن بطوطة (شرف الدين أبو عبيد الله محمد اللواتي الطنجي)، رحلته، دار صادر، بيروت،

1964م..، ص 778.



القдах صنع "المقران" من نفس الخشب السابق، تستعمله النساء في حفظ أدوات الزينة من كحل وروائح وطيب<sup>(1)</sup>. كما عرفت في هذه البلاد صناعة المنسوجات المجسدة، أي المصبوغة بالزعفران، والتي اشتهرت بها كانم منذ القدم<sup>(2)</sup>. ومن الصناعات الأخرى ذات الأهمية الاقتصادية والتي قامت في هذه المملكة منذ القدم، صناعة الحديد التي كان يمارسها الكانميون في المصانع التي كانت معدة لذلك بالقرب من العاصمة، حيث صنعوا من هذا المعدن السكاكين والسيوف الحادة<sup>(3)</sup> وقد تخصصت مجموعة معينة في هذه الصناعة تمارسها نيابة عن السلطان، ورغم أن الأشرف منهم يعدون الأعمال اليدوية إهانة كبرى لصناعها، فإن هؤلاء احتلوا مكانة مرموقة في هذه البلاد<sup>(4)</sup> واشتهرت الزغاوة بصفة خاصة بصناعة الحديد، وارتبط اسمهم بها، وكانوا يصنعون الحراب والسهم والأدوات الحديدية المختلفة<sup>(5)</sup>.

(1) إبراهيم صالح يونس: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كنم، بنو، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، أكتوبر، 197، ص 62.

(2) إبراهيم طرخان: إمبراطورية بنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة، 1975، ص 165.

(3) آدم عبد الله الالوري: موجز تاريخ نيجيريا، بيروت، 1965، ص 65.

(4) الشاطر بصيلي، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، مرجع سابق، ص 356.

(5) بوفيل، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص 286.

كما اشتهر الصو بصناعة المعادن من النحاس والحديد والبرونز، فضلاً عن أعمال الفخار الجميل المتقن<sup>(1)</sup> كما اشتهر الكانورى بعدة حرف منها صناعة الخزف والصلال والحديد وصناعة النسيج وإعداد قطع القماش الذي تصنع منه الجلابيب<sup>(2)</sup>.

كما قامت -أيضاً وبصفة عامة في البلاد- صناعة القراطيس، والنعال، ودبغ الجلود، وصبغها، والنحاس، وغيرها من الصناعات التقليدية الأخرى.

وعثر علماء الآثار على بقايا الصناعات الحديدية، التي كانت موجودة في تلك البلاد، وهي عبارة عن مسامير وأدوات للحصاد وسكاكين تستخدم في القص والرماح ورؤوس السهام، بالإضافة إلى كرات الزجاج، والصفيح والذهب والحديد المصنّع<sup>(3)</sup>.

### - أوجه النشاط التجاري في دولة كانم وسيطرتها على طرق التجارة

استفادت دولة كانم من نشاطها الاقتصادي المتنوع من زراعة وثروات حيوانية ومعدنية وصناعات وحرف مختلفة، اشتغل بها السكان في تدعيم تجارتها الرائجة بين أقاليمها في الداخل، وفي زيادة تبادلها التجاري مع الخارج، ونجحت في تحقيق أرباح طائلة من هذا التسويق التجاري، ومن تجارة العبور أيضاً التي تمر بأراضيها، وقد ساعدها في ذلك موقعها الذي كان ملتقى لعدة طرق تجارية، استطاعت أن تستثمره وتجنّى منه ثروات كبيرة، كانت سبباً في ثرائها، وأحد عوامل تقوية جيشها الذي حافظ

(1) ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 799. وديشان، الديانات في أفريقيا السوداء، مرجع سابق، ص 27،

(2) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث، مادة برنو، مرجع سابق، ص 579.

(3) زين العابدين عبد الحميد السراج، دولة كانم الإسلامية، مرجع سابق، ص 152-153.

على هذا المركز وهذه المكانة، فقد استطاعت أن تسيطر على طرق القوافل التجارية المتجهة شمالا عن طريق فزان إلى طرابلس وشرقا إلى النيل ومصر .

وأصبحت منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ذات مكانة مرموقة في السودان الأوسط، كما ارتبطت أيضًا بعلاقات تجارية كبيرة مع مملكة مالي وبقية ممالك السودان الغربي والمغرب، وصارت مناطق كانم وبنو والسودان الأوسط محطات تجارية استراتيجية تؤدي خدمات مهمة للقوافل التجارية العابرة للصحراء عن طريق فزان .

كانت دولة كانم تفتقر إلى الذهب الذي اشتهرت به بعض ممالك السودان الأوسط والغربي مثل مالي وغانه، ولكنها استطاعت أن تعوض قيمة هذا المردود المهم، فاستجلبت الذهب من هذه الدول وتاجرت به عبر الشمال الأفريقي ومصر، كما استطاعت عن طريق تحكمها في الطرق المتجهة إلى الجنوب أو المتجهة شرقًا إلى مصر ووادي النيل عبر الصحراء أن تفرض إتاوات على القوافل التجارية العابرة من أراضيها، وهو ما عرف بتجارة العبور . وساعدها على هذا وجود الطرق التي تمر بواحات فزان، التي أصبحت معروفة ومشهورة لدى تجار القوافل الصحراوية من كانميين أو مغاربة، أو من تجار الشمال الأفريقي ومصر، أو غيرهم من السودانين، كما كانت هذه الطرق حافلة بالسابلة والماء، تتخللها عدة واحات كمحطات تجارية زيادة في ذلك ظهور الجمال في هذه الطرق، مما سهل وساعد على توسيع نطاق التجارة، وكذلك وجود الأمان بهذه الطرق الذي فرضته كانم في أغلب الأحيان من أجل تسهيل حرية السير <sup>(1)</sup>. وكان من أهم السلع التي تحمل على هذه الطرق أو تمر بها والتي كانت متنوعة ومختلفة هي تجارة الرقيق

(1) فيج، جى، دى، تاريخ غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص 72، 73.

التي اعتمدت عليها كانم، حيث كانت تصدر من الجنوب إلى أسواق المغرب وتونس وليبيا ومصر، واشتهرت الكنوري أو التكرور بهذه التجارة، كما أن الزغاويين صدروا الرقيق إلى زويلة وإلى بقية بلدان الشمال الأفريقي و مصر<sup>(1)</sup>. وقد احترف مايات كانم هذه التجارة، حيث كانوا يقايضون العبيد بالخيول، وكان ثمن الفرس يقابل من خمسة عشر إلى عشرين عبداً، وكانوا يأتون بالرقيق من خارج بلادهم، إما بالأسر أو نتيجة الغارات الحربية، وبالرغم من أن هؤلاء المايات كانوا يملكون الذهب، فإننا نجدهم يدفعون ثمن مشترياتهم من الخيول بالرقيق على دفعه ذهباً<sup>(2)</sup>. كما اعتاد مايات كانم إهداء الملوك بأشياء طريفة ونادرة وثمانية في نفس الوقت<sup>(3)</sup>، حيث كان الرقيق من الذكور والإناث في مقدمة هذه الأشياء، وهدية الماي دونمه دابلامى (ت 658هـ / 1259م) إلى السلطان الحفصى المستنصر بالله (ت676هـ / 1277م) خير دليل على ذلك، والتي اشتملت على عدد من الرقيق، إلى جانب الزرافة والأشياء الأخرى<sup>(4)</sup>.

(1) الشاطر بصيلي، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، مرجع سابق، ص 421.

(2) حسن الوزان، وصف أفريقيا، مرجع سابق، ج 2 ص 176، 177.

(3) الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مصدر سابق، ج3، ص151.

(4) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدا والخبر، ج 6، ص 652.

وكانت كام تستخدم الرق على أساس أنه نوع من الحياة العادية أو سمة من سمات المجتمع الكامي في تلك الفترة، حيث كان يقتني الرقيق الغني والفقير على حد سواء<sup>(1)</sup>. ومن السلع الأخرى التي تاجر فيها الكانميون الملح؛ حيث كانت السلعة الرئيسية للتجارة الخارجية والداخلية في هذه البلاد، التي تكاد تكون مفقودة من هذه المملكة، ما عدا منطقة كوار التي كانت تغذي جزءاً من هذه المملكة بالملح، والباقي يأتي إليها من مناطق الشمال الأفريقي والسودان الغربي، لاسيما منطقة أوليل التي تقع أعلى مصب نهر السنغال، أو من منطقة تغازا التي تبعد مسيرة خمسة وعشرين يوماً من سلجاسة في المغرب الأقصى، وقد كانت قوافل التبو والطوارق تقوم بعملية تسويق الملح إلى هذه البلاد<sup>(2)</sup>. كما قام من قبلهم الجرمنتيون باحتكار هذه التجارة وقاموا بتسويقه من ملاحظاتهم

---

(1) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار، بيروت: دار الفكر، ج3، 621. وجون لويس يوركهارت، رحلات يوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد اندراوس، أشرف على نشره محمد شفيق غريال، بيروت: مطبعة المعرفة، ص 266.

(2) ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 416.

إلى بلدان السودان الأوسط والغربي واستبدلوه بالذهب<sup>(1)</sup>، وحذا حذوهم تجار سجماسة في المغرب الأقصى، حيث كانوا يحملون الملح إلى السودان الأوسط ويعودون بالذهب<sup>(2)</sup>. وقد بلغت قيمة الملح مكانة عالية مرتفعة، جعلت الناس يقدمون بالمتاجرة به، حيث حملوه على رؤوسهم وتحملوا المشاق في ذلك<sup>(3)</sup>، وصار المسافر يحمل معه الملح، كما يحمل معه الأشياء المهمة مثل الحلي والزجاج والذي يسمى النظم وبعض السلع العطرية، ويحصل بهذه السلعة العزيزة على جميع ما يحتاجه<sup>(4)</sup>.

تاجر الكانميون أيضاً بالشب الذي كان متوفراً ببلادهم، وبخاصة منطقة كوار التي كانت تحتوي على أجود أنواعه، وتجولوا به من المغرب الأقصى غرباً إلى مصر شرقاً إلى حوض البحر المتوسط شمالاً، وكان هذا المعدن مصدرًا أساسيًا لبلاد كوار وجزءاً من اقتصاد كانم<sup>(5)</sup>. وحظى الخرز بمكانة خاصة عندهم؛ وذلك لجاذبيته لدى النساء، حيث كن يتزين به، فهو حليهن التي يضعنها على خصورهن، كما أنه سهل الاستعمال وغير

(1) عبد اللطيف البرغوثي، التاريخ الليبي القديم – من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، بيروت: دار صادر، 1971م، ص 321.

(2) شوقي الجمل، الحضارة الإسلامية العربية في غرب أفريقيا سماتها ودور المغرب فيها، مجلة المناهل، عدد 7، السنة الثامنة، نوفمبر 1972، ص 140.

(3) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله للعربية / محمد عبد الهادي أبو ريده، القاهرة: 1940، ص 236.

(4) ابن بطوطة، رحلته، مصدر سابق، ص 779.

(5) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، مصدر سابق، ص 114.

ثقل، وكانت الجلود الكانمية من الصادرات المهمة إلى بلدان الشمال الأفريقي والمغرب ومصر، حيث كانت تسلخ من بعض الحيوانات والماعز، وتصنع منها أحسن السروج وغيرها، كما أن تجارة ريش النعام كانت سلعة مهمة في التجارة الخارجية منذ القدم<sup>(1)</sup> كانت هذه هي سلع التجارة الخارجية؛ التي ازدهرت معها التجارة المحلية في الداخل تَرِدُ إلى هذه البلاد عن طريق واحات فزان، التي كان لها الفضل الكبير في نشاط الحركة التجارية بين دول الشمال والسودان الأوسط.<sup>(2)</sup>

### العلاقات التجارية مع مصر:

كان للعلاقات التجارية بين مصر ودولة كانم دورٌ مهمٌ في تدعيم هذه العلاقة، ففي الطرق التي تسلك الصحراء الغربية في طريقها إلى واحات مصر والتي كانت من أهم الطرق الرئيسية لحجاج وتجار للسودان الأوسط والغربي، وقد رحل إلى مصر طائفة من أهل كانم أقاموا فيها واشتركوا بنصيب موفور في تجارتها الخارجية<sup>(3)</sup> انتقلت البضائع الكانمية إلى مصر أو العكس والتي كان على رأسها تجارة الرقيق، حيث كانت مصر

(1) محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم، طرابلس: منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، 1970، ص 66.

(2) الإدريسي، صفة المغرب والسودان، مصدر سابق، ص32، 39. وشوقي الجمل، الحضارة الإسلامية في غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص 143.

(4) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جببر، رحلة ابن جببر، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ص44-60. ورجب محمد عبد الحليم، الإسلام والدول الإسلامية في السودان الأوسط، الموسوعة الأفريقية، المجلد الثاني، تاريخ أفريقيا، جامعة القاهرة، مايو 1997م، ص 198.

سوقاً كبيراً لهذه التجارة، وكانت تستورد عدداً كبيراً من الرقيق، كما كان يحمل إليها أحسن الأنواع ويبيع فيها ويصدر أيضاً إلى مدن الخليج، إلا أن أجناس هذه الأخيرة كانت أدنى جودة<sup>(1)</sup> وقد جرت العادة لهذه التجارة بتصدير الأشخاص الأقوياء الذين هم بصحة جيدة حتى يستطيعوا عبور الصحراء، وكانت تشمل الذكور والإناث من الشباب والنساء والبنات، كما لم يقتصر استخدام الرقيق على بلدان الشمال الأفريقي ومصر وتركيا وأسبانية وأوربا، بل استخدمه السودانيون أنفسهم في أعمالهم الخاصة<sup>(2)</sup>.

إلى جانب الرقيق كانت هناك تجارة الخيول المصرية إلى دولة كانم، وبعض المنسوجات المصرية الأخرى، ثم تبادل السلع الأخرى من ريش النعام ومن الفيل والجلود وأدوات الزينة وغيرها<sup>(3)</sup>، وقد رحلت طائفة من أهل كانم إلى مصر وأقامت بها؛ كما اشتركت بنصيب موفور في تجارتها الخارجية.

واشتغلت هذه الطائفة -التي سميت بتجار الكارم أو الكارمية- بتصريف المحاصيل السودانية وبتجارة الرقيق، كما مارسوا تجارة البهارات من الهند واليمن والصين، متخذة من مدينة قوص مركزاً لها، وكون هؤلاء لهم نقابة قوية هيمنت على التجارة واحتكرتها، وقد

(5) المقدسى، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر سابق، ص 241.

(1) فيج، جي، دي، تاريخ غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص 164.

(2) إبراهيم طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، مرجع سابق، ص 165.



نمت ثروة بعضهم نموًا عظيمًا، بحيث أصبحوا يقومون في عالم التجارة بما تقوم به المصارف الحديثة، ويقرضون السلاطين في مصر والبلاد المجاورة (1).

والتجارة الكارمية التي اشتغل بها هؤلاء التجار أسهمت في بناء ذلك العصر، بما نقلوه من أفكار وعادات، فضلًا عن السلع والمنتجات، وبذلك أصبحت بلاد كانم محطة استراتيجية لخدمة طرق التجارة (2).

كما أصبحت كانم أيضًا سوقًا لتبادل السلع، فانقل إليها تجار مصر، حيث أقاموا المتاجر في مختلف الأقاليم من هذه المنطقة، وصاروا ذوي مكانة اجتماعية معروفة، حتى إن مايات هذه المملكة وحكام بعض الأقطار المجاورة لها كانوا ينزلون عند هؤلاء التجار عند مرورهم على القاهرة في طريقهم إلى الحج (3).

وكان لوجود شبكة كبيرة من الطرق الصحراوية التي تربط بين دول الشمال الإفريقي ودولة كانم أثر كبير في زيادة الاتصال وفي ربط العلاقات الأخوية بين الطرفين، فقد كان هناك طريق يبدأ من رأس الدلتا في مصر، ويتجه غربًا إلى سيوة، ويتابع سيره غربًا إلى زويلة، ومنها إلى منطقة تشاد، أو يتابع سيره غربًا إلى واحة غات، ومنها يوازي الطريق السابق ويتجه جنوبًا إلى مدينة كانو الحالية، وهذا الطريق يعتبر قديمًا حتى قبل دخول

(3) حسن أحمد محمود، دور العرب في نشر الحضارة في غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص 76.

(4) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1985م، ص 42.

(5) الشاطر بصيلي، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، مرجع سابق، ص 421.

الجمال إلى أفريقيا في العصر الروماني<sup>(1)</sup>. كما حافظت دولة كانم على سيطرتها على هذه الطرق بالرغم من المشاكل الداخلية التي تعرضت لها خلال القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي، وزادت بذلك في تقوية العلاقات التجارية مع مصر وبلاد المغرب وشمال أفريقيا<sup>(2)</sup> وقد استمرت الحركة التجارية مزدهرة بعد دخول المسلمين إلى بلاد شمال أفريقيا، حيث كان من نتائج وصول الإسلام إلى المنطقة انتشار الأمن، مما أدى إلى ازدهار حركة القوافل بين شمال الصحراء وجنوبها، كما أصبحت هذه القوافل تحمل إلى جانب بضائعها دينًا جديدًا، سرعان ما انتشر في بلاد كانم، وأسهم في خلق رابط روحي بين سكان بلاد كانم وبلاد شمال أفريقيا، وانعكس هذا الرابط بالتأكيد بشكل إيجابي على العلاقات التجارية بين الطرفين<sup>(3)</sup> وكان للطريق الذي يبدأ من طرابلس إلى ترهونة وبنني وليد مرورًا بمزدة وهون وسوكنة إلى بحيرة تشاد دورٌ كبيرٌ في ربط أوصل العلاقات التجارية والثقافية بين دول الشمال وممالك السودان الأوسط.

### ثانيًا - العلاقات الثقافية.

#### - العلاقات الثقافية مع ليبيا:

- 
- (6) عبد العزيز كامل، العروبة والحضارات الأفريقية في منظور جديد، مرجع سابق، ص 230.  
 (1) أحمد إلياس، طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، القاهرة: مجلة الدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات المترجمة، رقم 2، ص 206.  
 (3) المرجع نفسه، والصفحة.

أما الروابط الثقافية بين ليبيا ومملكة كانم فقد كانت قائمة قديماً، ولعل تأثيرها لم يبدأ إلا مع دخول العرب المسلمين الأوائل إلى منطقة كوار إثر فتح عقبة بن نافع لهذه المنطقة عام 46هـ / 666م الذي قوى التأثير السابق الذي بدأه الجرمنطيون<sup>(1)</sup>، وزادت رحلات الحج التي قام بها عدد من مآيات كانم من تأسيس علاقات فكرية وسياسية مع الشمال الأفريقي، ومثال ذلك ما قام به الماي دونما (ت545هـ / 1150م) بإنشاء علاقة سياسية وثقافية مع حكام طرابلس ومصر أثناء زهابه إلى مكة وعودته منها<sup>(2)</sup>.

وتدل بعض المعلومات أن قاضي جبل نفوسة ويدعى عمرو بن فتح بعث عالماً كبيراً من أهل الدعوة الإسلامية إلى كانم، واستقر هناك حيث طاب له المقام، وقام بمجهودات كبيرة في نشر الدعوة الإسلامية وفي تنقيف أهالي زغاوة بأصول الإسلام وفقهه<sup>(3)</sup>.

بلغت مملكة كانم خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي مستوى رفيعاً من التعليم الإسلامي، يعزى ذلك في معظمه إلى الزيارات المتكررة التي قام بها لهذه البلاد عدد من العلماء من توات ومصر وطرابلس<sup>(4)</sup>، ثم قيام أعداد كبيرة من المسلمين

(3) رباح شيخ الأرض، تشاد والعرب، مرجع سابق، ص 15.

(4) أ. م. كاني، مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال أفريقيا ووسط السودان، طرابلس:

مجلة البحوث التاريخية السنة الثالثة، عدد 1، 1981، ص 13.

(1) Michael Crowder. The Story of Nigeria. p 40-41 وحسن أحمد محمود،

الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، مرجع سابق، ص 299 - 300.

(2) أ. م. كاني، مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال أفريقيا ووسط السودان، مرجع سابق، ص 15.

الكانمين الذين عرفوا بالتكرور<sup>(1)</sup> بالزيارة المتكررة والواضحة إلى البلاد الإسلامية الواقعة شمال وشرق مملكة كانم؛ لتلقي العلم والمعرفة وليشهدوا حلقاته في مراكزه ثم العودة إلى بلادهم من جديد، كما أن التجار كان لهم دورٌ مهم في نشر الثقافة الإسلامية، لاسيما في هذه البلاد نتيجة الاحتكاك المباشر مع السكان والسلطين، وإنشاء المدارس لتعليم القرآن، ونشر ثقافتهم، إلى جانب بيع السلع التجارية في الواحات والأماكن التي يترددون عليها في فزان.

ومما سبق نخلص إلى أن توطيد العلاقات الثقافية في هذين البلدين قد انتقلت من الشمال الأفريقي عبر فزان، وتقبلها الكانميون كما هي، ذات صبغة عربية خالصة، مثل المذهب المالكي الذي كان مذهب أهل كانم، ومواظبتهم على الصلاة في جماعات، وبخاصة يوم الجمعة<sup>(2)</sup>، وعاداتهم احترام المساجد وعدم دخولها إلا بالملابس والثياب النظيفة، وإتقانهم اللغة العربية كلغة للتخاطب والمراسلة أيضاً، إلى جانب هذه العلاقات فإن مايات كانم قد حافظوا دائماً على أن تكون لهم علاقة خاصة بلبيبا؛ ودليل ذلك حرصهم على اختيار زوجاتهم من العائلات اللببية النبيلة<sup>(3)</sup>.

**\_ العلاقات الثقافية مع تونس:**

(3) المقرزي، الخطط، مصدر سابق، ج 2، ص 40.

(4) ابن بطوطة، رحلته، مصدر سابق، ص 600.

(5) رولاند أوليفر، تاريخ موجز أفريقيا، مرجع سابق، ص 22.

أما عن العلاقات الثقافية مع تونس، فإننا نلاحظ لمحات عابرة تدل على وجود بعثات طلابية إليها من كانم أو العكس، للدراسة بمعاهد العلم في تونس، مثل جامع الزيتونة والقيروان وغيرهما، لتلقى العلم بأشكاله المختلفة، والمساهمة فيما بعد في النهضة الثقافية في مملكة كانم، زيادة على البعثات الطلابية كان للتجار والرحالة وقوافل الحجيج دوراً في تطعيم وتغذية الجو التعليمي بما يحمله هؤلاء من أنباء وأفكار وأخبار عن العلم والعلماء والكتب والتأليف الجديد وحلقات التدريس والمناظرات وغيرها من الأبناء الأخرى التي تؤكد على مدى التواصل الفكري والتتبع الدقيق لكل ما هو جديد، وكان هؤلاء يقومون بهذا الدور أثناء تنقلاتهم ورحلاتهم، سواء منها التجارية أو العلمية عن طريق طرق القوافل التجارية عبر فزان والتي كانت تربط كانم بتونس، وقد أدت مدينة القيروان دوراً مهماً في نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين<sup>(1)</sup>.

### \_ العلاقات الثقافية مع المغرب الأقصى:

بدأت العلاقات المغربية الأفريقية منذ أقدم العصور، لاسيما بعد دخول الجمل إلى أفريقيا في أثناء العهد الروماني في القرون الميلادية الأولى، والذي ظهرت فيه الوشائج الأفريقية، حيث أصبح للحركات الديموغرافية أهميتها في خلق تواصل بشري امتد فيها بعد زمنياً ومكانياً.

(1) محمد جمال الدين، انتشار الإسلام في غرب أفريقيا، رسالة ماجستير غير منشورة،

القاهرة: معهد البحوث الأفريقية، ص 51.

ومما لا شك فيه أن وجود صلات بين شمال وغرب القارة الأفريقية وبصفة خاصة في الناحية الدينية كان موجودًا منذ القدم، وهو أمر له أهميته وشأنه في ميدان الدفع الحضاري. وبدأ أول اتصال بين المغرب وبلدان جنوب الصحراء على ما يبدو أثناء العهد الروماني والوندالي في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، عندما حدثت هجرات منتظمة واسعة من المغرب نحو الجنوب، ونحو الصحراء وما وراءها، بسبب اضطهاد المحتلين وعسفهم، وفرض أعمال السُّخرة على سكان هذه البلاد<sup>(1)</sup>.

كانت قبائل لمطة ولمتونة والملثمين المنتسبين إلى هوارة قد قطنت الواحات الصحراوية شمال نهر النيجر، وأصبح يطلق عليها اسم الطوارق، كانت هذه أولى المجموعات المهاجرة، ثم حدثت هجرات أخرى من قبائل صنهاجة أيضًا نحو الجنوب وأوغلت في السودان، وانطلقت فيما بعد في توسعها إلى ضفاف نهر السنغال، وكان رجالها هم عمدة الحكم والجيش والتجارة في دولة غانا، ثم كانت الهجرة الثالثة عند بداية القرن الخامس الميلادي عندما اكتسح الوندال (الصندال) أراضي المغرب، واتجهت هذه المجموعة عبر واحات فزان الوسطى حتى استقرت في منطقة كوكيا الواقعة جنوب مملكة صنغاي. من هنا نرى أن العلاقات المغربية السودانية لم تكن فقط اقتصادية، بل كانت موجات أثر حركات ديموغرافية، ومن ثم نرى أن المغرب الأقصى قد حافظ بجدية وفعالية على صلاته وعلاقاته بالإمارات والممالك الأفريقية على حقيقة قائمة وثابتة، وبذلك لا

(2) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مرجع سابق، ص 28.

نستغرب عندما وردت الدفعات العربية الأولى مع الإسلام، فوجدت من هذه القبائل المنتشرة في الأقاليم الأفريقية جنوب الصحراء تجاوبًا كبيرًا، وانصهرت معها في بوتقة واحدة، وانشر الإسلام والثقافة العربية فيما حولها من أمصار وأقطار، وقد بلغت الدعوة الإسلامية إلى بلاد كانم والزغاوة عن طريق تجار المغرب من بني رستم، إذ إن الرستميين كانوا على صلات تجارية وطيدة مع هذه البلاد، ومن المحقق أن تلك الصلات أسفرت عن انتشار الإسلام بين بعض الزغاويين، ووضعت البذور الأولى لحركة انتشار الإسلام في تلك النواحي، ثم تلاهم فيما بعد المرابطون<sup>(1)</sup>.

وازداد التأثير بالمغرب الأقصى عام 172هـ / 788م وقيام الأدارسة بتبليغ رسالتهم الإسلامية إلى هذه المناطق، فعرفت بلاد التكرور الدين الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، ثم كان للحركة الشهيرة التي قادها عبد الله بن ياسين سنة 439هـ / 1047م من رباطه عند مصب نهر السنغال ونشره للإسلام بين قبائل السودان المختلفة<sup>(2)</sup>، ثم كان لضغط الهجرات العربية المهاجرة من الشرق إلى دول المغرب العربي

(1) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، مرجع سابق، ص 299.

(2) ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج2، ص7. والناصري، الاستقصا، مصدر سابق، ج2،

ص7-8. وعصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، مرجع

سابق، ص 127.

خاصة قبائل بني هلال وبني سليم أثرها في دفع قبائل متعددة نحو منطقة الصحراء، وإلى توغلها في الجنوب نحو حوض السنغال والنيجر عبر فزان، وبعضها هاجر إلى بلاد كانم<sup>(1)</sup>.  
ومما لاشك فيه أن هذه العلاقات والاتصالات المتداخلة والمتواصلة كان لها تأثير كبير في العلاقات المغربية مع مملكة كانم؛ وبخاصة تأثير المرابطين الواضح في مناطق السودان وقيام مدينة تمبكتو الإسلامية التي أصبحت من أعظم المراكز الإسلامية والثقافية في حرب أفريقيا في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، حيث أتاها التجار وتدفق عليها العلماء وطلاب العلم من سائر أطراف الوطن العربي والعالم الإسلامي، حتى صارت مأوى العلماء ومثوى الأولياء<sup>(2)</sup>.

واستطاعت هذه المنارة الإسلامية -التي كانت مدينة في ثقافتها ونشأتها إلى المغرب حيث كانت على اتصال وثيق بمراكش وبقية الشمال الأفريقي الآخر- أن تؤثر في مملكة كانم عن طريق البعثات التي كانت ترسلها إلى هناك، أو عن طريق الطلاب الوافدين إليها لتلقى العلم والفقهاء وغيره<sup>(3)</sup> والواضح أن أوضاع المغرب كانت تهيئة للزعامة السياسية والثقافية والدينية في هذه المنطقة من أفريقيا، فهو ملتقى عدة تيارات حضارية يتقبل الحضارة العربية الإسلامية كما يتلقى مؤثرات البحر المتوسط، بالإضافة إلى المؤثرات

(3) شوقي الجمل، الحضارة الإسلامية العربية في غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص 135.

(1) السعدي، تاريخ السودان، مصدر سابق، ص 20، 23.

(2) نعيم قداح، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص 55 - 142.



الأفريقية، وتبلورت كلها في النهضة التي بلغت ذروتها في عهد يعقوب المنصور الذي نشطت الحركة الثقافية في عهده، وحين أصبحت مراكش عاصمة لإمبراطورية شاسعة تضم الأندلس والمغرب الأقصى والأوسط وأفريقية أصبح المغرب فعلا قلب الحياة الإسلامية خاصة بعد سقوط غرناطة عام (898هـ / 1492م)، ودافع الأشراف السعديون وخلفاؤهم الأشراف العلويون عن هذه المكانة والتراث، وجنباو المغرب السيطرة العثمانية التي داهمت أقطار الوطن العربي، ومن هنا نرى أن المغرب ظل مركزاً للثقافة الإسلامية وحصنها المنيع بالسودانيين الأوسط والغربي.

ومع انتشار الإسلام في السودانين الأوسط والغربي وقيام ممالك إسلامية منذ بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كانت لها مكانتها وحضارتها مثل مملكة غانا، ومالي، وسنغاي، وكانم، حرص ملوكها على توثيق صلاتهم بالمغرب؛ نظراً لمكانته الإسلامية في العالم الإسلامي<sup>(1)</sup> بالإضافة إلى استقطاب المراكز الثقافية والعلمية المغربية لعدد كبير من طلاب كانم لطلب العلم من مناهل هذه المراكز، فقد استقبلت جامعة القرويين بفاس منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي أعداداً كبيرة من طلاب هذه المملكة للدراسة بهذه الجامعة، والذين أسهموا مساهمة فعالة في نقل المعرفة فيما بعد إلى بلادهم وإلى مناطق أخرى من السودان الأوسط، ومن هنا نرى أن فزان قد أسهمت مساهمة مهمة في ربط العلاقات الثقافية بين البلدين<sup>(2)</sup> وقد بذل مايات كانم

(3) القشتالي، مناهل الصفا، مصدر سابق، ج 2 ص 61.

(4) أ. م. كاني، مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية، مرجع سابق، ص 15.

جهوداً كبيرة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي لتقوية الروابط الثقافية والسياسية مع مراكش وطرابلس وزيادة تعزيزها، مما أدى إلى انبعاث حركة ثقافية في البلاد كان عمادها العلماء المتجولون الذين أخذوا على عاتقهم مهمة نقل التعليم، كما تدفقت الكتب والمؤلفات الأدبية من المغرب وبلدان الشمال الأفريقي الأخرى عن طريق فزان إلى كاتم، مما أدى إلى انتشار الدراسات العلمية وزيادة تعمقها.

وكانت ثقافة مملكة كاتم منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي قد غلبت عليها التقاليد المالكية الدينية، وكانت كلها تقريباً تدور حول فقه مالك والعلوم المساعدة الأخرى التي تخدم هذا الفقه وتساعد على فهم هذه الثقافة المالكية، كما أثرت هذه الثقافة في الفقهاء وفي حياتهم وتقاليدهم وإنتاجهم الفكري وفي تأليفهم وطرق تدريسهم، وانعكاس هذه الثقافة على بقية أفراد المجتمع الكاتمي، وكادت مدارس الثقافة الإسلامية في هذه البلاد أن تكون مدارس مغربية بحتة، حيث نجد الأسلوب في مراكش وغيره في مناطق المغرب الأقصى مماثلاً لأسلوب المدارس الكاتمية، حتى طريقة الكتاب نفسها تأثرت بالطابع المغربي بالقلم العربي المستخدم هناك وهو القلم المغربي، والمناهج والكتب المتداولة هي نفس الكتب التي في المغرب، مثل كتب القاضي عياض وكتب سحنون وشروح ابن القاسم وموطأ الإمام مالك وتحفه الحكام والعباد<sup>(1)</sup> كل هذه الكتب

(1) السعدي، تاريخ السودان، مصدر سابق، ص29. وعصمت عبد اللطيف دندش، دور

المرابطين في نشر الإسلام في غير أفريقيا، مرجع سابق، ص 148.

كانت تُدرّس في مدارس دولة كانم، كما أنها كانت تدرس أيضًا في أي مكان وصل إليه الإسلام أو فقه مالك<sup>(1)</sup>.

كما أن دور المغرب قد ساعد في التعليم الإسلامي في هذه المملكة وبلغ مستوى رفيعًا خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث والرابع عشر الميلاديين، ويعزى ذلك إلى الزيارات المتكررة التي قام بها عدد من علماء المغرب وتوات ومصر وطرابلس، كما تتحدث رسالة بعث بها أحد مایات كانم وهو المای كادای بن عثمان (747 / 748 هـ / 1346 - 1347م) إلى بعض العلماء البارزين من توات يطلب منهم أن يرسلوا بعثات علمية إلى مملكة كانم<sup>(2)</sup> ومن دون شك أن هذا التواصل الثقافي قد امتد ونما فيما بعد، وبخاصة بعد أن توثقت العلاقات التجارية ورحل كثير من الرحالة المغاربة أمثال ابن سعيد المغربي وابن بطوطة وحسن الوزان وغيرهم كثير إلى هذه البلاد، وطبيعي في جو كهذا يطبعه التعامل والترابط أن يكون التواصل الثقافي حاضرًا فيه وأن يستمر المغاربة في دعم هذا التواصل سيرًا على نهج أسلافهم السابقين، حتى أخذ أهل كانم في التشبه بالمغاربة في زيهم وفنونهم المعمارية، وتشابه الأعراف والعادات ومنهجيات التعليم في

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج5، ص281. وحسن أحمد محمود، الإسلام

والثقافة العربية في أفريقيا، مرجع سابق، ص 244.

(3) المرجع نفسه، والصفحة.

الخلوة (الكتاب) وغيره<sup>(1)</sup> وأخيراً فإن طابع الرحلة من المغرب نحو البلاد الإسلامية الأخرى هو طابع عرف به المغاربة منذ القدم، إما لأداء مناسك الحج بالمشرق، وإما لطلب العلم ونشره، أو للاستزاق والاستغناء، أو للبحث والاستكشاف، كل هذه العوامل ساعدت في استمرارية العلاقات المغربية مع مملكة كانم وبقية مناطق السودان الأخرى، وزادت في تعميقها على مدى السنين، قد كان الأثر الثقافي لبلدان شمال أفريقيا كبيراً ومؤثراً لاتصال أرض كانم وقربها منها، فهي تتصل ببلاد المغرب دون فاصل أو حاجز طبيعي، كما أن فزان لا تبتعد كثيراً عن بحيرة تشاد، وكانت مراكش في قمة شهرتها كمقر وموطن للعلماء، وكانت فزان مكاناً مقصوداً لهم ومركزاً لتعلم اللغة العربية، يقصدها الناس من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وبلغت شهرتها أنحاء بعيدة، وصلت إلى كردفان في السودان الشرقي<sup>(2)</sup>.

### الخاتمة

العلاقات المثمرة والنشطة التي تكونت بين واحة فزان وممالك السودان الأوسط ممثلاً في دولة كانم يرجع إلى دور الواحات الصحراوية التي أسهمت في سلامة الطريق وأمنه، مما ساعد على تبادل السلع بكل سهولة ويسر، كما كان لهذه الواحات دور كبير في التبادل الفكري والثقافي بين الجهتين، لاسيما إذا عرفنا أن التيبو لم ينتقلوا إلى دولة كانم بكاملهم، بل بقي جزء منهم يقطن منطقة جنوب فزان وجبال تيبستي، ولا شك أن

(1) عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص 149.

(3) زين العابدين عبد الحميد السرج، دولة كانم الإسلامية، مرجع سابق، ص 103.

أواصر الدم بين أبناء هذه القبيلة قد أسهمت في تطوير العلاقات الاجتماعية التي بدورها أدت إلى استقرار المنطقة، مما ساعد في عملية التواصل بين منطقة بحيرة تشاد ومنطقة فزان. موقع فزان جعل منها حلقة وصل بين بلاد شمال أفريقيا وأواسطها، ومكَّن لها من القيام بدور كبير في نشر الإسلام في تلك المناطق، وجعل أهلها وسطاء تجاريين، تتم عن طريقهم مبادلة المنتجات الأفريقية بمنتجات بلاد شمال أفريقيا، مما أسهم في ازدهار الحياة الاقتصادية فيها، أصبح لتجارة القوافل طرق معروفة ربطت بين بلاد شمال أفريقيا ودولة كانم، كما اشتهرت مراكز تجارية في فزان يعتمد سكانها على القوافل التجارية التي تمر بها، وعرفت مجموعة من السلع الأفريقية التي كانت تنقل إلى بلاد شمال أفريقيا، وبالمقابل تأتي سلع أخرى من بلاد شمال أفريقيا إلى دولة كانم، ولا شك أن هذه العلاقات الاقتصادية المميزة قد أسهمت في ازدهار الحياة الاقتصادية في المنطقتين وكذلك في المراكز التجارية التي تمر بها طرق القوافل.

### المصادر والمراجع

1. ابن حوقل: (أبو القاسم بن حوقل النصيبي)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت.
2. البكري (أبو عبد الله البكري)، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى ببغداد، 1852م.
3. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985م.
4. فضل كلود الدكو: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ط1، 1998م.

5. أ. م. كاني: مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال أفريقيا ووسط السودان، مجلة البحوث التاريخية، السنة الثالثة - عدد 1، 1981.
6. إبراهيم صالح يونس: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم، برنو، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، أكتوبر، 197.
7. إبراهيم طرخان: إمبراطورية برنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة، 1975.
8. ابن بطوطة (شرف الدين أبو عبيد الله محمد اللواتي الطنجي)، رحلته، دار صادر، بيروت، 1964م.
9. ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربي)، تاريخ ابن خلدون دار الكتاب اللبناني، 1957م.
10. أبو علي أحمد بن عمر ابن رسته، الأعلام النفيسة، طبعة ليدن، 1891م
11. ابن سعيد المغربي، (أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي)، كتاب الجغرافيا، حققه إسماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1988م.
12. أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين محمد بن محمد بن عمران شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة)، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية باريس، 1850م.
13. أحمد السلاوي (الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي)، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولدى المؤلف، الأستاذ جعفر الناصري، الأستاذ محمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، 1955.

14. أحمد إلياس حسين: الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، 1977م.
15. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحلمودي الحسني: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، صححه هنرى بيرس - الجزائر. 1957.
16. آدم عبد الله الالوري: موجز تاريخ نيجريا، بيروت، 1965.
17. آدم متر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري نقله للعربية، محمد الهادي، القاهرة، 1940.
18. أمين توفيق الطيبي: كانم - برنو بالسودان الأوسط، صلات تاريخية تجارية عريقة بالشمال الفريقي، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة العاشرة، مركز جهاد الليبيين، يوليو 1987م.
19. باح شيخ الأرض: تشاد والعرب، المركز العربي للطباعة والنشر، لندن. 1981.
20. بوفيل: الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، نقله إلى العربية زاهر رياض، الانجلو المصرية، القاهرة، 1968.
21. جون لويس يوركهارت: رحلات يوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد اندراوس - أشرف على نشره محمد شفيق غربال، مطبعة المعرفة، بيروت.
22. حسن أحمد محمود: دور العرب في نشر الحضارة في غرب أفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، عدد 14 - 1968.
23. دائرة المعارف الإسلامية: دار الشعب، القاهرة.

- 24.الدمشقي (شمس الدين أبي عبيد الله محمد بن أبي طالب الأنصار الدمشقي المعروف بشيخ الربوة)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار المثنى، بغداد.
- 25.رجب محمد عبد الحليم: الإسلام والدول الإسلامية في السودان الأوسط، الموسوعة الأفريقية، المجلد الثاني، تاريخ أفريقيا، جامعة القاهرة، مايو 1997م.
- 26.رولاند أوليفر، جون فيج: موجز تاريخ أفريقيا، ترجمة: دولت أحمد صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة. 196.
- 27.ريمون فيرون: الصحراء الكبرى، ترجمة: جمال الدين الدناصوري القاهرة، 1963.
- 28.زين العابدين عبد الحميد السراج: دولة كانم الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة في تاريخ العصور الوسطى، كلية الآداب جامعة القاهرة، 1975م.
- 29.السعدي (الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر السعدي)، تاريخ السودان، نشرة هوداس، انجي، باريس 1898م.
- 30.الشاطر بصيلي عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر للميلاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1972.
- 31.عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار، بيروت: دار الفكر.
- 32.عبد الرحمن زكي: -تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، القاهرة، 1961.
- 33.عبد العزيز كامل: العروبة والحضارات الأفريقية في منظور جديد، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، عدد 3 مارس. 1972.
- 34.عبد اللطيف البرغوثي: التاريخ الليبي القديم، من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي دار صادر بيروت، 1971 ط 1.



35. عبد الله قمم أبكر: كاتم برنو في عهد السلطان إدريس بن علي ألوما)، بحث غير منشور، جامعة الملك فيصل، تشاد، 1998م.
36. عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا 103 1121م
37. علي حامد خليفة: المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ط1، 2003م.
38. العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق د. حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، السفر الرابع، 2002م.
39. الفشتالي: (أبي فارس عبد العزيز الفشتالي)، مناهل الصفاء في مآثر موالينا الشرفاء دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافية، الرباط، 1972.
40. فيج، جي، دي: تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، راجع بهجت رياض، دار المعارف، ط 1982.
41. القلقشندي: (الإمام أحمد بن علي): -صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1951م.
42. محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، إشراف نقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر بغداد. 1982.

43. محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين، تحقيق الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، القاهرة: مكتبة السنة.
44. محمود ناجي: تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم، محمد الأسطى منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب. 1970.
45. المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي): -مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
46. المقدسي: (أبو عبيد الله محمد بن أحمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ليدن، 1920.
47. نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، كونوكري، 1960.
48. هنري بيرس، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق لأفاق، الجزائر، 1957.
49. هوبكينز: التاريخ الإقتصادي لأفريقيا العربية، ترجمة أحمد فؤاد بليغ، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة. 1998.
50. هوببير ديشان: الديانات في أفريقيا السوداء، نقله عن الفرنسية أحمد صادق حمدي، دار الكتاب العصري، القاهرة، 1956.
51. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح)، تاريخ اليعقوبي، دار العراق، بيروت، 1955م.

## توظيف القاعدة الفقهية (التأسيس أولى من التأكيد) في ترجيح الأحكام الشرعية، دراسة نحوية دلالية

إعداد: د. محمد علي الزايدي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين

أما بعد، فإن للغة أهميتها في تأويل النص وبيانه، فهي من الوسائل التي يفهم بها ويخرج على المعنى الراجح، وهي وسيلة ترجيح عند تعدد الدلالات التي تتوارد عليه، وكذلك هي من الوسائل المساعدة في استنباط الأحكام من أدلتها، فهي أداة من الأدوات التي يستعملها الأصولي والفقيه والمفسر، ولأهميتها فقد اشترطوا في من أراد أن يدرس علوم الشريعة أن يكون لعلوم العربية نصيباً من دراسته واهتمامه<sup>(1)</sup>، يقول الدكتور محمد السيد حسين الذهبي " والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويُتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك"<sup>(2)</sup>، ومن علوم اللغة استنبط العلماء بعض القواعد ووظفوها في ترجيح المعاني والدلالات التي يحتملها النص، ومن هذه القواعد قولهم: (التأسيس أولى من التأكيد)، وذلك عند احتمال النص معنيين الأول يفيد تأسيس معنى جديد والثاني يفيد تأكيداً لمعنى سابق، فحمل النص على المعنى الذي يضيف معنى جديداً أولى، وخرّجوا

(1) ينظر الإتيقان في علوم القرآن: 5/2، 4/213، ومباحث في علوم القرآن: 341.

(2) التفسير والمفسرون: 18/1 .

على ذلك أحكاماً جزئية من النصوص، وفي هذه الورقات أحاول أن أبين كيف تم توظيف هذه القاعدة الدلالية في خدمة النص وبيان مدلوله، وهل يترتب على الترجيح بها اختلاف بين المعاني المحتملة للنص؟

**الدراسات السابقة:** سبقت هذه الورقة عدة دراسات، منها ما كانت فيها الدراسة حول هذه القاعدة، وقد وقفت على دراستين من هذه الدراسات.

أحدها كانت من الجانب اللغوي، وهي ورقة بعنوان (من قواعد الترجيح في إعراب القرآن الكريم: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى) من إعداد د. عبد الله بن محمد بن عيسى المسلمي، جامعة أمّ القرى، كلية اللغة العربية، قسم اللغة والنحو والصرف، مقدمة إلى المؤتمر القرآني الدولي السنوي مقدس 4 الذي ينظمه مركز بحوث بجامعة ملايا بماليزيا في الفترة من 14 إلى 15 / 6 / 1435هـ، وجاءت هذه الورقة في تمهيد وثلاثة مباحث.

المبحث الأول : قاعدة ترجيح التأسيس على التأكيد - مفهومها ونشأتها .

المبحث الثاني : ضوابط الترجيح بهذه القاعدة .

المبحث الثالث : تطبيقات في إعراب القرآن على هذه القاعدة .

الخاتمة : للنتائج والتوصيات .

أما الدراسة الثانية فتدرس القاعدة عند الأصوليين والفقهاء والمفسرين والمحدثين، وهي بعنوان (قاعدة التأسيس أولى من التأكيد، دراسة تحليلية تطبيقية) د. محمد حمد عبد الحميد، وهي بحث منشور بالمجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثامن، العدد (1)، 1433هـ-2012م، وقسم البحث على أربعة مباحث وخاتمة، وكان المبحث الأول

للتعريف بالقاعدة، والمبحث الثاني لبيان تطبيقات القاعدة عند الأصوليين، والثالث عند الفقهاء، والرابع عند المفسرين والمحدثين، ثم الخاتمة.

ووقفت على دراسة أخرى كانت من مباحثها هذه القاعدة، وهي بعنوان (إعمال الكلام أولى من إهماله وأثرها في المعاملات المالية) إعداد الطالبة يسرى عمر عبد الله العمور، (رسالة ماجستير) قسم أصول الفقه، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية - غزة، 1432هـ-2012م.

وكانت دراسة قاعدة (التأسيس أولى من التأكيد) في المبحث الخامس من الفصل الثاني، وقسم هذا المبحث على ثلاثة مطالب، الأول المعنى الإجمالي للقاعدة، والثاني علاقة القاعدة بقاعدة (إعمال الكلام أولى من إهماله)، والثالث تطبيقات القاعدة، وهي دراسة مختصرة.

واعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي لتفسير هذه القاعدة الدلالية وإبراز خصائصها اللغوية المتعلقة بالترجيح، وذلك من خلال دراستها في نماذج من نصوص العلماء، حتى يتبين ما للغة من أثر في استخدامات العلماء في تأويل النص.

وقسمت البحث على النحو الآتي:

- مقدمة.

- مفهوم التأسيس والتأكيد.

- أقوال العلماء في الترجيح بقاعدة (التأسيس أولى من التأكيد).

- توظيف العلماء قاعدة (التأسيس أولى من التأكيد) في الترجيح.

- خاتمة

## مفهوم التأسيس والتأكيد

**التأسيس** مصدر أسَّس، والتأسيس الأصل الأول لبناء الشيء، وهو أساسه، قال الجوهري: " الأُسُّ: أصل البناء، وكذلك الأساس، والأَسَسُ مقصورٌ منه. وجمع الأُسِّ إساسٌ مثل عُسِّ وعِساسٍ، وجمع الأساسِ أُسسٌ مثل قَدَالٍ وَقُدْلٍ، وجمع الأَسَسِ آساسٌ مثل سببٍ وأسبابٍ، وقد أسَّستُ البناءَ تأسيساً" (1)، وفي لسان العرب: " الأُسُّ والأَسَسُ والأساس: كُلُّ مُبْتَدَأٍ شَيْءٍ، ... والأَسِيس: أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ. وَأُسُّ الْإِنْسَانِ: قَلْبُهُ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مُتَكَوِّنٍ فِي الرَّجْمِ، وَهُوَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ. وَأُسُّ الْبِنَاءِ: مُبْتَدَأُهُ؛ أَنشَدَ ابْنُ دُرَيْدٍ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ لِكَذَابِ بَنِي الْحِزْمِازِ:

وَأُسُّ مَجْدٍ ثَابِتٌ وَطَيْدٌ، ... نَالَ السَّمَاءَ، فَرَعَهُ مَدِيدٌ

وَقَدْ أَسَّ الْبِنَاءَ يُؤْسُهُ أَسًّا وَأَسَّسَهُ تَأْسِيسًا، اللَّيْثُ: أَسَّسْتُ دَارًا إِذَا بَنَيْتَ حُدُودَهَا وَرَفَعْتَ مِنْ قَوَاعِدِهَا" (2). فالتأسيس الإنشاء ابتداءً، ومنه قوله تعالى: { لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى } (3) قال القاسمي: " أي بنيت قواعده على طاعة الله وذكره" (4) ومفهوم التأسيس في هذه القاعدة الفقهية هو حمل الكلام على معنى لم يكن موجودا من قبل، أي إخراجة

(1) الصحاح: أسس .

(2) أسس.

(3) التوبة : 108 .

(4) محاسن التأويل: 3262 /9 .

على معنى جديد غير المعنى المراد من الكلام الأول، وإنشاء دلالة أخرى إضافة إلى المعنى الأول، ففي كتاب التعريفات: "التأسيس عبارة عن إفادة معنى آخر لم يكن أصلاً قبله"<sup>(1)</sup>. أما التأكيد ف"هُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ لَتَقْرِيرِ الْمَعْنَى الْحَاصِلِ قَبْلَهُ وَتَقْوِيَتَهُ"<sup>(2)</sup>، ويقول المناوي: "التأكيد: تابع أمر يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول، وقيل: عبارة عن إعادة المعنى الحاصل"<sup>(3)</sup>، فالتأكيد مبني على ما سبقه من كلام، وهو إعادة له بلفظه أو بمعناه ولكل منهما أغراضه التي يكون فيها، فالتأسيس يكون إذا أريد من الكلام الثاني إضافة معنى غير المعنى الأول، وفائدته تعدد المعاني للنص، أما التأكيد فمن أغراضه تقوية المعنى الأول والمبالغة فيه، وغير ذلك من الأغراض، ولكن إذا احتتمل الكلام أن يحمل على التأسيس أو التأكيد، فأهل التأويل يقدمون التأسيس إلا إذا وجد ما يوجب حمله على التأكيد، فذلك وضعت هذه القاعدة (الحمل على التأسيس أولى من الحمل على التأكيد)، حتى أن السيوطي جعل هذه القاعدة تحت قاعدة (إعمال الكلام أولى من إهماله)<sup>(4)</sup>، وعند النظر في مفهوم هذه القاعدة الفقهية وكيفية توظيفها من قبل الفقهاء في الترجيح بين المعنيين اللذين يحتملها الكلام نجد أنها تعالج النص معالجة لغوية، وذلك من جانب الدلالات التركيبية والنحوية، أو الدلالات المعجمية، ولا شك أن تأثير هذه الدلالات في مسألة الترجيح هو تأثير لغوي، وقد وظفوا هذه الدلالات الترجيحية في تأويل

(1) كتاب التعريفات: 50 .

(2) المصدر السابق: 268 .

(3) التوقيف على مهمات التعاريف: 89.

(4) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: 294/1.

النص واستخراج الأحكام، وهذا في عدم وجود ما يرجح به من قرائن أخرى، إذ لو وجد ما ينصرف به النص إلى أحد المعنيين من الأدلة لما جاز الترجيح بها، يقول ابن تيمية: "وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ إِذَا عُرِفَ تَفْسِيرُهُ مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُحْتَجَّ فِي ذَلِكَ إِلَى أَقْوَالِ أَهْلِ اللُّغَةِ فَإِنَّهُ قَدْ عُرِفَ تَفْسِيرُهُ وَمَا أُرِيدَ بِذَلِكَ مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُحْتَجَّ فِي ذَلِكَ إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ بِأَقْوَالِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَلَا غَيْرِهِمْ"<sup>(1)</sup>، ويشير إلى ذلك السيوطي عند حديثه على ما ورد من بعض المحدثين وهو قولهم: (حسن صحيح) هل يحمل اللفظ على التأكيد أم يفرق بين دلالة اللفظين؟ " قال: وهذا قد يقدر فيه القاعدة "أن الحمل على التأسيس خير من الحمل على التأكيد؛" لأن الأصل عدم التأكيد، لكن قد يندفع القدر بوجود القرينة الدالة على ذلك"<sup>(2)</sup>.

### أقوال العلماء في الترجيح بقاعدة (التأسيس أولى من التأكيد)

تعد هذه القاعدة من قواعد تأويل النص و ترجيحه عند العلماء، وقد قبلوا مفهومها ودلالاتها بوجه عام، واستعملوها في ترجيح دلالة النص إذا احتمل معنى التوكيد والتأسيس إذا لم تتعارض مع وجود قرينة أخرى يتقوى بها التأكيد، وعللوا ذلك بأن تعدد المعاني للنص فيه سعة في الأحكام الشرعية، وأيضا حتى لا يحمل الكلام على التكرار دون الحاجة إليه، وقد بُنِيَتْ هذه القاعدة عندهم على أن الأصل في وضع الكلام هو تأسيس معنى، فالقرافي يذكرها تحت باب (في تعارض مُقْتَضِيَاتِ الْأَلْفَاظِ) ويبين فيه أصول وضع

(1) التفسير الكبير: 119/1.

(2) قوت المغنذي على جامع الترمذي 18/1 .



الألفاظ التي تحمل عليها، دون ما يقابلها من الدلالات التي تحتاج إلى قرينة حتى ينصرف إليها المعنى، فيقول في ذلك: "يُحْمَلُ اللَّفْظُ عَلَى الْحَقِيقَةِ دُونَ الْمَجَازِ وَالْعُمُومِ دُونَ الْخُصُوصِ وَالْإِفْرَادِ دُونَ الْإِشْتِرَاكِ وَالْإِسْتِقْلَالَ دُونَ الْإِضْمَارِ وَعَلَى الْإِطْلَاقِ دُونَ التَّقْيِيدِ وَعَلَى التَّأْصِيلِ دُونَ الرِّيَادَةِ وَعَلَى التَّرْتِيبِ دُونَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَعَلَى التَّأْسِيسِ دُونَ التَّأْكِيدِ وَعَلَى الْبَقَاءِ دُونَ التَّنْسُخِ وَعَلَى الشَّرْعِيِّ دُونَ الْعَقْلِيِّ وَعَلَى الْعُرْفِيِّ دُونَ اللَّغَوِيِّ إِلَّا أَنْ يَدُلَّ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ"<sup>(1)</sup> وابن تيمية يبين أنه قد يأتي اللفظ صالحاً لمعنيين، فإذا وجد ما يميز أحد المعنيين كان العمل به، ويستدل بهذه القاعدة لتقوية إثبات دلالة مقابلة التوزيع فيقول: "وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الدَّلَالَةَ مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ أَشْيَاءَ: أَحَدُهَا: صِلَاحُ اللَّفْظِ الْأَوَّلِ لِتَرْتِيبِ التَّوْزِيعِ.

الثاني: أَنَّ الْمَفْهُومَ يُشْعَرُ بِالِاخْتِصَاصِ. وَهَذَا لَا يُنَازَعُ فِيهِ عَاقِلٌ وَإِنْ نَازَعَ فِي كَوْنِهِ دَلِيلًا.

الثالث: أَنَّ التَّأْسِيسَ أَوْلَى مِنَ التَّوْكِيدِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ تَعَارُضِ الدَّلِيلَيْنِ؛ وَلَا مِنْ بَابِ تَقْيِيدِ الْكَلَامِ الْمُطْلَقِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ تَفْسِيرِ اللَّفْظِ الَّذِي فِيهِ احْتِمَالُ الْمَعْنَيْنِ."<sup>(2)</sup> وفي توضيح الأحكام من بلوغ المرام: " أن الكلام إذا دار بين أن يفيد معنى جديداً، وبين أن يؤكد معنى سابقاً، كان حمله على إفادة المعنى الجديد أولى من حمله على التأكيد؛ لأن التأسيس يفيد معنى جديداً لم يتضمّنه الكلام السابق، بخلاف التأكيد،

(1) الذخيرة: 76 / 1 .

(2) الفتاوى الكبرى: 312/4 .

فإنه لا يفيد إلا إعادة معنى اللفظ السابق.<sup>(1)</sup> ويؤكد ذلك أبو حيان في تفسيره قائلا: "وَإِذَا أَرَادَ الْأَمْرَيْنِ: التَّأْسِيسَ وَالتَّأَكِيدَ، كَانَ حَمْلُهُ عَلَى التَّأْسِيسِ هُوَ الْأَوَّلَى، وَلَا يَذْهَبُ إِلَى التَّأَكِيدِ إِلَّا عِنْدَ اتِّضَاحِ عَدَمِ التَّأْسِيسِ."<sup>(2)</sup> هذه النصوص من أقوال أهل العلم وغيرها تدل على ترجيحهم الأخذ بالتأسيس على التأكيد إلا إذا وجد ما يترجح به التأكيد من قرائن أخرى، بل هناك من يُوجب الأخذ بالتأسيس عند تساوي المرجحات، فالشنقيطي يمنع أن يحمل النص على التأكيد إذا أمكن حمله على التأسيس في حال عدم وجود القرينة الصارفة إلى الحمل على التأكيد، فيقول في ذلك: "... الْمُفَرَّرَ فِي الْأُصُولِ أَنْ النَّصَّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا احْتَمَلَ التَّأْسِيسَ وَالتَّأَكِيدَ مَعًا وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى التَّأْسِيسِ، وَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى التَّأَكِيدِ، إِلَّا لِذَلِيلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ"<sup>(3)</sup> ولا شك أن مدار ذلك كله هي الدلالة المرجحة للمراد من النص، فإنه قد تخالف هذه الدلالة الحمل على التأسيس، فيلزم حمله على التأكيد، فمن ذلك قولهم: (ما لزيد فقه ولا نحو)، فإن حملت (لا) على تأكيد النفي السابق كان المعنى نفي الصفتين عنه، وإن حملت على التأسيس كانت بمعنى (غير)، ففيها إثبات الثاني ونفي الأول<sup>(4)</sup>، فكان قصد المتكلم هو الملزم بأخذ أحد الاحتمالين دون النظر إلى غيره. من هذه الأقوال يتبين مدى أهمية إضافة المعاني الجديدة التي يحتملها النص وتخريجها عليه، وأنها مقدمة على حمله على نفس المعنى السابق

(1) توضيح الأحكام من بلوغ المرام: 60/1 .

(2) تفسير البحر المحيط: 377/3.

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 755/6.

(4) ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 280/3.

على ما يتضمنه التأكيد من تقوية للمعنى، وعلى هذا وظّف العلماء هذه القاعدة في التعامل مع النص المحتمل للتأسيس والتأكيد في اختيار أرجح التأويلات أو في الترجيح بين الأحكام.

### توظيف العلماء قاعدة (التأسيس أولى من التأكيد) في الترجيح

في هذا المبحث نستعرض بعض الشواهد من كتب التفسير وشروح الحديث وكتب الفقه التي وظّف فيها العلماء قاعدة (التأسيس أولى من التأكيد) لترجيح ما يتوافق مع تأسيس معنى جديد للنص، وذلك لبيان كيف يتم توظيف هذه القاعدة في خدمة النص وبيان مدلوله، ونقف أيضا على مدى حجية هذه القاعدة في الترجيح.

وهذه بعض من الشواهد على الترجيح بهذه القاعدة

- قال تعالى: **وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعَيْسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ النَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ النَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** {1}

للعلماء في إعراب **{مصدقًا}** الثانية وجهان، وهما إما أن تكون معطوفة على **{مصدقًا}** الأولى، فتكون مؤكدة لها، وهي حال من عيسى، وإما أن تكون حالا من الإنجيل، أي آتيناها الإنجيل مصدقا<sup>(2)</sup>، وإلى الرأي الأول ذهب بعض المفسرين والمعربين، منهم ابن عطية<sup>(3)</sup> وغيره، ويعرض الزجاج الإعرابين مع المعنى الذي تُحمل عليه الكلمة

(1) المائدة: 46 .

(2) ينظر تفسير القرطبي: 34/8، ومشكل إعراب القرآن: 1/ 228.

(3) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 2/199.

عند إعرابها بأحد الوجهين، ويرى أن الأحسن أن تكون **{مصدقاً}** حالاً من عيسى، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: { أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ } {22} من دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ } (1) (2)، ولعل استدلال الزجاج بهذه الآية لا يقوى به التوجيه الإعرابي الذي استحسنته؛ وذلك لأن المعنى الذي ذُكر من أجله آية سورة الصف قد ذُكر في أول آية سورة المائدة، من قوله تعالى:

وكثير من المفسرين يرون أن **{مصدقاً}** الثانية حال من الإنجيل، أي أتاه الله الإنجيل وفيه تصديق للتوراة، فمن هؤلاء فخر الدين الرازي عند تفسيره هذه الآية فينفي أن تحمل الثانية على التكرار الذي هو تأكيد للمعنى الأول، ويضع القارئ أمام تساؤلات تتعلق بتفسير الآية ويجب عنها، فمن هذه التساؤلات قوله: " لِمَ كَرَّرَ قَوْلُهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ؟ وَالْجَوَابُ: لَيْسَ فِيهِ تَكَرُّرٌ لِأَنَّ فِي الْأَوَّلِ: أَنَّ الْمَسِيحَ يُصَدِّقُ التَّوْرَةَ، وَفِي الثَّانِي: الْإِنْجِيلُ يُصَدِّقُ التَّوْرَةَ." (3) فينفي أن يكون الترابط بين **{مصدقاً}** الأولى و**{مصدقاً}** الثانية بالتأكيد، بل هي تحمل دلالة غير الأولى.

وممن يؤيدون هذا التوجيه الإعرابي الشيخ الطاهر بن عاشور الذي ينفي أيضاً أن يكون في الآية تكرار، ويستدل على ما ذهب إليه بتحليل وبيان دلالي فيقول: " وَمُصَدِّقًا حَالٌ أَيْضًا مِنَ الْإِنْجِيلِ فَلَا تَكَرُّرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: {بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا} لِاخْتِلَافِ

(1) من الآية 6، سورة الصف .

(2) ينظر معاني القرآن وإعرابه: 184 / 2 .

(3) مفاتيح الغيب ( التفسير الكبير): 370 / 12 .

صَاحِبِ الْحَالِ وَإِلْخْتِلَافِ كَيْفِيَّةِ النَّصْدِيقِ، فَتَصْدِيقُ عِيسَى التَّوْرَةَ أَمْرُهُ بِإِحْيَاءِ أَحْكَامِهَا، وَهُوَ تَصْدِيقٌ حَقِيقِيٌّ، وَتَصْدِيقُ الْإِنْجِيلِ التَّوْرَةَ اشْتِمَالُهُ عَلَى مَا وَافَقَ أَحْكَامَهَا فَهُوَ تَصْدِيقٌ مَجَازِيٌّ. وَهَذَا التَّصْدِيقُ لَا يُنَافِي أَنَّهُ نَسَخَ بَعْضَ أَحْكَامِ التَّوْرَةَ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ (وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) ، لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمُثَبَّتَ لَا عُمُومَ لَهُ. (1)

وكذلك الإمام الشوكاني رحمه الله يرى أن **{مصدقاً}** الثانية معطوفة التي هي حال من الإنجيل، أي أنزل الإنجيل مشتملاً على الهدى والنور وفيه تصديق لما قبله، ثم عند ذكره للرأي الثاني جاء بأسلوب يحمل تلميحا إلى أن هذا الرأي ضعيف عنده، فقد سبق بقوله: "وقيل" فهذه الصيغة قد يراد بها عدم شهرة الرأي وضعفه، ثم يأتي إلى ترجيح الرأي الذي اختاره وارتضاه، وهو حمل الإعراب على الوجه الذي يضيف معنى لم يكن مذكورا قبل، واستخدم لترجيح رأيه هذا القاعدة الفقهية (التأسيس أولى من التأكيد)، وهذا نص الشوكاني في بيان الآية وإعرابها ليتبين لنا كيف وظف هذه القاعدة للترجيح بين رأيين مختلفين.

قال الشوكاني: " قَوْلُهُ: وَقَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَذَا شُرُوعٌ فِي بَيَانِ حُكْمِ الْإِنْجِيلِ بَعْدَ بَيَانِ حُكْمِ التَّوْرَةَ أَي جَعَلْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ يَفْقَهُ آثَارَهُمْ أَي آثَارَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُقَالُ قَفَيْتُهُ مِثْلَ عَقَبْتُهُ: إِذَا اتَّبَعْتَهُ ثُمَّ يُقَالُ: قَفَيْتُهُ بِفُلَانٍ وَعَقَبْتُهُ بِهِ فَيَبْعُدِي إِلَى الثَّانِي بِالْبَاءِ، وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ مَحْدُوفٌ اسْتِعْنَاءً عَنْهُ بِالظَّرْفِ، وَهُوَ عَلَى آثَارِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا قَفَى بِهِ عَلَى أَثَرِهِ فَقَدْ قَفَى بِهِ إِيَّاهُ، وَأَنْتِصَابُ مُصَدِّقًا عَلَى الْحَالِ مِنْ عِيسَى وَأَتَيْنَاهُ

(1) التحرير والتنوير: 219/6.

الْإِنْجِيلَ عَطْفٌ عَلَى قَفَيْنَا، وَمَحَلُّ الْجُمْلَةِ أَعْنِي فِيهِ هُدَى النَّصْبِ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْإِنْجِيلِ وَنُورٌ عَطْفٌ عَلَى هُدَى. وَقَوْلُهُ: وَمُصَدِّقًا مَعْطُوفٌ عَلَى مَحَلِّ فِيهِ هُدَى أَيَّ إِنَّ الْإِنْجِيلَ أَوْتِيَهُ عَيْسَى حَالٌ كَوْنُهُ مُشْتَمَلًا عَلَى الْهُدَى وَالنُّورِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَقِيلَ: إِنَّ مُصَدِّقًا مَعْطُوفٌ عَلَى مُصَدِّقًا الْأَوَّلِ فَيَكُونُ حَالًا مِنْ عَيْسَى مُوَكَّدًا لِلْحَالِ الْأَوَّلِ وَمَقْرَرٌ لَهُ. وَالْأَوَّلُ أَوْلَى لِأَنَّ التَّاسِيسَ حَيَّرَ مِنَ التَّأَكُّيدِ. " (1) قال تعالى: (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) (2)

في هذه الآية تكرر قوله تعالى : {}، والمكرر قد يدل على المعنى الأول فيكون تأكيدا له، أي تأكيد معنى لمعنى سابق له، وقد يدل على معنى آخر، وفي هذه الآية أيضا ذهبت آراء المفسرين إلى تأويل الاصطفاء الثاني بأنه تأكيد للاصطفاء الأول (3)، ومنهم من ذهب إلى أن الاصطفاء الثاني مخصوص بولادتها عيسى عليه السلام من غير أب، فذلك جاء بعده قوله تعالى: {}، أما الأول فاصطفاء للعبادة، يقول الإمام أبو يحيى زكريا الأنصاري: " كرر {} لأن الاصطفاء الأول للعبادة، التي هي خدمة بيت المقدس، وتخصيص مريم بقبولها في النذر مع أنها أنثى، والاصطفاء الثاني لولادة عيسى" (4)، ولا شك في أن معنى الاصطفاء في الموضعين هو الاختيار، أي أن الله اختارها، ولكن الاختيار في الموضع الأول يختلف عن الموضع الثاني، فالأول جاء اختيارا غير مقيد،

(1) فتح القدير للشوكاني [سورة المائدة 55/2] .

(2) آل عمران: 43 .

(3) التبيان في إعراب القرآن: 212/1 .

(4) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: 87 .

وهو ما فسره أهل التفسير بالاصطفاء للعبادة، وهذا الاصطفاء قد يقع لغيرها، أما الثاني ف جاء مقيدا بذكر من خيرت عليهم وهم نساء العالمين، فكان ذلك الاصطفاء في شيء لم يقع لغيرها من النساء، وهو ولادتها عيسى عليه السلام من غير أب<sup>(1)</sup>، وهي من المعجزات، قال الزجاج: " أي اختارك لعيسى على نساء العالمين كلهم، فلم يجعل مثل عيسى من امرأة من نساء العالمين." <sup>(2)</sup>، فهؤلاء العلماء يرون أن الفرق بين الاصطفاء الأول والثاني ظاهر، بل نجد الإمام الرازي يلزم حمل الاصطفاء الثاني على غير الأول فيقول: " اعلم أن المذکور في هذه الآية أولاً: هو الإِصْطِفَاءُ، وثانياً: التَّطْهِيرُ، وثالثاً: الإِصْطِفَاءُ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الإِصْطِفَاءُ أَوْلَا مِنْ الإِصْطِفَاءِ الثَّانِي، لَمَّا أَنَّ التَّصْرِيحَ بِالتَّكْرِيرِ غَيْرٌ لَاتِقٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ صَرْفِ الإِصْطِفَاءِ الْأَوَّلِ إِلَى مَا اتَّفَقَ لَهَا مِنَ الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ فِي أَوَّلِ عُمرِهَا، وَالإِصْطِفَاءِ الثَّانِي إِلَى مَا اتَّفَقَ لَهَا فِي آخِرِ عُمرِهَا." <sup>(3)</sup>، والألوسي بعد أن ذكر ما يحتمل أن يراد بالاصطفاء الثاني في الآية قال: " ولعل الأول أولى- كما قال الإمام- لما أن التأسيس خير من التأكيد " <sup>(4)</sup>، والذي رجحه هنا هو حمل الاصطفاء الثاني على غير معنى الاصطفاء الأول.

هذه لمحة مختصرة فيها إشارات ونقولات عن بعض العلماء حول تفسير الاصطفاء في الآية، ويظهر منها أنهم وإن لم يصرحوا بذكر قاعدة (التأسيس أولى من التأكيد) كما

(1) ينظر تفسير البحر المحيط: 2/ 476، و التحرير والتنوير : 3/ 245 .

(2) معاني القرآن وإعرابه: 1/ 410.

(3) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير: 8/ 217 .

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 2/ 149.

فعل الألوسي، لكنهم يوظفون مفهومها في ترجيحاتهم فيترجح عندهم أن يحمل التكرار الذي في الآية على معنى غير الأول.

- { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } (1) ذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى: { إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا } أن هذه الرؤية جاءت تأكيداً للأولى، وذلك لما طال الكلام، وكثر الفصل بالمفاعيل (2) جاءت " نظرية لطول العهد، كما في قوله: { أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ } (3) " (4)، والعرب تعيد إذا طال الكلام، وذلك تذكير للسامع بأول الكلام حتى لا ينقطع في ذهنه (5).

وبعض المفسرين حمل الرؤية الثانية على أنها كلام مستأنف، ففرقوا بين دلالة الرؤية الأولى والرؤية الثانية، فمنهم من قال: { كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر، وذلك بعد أن أخبر يوسف - عليه السلام - أباه أنه رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر، كأن

(1) يوسف: 4 .

(2) ينظر معاني القرآن وإعراجه للزجاج: 91 / 3، و زاد المسير في علم التفسير: 413/2، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): 122/9، وتفسير البحر المحيط : 238 / 6.

(3) المؤمنون: 35 .

(4) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) : 146/6، وقد ذكر القاسمي التوجيهين دون ترجيح.

(5) ينظر الأصول في النحو: 74/2-75.



يعقوب -عليه السلام- سأله: كيف رأيتمهم؟ أي عن حالتهم التي رآهم عليها، فأجابته: {، وبهذا التوجيه قال الزمخشري<sup>(1)</sup>.

وحملها الرازي أيضا على أنه كلام مستأنف، وذلك إما على اختلاف في حالة الرؤية، فكانت الأولى إخبار عن أنه رأي الكواكب والشمس والقمر، والثانية إخبار عن الحالة التي رآهم عليها، وهي (ساجدين)، ونسب هذا التوجيه للقفال، أو على أنها جواب لسؤال مقدر<sup>(2)</sup>، ولا فرق بين التأولين، فكلاهما لبيان حالهم التي رآها عليها يوسف - عليه السلام-.

وذكر ابن عادل في اللباب قول أبي حيان، وهو أنها تكررت للتأكيد، ثم ذكر قول الزمخشري وعقب عليه قائلا: "وهذا أظهر؛ لأنه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد والتأسيس، فحملة على التأسيس أولى"<sup>(3)</sup>، وكذلك فعل السمين الحلبي فقد رجح قول الزمخشري<sup>(4)</sup>، لأن فيه حمل الرؤية الثانية على معنى آخر غير الأول.

- استثناس الشنقيطي بالقاعدة الفقهية (الحمل على التأسيس أولى من التأكيد) في تحقيق القول فيمن هو الذبيح؟ وقبل أن نعرض إلى قول الشنقيطي أحب أن أشير إلى أن في هذه المسألة خلاف منقول عن سلف الأمة وخلفها في تحقيق من هو الذبيح؟ هل

(1) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 444-443/2 .

(2) ينظر مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): 419-418 / 18 .

(3) اللباب في علوم الكتاب: 12/11.

(4) ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 337-436/6.

هو إسماعيل أم إسحاق عليهما السلام؟ فمنهم من ترجح عنده أنه إسماعيل عليه السلام، ومنهم من ترجح عنده أنه إسحاق عليه السلام، كابن جرير الطبري<sup>(1)</sup>، ومنهم من توقف في المسألة لعدم ترجح دليل عنده، والمسألة مبسوسة في كتب التفسير وغيرها، ومن الذين رجحوا أن الذبيح إسماعيل -عليه السلام- الأمام الشنقيطي في تفسيره، وقد احتج على ما ذهب إليه بسياق الآية في سورة الصافات وكذلك دلالة العطف التي تقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، ومن أدلته أيضا هذه القاعدة الدلالية التي تحمل دلالة النص على تأسيس معنى يختلف عن المعنى الأول، فهذه ثلاث حجج دلالية (دلالة السياق ودلالة معاني الحروف ودلالة التأسيس) وظفها الشنقيطي في تأييد ما ذهب إليه، وهو ترجيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام.

ولبيان كيف وظف هذه الدلالات فإننا نذكر النص كاملا، يقول -رحمه الله- :  
 «لَعَلَّكُمْ أَعْلَمُ أَوْلَى: أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْمَنَامِ بِذَبْحِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، ثُمَّ لَمَّا بَاشَرَ عَمَلُ ذَبْحِهِ امْتِنَانًا لِلْأَمْرِ، فَذَاهُ اللَّهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ، هَلْ هُوَ إِسْمَاعِيلُ أَوْ إِسْحَاقُ؟ وَقَدْ وَعَدْنَا فِي سُورَةِ «الْحَجْرِ» ، بِأَنَّا نُوضِّحُ ذَلِكَ بِالْقُرْآنِ فِي سُورَةِ «الصَّافَّاتِ»، وَهَذَا وَقْتُ إِجْزَارِ الْوَعْدِ.

اعلم، وَقَفَّنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ، أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ قَدْ دَلَّ فِي مَوْضِعَيْنِ، عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ لَا إِسْحَاقَ. أَحَدُهُمَا فِي «الصَّافَّاتِ» ، وَالثَّانِي فِي «هُودٍ» .

(1) ينظر تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 598/9 .

أَمَا دَلَالَةُ آيَاتِ «الصَّافَاتِ» عَلَى ذَلِكَ، فَهِيَ وَاضِحَةٌ جِدًّا مِنْ سِيَاقِ الْآيَاتِ، وَإِبْطَاحُ ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ عَنْ نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ عَاطِفًا عَلَى الْبِشَارَةِ الْأُولَى: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ، فَذَلِكَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْبِشَارَةَ الْأُولَى شَيْءٌ غَيْرُ الْمُبَشِّرِ بِهِ فِي الثَّانِيَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ حَمْلُ كِتَابِ اللَّهِ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: فَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ، ثُمَّ بَعْدَ انْتِهَاءِ قِصَّةِ ذَبْحِهِ يَقُولُ أَيْضًا: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ، فَهُوَ تَكَرَّرَ لَا فَائِدَةَ فِيهِ يُنْزِرُهُ عَنْهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَهُوَ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الْغُلَامَ الْمُبَشَّرَ بِهِ أَوْلَا الَّذِي فُدِيَ بِالذَّبْحِ الْعَظِيمِ، هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وَأَنَّ الْبِشَارَةَ بِإِسْحَاقَ نَصَّ اللَّهُ عَلَيْهَا مُسْتَقْلَةً بَعْدَ ذَلِكَ.

وَقَدْ أَوْضَحْنَا فِي سُورَةِ «النَّحْلِ» ، فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً الْآيَةَ ، أَنَّ الْمُقَرَّرَ فِي الْأَصُولِ: أَنَّ النَّصَّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا احْتَمَلَ التَّاسِيْسَ وَالتَّأَكِيدَ مَعًا وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى التَّاسِيْسِ، وَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى التَّأَكِيدِ، إِلَّا لِذَلِيلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ.

وَمَعْلُومٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَنَّ الْعَطْفَ يَفْتَضِي الْمَعَايِرَةَ، فَآيَةُ «الصَّافَاتِ» هَذِهِ، ذَلِيلٌ وَاضِحٌ لِلْمُنْصِفِ عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْمَاعِيلَ لَا إِسْحَاقَ، وَيُسْتَأْنَسُ لِهَذَا بِأَنَّ الْمَوَاضِعَ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا إِسْحَاقُ يَقِينًا عَبَّرَ عَنْهُ فِي كُلِّهَا بِالْعِلْمِ لَا الْحِلْمِ، وَهَذَا الْغُلَامُ الذَّبِيحُ وَصَفَهُ بِالْحِلْمِ لَا الْعِلْمِ.

وَأَمَّا الْمَوْضِعُ الثَّانِي الدَّالُّ عَلَى ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ فِي سُورَةِ «هُودٍ» ، فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ؛ لِأَنَّ رُسُلَ اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَشَّرْتَهَا بِإِسْحَاقَ، وَأَنَّ إِسْحَاقَ يَلِدُ يَعْقُوبَ، فَكَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يُؤَمَّرَ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِهِ، وَهُوَ صَغِيرٌ، وَهُوَ عِنْدَهُ عِلْمٌ يَقِينٌ بِأَنَّهُ يَعِيشُ حَتَّى يَلِدَ يَعْقُوبَ. فَهَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَا، فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُنْصِفِ الْخِلَافُ فِي ذَلِكَ بَعْدَ دَلَالَةِ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ عَلَى ذَلِكَ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى»(1).

وابن عرفة في تفسير قوله تعالى: { إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا } (2) يوظف هذه القاعدة في التفريق بين الإعراض والنأي، فهما متقاربان في المعنى كما قال الزجاج وغيره، فيدلان على البعد، ودفعاً لحمل الكلمتين على نفس المعنى، ففرق بينهما، وكانت التفرقة في آلة الإعراض وآلة النأي حتى تفيد معنى غير الأول، ولا تحمل على التأكيد، فيقول: "أعرض بقلبه ونأى بجانبه أي ببذنه، وهو أولى من جعلهما بمعنى واحد؛ لأن التأسيس أولى من التأكيد"(3).

وعند تفسيره قوله عز وجل: { لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (4) فقد اعترض على الجاحظ الذي يرى أن الكذب يكون في العمد، وذلك أن الجاحظ قسم الخبر ثلاثة أقسام، الصادق وهو ما

(1) أضواء البيان: 754/6-756.

(2) الإسراء : 83 .

(3) تفسير الإمام ابن عرفة: 74 / 3 .

(4) المجادلة: 14 .

طابق الواقع مع الاعتقاد، والكاذب وهو ما لم يطابق الواقع مع الاعتقاد، وقسم ثالث لا صادق ولا كاذب وهو ما يكون مطابقاً أو غير مطابق مع عدم الاعتقاد<sup>(1)</sup>، قال ابن عرفة: "الآية رد على الجاحظ القائل: بأن الكذب إنما هو في العمدة لقوله {، فإن أجاب بأنه تأكيد، قلت: الأصل التأسيس"<sup>(2)</sup>.

ومن المواضع التي رجحت فيها هذه القاعدة دلالة تحمل معنى غير التأكيد ما جاء عن ابن عاشور في تفسيره كلمة (محضرون) في قوله تعالى: { وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْأَجْرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ }<sup>(3)</sup> فذكر أن (محضرون) بمعنى حاضرين، أي لا يغيبون عن العذاب، فهذا المعنى يفيد تأييدهم في العذاب، وعلى هذا يكون تعلق الجار والمجرور بـ(محضرون)، ولا يتعلق بالكون العام حتى لا يكون مجرد تأكيد لمعنى الظرفية، فرأى ابن عاشور حمله على هذا أولى فقال: "...لِأَنَّهُ لَمَّا ذُكِرَ بَعْدَ قَوْلِهِ فِي الْعَذَابِ نَاسَبَ أَنْ لَا يَكُونَ الْمَقْصُودُ مِنْ وَصْفِهِمُ الْمُحْضَرِينَ أَنَّهُمْ كَائِنُونَ فِي الْعَذَابِ لِنَلَا يَكُونَ مُجَرَّدَ تَأْكِيدٍ بِمَدْلُولٍ فِي الظَّرْفِيَّةِ فَإِنَّ التَّأْسِيسَ أَوْقَعَ مِنَ التَّأْكِيدِ"<sup>(4)</sup>.

هذه بعض المواضع من القرآن الكريم التي احتمل فيها النص أن يحمل على أنه تأكيد لما سبقه من معنى، أو أن يحمل على دلالة أخرى، ولم توجد قرينة يحمل بها النص

(1) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة: 61/1-62.

(2) تفسير الإمام ابن عرفة: 185/4 .

(3) الروم : 16 .

(4) التحرير والتنوير : 64/21 .

إلى أحد التأويلين، فيلجأ المفسرون إلى هذه القاعدة الدلالية للترجيح، ولم تكن هذه القاعدة من أدوات المفسرين فقط، بل نجد كثيرا من شراح الحديث والفقهاء قد استعمل هذه القاعدة في الترجيح بين دالتين يحتملها النص، وهذه بعض الأمثلة من كتب شروح الحديث.

- قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَبْتَزَّجُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (1)

هذا الحديث كما قال عنه أهل العلم أصل عظيم من أصول الدين، لما يحويه من فوائد عظيمة النفع كثيرة الفائدة، ومن هذه الفوائد اللغوية، وذلك مثل ما يفيدته الحصر في قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى)، ومن المسائل المتعلقة بهذا الحصر، هل قوله صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى) جاء تأكيدا لما قبله، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ) نسب ابن حجر هذا القول للقرطبي<sup>(2)</sup>، وكثير من شراح الحديث جعل في الثانية دلالة خاصة لا تدل عليها الجملة الأولى، ذكر ذلك ابن دقيق العيد<sup>(3)</sup> وابن رجب الحنبلي<sup>(4)</sup>، وذكر أبو فرج

(1) الحديث متفق عليه.

(2) ينظر فتح الباري: 17/1.

(3) ينظر شرح الأربعين حديثا النووي: 11.

(4) ينظر جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: 65/1.

الجوزي أنها تفيد التأكيد، إلا أنها "تحوي على فائدة تخصه"<sup>(1)</sup>، وإفادة معنى آخر قد لا يكون مغايراً، كما هو في دلالة هذا الحديث، فقولُه صلى الله عليه وسلم (وَأَيْمًا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى) يحمل دلالة التأكيد لما قبله، ولكن العلماء جعلوا هذه الدلالة مخصوصة غير عامة كدلالة أول الحديث، وهذا ما نقله ابن دقيق العيد عن الخطابي من أنها تفيد تعيين العمل بالنية، وكذلك الأمام العيني في شرحه بعد أن فرق بين الحصرين من حيث التركيب والدلالة، وذكر أن الجملة الثانية تأكيد للأولى قال: " وَحَمَلَهُ عَلَى التَّاسِيسِ أَوْلَى؛ لِإِفَادَتِهِ مَعْنَى لَمْ يَكُنْ فِي الْأَوَّلِ "<sup>(2)</sup>، ويقول أبو الفضل العراقي: "إِنَّ قِيلَ مَا فَايِدَةُ قَوْلِهِ: وَأَيْمًا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى بَعْدَ قَوْلِهِ: إَيْمًا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ هَلْ أَتَى بِهِ لِلتَّكْوِيدِ أَوْ لِلتَّاسِيسِ؟ قَالَ صَاحِبُ الْمَفْهُومِ: فِيهِ تَحْقِيقٌ لِاسْتِرَاطِ النِّيَّةِ، وَالْإِخْلَاصِ فِي الْأَعْمَالِ انْتَهَى فَجَعَلَهُ لِلتَّكْوِيدِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ التَّاسِيسَ أَوْلَى مِنَ التَّكْوِيدِ "<sup>(3)</sup>، وبنوا على هذه الدلالة أحكاماً لكثير من المسائل، أذكر منها مثلاً ما نُقِلَ عن النووي أن " فَايِدَتُهُ اسْتِرَاطُ تَعْيِينِ الْمُتَوَيِّ، فَإِذَا كَانَ عَلَى الْإِنْسَانِ صَلَاةٌ مَقْضِيَّةٌ لَا يَكْفِيهِ أَنْ يَنْوِيَ الصَّلَاةَ الْفَائِتَةَ، بَلْ يُسْتَرْطُ أَنْ يَنْوِيَ كَوْنَهَا ظُهُراً أَوْ عَصراً أَوْ غَيْرُهُمَا، وَلَوْلَا اللَّفْظُ الثَّانِي لَأَقْتَضَى الْأَوَّلُ صِحَّةَ النِّيَّةِ بِلا تَعْيِينِ. "<sup>(4)</sup>

(1) كشف المشكل من حديث الصحيحين: 87/1.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 26/1.

(3) طرح التثريب في شرح التقریب: 10/2 .

(4) نفسه

فلمثل أحكام هذه المسائل التي تقتضي تخصيص العموم المفهوم من دلالة الجملة الأولى كان عليهم حمل الجملة الثانية على معنى غير عام، وجاء حمل النص على هذا موافقا للقاعدة الفقهية (التأسيس أولى من التأكيد).

- عَنْ سَعْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «إِنِّي أَحْرَمُ مَا بَيْنَ لَابَتِي الْمَدِينَةِ: أَنْ يُفْطَعَ عِضَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا " وَقَالَ: " الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَلَا يَدْعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أُبْدِلَ اللهُ بِهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَنْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ". (1)

أورد الإمام مسلم هذا الحديث في بيان فضل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ينال ساكنيها من خير، وفيه بيان حرمتها فلا يقطع شجرها ولا يقتل صيدها، وفيه الحث على الإقامة بها، وأن من صبر على ما يلقاه من مشقة وتعب في إقامته بها كان النبي - صلى الله عليه وسلم - شفيعا له وشهيدا يوم القيامة.

والمسألة اللغوية في قوله - صلى الله عليه وسلم - (وَلَا يَنْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا)، فاللأواء الشدة وضيق العيش<sup>(2)</sup>، و الجهد الشدة والمشقة<sup>(3)</sup>، فالدلالة المعجمية للكلمتين تتفق في بعض وجوه تأويلها، وشرح الحديث لم يحملوا الحديث على هذا الاتفاق، بل التمسوا لها دلالات أخرى حتى يخرجوا إلى المغايرة الدلالية بين اللفظتين، وإن لم تكن

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

(2) ينظر تاج اللغة وصحاح العربية: (لأى)، ولسان العرب: (لأى).

(3) ينظر تاج اللغة وصحاح العربية: (جهد) .



هذه المغايرة بعيدة الدلالة، ففسروا اللأواء بالشدة والجوع، والجهد فُسرَ بالمشقة<sup>(1)</sup>، وقد نهج كثير من شراح الحديث سبيل التفرقة بين الكلمتين دلاليا؛ حتى تعطي كل كلمة معنى مغايرا للكلمة الأخرى، فيتأسس للثانية دلالة معجمية أخرى؛ لئلا تحمل على التأكيد لما قبلها، وعلى هذا القاضي البيضاوي في شرحه للحديث، ففسر اللأواء بشدة العيش، وفسر الجهد بما يجده من شدة الحر<sup>(2)</sup>، وكذلك الزرقاني في شرح حديث الموطأ فقد فسر اللأواء بتعذر الكسب وسوء الحال، وفسر الشدة بالجوع<sup>(3)</sup>، والملا علي القارئ فرق بين اللفظتين ففسر اللأواء بشدة الجوع والجهد بالمشقة "مِمَّا يَجِدُ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَكُرْبَةِ الْعُرْبَةِ وَأَدْيَةِ مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ"، ثم قال: " قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: اللُّأْوَاءُ: الشِّدَّةُ ؛ لَكِنَّ الْمُرَادَ هُنَا ضَيْقُ الْمَعِيشَةِ وَالْفَقْهُ لِمَا فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ عَلَى لِأَوَائِهَا وَشِدَّتِهَا، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِخْتِلَافِ فِي مَعْنَاهَا وَإِنْ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْعَطْفُ تَفْسِيرِيًّا وَتَأْكِيدًا لِأَنَّ التَّاسِيْسَ أَوْلَى، وَالْأَصْلُ فِي الْعَطْفِ التَّغَايُرُ"<sup>(4)</sup>. ومن توظيفهم هذه القاعدة في حمل دلالة الكلمات على المغايرة ما فسروا به قوله - صلى الله عليه وسلم - ( ورجل حضرها بإنصات وسكوت)، فالإنصات هو السكوت، قال ابن فارس: "النُّونُ وَالصَّادُ وَالتَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى السُّكُوتِ"<sup>(5)</sup>، وجاء في بعض المعاجم أن الإنصات هو السكوت مع الاستماع<sup>(1)</sup>، والشيخ

(1) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي: 193/9 .

(2) ينظر تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: 200/2.

(3) ينظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: 4 / 247.

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 5 / 1873 .

(5) معجم مقاييس اللغة: ( نصت).

محمد شمس الحق يذكر بعض الدلالات التي تحتلها الكلمتان، منها دلالة تأسيس ودلالة تأكيد، فذكر أن الإنصات للقريب من الإمام الذي يمكنه الاستماع، أما البعيد فيطلب منه السكوت، وذكر قول ابن حجر المكي أن الإنصات الاستماع للخطيب، أما السكوت فعن اللغو، أو يمكن أن تحمل الكلمتان على التأكيد ثم ذكر ما يحتمله الإنصات فقال: " فَيَجُوزُ حَمَلُهُ عَلَى الْمُتَعَدِّي بِأَنَّهُ يُسَكِّتُ النَّاسَ بِالإِشَارَةِ " فحملة على هذا المعنى عنده أولى من حملة على التأكيد وعمله بأن تأسيس معنى آخر أولى<sup>(2)</sup>.

### الخاتمة

إذا احتل النص أكثر من معنى، فإن أمكن حملة على المعاني المتعددة فهو الأولى، ولكن إذا تعذر ذلك ولزم الأخذ بأحد هذه المعاني، فإن وجدت قرينة لزم الأخذ بها وحمل النص على هذا المعنى، وإلا لجأ المفسر أو الشارح إلى الأخذ بوسيلة ترجيح، مثل هذه القاعدة، فالأصل في الكلام أن يكون موضوعا لمعنى لذاته، فلذلك وضعوا التأسيس في موضع إعمال الكلام ، ووضعوا التأكيد في موضع إهمال الكلام، فأدرجوا هذه القاعدة تحت القاعدة الكلية (إعمال الكلام أولى من إهماله)، وقالوا أيضا: الإفادة أولى من الإعادة، ولا شك أن التأسيس فيه إخراج الكلام "عَنِ التَّأَكِيدِ الَّذِي لَا يُصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ يَبْعُدُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى التَّأْسِيسِ"<sup>(3)</sup>،

(1) ينظر تاج اللغة وصحاح العربية: (نصت)، ولسان العرب: (نصت).

(2) ينظر عون المعبود شرح سنن أبي داود: 462/3.

(3) البحر المحيط: 400/1.

وقاعدة (التأسيس أولى من التأكيد) تعمل على أسس دلالية، فقد تكون على الترجيح بالتوجيه الإعرابي، إذ لكل وجه إعرابي دلالته، وقد تكون على الترجيح بالدلالة المعجمية، وقد رأينا في الأمثلة السابقة الترجيح بها على هذين الأساسين.

ومن أهم نتائج هذا البحث

- بيان أهمية القواعد الفقهية والأصولية في إثراء الدراسات اللغوية.
- الوقوف على أثر الدرس الدلالي في القواعد الفقهية.
- بيان دلالة اللفظ في التركيب، وذلك لمعرفة الدلالة الوضعية والدلالة الاستعمالية.
- إبراز بعضا من العناصر اللغوية التي توظف في الوصول إلى الأحكام الفرعية.
- الدراسة التطبيقية لهذه القاعدة على النصوص تسعى إلى استخراج الخصائص الدلالية لها.

ومن أهم التوصيات

- أهمية دراسة اللفظ في مستوياته
- دراسة اللفظ في حقله الدلالية من خلال تطبيقات هذه القواعد على النصوص.
- إبراز دور الدرس اللغوي في مسألة الترجيح بين ما يحتمله النص من أحكام.
- فتح باب للدراسات المعجمية على مستوى اللفظ، وكذلك إمكانية تكوين معجم ألفاظ، وذلك من خلال تطبيقات هذه القواعد.

المصادر والمراجع

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي - جدة.
2. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1394هـ/ 1974 م.
3. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط، 2001م.
4. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري، ابن السراج (ت: 316هـ)، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط3، 1988م.
5. الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (ت: 739هـ)، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الزهرية للتراث، ط: 3، 1413هـ-1993م.
6. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : 616هـ) ، وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1998م.

7. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، 1433 هـ - 2012م.
8. تفسير الإمام ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: 803هـ)، تحقيق حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، الطبعة الأولى، 1986 م.
9. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1993م.
10. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.
11. تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
12. تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: عبد

الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م.

13. التفسير الكبير، للعلامة تقي الدين ابن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

14. التفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي (ت: 1398هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.

15. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (ت: 1423هـ)، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ط5، 1423 هـ - 2003م.

16. التوقيف على مهمات التعاريف، الشيخ عبد الرؤوف المناوي، (952- 1031هـ)، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة: الأولى، 1990، عالم الكتب، القاهرة.

17. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، و إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م.

18. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

19. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ) ت أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
20. الذخيرة، شهاب الدين القرافي (ت: 684هـ)، تحقيق محمد حجّي، دار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م.
21. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.
22. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.
23. شرح الأربعين حديثاً النووي، ابن دقيق العيد (ت: 702هـ)، مكتبة الفضيلة، مكة المكرمة، د.ط، د.ت: 11.
24. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.

25. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
26. صحيح مسلم بشرح النووي، موافق للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، مؤسسة قرطبة، طباعة-نشر- توزيع، ط: 2، 1414هـ-1994م.
27. طرح التثريب في شرح التقریب، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: 806هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
28. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد الحنفي العيني (ت: 855هـ)، عنيت بنشره إدارة الطباعة المنيرية.
29. عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق، العظيم آبادي (ت: 1329هـ) ومعه شرح الحافظ ابن القيم، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط: 2، 1388 هـ - 1968م.
30. الفتاوى الكبرى، للإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق وتعليق وتقديم محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1987م.



31. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (825هـ)، عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث - القاهرة، 1424هـ-2004م.
32. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، للإمام أبو يحيى زكريا الأنصاري، حققه وعلق عليه الشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكرين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1983م.
33. فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ
34. قوت المغتذي على جامع الترمذي، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: 911 هـ)، دراسة وتحقيق ناصر بن محمد الغريبي، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، 1424هـ.
35. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403 هـ -1983م.
36. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3 ، 1407.
37. كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت : 597هـ)، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.

38. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي  
الدمشقي النعماني (ت: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين،  
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998م.
39. لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور  
الطرابلسي (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط: 3، 1414 هـ.
40. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر  
والتوزيع، ط: 3، 1421هـ - 2000م.
41. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد  
عبد الباقي، دار إحياء الكتب العلمية - مصر، الطبعة: الأولى - 1376 هـ، 1957م.
42. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي  
المحاربي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية -  
بيروت، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.
43. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور  
الدين الملا الهروي القارئ (ت: 1014هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة:  
الأولى، 1422 هـ - 2002م.
44. مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت: 437هـ)، تحقيق  
حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 2، 1405 هـ - 1984م.

45. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
46. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، (ت: 395هـ)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1420 هـ - 1999 م.
47. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420 هـ.

## التركيب التعليمي للسكان الليبيين من واقع التعدادات السكانية للفترة (1984 - 2006)

د. سميرة محمد العياطي\*

## المقدمة

تهتم الجغرافيا بدراسة التركيب السكاني؛ لتوضيح التباين والاختلاف بين الدول للتعرف على العوامل المسببة لذلك التباين ومدى ارتباطها بالعوامل الديموغرافية، فمن خلال التركيب العمري نستطيع التعرف على مجمل الفئات العمرية في تلك الدول وأي الفئات العمرية المسيطرة على الهرم السكاني، هذا إلى جانب أن التركيب النوعي يعطي للدراسين فكرة واضحة على نسبة النوع لدولة ما، بالإضافة إلى أن التعرف على التركيب الاقتصادي يمدنا بالقوى البشرية وتصنيفها حسب قطاعات النشاط الاقتصادي المختلفة في تلك الدول وغيرها من التركيبات السكانية المهمة، مثل: التركيب الزواجي، واللغوي، والسلالي، والتركيب التعليمي الذي سيكون محور حديثنا في هذه الورقة ليس بأقل أهمية عنهم جميعاً، فقد أصبح معروفاً لدى الكثير من المتخصصين في ميادين العلم والمعرفة أن تقدم الدول وتطورها في شتى مجالات الحياة (اقتصادية، اجتماعية، سياسية)<sup>(1)</sup> يتأثر بالتطور العلمي والتكنولوجي الذي تحققه تلك الدول، والذي يعتمد بشكل كبير على النظام التربوي والتعليمي المتبع فيها.

\* أستاذ الجغرافيا المشارك بقسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية - كلية الآداب / جامعة طرابلس.

(1) منصور الراوي، سكان الوطن العربي، دراسة تحليل المشكلات الديموغرافية، ج1، بيت الحكمة، بغداد، 2002، ص231.

فالنظام التعليمي يعد من أهم الأسباب التي تقف وراء نهوض الدول، ففوة الدولة ونجاحها يكمن بالدرجة الأولى في كفاءة وتنوع برامجها التعليمية لضمان مستقبلها بين دول العالم، وإذا ما صاحب التقدم التكنولوجي والاقتصادي تقدم علمي فإن ذلك سينعكس على تحسين حياة الإنسان ومستوى معيشته، الأمر الذي يشجعه على مواصلة التعليم ليصل إلى أعلى المستويات التعليمية المتوفرة.<sup>(1)</sup>

من هذا المنطلق ستحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على دراسة التركيب التعليمي للسكان الليبيين في ليبيا، معتمدة على النتائج النهائية للتعدادات السكانية، وذلك في ضوء الإجابة على التساؤلات الآتية:

1. ماهي الخطوط العريضة لصورة التركيب التعليمي للسكان الليبيين في ليبيا؟
  2. هل هناك فرق في المستويات التعليمية حسب النوع والتجمع السكاني؟
- إن ما تجدر الإشارة إليه أن الإجابة على هذه التساؤلات تعكس الهدف الأساسي لهذه الدراسة، والمتمثل في تحليل التركيب التعليمي للسكان الليبيين من واقع نتائج التعدادات السكانية، والتعرف على أنماط التغيير فيه حسب النوع والتجمع السكاني.
- للإجابة على التساؤلات - سألقة الذكر - ذات العلاقة تم تحليل كافة البيانات والإحصائيات بالتعدادات السكانية منذ 1984 إلى 2006 للوقوف على مدى التغيير في التركيب التعليمي لليبييا.

(1) كاظم عبد نور، دراسات وبحوث في علم النفس وتربية التفكير والإبداع، (عمان : دار دييونو للنشر والتوزيع، 2005)، ص 180.

## تطور التركيب التعليمي للسكان في ليبيا:

اهتم المتخصصون في جغرافية السكان بدراسة التركيب التعليمي؛ لما له من تأثير على التغيرات الديموغرافية والاجتماعية للدول، فانتشار التعليم وارتفاع مستواه بالمجتمع يخلق مجتمعاً متوازناً اجتماعياً وديموغرافياً، على اعتبار أن التعليم يساعد في بناء الإنسان، وسينعكس ذلك إيجابياً على المجتمع، فعدم تطور الدول من الناحية التعليمية وارتفاع معدلات الأمية سيكون سبباً في تدمير المجتمع من جميع الجوانب، سواء الديموغرافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى السياسية.

تعد الدول ذات المستوى التعليمي المرتفع من الدول المتطورة لاهتمامها بالتعليم والتعلم، وهذا سيخلق نوعاً من التنافس بين أفرادها من الناحية العلمية والمهنية، الأمر الذي سينعكس على الناحية الديموغرافية لتلك الدول؛ لأن ذلك سيؤدي إلى تأخر سن الزواج بين شبابها وتحديد أو ضبط النسل فيها، وسينعكس كل ذلك على انخفاض معدلات الخصوبة بشكل كبير وواضح. ولهذا وكما سبق الحديث فإن دراسة التركيب التعليمي تعكس الوضع الديموغرافي والاقتصادي والاجتماعي للسكان.

هذا وحددت تصنيفات مستويات التحصيل الدراسي على النحو الآتي:<sup>(1)</sup>

- ما قبل الابتدائي: ويضم كل من هم في الحضانات ودور رعاية الأطفال، أو كل المؤسسات التعليمية التي تؤهل الطالب للدخول للصف الأول الابتدائي، ويدخل ضمنها أيضاً الأفراد الذين يستطيعون القراءة أو القراءة والكتابة معاً.

(1) منصور الكيخيا، جغرافية السكان، أسسها ووسائلها (بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 2003)، ص ص 207-208.

- المستوى الابتدائي أو الأساسي: يدرس الطالب فيه من 4 إلى 9 سنوات حسب النظام المتبع في كل دولة، وفي أغلب الأحيان يكون تعليمًا إلزاميًا.
  - المستوى المتوسط: ويقصد به طلاب التعليم الثانوي والمعاهد المتوسطة المهنية والفنية.
  - المستوى العالي : وينقسم إلى قسمين:
1. مستوى التعليم الجامعي.

2. مستوى التعليم في الدراسات العليا (دبلوم، ماجستير، دكتوراه وغيرها).

هذا ويتم حساب نسبة الأفراد الذين لم يلتحقوا بالمستويات السابقة الذكر - وهم من يطلق عليهم تسمية الأميين - من خلال البيانات التي توضح مدى قدرتهم على القراءة أو الكتابة والكتابة معًا، فإذا اتضح أن الفرد لا يستطيع القيام بالقراءة والكتابة يعد شخصًا أميًا\*.

تشمل التعدادات السكانية توزيع السكان الذين بلغوا سن العاشرة أو الخامسة عشرة فأكثر، حسب درجة الإلمام بالقراءة والكتابة، وغالبًا ما تكون هذه البيانات موزعة حسب العمر والنوع؛ حتى يسهل معالجتها حسابيًا، وتكمن أهمية ذلك في كونها تعد مقياسًا للحكم على التطور الثقافي

عدد السكان (10 أو 15 سنة فأكثر) الذين لا يعرفون القراءة ولا

الكتابة

\* معدل الأمية =

×

100

مجموع السكان في نفس الفئة العمرية

والاجتماعي لتلك الدول، بالإضافة إلى كل ذلك فإنها تعد ذات أهمية، خاصة في التنبؤ بالاتجاهات التعليمية المستقبلية وفقاً للخطط الموضوعة في تلك الدول.

ففي ليبيا قد حدثت تغيرات إيجابية في بنية الهرم التعليمي للسكان، تمثلت بانخفاض نسبة الأمية والملمين بالقراءة والكتابة بين سكانها، هذا إلى جانب ارتفاع نسبة الحاصلين على مؤهلات تعليمية وتقليص الفجوة بين الإناث والذكور في هذا المجال التعليمي، وسنستعرض الواقع التعليمي في ليبيا وتطوره خلال الفترة المدروسة من خلال:

### أولاً- التوزيع النسبي للسكان في ليبيا حسب الحالة التعليمية:

على الرغم من الإنجازات المتحققة في مجال التوسع التعليمي في ليبيا لمواكبة الزيادة السكانية المستمرة واللاحق يركب التطور العلمي فإن إجمالي ما أنفق على نشاط التعليم والتدريب من ميزانية التنمية من الخزنة العامة خلال الفترة من عام 2000 حتى عام 2009 مبلغ وقيمته 7430.54 مليون دينار، وهو ما يشكل نسبة 8.47 % من مجموع ما أنفق من هذه الميزانية على كامل الاقتصاد الوطني، في حين تصل هذه النسبة إلى 1.84% من المجموع التراكمي للنواتج المحلي لهذه الفترة.<sup>(1)</sup>

ويتضح من خلال نتائج التعدادات السكانية التي أقيمت في ليبيا أن هناك ارتفاعاً في نسبة الحاصلين على الشهادة الابتدائية، حيث بلغت نسبتهم نحو 13.7 % عام 1984 ارتفعت لتصل إلى نحو 22.2% عام 1995 وذلك على الرغم من صدور القانون رقم 39 لسنة 1975 والذي تضمن ما يسمى بقانون إلزامية التعليم الأساسي (الابتدائية والإعدادية) والذي تنص المادة الأولى منه على أن "التعليم الابتدائي والإعدادي إلزامي بالنسبة إلى جميع الأطفال من البنين

(1) علي الشريف "نشاط التعليم خلال الفترة 2001 - 2010".



والبنات على الوجه المبين في هذا القانون"<sup>(1)</sup>، إلا أنها انخفضت بأخر تعداد سكاني في ليبيا لتصل إلى حوالي 17.7% عام 2006.

التغير الواضح في الحالة التعليمية في ليبيا كان في نسبة الأميين التي انخفضت بشكل كبير من 49% عام 1984 إلى 18.7% عام 1995، واستمرت هذه النسبة في الانخفاض لتصل إلى 11.5% بتعداد 2006، وذلك لصالح نسبة الملمين بالقراءة فقط وبالقراءة والكتابة التي تذبذبت بين الارتفاع والانخفاض خلال تلك الفترة، حيث بلغت نسبة الملمين بالقراءة فقط عام 1984 حوالي 0.8% وانخفضت لتصل بتعدادي 1995 و 2006 نحو 0.4% و 0.6% على التوالي، وكذلك الأمر بالنسبة لنسبة الملمين بالقراءة والكتابة والتي بلغت بتعداد 1984 نحو 16.4% وارتفعت قليلاً بتعداد 1995 لتصل إلى حوالي 17.8% وعاودت إلى الانخفاض بتعداد 2006 لتصل نحو 9.7%.

هذا وارتفعت نسبة الحاصلين على الشهادة الإعدادية تبعاً من تعداد 1984 إلى تعداد 2006 مروراً بتعداد 1995 لتصل نحو 7.8% بتعداد 1984 وارتفعت بتعداد 1995 بشكل كبير إذا ما قورنت بالتعداد السابق لتصل إلى حوالي 21.3% واستمر هذا الارتفاع ليصل إلى نحو 23%، وهذا راجع إلى وجود قانون ما يسمى إلزامية التعليم الأساسي (الابتدائية والإعدادية) ويستطيع الطالب بعد حصوله على الشهادة الإعدادية الانخراط في سوق العمل، الأمر الذي ينعكس بشكل كبير عليه من خلال ارتفاع نسبة الداخلين غير المؤهلين علمياً أو مهنيّاً لفرص العمل المعروضة من قبل القطاعين العام والخاص، لذلك سنجدهم يعملون في مهن لا تحتاج إلى خبرة أو مهارة، ومن ثم قد ينعكس هذا الأمر سلبيّاً على ارتفاع نسبة البطالة بين هؤلاء في هذه الفئة.

(1) وزارة العدل بدولة ليبيا، قوانين وقرارات، قانون رقم 95 لسنة 1975 م، المادة الأولى.

هذا وارتفعت نسبة الحاصلين على الشهادة الثانوية لتصل بتعداد 1984 إلى حوالي 10.1%، وزاد ارتفاعها بتعدادي 1995 و2006 لتصل إلى نحو 16.1% و22.1% على التوالي.

ويلحظ من الجدول (1) أيضاً أن هناك تغيراً تدريجياً في نسبة الحاصلين على الشهادة الجامعية بين التعدادات السكانية، فقد بلغت بتعداد 1984 نحو حوالي 2.0% ارتفعت بشكل تدريجي بتعداد 1995 لتصل إلى حوالي نحو 3.0% ووصلت بتعداد 2006 إلى حوالي 7.0%، إلا أن نسبة الحاصلين على دبلوم الدراسات العليا والماجستير والدكتوراه لم تتغير نسبتهم بتعدادي 1984 و1995، فقد بلغ عدد الحاصلين على تلك الشهادة نحو 0.2% من مجموع عدد السكان الليبيين\* وارتفعت هذه النسبة لتصل نحو 0.5% بتعداد 2006، والجدول (1) يبين التطور في التركيب التعليمي للسكان 15 سنة فأكثر خلال للفترة (1984 - 2006).

#### جدول (1) تطور التركيب التعليمي للسكان الليبيين خلال الفترة (1984 - 2006)

2006		1995		1984		السنوات
%	العدد	%	العدد	%	العدد	المستوى التعليمي
11.5	483082	18.7	609419	49	646181	امي
0.6	24207	0.4	13061	0.8	11111	يقرأ فقط
9.7	407221	17.8	580405	16.4	217772	يقرأ ويكتب
17.7	741355	22.2	723024	13.7	182240	الشهادة الابتدائية
23	961455	21.3	694922	7.8	103558	الشهادة الإعدادية
22.1	927827	16.1	524174	10.1	134260	الشهادة الثانوية
7.3	309102	0.3	9707	0.0	4	مؤهل يزيد عن الثانوية

\* من مجموع عدد السكان الليبيين ممن أعمارهم (15 سنة فما فوق) في تعداد 1984، أما بتعدادي 1995 و2006 فمن عدد السكان الليبيين ممن أعمارهم (10 سنوات فما فوق).

						ويقل عن الجامعة
7.0	293132	3.0	98807	2.0	26629	مؤهل جامعي
0.5	20957	0.2	6812	0.2	2311	دبلوم دراسات عليا أو الماجستير أو الدكتوراه

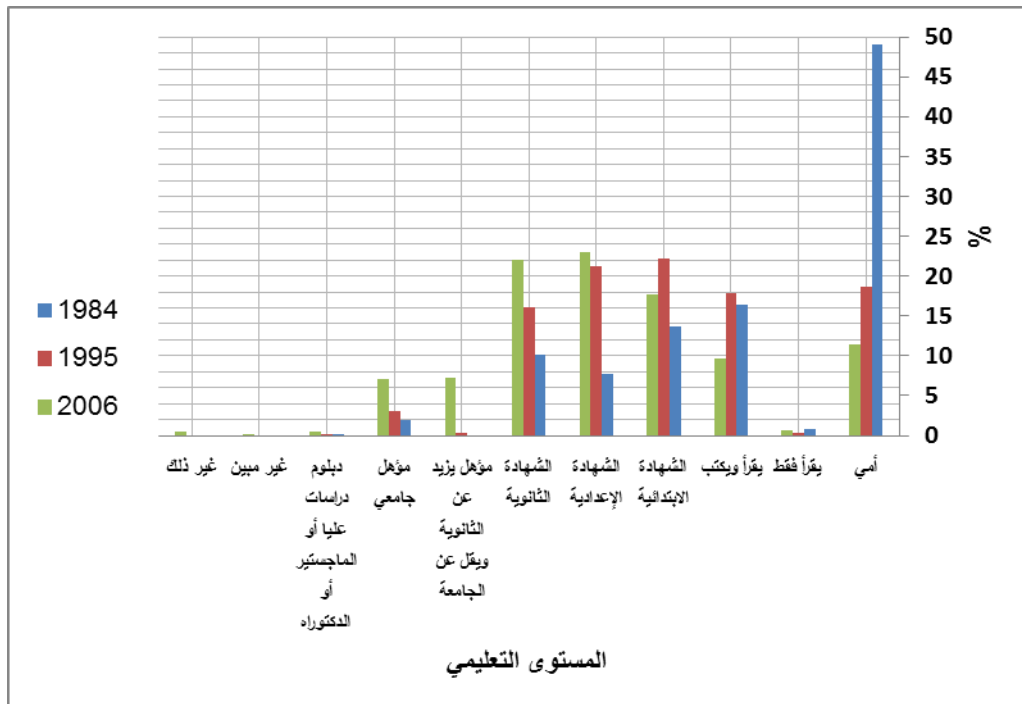
المصدر

1. أمانة التخطيط "النتائج النهائية للتعداد العام للسكان في ليبيا سنة 1984" (طرابلس: مصلحة الإحصاء والتعداد، 1984).
2. الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، مصلحة الإحصاء والتعداد، "النتائج النهائية لتعداد السكان 1995" (طرابلس: مطبعة الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، 1995).
3. الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، مصلحة الإحصاء والتعداد، "النتائج النهائية لتعداد السكان 2006" (طرابلس: مطبعة الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، 2006).

وبشكل عام يتضح أن نسبة الأمية وما دون الابتدائية (يقراً وبقراً ويكتب) قد انخفضت إذا ما قُورنت ما بين تعدادات 1984 و 1995 و 2006، وزادت نسبة الحاصلين على الشهادات العلمية ابتداءً من الشهادات الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، والشهادة الجامعية فما فوق، وهذا يدل على اهتمام السكان الليبيين بالتعليم، وقد أسهمت الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة في التوسع في توفير الخدمات التعليمية والصحية وإتاحة الفرصة للحصول على القروض الاستثمارية، ففي مجال التعليم ارتفع عدد الطلبة من 365 ألف طالب في العام الدراسي (1969 - 1970) إلى 1.290 مليون ومئتين وتسعين ألف طالب بالتعليم الأساسي والمتوسط في العام الدراسي (2005 - 2006).<sup>(1)</sup> هذا وأن كل النسب السالفة الذكر توضح الخطوط العريضة لصورة التركيب التعليمي في ليبيا، والشكل (1) يوضح تطور التركيب التعليمي للسكان الليبيين خلال الفترة (1984 - 2006).

(1) سالم أبو عائشة، "المستوى المعيشي في ليبيا وأثره في النمو السكاني في الفترة 1970 - 2006" مجلة الجامعة المغاربية، العدد الخامس، السنة الثالثة، 2008، ص 82.

## شكل (1) تطور التركيب التعليمي للسكان الليبيين خلال الفترة (1984-2006)



من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات الجدول (1).

## ثانياً- تطور التركيب التعليمي للسكان في ليبيا حسب النوع:

إن أحد العناصر الرئيسية للأهداف الإنمائية للألفية التي اختتمت في عام 2015، هو القضاء على التفاوت بين الجنسين في التعليم الابتدائي والثانوي، وقد أحرز العالم - لا سيما النامي- تقدماً جيداً في القطاع الأول، غير أن الحصول على التعليم الثانوي والجامعي ما زال غير متكافئ إلى حد كبير، كما انخفضت الفوارق في الالتحاق بالتعليم الابتدائي، ومن شأن

تقليص الفجوة بين الجنسين في التعليم أن يعود بالفائدة على الجيل القادم أيضًا، هذا وأن الأموال التي تنفق على الصعيد العالمي من أجل الحد من التفاوت بين الجنسين في مجال التعليم تسفر عن فوائد تزيد بنحو خمسة أضعاف عن التكاليف، ويسعى المؤشر العالمي للفجوة بين الجنسين الذي يقدمه التقرير العالمي حول الفجوة بين الجنسين لعام 2017 إلى قياس جانب مهم من جوانب المساواة بين الجنسين، ألا وهو الفجوات النسبية بين النساء والرجال في أربعة مجالات رئيسية وهي: الصحة والتعليم والاقتصاد والسياسة.

ووفقاً لذلك التقرير، فقد تجاوزت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عتبة هذه الفجوة بأقل من 40% بقليل في عام 2017، في حين أن الفجوة بين الجنسين في أوروبا الغربية تبلغ 25%، ويخلص التقرير أيضًا إلى أنه فيما إذا بقيت التوجهات الحالية على حالها فإن انتهاء الفجوة العالمية بين الجنسين سيتم تحقيقه خلال مئة عام تمامًا في 106 من البلدان التي قام التقرير بتغطيتها منذ إطلاقها.

إنّ التغيرات الإيجابية الحاصلة في بنية الهرم التعليمي للسكان في ليبيا لم تتمثل فقط بانخفاض نسبة الأمية وارتفاع نسبة الحاصلين على مؤهلات تعليمية فحسب، بل في تقليص الفجوة بين الإناث والذكور في مجال التعليم أيضًا، ويبين الجدول (2) تطور التركيب التعليمي للسكان الليبيين حسب النوع خلال الفترة (1984 - 2006) والذي منه يمكن استخلاص الآتي:

- الانخفاض التدريجي لنسبة الأمية بين كل من الذكور والإناث على حد سواء، إلا أن هذا الانخفاض كان بين الإناث بشكل أكبر منه لدى الذكور، حيث انخفضت نسبة الأمية لدى الإناث من 34.3% في تعداد 1984 إلى 13.4% بتعداد 1995 لتصل إلى 8.3% في تعداد 2006.

شهدت نسبة حملة الابتدائية تغييرات كبيرة بين الارتفاع والانخفاض وبين اتساع وتقلص الفجوة بين الذكور والإناث من حملة الشهادة الابتدائية، حيث بلغت تلك الفجوة ذروتها بتعداد 1984 وبلغت نسبة الحاصلين على الشهادة الابتدائية نحو 9.1% لدى الذكور و4.7% لدى الإناث تقلصت هذه الفجوة بتعدادي 1995 و2006 فبلغت نسبة الذكور الحاصلين على هذه الشهادة نحو 12.1% و9.4% على التوالي، في حين بلغت نسبة الإناث نحو حوالي 10.1% بتعداد 1995 و8.3% بتعداد 2006، والأمر ذاته ينطبق على حملة الشهادة الإعدادية والثانوية، حيث يلاحظ ارتفاع الفجوة بين الذكور والإناث بتعداد 1984 ما تلبث أن تتناقص هذه الفجوة خاصة بآخر تعداد سكاني 2006 نتيجة لوعي المجتمع بأهمية الدراسة للإناث، وأصبحت المرأة بشكل عام تسهم بشكل فعال في كل الميادين العلمية والعملية. اختلفت التغييرات التي طرأت على نسبة حملة الإجازة الجامعية فأكثر بين الذكور والإناث، حيث ارتفعت هذه النسبة لدى الذكور من 1.9% بتعداد 1984 إلى 2.3% بتعداد 1995 لتصل إلى حوالي 4.1% بتعداد 2006، وشهدت نسبة الإناث أيضًا تطورًا كبيرًا، حيث ارتفعت من 0.3% عام 1984 إلى حوالي 0.9% بتعداد 1995 وبلغت أقصى ارتفاع لها بتعداد 2006 لتصل نحو حوالي 3.4%. وهذا يؤكد الفرق الواضح في المستويات التعليمية حسب النوع، وبشكل عام يعتبر التعليم بكافة مراحل ومستوياته الأداة الأساسية في تطوير وتنمية العنصر البشري أو ما يسمى بالاستثمار في رأس المال.

**جدول (2) تطور التركيب التعليمي للسكان الليبيين حسب النوع خلال الفترة (1984 - 2006)**

المصدر:

1. أمانة التخطيط "النتائج النهائية للتعداد العام للسكان في ليبيا سنة 1984" (طرابلس : مصلحة الإحصاء والتعداد، 1984).
2. الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، مصلحة الإحصاء والتعداد، "النتائج النهائية لتعداد السكان 1995" (طرابلس: مطبعة الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، 1995).

النوع	أسمى	%	دون الإبتدائية	%	الشهادة الإبتدائية أو ما يعادلها	%	الشهادة الإبتدائية أو ما يعادلها	%	الشهادة المتوسطة أو ما يعادلها	%	شهادة فوق الثانوية وما دون الجامعة	%	الشهادة الجامعية فما فوق	%
نكور	192106	14.5	146380	11.1	120035	9.1	72158	5.4	86528	6.5	3	25208	1.9	
إناث	454075	34.3	82503	6.2	62205	4.7	31400	2.4	47732	3.6	1	3732	0.3	
المجموع	646181	48.8	228883	17.3	182240	13.8	103558	7.8	134260	10.1	4	28940	2.2	
نكور	173231	5.3	314789	9.7	394165	12.1	385494	11.8	305228	9.4	7807	76918	2.3	
إناث	436188	13.4	278677	8.5	328859	10.1	309428	9.5	218946	6.7	1900	28701	0.9	
المجموع	609419	18.7	593466	18.2	723024	22.2	694922	21.3	524174	16.1	9707	105619	3.2	
نكور	133149	3.2	217092	5.2	392295	9.4	540955	12.9	500805	11.9	159756	172748	4.1	
إناث	349933	8.3	214336	5.1	349060	8.3	420500	10.0	427022	10.2	149346	141341	3.4	
المجموع	483082	11.5	431428	10.3	741355	17.7	961455	22.9	927827	22.1	309102	314089	7.5	

3. الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، مصلحة الإحصاء والتعداد، "النتائج النهائية لتعداد السكان 2006" (طرابلس: مطبعة الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، 2006).

ثالثاً- تطور التركيب التعليمي تبعاً للتجمع السكاني (حضر - ريف):

يلعب مكان الإقامة دورًا كبيرًا في التركيب التعليمي للسكان، من خلال دور العادات والتقاليد والعوامل الاجتماعية المختلفة، وتأثير النشاط الاقتصادي للسكان على هذا التركيب، وقد أولت الدولة اهتمامًا متزايدًا بالتنمية على المستوى المحلي، لاسيما التنمية الريفية، الأمر الذي أسهم في

تغيير التركيب التعليمي للسكان خلال فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، ويحتاج سكان الريف إلى المزيد من المدارس وطرق وأساليب ومستلزمات تعليمية أكثر تطوراً، حيث تركز على احتياجاتهم الحقيقية أسوة بسكان الحضر.

وبناءً على نتائج التعدادات السكانية فإن نسبة الأمية تختلف ما بين الريف والحضر، فقد بلغت نسبة الأميين في الريف بتعداد 1984 نحو 31.1% من مجموع عدد الأفراد الأميين في الدولة، انخفضت هذه النسبة بتعداد 1995 لتصل إلى 18.2%، وفي تعداد 2006 كان أغلب الأفراد الأميين موجودين بالمناطق الريفية، فبلغت نسبتهم نحو 70.1% وانخفضت هذه النسبة في المناطق الحضرية لتصل إلى نحو 29.9% من مجموع الأميين في ليبيا، والملاحظ من خلال الجدول (3) أن نسبة المتحصليين على الشهادة الابتدائية والإعدادية والثانوية وما فوق الثانوية قد ارتفعت في الريف بتعداد 2006 إذا ما تمت مقارنتهم بتعدادي 1984 و1995، حيث بلغت نسبة الحاصلين على تلك الشهادات نحو 70.6%، و69% و67.1% و63.3% على التوالي، وارتفع إجمالي الحاصلين على الشهادات الجامعية فما فوق للسكان الليبيين من تعداد لآخر، حيث بلغ عددهم بتعداد 1984 نحو 28940 طالباً بكافة التجمعات السكانية (الحضر والريف) في ليبيا، ارتفع ليصل إلى حوالي 105619 و314089 بتعدادي 1995 و2006 على التوالي، وأخذ التجمع الحضري نصيب الأسد منهم خاصة بتعدادي 1984 و1995 حيث بلغت نسبة المتحصليين على هذه الشهادات نحو 87.5% و93.2% على التوالي. ومع انتشار وتوفير المؤسسات الجامعية والكوادر التعليمية في جميع أرجاء البلاد تشجع الجميع على مواصلة تعليمهم من الجنسين في الريف والحضر على حد سواء، مما أدى إلى ارتفاع عدد الحاصلين على الشهادة الجامعية فما فوق بالمناطق الريفية بشكل ملحوظ، وبلغت نسبتهم نحو 65% من مجموع الحاصلين على تلك الشهادات بتعداد 2006. ومن خلال ذلك يتضح أن التعليم لم يعد قاصراً على التجمعات الحضرية فقط بل ونتيجة للتغيرات التي حدثت



في المجتمع الليبي أسهمت بشكل كبير في تغير المناطق الريفية في جميع المجالات، سواء التعليمية أو الاقتصادية وغيرها.

والجدول (3) يبين تطور التركيب التعليمي تبعاً لذلك.

جدول(3) تطور التركيب التعليمي للسكان في ليبيا حسب مكان الإقامة (حضر- ريف)

2006		1995		1984		نوع التجمع	الحالة التعليمية
%	العدد	%	العدد	%	العدد		
29.9	144469	81.8	498610	68.9	444939	حضر	أمي
70.1	338613	18.2	110809	31.1	201242	ريف	
100	483082	100	609419	100	646181	مجموع	
29.7	128264	83.8	497353	78	178492	حضر	دون الابتدائية
70.3	303164	16.2	96113	22	50391	ريف	
100	431428	100	593466	100	228883	مجموع	
29.4	217935	85.8	620343	77.8	141823	حضر	الشهادة الابتدائية
70.6	523420	14.2	102681	22.2	40417	ريف	
100	741355	100	723024	100	182240	مجموع	
31	297942	87.3	606747	82.2	85091	حضر	الشهادة الإعدادية وما يعادلها
69	663513	12.7	88175	17.8	18467	ريف	
100	961455	100	694922	100	103558	مجموع	
32.9	304804	88.3	462874	77.6	104133	حضر	الشهادة الثانوية وما يعادلها
67.1	623023	11.7	61300	22.4	30127	ريف	
100	927827	100	524174	100	134260	مجموع	
36.7	113449	92.5	8976	100	4	حضر	شهادة فوق الثانوية
63.3	195653	7.5	731	0	-	ريف	
100	309102	100	9707	100	4	مجموع	ودون الجامعية
35	109822	93.2	98419	87.5	25309	حضر	الشهادة الجامعية فما
65	204267	6.8	7200	12.5	3631	ريف	

100	314089	100	105619	100	28940	مجموع	فوق
34	1993	-	-	-	-	حضر	غير ذلك
66	3877	-	-	-	-	ريف	
100	5870	-	-	-	-	مجموع	
38.3	8049	85.2	208	-	-	حضر	غير مبين
61.7	12955	14.8	36	-	-	ريف	
100	21004	100	244	-	-	مجموع	
31.6	1326727	85.7	2793530	74	979791	حضر	المجموع
68.4	2868485	14.3	467045	26	344275	ريف	
100	4195212	100	3260575	100	1324066	مجموع	

المصدر:

1. أمانة التخطيط "النتائج النهائية لتعداد العام للسكان في ليبيا سنة 1984" (طرابلس : مصلحة الإحصاء والتعداد، 1984).
2. الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، مصلحة الإحصاء والتعداد، "النتائج النهائية لتعداد السكان 1995" (طرابلس: مطبعة الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، 1995).
3. الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، مصلحة الإحصاء والتعداد، "النتائج النهائية لتعداد السكان 2006" (طرابلس: مطبعة الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، 2006).

### الخاتمة

يعد التعليم المؤشر الأكثر أهمية للتعبير عن مستوى الموارد البشرية أو حالة التنمية البشرية، ولا جدال في أن الاستثمار في التعليم له عوائد اجتماعية ضخمة علاوة على عوائده الخاصة للفرد، فالمجتمع الأكثر تعليماً يكون عادة أقدر على تحقيق معدل أعلى للإنتاجية والابتكار والتقدم الاقتصادي.

فالتعليم ذو النوعية الجيدة والملائم يعد الأساس في خلق المهارات اللازمة للتنمية والقادرة على اتخاذ القرارات والتعامل مع المشكلات والمستجدات وإنتاج المعرفة الجديدة والجيدة.

يعتبر التعليم من الحقوق الإنسانية الأساسية التي أقرتها ميثاق الأمم المتحدة منذ زمن بعيد من أجل تنمية إمكانات الفرد والمجتمع من كافة الأوجه، فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة 1948 بند (1-26)، ينص على عدالة فرص التعليم، وبالتحديد يقرر أن التعليم الابتدائي يجب أن

يكون إلزامياً ومجانياً، وإتاحة التعليم العالي للجميع على أساس الجدارة، وعدم القبول بأي تمييز أو استبعاد أي شخص من الحصول على التعليم العالي أو أي من اختصاصاته أو أشكال مؤسساته على أساس السلالة، والنوع الاجتماعي، واللغة، والدين، أو التباينات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية أو الإعاقة البدنية.<sup>(1)</sup>

بالرغم من التحسن الملحوظ الذي طرأ على العملية التعليمية، فإن العديد من المؤشرات التعليمية لا زالت غير مرضية، فالتعليم في ليبيا يعاني من العديد من المشاكل، منها على سبيل المثال لا الحصر: ضعف تحقيق إلزامية التعليم الأساسي رغم صدور قانون إلزامية التعليم، فقد أوضحت بيانات التعداد العام للسكان 2006 أن (27812) طفلاً في سن هذه المرحلة هم خارج المدرسة، إلى جانب أن أكثر من 75% من إنفاق موارد الخزنة العامة يذهب إلى الإنفاق التسيري دون إعطاء الأهمية الكافية لجودة التعليم.<sup>(2)</sup>

هذا وتوصلت هذه الدراسة إلى النقاط الآتية:

1. انخفضت نسبة الأمية بشكل كبير من 49% عام 1984 إلى 18.7% عام 1995 واستمرت هذه النسبة في الانخفاض لتصل إلى 11.5% بتعداد 2006 بين كل من الذكور والإناث على حد سواء، إلا أن هذا الانخفاض كان واضحاً بين الإناث بشكل

(1) محيا زيتون، "التعاون العربي الإفريقي في مجال الموارد البشرية"، المنتدى رفيع المستوى حول التعاون العربي الإفريقي في مجار الاستثمار والتجارة من أجل تعزيز الشراكة الاقتصادية العربية الإفريقية، طرابلس ليبيا 25-26 سبتمبر 2010، ص 11.

(2) مجلس التطوير الاقتصادي، مكتب الدراسات والسياسات السكانية، التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا 2010، (بنغازي: دار الكتب الوطنية)، ص 124.

- أكبر منه لدى الذكور. هذا وكانت نسبة الأمية مرتفعة في التجمعات الحضرية والريفية بتعدادي 1984 و 1995 ثم انخفضت بشكل واضح خاصة بتعداد 2006.
2. شهدت نسبة حملة الابتدائية تغييرات كبيرة بين الارتفاع والانخفاض وبين اتساع وتقلص الفجوة بين الذكور والإناث من حملة الشهادة الابتدائية، حيث بلغت تلك الفجوة ذروتها في تعداد 1984 وتقلصت هذه الفجوة بتعدادي 1995 و 2006.
3. ارتفعت نسبة الحاصلين على الشهادة الإعدادية تبعاً من تعداد 1984 إلى تعداد 2006 مروراً بتعداد 1995 لتصل نحو 7.8% بتعداد 1984 وارتفعت بتعداد 1995 بشكل كبير إذا ما قورنت بالتعداد السابق لتصل إلى 21.3% واستمر هذا الارتفاع ليصل إلى نحو 23%.
4. ارتفعت نسبة الحاصلين على الشهادة الثانوية لتصل بتعداد 1984 إلى حوالي 10.1%، وزاد ارتفاع هذه النسبة بتعدادي 1995 و 2006 لتصل إلى نحو 16.1% و 22.1% على التوالي.
5. ارتفاع الفجوة بين الذكور والإناث بتعداد 1984 من حملة الشهادة الإعدادية والثانوية ما تلبث أن تتناقص هذه الفجوة خاصة بآخر تعداد سكاني 2006 نتيجة لوعي المجتمع بأهمية الدراسة للإناث، وأصبحت المرأة بشكل عام تسهم بشكل فعال في كل الميادين العلمية والعملية.
6. هناك تغير تدريجي في نسبة الحاصلين على الشهادة الجامعية بين التعدادات، فبلغت بتعداد 1984 نحو حوالي 2.0% ارتفعت بشكل تدريجي بتعداد 1995 لتصل إلى

حوالي نحو 3.0% ووصلت بتعداد 2006 إلى حوالي 7.0%، وارتفعت هذه النسبة لدى الذكور من 1.9% بتعداد 1984 إلى 2.3% بتعداد 1995 لتصل إلى حوالي 4.1% بتعداد 2006.

7. تختلف نسبة الأمية ما بين الريف والحضر، فقد بلغت نسبة الأميين في الريف بتعداد 1984 نحو 31.1% من مجموع عدد الأفراد الأميين في الدولة، انخفضت هذه النسبة بتعداد 1995 لتصل إلى 18.2%.

8. بتعداد 2006 كان أغلب الأفراد الأميين موجودين بالمناطق الريفية، فبلغت نسبتهم نحو 70.1%.

9. نسبة المتحصليين على الشهادة الابتدائية والإعدادية والثانوية وما فوق الثانوية قد ارتفعت في الريف بتعداد 2006 إذا ما تمت مقارنتهم بتعدادي 1984 و1995.

10. ارتفع إجمالي الحاصلين على الشهادات الجامعية فما فوق للسكان الليبيين من تعداد لآخر، حيث بلغ عددهم بتعداد 1984 نحو 28940 طالبًا بكافة التجمعات السكانية (الحضر والريف) في ليبيا، ارتفع ليصل إلى حوالي 105619 و314089 طالبًا بتعدادي 1995 و2006 على التوالي.

11. ارتفع عدد الحاصلين على الشهادة الجامعية فما فوق بالمناطق الريفية بشكل ملحوظ وبلغت نسبتهم نحو 65% من مجموع الحاصلين على تلك الشهادات بتعداد 2006.

هذا وتوصى هذه الدراسة بالآتي:

1. فتح المدارس والمعاهد في كل القرى والمدن الليبية ليصل التعليم إلى كل فرد من أفراد المجتمع ذكوراً وإناثاً لتحقيق ما يسمى بالتنمية البشرية.
2. ضرورة الاهتمام بالتعليم المهني وتقديم كافة الدعم له وفتح معاهد ومراكز مهنية متخصصة في كافة ربوع البلاد.
3. ربط المؤسسات التعليمية الليبية خاصة الجامعات بمؤسسات الدولة، حتى يتسنى تحقيق الجانب العملي في المكان المناسب، والمتمثل في الجهات ذات العلاقة حتى تكون مخرجاتها مدربة تدريباً جيداً يستطيع المجتمع الاستفادة منها في كافة المجالات.
4. الاهتمام بتعليم المرأة وتشجيعها عليه، على اعتبار أن المرأة هي أم المستقبل وهي التي سيقع على عاتقها تربية الجيل القادم برفقة الرجل.
5. ضرورة دعم ميزانية التعليم بزيادة مخصصاتها المالية؛ لأن أحسن استثمار سيكون في مجال التعليم.
6. الاهتمام بالمكتبات المدرسية والعامة ودعمها بالكتب وإدراج مقرر المكتبات في الصفوف الأولى من التعليم الأساسي لضمان إدخال ثقافة القراءة لدى التلاميذ منذ الصغر.

#### قائمة المراجع

1. الراوي، منصور، سكان الوطن العربي، دراسة تحليل المشكلات الديموغرافية، ج1، (بغداد: بيت الحكمة، 2002).
2. الكيخيا، منصور، جغرافية السكان، أسسها ووسائلها (بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 2003).

3. عبد نور، كاظم، دراسات وبحوث في علم النفس وتربية التفكير والإبداع، (عمان: دار دييونو للنشر والتوزيع، 2005).
  4. الشريف، علي، "نشاط التعليم خلال الفترة 2001 - 2010".
  5. سالم أبوعائشة، "المستوى المعيشي في ليبيا وأثره في النمو السكاني في الفترة 1970 - 2006" مجلة الجامعة المغاربية، العدد الخامس، السنة الثالثة، 2008.
  6. مجيد إبراهيم دمعة وعبد الجبار البياتي، "دراسة استطلاعية في دور المعلم وفعاليتيه التعليمية في ضوء متطلبات التطور العلمي والتكنولوجي"، ملحق الأجيال، نقابة المعلمين، العدد 23، 1974.
  7. محيا زيتون، "التعاون العربي الإفريقي في مجال الموارد البشرية"، المنتدى رفيع المستوى حول التعاون العربي الإفريقي في مجال الاستثمار والتجارة من أجل تعزيز الشراكة الاقتصادية العربية الإفريقية ، طرابلس ليبيا 25 - 26 سبتمبر 2010.
- مجلس التطوير الاقتصادي، مكتب الدراسات والسياسات السكانية، التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا 2010، (بنغازي: دار الكتب الوطنية).

مظاهر الكراهية وعلاقتها باللامعيارية كما يدركها أعضاء هيئة التدريس وطلبة الدراسات العليا  
بجامعة المرقب: دراسة امبيريقية

إعداد د. عثمان علي أميمن

أ. زهرة عثمان البرق . أ. هيفا مصطفى قتيبر

المقدمة:

يلحظ كثرة انتشار مظاهر الكراهية Hatred في مجتمعات اليوم بشكلٍ غير مسبوق. حيث يلحظ ممارسة تلك السلوكيات التي تعبر عن الحقد والحسد والغيرة على المستويين الشخصي والاجتماعي. والكراهية نقيض الحب. ولذا فإن الحب والكراهية يقعان على متصل طرفه الموجب هو الحب، وطرفه السالب هو الكراهية. والحب والكراهية عاطفتان يقعان في قلب المرء وعقله. ويكره المرء عادة من يرغب في حبه. ففشل المرء في الحصول على حب شخص ما، عادة ما يتحول إلى كراهيته بشدة. ولذلك يلحظ أن الكراهية أكثر حقدًا وضراوة بين الأقارب والمعارف. والكراهية عبارة عن "حالة ذهنية تتسم بانفعالات حادة وغير عقلانية من العداة والمقت والاحتقار تجاه المجموعة أو الشخص المحرض ضده". وتتعدد العوامل المؤدية للكراهية، ومن بين هذه العوامل: الغيرة، والحسد، والحنق، والغضب، والتحريض على الكراهية، وتوافر النماذج الكارهة، والتعصب، والتمييز في المعاملة، والتحيز والمحاباة، والجمود المعرفي، والتطرف بكافة صوره. والكراهية سلوك متعلم عن طريق القدوة المجسدة للحقد والكراهية، وهي نتاج خطاب الكراهية ضد الأديان والأعراق والأقليات والقوميات. ويتعلم المرء الكراهية بالتقليد والمحاكاة؛ فالطفل الذي يسمع قبح والديه وذمهما لشخص كالحال أو العم أو الجار ويعبران عن كراهيتهما له، يشب ناقماً أو حاقداً على هذا العم أو الخال أو الجار.

يغرس بعض الآباء بذور التعصب والكراهية في نفوس أبنائهما تجاه بعضهم البعض عن طريق التحيز لابن ما بالحب ونبذ آخر، أو منح أحد الأبناء ميزة ما، وحرمان ابن آخر منها. كما



تؤجج خطابات الكراهية السائدة اليوم الحقد والحنق والبغضاء بين الشعوب. حيث يلحظ مثلاً إن هناك جماعات دينية متطرفة تتطوي تحت لواء الديانات السماوية الثلاث، تدعو إلى تكفير الآخر ونعته بأبشع الألقاب والصفات، ما يؤجج الحقد والغل ويقود إلى عنف دام يدفع ثمنه أبرياء لا ذنب لهم فيما نالوا جزاءه. ويقصد بخطاب الكراهية ذلك "الخطاب الذي يدعو إلى أعمال العنف أو الجرائم الكراهية الخطاب الذي يخلق مناخاً من الكراهية والأحكام المسبقة التي قد تتحول إلى تشجيع ارتكاب جرائم الكراهية". ويتضمن خطاب الكراهية بشكل عام الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية. ولذا ينبغي منع الكراهية على أساس قومي أو عرقي أو ديني بهدف منع التمييز أو العداء أو العنف.

تؤكد الإحصاءات أن جرائم العنصرية في تصاعد مستمر؛ فقد ارتفعت جرائم العنصرية والكراهية بنسبة 58% عامي 2017/2018 مقارنة بما كانت عليه عام 2016، ما يعني أن التطرف الناجم عن خطابات العنصرية والكراهية طريق ملوكي لجرائم الكراهية. وترتفع وتيرة خطاب الكراهية في المجتمع الأمريكي، والبيض مسئولون بنسبة 50% عن جرائم الكراهية. وقد بلغ عدد جرائم العنصرية والكراهية (7200) جريمة خلفت (8400) قتيلاً، كما بلغت جرائم الديانات ومراكز العبادة للديانات الإسلامية واليهودية والمسيحية (1500) جريمة، وأنه حدثت (16149) جريمة خلال عامي (2017/2018) في أمريكا بسبب الكراهية، وأن جرائم الكراهية التي يرتكبها الأفراد أعلى من جرائم الكراهية التي ترتكبها المجموعات. حيث بلغت جرائم الأفراد (7106) جريمة في مقابل (69) جريمة ارتكبتها مجموعات. وارتفعت نسبة خطابات الكراهية التي تروج لفكرة تفوق الرجل الأبيض على بقية الأجناس بنسبة 182%. كما لوحظ أن هناك دعوة قوية للتعصب القومي للبيض والتطرف اليميني المرتبط بها في أمريكا، ووجد أن 50% من جرائم القتل الناجمة عن الخطاب الديني كانت بسبب المتطرفين اليمينيين، كما ارتفع عدد جماعات الكراهية إلى (1020) جماعة، وأن كره هذه الجماعات أنصب على المسلمين

والأجانب. وقد تبين أن الخطابات الدينية هي التي كانت وراء الهجوم على مسلمين في مسجد بـ "نيوزيلندا"، ووراء العنف بـ "بتسيرغ". وثمة خطاب ديني متطرف ضد المسلمين في أمريكا تمخض عنه مصطلح "إسلامفوبيا" "الخوف الإسلامي"، وهو مصطلح يظهر الإسلام على أنه دين رعب وقتل وارهاب، ما يبهر قتل المسلمين وتدميرهم.

تتعدد أشكال الكراهية؛ فهناك الكراهية على مستوى الأفراد والعائلة والقبيلة والمؤسسة والدولة والديانة والثقافة. وتتعدد أيضاً مظاهر الكراهية؛ فهناك الغيرة، والحسد والحقد. ويتجلى الحسد في تمنى زوال نعمة المحسود. فالحاسد يحزن من نعمة الله سبحانه وتعالى الذي قسم الأرزاق والهبات على البشر. والبعض يغار من الآخر الذي نجح في تحقيق هدف ما، أو تمكن من حل مشكلة ما. هذه الغيرة التي تتحول بنتالي السنين إلى كراهية. والكاره يحسد النجاح والناجحين. ولذلك فإن للنجاح أعداؤه. والكراهية ومهما تعددت صورها فهي دليل الضعف والحسد والخوف. فالحاسد يكره الذين أنجزوا ما لم ينجزه. ولذا فإن النجاح يقود إلى الحقد. والفاشل عادة ما يبهر فشله، وينعت الناجح بأنه يكرهه ليبهر كرهه له. وفي مجتمعات القهر يحارب الناجح لكي يفشل، في حين أن الفاشل في المجتمعات الديمقراطية يدعم لكي ينجح، تعبر الكراهية عن تمنى الإبادة للمكروه، ويدمر الحقد الكاره والمكروه معاً. ونحن قد نكره الذي نخشاه داخل أنفسنا. ونحن ننعت الآخر بكراهيتنا لنجد مبرراً لكراهيته. فكرهنا الذي بداخلنا ولا نستطيع تقبله نسقطه على الآخر في شكل انه يكرهنا. نحن نسقط كرهنا على الآخر لأننا نرغب في أن نكون جيدين، وهذا لن يتأت إلا إذا توقعنا وجود سوء بالخارج يتعين علينا مهاجمته. والكراهية مدفوعة دوماً بالحب والعدوان. والكراهية ومهما تعددت صورها، فإنها سبب سفك الدماء في العالم. والكراهية غير المعبر عنها بوسيلة ملموسة، قد تخزن بالداخل وتتحين الفرصة لكي تظهر في شكل نعت المكروه بصفات دميمة، وشم وإهانة وتطاول ونميمة وإشاعات في كل مجلس ومكان للنيل منه. والحقد والكراهية والبغضاء وحب الذات والانتقاد وتسفيه آراء الآخرين - كلها بمثابة حالة مرضية يعاني منها بعض

أفراد المجتمع. والحسد والتكبر يولدان الحقد والكراهية. والكراهية عجز عن تقديم الحب لمن نكره. والنفس التي يتغلغل فيها الحقد والكره، نفس متمردة على كل شيء جميل، وهي مصدر الرذائل كالغيبة والنميمة والافتراء على الناس بالكذب والبهتان والكراهية بكل تجلياتها تنتقل بالانتشئة الاجتماعية والتقليد والمحاكاة. ولذلك يلحظ أن الأب الذي يكره شخصاً ما من أقاربه، عادة ما يغرس كراهية أولاده لهذا القريب، وهو ما يعلم الأبناء كيف يكرهون الآخر أيضاً. فالتعصب كمرادف للكراهية "ينتقل من جيل إلى جيل، ومن الكبار إلى الصغار، حيث يتعلم كثير من الأبناء التعصب من آبائهم وأساتذتهم ومن المحيطين بهم بشكل عام، ولا سيما المؤثرين في حياتهم، وتجد قيم التعصب في المجتمعات المتعصبة تعزيزاً لها في إطار المؤسسات والقوانين والعادات" (أبوصيد، 2018: 2).

وعندما يتحول الحقد أو التعصب أو الكره إلى ثقافة وأسلوب عيش، فإن هذا الحسد سيحصد الأرواح بسبب العنف المترتب عليه. ويتبدل الحس الإنساني بالحقد، ويطمس كل ما هو خير وجميل في الإنسان. وثمة عوامل كثيرة توجج الحقد مثل الشتائم التي يشتم بها المكروه، والتهميش. فالأشخاص المهمشون، عادة ما يحقدون على من همشهم. والشعور بالقهر يولد الحقد. والحاقد يتمنى أن يرى فشل من يكره، والفشل يرفع راياته السوداء التي تنتشي وترفرق لكل فشل. والحسد وسيلة تحت المرء على حبك المؤامرات لصناعة الفشل وإحباط الراغبين في النجاح الذي عادة ما يزعج ثقافة الحقد والكراهية. والكراهية تعبير عن الجهل بالمعرفة، ولذا يتعين علينا أن نهتم بالمدرسة لكي نعرف أكثر عن العالم. فالمعرفة وسيلة لحماية من الكراهية، وهي التي تمكنا من التمييز بين الفضيلة والرذيلة، بين الصواب والخطأ، بين الحقيقة والوهم، بين الاحتقار والاحترام. ولذا فالصفح قوة، والكراهية ضعف، وينحني الاحترام أمام التسامح، وتغري الصداقة العيش المشترك، يعد التعصب Prejudice مرض الكراهية؛ فنحن عندما نتعصب لعرقنا أو ديننا أو ثقافتنا، فإننا عادة ما نمقت بقية الأعراق والثقافات الأخرى. بيد أن أصحاب الثقافات المكروهة

لا بد وأن يكرهوننا بالمحصلة. على هذا النحو يتفاهم التعصب وتتفاهم الكراهية بين المجتمعات والثقافات اليوم. وقد كشفت دراسة يانغ جوليا (1992) حول الجو التعليمي في جامعة تشيلي وظاهرة التحيز للجنس الأبيض أن ظاهرة العنصرية تأخذ اتجاهاً متنامياً في جميع الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في تشيلي. وتوصلت سلوى عبدالباقي (1992) إلى أن المتعلمين أقل تعصباً من غير المتعلمين. وتوصل حسن حسن ومفيد رعوف (1998) إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين الجنسين في مستوى التعصب. وتوصل معتز عبدالله (1997) إلى أن الاتجاهات التعصبية ترتبط بسمات الشخصية. وتوصلت حليلة أبوصيد (2018) إلى أن التعصب يرتبط بالجمود الفكري وسمات الشخصية ارتباطاً دالاً إحصائياً عند مستوى 0.01، حيث بلغت معاملات الارتباطات بينها على التوالي (0.333، 0.297) (أبوصيد، 2018: 2-60) ويرتبط التعصب بشدة المنافسة وشح الموارد والصراع من أجل تحقيق الأهداف، والخوف من افتقاد مزايا معينة، ومن الشعور بضعف الآخر وجهله وقلة تحضره، ومن الشعور بالتمييز والتفوق. ولقد تبين أن التعصب يرتبط بالنسق القيمي للفرد؛ "الفرد يتعصب ضد أولئك الذين يتجاهلون الاعتراف به ويحرمونه من مزايا يتمتع بها غيره، ويكبلون حريته"، (أميمن، 2007: 349). وقياًساً على ذلك فإن الفرد يكره أولئك الذي يقللون من قدراته ومهارته ويقصونه بدافع الحسد والغيرة. كما يرتبط التعصب برفض الغموض. ذلك لأن الفرد عادة ما يرفض الأمور التي لا يعرفها. فالفرد "إنما يكرر ما هو مألوف لديه ولا يعترف بالجديد أو التوسط، ومن أمثلة ذلك عدم ترحيب أستاذ خبير في مجال ما بخبرة شاب حديث التخرج"، (أميمن، 2007: 349). وبناءً على ذلك فإن الكراهية تنشأ من خوف الكاره من تفوق المكروه عليه في مجال ما. ونلاحظ ذلك من الواقع المعيش؛ فبعض المدراء الكبار يغارون مثلاً من قدرة موظف صغير السن عندما ينجح في حل مشكلة الإفلاس لشركة ما، فشلوا هم في حلها. وقد يمتد كره هؤلاء إلى طرد مثل هذا الموظف الصغير من عمله حتى وإن أفلست الشركة. وهذه بالطبع كراهية ما بعدها كراهية. كما

يتعصب المرء ضد شخص ما عندما يعتقد أنه يشكل مصدر قلق له. ومن أمثلة ذلك "التعصب الديني بين المسلمين والهندوس في الهند؛ حيث يسعى كل طرف لتقوية جماعته وبت روح الانتماء فيها حتى لا تقع ضحية للجماعة المضادة، مع ذكر محاسن الجماعة وسرد عيوب الجماعة الأخرى" (أميمن، 2007: 350).

يرتبط التعصب كمظهر للكراهية بالمجازاة. فالأسرة التي تكره أسرة أخرى تعلم أولادها طرق التعبير عن الكراهية تجاه أفراد تلك الأسرة. ولذلك فإن الفرد في الأسرة الكارهة لا يمكنه أن يحب فرداً من الأسرة التي تتبذها أسرته لكي يحتفظ بالارتباط بأسرته ويتجنب نبذها له. على هذا النحو تسري كراهية جميع الأفراد في أسرة ما على الأسرة المكروهة. كما ترتبط الكراهية بتدني تقدير الذات. فالفرد الذي يشعر بتدني تقديره لذاته يعز عليه حب وتقدير الذات الأخرى. كما ترتبط الكراهية بعدم الرضا عن العمل، وبنجاح الآخرين فيه. فالفاشل يتضايق من الناجحين في عملهم، فيكرههم وينشر الإشاعات المغرضة حولهم، وقد يقلل من نجاحاتهم. وثمة كراهية ترتبط بالمستوى التعليمي. فأصحاب المستويات التعليمية العليا عادة ما يسخرون من أصحاب المستويات التعليمية الدنيا الذين بدورهم يحسدون المتعلمين تعليماً عالياً. ترتبط الكراهية أيضاً بخوف بعض أصحاب المراكز العليا من شغل بعض أفراد الفئات الدنيا مناصب عليا بناءً على قدراتهم التي تحقق لهم الحراك الاجتماعي الرأسي.

تتعدد العوامل المسؤولة عن التعصب والكراهية، بيد أن البحث الحالي يهدف إلى تفسير الكراهية في ضوء تبدل القيم والمعايير الاجتماعية. فإذا كانت الكراهية تنتشر في المجتمعات التي بها تمايز عرقي وديني وأيديولوجي وثقافي، فإن هناك كراهية على علاقة بتبدل نسق القيم الاجتماعية. فعندما تختل القيم والمعايير الاجتماعية، يضعف التماسك الاجتماعي، وتنتشر قيم تبجل المحاباة والوساطة وتمجد الأنانية وحب الذات، ويضعف تأثير النماذج والقذوة الحسنة في سلوك التابعين. فقد يتمرّد الابن على تعليمات ونواهي والده أو معلمه، وقد يضعف تأثير دور

العبادة في لجم شهوات ورغبات أفراد المجتمع اللامحدودة بالإقناع والحوار، وقد تفشل المدرسة في نقل التراث الثقافي ولا سيما الجميل فيه للأجيال. كما يؤدي تبدل نسق القيم إلى توسيع الهوة بين الكبار والصغار، فيحدث ما يسمى بصراع الأجيال. كما يؤدي التغيير الاجتماعي المتسارع إلى التجاوز عن قيم أصيلة مثل التعاون والمحبة وتقدير الآخر وحب الانتماء للآخر لتحل محلها قيم جديدة تبجل الوحدة والعزلة وشخصنة العلاقات الاجتماعية والأنانية وتهميش التفاعل الاجتماعي مع الآخر. كما يؤدي التعلق بشكل القيمة وبالنجاح لذاته وبغض النظر عن الطريقة المؤدية إليه إلى إضعاف الرغبة في العمل الاجتماعي وتحقيق المصلحة العامة. ويتوقع الفرد حول نفسه وبعمله الدؤوب على تحقيق مصالحه الشخصية وبجبه لذاته، يضعف ارتباطه بغيره، وقد يكره من ينافسه، أو لا يجاربه في فلسفته في الحياة. وتبدل القيم الاجتماعية يقود إلى ما نطلق عليه بالأنومي أو اللامعيارية. وعندما تحل الأنومي بمجتمع ما، يتم التوصل من القيم التقليدية، ويتم تشرب قيم جديدة تحث على الفردية وتحقيق الأهداف الشخصية وفي مقابل نبذ كل ما هو موضوعي أو اجتماعي ولقد نال موضوع الأنومي الذي تبين أنه يرتبط بالكثير من الظواهر السلبية في المجتمع اهتمام الباحثين في المجتمع الليبي. فقد توصل أميمن (1996) إلى أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.001 بين الأنوميا والغش في الامتحانات والتجاوز عن الغش، ووجد التير وأميمن (2003) أن هناك علاقة بين اللامعيارية والغش في الامتحانات، وبين اللامعيارية والتجاوز عن الغش، وبين اللامعيارية وعدم التأكيد على العمل الأكاديمي، وبين اللامعيارية وبين المحيط المشجع على الغش، وبين التحديث واللامعيارية (التير، أميمن، 2003: 172-201). ووجد بنور الحسوني (2007) أن هناك علاقة بين اللامعيارية وبين عدم الاهتمام بالعمل الإداري، وبين اللامعيارية والتجاوز عن العمل الإداري، وبين اللامعيارية والتسبب الإداري (الحسوني، 2007: 189-191).

وتوصل عبدالنبي حمودة (2010) إلى أن ضعف التماسك الاجتماعي وسيادة الفردية يدفعان الفرد إلى التأكيد على قيمة النجاح لذاتها والتجاوز عن أخطاء الآخرين، وأن هناك علاقة دالة إحصائياً بين الطموح الزائد وبين شخصنة العلاقات الاجتماعية، ما يعني أن الطموح الزائد يدفع الفرد إلى الالتفاف على نصوص القانون، واستغلال المنصب، وتكوين العلاقات المحققة للأهداف الشخصية فقط(السوداني، 2010: 105-112).

ووجدت سليمة الكوت (2012) أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تبدل نسق القيم الاجتماعية وبين الأنومي وتبدل نسق القيم الاجتماعية وبين كلا من الاتجاه السلبي نحو الوطن والعزلة الاجتماعية والتعلق بالشكل دون الجوهر، وتفضيل الأخذ عن العطاء، وبين تبدل نسق القيم الاجتماعية. كما وجدت علاقة دالة إحصائياً بين الأنومي والتعلق حول الذات، وبين التعلق حول الذات والاتجاه السلبي نحو الوطن والعزلة الاجتماعية والتعلق بالشكل دون الجوهر وتفضيل الأخذ عن العطاء، وبين الأنومي والاتجاه نحو المجانية، وبين الأنومي والاتجاه السلبي نحو البيئة، وبين الأنومي والميل للعمل السهل، وبين الأنومي والانبهار بالأجنبي، (الكوت، 2012: 174-187).

ووفقاً لنتائج الدراسات السابقة التي أمكن الاطلاع عليها، يلحظ قلة وجود تلك الدراسات التي استهدفت اختبار نوع العلاقة بين متغيري الكراهية واللامعيارية، ما يبرر القيام بهذه الدراسة، فضلاً عن أن الداخل في علاقات اجتماعية كبيرة يدرك مدى عمق انتشار ظاهرة الكراهية التي غدت تغذيها عوامل كثيرة في المجتمع الليبي مثل كثرة انتشار الحروب بين المدن الليبية، وداخل المدينة الواحدة، وكثرة الفرق التي تروج لثقافتها وأحقيتها بتولي زمام الحكم في الدولة الليبية. كما يلحظ الرائد للمجتمع الليبي أن هناك خطابات كراهية متبادلة بين الأطراف المتنازعة وهي خطابات تُبث عبر وسائل الاتصال الاجتماعي المختلفة، وتبرز عيوب الخصم وتتهمه بصفات تقلل من شأنه على المستوى الشخصي والديني والفكري والسياسي والاجتماعي، ما أسهم في

تمزق النسيج الاجتماعي الليبي، بالإضافة إلى انتشار الكراهية على مستوى العلاقات الاجتماعية؛ حيث أسهم الوضع السياسي المتأزم في تعميق ظاهرة الكراهية بين أبناء المجتمع الليبي. كما تنتشر الكراهية لعوامل نفسية واجتماعية. فهذه كلها عوامل يفترض أنها أضحت تغذي روافد الحقد والكراهية في المجتمع الليبي، وتحي النعرات القبلية والجهوية. بيد أن الكراهية ولأي سبب كان، تتطلب متابعة للأحداث في المجتمع الليبي، وتتطلب تحليلاً وفكراً يدرك حجم هذه الظاهرة. ولكي يقف الباحثون على مدى انتشار ظاهرة الكراهية في مجتمع البحث، تقرر إجراء هذه الدراسة على عينة من طلبة الدراسات العليا وأعضاء التدريس بجامعة المرقب باعتبار أن هذه الفئة يمكنها إدراك انتشار الكراهية والحقد والغيرة بسبب وعي أصحابها، وكثرة تفاعلهم مع الآخرين، وكثرة استعمالهم لوسائل التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك والتويتر، وبحكم تخصصهم ولا سيما المتخصصين منهم في علم النفس والتربية وعلم الاجتماع والتاريخ والفلسفة ونحوها.

**تحديد مشكلة البحث:** وبناءً على المعطيات السالفة الذكر، فقد تبلورت وتحددت مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي: ما نوع العلاقة بين الكراهية واللامعيارية كما يدركها أعضاء هيئة التدريس وطلبة الدراسات العليا والمعيدون بجامعة المرقب؟

**أهداف البحث:** لقد تحددت أهداف البحث الحالي في الآتي: (1) التعرف على ما إذا كان متوسط درجات المبحوثين على مقياس اللامعيارية أعلى من المتوسط الفرضي للمقياس.

(2) التعرف على ما إذا كان متوسط درجات المبحوثين على مقياس الكراهية أعلى من المتوسط الفرضي للمقياس.

(3) التعرف على أكثر مظاهر اللامعيارية انتشاراً في المجتمع كما يدركها المبحوثون.

(4) التعرف على أكثر مظاهر الكراهية انتشاراً في المجتمع كما يدركها المبحوثون.

(5) التعرف على ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية باختبار مان وتتي وباختبار كروسكال واليس بين رتب درجات المبحوثين على مقياسي البحث وفق متغيرات الخلفية.



6) التعرف على ما إذا كانت هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين اللامعيارية والكراهية عند مستوى 0.05.

**أهمية البحث:** لقد تحددت أهمية البحث والحاجة إليه في الآتي:

- 1) ندرة الدراسات التي أجريت حول ظاهرة الكراهية في المجتمع الليبي.
- 2) تمكين أولياء الأمور والمسولين عن تنشئة وتربية النشء من الوقوف على حجم الكراهية وتبدل نسق القيم الاجتماعية في المجتمع الليبي.
- 3) التركيز على تشخيص العوامل القابضة وراء ظاهرة الكراهية؛ بهدف الحد منها أو تقليلها على الأقل بهدف تقوية التماسك الاجتماعي.
- 4) رصد تلك الظروف التي توجع الكراهية بين أبناء المجتمع مثل العنف وخطابات الكراهية وحمل السلاح بهدف الحيلولة دون تفاقمها، لكي يعم التراحم والتواصل في المجتمع.
- 5) تمثل الدراسة الحالية إضافة لتلك الدراسات التي تناولت العديد من الظواهر والمشكلات الاجتماعية ولم تتصد لدراسة ظاهرة الكراهية في المجتمع الليبي.
- 6) الخروج ببعض التوصيات، وبناء على نتائج البحث للحد من انتشار ظاهرة الكراهية.
- 7) الوقوف على علاقة اللامعيارية بانتشار ظاهرة الكراهية باعتبار أن العولمة الثقافية ربما تكون مسؤولة إلى حد كبير على تفاقم الكراهية من خلال نشر خطابات الكراهية، وتأجيج الفردية، والتنافس، والعزلة، وتبجيل كل ما هو شخصي على حساب كل ما هو وطني واجتماعي.
- 8) المساهمة في وضع تصور نظري يفسر ظاهرة الكراهية واللامعيارية في ضوء البيانات الإمبريقية المتحصل عليها من على أرض الواقع.

**أسئلة البحث:** يستهدف البحث الحالي الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1) هل متوسط درجات المبحوثين على مقياس اللامعيارية أعلى من المتوسط الفرضي للمقياس؟
- 2) هل متوسط درجات المبحوثين على مقياس الكراهية أعلى من المتوسط الفرضي للمقياس؟

- (3) ما أكثر مظاهر اللامعيارية انتشاراً في المجتمع كما يدركها المبحوثون؟
- (4) ما أكثر مظاهر الكراهية انتشاراً في المجتمع كما يدركها المبحوثون؟
- (5) هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية باختبار مان وتتي وباختبار كروسكال واليس بين رتب درجات المبحوثين على مقياسي البحث وفق متغيرات الخلفية؟
- (6) هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين اللامعيارية والكراهية عند مستوي 0.05؟
- حدود البحث: (1) الحدود المكانية:** أجريت الدراسة ببعض بكليات جامعة المرقب بمدينة الخمس.
- (2) الحدود الزمانية:** أجريت الدراسة خلال العام الدراسي 2018/2019م.
- (3) الحدود البشرية:** أجريت الدراسة على عينة من أعضاء هيئة التدريس ومعيديين وطلبة يدرسون بالسنة التمهيديّة بالدراسات العليا ببعض الكليات.

**مفاهيم ومصطلحات البحث:** ورد في هذا البحث بعض المفاهيم والمصطلحات التي تحتاج إلى تعريف، ومن بينها: **(1) اللامعيارية:** لقد أطلق "دوركايم" لفظ الأنومي على حالات الاضطراب المعياري التي تنتاب المجتمعات الصناعية. ويشير لفظ الأنومي عنده إلى حالة من فقدان المعايير، وهو لا يعني أن المجتمعات الحديثة التي تفتقد التماسك والتضامن الآلي الذي يميز الجماعات المحلية التقليدية - ليس لديها معايير، بل يعني أن تلك المجتمعات لديها مجموعات كثيرة متناقضة من المعايير، إلا أن أياً منها ليس له قوة إلزام على الجميع. لهذا يصبح الأفراد في حالة من الشك فيما ينبغي عليهم إتباعه وما يتعين عليهم أن يتركوه، وما هو خطأ، وما هو ممكن وما هو مستحيل" (ورد في رمزي، 1999: 378).

**(2) الكراهية:** وتعني قلة المحبة والود تجاه موضوع ما، وتتضمن العداوة والبغضاء تجاه هذا الموضوع. وهي عبارة عن "حالة انفعالية سلبية لتعارضها مع حاجات الفرد ودوافعه ومعتقداته، ويمكن أن تتحول إلى سلوك موجه ضد الموضوع المكروه" الكراهية عبارة عن مشاعر انسحابية يصاحبها اشمئزاز شديد، نفور وعداوة أو عدم تعاطف مع شخص ما أو شيء أو حتى ظاهرة

معينة، ويرافقها شعور برغبة في التجنب، العزل، النقل أو حتى تدمير الشيء المكروه، ويمكن للكره أن يبني على الخوف من هدف معين أو ماضي سلبي أو شخص معين نتج عن التعامل مع ذلك الفرد أو الشخص.

**(3) التعصب:** يرى كرتش وكرتشفيلد (1948) أن التعصب هو "تلك المعتقدات والاتجاهات المتعلقة ببعض المبادئ التي يراها فرد أو جماعة ضد أقلية عنصرية أو قومية، وقد يكون مشكلة اجتماعية تولد التنافر وتعود التقدم"، (ورد في الجبالي، 2003: 463).

**(4) القيم الاجتماعية:** تعرف القيم الاجتماعية إجرائياً: بأنها "مجموعة من المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي والتي تمثل موجّهات للأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص بديلاً لغيرها، وتنشأ هذه الموجّهات عن تفاعل بين الشخصية والواقع الاجتماعي والاقتصادي الثقافي، وتفصح القيم عن نفسها في المواقف والاتجاهات، والسلوك اللفظي، والسلوك الفعلي، والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة" (جلبي وبيومي، 1990: 426-430).

**(5) الاتجاه:** الاتجاه النفسي بمعناه العام "استعداد وجداني مكتسب ثابت نسبياً يحدد شعور الفرد وسلوكه إزاء موضوعات معينة من حيث تفضيلها أو عدم تفضيلها" (راجح، 1977: 111-112).

**(6) نسق القيم:** يعرف "التابعي" نسق القيم بأنه "عبارة عن نموذج منظم ومتكامل من التصورات والمفاهيم الدينامية الصريحة والضمنية، يحدد ما هو مرغوب فيه اجتماعياً ويؤثر في اختيار الطرق والأساليب والوسائل والأهداف الخاصة بالفعل في مجتمع أو جماعة ما، وتتجسد مظاهره في اتجاهات الأفراد والجماعات وأنماطهم السلوكية ومثلهم ومعتقداتهم ومعاييرهم الاجتماعية، حيث يتداخل في كافة مكونات البناء الاجتماعي، يؤثر فيها ويتأثر بها (التابعي، 1993: 24).

7) **تبدل نسق القيم:** ويقصد به "استبدال القيم الاجتماعية القديمة المنظمة للحياة الاجتماعية بقيم جديدة ناتجة عن التغيير الاجتماعي السريع والتي يعجز بعض الأفراد بموجبها عن التمييز بين ما هو صواب وخطأ، وتوسع هامش التجاوز عن الخطأ، وغرس اتجاهات الميكافيلية وتبجيل النجاح لذاته، والتركيز على شكل القيمة دون مضمونها، وترسيخ العلاقات الاجتماعية المبنية على النفعية وتبادل المصالح، وتغلب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ونحوها" (الكوت، 2012: 109).

#### الإطار النظري للبحث: اللامعيارية والتجاوز عن الضبط الاجتماعي غير الرسمي:

يرجع الفضل في استخدام "لفظ اللامعيارية" إلى "دوركايم". حيث استخدم "دوركايم" هذا اللفظ في كتابه "تقسيم العمل في المجتمع" الذي صدر عام (1893م). وتعتبر اللامعيارية عند "دوركايم" عن حالة نسبية من فقدان المعايير في مجتمع أو جماعة، وهي تعبر عن خاصية في البناء الاجتماعي والثقافي، ولا تعبر عن خاصية فردية تتحدى ذلك البناء (1968:215) (Merton).

كما يشير مفهوم اللامعيارية عند "دوركايم" إلى حالة الصراع بين الرغبة في إشباع الاحتياجات الأساسية للفرد، وبين الوسائل المتاحة لإشباع تلك الاحتياجات (السمري، 1996: 141 - 142).

وذهب "دوركايم" إلى أن اللامعيارية تعبر عن افتقار المجتمع إلى مجموعة القواعد والمعايير التي توضح للناس كيفية التصرف تجاه بعضهم البعض. وقد اعتبر "دوركايم" اللامعيارية من النتائج التي ترتبت على التغيرات الاجتماعية السريعة التي اجتاحت المجتمعات الغربية مع بداية الثورة الصناعية. وقد طور مفهوم اللامعيارية فيما بعد على يد العديد من علماء الاجتماع الغربيين، لعل أبرزهم على الإطلاق "روبرت ميرتون" الذي ذهب إلى أن اللامعيارية تنشأ من

تعلق الناس بتحقيق الأهداف المحددة ثقافياً، ومن إلغاء الطرق المعتمدة ثقافياً التي تقنن السبل المؤدية لتحقيق تلك الأهداف (Clinard, 1971:218).

واعتبر "ميرتون" اللامعيارية" حالة غير سوية تعبر عن تركيبة البناء الاجتماعي المختل. فاللامعيارية عند "ميرتون" مشكلة اجتماعية، وهي من نتائج غياب الانسجام بين البناء الثقافي الذي يضم مجموعة القيم المعيارية المنظمة للسلوك والتي تعتبر مألوفة لأعضاء المجتمع، وبين البناء الاجتماعي الذي يحدد المعايير الرسمية التي تنظم السبل المحققة للأهداف التي ينص عليها البناء الثقافي. وللامعيارية عدة مؤشرات؛ فمن مؤشرات مثلًا: انعدام القانون، أو انعدام الخطة، أو انعدام الثقة، أو الشك. وتعتبر اللامعيارية عن انهيار المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك، وعن ضعف التماسك الاجتماعي، وهي تعبر عن حالة من اللبس والخلط، وانعدام الأمن، وحينئذ تكون التصورات الجماعية في حالة انحلال وتدهور (جابر، 1990:53).

وذهب "شنايدر" إلى أن اللامعيارية تعبير عن انهيار الضوابط على الوسائل المستعملة في تحقيق الأهداف الاجتماعية، وتحلل القيم المفروضة على الوسائل غير المشروعة، وانعدام المرجع القانوني الذي يعد جزءاً من المعايير الاجتماعية التي أصابها الخلل والوهن (اسكندر، 1988:302).

وتتضح اللامعيارية في ضعف القواعد الأخلاقية التي تضبط سلوك الأفراد. ومن مؤشرات اللامعيارية: تضارب القيم الاجتماعية، وغياب التصور الواضح لما هو صواب وما هو خطأ (الجوهري وآخرون، 1993:171). كما تتضح معالم اللامعيارية في نقص الإجماع على المعايير، والإحساس بقلة الأمان، والعجز عن التنبؤ بسلوك الآخرين في المواقف الاجتماعية، وفي غموض القواعد المنظمة للسلوك، وفي غياب الاتفاق على تفسير واحد للقواعد الملزمة للمواقف الاجتماعية.

اللامعيارية والتغير الاجتماعي: تعد اللامعيارية ثمرة من ثمار التغير الاجتماعي المختل. ويشير التغير الاجتماعي إلى أنه تغير في البناء الاجتماعي متضمناً هنا التغيرات في حجم المجتمع، أو في نظم اجتماعية خاصة، أو في العلاقات بين النظم (الجوهري وآخرون، 1982:165).

ولا شك أن ظاهرة التغير الاجتماعي أمراً محتوماً؛ إذ ليس باستطاعة مجتمع ما أن يقاوم رياح التغيير. لأن هذا التغير مطلوب لتحول المجتمع من حالة متواضعة إلى حالة أفضل. وكل مجتمع يستهدف من التغيير، تطوير نظمه الاجتماعية. بيد أن التغير الاجتماعي قد يأتي في صالح جماعة ما، وقد يضر بمصالح جماعة أخرى. وفي مثل هذه الحالة تحدث حالة من اللبس، أو الارتباك، أو اللامعيارية. ولقد ذهب "دوركايم" إلى أن اللامعيارية تمثل حالة من الارتباك تصيب المجتمعات التي تتعرض لتغيرات اجتماعية قوية. فعندما يُصاب المجتمع ببعض الظروف التي تؤثر في توازنه، مثل التغير التكنولوجي السريع الحاد، أو الحروب، أو تعرضه لحالة من النمو الحضري السريع، فإن مثل تلك الظروف التي تكون السلوك المنحرف تعد نتيجة طبيعية لتلك التغيرات المفاجأة (السمري، 1996:142). ولتوضح أثر التغير الاجتماعي في تبدل نسق القيم، ومن ثم في انتشار مظاهر اللامعيارية نقدم التحليل التالي: ينال التغير الاجتماعي السريع كافة الأنساق بما فيها نسق القيم. كما يتسبب هذا التغير في إرباك تلك المؤسسات التي تقوم بتنشئة الفرد اجتماعياً، والتي من أهمها الأسرة والمدرسة. ويؤدي هذا الارتباك الناتج عن التغير الاجتماعي السريع إلى أحداث خلل في توازن المؤسسات الاجتماعية، حيث تعجز تلك المؤسسات عن استيعاب القيم والمعايير الجديدة الناتجة عن التغير السريع، وتعجز عن تزويد الأفراد الذين تقوم تلك المؤسسات بتنشئتهم على القيم والمعايير المناسبة التي تواكب التغير الاجتماعي الجاري، بيد أن عجز المؤسسات الاجتماعية عن التكيف مع التغيرات السريعة غالباً ما يحدث نوعاً من التفكك الاجتماعي، أو اختلالاً في القيم والمعايير، أو ما يطلق عليه باللامعيارية. وعندما تسود اللامعيارية مجتمعاً ما، فإن كثيراً من أفراد ذلك المجتمع قد

يعملون على تحقيق أهدافهم بكافة الوسائل حتى ولو كانت غير مشروعة، وذلك لاختفاء الخط الفاصل بين القيم والمعايير الأصلية التي تحدد السبل المعيارية لبلوغ الغايات، وبين القيم والمعايير الجديدة التي تشجع الأفراد على بلوغ تلك الغايات بأية وسيلة. يصبح المجتمع في مثل هذه الحالة بيئة خصبة للممارسات الانحرافية والإجرامية؛ فتسوده جرائم السرقة، والتسول، والتشرد، والإدمان، والبقاء، والغش في كافة المعاملات الاجتماعية العامة بين الأفراد، وكافة الممارسات الانحرافية الأخرى. وهكذا تصبح اللامعيارية مؤشراً يعبر عن ضعف وسائل الضبط الاجتماعي غير الرسمي، وعن فشل المؤسسات الاجتماعية التي تقوم بتنشئة الأفراد اجتماعياً.

وترتبط اللامعيارية بسيادة التفكك الاجتماعي في المدن الحديثة الكبرى، وتعدد الثقافات داخل المدن الكبرى بسبب حركة الهجرة من وإلى تلك المدن. ويؤدي تحرك الأفراد السريع وغير المنتظم إلى عدم إمكانية نشوء أية علاقات، أو روابط اجتماعية طبيعية، أو متينة بين أولئك الأفراد المهاجرين. فحينما يكون سكان منطقة ما في حالة عبور فقط، تصبح العلاقات الاجتماعية التي تربطهم ببعضهم البعض سطحية واهية، لأنها تقوم على التعارف السريع والعشوائي، وتتبع من خارج شخصيات الأفراد الذين يؤلفون سكان تلك المنطقة. كما تتميز هذه العلاقات بالحدز، وعدم الثقة، والشك والبعد، ما يترتب عليها حالة النقص في الاتصال، والتواصل. وتؤدي هذه الظواهر إلى العزلة والفردية، وبالتالي إلى ارتفاع نسبة الأمراض والمشاكل النفسية (كاره، 1985: 283).

وعلى الرغم من أن خصائص التفكك الاجتماعي ترتبط بالمدن، إلا أن كثيراً من المجتمعات الحضرية الصغيرة في عدد سكانها، أصبحت تتأثر أيضاً بتلك العوامل التي تسبب التفكك الاجتماعي في المدن الكبرى. فكثيراً من مظاهر التفكك الاجتماعي السائدة في المدن الكبرى غدت تنتقل آثارها إلى المجتمعات الحضرية الصغيرة عبر وسائل الاتصال والمواصلات المختلفة؛ فحضور بعض الأفراد لمؤثرات الثقافات الأخرى السلبية، يؤدي إلى تغيير أفكارهم التي

تظهر من ثم في تصرفاتهم وسلوكياتهم، بعد هذه اللحمة التي تضمنت معرفة بعض العوامل المؤدية للامعيارية، وبعض مؤشراتنا، ننقل إلى مناقشة دور اللامعيارية، في انحسار وسائل الضبط الاجتماعي غير الرسمي، يعد قلة احترام الشباب لكبار السن هذه الأيام من مظاهر اختلال القيم والمعايير الاجتماعية. ولكن لماذا لا يبجل بعض الشباب كبار السن، ولا يقدرّون ثقافتهم؟ يناقش (علي ليلة) هذه القضية قائلاً: إن الحراك الهائل للوحدات الاجتماعية بحكم تقسيم العمل، وظهور المدينة، والهجرة إليها يؤدي إلى إضعاف التقاليد. فالتقاليد تصبح قوية إذا بقي الإنسان في ذات المكان الذي تربى فيه، لأنه يظل باقياً مع نفس الأشخاص الذين يعرفونه، والذين يخضع سلوكه لهم. بينما يختلف الموقف إذا انتقل الإنسان إلى بيئة جديدة. حقاً إنه سوف يجد هناك من هم أكبر منه سناً، ولكنهم مختلفون عن أولئك الذين أطاعهم في طفولته؛ فهو لم يعتمد عليهم من قبل، وفضلاً عن ذلك، فثمة حقيقة شهيرة مؤداها: إن احترام كبار السن يضعف مع تقدم الحضارة (ليلة، 1983: 519)، ويعزو بعض علماء الاجتماع انحراف بعض الأبناء إلى كثرة انشغال آبائهم عنهم بأعباء الحياة، يقول (مصطفى التير) في هذا الصدد: "يبدو أن جنوح الأحداث في المجتمع العربي المعاصر في شكله الرسمي، ظاهرة ترتبط بضعف الرقابة الأسرية على الأبناء، وضعف الرقابة ناتج عن عدد كبير من الأسباب من بينها: انشغال الوالدين بالعمل خارج المنزل، أو كثرة غياب الأب بسبب العمل أثناء النهار، أو في مكان بعيد عن مكان سكن الأسرة. كما تضعف الهجرة من الريف إلى المدن رقابة الأسرة على أبنائها؛ ذلك أن الأسرة المهاجرة تضطر أحياناً إلى الإقامة في مساكن فقيرة مكتظة، كما تعاني من تدنٍ في دخلها، أو من البطالة بين أعضائها الكبار (التير، 1992: 221)، وعموماً يتخذ إهمال بعض الآباء لتربية أبنائهم بسبب انشغالهم عنهم بأعباء الحياة ضرورياً عدة كما تبين. لكن قد يهمل بعض الآباء تربية أبنائهم رغم تواجدهم معهم. ويحدث ذلك عندما ينشغل بعض الآباء بكيفية الحصول على عمل، أو بكيفية حل المشكلات التي تصادفهم في أعمالهم، أو بكيفية التوفيق بين مطالب العمل،



ومطالب أسرهم، إن مثل هذه المشكلات لا شك أنها تجعل بعض الآباء مغيبين ذهنياً عن أبنائهم رغم تواجدهم الفيزيقي بينهم، فيقتصرون في تربيتهم، ويكونون من ثم سبباً في انحرافهم بطريقة غير مباشرة. وإذا كان التغيير الاجتماعي سنة الحياة، وإذا كان الجمود موت وعدم، فثمة بعض الأفراد لا يؤمنون بحتمية التغيير؛ فالكثير من المسؤولين لا يرغبون مثلاً في التخلي عن مناصبهم حتى ولو أضروا بمصالح الآخرين، بل حتى ولو كان ضررهم أكثر من نفعهم. ولكن لماذا يتمسك بعض المسؤولين بمراكزهم رغم ضررهم بمصالح الآخرين؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نقدم التحليل التالي:

ربما يرجع تمسك أولئك المسؤولين بمناصبهم رغم قلة فائدتهم للمجتمع، إلى أنهم يستفيدون من مناصبهم، ويمررون مصالحهم الخاصة عبر مراكزهم، ويتمتعون في نفس الوقت بالوجاهة والأبهة الاجتماعية. وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يمارس بعض المسؤولين مثل هذا الإجراء؟ لعل سلوك هؤلاء المسؤولين على علاقة بذلك التغيير الأخلاقي في مجال العلاقات الاجتماعية. فبموجب هذا التغيير لم تعد العلاقات الاجتماعية - كما كانت قديماً - يشوبها التضامن والتعاون، وإنما أصبحت تخضع للمصلحة الفردية التي تمخضت عنها الكثير من السلوكيات السلبية والتي في مقدمتها تمسك بعض الأفراد بمراكزهم حتى ولو أضروا بمصالح الآخرين.

من مؤشرات اللامعيارية كثرة التجاوز عن الأخطاء. حقاً إن المجتمع يسمح ببعض التجاوز عن اختراق بعض المعايير لاستحالة التقيد التام بهذه المعايير في الواقع. لكن إذا ما استفحل هذا التجاوز، فإنه قد يخرق هذه المعايير بصورة أكبر. لأنه كلما زادت درجة التسامح إزاء الانحرافات، قل التكامل داخل النسق، وسرعان ما يتعرض إلى ما يهدد توازنه، حيث يعقب التسامح في الفعل المنحرف البسيط تسامحاً في فعل منحرف أشد، وكذلك التسامح في الوسائل غير المشروعة من أجل الوصول إلى الأهداف. ومع مرور الوقت يتسع هامش التجاوز عن الفعل المنحرف، ويحدث تمدد قيمي. لأنه كلما تم قبول الفعل المنحرف، كلما دخل ضمن دائرة

الأفعال المقبولة، ثم تتسع الدائرة لتتخذ حدوداً هامشية جديدة تسمح بقدر من التجاوز عن أفعال أخرى منحرفة، ويصبح ما كان مرفوضاً بالأمس مقبولاً اليوم. وكلما زاد التجاوز وقبول الفعل المنحرف في جهاز ضابط ما، تفشى على مستوى الأجهزة الأخرى، حيث تأثر المدخلات والمخرجات، وحيث الإحساس العام بالمناخ السائد، وأنه التيار السائد في المجتمع، وأن الكل يسير على هذا النهج(عبد الحميد، 1993: 151).

كما تتضح معالم اللامعيارية في عجز الفرد عن التكهن بسلوك الآخرين. فعلى الرغم من أن القوانين وضعت لكي تطبق على الجميع دون استثناء، إلا إن الإجراءات – كما يقول سذرلاند – تحايي أولئك الأفراد الذين يتمتعون براحة اقتصادية بدرجة أكبر من محاباتها لأولئك الذين يعانون من الفقر. فإذا تساوى اثنان من مستويين اقتصاديين مختلفين في اقتراف نفس الجريمة الأكبر، فإنه سيتم القبض على الشخص الأقل مستوى، ويتم الحكم عليه، وإيداعه في مؤسسة (التير، 1980: 23) وهكذا يتبين أن افتقاد بعض المسؤولين الضمير الحي والالتزام الخلقي، يجعلهم يتهاونون في تطبيق القانون على كل من تسول له نفسه انتهاك القيم والمعايير الاجتماعية، وكافة النصوص المكتوبة التي تنظم الحياة الاجتماعية. كما رافق التغيير الاجتماعي، تطور أساليب الانحراف. ولكن كيف يحدث ذلك؟ لقد تطورت فنون ارتكاب الانحراف بتطور المعرفة والتقنية في ميادين الحياة الأخرى. فالكثير من المجرمين اليوم ينفذون جرائمهم، دون أن تطالهم يد القانون. وثمة مجرمون يرتكبون جرائمهم بأساليب في غاية الدقة والسرية، مثل القتل بالسم، أو بالأحماض الكيميائية، أو بالأسلحة النارية كاتمة الصوت، أو يمارسون جرائمهم دون أن يتركوا أثراً، عندما يخفون بصماتهم، أو يضرمون النار في مسرح جرائمهم، أو يخنفون من مكان الجريمة في لمح البصر، وبترتيبات في غاية الدقة. كما يتمكن بعض المجرمين من استغلال الهفوات التي ترتكبها الشرطة، أو النيابة عند القبض عليهم

بإجراءات خاطئة قانونياً. وقد يستغل بعض المنحرفين تورط بعض المسؤولين أنفسهم في بعض الأعمال غير المشروعة، وينجون بذلك من التهم الموجهة إليهم.

وينجى البعض من ثغرات القانون مثلاً بكتابة وثائق مطلوبة لأمر ما بتاريخ رجعي، أو بتزوير البيانات على بعض الوثائق، ثم إعادة تصويرها لتكون بدون شطب أو تغيير. وقد يدعي البعض المرض والجنون لفترة معينة، حتى يتمتع بشفاة القانون، ولا يؤاخذ على جريته. ويحدث كل هذا بالطبع في غياب الأنا الأعلى لدى أولئك الأفراد الذين يتحايلون على القوانين بكل الوسائل، ودون الإحساس بأي ذنب. ونتيجة لهذه الاعتبارات كلها يؤكد علماء الإجرام اليوم على أن عدد المجرمين المتعلمين يفوق عدد المجرمين الأميين، وأن هناك ارتباطاً بين انتشار التعليم، وبين انتشار أنواع معينة من الجريمة، وأن التعليم يزود المجرم بمعارف وتقنيات تمكنه من ارتكاب بعض الجرائم بأساليب يصعب اكتشافها (الشاذلي، 1993: 373)

من مظاهر اللامعيارية انعزال الفرد عن الأحداث المحيطة به. وينعزل الفرد عن الأحداث المحيطة به بسبب اهتمامه بمصالحه الخاصة فقط، وتضخيمه لذاته، وتحقيره من ثم لبقية الذات الأخرى. كما يتوقع الفرد حول ذاته عندما يستهدف تكوين تلك العلاقات الاجتماعية التي تحقق له مصالحه الشخصية البحتة. هذا في الوقت الذي يشترط فيه أن يسهم الفرد في تقدم مجتمعه وفي مجابهة الظواهر الهدامة فيه. ولكن ما هي مؤشرات انكفاء الفرد على نفسه؟ يتميز الفرد الذي لا يندمج في الحياة الاجتماعية باللامبالاة، أو بعدم الاهتمام بما يدور من حوله، أو بالسخرية من القيم المثالية التي تدعوه إلى مشاركة الآخرين في السراء والضراء، أو بعدم تقدير المسؤولية، أو بالعجز عن التعامل مع السياق الاجتماعي، بل وربما بعدم انتمائه لكل الذي يتفاعل معه، أو الذي يحتويه. ولاشك أن مثل هذه الممارسات الهدامة تؤدي بالفرد إلى الاغتراب عن الواقع والجنوح عنه، أو تؤدي به حتى إلى الانجراف وراء تيار الانحراف.

ويعد تقييم الناس للفرد في ضوء مظهره، ومركزه، وثروته هذه الأيام من الاتجاهات الخطيرة التي تهدد الحياة الاجتماعية. وتقديس المال قيمة تبلورت في عالم الرأسمالية، وأخذت تجتاح الكثير من دول العالم الأخرى الآن. ولكن لماذا يقدر بعض الناس قيمة المال في عالم الرأسمالية؟ يناقش "ماركس" هذه القضية من المنظور الرأسمالي قائلاً: إن النقود في ظل الرأسمالية تضيء على الأفراد قدرات لا يمتلكونها؛ فالقبيح يمتلك بأمواله أجمل النساء، والمشلول تجعله الأموال يمشي على عدة أقدام. والمعوق والشريه والمجرد من القيم الأخلاقية والأحمق، تلخ عليه الأموال شرفاً. ولهذا كله يحتل مالك النقود منزلة رفيعة. والأموال تجنب الفرد الاتهام بأنه غير شريف، لأن من المسلم به، أن هذا الشخص أمين. والنقود هي العقل الحقيقي لكل الأشياء، فكيف يكون مالها غيبياً؟ علاوة على قدرته على شراء الموهوبين لنفسه. فالنقود تخلق الموهبة، وتمكن الفرد من اقتناء كل ما تهفو إليه قلوب البشر، كما يمتلك صاحبها كل القدرات الإنسانية. وهكذا تحول النقود كل نقاط ضعف الفرد إلى قوة (الجوهري وآخرون، 1993: 119-120) وتتضح مظاهر اللامعيارية في قلة إحساس بعض الأفراد بالتضامن الاجتماعي؛ فبعض الأفراد يهتمون بمصالحهم الشخصية فقط، وإن دل مسلك أولئك الأفراد عن شيء، فإنما يدل على تشرية لتلك القيم المدمرة التي تتسبب في إضعاف إحساسهم بالمسؤولية الاجتماعية، وتتسبب في انتشار مظاهر الأنانية، واللامبالاة، والتسيب بينهم. وقد وصفت (سامية جابر) هذا الموقف قائلة: إن من مظاهر مبالغة الفرد في الاهتمام بذاته، رغبته في الحصول على القوة والتفوق على الآخرين. وفي مثل هذا الموقف يضعف إحساسه بالتماسك الاجتماعي، وتنخفض الروح المعنوية الجماعية فيه. كما يتميز هذا الفرد بأنه يعيش اللحظة الراهنة، ويسعى إلى الإشباع المباشر السريع، كلما كان ذلك ممكناً ومتاحاً. إن مثل هؤلاء الأفراد لا يستطيعون التبصر بنتائج أفعالهم على المدى البعيد؛ فهم على استعداد لاستخدام حتى الوسائل غير المشروعة لبلوغ أهدافهم (جابر، 1981: 391-393) من مظاهر اللامعيارية أيضاً أن بعض الناس لا يحبون الخير

لغيرهم. كما أن بعض الناس يفضلون الأخذ دون عطاء مقابل. وتعد هذه السلوكيات المدمرة من مؤشرات الأنانية. هذه الأنانية التي لاشك أنها تصيب المجتمع بالتفكك، والانحلال والضياع، وتنتشر فيه حالات التسيب، واللامبالاة، والوصولية، وتقطع فيه أواصر الألفة، وتضعف إحساس أفراده بالمسؤولية الاجتماعية تجاه الآخرين. هذا في الوقت الذي تدعو فيه التعاليم الدينية الإسلامية المسلم إلى عدم إلحاق الضرر بجاره ومنحه حقوق كاملة، والإحسان إليه، وملاطفته، ومشاركته في أفراحه وأحزانه، والصفح عن زلاته، وعدم الكشف عن عوراته، وعدم حثه على فعل المنكر. فالجار يحظى إذن في الإسلام بمكانة رفيعة. فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: " مازال جبريل يوصني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " (الجزائري، 1971: 108).

تتجلى مظاهر هذه اللامعيارية أيضاً في قلة اهتمام الجيران ببعضهم بعض هذه الأيام. وتظهر مثل هذه السلوكيات الهدامة في المجتمعات الحضرية بصورة خاصة. ففي المدينة الواسعة، حيث كل إنسان مشغول بنفسه، وحيث الفردية متفشية، وحيث لا يعرف معظم الناس بعضهم بعضاً، تزيد حرية الأشخاص، فيفعلون ما يريدون بدل الاسترشاد بما يمليه عليهم المجتمع" (شوقي، 1981: 157) تتضح معالم اللامعيارية في ظهور قيم جديدة تتحرف عن القيم القديمة المتعارف عليها، وفي ممارسة الأفراد لسلوكيات غير متوقعة، ولا تخضع للبناءات المعيارية المقررة. كما تتضح مظاهر اللامعيارية في ضعف مفعول القيم الأصلية، وفي قلة إجماع الأفراد على القيم الاجتماعية؛ حيث يفسر كل فرد القيمة من وجهة نظره الخاصة، ووفق ما تقتضيه حاجاته. لأن من مظاهر التغير الاجتماعي السريع تعدد الجماعات، وتعدد من ثم ثقافتها. وتزداد اللامعيارية حدة عندما لا تستطيع المؤسسات الاجتماعية التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية أن تستوعب هذه القيم الجديدة، وأن تشكلها وفق ما يجعلها تمارس بطريقة مقبولة، وتواكب هذا التغير أو عندما لا تستوعبها عقول الأفراد بدرجة تجعلهم يستطيعون التمييز بين ما هو صواب وبين ما هو خطأ فيها. ولهذا فمن الطبيعي أن تنشأ الأزمت الأخلاقية التي تؤدي إلى ظهور

أنماط السلوك المنحرف. يقول " في دوركايم " في هذا الصدد: " لقد تبدلت القيم الأخلاقية اليوم، ولم تعوضها بدائل أخرى. إن افتقار الواجبات (المهام) الأصلية لهيبتها، جعلنا نفتقد معها بالتالي قدرتنا على أن نرى بوضوح أين تكمن واجباتنا الجديدة. إن العقول المختلفة تحمل أفكاراً متعارضة، ونحن نمر بفترة من الأزمات، ومن ثم فإنه ليس بغريب أن لا نشعر بضغط القواعد الأخلاقية، كما كنا نشعر بها في الماضي " (Nisbet, 1975:196). وتحدث الأزمة الأخلاقية عندما يتحایل الفرد على القوانين ويفسرها بالطريقة التي تمكنه من النجاة من قبضتها، وينجح بعض الأفراد في التحايل على القانون الذي يعاني من بعض الثغرات. ولكن لماذا يتحايل بعض الأفراد على القوانين؟ يتحايل بعض الأفراد على القوانين لرغبتهم الملحة في تحقيق أهدافهم ولو بالسبل غير المشروعة من ناحية، كما يريدون في نفس الوقت الظهور بمظهر الاستقامة أمام الآخرين من ناحية ثانية. بيد أن اتجاهات ومن ثم سلوكيات كل هؤلاء الأفراد لا تتم في الواقع إلا عن افتقارهم للالتزام الخلقي، ومفهوم الذات الإيجابي. ولكن كيف تختل معايير الضبط الاجتماعي غير الرسمي لمثل هؤلاء الأفراد؟ يبدو أن اختلال آليات الضبط الاجتماعي غير الرسمي لمثل أولئك الأفراد على علاقة بالتغير الاجتماعي؛ فالتغير الاجتماعي السريع قد ينال من آليات الضبط الاجتماعي غير الرسمي بسبب تقليديتها أو عجزها عن مواكبة ظروف ذلك التغير. كما أن ضغوط البيئة الاجتماعية تؤدي إلى اختلال ميزان الضوابط؛ حيث يظهر عدم الوعي بأنسب الآليات الضابطة التي تتخذ في الموقف الانحرافي، كما تتصف آلياته بعدم الاتساق أو ثبات معيار الضبط، أو أنها تُفرض وفقاً للميول أو على الأفعال المترتبة على الأزمات، وليست على القيم المثالية.

تعد الأناثية من مؤشرات اللامعيارية. وتتخذ الأناثية عدة مظاهر. ومن بين هذه المظاهر: تجاوز بعض الأفراد عن الأخطاء، واعتبارها ممارسات سلوكية مقبولة مادامت تحقق مصالحهم الشخصية. ولكن لماذا يحلل الشخص لنفسه ما يجرمه القانون؟ يجيب " هيرشي " على هذا

السؤال قائلاً: عندما لا تقف بين الشخص وبين خرق القانون إلا اعتبارات المنفعة البحتة، حينئذ يكون قد وصل الأمر إلى فقدان الضمير، وقد وافق على تعريف يتمشى مع خرق القانون، وقد تحلل من كل قيد يمنعه من خرق القانون، ويكون لديه الاستعداد لذلك إذا كان يبدو في مصلحته (هيرشي، 1989: 292).

من مؤشرات الأناثية أيضاً ارتباط الفرد بالأخلاق من خلال مدخل اللذة والمنفعة، وبموجب ذلك يغفل الفرد التزاماته نحو المجتمع، ويضعف من ثم تضامنه مع المجتمع. ونتيجة للتطرف الفردي على أساس من المصلحة الخاصة في مواجهة الأخلاق الاجتماعية العامة، فإن ذلك يؤدي إلى عدم شعور الإنسان بالأمان والاستقرار في مواجهة سلوك الآخرين، وفي حالة غياب الأخلاق الضابطة والملزمة، بحيث نجده يؤدي سلوكه دونما إدراك واضح عن اتساقه وفعل الآخرين، أو بتناقضه معهم، وهو ما يعنى سيادة حالة من اللاقاعدة أو اللامعيارية أو اللاقيمية. حيث يجد الفرد نفسه مفتقداً الصلة تماماً بينه وبين توقعات الآخرين المشتقة من البناء المعياري للمجتمع (ليلة، 1983،: 500) وهكذا يتضح أنه في ظل هذه الأزمة الأخلاقية التي تجتاح المجتمعات الحديثة، تظهر الانحرافات في كافة النظم الاجتماعية بما فيها النظام الاقتصادي. كما تطغي المصالح الفردية على بقية العلاقات الاجتماعية الأخرى. وتتجلى الأزمة الأخلاقية في إنشاء الوسائل غير المشروعة من أجل تحقيق الأهداف. ومن هذه المعطيات انتشرت الرشوة، والسرقة، والسبل المغلفة بالحلال الظاهر، وظهر النفاق، والرياء، والاعتداء على الآخرين بغية الوصول إلى الأهداف بأية وسيلة. تحدث كل هذه الممارسات الخاطئة من قبل البعض في ظل غياب ضميرهم، وقلة إحساسهم بالمسؤولية الاجتماعية وبالتضامن الاجتماعي. حقاً إن القانون بإمكانه ردع مثل أولئك الأفراد. لكن القانون نفسه قد يسهم أيضاً في بلورة هذه الأزمة الأخلاقية؛ فقد يكون القانون نفسه عاجزاً عن معالجة كل الانحرافات، وحل كل المشكلات التي تواجه الإنسان، وقد تخفي روح القانون عندما لا تطبق الشريعة الإسلامية.

من المناقشات السابقة يتضح أن بعض الأفراد يتحللون من الارتباط بالآخرين في غياب الضمير الحي، ومفهوم الذات الإيجابي، وضعف الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية. ويؤدي تتصل أولئك الأفراد إلى ضعف انتمائهم الاجتماعي، وقلة إجماعهم على القيم والمعايير، والضوابط الاجتماعية. ويحدث بموجب هذا التفكك، أو التمزق في العلاقات الاجتماعية لجوء الكثير من الأفراد إلى ممارسة كافة الوسائل حتى ولو كانت غير مشروعة لتحقيق أهدافهم. كما يضعف إحساس أولئك الأفراد بمشاعر الآخرين، وذلك لتبذل عقلم الجمعي، ولتوقعهم حول أنفسهم، وفي ظل غياب الإحساس بالولاء الاجتماعي وتضخيم الذات، يمارس الكثير من الأفراد تلك السلوكيات التي تمكنهم من تحقيق مصالحهم البحتة، ولو كانت غير مشروعة كالرشوة، واستغلال مراكزهم الوظيفية لتمرير مصالحهم الخاصة، وتكوين تلك العلاقات الاجتماعية التي تحقق مصالحهم فقط. كما يعتمد أولئك الأفراد إلى تطويع القانون وفق ما يحقق مصالحهم، أو وفق ما يحول دون وقوعهم تحت طائلته.

**الحب والكراهية:** يرى " ايريك فرووم" أن الحب يعنى أن نسلم أنفسنا دون ضمان، أن نستودعها من نحب، على أمل أن حبنا سوف ينتج حباً في قلب المحبوب، فالحب مسلك أيماي، ومن يكن أيمايه قليلاً فحبه أيضاً قليل، والحب الواثق هو الذي يعطى كل شيء ولا يتوقع شيئاً، وسيبره ويبهجه بالطبع أن يأخذ أي شيء يُقدم له، وكلما زاد العطاء، كان أفضل، لكنه لا يطلب شيئاً، وإذا لم يتوقع المرء شيئاً ولم يطلب شيئاً، فإنه لن ينخدع أو يخيب رجاؤه أبداً، فالألم لا يتأتى عن الحب إلا إذا كانت للحب تطلعات ومطالب" (بوسكاليا، 1996: 122-126). كما يعرف الحب بأنه الميل أو التجاذب أو التعلق بشخص ما، ذلك الذي يجعل المحب مشدوداً وكأنه بلا إرادة وبقوة هائلة إلى الطرف الآخر، والاهتمام به وحب النظر إليه واستحسانه والتعلق به وافتقاده والسعي إلى ملازمته والقرب منه والاستئثار به وتملكه في علاقة هدفها وغايتها الحصول على السعادة بتحقيق ذاتها وذات المحبين. والحب أولى درجات الإعجاب، فالمودة، ثم المحبة، فالهوى،



يليه العشق ثم الوله وهى منزلة تقرب من الجنون (أبو أحمد، 2003: 13) الحب اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع، وهو سر التمازج والتباين في المخلوقات، وهو رابطة تربط بين الأضداد، وقوة لا يمكن مقاومتها، وهو الميل لشخص دون غيره. والحب عاطفة جياشة عندما تسيطر على العقل تشل مقاومة المرء الجسدية. ولقد اهتم المعجم الغربي كثيراً بالموضوع اهتماماً مميزاً، ف "الحب" في معجم "روبير الكبير" عدة أصناف: فهو أولاً إحساس sentiment يأخذ أشكالاً متعددة، منها: حب الله أو الحب الإلهي، وحب الإنسانية، و"الحب" العائلي الأسري، وحب شخص لآخر لرغبة جنسية، أو حباً مادياً أو فيزيائياً. وتشخص آلهة الحب "كيوبيد" في الثقافة اليونانية على أنها حاملة قوساً ترمي به من تختاره للدخول في مملكة الحب، وهي دائماً معصوبة العينين للدلالة على أن "الحب" أعمى لا ينظر، وللدلالة على أنه يعني غياب العقل عندما يستحكم "الحب". وإلى جانب ذلك هناك حب شيء، أو أمر، أو حب الذات وهي الأنانية والحب في التحليل النفسي يعني حفظ البقاء وإشباع الدافع الجنسي، وأنه مرتبط بغريزة الحياة. بيد أن مفهوم الحب لم يعد ينحصر في إشباع الدافع الجنسي فقط، وإنما عمم ليشمل كافة أنواع الحب الإنساني في سائر مجالات الحياة؛ فهناك حب الوالدين، وحب العقيدة، وحب الإخوة، وحب الأقارب وحب الأصدقاء، وحب الوطن وحب الفضيلة، وحب الزوجة وحب الأولاد، وحب الخير والحق والجمال، وحب الأمانة، وحب العمل، وحب البشرية الخ... والحب نقيض الكره، ونحن عادة ما نكره الذين نفشل في نيل حبه، أو نتمنى أن نحصل على حبه. وقد يؤدي الفشل في تحقيق حب متبادل بين شخصين أو جماعتين إلى نشر كل طرف لعيوب نقيضه وانتقاده ونعته بكافة الألفاظ والتعبيرات التي تعكس تعصبه وحقده، وممارسة كل ما يعكس تجاهله والتقليل من شأنه. وعلى هذا الأساس فإنه ما أن نذكر لفظ "الحب"، حتى يتبادر لذهننا لفظ "الكرهية".

ماهية الكراهية: لإدراك أعمق للأبعاد الدلالية لقيمة "الحب" يلزم مقابلته بنقيضه وهو "الكرهية".

وتعني "الكراهية" في الفرنسية: إحساس عفيف يدفع إلى الرغبة في إحداث الأذى بشخص ما مع التلذذ بذلك، والتلذذ بالذي يقع به. فالكراهية تعني الرغبة في تحقيق الأذى، وهي عادة ما تكون مرتبطة بحالة نفسية تعوض نقصاً وتغيب الإرادة. وقد تتحقق الكراهية برغبة إرادية في تحقيق لذة؛ أي إن صاحب هذه "الكراهية" يتلذذ بكراهية الآخرين أو من يكنها لهم، أو يحقق لذة أخرى منقولة إلى مجال آخر لا تتحقق إلا بـ "الكراهية"، كتحقيق مصالح اقتصادية.

والكراهية في لسان العرب في مادة كره: «ذكر الله عز وجل الكره في غير موضع من كتابه العزيز. وقد أجمع كثير من أهل اللغة على أن الكره والكُره لغتان، فبأي لغة وقع فجانز، إلا "الفراء" فإنه زعم أن الكُره ما أكرهت نفسك عليه، والكُره ما أكرهك غيرك عليه. وقال سبحانه وتعالى: "كتب عليكم القتال وهو كره لكم"، ولم يقر أحد بفتح الكاف فيصير الكره، بالفتح، فعل المضطر، والكُره، بالضم، فعل المختار. ابن سيده: الكُره الإباء والمشقة تكلفها فتحتملها، والكُره، بالضم، المشقة تحتملها من غير أن تكلفها. والكريهة النازلة والشدة في الحرب، وكذلك كرائه نوازل الدهر. وذو الكريهة السيف الذي يمضي على الضرائب الشداد لا ينبو عن شيء منها.

الكراهية خلاف الرضا والمحبة، يقال: كَرِهْتُ الشَّيْءَ أَكْرَهُهُ كِرَاهَةً وَكِرَاهِيَةً، فهو شيءٌ كَرِيهٌ ومَكْرُوهٌ. والكُرهُ الاسم. ويقال: بل الكُرهُ: المشقَّة، والكُرهُ: أن تُكَلِّفَ الشَّيْءَ فتعمله كارهاً. ويقال: من الكُره الكِرَاهِيَّة والكِرَاهِيَّة وأكْرَهُهُ على كذا: حملته عليه كَرْهاً. وقال ابن عاشور: (الكُره: الكِرَاهِيَّة ونفرة الطَّبَعِ مِنَ الشَّيْءِ، ومثله الكُره على الأصحح)، (رواه الألباني، في صحيح الترمذي: 2060).

وقد اختلفت الثقافات في تعريف الكراهية، ولكن هناك تقاطع بينها. ففي التعريف العربي للكراهية هناك تقاطع مع التعريف الفرنسي مثلاً للكراهية منها، أن الثقافة العربية تنظر للمكروه على أنه شر، وهو كذلك لأنه يوجد في الطرف المناقض لكل محبوب، لأن المكروه ضد كل محبوب، فأين هذا من دلالة إلحاق الأذى والتلذذ بذلك؟ وقد يقول قائل آخر: إنما المعنى القريب

هو البغض وهو ضد "الحب" أو نقيضه. والبغضاء والبغاضة جميعاً شدة البغض، والمباغضة تعاطي البغضاء. والتباغض: ضد التحاب. وللكرهية جذورها التاريخية، وهي تعكس طبيعة الوعي الجمعي؛ ففي اليونان القديمة قسم الناس إلى طبقتين: طبقة الأحرار لها كل الحقوق، وطبقة العبيد التي تحرم من كل الحقوق، كما قُسمت الشعوب إلى غالبية ومغلوبة. وأما في الحضارة الرومانية فقد كانت حضارة قائمة على القوة العسكرية، ومنطلقة من فكرة أن القدر قد اختار الرومان للسيطرة على بقية الشعوب والأجناس. وقد أيدت في الحملات الإمبريالية وما رافقها شعوب وحضارات وثقافات، مثل حضارتي الأزتيك والأنكا. وقد حدث ذلك بسبب عامل التفاوت الحضاري، وعامل "الكرهية" الذي كانت تحفز الإنسان الأوروبي على تعامله بوحشية مع قيم ثقافة تختلف عن ثقافته التي تعلي من قيمة الإنسان الأبيض وترسخ فكرة وجوده في مركز الكون وتقوّه على باقي الشعوب والأعراق والحضارات، وتبخس بالمقابل الإنسان الملون. وهناك الكراهية المرتبطة بالنازية القائمة على كراهية النازي للأعراق غير الآرية على اعتبار أن العرق الآري عرقاً نقيماً وذلك بعكس الأعراق الأخرى التي يتوجب أن تُباد عن بكره أبيها من أجل الحفاظ على صفاء العرق الآري. وعلى هذا النحو ظهرت فلسفة التطهير العرقي التي تركز على قيمة "الكرهية" في مجتمعات عدة، وأعطتها معناها المتداول لتبرير سياسات مبطنة ثقافية واقتصادية وغيرها.

#### أسباب الوقوع في البُغض والكرَاهية:

- 1) الغيبة والنميمة من الأسباب الرئيسة للكرَاهية والبغضاء والنشاحن. قال بعض الحكماء: (النميمة تهدي إلى القلوب البغضاء، ومن واجهك فقد شتمك، ومن نقل إليك فقد نقل عنك، والساعي بالنميمة كاذب لمن يسعى إليه، وخائن لمن يسعى به).
- 2) الكذب والغش؛ فإنه يترك أثر الكراهية بين الغاش والمغشوش.

- (3) قسوة القلب والغلظة والفظاظة: فهذه الأخلاق تنفّر بين القلوب، وتشيع الكراهية والبغضاء. قال تعالى: وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [آل عمران: 159].
- (4) التجسس: فالتجسس سبيل إلى الكراهة والبغض بين الناس. قال ابن عثيمين: (التجسس أذية، يتأذى به المتجسس عليه، ويؤدي إلى البغضاء والعداوة).
- (5) الغيرة: قال ابن القيم: (إنّ الغيرة تنضمّن البغض والكراهة)، (مركز الفتوى (28-2-2001)).
- (6) عدم العدل عموماً سببٌ من أسباب البغض، فعدم العدل بين الزوجات يوّد الحقد والكراهية بين الزوجات، وبين الزوج وزوجاته، وعدم العدل بين الأبناء يوّد الشّحناء والبغضاء، وتسود بينهم روح الكراهية.
- (7) التّعدي على حقوق الإنسان بأي نوع من أنواع التّعدي.
- (8) الاستنثار بالمنافع، وعدم إعطائها لمن يستحقّها.
- (9) الجدل والمرء: حيث يورث البغضاء والكراهية.
- (10) الخيانة وعدم الأمانة.
- (11) الكبر سببٌ من أسباب البغض، فالمتكبر يبغض الناس ويبغضونه.
- (12) الحسد من أهم وأقوى الأسباب التي تُثير البغض بين الناس.
- (13) كثرة العتاب واللوم، ومن أمثال العرب: (كثرة العتاب توجب البغضاء)، (رواه الألباني، في صحيح الترمذي، عن عبد الله بن عباس، الصفحة أو الرقم: 2060، صحيح).
- آثار البغض والكراهية: 1) سببٌ في الوقوع في الافتراء والبهتان على الناس، والثّامل عليهم عند الخصومة.
- (2) يتولّد عنه الحقد الشّديد للمبغوض.
- (3) يتسبّب في انتشار بعض الأمراض الاجتماعيّة الخطيرة التي تفتك بالمجتمع وتهدّد لُحمته وتماسكه، كانتشار الإشاعات المغرضة، والثّحاسد والثّنافس غير المحمود.

4) سبب في فقدان الأمن والأمان في المجتمع؛ فإذا سادت الكراهية والبغضاء، أحس الفرد أنه يعيش في غابة بين وحوش يتربصون به، ويتحيتون الفرص لأذيتته، فيعيش في قلق دائم لا ينتهي.

5) يتسبب في فقدان الحب في المجتمع الواحد، بل في العائلة الواحدة.

6) بسببه تضع الثقة بين أفراد المجتمع، فلا تكاد تجد أحداً يثق في أحد.

7) انتفاء العدل في المجتمع المتباغض، ولهذا قيل للعدل: هو الذي إذا غضب لم يُدخِله غضبه في باطل، وإذا رضي لم يُخرِجه رضاه عن الحق.

8) البُغْض يتسبب في سوء الخُلق، يقول الماوردي: (البُغْض الذي تنفر منه النَّفس فتُحْدِث نفوراً على المَبْغُض، فيؤول إلى سوء خُلق يخصه دون غيره) (ابن منظور، 1414هـ: 148).

**ثقافة الكراهية:** عندما تترسخ الكراهية في مجتمع ما، فإنها تتحول إلى ثقافة يتوارثها الخلف عن السلف. فقد يشب الابن كارهاً لعمه أو خاله أو أخيه أو جاره لا لشيء إلا لأن والد هذا الابن يكره أحد أولئك الأفراد. وعندما تترسخ الكراهية، فإنها تصبح أسلوب عيش، حيث يسلك الكاره سلوكات معينة تعزز كراهيته لمن يكره، فتراه يتفادى التفاعل معه، وعدم الترحيب به إن قابله في مكان ما، وعدم الجلوس بمجلسه، والنظر إليه نظرة ملؤها البغض والحقد والحسد، وسرد عيوبه، ونشر الإشاعات المغرضة حوله، وتفسير الناس منه، والتقليل من قدراته وتهميش نجاحاته، ونعته بألفاظ تصوره هيأته أو خلقته، وبخله وغبائه، وإطلاق النكات الساخرة حوله، ومصادقة أعدائه، وفعل كل ما يحول دون تحقيقه أهدافه، والكيد له.

على هذا النحو تدمر الكراهية الحياة الاجتماعية في شكل حرب أهلية وعنف متبادل بين كافة الفئات الاجتماعية. وقد غدت وسائل الإعلام عاملاً من عوامل تغذية روافد الحقد والدعوة إلى نشر خطابات الكراهية، كما أصبح التطرف الفكري والجمود المعرفي من العوامل المغذية للكراهية. وتنتشر اليوم موجات الكراهية المرتبطة بالنوع والعرق ودرجة التحضر والدين وبين دول

الشمال والجنوب وبين البيض والسود، وبين الفقراء والأغنياء. ولذلك أسهمت ثقافة العنف في إزهاق الأرواح، حيث يموت الآلاف من البشر بسبب التناحر على الثروة والنفوذ وبسبب التطرف الديني والصراع بين الحضارات، ما يهدد الحياة على كوكب الأرض، وهو ما تؤكد تلك الحروب الدامية في سوريا والعراق وليبيا واليمن وبورما، وفلسطين. ويلاحظ اليوم أن العنف منتشر بشكل كبير بكافة أنواعه؛ فهناك العنف الاجتماعي والعنف الأسري والعنف المدرسي، والعنف السياسي، والعنف الصحي، والعنف الكروي، والعنف الجندي، والعنف المؤسسي، والعنف المرئي، وهو عنف تتوارث ثقافته بين الأجيال ما رسخ الكراهية بكافة تجلياتها. وفي كل حالات العنف يلحظ أن جرثومة الحقد هي التي تنخر في جسد المحبة والألفة، لينتشر العنف والكراهية. فالحقد هو المحرك للعنف الرمزي والمادي. وغدت الشتائم المعبرة عن الكراهية تطال كل الفئات الاجتماعية، وتطال المعتقدات الدينية والوطن والمواطنين والشرف ما يدفع البعض إلى الاقتتال بكل وسائل القتال المتيسرة. كما يلحظ أن هناك ثقافة رمزية تبجل العنف والكراهية في شكل رسومات تعبر عن القوة والبطش والتشفي وتحرض على الانتقام، ناهيك عن حمل السيوف والأسلحة والسكاكين والهروات والمطاوي ونحوها التي تزين للعنف وتحرض عليه. وتقود الكراهية بشتى صورها إلى التهميش والإقصاء والحرمان من الحقوق تحت أي مبرر، كما تأخذ شكل نشر الإشاعات ضد المكروه بغية تشويه سمعته، والتجهم في وجهه عند رؤيته، وكراهية أقاربه ومعارفه، وتمني الهلاك له، والنقليل من كفاءته، ولومه على كل الأخطاء التي تحدث في محيطه، ومقاطعته، والتضايق عند مقابلته، واستغلاله، وعدم الحضور بالمكان الذي يوجد به، والاستعانة بخصومه لتدميره، وتتبع عوراته، وإشعاره بالدونية وقلة القيمة. وكل أنواع الكراهية السالفة الذكر يتم غرسها في النشء عبر التنشئة الاجتماعية، فيشب الأبناء حاقدين على من يحقد عليهم آبائهم. على هذا النحو تنتشر وتتفاقم ثقافة الكراهية. بيد أن الحقد والكراهية مهما كانت مبرراتهما يصنعان الإحباط، حيث يصبح الإنسان مُحبطاً مهماً كانت شخصيته قوية ومُتزنّة. ولذلك فإن الإحباط

عادة ما يقود إلى الانتحار. وهناك من ينتحر بإساءة استعمال المخدرات، فبدافع الحقد يستقطب أكبر عدد ممكن من الضحايا بغية الانتحار الجماعي في المخدرات، وهناك من ينتحرن بالدعارة، وبالحدق أيضا يجذب الصبايا لدفعهن للانتحار الجماعي في البغاء. وبالحدق ينتحر بعض الشباب في دوامة العنف. والحدق هو الذي أخرج إبليس من الجنة، وهو الذي دشّن أول جريمة دموية مهولة في التاريخ البشري عندما قتل قابيل أخيه هابيل.

**الحدق كمظهر من مظاهر الكراهية:** الحدق لغة: قال ابن منظور: الحدق إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها. واصطلاحاً: طلب الانتقام وتحقيقه. وقيل: هو سوء الظن في القلب على الخلائق لأجل العداوة.

**ومن مرادفات الحدق:**

- الضغينة: وهي الحدق الشديد أو الحدق المصحوب بالعداوة.
- النقمة: وهي الكراهية التي تصل إلى حد السخط.
- الغل: وهي الحدق الكامن في الصدر.

**خطاب الكراهية:** لقد صار اليوم العالم قرية واحدة بفضل تقدم وسائل الاتصال والمواصلات، فضلاً عن أن أمريكا تسعى إلى أمركة العالم وصبغه بالصبغة الثقافية الغربية، وإلغاء الدولة الوطنية وطمس أيديولوجيات الشعوب الأخرى ما أثار حفيظة هذه الشعوب. حيث ظهرت الحركات الأصولية الدينية في سائر المجتمعات، وهي أصوليات يطالب بعضها مثلاً بالعودة للدين ومحاربة مشروع الآخر الكافر. ولا يخلو أي مجتمع من المتطرفين دينياً الذين يتنكرون لوجود الآخر. فالمتطرفون اليهود مثلاً يعملون بقوة لإبادة الشعوب الأخرى. وتعد الصهيونية العالمية دعوة أصولية تستهدف تحقيق أهداف مبيتة وهي العودة إلى أرض الميعاد. وحتى يتحقق لها هذا الهدف، فإنها تستعمل كل الأفعال غير الأخلاقية لتحقيق هذه الغاية مثل كراهية أعداء المشروع حسب ادعائهم. وقد وجدت هذه الأصولية تعزيزاً كبيراً في أصولية أخرى هي أصولية

"المحافظين الجدد" في أمريكا الذين لا يخفون دفاعهم عن مرجعية دينية مسيحية لا ترى مانعاً في التحالف مع الصهيونية العالمية من أجل التمهيد لعودة السيد المسيح إلى أرض الميعاد. وليس من الصعب إدراك أن عداً خفياً يحكم هذا التحالف. لكن شروط المرحلة تفرض مغازلة هذا الطرف للطرف الآخر من أجل التعاون على القضاء على عدوهم الموحد كالإسلام مثلاً. وكل أنواع الصراعات المتطرفة، وتحت أي مبرر، من شأنها إذكاء نار "الكراهية" التي تشغل البشر بمشكلات هامشية وتلهيهم عن القضايا الكبرى المرتبطة بمصيرهم الإنساني ككل مثل التصدي لظاهرة التصحر والتلوث البيئي، والفقر وشح الموارد والانفجار السكاني. وتتمثل أشد خطابات الكراهية في ذلك الخطاب الذي يعطي للآخر مبررات التحامل على مقومات الهوية، ويعطيه مبررات إظهار "الكراهية" على الأقل فيما يتعلق بقضايا تتصل بهوية الكافر أو المكروه، ووجوب الجهاد، والتفوق الأخلاقي الذي يستمد مشروعيته من الدين، واعتبار أن أخلاق الآخرين لا ترقى إلى مستوى الخلق الديني. وكل هذه الخطب المحرصة على الكراهية لا شك أنها تثير حفيظة الآخر. وقد أدت الخطب الدينية المتطرفة في سائر الأديان إلى تهميش الأديان والثقافات الأخرى، والحث على تدميرها. وهناك اليوم دعوة إلى بعث العداة التقليدية بين الشرق والغرب، وبين دول الشمال ودول الجنوب، وتعزيز الصراع بين الحضارات، والنظر مثلاً إلى أن الدين الإسلامي على أنه عصي عن التغيير، وأن صدام الإسلام والحداثة أمر لا مفر منه.

**الحسد كمظهر من مظاهر الكراهية:** الحسد من أكثر الأمور التي اختلف عليها الناس، فمنهم من ينكرونه تماماً، ومنهم من يؤمن بأنه الأصل في أي من الأحداث التي تصيبه في الحياة، بيد أن المؤكد أنه من أسوأ المشاعر التي قد يحملها إنسان لأخيه الإنسان. والمؤكد أيضاً أن الله هو المنحكم في مصير البشر وأقدارهم، وكل ما يحدث في الحياة إنما هو شيء قدره الله لنا منذ خلقنا.

**معنى الحسد في اللغة وفي الاصطلاح:** الحسد كلمة مشتقة من المصدر حسد، وحسده يحسده



حسداً، وهو يعني أن يقوم شخص بتمني زوال نعمة من شخص آخر لكي تصير عنده هو. وأحياناً يكون تمني شخص أن تزول النعمة من عند شخص آخر أو من عند باقي الناس ليس لتذهب إليه، ولكن لمجرد عدم تمتع الآخرين بها. ولذلك يمكن تلخيص معنى الحسد في أنه تمني زوال النعم (ابن منظور، 1414هـ).

**الحسد في الاصطلاح:** هو تمني زوال النعم من الناس لكي يقوم بامتلاكها هو (الجرجاني، 1983).

**علامات وجود الحسد:** من الممكن معرفة التعرض للحسد من خلال مجموعة من العلامات التي تساعدنا في التقريب بين حدوث الحسد أو وجود تفسير علمي ومنطقي للأحداث، ومن بين هذه العلامات نذكر الآتي: (إسلام ويب، أطلع عليه بتاريخ 24-2-2017. بتصرّف):

- وجود مشاكل عائلية لا أسباب لها: قد يتعرض البعض للعديد من المشاكل الاجتماعية دون وجود أسباب منطقية لذلك، كأن تتعرض أسرة مستقرة الحال وجميع أفرادها على توافق تام إلى خلافات بينها لأسباب تافهة، أو يكون الزوجين معتادين على حياة طيبة خالية من التعقيدات والمشاكل المادية، وفي نفس الوقت يكونا على علاقة جيدة قوامها المشاركة والاتفاق، ولكن وفي برهة، قد تتقلب الأمور دون سبب واضح إلى مشاكل يستعصى فهم أسبابها، وقد أوضح الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حديثه الشريف كيف أن للحسد دور كبير في حدوث المشاكل في حياتنا، فقال في حديثه (صلى الله عليه وسلم) "العَيْنُ حَقٌّ تُدْخِلُ الْجَمَلَ الْقِدْرَ وَالرَّجُلَ الْقَبْرَ" (رواه الزرقاني، في مختصر المقاصد: 675). وقد ثبت أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتعوّذ من العين والحسد، ويُعيذ أهله وأسرته منهما في مواضع عديدة، ومن ذلك ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعُوذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، بِقَوْلِهِ: أَعِيذُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ)، (رواه الألباني، في صحيح الترمذي).

- وجود أعراض مرضية دون سبب علمي أو طبي:

من الممكن ظهور أعراض مرضية أو جسدية، بينما تثبت التشخيصات الطبية عدم وجود أمراض واضحة لهذه الأعراض، أما الأمراض التي تمت معرفة الأسباب الطبية لها، فيمكن علاجها بالأدوية وبوسائل متعددة، وذلك بعد إثباتها بالتحاليل والفحوصات. وأما أمراض الحسد فلا يمكن إيجاد سبب علمي لها، ومن ثم فإنه من الصعب علاجها بالوسائل والطرق العلاجية المعتادة.

الفرق بين العين والغبطة والحقد والحسد: الحقد والعين والغبطة من الألفاظ التي يعتقد البعض أنها تحمل نفس معنى الحسد، ولكن في الحقيقة فإن هذه الألفاظ تختلف في مضمونها عن معنى كلمة الحسد. وهناك فروق بينها وبين الحسد، ومن بينها الفرق بين العين والحسد: الشخص صاحب العين، أو ما يطلق عليه "العائن" هو من يقوم بحسد ما يراه أمامه مباشرة، مما يلحق الضرر بالأشياء التي يراها فيتمنى زوالها من صاحبها، ومن الممكن أن يتمنى العائن زوال النعمة من شخص لا يعرفه، فقلبه غير السوي ونفسيته المريضة تتمنى زوال النعمة من الجميع (علي بن نايف، 2011: 44-46).

- أما الشخص الحاسد، فهو الذي يحمل حقداً وضغينة لصاحب النعمة، لذا فهو يتمنى أن تزول منه، أو يتمنى أن تزول النعمة من كل الناس.

الفرق بين الحاسد والحاقد:- الشخص الحاقد هو الشخص الذي يحمل بداخله كراهية لشخص آخر. وقد تكون هذه الكراهية مبنية على أسباب وخلافات كثيرة، وقد يكون الطرف الآخر سبباً في تكوين الضغائن والكراهية عند المحيطين به.

- وأما انتقال مرحلة الحقد والكراهية لدى الشخص إلى تمنى زوال النعمة من الشخص الآخر نتيجة لكراهيته له، أو لأنه يريد رؤيته في حالة مزرية من التعب والألم، ففي هذه الحالة يكون الحسد.

- يمكننا القول إن الحقد يعد هو الخطوة الأولى في اتجاه الحسد، (إسلام ويب، 2011).

- الفرق بين الغبطة والحسد: الغبطة هي عكس كل المعاني السابقة، وهي لا تعد من المشاعر المحرمة أو المكروهة، فهي شيء طبيعي لدى كل البشر، والغبطة هي تمنى أن يمنحك الله الفضل والنعمة مثلما منحها للآخرين دون زوالها منهم، كأن ترى مثلاً أن أحد الجيران لديه مال وأولاد وأنت لا تمتلك مثله، فوفقتها تتمنى من الله أن يمنحك أنت الآخر المال والولد، لكن دون أن يزيلها من عنده، بل تتمنى أن يبارك له فيها وهي على عكس الحسد تماماً، (إسلام ويب، 2-4-2011).

ذكر الحسد في القرآن الكريم: الحسد من الأمور التي ذكرت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة، وهذه بعض النصوص التي ذكر فيها الحسد: قال تعالى في كتابه العزيز: (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)، (سورة القلم، آية: 51)، حيث كان المشركون يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه من نبوة، وهو شيء لا يصل إليه بشر (الطبري، 2000: 564).

كذلك قال الله تعالى في كتابه العزيز (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)، (سورة الفلق، آية: 5). ويطلب الله في هذه الآية من عباده الاستعاذة من شر الحسد والحاسدين. وأما الحديث الشريف فقد جاء فيه عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: (كان النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا اشتكى رقاها جبريل - عليه السلام - بقوله: بِاسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ)، (رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن عائشة، الصفحة أو الرقم: 39، جزء4، حديث رقم: 1718)، وكذلك قوله - عليه الصلاة والسلام - من رواية عبد الله بن عباس: (العين حقٌ تستنزل الحائق)، والحايق هنا المقصود بها الجبل المرتفع الشاهق في العلو(رواه أحمد بن حنبل، في المسند، عن عبد الله بن عباس، الصفحة أو الرقم: جزء3، 125، حديث رقم : 2476).

الحسد وتأثيره على حياة الناس: يمكننا شرح تأثير الحسد على حياة الإنسان من خلال تعامل الإنسان نفسه مع فكرة الحسد، فعند إيمانه بالحسد، فقد يؤثر ذلك عليه سلباً بعدة طرق منها:

- يبدأ الإنسان في تغيير نظرته إلى الحياة، ويبدأ في التعامل مع أمور حياته بسلبية لأنه مؤمن بداخله أن كل شيء يحدث له يعتمد على الحسد.

- يبدأ التوهم في احتلال جزء كبير من حياة الإنسان؛ فهو يعزي أي ألم جسماني، أو أي خسائر مادية إلى وجود شخص يحسده.

- عند إيمان الإنسان بأن الحسد هو المؤثر الأساسي على حياته، يبدأ في التخلي عن المقاومة والبحث عن حلول خرافية لمشاكله، ويبتعد عن بحث العقبات التي تقابله بموضوعية، ويتوقف عن مواجهة ذاته بالحقائق، ويستسلم لأفكاره التي لن تحركه.

**التعصب كمظهر من مظاهر الكراهية:** يعد التعصب مظهراً من مظاهر الكراهية. ذلك لأن المتعصب عادة ما يحمل اتجاهات مع أو ضد موضوع ما بصرف النظر عن صحة أو خطأ هذا الموضوع. فالأب الذي يكره قريباً له مثلاً، ربما يكره أولاده هذا القريب تقليدياً له وسواء أكان والدهم على خطأ أم صواب. وفي التعصب عادة ما يتم رفض الجماعة الخارجية ونعتها بصفات دميمة تقلل من منزلتها، كما تعمم الكراهية على جميع أعضائها إن كرهت الجماعة الداخلية للفرد أحد أعضائها. فالتعصب تعميم للكراهية قد يسري على منطقة أو قبيلة أو مدينة بحالها عندما يتم نعتها بصفات وضيعة لاعتبارات معينة من قبل مناطق أو مدن أخرى.

**سمات الشخص المتعصب:** من هذه السمات:

- 1) الانتماء الشديد لأفكار وآراء جماعة معينة دينية كانت أم حزبية، أم طبقية أو رياضية دون أخرى، ويتجلى ذلك في عدم التنازل عنها حتى في ضوء الشواهد المنافية لذلك.
- 2) الإحساس بتفرد وسيادة جماعة التعصب، والنظر إلى الجماعات الأخرى على غير ذلك، والذي ينعكس على طبيعة العلاقة بين هذه الجماعات بما يتضمنه من عنف وعدوانية في شكل

الضرب والقتل والإيذاء البدني كالفنتنة الطائفية والتعصب الكروي، أو في صورتها اللفظية كالإهانة والتلفظ بكلمات جارحة أو استخدام النكات.

(3) عدم القدرة على إدارة الحوار مع الأفراد الآخرين المخالفين لجماعات التعصب، وعدم الاطلاع على كتبهم أو جرائدهم وأفكارهم.

(4) اعتناق الفرد لأفكار ومعتقدات بصرف النظر عن مضمون هذه الأفكار والمعتقدات، ونظرة تسلطية في الحياة مع معارضة المعتقدات التي تخالف معتقداته والجمود الذهني الذي يرتبط بطريقة في التفكير وفق أيديولوجية معينة بغض النظر عن مضمونها، والنظرة التسلطية للحياة وعدم تحمل الأشخاص الذين يعارضون المعتقدات الخاصة بأصحابها، والتسامح مع الأشخاص الذين يعتقدون معتقدات خاصة.

(5) التبرير الدائم للأحداث وللأمور الموائية والمضادة، والظهور الدائم بمظهر المتفوق، كما أن العكس هو الصحيح تماماً.

(6) المسايرة وسهولة الانسياق وراء أفراد الجماعة المنتمي إليها الفرد مع عدم القدرة على التحكم في النفس. فالشخص المتعصب في معالجته للأمور الاجتماعية يعد مجارياً مجاراة عمياء. حيث يتمثل التعصب هنا مع مختلف قيم واتجاهات الجماعة أو الجماعات التي ينتمي إليها، وينسحب هذا على التعصب العنصري وكافة أشكال التعصب الأخرى.

(7) التعصب كما يقول كرتش وكرتشفيلد (1948) لا يوجد في العادة إلا بين الشخصيات التي تعاني من السادية، وتعاني مشاعر العدوان والإحباط وحالات الهذاء "البارانويا". كما وجد "فيرنون" (1963) أن الأفراد الذين يتصفون بالتفكير النمطي الجامد يميلون إلى أن يتصفوا أيضاً بالتعصب والتسلط وعدم التسامح مع السلالات والأجناس والجماعات الأخرى. ويفسر "فيرنون" ذلك بالشعور بعدم الأمن الذي يطغى على تكوين الشخصية لديهم (ألبالي، 2003: 470).

وبناءً على ما سبق يمكننا أن نفسر الكراهية على أنها نوع من التعصب، فالفرد الذي يتعصب لقبيلته أو أسرته أو معارفه ربما يعمم كراهيته على أفراد أسر أخرى أو جماعة أخرى أو قبيلة أخرى أو فئة اجتماعية أخرى انطلاقاً من أنه يتعين على الفرد أن ينصر معارفه وإن كانوا ظالمين أو متحاملين على آخرين. ذلك لأن التعصب هنا يصم ويعمي صاحبه، ويحول دون رؤيته للحقيقة ولزيف ما يعتقد حتى وإن توافرت أدله على تعصبه الخاطئ. في الكراهية يؤيد المتعصب من يحبهم، ويكره خصومهم دون وجه حق. وفي الكراهية يسقط المتعصب لأسرته كل العيوب وأوجه القصور على أفراد الأسر الأخرى، ويتهمهم بالتحامل وممارسة ثقافة الكراهية تجاه أسرته، وقد لا يعترف الواحد منهم بأخطائه، ويبحث عن كيش فداء في الأسر المكروهة كي يريح نفسه المليئة بالحقد، ويجد تسوية أدبية لموضوع كرهه وتقوية علاقته بأسرته الحاقدة. على هذا النحو يصبح التعصب مرض الكراهية بامتياز.

**القالب النمطي كمظهر من مظاهر الكراهية:** القوالب النمطية عبارة عن "اتجاهات جامدة تستخدم للإشارة إلى المعتقدات والمدرجات التي توجد لدينا عن أعضاء قومية ما، أو ديانة ما، أو جماعة ما من جماعات الأقلية. وتأخذ القوالب النمطية شكل تصورات نحملها على فئات اجتماعية مثل: الملامح الجسمية، والسمات الشخصية والقدرات العقلية. وتتشأ القوالب النمطية نتيجة قيامنا بعملية التصنيف التي نصنف الناس وفقها بصفات اجتماعية مثل: حسن، ومحاييد، واجتماعي، ومتسامح، ومخلص في مقابل: سيء، وغير شعبي، ومتشائم، وغير اجتماعي، وسريع الغضب، أو نصفهم وفق صفات عقلية مثل: مثابر وخيالي وماهر وجاد في مقابل أحقق وغير خيالي وغير ذكي. ووفقاً للقوالب النمطية التي يتسم بها أفراد ما، يتكون اتجاهنا نحوهم. والقوالب النمطية تعمي الإدراك. حيث يرى الفرد ما يود رؤيته، وهو ما يخلق لديه نوعاً من أشكال العدوان والتعصب. فالقالب النمطي فكرة مبنية سلفاً بالإيجاب أو السلب، تحدد موقف الفرد من موضوع ما دون نقاش أو إعمال للفكر" (أميمن، 2007: 305).

يضع المتعصب إطاراً معيناً ضد الجماعة المتعصب ضدها على الرغم من خطأ ذلك في بعض الأحيان. والقالب النمطي تعميم مفرط عن خصائص جماعة أو أشخاص ينتمون لفئة اجتماعية معينة. فالفرد الذي يكره شخصاً ما ينتمي لجماعة معينة قد يعمم كراهيته لتشمل جميع أعضاء هذه الجماعة متناسياً الفروق الفردية بين هؤلاء الأعضاء. وعندما يخضع الفرد لقالبه النمطي يعز عليه تغيير صورته النمطية السلبية عن المتعصب ضدهم حتى ولو تبين له زيف مبررات تعصبه. ويكتسب الفرد قوالبه النمطية من محيطه المتمثل في أسرته ورفاقه أو جماعته التي ينتمي إليها أثناء عملية التنشئة الاجتماعية والعمليات التربوية. هذا وتتم عملية التتميط من خلال تحديد فئة من الأفراد وفق مبدأ التصنيف، ومن خلال إصاق مجموعة من الخصائص والسمات بهؤلاء الأفراد "العنونة"، ومن خلال إصاق هذه الخصائص بأي شخص ينتمي إلى هذه الفئة "التعميم". هذا وقد تبقى هذه الصورة النمطية خاصة بالفرد ولا تتحول إلى صورة جماعية إلا إذا شاركه في الاعتقاد بها عدد كبير من أفراد جماعته.

**الإجراءات المنهجية للبحث:** تركز الإطار النظري لهذا البحث على شرح وتفسير مفاهيم البحث، وهي التعريف بمفهوم الكراهية واللامعيارية ومظاهرها، وفيما يلي عرض لتلك الخطوات التي أتبع لتتفيذ الدراسة النهائية.

**أولاً) منهج البحث:** أتبع خطوات البحث الوصفي الذي يراد به الدراسة الوصفية التي تتضمن "جميع الدراسات التي تهتم بجمع وتلخيص الحقائق الحاضرة المرتبطة بطبيعة وبوضع جماعة من الناس أو عدد من الأشياء، أو مجموعة من الظروف، أو فصيلة من الأحداث، أو نظام فكري، أو أي نوع آخر من الظواهر التي يمكن أن يرغب الشخص في دراستها. ويرى Whitney أن الدراسة الوصفية هي التي تتضمن دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع (الشياني، 1975: 113).

وفي هذا البحث لن يُكتف بعرض نتائج البحث الميداني كما هي، وإنما سُنفسر النتائج المتوصل إليها في ضوء خبرة الباحثين ومعرفتهم بخصائص مجتمع البحث، وفي ضوء الأدب السابق الذي فسرت فيه مفاهيم البحث.

**ثانياً) مجتمع البحث:** لقد تكون مجتمع البحث من أعضاء هيئة تدريس يدرسون بكليات جامعة المرقب بمدينة الخمس ومن معيدين وطلبة يدرسون بالسنة التمهيديّة بالدراسات العليا خلال العام الدراسي (2018-2019م).

**ثالثاً) عينة البحث وخصائصها:** تقرر إجراء هذه الدراسة على عينة من أعضاء هيئة التدريس ومعيدين وطلبة يدرسون بالسنة التمهيديّة بالدراسات العليا من الجنسين ببعض كليات جامعة المرقب. وفيما يلي عرض لخصائص العينة، وذلك على النحو الآتي: **(1) توزيع المبحوثين وفق متغير اسم الكلية:**

تضمنت العينة مبحوثين يحاضرون أو يدرسون بكليات مختلفة، والجدول يعرض توزيعهم وفق متغير اسم الكلية.

الجدول (1) توزيع المبحوثين وفق متغير أسم الكلية

المجموع	إناث		ذكور		أسم الكلية
	%	ن	%	ك	
%24.0	%33.6	42	%17.1	30	الآداب
%16.3	%16.8	21	%16.0	28	العلوم
%16.3	%4.0	5	%25.1	44	الهندسة
%8.0	%9.6	12	%6.9	12	الاقتصاد
%3.0	%3.2	4	%2.9	5	الطب البشري
%7.7	%7.2	9	%8.0	14	القانون
%11.0	%8.8	11	%12.6	22	العلوم الشرعية
%13.7	%16.8	21	%11.4	20	التربية



300 (%100)	%100	125	%100	175	المجموع
---------------	------	-----	------	-----	---------

توضح بيانات الجدول (1) أن عدد أعضاء هيئة التدريس الذكور بلغ (175) أستاذاً ومعيداً وملتحقاً بالدراسات العليا، وبلغ عدد الإناث (125) بين أستاذة ومعيدة ودارسة بالدراسات العليا. ويلاحظ أن نسبة الذكور أعلى من نسبة.

(2) متغير المؤهل العلمي: سئل المبحوثون بهدف معرفة مستوياتهم التعليمية، وبيانات الجدول الآتي توضح ذلك.

الجدول (2) توزيع إجابات المبحوثين وفق متغير المؤهل العلمي

المجموع	إناث		ذكور		المؤهل العلمي
	%	ن	%	ك	
%6.3	%10.4	13	%3.4	6	دبلوم دراسات عليا
%2.3	%2.4	3	%2.3	4	دارس بالسنة التمهيدية
%20	%18.4	23	%21.1	37	معيد
%59.3	%54.4	68	%50.9	89	ماجستير
%19	%14.4	18	%22.3	39	دكتوراه
300 (%100)	%100	125	%100	175	المجموع

ويلاحظ من بيانات الجدول (2) أن حوالي خمس المبحوثين يحملون درجة الدكتوراه، وأن أكثر من نصفهم يحملون درجة الماجستير، وأن خمسهم معيدون، ويلاحظ أن نسبة الذكور الذين يحملون درجة الدكتوراه أعلى من نسبة الإناث.

(3) متغير تقدير نسبة انتشار الكراهية في المجتمع: سئل المبحوثون بهدف معرفة تقديرهم لنسبة انتشار الكراهية في المجتمع، وبيانات الجدول الآتي توضح ذلك.

الجدول (3) توزيع إجابات المبحوثين وفق متغير تقدير نسبة انتشار الكراهية في المجتمع

المجموع	إناث		ذكور		الكراهية
	%	ن	%	ك	
%65.3	%64.4	80	%66.3	116	موجودة
%31.7	%33.6	42	%30.3	63	موجودة إلى حد ما
%3	%2.4	3	%3.4	6	غير موجودة
300 (%100)	%100	125	%100	175	المجموع

ويتضح من بيانات الجدول (3) أن ما يقرب من ثلثي المبحوثين يرون أن نسبة الكراهية موجودة، وبين أقل من ثلثهم بقليل أن الكراهية موجودة إلى حد ما، وبينت نسبة قليلة جداً منهم أن الكراهية غير موجودة. ويلاحظ تقارب نسب تقديرات الذكور والإناث في إدراك وجود الكراهية بالمجتمع ما يعني أن المبحوثين ينتمون إلى خصائص مجتمع واحد على الرغم من اختلافهم في النوع.

**4) متغير إدراك تغير القيم الاجتماعية:** سئل المبحوثون بهدف معرفة مدى إدراكهم لتغير القيم الاجتماعية، وبيانات الجدول الآتي توضح ذلك.

الجدول (4) توزيع إجابات المبحوثين وفق متغير إدراك تغير القيم الاجتماعية

المجموع	إناث		ذكور		تغير القيم الاجتماعية
	%	ن	%	ك	
%76	%78.4	98	%74.3	130	موجود
%24	%21.6	27	%25.7	45	غير موجود
300 (%100)	%100	125	%100	175	المجموع

ويلحظ من بيانات الجدول (4) أن ما يقرب من ثلاثة أرباع المبحوثين يدركون تغيراً في القيم الاجتماعية، ويلحظ تقارب نسب الذكور والإناث في تقديرهم لتبدل القيم الاجتماعية ما يؤكد أنهم ينتمون لخصائص مجتمع واحد..

رابعاً) متغيرات البحث: (1) المتغيرات المستقلة الاسمية: وتمثلها المتغيرات المتعلقة بالخلفية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمبحوثين مثل متغير الجنس، والدرجة العلمية، والمؤهل العلمي، وتقدير نسبة إدراك الكراهية بالمجتمع، وإدراك تغير القيم الاجتماعية.

(2) المتغير الرتبي المستقل: ويتمثل في مقياس اللامعيارية.

(3) المتغير الرتبي التابع: ويتمثل في مقياس الكراهية.

خامساً) التعريف الإجرائي لمتغيرات البحث: (1) الكراهية: وتعرف إجرائياً بما تقيسه أبعادها الثلاثة وهي: الاتجاه نحو الكراهية، إدراك الكراهية، الاحتقار وتعميم الكراهية.

(2) اللامعيارية: وتعرف إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها المبحوث على مقياس اللامعيارية المستخدم في هذا البحث.

سادساً) وسيلة جمع البيانات: استخدم الاستبيان المقنن كوسيلة لجمع بيانات هذا البحث، وقد تكون الاستبيان من المجالات الآتية:

(1) القسم الأول: وتكون من تلك المتغيرات التي تتعلق بالخصائص الديموغرافية والعلمية للمبحوثين، مثل الجنس، والمؤهل العلمي، واسم الكلية، وتقدير نسبة انتشار الكراهية في المجتمع، وإدراك تغير القيم الاجتماعية.

(2) القسم الثاني: وتضمن مقياس الكراهية، وهو من إعداد د. عثمان علي امين (2017)، ويتضمن قياس اتجاهات المبحوثين نحو الكراهية، ذلك لأننا إذا عرفنا اتجاه المرء، يمكننا التنبؤ بسلوكه. ويتضمن المقياس (60) فقرة، ويُجاب عنها بالخيارات (موافق، موافق إلى حد ما، لا)، وتغطي الدرجات (3، 2، 1) على التوالي عند التصحيح. وعليه تتراوح درجة المبحوث على

المقياس بين (60-180) درجة، وتبلغ درجة المتوسط الفرضي للمقياس (120) درجة، ما يعني أن المبحوث يدرك انتشار مظاهر الكراهية في المجتمع متى بلغت درجته على المقياس (120) درجة فأعلى. وفقرات المقياس موزعة على ثلاثة أبعاد وهي: (أ) بعد الاتجاه نحو الكراهية، وتقيسه الفقرات ذات الأرقام (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 13، 14، 16، 18، 29، 51)، (ب) بعد إدراك آثار الكراهية، وتقيسه الفقرات ذات الأرقام (11، 17، 19، 23، 26، 27، 30، 31، 33، 36، 37، 41، 42، 43، 44، 45، 47، 49، 50، 53، 60)، (ج) بعد الاحتقار وتعميم الكراهية وتقيسه الفقرات ذات الأرقام (12، 15، 20، 21، 22، 24، 25، 28، 32، 34، 35، 39، 40، 46، 48، 52، 54، 55، 56، 57، 58، 59).

**3) القسم الثالث:** وتضمن فقرات مقياس اللامعيارية، وبلغ عدد فقراته (56) فقرة وبُجَاب عنها بالخيارات (كثيراً، قليلاً، لا) وتغطي الدرجات (3، 2، 1) على التوالي عند التصحيح، وعليه تتراوح درجة المبحوث على المقياس بين (56-168) درجة، وتبلغ درجة المتوسط الفرضي للمقياس (112)، ويحصل المبحوث على درجة عالية على المقياس متى بلغت درجته على المقياس (112) فأعلى.

**سابعاً) الخصائص السيكومترية لمقياسي البحث:** حرص معد المقياسين على ضرورة أن يمتعا بالشروط الآتية:

**أ) حساب الصدق الظاهري:** ينبغي أن يتمتع المقياس بالصدق الظاهري، ويمكن تقييم درجة الصدق الظاهري للمقياس من خلال التوافق بين تقديرات المحكمين. "ولهذا يكون الاختبار صادقاً ظاهرياً عندما يتفق أغلب المحكمين على أن الاختبار فعلاً يقيس للوهلة الأولى ما يود قياسه. بيد أن العكس صحيح أيضاً. ويتمتع الاختبار بالصدق الظاهري عندما تكون جميع فقراته على علاقة بالموضوع المراد قياسه. ولهذا يتعين على محكم الاختبار التبصر في مضمون كل فقرة أو سؤال من فقرات أو أسئلة الاختبار بكل دقة لكي يصدر حكمه على مدى علاقة الفقرة أو السؤال

بمحتوى المادة المقاسة" (أميمن، أبوشاقور، 2019: 351). ويتمتع مقياسا البحث الحالي بالصدق الظاهري لأن مضمون عبارات كل مقياس منهما يعكس بصدق الهدف الذي يقيسه. حيث يمكن للقارئ أو المجيب عن فقرات المقياسين أن يلمس بوضوح أنهما يقيسان مظاهر الأنومي أو اللامعيارية والكرهية.

**ب) صدق المحتوى:** يقصد بصدق محتوى الاختبار تلك العملية التي نقوم من خلالها "بفحص مضمون الاختبار فحصاً دقيقاً منتظماً لتحديد ما إذا كان يشتمل على عينة ممثلة لميدان السلوك الذي يقيسه. (أبو حطب وعثمان 1979: 95). يستهدف صدق المحتوى إذن معرفة ما إذا كان الاختبار قادراً على قياس مجال محدد من السلوك، أي قياس ما يزعم قياسه. وللتحقق من تمتع مقياسي البحث الحالي بصدق المحتوى، حرص معدهما على ضرورة تمثيل كل مقياس من مقياسي البحث الرتبين بعدد كبير من الفقرات التي تغطي السمة أو الخاصية المراد قياسها.

**ج) الصدق التكويني:** يعد صدق التكوين أو التركيب مفهوماً واسعاً ومركباً. ولذلك فهو يتأثر بذاتية الباحثين، ويخضع لهالة التقبل السطحي، فضلاً عن أن بعض الباحثين يخلطون بينه وبين صدق المحتوى. هذا وثمة عدة طرق لحساب صدق التكوين. ومن بين هذه الطرق: التغيرات التطورية، والارتباطات مع اختبارات أخرى، والتحليل العاملي، والاتساق الداخلي، والصدق التقاربي والتمييزي، وتأثير التدخل التجريبي. وللتأكد من مدى تمتع مقياسي الدراسة الحالية بالصدق التكويني، حسب اتساقهما الداخلي، وبيانات الجدول الآتي توضح ذلك.

جدول (5) يعرض قيم مصفوفة الارتباطات بين مقياسي البحث وأبعاد الكراهية

المقاييس والأبعاد	الاتجاه نحو الكراهية	إدراك آثار الكراهية	الاحتقار وتعميم الكراهية	الكراهية	اللامعيارية
الاتجاه نحو الكراهية	1.00	**0.420	**0.416	**0.781	**0.436
إدراك آثار الكراهية	**0.420	1.00	**0.875	**0.261	**0.949
الاحتقار وتعميم الكراهية	**0.416	**0.875	1.00	**0.302	**0.942
الكراهية	**0.781	**0.261	**0.302	1.00	**0.303
اللامعيارية	**0.436	**0.949	**0.942	**0.303	1.00

\* دالة عن مستوى 0.01  $n = 300$  ويلحظ من بيانات الجدول (5) أن مقياسي الكراهية واللامعيارية يرتبطان ببعضهما ارتباطاً دالاً عند مستوى 0.01، كما ترتبط أبعاد مقياس الكراهية بمقياس الكراهية ككل وبمقياس اللامعيارية ارتباطاً دالاً عند مستوى 0.01، ما يعني أن هناك عاملاً عاماً يربط بينها.

(د) حساب الاتساق الداخلي لمقياس اللامعيارية: يعني اصطلاح الاتساق الداخلي عند البعض درجة ارتباط فقرات وحدة القياس مع بعضها البعض. وهنا يستخدم هذا الاصطلاح لقياس درجة مأمونية وحدة القياس. ويستخدم البعض نفس الاصطلاح ليعني مدى اتساق الفقرة مع المفهوم العام أو المدى العام لوحدة القياس. ويُفترض في هذه الحالة أن تكون درجة اتساق الفقرة المتناسقة داخلياً مع مفهوم البعد العام لوحدة القياس عالية (التير، 1989: 195) ولحساب الاتساق الداخلي لمقياس اللامعيارية في هذا البحث، حسب ارتباط درجة الفقرة الواحدة للمقياس بالدرجة الكلية للمقياس، والجدول الآتي يوضح ذلك.

الجدول (6) معاملات ارتباطات درجة الفقرة الواحدة بالدرجة الكلية للمقياس

م	م	م	م	م	م	م	م
1	**0.450	15	**0.468	29	**0.497	43	**0.530
2	**0.201	16	**0.390	30	**0.321	44	**0.518
3	**0.242	17	**0.380	31	**0.395	45	**0.561
4	**0.445	18	**0.422	32	**0.299	46	**0.541
5	**0.508	19	**0.234	33	**0.425	47	**0.600
6	**0.493	20	**0.387	34	**0.425	48	**0.512
7	**0.455	21	**0.316	35	**0.531	49	**0.596
8	**0.536	22	**0.389	36	**0.477	50	**0.608
9	**0.320	23	**0.430	37	**0.507	51	**0.558
10	0.059	24	**0.513	38	**0.401	52	**0.502
11	*0.126	25	**0.433	39	**0.538	53	**0.461
12	0.049	26	**0.452	40	**0.505	54	**0.373
13	**0.407	27	**0.513	41	**0.539	55	**0.434
14	**0.341	28	**0.443	42	**0.510	56	**0.384

\*\* دالة عند مستوى 0.01 د.ح = 298

ويلحظ من بيانات الجدول (6) أن درجة كل فقرة من فقرات مقياس اللامعيارية ترتبط بالدرجة الكلية للمقياس بمستوى يتراوح بين (0.05، 0.01)، ما يعني أن هناك عاملاً عاماً يربط بينها باستثناء الفقرتين التي أرقامهما (10، 12)، حيث لم ترتبطا بالدرجة الكلية للمقياس.

هـ) حساب الاتساق الداخلي لمقياس الكراهية: حسب الاتساق الداخلي لمقياس الكراهية في هذا البحث عن طريق حساب ارتباط درجة الفقرة الواحدة للمقياس بالدرجة الكلية للمقياس، والجدول الآتي يوضح ذلك.

الجدول (7) معاملات ارتباطات درجة الفقرة الواحدة بالدرجة الكلية للمقياس

م	م-ر	م	م-ر	م	م-ر	م	م-ر
1	**0.363	16	**0.331	31	**0.621	46	**0.712
2	**0.489	17	**0.568	32	**0.591	47	**0.697
3	**0.267	18	**0.422	33	**0.581	48	**0.696
4	**0.476	19	**0.552	34	**0.634	49	**0.728
5	**0.407	20	**0.537	35	**0.526	50	**0.730
6	**0.490	21	**0.590	36	**0.585	51	**0.621
7	**0.489	22	**0.411	37	**0.647	52	**0.604
8	**0.521	23	**0.544	38	**0.596	53	**0.630
9	**0.628	24	**0.562	39	**0.588	54	**0.458
10	**0.561	25	**0.444	40	**0.550	55	**0.575
11	**0.589	26	**0.576	41	**0.570	56	**0.382
12	**0.554	27	**0.614	42	**0.679	57	**0.326
13	**0.389	28	**0.539	43	**0.671	58	**0.637
14	**0.521	29	**0.543	44	**0.712	59	**0.632
15	**0.302	30	**0.512	45	**0.700	60	**0.512

\*\* دالة عند مستوى 0.01 د.ح = 149

ويلحظ من بيانات الجدول (7) أن درجة كل فقرة من فقرات مقياس الكراهية ترتبط بالدرجة الكلية للمقياس عند مستوى 0.01 ما يعني أن هناك عاملاً عاماً يربط بينها. (و) **الصدق الذاتي**: يعرف الصدق الذاتي بأنه صدق الدرجات التجريبية للاختبار بالنسبة للدرجات الحقيقية التي خلصت من شوائب أخطاء القياس. وبذلك تصبح الدرجات الحقيقية للاختبار هي الميزان الذي ننسب إليه صدق الاختبار. وحيث إن الثبات يقوم في جوهره على معامل ارتباط



الدرجات الحقيقية للاختبار نفسها إذا أعيد إجراء الاختبار على نفس مجموعة الأفراد التي أجري عليها أول مرة، إذن فستكون الصلة وثيقة بين الثبات والصدق الذاتي. ويُقاس الصدق الذاتي بحساب الجذر التربيعي لمعامل ثبات الاختبار. فإذا كان معامل ثبات الاختبار = 0.64، فإن معامل الصدق الذاتي =  $0.8 = \sqrt{0.64}$ . وقد تمتع مقياسا البحث بالصدق الذاتي، حيث بلغ معامل الصدق الذاتي لمقياسي الكراهية، واللامعيارية على التوالي (0.922، 0.857)، وهي قيم مرتفعة وتدل على تمتع مقياسي البحث بالصدق الذاتي.

(ز) حساب معامل ثبات مقياسي الكراهية واللامعيارية: حسب ثبات مقياسي البحث بطريقتي ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية مصححة بمعادلة سبيرمان-براون، وبيانات الجدول الآتي توضح ذلك.

الجدول (8) حساب معاملات ثبات مقياسي الدراسة

بطريقة التجزئة النصفية		بطريقة ألفا كرونباخ	معاملات الثبات
قبل التصحيح	بعد التصحيح		
0.850	0.739	0.961	الكراهية
0.734	0.580	0.909	اللامعيارية

ويتضح من بيانات الجدول (8) أن معاملات ثبات مقياسي الدراسة بطريقتي ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية بعد التصحيح بمعادلة سبيرمان-براون مرتفعة ودالة عند مستوى 0.01، ما يدل على ثبات واتساق إجابات المبحوثين عن بيانات البحث.

**ثامناً) إجراء الدراسة:** بعد أعداد مقياسي الدراسة على النحو الذي تم عرضه، أعدت (300) استمارة لتوزيعها على المبحوثين، وتقرر توزيعها عليهم في فترات راحتهم وأثناء عدم انشغالهم بأية مهام، وتم توزيع الاستمارات عليهم بطريقة روعيت فيها تقريباً نفس الظروف عند إجراء الدراسة الميدانية عليهم بالكليات المختلفة. وقد روعي ضرورة التقيد بعدة تعليمات منها: أخذ الإذن من مسجل كل كلية خضعت للاختيار العيني، وإبلاغه بعدد المبحوثين المطلوب إجابتهم

عن بيانات الدراسة، ثم مقابلة المبحوثين في قاعات الدراسة أو بمكاتب أعضاء هيئة التدريس وفق تعليمات مسجل الكلية لتوزيع الاستمارات عليهم. وقد تضمنت التعليمات التي في صدر الاستبيان حث المبحوث على الإجابة عن بيانات الدراسة بكل صدق وموضوعية، وألا يكتب اسمه ضماناً لسرية المعلومات التي سيدلي بها، وكانت تُستلم الاستمارات في نفس اليوم الذي كانت تُوزع فيه على المبحوثين الذين لوحظ تحمسهم لموضوع الدراسة.

**تاسعاً) مراجعة الاستمارات وأعدادها للتفريغ:** بعد جمع البيانات تقرر مراجعة الاستمارات الواحدة بعد الأخرى للتأكد من صلاحيتها للتفريغ، والتأكد من أنها متكاملة في عددها وهو (300) استمارة، وبعد ذلك أعد دليل للترميز تم بموجبه تحويل البيانات الكيفية إلى بيانات كمية، وذلك بأن أعطيت عبارة (موافق) الدرجة (3) وعبارة (موافق إلى حد ما) الدرجة (2)، وعبارة (غير موافق) الدرجة (1)، وفُرغت البيانات على بطاقات خاصة، ثم أدخلت في الحاسب الآلي، وقد استخدم برنامج SPSS لإجراء العمليات الحسابية عليها.

**عاشراً) تصميم الجداول:** صُممت جداول لعرض بيانات المتغيرات المتعلقة بخصائص العينة والنسب المئوية لفقرات مقياسي البحث، كما صُممت جداول خاصة بعرض البيانات المتعلقة بالفروق بين المتغيرين.

**حادي عشر) شكل توزيع الظواهر المقاسة:** تقرر حساب معلمات مقياسي الدراسة، والجداول التالي يعرض هذه المعلمات.

الجدول (9) يوضح قيم الإحصائية لشكل توزيع الظواهر المقاسة

المعايير	المقاييس	الكمات
اللامعيارية	الكرهية	الحجم
300	300	المتوسط
149.72	141.2233	الوسيط
152	148	المنوال
154	156	الانحراف المعياري
12.36	24.1	التباين
152.8	580.281	الالتواء
-2.312	-0755	التفرطح
11.224	0.149	المدى
113	112	الأدنى
56	68	الأعلى
168	180	

وبالنظر إلى بيانات الجدول (9) يلحظ أن إحصاءات مقياس الكراهية تتوزع توزيعاً اعتدالياً، لأن الالتواء بالنسبة لشكل توزيع المقياس عبارة عن كسر من واحد صحيح ما يعني أن الظاهرة المقاسة تتوزع توزيعاً اعتدالياً، وأنه بالإمكان استخدام الإحصاء البارامتري أو اللابارامتري لتحقيق أهداف البحث. لكن كان التواء مقياس اللامعيارية أكبر من الواحد الصحيح، وكانت قيمة الالتواء سالبة، لأنه لم تتوزع الظاهرة المقاسة توزيعاً اعتدالياً، وهو ما يعني أن الذين يدركون انتشار اللامعيارية كظاهرة سلبية أعلى من الذين يدركون انتشارها بدرجة متوسطة. وفي هذه الحالة ينبغي استعمال الإحصاءات اللابارامتريّة للإجابة عن أسئلة البحث.

**ثاني عشر) الوسائل الإحصائية المستخدمة:** لقد استخدمت وبناءً على شكل توزيع الظواهر المقاسة الوسائل الإحصائية التالية: **(1) اختبار مان وتني:**

وإستخدم لحساب دلالة الفروق بين رتب درجات الباحثين على مقياس الكراهية واللامعيارية وفق بعض متغيرات الخلفية التي تتطلب الإجابة عنها بالاختيار من بين بديلين مثل متغير الجنس. وقد استخدم قانون اختلاف حجم العينتين آلياً. ذلك لأنه يمكن استخدام اختبار

مان وتتي لحساب دلالة الفروق بين رتب درجات المبحوثين بين عينتين كبيرتين (أميمن، 2015: 229).

**(2) اختبار كروسكال - وأليس:** يعد اختبار كروسكال - وأليس بديلاً لبارامتريا لتحليل التباين أحادي الاتجاه، وهو امتداد لاختبار (مان وتتي) لعينتين مستقلتين، وفيه يُجرى تحليل التباين على الرتب بدلاً من الدرجات الأصلية. ويُستخدم هذا الاختبار عندما يود الباحث تحديد ما إذا كانت ثلاث عينات مستقلة أو أكثر مستمدة من مجتمع واحد، واستخدم لحساب دلالة الفروق بين رتب درجات المبحوثات على مقياسي البحث وأبعاد مقياس الكراهية وفق متغيرات الخلفية التي تتطلب الإجابة عنها بالاختيار من بين ثلاثة بدائل فأكثر.

**(3) معامل ارتباط بيرسون:** واستخدم لحساب معامل ثبات وسيلة جمع بيانات الدراسة الحالية بطريقة التجزئة النصفية، ولحساب الاتساق الداخلي بين مقياسي البحث وأبعاد مقياس الكراهية.

**(4) النسب المئوية:** واستخدمت لحساب نسب تكرارات بيانات خصائص العينة، ولحساب نسبة عدد الذين أجابوا عن كل فقرة من فقرات مقياسي الكراهية واللامعيارية.

**(5) معامل ثبات كرونباخ ألفا:** واستخدم لحساب معامل ثبات مقياسي البحث.

**(6) الوسط المرجح:** وهو يستخدم لمعرفة أكثر الفقرات أهمية عند إجابة مبحوثين مثلاً عن فقرات استبيان ما (أميمن، 2015: 45). وفي هذا البحث استخدم الوسط المرجح لمعرفة مدى

إدراك المبحوثين لمظاهر كل بعد من أبعاد مقياس الكراهية، ولمظاهر مقياس اللامعيارية حسب شدة انتشارها أو إدراكها.

**عرض النتائج وتحليلها وتفسيرها:** فيما يلي عرض وتحليل وتفسير لنتائج البحث وذلك على النحو الآتي:

أولاً) إجابة السؤال الأول للبحث الذي مؤداه: هل متوسط درجات المبحوثين على مقياس اللامعيارية أعلى من المتوسط الفرضي للمقياس؟ وللإجابة عن هذا السؤال، حسبت بعض معلمات مقياس اللامعيارية التي يوضحها الجدول الآتي.

الجدول (10) حساب بعض معلمات مقياس اللامعيارية

المعاملات	المتوسط	المتوسط الفرضي	الانحراف المعياري	الوسيط	المنوال
	149.72	112	12.36	152.5000	154

وبالتأمل في بيانات الجدول (10) يلحظ أن متوسط درجات المبحوثين على المقياس أعلى من المتوسط الفرضي، ما يعني إدراك المبحوثين لانتشار مظاهر اللامعيارية في المجتمع. ثانياً) إجابة السؤال الثاني للبحث الذي مؤداه: هل متوسط درجات المبحوثين على مقياس الكراهية أعلى من المتوسط الفرضي للمقياس؟ وللإجابة عن هذا السؤال، حسبت بعض معلمات مقياس الكراهية التي يوضحها الجدول الآتي.

الجدول (11) حساب بعض معلمات مقياس الكراهية

المعاملات	المتوسط	المتوسط الفرضي	الانحراف المعياري	الوسيط	المنوال
	141.2233	120	24.1	148	156

وبالتأمل في بيانات الجدول (10) يلحظ أن متوسط درجات المبحوثين على المقياس أعلى من المتوسط الفرضي، ما يعني إدراك المبحوثين لشدة انتشار مظاهر الكراهية في المجتمع. ثالثاً) إجابة السؤال الثالث للبحث الذي مؤداه:

ما أكثر مظاهر اللامعيارية انتشاراً في المجتمع كما يدركها المبحوثون؟ وقد تمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال بيانات الجدول الآتي.

الجدول (12) توزيع إجابات فقرات مقياس اللامعيارية مرتبة وفق شدة حدتها

م	العبارة	كثيراً	قليلاً	لا	د.ح
42	هل تلحظ كثرة القيل والقال هذه الأيام؟	89.7	8	2.3	2.91
49	هل تلحظ أن الناس تقول شيئاً وتفعل شيئاً آخر؟	89.3	9	1.7	2.88
35	هل تلحظ كثرة مظاهر التملق والنفاق والكتب هذه الأيام؟	88.7	9.3	2	2.87
40	هل تلحظ كثرة الذين يحملون شهادة ولا يحملون علماً هذه الأيام؟	89	9.3	1.7	2.87

43	هل تلحظ كثرة انتشار الإشاعات هذه الأيام؟	88.3	9.7	2	2.86
33	هل تلحظ أن الفرد المناسب لا يوضع في المكان المناسب اليوم؟	86.3	12	1.7	2.85
52	هل تسمح بكثرة استيلاء الناس على الممتلكات الخاصة بالدولة هذه الأيام؟	87	11	1.3	2.85
53	هل تلحظ قلة التراحم والتواصل بين الناس هذه الأيام؟	85.7	12.7	1.7	2.84
54	هل تلحظ أن هناك فجوة كبيرة تفصل الناس عن مجتمعهم هذه الأيام؟	83.3	13	1.7	2.84
41	هل تلحظ سلبية الناس تجاه مجتمعهم؟	85.7	12	2.3	2.83
50	هل تلحظ كثرة مظاهر الغرر وخيانة الأمانة هذه الأيام؟	85.3	12.3	2.3	2.83
51	هل تلحظ كثرة العمل بمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"؟	84.7	14	2	2.83
45	هل تلحظ كثرة انتشار ظاهرة التنكر للجميل وقلة الوفاء هذه الأيام؟	84.3	13.7	2	2.82
48	هل تلحظ أن الكثيرين يخافون ولا يحجلون كما يُقال؟	85.7	10.7	3.7	2.82
29	هل ترى أن الناس تبهرها المظاهر ولو كانت زائفة؟	83.3	14.7	2	2.81
46	هل تلحظ كثرة انتشار مظاهر الحقد والكراهية والغل هذه الأيام؟	83	15.3	1.7	2.81
34	هل تلحظ تراجع أصحاب الفعاليات والقدرات ليحل محلهم غير الأكفاء؟	82	16	2	2.80
1	هل تلحظ انتشار البغضاء والكراهية هذه الأيام بشكل واضح؟	80.3	18	1.7	2.79
36	هل تلحظ كثرة مظاهر الحسد هذه الأيام؟	81.3	16	2.7	2.79
55	هل تلحظ كثرة تحرر شباب اليوم من كل ما هو تقليدي وقديم؟	81	17	2	2.79
18	هل تلحظ قلة الشعور بالأمن والأمان هذه الأيام؟	80.7	14.7	4.7	2.76
44	هل تلحظ ميل الناس لحياة العزلة والوحدة هذه الأيام؟	79.3	17.3	3.3	2.76
28	هل تلحظ أن القانون لا يطبق على الجميع بالتساوي؟	80.3	14.7	5	2.75
23	هل ترى أن الناس تقيم الفرد في ضوء ماله وثروته؟	78	18	4	2.74
15	هل تلحظ كثرة إقصاء الناس لأسرار بعضهم البعض؟	77	18.3	4.7	2.72
17	هل تلحظ أن كل فرد مهتم بحاله هذه الأيام؟	78.3	15.3	6.3	2.72
31	هل ترى أن ولاء الفرد لقبيلته أقوى من ولاءه لوطنه؟	75.3	21.7	3	2.72
47	هل تلحظ كثرة انتشار العنف الاجتماعي هذه الأيام؟	75.7	20.7	3.7	2.72
5	هل تلحظ ضعف العلاقة بين الأقارب هذه الأيام؟	73	25.3	1.7	2.71
39	هل تلحظ قلة القناعة هذه الأيام؟	77.7	16	6.3	2.71
27	هل تلحظ أن الناس تشيد العلاقات الاجتماعية المفيدة لهم فقط؟	74.3	21.7	4	2.70
26	هل تلحظ انحطاط الأخلاق العامة هذه الأيام؟	71.7	21.7	6.7	2.65
25	هل تلحظ تراجع تأثير القيم والمعايير والتقاليد الاجتماعية اليوم؟	69.3	25.7	5	2.64
37	هل تسمح بكثرة انتشار أعمال الشعوذة والسحر هذه الأيام؟	66.7	30.3	3	2.64
7	هل تلحظ ضعف العلاقة بين الجيران هذه الأيام؟	67	28.1	4.7	2.62
24	هل تلحظ ضعف الوازع الديني هذه الأيام؟	68	24.3	7.7	2.60
19	هل تلحظ أن ولاء المرء لأسرته بالدرجة الأولى اليوم؟	63.3	32.3	4.3	2.59
38	هل تلحظ كثرة ظموحات الفرد هذه الأيام؟	64	29.7	6.3	2.58

2.57	4.6	33.7	61.7	هل ترى أن أصدقاء الفرد عبر وسائل التواصل الاجتماعي أكثر من أصدقائه داخل مجتمعه المحيط به؟	32
2.57	3.3	32.7	62	هل تلحظ قلة تمتع الفرد بالضبط الذاتي هذه الأيام؟	56
2.55	7.7	29.3	63	هل تعتقد أن هناك صراعاً كبيراً بين كبار وصغار السن؟	4
2.55	9	27	64	هل يصعب على الفرد إيجاد من يدعمه عندما يكون في مشكلة مالية؟	9
2.55	4.7	35.3	60	هل تلحظ سيطرة الزوجات على الأزواج هذه الأيام؟	14
2.54	6	34.3	59.7	هل تلحظ ضعف العلاقة حتى بين أفراد الأسرة الواحدة هذه الأيام؟	6
2.53	9.7	27.7	62.7	هل تلحظ قلة الانتماء للوطن هذه الأيام؟	20
2.51	4.7	39.3	56	هل ترى أن ولاء الفرد لأصدقائه أقوى من ولاءه لأقربيه؟	30
2.48	4.7	42.7	52.7	هل تلحظ قلة مساعدة الأبناء لوالديهم في مرحلة الشيخوخة؟	16
2.45	8	39	53	هل تلحظ سيطرة الأولاد على الوالدين هذه الأيام؟	13
2.39	8.3	44.7	47	هل تلحظ ضعف العلاقة بين الإخوة الأشقاء هذه الأيام؟	8
2.38	6.7	48.7	44.7	هل تلحظ قلة التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة الواحدة هذه الأيام؟	22
2.33	9.3	48.7	42	هل تلحظ احتقار الثقافة الاجتماعية للمرأة مقارنة بتقديرها للرجل اليوم؟	21
2.29	6	59	35	هل تلحظ عطف الكبار على الصغار هذه الأيام؟	2
2.28	7.3	57.3	35.3	هل يجد الفرد من يشاركه أفراده هذه الأيام؟	11
2.13	11	64.7	24.3	هل يجد الفرد من يشاركه أحزانه هذه الأيام؟	10
2.02	19.7	59	21.3	هل تلحظ احترام الصغار للكبار هذه الأيام؟	3
1.83	40.7	35.7	23.7	هل يجد الفرد مساعدة في أعمال البناء ويجني ثمار الزيتون مثلاً هذه الأيام؟	12

توضح بيانات الجدول (11) أن أكثر مظاهر إدراك المبحوثين لمظاهر اللامعيارية تمثلها الأسئلة "هل تلحظ كثرة القيل والقال هذه الأيام؟"، هل تلحظ أن الناس تقول شيئاً وتفعل شيئاً آخر؟، هل تلحظ كثرة مظاهر التملق والنفاق والكذب هذه الأيام؟، هل تلحظ كثرة الذين يحملون شهادة ولا يحملون علماً هذه الأيام؟، هل تلحظ كثرة انتشار الإشاعات هذه الأيام؟، هل تلحظ أن الفرد المناسب لا يوضع في المكان المناسب اليوم؟، هل تسمع بكثرة استيلاء الناس على الممتلكات الخاصة بالدولة هذه الأيام؟، هل تلحظ قلة التراحم والتواصل بين الناس هذه الأيام؟، هل تلحظ أن هناك فجوة كبيرة تفصل الناس عن مجتمعهم هذه الأيام؟، هل تلحظ سلبية الناس تجاه مجتمعهم؟، هل تلحظ كثرة مظاهر الغدر وخيانة الأمانة هذه الأيام؟، هل تلحظ كثرة العمل بمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"؟، هل تلحظ كثرة انتشار ظاهرة التنكر للجميل وقلة الوفاء هذه الأيام؟،

هل تلحظ أن الكثيرين يخافون ولا يخجلون كما يُقال؟، هل ترى أن الناس تبهرها المظاهر ولو كانت زائفة؟، هل تلحظ كثرة انتشار مظاهر الحقد والكراهية والغل هذه الأيام؟، هل تلحظ تراجع أصحاب الكفاءات والقدرات ليحل محلهم غير الأكفاء؟"، وأما أدنى استجابات الباحثين على أسئلة إدراك مظاهر الكراهية، فتمثلها الأسئلة "هل يجد الفرد مساعدة في أعمال البناء وجني ثمار الزيتون مثلاً هذه الأيام؟، هل تلحظ احترام الصغار للكبار هذه الأيام؟، هل يجد الفرد من يشاركه أحزانه هذه الأيام؟، هل يجد الفرد من يشاركه أفراحه هذه الأيام؟، هل تلحظ عطف الكبار على الصغار هذه الأيام؟، هل تلحظ احتقار الثقافة الاجتماعية للمرأة مقارنة بتقديرها للرجل اليوم؟، هل تلحظ قلة التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة الواحدة هذه الأيام؟، هل تلحظ ضعف العلاقة بين الإخوة الأشقاء هذه الأيام؟.

وبتحقق هذه النتائج يلحظ أن أكثر مظاهر اللامعيارية تتمثل في انتشار الغيبة أو النميمة بين أفراد المجتمع، هذه النميمة التي قد تعبر عن الحقد والفتنة وتمزيق أو أضرار المحبة في المجتمع، وهي تعكس بالطبع حجم الكراهية في المجتمع. كما يدرك الباحثون تلك القيم التي تعبر عن النفاق والرياء؛ حيث هناك تناقضاً بين قول المرء وفعله وهو ما يدمر قيمة الصدق في المجتمع وينزع الثقة بين أفراد. وفي المجتمع اللامعباري عادة ما تنتشر قيماً مختلفة مثل انتشار الكراهية والنفاق والمداهنة والكذب، وهي قيم جديدة على المجتمع الليبي الذي كان ينعم بقيم كالصدق والانسقامة، وقد يرجع انتشار مثل هذه القيم المعنلة إلى التغيير الاجتماعي السريع، وإلى انتشار تلك القيم التي تبجل النجاح المادي والأنانية وتركز على شكل القيمة دون مضمونها، وتزين للزيف وتبني الانتهازية أو الميكافيلية. تؤكد النتائج المتحصل عليها أن أكثر الناس يركزون اليوم على شكل القيمة دون مضمونها، حيث قد ينال المرء شهادة بالغش، فيحمل شهادة ولا يحمل علماً وربما يكون ضرره أكثر من نفعه، بل وقد يكون خطراً هؤلاء أنصاف المتعلمين



على المجتمع أخطر من الأميين لأنهم يجيدون الزيف والمراوغة والخداع، وقد يغشون في أعمالهم فيما بعد، ما يضر بالمجتمع.

توضح البيانات الحالية أن هناك إدراكاً واضحاً لانتشار الإشاعات في المجتمع ولاسيما بعد الثورة المعلوماتية التي يشهدها العالم اليوم. حيث توظف وسائل التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك، والتويتر في نشر المعلومات المضللة وفبركتها. بيد أن نشر الإشاعات بأية وسيلة كانت اتجاه قيمي خطير؛ ذلك لأن الإشاعة وسيلة لبث الفرقة والكراهية والشك والحقد والغيرة، ما يمزق النسيج الاجتماعي للمجتمع. عندما تختل القيم والمعايير الاجتماعية تغيب السوية، وقد يصل البعض إلى أعلى المراتب دون وجه حق ما يثير حفيظة الأكفاء الذين ربما يتم إقصاؤهم أو تهмиشهم ما يزرع بذور الغيرة والكراهية في المجتمع. لذلك لا غرو أن تؤكد البيانات التي بين أيدينا على أن هناك ميلاً لوضع الأشخاص غير المناسبين لتولي مناصب حساسة في المجتمع. تؤكد البيانات الحالية أن بعض الأشخاص يستولون على الممتلكات العامة للدولة، وقد يوظفونها في استثمارات تدر عليهم دخلاً وثيراً وهو ما يوجب نار الحسد والضغينة في نفوس البعض، ويحدث هذا بالطبع في غياب القانون وضعف الأجهزة الضابطة في المجتمع. كشفت النتائج الحالية عن قلة التواصل الاجتماعي والتراحم في المجتمع، وقد يعكس هذا انتشار مظاهر الغيرة والحسد والكراهية والرغبة في كسب المنافسة بأية وسيلة. تؤكد البيانات الحالية ضعف ارتباط بعض الأشخاص بمجتمعهم ما يعكس حالة التفكك الاجتماعي الذي يعيشها المجتمع. وميل البعض للعزلة والتفوق حول الذات، وعدم الإسهام في تطوير المجتمع ربما يعكس غياب الحس الوطني والشعور بالمسؤولية، والأنانية والميل لتحقيق الأهداف الشخصية في مقابل التضحية بكل ما هو اجتماعي ووطني. ويتتالي السنين يقل ارتباط الفرد بمجتمعه، ويصبح يفضل الأخذ عن العطاء، وتضعف علاقاته بغيره، فيسود الحسد والبغضاء وتزدهر الكراهية بكافة تجلياتها، ويقف الفرد موقفاً سلبياً مما يحدث في مجتمعه. تؤكد البيانات الحالية على انتشار مظاهر الغدر

والخيانة هذه الأيام. وقد يرجع ذلك إلى ضعف ارتباط الفرد بغيره وتوقعه حول نفسه وحبه لنفسه. ففي سبيل المصلحة الشخصية ربما يتنازل المرء عن قيمه ومبادئه، فيغدر بمن أتمنه، وقد يخطط لتدمير غيره من أجل بلوغ أهدافه، ما يقوض دعائم الحب والألفة في المجتمع وينشر الحقد والكراهية فيه.

تسود الانتهازية في المجتمع اللامعاري؛ فقد كشفت النتائج الحالية عن أن هناك تشرباً لمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة". بيد أن تشرب البعض لمثل هذا المبدأ عادة ما يأتي على حساب انهيار قيم لها وزنها الكبير مثل الأمانة والاستقامة، وربما يضر بأولئك الأمناء الذين يتبعون السبل المعيارية لبلوغ أهدافهم، وقد يحرم الأكفاء من بلوغهم أهدافهم، فتنتشر الكراهية بكافة صورها بينهم وبين المتسلفين الذي يكمن همهم الوحيد في بلوغ أهدافهم بأية وسيلة. في مجتمع الكراهية يسود الجحود والتكر للجميل. وقد كشفت النتائج الحالية عن انتشار هذه القيمة المعتلة بشكل كبير في مجتمع يفترض أن يحب المرء للآخرين ما يحبه لنفسه، وأن يشكر ذوي الفضل عليه. ويلحظ من الواقع المعيش أن البعض يحرم أولئك الذين أوصلوه إلى ما وصل إليه من مزايا أو خدمات معينة، وقد يغتابهم ويظهر تضايقه منهم، وقد يقلل من مقدرتهم، فيكرهونه بالمثل ويندمون عن كل ما فعلوه لصالحه ذات يوم، فيقل عمل الخير وتعم الكراهية. ويسمع المرء اليوم مقولة "لا تدير خير لا يجيك شر".

ثمة قيمة مدمرة منتشرة في المجتمع ألا وهي: أن البعض لا يتسم بالضبط الذاتي ويقظة الضمير ولا يشعر بالذنب لذاته، ولا ينصاع للقيم والمعايير الاجتماعية طواعية وعن قناعة، ولا يمارس العيب لأنه عيب. فالبعض لديه استعداد لفعل كل ما هو مشين شريطة ألا يعلمه الناس، وهو لا يخاف من ممارسة فعل سيء لأنه خاطئ، وإنما يخشى ذلك لخوفه من أن تطاله أيدي الأكثر منه قوة وبطشاً. وهذا انهيار قيمي خطير يذهب بقيم لها وزنها مثل الأمانة والاستقامة والخلق الكريم. عندما تسود اللامعيارية مجتمعاً ما، يتعلق معظم الناس بشكل القيمة دون

مضمونها وتبهرهم المظاهر الزائفة، وهو ما يطمس أولئك الممثلين للقيم والمعايير الاجتماعية وينشر البغضاء والكراهية في المجتمع. ذلك لأن المهتم بشكل القيمة مستعد لفعل أي شيء في سبيل نجاحه وإن كان مخالفاً بالمعايير الاجتماعية، ما ينشر الحسد والغيرة في المجتمع.

كشفت النتائج الحالية عن انتشار مظاهر الحسد والغل والحقد بشكل كبير وفق البيانات الحالية، ولا شك أن الحق والغل والحسد من مظاهر الكراهية. فعندما تسود الأنانية يضعف ارتباط المرء بمجتمعه وتتهار المعايير، ويحرص كل فرد على بلوغ أهدافه الشخصية، مضحياً بكل ما هو اجتماعي وموضوعي، ولا بد وأن تنتشر الكراهية، هذه الكراهية التي كلما تفاقمت ساهمت كما وكيفا في خلق كراهية أكثر. وتتفاقم الكراهية عندما يتم تبادلها بين الكارهين. أما أدنى مظاهر اللامعيارية فتملت في قلة حصول الفرد على دعم غيره لإنجاز مهمة ما، وفي قلة إيجاد المرء لمن يشاركه أفراحه وأحزانه، وفي قلة احترام الصغار للكبار، وقلة عطف الكبار على الصغار، وضعف التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة، وضعف العلاقات الاجتماعية بين الإخوة الأشقاء، وسيطرة الأولاد على والديهم، وسيطرة الزوجات على أزواجهم، وهو ما يدمر القدوة الحسنة في المجتمع ويزرع بذور الكراهية ويخل بالمعايير الاجتماعية، ويضعف وسائل الضبط الاجتماعي.

رابعاً) إجابة السؤال الرابع للبحث الذي مؤداه:

ما أكثر مظاهر الكراهية انتشاراً في المجتمع كما يدركها المبحوثون؟

وقد تمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

1) ما أكثر مظاهر الاتجاهات نحو الكراهية انتشاراً في المجتمع كما يدركها المبحوثون؟

وقد تمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال بيانات الجدول الآتي.

الجدول (13) توزيع إجابات المبحوثين على بعد الاتجاه نحو الكراهية مرتبة حسب درجة حدتها

م	الفقرة	موافق	موافق إلى حد ما	لا	د.ح
51	ثمة من يري أن من حقه مقاطعة من يكره	62.7	27.7	9.7	2.53
3	ثمة أفراد يهجرون من لا يشعر بقيمتهم	58.3	36.0	5.7	2.52
29	هناك من لا يصادفون من يبغضونهم أن مروا بهم في مناسبة اجتماعية	57.7	30.3	12.0	2.45
1	من حق الفرد مواصلة من يواصله في المناسبات الاجتماعية فقط	58.3	29.0	12.7	2.45
13	مقابلة العين بالعين والسن بالسن مبدأ صحيح	54.7	34.7	10.7	2.44
5	ثمة أشخاص يقاوضون الحب بالحب فقط	52.3	37.3	10.3	2.42
10	ثمة أفراد لا يقدرون قيمة من يكرهون حتى وإن كانوا جديرين بالتقدير	53.7	34.3	12.0	2.41
18	من الصعب أن يشيد المرء بمكانة من يبغضه أو يحقد عليه	53.7	33.0	13.3	2.4
9	ثمة أفراد يحتقرون من كانوا لا قيمة لهم ذات يوم	55.3	28.3	16.3	2.39
7	ثمة أفراد يتصلون من أقاربهم الذين لا يحبونهم	52.0	34.7	13.0	2.38
8	هناك من يشوه صورة من يكره أمام الناس	53.3	31.0	15.7	2.37
2	هناك ميل اليوم لأن يكره المرء من يكرهه	48.7	38.7	12.7	2.36
6	هناك من يستعين بالآخرين لفهر خصومه	49.3	37.7	13.0	2.36
4	هناك من يذل أولئك الذين يبغضونه إن ساحت له الفرصة	45.0	42.7	12.3	2.32
14	يجب أن يحرم المرء من حرمه من ميزة ما ذات يوم	49.0	28.0	23.0	2.26
16	من حق الفرد رد الإساءة بمثلها إن توفرت الظروف	31.0	25.0	44.0	1.87

وبالتأمل في بيانات الجدول (13) يلحظ أن أكثر مظاهر انتشار الاتجاهات نحو الكراهية في المجتمع كما يقدرها المبحوثون تتمثل في " ثمة من يري أن من حقه مقاطعة من يكره ، ثمة أفراد يهجرون من لا يشعر بقيمتهم، هناك من لا يصادفون من يبغضونهم أن مروا بهم في مناسبة اجتماعية، من حق الفرد مواصلة من يواصله في المناسبات الاجتماعية فقط، مقابلة العين بالعين والسن بالسن مبدأ صحيح، ثمة أشخاص يقاوضون الحب بالحب فقط، ثمة أفراد لا يقدرون قيمة من يكرهون حتى وإن كانوا جديرين بالتقدير، من الصعب أن يشيد المرء بمكانة من يبغضه أو يحقد عليه". أما أدنى تقديرات المبحوثين للاتجاهات نحو الكراهية السائدة في المجتمع فتمثلها الفقرات " من الصعب أن يشيد المرء بمكانة من يبغضه أو يحقد عليه، يجب أن يحرم المرء من حرمه من ميزة ما ذات يوم، هناك من يذل أولئك الذين يبغضونه إن ساحت له

الفرصة، هناك من يستعين بالآخرين لقهْر خصومه". ويتفحص هذه النتائج يلحظ أن الذين يتسمون بأن لديهم اتجاهات نحو الكراهية عادة ما يقللون من تفاعلهم الاجتماعي مع من يكرهون من خلال مقاطعتهم لهم وعدم التعامل معهم وتجنبهم، كما ينبذ الناس عادة أولئك الذين لا يشعرونهم بقيمتهم، ما يعني أن العلاقات الاجتماعية الناجحة تتأسس على شعور الفرد الداخل في العلاقة بأن الآخر يقدره ويحبه. ولذا فإن الفرد يقاطع أولئك الذين يحتقرونه ويقللون من قيمته ما يؤكد أن الإحسان للناس طريق ملوكي لقلوبهم. عندما تسود الكراهية والجفاء في مجتمع ما، فإنه عادة ما تأخذ شكل الكراهية عدم مصافحة المكروه وإظهار التعبيرات الوجهية التي تدل على كرهه والحدق عليه. توضح النتائج الحالية أن العلاقات الاجتماعية يتم مقايضتها مثلما تتم مقايضة أية سلعة أخرى؛ فمن يواصلنا اجتماعياً ويرتبط بنا في السراء والضراء عادة ما نواصله ونشاركه أفراحه وأحزانه. بيد أن العكس صحيح أيضاً. تدعم النتائج السابقة مبدأ "مقابلة العين بالعين والسن بالسن". فوفقاً للنتائج الحالية يقر أكثر المبحوثين بأنه من حق الفرد رد المعاملة بمثلها، فمن يحبك بادلته بمشاعر الحب، ومن يقاطعك قاطعه، ومن يواصلك اجتماعياً صلته اجتماعياً، ومن يحرملك من أشياء احرمه من أشياء يحبها أيضاً. وهكذا يتأكد أن الحب والكراهية يتم مقايضتهما مثلما تتم مقايضة أية سلعة أخرى. ونفس الشيء يُقال عن الحب؛ فوفقاً للنتائج الحالية يلحظ أن الحب يتم تبادله مثلما تتم مقايضة أية سلعة أخرى، ما يؤكد أن من يظهر لك الحب، ينبغي أن تحبه وتقدره، وتوسع له المجلس وتشاركه في أفراحه وملماته. تؤكد البيانات التي بين أيدينا أن للكراهية أهدافاً بعيدة المدى ومن بينها: أن من نكرهه نتجاهل قدراته ومهاراته، بل وقد نضحي بالمصلحة العامة التي تستفيد من مهاراته ما دما نبغضه في شكل إقصائه أو عزله. وهذا اتجاه قيمي خطير. كما تؤكد النتائج الحالية أن الكراهية تمتد إلى التكر إلى كل ما هو جميل وخير في الشخص المنبوذ. بالمقابل تجلت أدنى مظاهر الاتجاه نحو الكراهية في أن الفرد من حقه رد الإساءة بمثلها إن توفرت له الظروف ما يعني أن نار الكراهية تظل مستعرة

وحية حتى وإن بدت خامدة ظاهرياً، كما تمتد الكراهية إلى أن الذي يكره شخص ما، يفعل كل ما بوسعه لعرقلة مصالحه أو عزله وإقصائه من ميزة ما. ولعل عزل البعض رغم جدارتهم على علاقة بالحدق عليهم، كما أن الوساطة بالمقابل هي التي ربما توصل البعض إلى تولي مراكز عليا رغم عدم كفاءتهم لا لشيء وإنما لأننا نحبهم كمسؤولين. وهكذا يمكننا أن ندرك مدى خطورة الكراهية إن تفشت في المجتمع. فهي تذهب بكل ما هو جميل وتأتي بكل ما هو قبيح، ولا توجد لا معيارية أوضح من ذلك. تبرهن البيانات الحالية أن الكراهية تمتد إلى أن يذل المرء أولئك الذين يبغضونه إن سحنت له الفرصة، ما يعني أن للكراهية تداعيات خطيرة، وأنه لا يمكن تجاوزها بمرور الوقت. فنحن على ما يبدو نظل نشعر بالإحباط بسبب فشلنا في حصولنا على حب شخص ما، وهو إحباط ربما يولد لدينا نوعاً من العدوانية المستترة. وحيث إنه يصعب التجاوز عن هذه العدوانية المستترة، فإنها تظل بحاجة للتنفيس، ويأتي هذا التنفيس في شكل إذلال واحتقار من نبغضه إن سمحت الظروف. لا تقف الكراهية عند هذا الحد؛ بل إن المرء مستعد وفقاً للنتائج المتحصل عليها أن يستعين بغيره لتدمير من يكره، وقد يأخذ هذا التدمير شكل حرمان المكروه من ميزة ما، أو وضع العراقيل التي تحول دون بلوغه هدف ما، أو تدبير مكيدة له للزج به في السجن أو فصله من مهنته، أو تشويه سمعته وإذلاله. ويجمع في كل صنوف الانتقامات التي يمكن للمرء القيام بها تجاه من يكره هدف واحد ألا وهو تدمير المنبوذ والنيل منه بأية وسيلة بما فيها الاستعانة بالآخرين الذين يمكنهم إيذاء من نكره.

## 2) ما أكثر إدراك مظاهر آثار الكراهية انتشار في المجتمع كما يدركها المبحوثون؟

وقد تمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال بيانات الجدول الآتي.

الجدول (14) توزيع إجابات المبحوثين على بعد إدراك مظاهر آثار الكراهية مرتبة حسب درجة حدتها

م	الفقرة	موافق	موافق إلى حد ما	لا	ر . ح
41	هناك من يقابل من يكرههم بفتور كبير إن التقى بهم في مكان عام	57.7	33.7	8.7	2.49

2.46	7.0	39.3	53.7	30	هناك أفراد يعتقدون أن من حقهم تجاهل من يكرهون
2.45	8.3	37.7	54.0	33	من الطبيعي أن يتضايق المرء عندما يرى من يكره يمر أمامه
2.43	14.3	28.3	57.3	11	ثمة أفراد يقبلون اليد التي يودون قطعها في حقيقة الأمر
2.43	14.7	27.7	57.7	53	ثمة من يسعي للاستفادة ممن يكرههم إلى أقصى حد ثم يهجرهم للأبد
2.36	14.3	34.7	51.0	47	هناك من يعتقد أن من حق المرء التكر لخصال من يكرهون الجميلة
2.36	16.0	31.7	52.3	50	هناك من يرى أن من حقه أن يقلل من شأن من يبغضهم ليشرع بالراحة
2.34	16.0	33.3	50.7	27	ثمة أفراد يحلمون كثيرا بهلاك من يكرهون
2.34	13.3	39.3	47.3	42	هناك من يساند الناس الذين لا يعرفهم إن كانوا يكرهون خصومه
2.33	17.7	31.0	51.3	44	هناك من يفعل كل ما بوسعه لحرمان من يكره من بلوغ مركز اجتماعي
2.31	19.0	30.3	50.7	26	ثمة من يعتقد أن الصفح على المسيء نوع من السذاجة
2.29	13.3	22.3	64.3	17	ثمة أفراد ينشرون الإشاعات المغرضة ضد من يكرهون
2.28	15.3	40.7	44.0	31	من الصعب أن يتقبل المرء اعتذارات من اخطئوا في حقه ذات يوم
2.27	20.0	32.3	47.7	43	ثمة أفراد عندما يكرهون شخص ما، يكرهون حتى أقاربه ومعارفه
2.26	21.7	30.7	47.7	19	هناك من يتمنى زوال النعمة لمن يكرههم أو يحقد عليهم
2.24	21.3	33.0	45.7	37	يعتقد البعض أن من حقهم عرقلة مصالح من يكرهون
2.23	23.3	30.3	46.3	23	ثمة من يشتم في من يكرهه أن حلت به مصيبة ما
2.20	20.3	38.7	41.0	36	ثمة من يصادق أعداء خصومه ليشرع بالراحة
2.12	17.3	52.7	30.0	60	ثمة من يرى أن التعبير عن الكراهية بأية طريقة مريح للنفس
1.27	17.3	27.7	55.0	49	ثمة من يعتقد أن الصفح على المسيء نوع من السذاجة

وبالتأمل في بيانات الجدول (14) يلحظ أن أكثر إدراك مظاهر آثار الكراهية في المجتمع كما يقدرها المبحوثون تتمثل في أن "هناك من يقابل من يكرههم بفتور كبير إن التقى بهم في مكان عام، هناك أفراد يعتقدون أن من حقهم تجاهل من يكرهون، من الطبيعي أن يتضايق المرء عندما يرى من يكره يمر أمامه، ثمة أفراد يقبلون اليد التي يودون قطعها في حقيقة الأمر، ثمة من يسعي للاستفادة ممن يكرههم إلى أقصى حد ثم يهجرهم للأبد، هناك من يعتقد أن من حق المرء التكر للخصال الجميلة لمن يكرهون، هناك من يرى أن من حقه أن يقلل من شأن من

يبغضهم ليشعر بالراحة، ثمة أفراد يحملون كثيرا بهلاك من يكرهون، هناك من يساند الناس الذين لا يعرفهم إن كانوا يكرهون خصومه، هناك من يفعل كل ما بوسعه لحرمان من يكره من بلوغ مركز اجتماعي ". أما أدنى إدراك آثار الكراهية فتمثلها الفقرات "ثمة من يعتقد أن الصفح على المسيء نوع من السذاجة، ثمة من يرى أن التعبير عن الكراهية بأية طريقة مريح للنفس، ثمة من يصادق أعداء خصومه ليشعر بالراحة، ثمة من يشمت في من يكرهه أن حلت به مصيبة ما".

وبالتأمل في هذه النتائج يلحظ أن للكراهية آثاراً سلبية منها تقليل درجة التفاعل والتواصل الاجتماعي بين الأفراد المتكاريهين، حيث تقل الانفعالات الإيجابية التي تدل على الحب والألفة والدفاء عند رؤيتهم، وتجاهل المنبذين، وهو سلوك يدل على كراهية شديدة، بل قد تتفاقم الكراهية لتصل إلى درجة شعور المرء بالضيق والألم والقلق إن رأى من يكره يتواجد بمحيطه. تفرز الكراهية النفاق في أوجه صورته؛ فقد يحدث أن يستحق المرء لخدمة من يكره بحكم المركز أو القانون أو الحسد، ولذلك تراه يظهر له المجاملة المبطنه بالحدق والغل، ويود في قرارة نفسه أن يقطع يده التي يقبلها لهدف ما. ويعد هذا المسلك من أشد مظاهر الكراهية والنفاق. ترتبط الكراهية بالميكافيلية؛ فقد يستغل الشخص من يكره لتمرير خدمات له، حيث يمتصه قطرة بقطرة ليصل إلى ما يصبو إليه، ثم يتنكر لخدماته، بل وقد يفعل كل ما يمرغ كرامته في التراب إن أستطاع في شكل نشر إشاعات مغرضة ضده، يدفعه إلى ذلك الحدق الذي يحمله له في حنايا قلبه.

تؤكد البيانات التي بين أيدينا أن للكراهية آثاراً مدمرة منها أن الكاره قد ينعت من يكره بصفات محقرة ومذلة له، وقد تعميه كراهيته له عن رؤية كل ما هو جميل فيه. وقد ينشر إشاعات مغرضة بحقه تقلل من نجاحاته، وتسفه خدماته الفعالة للآخرين. وقد تعبر الكراهية عن الحسد والغيرة. فالشخص الكاره وفق البيانات التي بين أيدينا يفعل كل ما بوسعه للتقليل من قيمة ونجاحات من يكره لينعم بالراحة النفسية، كأن يقابله بفتور، أو يتنكر لخصاله الجميلة، وقد يكره من يرتبطون بمن يكره. لا تصل الكراهية إلى هذا الحد فحسب؛ فبعض الكارهين يحملون برؤية



كل ما ينال ممن يكرهون، كأن يروا مثلاً أنهم ماتوا بحادث، أو التهمت النيران ممتلكاتهم، أو أودعوا بالسجن، أو فقدوا عزيز عليهم بالموت. وهكذا فإن الكراهية اللاشعورية تترجم إلى أحلام تريح الكاره؛ حيث يرى مصائب فظيعة تحل بمن يكره في أحلامه، وهو ما يريحه وينفس على حقه الدفين تجاه من يكره. توضح البيانات الحالية أن آثار الكراهية تمتد إلى أبعد مدى؛ فالكاره مثلاً تراه يتتبع أخبار من يكره، كأن يعرف خصومه مثلاً، ويتحالف معهم ويتقرب منهم لعلهم يساعدونه على الانتقام منه، تطبيقاً لمقولة "عدو عدوي صديقي". قد تصل آثار الكراهية إلى قطع لقمة عيش المكروه. فبعض الكارهين يفعلون كل ما بوسعهم للحيلولة دون بلوغ من يكرهون لأهدافهم، وقد يحرمونهم من مزايا معينة بهدف إذلالهم وتدميرهم.

توضح البيانات التي بين أيدينا أن أدنى آثار الكراهية تتمثل في الاعتقاد بأن الصفح على المسيء نوع من السداجة، ما يعني أنه عندما تتفاقم الكراهية، فإنها تطمس بصيرة الحاقدين. حيث تغذي الكراهية نفسها بنفسها، وتقسي قلوب الكارهين وتطمس الرحمة فيها، حتى إن بعضهم يعد أن التهادن مع من يكرهون نوع من السداجة. ففي تصورهم أن الكراهية ينبغي أن تنمو وتنمو يوماً بعد يوم، وأن الصفح عن المكروهين نوع من الضعف وقلة الحيلة. تؤكد البيانات الحالية أن التعبير عن الكراهية بأية أسلوب مريح للنفس؛ فتجاهل من نكره، أو إسقاط عيوبنا عليه، أو نعته بالجهل وقلة المعرفة، أو إظهار التجهم في وجهه، أو مصادقة أعداءه، أو نشر الإشاعات المغرضة حوله، كلها أمور تريح أعصابنا وتنفس عن مشاعرنا البغيضة والمكبوتة تجاهه. توضح البيانات الحالية أن آثار الكراهية تأخذ شكل مصادقة أعداء من نكره لكي ننتقم منه بطريقة غير مباشرة، حيث نتحالف مع أعداءه للنيل منه، ونقوض شعوره بالراحة والأمن ما يريحنا نفسياً. لا تقف الكراهية عند هذا الحد؛ فالبيانات التي بين أيدينا تؤكد أن البعض يفرح كثيراً عندما تلم بمن يكره كارثة أو مصيبة كأن يموت له عزيز، أو يفلس مالياً، أو يطرد من عمله، أو يتم إقصاؤه

وتهميشه أو إذلاله. وهكذا يمكننا أن نستنتج أن الكره لا يولد سوى الكره، وأنه يؤسس لمجتمع مفكك على كافة الصعد، ولا توجد لا معيارية أوضح من ذلك.

### 3) ما أكثر إدراك مظاهر الاحتقار وتعميم الكراهية انتشاراً في المجتمع كما يدرکہا المبحوثون؟

وقد تمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال بيانات الجدول الآتي.

الجدول (15) توزيع إجابات المبحوثين على بعد إدراك مظاهر الاحتقار وتعميم الكراهية مرتبة حسب درجة حدتها

م	الفقرة	موافق	موفق إلى حد ما	لا	د.ح
57	أشد الطغعات هي التي تأتي للمرء من أقرب الناس له للأسف الشديد	66.0	24.3	9.7	2.56
56	" ما حك جلدك غير ظفرك " حقيقة تؤكد ما التجارب اليوم	63.0	30.3	6.7	2.56
15	قد يصفح المرء عن من ظلمه لكنه لن ينسى ظلمه أبداً	61.3	29.7	9.0	2.52
40	ثمة أفراد يقاطعون من يكرهونهم في المناسبات الاجتماعية	59.3	31.7	9.0	2.50
28	من الصعب أن يجلس المرء بالمكان الذي يوجد به من يبغضهم	59.7	31.3	9.0	2.50
12	هناك أفراد لا يصفحون عن من ظلمهم ذات يوم مهما كانت المبررات	58.0	33.3	8.7	2.49
45	هناك من يتنكر لجميل من صار خصمه ذات يوم	57.7	26.3	16.0	2.41
48	لا يمانع البعض من التقليل من قيمة الأكثر كفاءة منهم لبغضهم لهم	54.3	31.0	14.7	2.39
46	ثمة أفراد يخططون لتدمير من يكرهون في الخفاء	53.7	31.7	14.7	2.39
52	ثمة من يعتقد أن نسيان إساءة الغير دليل على الجبن والضعف	53.7	31.3	15.0	2.38
35	يجب أن يذكر المرء السيئين بعيوبهم حتى يعرفوا حجمهم الطبيعي	52.7	32.3	15.0	2.37
24	"فكرة بعدى والظوفان" فكرة صحيحة لأن كل فرد مهتم بحاله اليوم	51.3	34.0	14.7	2.36
22	"مقولة" إن الأقارب كالعقارب" حقيقة تؤكد ما التجارب هذه الأيام	51.7	33.0	15.3	2.36
55	"الإنسان عدو لأخيه الإنسان" هذه حقيقة تتأكد دوماً مع الأيام	52.3	30.3	17.3	2.35
20	من حق المرء أن يدوس على مشاعره الطبية تجاه من لا يتقبلهم	54.0	26.0	20.0	2.34
38	هناك من يغيظ أو يستفز من يكرههم ليشعر بالراحة	45.3	39.7	15.0	2.30
25	من الصعب على المرء أن يفخر لشخص أساء إليه ذات يوم	44.7	39.3	16.0	2.28
32	لا يمكن أن تطفأ نار الكراهية عند البعض مهما مرت الأيام	40.0	46.0	14.0	2.26
39	من حق المرء أن ينظر باستعلاء لمن يبغضهم ليعرفوا وزنهم الطبيعي	45.0	33.3	21.7	2.23
59	ثمة من يفرس في صفاره كراهية من يكرههم ويبغضهم	44.3	34.0	21.7	2.22
58	يجب ألا يصفح المرء عن من أخطأ في حقه لأنه ليس بملاك	42.0	33.7	24.3	2.17
54	لا يوجد إنسان طيب لذات الطبيعة هذه الأيام	44.3	28.7	27.0	2.17
21	مبادلة الكراهية بالكراهية منطق صحيح هذه الأيام	41.0	29.0	30.0	2.11
34	من حق المرء أن ينظر باحتقار لمن يكرههم	38.0	31.0	31.0	2.07

وبالتأمل في بيانات الجدول (15) يلحظ أن أكثر مظاهر الاحتقار وتعميم الكراهية تمثلها الفقرات " أشد الطعنات هي التي تأتي للمرء من أقرب الناس له للأسف الشديد، " ما حك جلدك غير ظفرك " حقيقة تؤكدها التجارب اليوم، قد يصفح المرء عن من ظلمه لكنه لن ينسى ظلمه أبداً، ثمة أفراد يقاطعون من يكرهونهم في المناسبات الاجتماعية، من الصعب أن يجلس المرء بالمكان الذي يوجد به من يبغضهم، هناك أفراد لا يصفحون عن من ظلمهم ذات يوم مهما كانت المبررات، هناك من يتكرر لجميل من صار خصمه ذات يوم، لا يمانع البعض من التقليل من قيمة الأكثر كفاءة منهم لبغضهم لهم، ثمة أفراد يخططون لتدمير من يكرهون في الخفاء، ثمة من يعتقد أن نسيان إساءة الغير دليل على الجبن والضعف"، أما أدنى مظاهر الاحتقار وتعميم الكراهية فتمثلها الفقرات " من حق المرء أن ينظر باحتقار لمن يكرههم، مبادلة الكراهية بالكراهية منطق صحيح هذه الأيام، لا يوجد إنسان طيب لذات الطيبة هذه الأيام، يجب أن يصفح المرء عن من أخطأ في حقه لأنه ليس بملاك، ثمة من يغرس في صغاره كراهية من يكرههم ويبغضهم".

وبتفحص هذه النتائج يلحظ أن أكثر المبحوثين يرون أن أشد الطعنات تأتي من المقربين لقريهم، وقد يرجع ذلك إلى حسدهم وغيرتهم ومعرفتهم بأعدائهم ونقاط ضعفه. كما تؤكد هذه النتائج أن أكثر المبحوثين يرون أنه لا يوجد من يحبك أكثر من نفسك، فلا ابن أو قريب يمكن أن يحبك مثلما تحب نفسك وتحقق مصالحها. ووفقاً لهذه النتائج يتضح أنه لا يمكن للمرء أن يجد من يمكنه الاعتماد عليه هذه الأيام؛ فكل فرد على ما يبدو مهتم بحاله، والكل يبحث عن مصالحه الخاصة، ولذلك فإنه حتى العلاقات الاجتماعية غدت تحكمها المصالح. فالفرد يشيد علاقة اجتماعية بناءً على تحقيق مصالح متبادلة، فلا شيء يقدم بالمجان. تؤكد النتائج الحالية أن المرء قد يصفح عن من أخطأ في حقه يوماً ما ولو ظاهرياً، لكنه لن ينس ما فعله له يوماً، ما يعني أن للكراهية جذوراً لا يمكن استئصالها بسهولة، وأنها تظل راسخة في لا وعي صاحبها

وتتحين الفرصة من وقت إلى آخر لتطفو على السطح في شكل زلات لسان أو هفوات تتعت المكروه بصفات سيئة ومحقرة، أو تجاهل، وقد يشكو من حين إلى آخر أفعاله السيئة للمقربين منه. لا تقف الكراهية عند حد معين؛ فالكاره عادة ما يعمم كراهيته لغيره في شكل كراهية أقاربه أو معارفه، أو عدم مشاركته أفراحه وأحزانه، ما يرسخ مشاعر الكره. فمن يقاطع من يكره يحصل على تدعيم بالمضي في ممارسة كراهيته له ولا سيما عندما يشجعه آخرون على مسلكه هذا مثل أقاربه أو معارفه. عندما تترسخ الكراهية، ينسحب الكاره من المحيط الاجتماعي الذي يوجد به من يكره، فنترسخ الكراهية وتعمم، ويسود شعور بغياب التضامن الاجتماعي في المجتمع، وتحل اللامعيارية وعدم السوء، ويحدث التعصب بكافة صوره. عندما تنتشر الكراهية وتتجذر يصبح المرء عاجزاً عن الصفح والعتو، فلا يغفر لمن أخطأ في حقه أو أساء إليه مهما كانت الظروف التي أجبرته على فعله غير السوي. فالكراهية اتجاه تحكمه معتقدات ومشاعر وسلوكات. فالكاره يدرك جيداً العوامل المبررة لكرهه، ويقدر ما تكون سلبية وظلامية هذه العوامل، بقدر ما ترافقها شحنات وجدانية قوية تشد آليات الحقد والضغينة. والمشاعر الكارهة بين الكاره والمكروه تغذي بعضها البعض؛ فمن نكرهه يكرهك، وعندما تشعر بكرهه، يتفاهم شعورك بكراهيته بشكل أكبر. وهكذا تتفاهم الكراهية حتى تتحول إلى إبادة اجتماعية أو تطهير عرقي بين المتكاريهين. تيرهن البيانات الحالية على أنه في دنيا الكره لا يوجد اعتراف بجميل من نكرهه. فعندما يبغض أحدهم شخصاً ما، فإنه يتنكر لكل جميل فيه، وينسى ما قدمه له من خدمات ذات يوم. على هذا النحو ينتشر الشعور بالجحود في مجتمع الكراهية. والكراهية تعميم مبالغ فيه. فعندما يكره أحدهم شخصاً ما، فإنه يتنكر لكل جميل فيه، ويتجاهل مهاراته وكفاءاته، وقد يهمله، حتى وإن تضرر المجتمع بإقصائه. على هذا النحو يصبح المجتمع ساحة لقتال ضروس بين المتكاريهين، هذا القتال الذي يدفع المجتمع ثمنه في شكل إقصاء الكفاءات فيه. وعلى هذا النحو تصيح الكراهية

معمل هدم يدمر المجتمع ويفرغه من خبراته وينشر الشحاء في ربوعه، ويقوده لمجتمع اللاقواعد واللامعايير.

تؤكد البيانات التي بين أيدينا أن الكراهية تعبير عن إحباط، وهو إحباط لا يمكن تحمله، فيضطر صاحبه إلى تفرغه في شكل عدوان ظاهري أو مستتر. ومن إشكال العدوان المستتر فعل الكاره لكل ما يلحق الضرر بالمكروه مثل التفكير في تليفق تهمة أخلاقية أو سياسية له، أو فعل ما يدمره اقتصادياً، أو نشر إشاعات تنفر الناس منه، أو تضعف علاقاته الاجتماعية، أو بالاعتداء عليه بواسطة مجهولين لا يعرفهم. بيد أن حبل الكراهية لا نهاية له؛ فكل كره يولد كرهاً آخر. ويتفاقم الكراهية يصبح الصفح أمراً غير ممكن بل ومستحيل، وقد تصبح الكراهية سلوكاً مقدساً، وتصبح جزءاً من فلسفة الكاره. حيث ينظر للكراهية على أنها مسلك طبيعي، وأن صفح المرء عن من يكره ضرب من السذاجة والحمافة، والتنازل عن الكرامة. على هذا النحو تنتشر الكراهية بشكل غير مسبوق، فتدمر المجتمع وتضيعه وتغرس فيه بذور اللامعيارية بكافة تجلياتها.

توضح البيانات الحالية أن أكثر من ثلثي المبحوثين يرون أنه من حق المرء أن يحتقر من يكرههم ما يؤكد عمق الكراهية التي يحملها البعض تجاه من يكرهون. فالكراهية يبدو أنها تتحول إلى سلوك بنتالي السنين. ويؤدي هذا السلوك إلى قناعة بضرورة مقايضة الكراهية بكراهية مماثلة حتى يشعر صاحبها بالارتياح النفسي إلى حد ما. ووفقاً لهذه النتائج يلحظ أن الكراهية في نظر معظم المبحوثين سلوك طبيعي هذه الأيام لأنها تعكس طبيعة الإنسان الحقيقية المتمثلة في أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وأنه لا يوجد ذلك الإنسان الطيب الوديع. وربما ترتبط الكراهية هنا بشدة المنافسة على تحقيق الذات والأهداف والأثانية والرغبة في تحطيم الخصوم لا سيما الذين يكرههم المرء. تؤكد البيانات الحالية أن الكراهية غدت معتقداً خطيراً يهدد المجتمع ويدمر علاقاته الاجتماعية. فنسبة كبيرة من المبحوثين ترى أنه من العبث أن يصفح المرء عن من أخطأ في

حقه لأنه ليس بملاك. وهو ما يعني وجود قناعات اليوم مؤداها أنه: لا بد من مجابهة الكراهية بالمثل، وإلا شعر المرء بالألم والظلم وهو ما يطال صحته النفسية. وهكذا يتأكد أن زرع بذور الحب لخلق مجتمع متجانس يسوده الحب والسلام أمر ضروري للحفاظ على بنائه واستقراره واستمراريته، لأن الكراهية لا تقود إلا إلى الضغينة والحقد.

خامساً) إجابة السؤال الخامس للبحث الذي مؤداه:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية باختبار مان وتني بين رتب درجات المبحوثين على مقياسي البحث وفق متغيرات الخلفية؟ وقد تمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال الآتي:

1) حساب دلالة الفروق في الرتب وفق متغير الجنس:

استخدم اختبار (مان وتني) لمعرفة دلالة الفروق بين رتب درجات المبحوثين على مقياسي البحث وفق متغير الجنس، وبيانات الجدول الآتي توضح ذلك.

الجدول(16) حساب دلالة الفروق في الرتب على مقياسي البحث وفق متغير الجنس

مستوى الدلالة	Z	م.ر.	الجنس	الحجم	الإحصاء المقاييس
0.581	-0.552	152.83	ذكور	175	الكراهية
		147.23	إناث	125	
0.214	-1.243	145.24	ذكور	175	اللامعيارية
		157.56	إناث	125	
0.017	-2.088	141.69	ذكور	175	الاتجاه نحو الكراهية
		162.83	إناث	125	
0.634	-0.476	152.51	ذكور	175	إدراك آثار الكراهية
		147.68	إناث	125	
0.488	-0.693	153.43	ذكور	175	الاحتقار وتعميم الكراهية
		146.40	إناث	125	

وبالنظر إلى بيانات الجدول (16) يلحظ أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين رتب درجات المبحوثين على مقياسي الكراهية واللامعيارية وبعدي إدراك آثار الكراهية والاحتقار وتعميم الكراهية وفق متغير الجنس، حيث لم تكن قيم (Z) دالة إحصائياً عند مستوى 0.05، في حين وجدت فروق دالة إحصائياً بين رتب درجات المبحوثين على بعد الاتجاه نحو الكراهية وفق متغير الجنس وأن هذه الفروق جاءت لصالح الإناث.

**(2) حساب دلالة الفروق وفق متغير المؤهل العلمي:** استخدم اختبار كروسكال واليس لمعرفة دلالة الفروق بين رتب درجات المبحوثين على مقياسي البحث وفق متغير المؤهل العلمي، وبيانات الجدول الآتي توضح ذلك.

جدول (17) حساب دلالة بين رتب درجات المبحوثين مقياسي البحث وفق متغير المؤهل العلمي

المقاييس المؤهل العلمي	الحجم	الكراهية	اللامعيارية	الاتجاه نحو الكراهية	إدراك آثار الكراهية	الاحتقار وتعميم الكراهية
		م. ر				م. ر
دبلوم دراسات عليا	19	130.21	157.47	153.47	137.13	125.29
دارس بالسنة التمهيدية	7	113.21	94.00	90.43	117.64	105.93
معيد	60	140.86	137.41	143.25	138.43	144.42
ماجستير	157	159.70	160.14	159.67	158.57	161.79
دكتوراه	57	146.65	142.33	139.26	149.46	139.68
كا <sup>2</sup>	-	4.954	6.915	6.553	3.989	7.305
د.ح	-	4	4	4	4	4
مستوى الدلالة	-	0.292	0.140	0.161	0.408	0.121

وبالنظر إلى بيانات الجدول (17) يلحظ أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين رتب درجات المبحوثين على مقياسي البحث وأبعاد مقياس الكراهية وفق متغير المؤهل العلمي، حيث لم تكن قيم الكاي المربع دالة عند مستوى 0.05، ما يعني أن جميع المبحوثين ينتمون إلى خصائص مجتمع واحد على الرغم من اختلافهم في المؤهلات العلمية.

3) حساب دلالة الفروق وفق متغير اسم الكلية: استخدم اختبار كروسكال واليس لمعرفة دلالة الفروق بين رتب درجات المبحوثين على مقياسي البحث وفق متغير اسم الكلية، وبيانات الجدول الآتي توضح ذلك.

الجدول (18) حساب دلالة الفروق بين رتب درجات المبحوثين وفق متغير اسم الكلية

المقاييس اسم الكلية	الحجم	الكراهية	اللامعيارية	الاتجاه نحو الكراهية	إدراك آثار الكراهية	الاحتقار وتعميم الكراهية
	م. ر					م. ر
الآداب	72	125.51	140.45	140.42	127.53	123.49
العلوم	49	144.65	158.35	166.84	150.02	139.57
الهندسة	49	121.92	133.09	118.84	127.20	123.39
الاقتصاد	24	193.69	186.02	190.60	195.60	200.79
الطب البشري	9	205.61	134.83	104.33	169.06	190.67
القانون	23	185.33	113.70	152.46	196.35	193.59
العلوم الشرعية	33	152.95	163.88	142.91	152.15	151.50
التربية	41	176.63	172.10	178.20	161.72	180.17
م <sup>2</sup>	-	28.562	15.148	21.506	22.635	33.071
د.ح	-	7	7	7	7	7
مستوى الدلالة	-	0.000	0.034	0.003	0.002	0.000

وبالنظر إلى بيانات الجدول (18) يلحظ أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين رتب درجات المبحوثين على مقياسي البحث وأبعاد مقياس الكراهية وفق متغير اسم الكلية، وأن هذه الفروق جاءت لصالح المبحوثين بكلية الطب البشري على مقياس الكراهية، ولصالح المبحوثين بكلية الاقتصاد على مقياس تغير القيم وبعد الاتجاه نحو الكراهية، ولصالح المبحوثين بكلية



القانون على بعد إدراك آثار الكراهية، ولصالح المبحوثين بكلية الاقتصاد على بعد الاحتقار وتعميم الكراهية.

سادساً) إجابة السؤال السادس للبحث الذي مؤداه: هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين اللامعيارية والكراهية عند مستوى 0.05؟

وقد حسب معامل الارتباط بين هذين المتغيرين ووجد أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين اللامعيارية والكراهية، حيث بلغ معامل الارتباط بينهما (0.303). وهي قيمة مرتفعة ودالة عند مستوى 0.01.

**مناقشة ختامية:** لقد كشفت نتائج الدراسة عن أن هناك علاقة قوية بين الكراهية واللامعيارية، حيث كان معامل الارتباط بينهما دال عند مستوى 0.01، ما يعني أن المجتمع الليبي يشهد تغيراً اجتماعياً سريعاً وعاتياً غدا يسهم في تغيير القيم والمعايير الاجتماعية. وهذا التغير نتاج التحديث الاجتماعي الذي شهده المجتمع من جهة، ونتاج انتشار مظاهر العولمة الثقافية عبر وسائل التواصل الاجتماعي من جهة أخرى. يلحظ المتأمل في البيانات الرقمية المتحصل عليها أن هناك خلافاً كبيراً في نمط العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع؛ حيث ضعف ارتباط الفرد بأسرته وبمجتمعه وأقاربه، ما يعكس ميله للتوقف حول ذاته، وشخصنة علاقاته الاجتماعية. كما تؤكد البيانات المتحصل عليها على تراجع وسائل الضبط الاجتماعي غير الرسمية، وضعف تطبيق القانون، والتعلق بشكل القيمة دون مضمونها، والحرص على تحقيق الأهداف الاجتماعية بأية وسيلة. تؤكد البيانات المتحصل عليها أن كل فرد مهتم بحاله وأن الوسائل المشروعة غدت عاجزة عن تمكين الفرد من بلوغ أهدافه، كما ضعف التماسك الاجتماعي، فصار كل فرد منعزلاً عن غيره وحريصاً على تحقيق أهدافه بالدرجة الأولى، فانتشرت مظاهر الكراهية والضغينة والحسد، ولا سيما عندما يتم تعيين الفرد في منصب ما ليس بناءً على مهاراته وقدراته وإنما بناءً على معارفه ومركزه الاجتماعي. لا شك أن وضع الفرد غير المناسب في المكان غير المناسب

يسبب انكساراً نفسياً لأولئك المجتهدين الذين يرون ازدهار الأقل منهم كفاءة، ويلمسون بالمقابل وعن قرب تجاهل المسؤولين لقدراتهم الفذة. عندما تحدث نقلة قيمة سريعة، يعجز بعض الأفراد عن استيعاب القيم الجديدة والتخلي ببساطة عن قيمهم القديمة، وتعجز وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية وغير الرسمية عن مواكبة التغيير، وتختل القيم الاجتماعية، ويصبح ما كان مرفوضاً بالأمس مقبولاً اليوم، فيتسع هامش التجاوز عن الأخطاء، وتضعف العلاقات الاجتماعية، ويقل احترام الصغار للكبار، ويضعف عطف الكبار على الصغار، ويصبح الصراع بين الكبار والصغار حقيقة لا مفر منها.

لقد عاش الليبيون تلك الحقبة التي عرفوا فيها استقرار القيم والمعايير، فكان الأب يربي، والجد يربي، والجار يربي، والعم يربي والخال يرب، والمعلم يربي، وكان هناك احتراماً لكبار السن. ولكن وبمجرد تبدل القيم لعوامل كثيرة والتي بعضها إيجابي وبعضها سلبي، تبدلت القيم القديمة لتحل محلها قيم جديدة تبجل النجاح المادي بكافة صورته، واتسع هامش الطموحات والتطلعات، وقلت الفرص المعيارية لبلوغ الأهداف الاجتماعية، فصار البعض يؤمن بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، وبزغت تلك القيم التي تثيب النجاح والناجحين وتحرض على كسب المنافسة بأية وسيلة، وتزين لتشييد تلك العلاقات الاجتماعية المحققة لمصالح الفرد الشخصية بالدرجة الأولى. على هذا النحو تراجعت رغبة أفراد المجتمع في أنجاز مشروع اجتماعي كبير يحقق تقدم المجتمع وتطوره، وتشجع الفرد على أن يضحى بمصالحه الشخصية في سبيل تحقيق المصلحة العامة. لقد أدى تطور وسائل الاتصال الجماهيرية التي يشهدها العالم اليوم إلى إحداث صدع كبير في الأنساق القيمية للمجتمعات الحالية وبشكل غير مسبوق. حيث تشرب الكثير من الشباب قيم العولمة الثقافية التي تزين للعزلة الاجتماعية والفردية وشخصنة العلاقات الاجتماعية، وتروج لثقافة استهلاك الجاهز والمتاح، وتتبد كل ما هو قديم وتقليدي، ما أدى إلى ضعف الفرد بأسرته ومعارفه القدامى وجيرانه، فصار الفرد غريباً في بيئته وبين ذويه. ويلحظ الراصد لمستعملي

الهواتف المحمولة الذكية، أن معظم الشباب يقضون ساعات طويلة في تصفح الانترنت عبر هواتفهم، ويشغلون أنفسهم باستعمال برامجها وألعابها المختلفة، وهو ما أضعف تفاعلهم الاجتماعي مع والديهم وأقاربهم. لقد حل الهاتف المحمول محل الأجداد الذين كانوا يحكون لأحفادهم حكايات تمجد الفضيلة والشهامة والحب والتضحية والوفاء والأمانة والكرم، فافتقد شباب اليوم الكثير من حكمة الكبار، بل ويلحظ إن بعض الشباب يسخرون من المسنين لعجزهم عن مواكبة أفكارهم وفلسفتهم في الحياة المعاصرة. لا شك أنه بإمكان تغيير اتجاهات الفرد عندما يكون وحيداً، كما أن الوحدة وسيلة جيدة لإقصاء القيم التقليدية التي لا شك أن بعضها خير وجميل. ولذلك يلحظ أن كافة آليات العولمة الثقافية اليوم تروج لكل ما هو شخصي وذاتي، وتقل من شأن من كل ما هو اجتماعي وموضوعي. يحدث كل هذا وفي وقت لم تعد فيه المجتمعات النامية ثقافة توازي ثقافة العولمة الغربية، فكانت النتيجة انبهار شباب المجتمعات النامية بثقافة الغرب بشكل غير مسبوق. والمحصلة بالطبع هي خلق جيل لا يمكنه أن يكون غريباً في ثقافته ولا يمكنه أن يكون تقليدياً في ثقافته أيضاً، وهو ما جعل ظاهرة تبدل القيم حقيقة ماثلة للعيان بوضوح. لا يقل تأثير ثقافة التلفزيون السلبية عن تأثير ثقافة الهاتف المحمول. فالراصد لكثير من البرامج التلفزيونية التي ثبت على مدار الساعة يلحظ أنها تروج لحياة المجون والانحلال والاستهلاك والعنف والعدوان، كما يروج بعضها للتطرف الديني وخطابات الكراهية والعنصرية والجريمة ويحرض على كسب المنافسة بأية وسيلة، فتعلم الكثير من الشباب فنون النصب والاحتيال والعنف ومضايقة المرأة في الفضاءات العامة، وتعلموا فنون الأنانية وعشق الذات، وتشرب القيم الهدامة التي تزين لحياة العزوبية والوحدة والتصل من الآخر. يلحظ المنتبِع لبعض البرامج التلفزيونية ولاسيما المسلسلات المدبلجة أنها تروج للخيانة الزوجية والحمل غير المشروع، والغش والغدر، والمغامرات غير محسوبة المخاطر، والتحريض على التمرد على كل ما هو

مقدس واجتماعي، فصرنا نسمع قصصاً غريبة عن القتل بدم بارد، وحدث جرائم شنيعة تتعلق بالشرف والنصب والاحتتيال والغدر، وممارسة كافة حياة المجون بكل صورها.

لا شك أن التغيير سنة الحياة وأن الجمود موت وعدم، لكن ما نود قوله إن التغيير الاجتماعي الذي ننشده يجب أن يكون عقلياً، وأن نعيد للقانون هيئته ونعيد للقيم الاجتماعية النبيلة هيئتها ونعيد للأسرة هيئتها، وأن نراقب سلوك الأطفال ونمنعهم من الانغماس في استعمال آليات العولمة بقوة. كما ينبغي أن نحول دون مشاهدتهم لبرامج تلفزيونية معينة ما لم يصلوا إلى مرحلة النضج المناسبة. ولذلك فإن الكثير من القيم الهدامة التي نلاحظها اليوم - في تقديرنا- ربما تكون على علاقة وثيقة بتراجع وظيفة الأسرة والمدرسة والمسجد بالدرجة الأولى. لقد أدت الحرية الشخصية غير المحسوبة إلى تفاقم مشكلات اجتماعية لا حصر لها، منها على سبيل المثال: ضعف العلاقة بالوالدين والأقارب والجيران، والتجاوز عن القانون وشخصنة العلاقات الاجتماعية والميل لحياة العزلة، وتشرب المبدأ الميكافيللي، وضعف الوازع الديني، وانتشار الكراهية والحقد والحسد والغيرة بكافة صورها.

تروج قيم العولمة لحياة الأبهة التي يمكن بلوغها بسبل سريعة وغير مشروعة مثل الاتجار في المخدرات أو بالجريمة أو بالقوة والعنف أو بالنصب والاحتتيال. وتعرض بعض المسلسلات مظاهر الحياة المرفهة ما جعل البعض يحلم بمثل هذه الحياة حتى وإن لم يمتلك مقوماتها بعد، أو لا يمكنه تحقيقها بالسبل المشروعة. وبالفعل قد يتمكن البعض من تحقيق هذه الحياة المرفهة بأية وسيلة، ولكن نجاحه هذا لا يمر دون أن تحوم حوله إشاعات تتهمه بالبلطجة أو الاختلاس أو حتى بالتنازل عن قيم لها وزنها الكبير في مقابل وصوله لما وصل إليه، ويكثر القيل والقال حوله، وقد يصبح محسوداً أو مكروهاً على ما حققه. عندما يصبح النجاح قيمة في حد ذاته، يقل تأكيد المرء على إتباع السبل المشروعة لبلوغه. وعندما تُستمدج قيمة النجاح لذاتها، يقل استمداج قيم اجتماعية نبيلة أخرى مثل السعي لتحقيقها بالسبل المشروعة. فمن ينشد النجاح لذاته، يشيد

العلاقات الشخصية مع من يمكنه من تحقيقه، وقد يضعف في سبيل ذلك ارتباطه بمجتمعه وأسرته وأقاربه وأصدقائه، وقد ينتهك القانون لتحقيق نجاحه. بيد أن نجاح المرء وبأية طريقة، عادة ما يجلب لصاحبه حسد ونقمة وكراهية بعض المحيطين به، "فالناس لا تكرك لذاتك، ولكنها تكرك لنجاحك". وعندما يصبح النجاح غاية في حد ذاته، فإن الفرد مستعد لتنفيذ كل ما يُطلب منه أو يتطلبه نجاحه. ففي سبيل الثروة، قد يستولي المرء على ممتلكات الدولة، وقد يستعمل مقوماتها لمصلحته الشخصية، وهو ما يعرضه لكراهية غيره لا سيما الأكثر كفاءة منه، حيث يلمسون ازدهاره، ويلمسون تعاستهم. بيد أن تداعي القيم الاجتماعية كما بينا، لا يمر دون أن يغرس بذور الكراهية في المجتمع. فوفقاً للبيانات الإمبريقية المتحصل عليها، تبين أن الحب تتم مقايضته مثلما تتم مقايضة أية سلعة أخرى، وهو ما يمكننا أن نطلق عليه "تشيؤ الحب"؛ حيث أصبح الحب بمثابة سلعة تُباع وتُسترى. كما تبين أن الكراهية التي تحدث لأي سبب كان، عادة ما تجلب وراءها سلوكيات ونوايا مدمرة. فعندما يكره شخص ما شخصاً آخر، فإنه عادة ما يحيك الإشاعات المغرضة حوله، ويصادق خصومه، ويتمنى له الهلاك، ولا يجلس بمجلسه ويظهر له كل تعبيرات الكراهية والحقد، ويورث الحقد عليه لأولاده أو معارفه، ولا يصفح عنه، ويتنكر لكل خصاله الجميلة، وقد يخطط بالاستعانة بمراكز قوة لتحطيمه، وكراهية معارفه أيضاً، والتقليل من كفاءته، وعرقلة مصالحه، والشماتة به إن حلت به مصيبة، وتمني زوال نعمته، وإصابته بمرض عضال، وتشويه صورته الاجتماعية. لقد كانت النسب التي أكدت على انتشار مثل هذه القيم المدمرة مرتفعة، وهو ما يؤكد تمزق النسيج الاجتماعي، ويؤكد الأناية المفرطة والتصل من كل ما هو خير واجتماعي.

تصور نظري لتفسير اللامعيارية في ضوء البيانات الإمبريقية للدراسة: التغيير الاجتماعي سنة الحياة. ولذلك تتغير الأنظمة الاجتماعية باستمرار، وقد تستجد دائماً ظواهر جديدة في أي مجتمع، وتختفي ظواهر أخرى ثم تبرز ثانية وهكذا. وقد أصبح التغيير الاجتماعي حقيقة ماثلة

أكثر من أي وقت مضى بفضل تطور وسائل الاتصال والمواصلات ولا سيما في عصر العولمة الثقافية الحالي، حيث لم تعد الجبال والصحاري والمحيطات والبحار عائقاً يحول دون اتصال المجتمعات ببعضها البعض. ويطال التغيير الاجتماعي كافة النظم والأنساق الاجتماعية بما فيها نسق القيم. ذلك لأن الثقافة الاجتماعية تتغير بشقيها المادي واللامادي. وتمثل القيم والمعايير والمعتقدات والأفكار والاتجاهات والأعراف والتقاليد ونحوها الجانب غير المادي للثقافي، وهو جانب يصعب تغييره بسهولة في العادة لأنه نتاج تراكم ثقافي طويل المدى. ويمثل الجانب المادي للثقافة كل ما صنعه يد الإنسان. وتحدث الهوية الثقافية عندما لا يتغير الجانبان المادي وغير المادي للثقافة بطريقة متناغمة أو بشكل متوازٍ، ما يعرض المجتمع المتغير لكثير من الظواهر السلبية. ويعد تبدل نسق القيم ظاهرة ماثلة للعيان وإن كان يحدث ببطء شديد، وعندما تتبدل القيم الاجتماعية بشكل سلبي، فإن المجتمع عادة ما يتعرض للتفكك الاجتماعي بسبب ضعف فاعلية الضبط الاجتماعي بشقيه الرسمي وغير الرسمي، وتحدث بلبلية قيمية، ويعجز الناس عن التمييز بين الخطأ والصواب، وتضعف هوية القانون، ويتم التعلق بشكل القيمة دون مضمونها، وتنتشر الانتهازية والميكافيلية، وتشخصن العلاقات الاجتماعية، وتضعف الثقة بالسبل المشروعة المحققة للأهداف الاجتماعية، وتنتشر الفردية، وتتم الاستعانة بأصحاب المراكز لتحقيق مكاسب معينة، ويتم التوظيف بناءً على الوساطة والجهوية وليس بناءً على الكفاءة والأهلية، ويزدهر المنحرفون وأنصاف المتعلمين ويتراجع الأكفاء، وتراجع قيم الأمانة والصدق والاستقامة، فينتشر الحسد والبغض والكراهية، ويصاب المجتمع بالوهن والضعف، وينهار مجتمع القواعد والمعايير، ليحل محله مجتمع الفوضى أو مجتمع اللامعيارية. وعندما تحل اللامعيارية بمجتمع ما، فإنه عادة ما يتم التنصل من قيم اجتماعية لها وزنها الكبير وتسهم في ضبط المجتمع، حيث يضعف مثلاً تقدير الصغار للكبار في المجتمع اللامعاري، ويضعف الارتباط بالمجتمع الكبير، ويقوى ولاء الفرد لأسرته بالدرجة الأولى ولقبيلته وأصدقائه، ويضعف ارتباطه

بغيره وإن كانوا ذويه، ويتوقع حول نفسه، ويرتبط بأولئك الذين يحققون مصالحه، ويؤثر الأخذ دون العطاء، ويضحى بالمصلحة العامة في سبيل تحقيق المصلحة الشخصية والآنية، ويستخدم الطرق غير المشروعة لتحقيق أهداف مشروعة، ويتحايل على القانون، ويتقرب لذوي المناصب لتمير خدماته. وفي المجتمع اللامعاري يصعب التنبؤ بالأمر، ويسود شعور بقلة الأمن والأمان، ويهتم المرء بحاله فقط، وتضعف الثقة في السبل المعيارية كوسائل محققة للأهداف الاجتماعية، ويضعف التماسك الاجتماعي، ويرتبط المرء بمن يجدهم في وقت الشدة وبمن يخدمهم ويخدمونه، ويسود النفاق والرياء الاجتماعي، ويتشياً الإنسان؛ حيث يُقاس بمقدار الفائدة المرجوة منه. ويضعف التماسك الاجتماعي، ويحل الأخذ محل العطاء، وتغيب السوية، ويتم التجاوز عن الأخطاء. كشفت البيانات المتحصل عليها أنه كلما تفكك المجتمع، كثر الدجل والشعوذة فيه، وقل التكافل الاجتماعي، وضعف الشعور بالقيام بمشروع اجتماعي أو وطني كبير يطور المجتمع، وتراجعت القيم الروحية، وطغت القيم المادية، وتلاشى العمل الاجتماعي المشترك، واختفت قيمة التعاون والإيثار، وضعف الارتباط بالأقارب، وتحكم الأولاد في الآباء، وسيطرت الزوجات على أزواجهن، وسادت العلاقات الاجتماعية التي تسيرها الأهواء والميول، وقلت المساندة الاجتماعية، وفشل المرء في إيجاد من يسانده وقت الشدة، وتفكك النسيج الاجتماعي حتى داخل الأسرة أو العائلة الواحدة، وضعف الامتثال الذاتي للقانون، واتسع هامش الطموحات الذي لا تحده حدود، وساد شعور بضرورة تحقيق النجاحات بشكل مستمر، وانحطت الأخلاق العامة، وانتشرت قيماً معتلة كالطمع والتملق وقلة الفناعة، وساد العنف الذي قد يصبح أسلوب حياة بسبب ضعف قوة القانون وشخصنته، وساد التنكر لذوي الفضل، ووقف المرء موقفاً سلبياً مما يحدث في مجتمعه بسبب انكفائه على ذاته، وسيطر على ممتلكات الدولة، فتراجع من ثم قيم المحبة والتواصل الاجتماعي.

وبناءً على ما سبق لا بد وأن تنتشر مظاهر الأناثية والحسد والكراهية في المجتمع اللامعاري. وتتعد مظاهر الكراهية وآلياتها. وتنشأ الكراهية من الأناثية والتمركز حول الذات، ومن تمني الهلاك لآخر، والظفر بمكاسبه، والاستعلاء عليه، والتقليل من نجاحاته، وعدم الارتياح في حضوره، والتكرار لخدمته، ونشر كل ما يطمس صورته في نظر الآخرين وتضخيم هفواته. وقد كشفت البيانات الحالية أنه وفي المجتمع اللامعاري ينتشر القيل والقال، وهو مسلك يعبر عن الشعور بالعجز، وآلية ينفس بها النمام عن نفسه المضطربة وإحباطاته المتفاقمة ونفسيته المليئة بالحقد والآثام. ونظراً لأن الكراهية سمة مذمومة، فإن الكاره عادة ما يعبر عنها بطرق مقبولة في شكل نشر إشاعات حول المكروه، والحلم بهلاكه، وتجاهل قدراته ومجاملته تحت ستار الحقد المبطن، والغيرة من نجاحاته، ومنافسته، وقلة مشاركته أفراحه وأحزانه، وكراهية أقاربه، والتخطيط لتدميره، وإفشاء أسراره، وتذكيره بعيوبه، ومقاطعته اجتماعياً وإن كان قريباً، والاستعانة حتى بالسر والشعوذة لتدميره.

#### تصور نظري لتفسير ظاهرة الكراهية:

الكراهية مرض عضال عانت البشرية -وما تزال- من تبعاته عبر العصور. ففي كل مجتمع يوجد أناس يتمتعون بمزايا يحسدون عليها. ذلك لأن كل ذي نعمة محسود. كما عرفت البشرية التعصب العرقي والديني والثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والحضاري منذ قبح موغلة في القدم. ويعد التعصب بكافة صورته شكلاً من أشكال الكراهية، وهو يؤدي إلى توسيع هوة الاختلاف بين الجماعات والشعوب والحضارات ويحول دون انصهارها في بوتقة واحدة. فالتعصب أس الكراهية؛ حيث تبرز مثلاً خطابات الكراهية التي تتلون بلون أهدافها الظاهرة والمستترة. ووفقاً للبيانات المتحصل، فإنه كلما ضعف ارتباط المرء بمن يكره، قطع علاقته به وتكرر لمزاياه وقدراته الفذة، وقل تفاعله معه، وأصر على مقايضة كرهه بكره مماثل. وكلما كره المرء شخصاً ما، احتقره وأهانته وأظهر التجاهل والعبوس في وجهه وتلقي نجاحاته بفتور، وفرح



لانتكاساته، وحال دون بلوغ أهدافه، وتتصل من الاعتراف به، وحبك له الدسائس والمؤامرات التي تسقطه في مستنقع الفشل وخيبة الأمل.

تؤكد البيانات المتحصل عليها أن الكارهين عادة ما ينافقون من يكرهون، فيظهرون لهم الود المبطن بالخبث لتحقيق مصالحهم من خلالهم، ويتمنون في قرارة أنفسهم بتر أيديهم التي يقبلونها ظاهرياً، ويحلمون بهلاكهم، ويتحالفون من غيرهم لتدميرهم. وعليه فقد أكدت النتائج الحالية أنه كلما كره شخص ما شخصاً آخر، تجاهله وتضايق منه إن رآه أمامه، واستغله وقلل من كفاءته، واستعان بغيره الذين يبغضونه أيضاً لتدميره، وفعل كل ما يخيب أمله، وساند خصومه، ونشر الأخبار التي تفت من عضده وتنال من كرامته، وعامل أقاربه بحقد شديد، ورفض كل تصالح معه، وشعر بالراحة كلما أذله.

تستند الكراهية إلى قناعات راسخة في قاع الشخصية الكارهة، وهي قناعات عندما تترسخ في قاع مخ هذه الشخصية، فإنها عادة ما تعبر عن نفسها في شكل انفعالات قوية تجيد الحقد والحسد والضغينة وتشعل فتيل الحنق، وتتحول من ثم إلى سلوكيات مدمرة قد تصل إلى القتل والتطهير العرقي وقطع لقمة عيش المكروه والكيد له وإن كان من الأقارب، والاستعانة حتى بمراكز قوى أخرى لتدميره. وترتبط الكراهية بالفشل في نيل من نريد حبهم ودعهم، أو نغار من نجاحاتهم، ونحسدهم. وتتفاقم الكراهية بين الأقارب بسبب توافر الكراهية المتبادلة. ونحن لا نكره في العادة الذين لا نعرفهم أو الذين لا يشكلون لدينا معنى. لذلك أكدت البيانات الحالية أن أشد طعنات الغدر تأتي من المقربين، لأنه لا يوجد من يحبك لذات الحب، وأن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وأنه لا يوجد من يحقق لك أهدافك غير اجتهادك الشخصي وقدراتك، وأنه لا يوجد إنسان طيب لذات الطيبة. أكدت البيانات الحالية أنه كلما كره المرء شخصاً آخر، أظهر له الصفح الظاهري فقط، وقاطعه في المناسبات الاجتماعية، وهجر مجلسه، وتكرر للجميل فيه،

وقل من نجاحاته ومهاراته واستفزه وتعالى عليه، وذكّر بعيوبه للتقليل من انبهار الآخرين به، وغرس كراهيته في ذويه كأولاده، لأن منطق مبادلة الكراهية بالكراهية منطق سليم وعقلاني.

### المراجع والمصادر:

القرآن الكريم.

ابن منظور (1414هـ)، لسان العرب ط (3)، بيروت: دار صادر، صفحة 148، جزء 3. بتصرف.

أبو أحمد، ناصر (2003). أسرار الحب والزواج والجنس والنجاح والعبقرية والسعادة: رؤية تحليلية في أحدث الدراسات العلمية، القاهرة: مكتبة مدبولي الصغير.

أبوخطب، فؤاد، وعثمان، سيد أحمد (1979). التقويم النفسي، ط (3)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أبوصيد، حليلة أحمد حسن (2018). مظاهر التعصب والجمود الفكري وعلاقتها بسمات الشخصية من وجهة نظر طلبة أكاديمية الدراسات العليا بمصراته: دراسة امبيريقية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، مصراته: الأكاديمية الليبية.

اسكندر، نبيل رمزي (1988). الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

إسلام، ويب، (2011). الفرق بين الحقد والحسد والعين والغبطة“.

الألباني، في صحيح الترمذي، عن عبد الله بن عباس، الصفحة أو الرقم: 2060، صحيح.

أميمن، عثمان على (1996). ظاهرة الغش في الامتحان، دراسة امبيريقية لمعرفة العلاقة بين الأنوميا وبين التجاوز عن الغش والسلوك الفعلي للغش لطلاب الشهادة الثانوية العامة ببلدية طرابلس، رسالة في الدكتوراه غير منشورة، طرابلس: جامعة الفاتح- كلية العلوم الاجتماعية التطبيقية.

أميمن، عثمان علي (2007). المرجع في علم النفس الاجتماعي، الخمس: دار الخمس للطباعة.

أميمن، عثمان علي (2014). فلسفة البحث الإمبريقي، الخمس: دار الخمس للطباعة.

أميمن، عثمان علي (2015). التقنيات الإحصائية: أسسها وتطبيقاتها في العلوم الاجتماعية، الخمس: دار الخمس للطباعة.

أميمن، عثمان علي، وأبوشاقور، نعيمة المهدي (2019). المنهج العلمي: طرقه وتصميماته في العلوم الاجتماعية، الخمس: دار الخمس للطباعة.

بن حنبل، أحمد، في المسند، عن عبد الله بن عباس، الصفحة أو الرقم: جزء 3، 125، حديث رقم: 2476.

بوسكاليا، ليو (1996). الحب، ترجمة: صبري الفضل، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بيومي، محمد أحمد (2002). علم اجتماع القيم، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

التابعي، كمال (1993)، القيم الاجتماعية والتنمية الريفية، دراسة في علم الاجتماع الريفي، القاهرة: دار المعارف.

التير، مصطفى عمر (1980). الغاية تبرر الوسيلة، دراسة اجتماعية لظاهرة الغش في الامتحانات، بيروت.

التير، مصطفى عمر (1989). مساهمات في أسس البحث الاجتماعي، بيروت: معهد الإنماء العربي.

التير، مصطفى عمر (1992). مسيرة تحديث المجتمع العربي الليبي: موازنة بين القديم والجديد، بيروت: معهد الإنماء العربي - قسم الدراسات الاجتماعية.

- التير، مصطفى عمر، أميمن، عثمان علي (2003). التغيير في أساق القيم ووسائل تحقيق الأهداف: نموذج الغش في الامتحانات، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- جابر، سامية محمد (1981). الانحراف الاجتماعي بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- جابر، سامية محمد (1990)، القانون والضوابط الاجتماعية - مدخل علم الاجتماع إلي فهم التوازن في المجتمع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الجبالي، حسني (2003)، علم النفس الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- الجرجاني (1983)، التعريفات (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية، صفحة 87. بتصرف.
- الجزائري، أبو بكر جابر (1971). منهاج المسلم، ط (3)، طرابلس: دار مكتبة الفكر.
- جلبي، علي عبدالرازق، محمد أحمد بيومي (1990)، المجتمع والثقافة والشخصية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الجوهري، محمد، وعلياء شكري وعلي ليلة (1982). التغيير الاجتماعي، القاهرة: دار المعارف.
- الحسوني، بنور علي (2007). تفسير العوامل المؤدية للتسيب الإداري وتدني الأداء الوظيفي في ضوء نظرية اللامعيارية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جنزور: أكاديمية الدراسات العليا.
- راجح، أحمد (1977)، أصول علم النفس، ط (11)، القاهرة: دار المعارف بمصر.
- رمزي، نبيل (1999)، النظرية السوسولوجية المعاصرة: أصولها الكلاسيكية واتجاهاتها المحدثة (قراءات مفتوحة)، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي.
- الزرقاني، في مختصر المقاصد، عن جابر بن عبد الله، الصفحة أو الرقم: 675، خلاصة حكم المحدث : صحيح.

- السمرى، عدلي (1996). السلوك الإجرامي - النظريات، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- السوداني، عبدالنبي احمدودة (2010). مظاهر الانحراف الاجتماعي وعلاقتها ببعض القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع الليبي من وجهة نظر طلبة وأساتذة أكاديمية الدراسات العليا: دراسة امبيريقية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، طرابلس: أكاديمية الدراسات العليا.
- الشاذلي، فتوح عبد الله (1993). في دراسات في علم الإجرام، الإسكندرية: جامعة الإسكندرية.
- شوقي، عبد المنعم (1981). مجتمع المدينة- الاجتماع الحضري، بيروت دار النهضة العربية.
- الشيواني، عمر محمد التومي (1975). مناهج البحث الاجتماعي، ط (2)، طرابلس: منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
- الشيخ، عبدالسلام (1992)، علم النفس الاجتماعي، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.
- الطبري (2000)، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، صفحة 564، جزء 23. بتصرّف.
- عبد الحميد، آمال في علياء شكري وآخرون (1993). دراسة المشكلات الاجتماعية، إشراف: محمد الجوهرى، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- علي بن نايف (2011)، المَهْدَبُ في علاج العين والمسّ والسّحر (الطبعة الأولى)، بهانج: دار المعمور، صفحة 44-46. بتصرّف.
- كاره، مصطفى عبد المجيد (1985). مقدمة في الانحراف الاجتماعي، بيروت: معهد الإنماء العربي - الدراسات الاجتماعية والانتروبولوجية.
- الكويت، سليمة رمضان (2012). مظاهر السلوك الاجتماعي السلبي وعلاقتها بتبديل القيم الاجتماعية: دراسة امبيريقية على عينة من المواطنين بمنطقة الخمس، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة المرقب: كلية الآداب والعلوم/الخمس.

لسان العرب المحيط ، ابن منظور، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب: مادة "كره" وانظر ترتيب القاموس المحيط، على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، تصنيف الطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر ط3:

ليلة، على (1983). النظرية الاجتماعية المعاصرة: دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع، ط2، القاهرة: دار المعارف.

مركز الفتوى (2001-2-28). "علامات وأعراض المحسود والمصاب بالعين وعلاج ذلك"، إسلام ويب، اطلع عليه بتاريخ 2017-2-24. بتصرّف.

مسلم، في صحيح مسلم، عن عائشة، الصفحة أو الرقم: 39، جزء4، حديث رقم: 1718.

هيرشى، ترافيس (1989). أسباب جنوح الأحداث، ترجمة: محمد غباري، ط2، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

Merton, K. R. (1968). Social Theory and Social Structure, New York: The free press, A division of Macmillan Publishing Co. Inc. 3rd Edition,.

Nisbet a. R. (1975). The Sociology of Emile Durkheim, London: Published by Heinemann, Educational Book's Ltd.

## التوسع العمراني وأثره في تطور النقل

إعداد : د: نورية محمد الشريف- د: صالح أحمد الاحمر

د: هناء أبوالقاسم أبوذينة

### المقدمة:

يمر العالم بفترة نمو سكاني مذهلة، وهذا النمو السريع قد أثر في ظهور المناطق الحضرية، بل كان له دور فعّال ومهم في النمو العمراني للمدن واتساعها، وظهر أخرى إلى حيز الوجود.

إن تطور المدن المتسارع وامتداد مجالاتها، وازدياد أعدادها يعزى سببه لتحرك السكان إلى الضواحي والاتجاه المعاكس المتمثل في الهجرة الداخلية من المناطق الريفية إلى المدن، أضف إلى ذلك عمليات التنمية الاقتصادية وإسهامها في تطور المدن وتحسين المستوى المعيشي للسكان، ولقد عجلت تطور وسائل النقل من تطور المناطق الحضرية، وهو ما أكسب المدينة خاصة الجذب وما تحويه من فرص العمل ومظاهر الترف وتوفر الخدمات والمتطلبات مما يدعو الكثير إلى التمسك بحياة المدينة.

تعد الثورة التكنولوجية في مجال النقل عاملاً مهماً وأمكن عن طريقه تحويل المكان الجغرافي إلى مكان اجتماعي، وترجمت المسافات الجغرافية إلى معادلات زمنية ومكانية، وكان دافعاً للنمو الحضري وزيادة معدلاته، مما كان له الأثر السلبي في إيجاد عدد من المشكلات بعد موجة التحضر والنمو الهائلة، وخاصة في المدن

الكبرى ، حيث أن ازدحام الطرق بالمركبات والذي يبدو أكثر وضوحاً في ساعات الذروة الصباحية والمسائية، أو عند مواقع التقاطعات التي تتلاقى عندها شبكات النقل الأثر البارز في التأثير على سيولة حركة السكان وبيئة المدينة من ناحية، وفرضها عدداً من المشكلات التي تهدد أمن وسلامة الحياة الحضرية للسكان، ومن هنا ظهرت الحاجة الملحة لمراقبة النمو والتطور الحاصل في هذه المدن، ودراسة التغيرات الحاصلة في بنيتها الوظيفية نتيجة التوسع، ومدى تأثيره في بيئة المدينة لكي يتم توجيهه تماشياً لخدمة سكان المدينة على أكمل وجه.

### مشكلة الدراسة: يمكن تحديد المشكلة في التساؤلات الآتية:

- 1) ما هو تأثير النقل الحضري على التوسع والنمو الذي تشهده المدينة؟
- 2) هل تدهور التخطيط العمراني وظهور مناطق غير مخططة من ناحية، وتدني كفاءة نظام النقل الحضري من ناحية أخرى أدى إلى وجود فجوة كبيرة ترتبت عليها العديد من المشاكل؟

### أهدافها: تكمن أهداف البحث في النقاط الآتية:

- 1) التعرف بواقع التوسع العمراني في ظل الزيادة السريعة داخل المدن وتأثير ذلك على النقل والتنقل داخل المدن.
- 2) الكشف عن مشاكل النقل وتحسين نظامه داخل المدينة.



**أهميتها:** يعد موضوع النقل وتأثيره على التوسع الحضري من المواضيع بالغة الأهمية لما له من تأثير واضح على صعيد المدينة والدولة، ومن هنا يجب الوقوف على بعض النقاط التي تبرز أهمية هذه الدراسة في إبراز أهمية هذا الموضوع المقترح في مجال البحث العلمي المتعلق بالنقل وارتباط دوره في التوسع العمراني للمدينة.

**منهجية البحث:** تعتبر منهجية البحث من بين أهم أسباب نجاح العمل العلمي، فهي الأسلوب الذي يتبعه الباحث والإطار الذي يرسمه لبلوغ أهدافه، فنجدها محوراً رئيسياً ذو أهمية كبيرة في البحث، لذا يستوجب على الباحث اختيار المنهجية التي تتلاءم مع طبيعة عمله وتخصصه، وفي هذا البحث سيتم اتباع المنهج التحليلي والوصفي النقدي لتحديد النقاط الإيجابية والسلبية في المدينة المراد دراستها كإنموذجاً وصولاً إلى عدد من المقترحات والتوصيات من شأنها الرقي بالحالة الراهنة للمدينة.

**الفرضيات:** تتمحور فرضيات هذه الدراسة في النقاط الآتية:

- توجد فجوة كبيرة بين تخطيط النقل الحضري والتخطيط العمراني بالمدينة، مما أدى إلى عدم كفاءة منظومة النقل فيها.

**مجالات الدراسة:** تتمثل مجالات وأبعاد هذه الدراسة المتواضعة بتسليط الضوء على مدينة الخمس وتناولها كإنموذجاً، وذلك من خلال دراسة النقل فيها وعلاقته بنمو وتوسع مجالها العمراني، وكيف يتأثر ويؤثر هذا التوسع في توزيع شبكته داخل محيط المدينة.

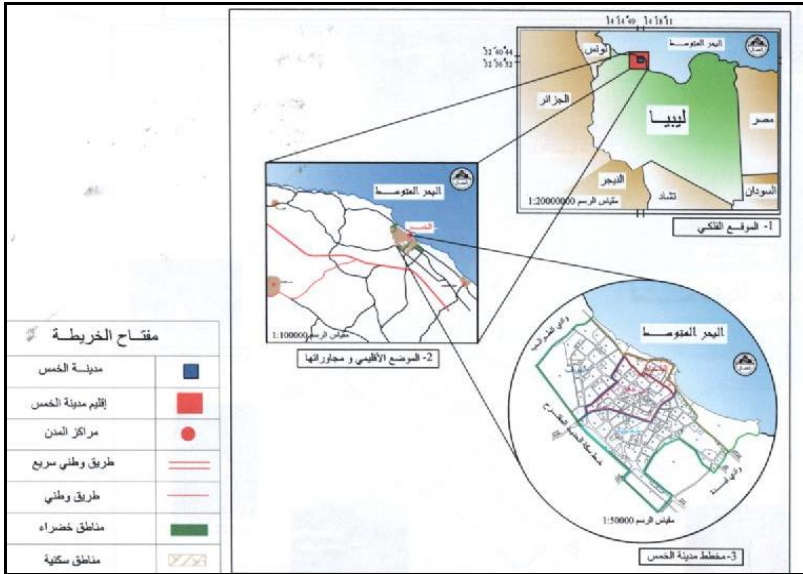
**أولاً: مجالها المكاني:** ويشمل دراسة التوسع العمراني للمدينة وعلاقته بالنقل الحضري ضمن مخطط المدينة والتوسعات الحديثة التي حصلت داخل مجالها المكاني باعتبارها إنموذجاً لأحد المدن الليبية، ومن أهم المراكز الحضرية التي شهدت توسعاً وتطوراً عمرانياً كبيراً، تعد مدينة الخمس إدارياً مركز شعبية المرقب (سابقاً)، وهذا الموضع وفر لها حسب الطبيعة السهلية سهولة الاتصال بسوق الخميس وزليتن شرقاً، ويسلين والجحاوات غرباً ضمن حدود الشعبية، مثلما جعل المدينة على الاتصال بكل من مسلاته وترهونة بالجنوب الغربي، وغنيمة والعلوص وقصر الأخيار غرباً.

فهي مدينة واقعة في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا على ساحل البحر المتوسط، عند تقاطع دائرتي عرض  $32^{\circ} 36' 52''$  -  $32^{\circ} 40' 44''$  شمالاً، وخطي طول  $14^{\circ} 14' 11''$  -  $14^{\circ} 18' 14''$  شرقاً، وهي بذلك تحتل موضعاً في الجزء الشرقي من إقليم طرابلس، حيث تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 120 كم، ويحدها البحر المتوسط من الشمال، ومشروع السكة الحديدية المقترح والجاري تنفيذه من الجنوب، ووادي لبدة ومدينة لبدة الأثرية من الشرق، ووادي الطوالب من الغرب كما هو موضح في الشكل رقم (1) إن عملية سهولة الاتصال من عدمها يجعل المكان يتطور للأفضل أو

العكس، ومدينة الخمس لم تكن في موضع صعب، ومن ثم فإن موقعها جعلها تتسم بصفات جيدة في مجال الخدمات والاتصالات، ولم تكن الأنشطة المختلفة الممتدة إلى خارج مخططها ذات طبيعة صعبة، وهذا راجع إلى سهولة سطح المنطقة.

**ثانياً: المجال الزمني:** تناولت هذه الدراسة متابعة التوسع والنمو العمراني ومدى تأثيره على توزيع شبكة الطرق داخل مخطط المدينة وخارجها، مع إعطاء تصورات لاتجاهات النمو وحالة الطرق المؤدية والمشاكل المصاحبة لها.

### شكل (1) الموقع الفلكي والموضع الإقليمي لمدينة الخمس



المصدر: (1) من عمل الباحثة استناداً إلى الأطلس التعليمي، ص43.

(2) من عمل الباحثة استناداً إلى بولسيرفس، المخطط الشامل لمدينة الخمس، 2000م، التقرير النهائي، طن، رقم 33، ص45.

**التوسع والنمو العمراني:** إن التطور السريع الذي غزا مدن العالم عامة كان له العديد من المشاكل المتعلقة بنمو المدن وطرق النقل داخلها، إلا أنه يظهر أكثر تعقيداً في مدن العالم الثالث، ويعزى هذا إلى أن التطور السريع كان أكبر من قدرتها على التكيف والتأقلم للتغيرات الجديدة، كما أن الهجرة الواسعة من الأرياف إلى المدن والنمو والتوسعات المستمرة التي تعرضت لها هذه المدن، أنتجت ضغوطاً لم تكن مؤهلة لمواجهتها أو احتوائها، كما أعطى اكتشاف وسائل النقل الحديثة للسكان مرونة على الحركة والتنقل لم تكن متاحة من قبل، ذلك لأن الحركة كانت تعتمد على ترجل المشاة أو استخدام الحيوانات.

وكنتيجة لهذا امتدت المدن إلى مناطق جديدة، وانتقل السكان إلى أطراف المدن مستفيدين من سهولة الحركة التي وفرتها وسائل النقل، وأخذ النمو الحضري والعمراني بالزحف في جميع الاتجاهات من حول المدينة، ولاسيما بعد عزوف بعض السكان عن حياة مركز المدينة لما له من مشاكل متعددة أولها الكثافة العالية والضغط المروري الشديد على الطرق والشوارع والازدحام، وما يخلفه من تلوث وإزعاج وضوضاء تفوق الحد.

**مفهومه:** ومن وجهة نظر الباحث هو عبارة عن نمو واستمرارية خارج المنطقة المعمورة أو داخلها بملاً الفراغات والأماكن الشاغرة عن طريق مد شبكة من الطرق بغية توسيعها على أن يكون هذا الامتداد العمراني مستمراً ضمن نطاق المدينة دون انقطاع إذا كان نحو الخارج، أو أن يكون داخلي وتكثيفي، وذلك بملاً الفراغات والفضاءات الموجودة داخل النسيج العمراني للمدينة.

## أنماط التوسع العمراني:

1 - التوسع العشوائي: وينقسم إلى<sup>(1)</sup>:

أ - التوسع التراكمي: حيث يتم عن طريق ملاً المساحات والفضاءات والأماكن الشاغرة داخل المدن، وهو أبسط توسع عمراني عرفته المدن.

ب - التوسع متعدد النوى: وهذا التوسع يعد على عكس التوسع التراكمي الذي يحدث في داخل المدن، في حين أن التوسع متعدد النوى ينتج عنه ظهور مدينة جديدة على مقربة من القديمة أي خارج نطاقها ولكن مع وجود استمرارية ودون انقطاع أو فواصل.

(1) شريف محمد الأمين، "التوسع العمراني وأثره على النقل الحضري دراسة حالة مدينة البيض"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الهندسة الحضرية، جامعة محمد بوضياف بالمسلة، الجزائر، 2016، ص 6-7.

2 - **التوسع المخطط:** يلاحظ في هذا التوسع وجود يد الدولة بارزة في توجيهه والإشراف على تنظيمه وتجهيزه بالمرافق الضرورية وفق نسق معين لتلبية متطلبات قائمة تستدعي المبادرة في الإنجاز وامتصاص لزيادة قد تؤدي إلى ظهور تجاوزات وإحداث مشاكل وإرباك داخل نطاق المدينة<sup>(1)</sup>.

3 - **التوسع المتدرج:** هو التوسع الذي يتم على شكل قفزات متناثرة، ويكون الهدف منها إنشاء مجتمعات حضرية غير متصلة عمرانياً بالمدينة المركزية، وإنما هناك مناطق خالية تفصل بينها وبين المدينة المركزية<sup>(2)</sup>.

4 - **التوسع الشبكي أو الخطي<sup>(3)</sup>:** ويكون هذا التوسع على شكل أشرطة تكون ممتدة من مركز المدينة باتجاه الخارج متتبعاً امتداد طرق النقل.

5 - **التوسع المحوري<sup>(4)</sup>:** يتبع هذا النوع من التوسع خطوط النقل والمواصلات سواءً داخل المدينة أو خارجها.

(1) المرجع السابق، ص7.

(2) المرجع السابق، ص8.

(3)<sup>3</sup> رابح منادى وآخرون، "التوسع العمراني مدينة سطيف"، مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة تخصص تسيير المدن، معهد التسيير والتقنيات الحضرية، جامعة المسيلة، 2004-2005، ص9.

(4) المرجع السابق، ص9.

## أنواع التوسع العمراني<sup>(1)</sup>: 1 - التوسع الخارجي:

عبارة عن امتداد عمراني يكون مستمراً أحياناً وفق نموذج نجمي كمدينة طوكيو أو خطى كمدينة الجزائر، أو يكون غير مستمراً أحياناً وفق نموذج التابع كمدينة لندن ومدنها الحدائقية، أو يكون في شكل مدن جديدة، كل هذه النماذج تتحكم فيها عدة أسباب وعوائق.

2 - التوسع الداخلي "التكثيف": تأتي عموماً هذه العملية بعد ظاهرة التوسع الخارجي، ويكون على حساب الجيوب العمرانية والفراغات الناتجة عن سوء التخطيط والتهيئة أو أصل الملكية العقارية للأراضي.

## عوامل النمو الحضري ومشكلاته:

### أولاً: عوامل النمو والتوسع العمراني:

أ - عامل الصناعة: يمر عالمنا عامة بزيادة في أعداد المدن وخاصة الصناعية، وقد تعدت ذلك وصولاً إلى مدن ميتروبوليتانية، وهذا راجع لارتباط النمو الحضري بحركة التصنيع، ولكن لهذا التطور مشاكل ترتب عليه إحداها ظهور ما يسمى بالأحياء غير المنظمة أو ما يعرف بالعشوائيات أو الأحياء الفقيرة. ولقد نوه "حمدان" بأن ثورة

(1) بشير التيجاني، "التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2000، ص95.

البتروال في العالم العربي تعني مدناً أولاً قبل أن تعني سكان بالمعنى العام، فمن أهم الحقائق البشرية المعاصرة أن الثورة العمرانية التي حركها البترول في العالم العربي كانت ثورة مدنية أولاً، ثم ثورة سكانية، إذ أن النمو السكاني المضطرب في الدول العربية تشجع أصحاب رؤوس الأموال إلى استثمار أموالهم في الصناعات الاستهلاكية وخاصة أنها لا تحتاج إلا لرؤوس الأموال المتوسطة والصغيرة وأسواق تتسع مع النمو الحضري<sup>(1)</sup>.

**2 - عامل الهجرة:** أدت الهجرة إلى زيادة سكان الحضر بدرجة كبيرة، حيث أسهمت بدور كبير في زيادة النمو الحضري وإحداث خلل بارز في توزيع السكان بين الحضر والريف، وحدوث تضخم حضري داخل المدن، وهو ما ساعد على زيادة الفجوة بين الريف والمدن باعتبار أن الريف منطقة طاردة وأن المدن مناطق جذب وهو ما ساعد على النمو السكاني داخلها بنسب عالية جداً.

**3 - الثورة التجارية:** نمو الأسواق العالمية وطرق التبادل حسن من وسائل النقل وزاد من حجم التبادل، الأمر الذي يسمح للمدن بالنمو في ظل ظروف، كانت تمنع في الماضي ظهورها ونموها، إلى جانب الكفاية المتزايدة في وسائل النقل والثورة الديموجرافية<sup>(1)</sup> هذا ويمكن القول أن هناك عوامل أخرى أثرت ولا زالت تؤثر في النمو

(1) عزت عبد الكريم وآخرون، "المجتمع العربي"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 139-141.



العمراني منها الثورة الزراعية وكذلك الثورة التكنولوجية، حيث يعد العامل الثاني مسؤول عن النمو الحديث وتحضر كثير من المناطق في كثير من بلاد العالم. يستمد النمو العمراني والحضري المتمثل في التزايد في نسبة سكان المناطق الحضرية إلى جملة السكان يمكن تلخيصها في أربعة عناصر:

- 1) النمو الطبيعي للسكان.
- 2) الهجرة من الداخل إلى الخارج.
- 3) ضم القرى والأرياف إلى المدن.
- 4) القرارات الإدارية البلدية والتنظيمية التي يتم بواسطتها تصنيف بعض التجمعات السكانية الريفية على أنها حضرية.

**ثانياً: مشكلات النمو:** إن دراسة النمو والتوسع الحاصل للمدن يرتبط بدراسة مختلف الجوانب الديموغرافية والسكنية، والاقتصادية والمواصلات، وغيرها من جوانب الحياة داخل المدن وعلاقتها بالجوار، ومالها من مشاكل تؤثر فيها. ومن هذه المشكلات ما يلي: أولاً: **المشاكل الاجتماعية ومنها:**

- 1) مشكلة توفير المسكن الصحي وخدمات التأمينات الاجتماعية.
- 2) ارتفاع معدلات الجرائم والطلاق وانحراف الأحداث.

---

(<sup>1</sup>) محمد عاطف غيث، "علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 135-137.

(3) توفر الأمن الداخلي من عدمه.

(4) مشكلة توفير الأندية الرياضية والاجتماعية لمعظم أحياء المدينة.

(5) مشاكل رعاية الطفولة والأسرة.

(6) مشاكل التكيف الاجتماعي للمهاجرين.

**ثانياً: المشاكل الاقتصادية ومنها:**

(1) مشاكل متعلقة بتوفير فرص العمل للسكان وتقليص نسب البطالة.

(2) مشكلة توفير السلع التموينية والاستهلاكية للأعداد المتزايد من السكان.

**ثالثاً: مشاكل بيئية:** تختلف مشاكل البيئة للمدن باختلاف العوامل المؤثرة في تكوينها

ونشأة وتاريخ المدينة ووظيفتها وموقعها وحجمها ومنها ما يلي:

(1) خلق أبعاد جديدة في نمط وطراز المباني.

(2) التزاحم على المواقع التجارية.

(3) اختلاط استعمالات الأرض (تجاري - سكني - صناعي).

(4) تكنولوجيا البناء والطابع العمراني للمدينة.

(5) إنشاء المصانع بصورة عشوائية.

(6) انهيار البنية التحتية للمدينة.

(7) عدم تماثل التراكيب الاجتماعية مع التراكيب العمرانية للمدينة.

- 8) انتشار العمران غير المنظم والمخطط.
- 9) اختلاط بين القديم وأصالته والحداثة وتطوره.
- 10) مشكلة المرور وتحولها إلى أزمة فائقة في الشوارع وطرق المدن.
- 11) تكس أكوام القمامة أمام الوحدات السكنية والمحال التجارية.
- 12) مشاكل نقص المياه.
- 13) مشاكل شبكة المجاري وإغفال عجز نظام المجاري على التخلص من الأوساخ والمخلفات مما يؤدي لانتشار الأوبئة والأمراض.
- 14) مشاكل انقطاع الكهرباء.

هذا عرض ملخص لبعض مشاكل النمو مع العلم بأن هناك العديد من المشاكل الأخرى التي غابت عن الذكر منها الإدارية والتربوية وغيرها.

**النقل والتنقل:** يعد النقل الحضري ضرورة ملحة تفرضها طبيعة الحياة الحضرية داخل المدن، حيث أن تعدد الوظائف والأعمال التي يمارسها الإنسان وتباعد أماكنها داخل المنطقة الحضرية أدى إلى نشوء حركة ذهاب وإياب مستمرة عبر شبكة من الطرق للوصول إلى مختلف الأماكن داخل المجال الحضري، من المعروف أن النقل هو شريان الحياة داخل المدن، حيث أنه عامل مهم في نمو المدن وتعميرها، فالملاحظ على استعمالات الأرض داخل المدن أنها تركز على اختيار مواقعها بالنسبة

الطرق، وذلك لامتداد نطاق تأثيرها وإدامة التفاعل فيما بينها، وقد يتعدى ذلك إلى خارج حدود المعمور.

## مفهوم النقل وأنواعه:

### أولاً: مفهومه:

النقل لغة: من نقل ينقل نقلاً.

الشيء: صوله من مكان لآخر.

الكلام عن قائله: رواه عنه.

ومنه نقل جمع أنقال ونقول: طريق مختصر<sup>(1)</sup>.

النقل اصطلاحاً: يعرف النقل بأنه نظام حركة الناس والسلع والمرافق والوسائل اللازمة للقيام بذلك، وقد تكون حركة الناس هي الأهم خاصة داخل المدن من خلال ربط العلاقة بين السكان واستعمالات الأراضي، إلا أن نقل السلع والبضائع من مصادرها إلى أماكن تسويقها واستخدامها لا يقل أهمية في مجال التطور والنمو الاقتصادي<sup>(2)</sup>،

(1) ابن منظور: لسان العرب المحيط، مج3، بيروت، لبنان، ص865.

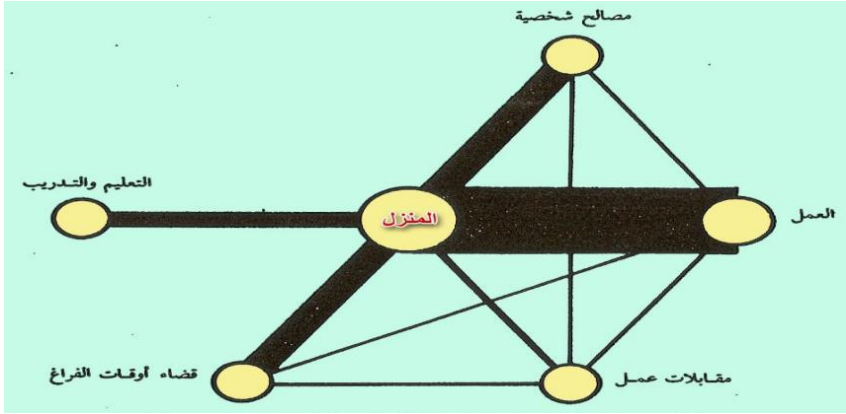
(2) علي محمد عبد المنعم حسن، "هندسة النقل والمرور - مبادئ تخطيط النقل والمرور داخل المدن"،

دار الراتب الجامعية، بيروت، 1994، ص7.

كما يعرف النقل بأنه جزء حيوي من الحياة اليومية لمعظم الناس إذ يوفر لهم الحركة والانتقال بين الأماكن المختلفة منها وخارجها<sup>(1)</sup>.

شكل رقم (2)

### الرحلات التي يقوم بها الفرد لأغراضه المختلفة



المصدر: علي محمد عبدالمنعم حسن، هندسة النقل والمرور - مبادئ

تخطيط النقل والمرور داخل المدن"، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1994، ص10.

(1) زين العابدين علي، "مبادئ تخطيط النقل الحضري"، دار الصفا للنشر، 2000، ص65.

**ثانياً: أنواع النقل<sup>(1)</sup>:**

التصنيف العام لأنواع النقل:

**أولاً: التصنيف وفقاً لمجال التشغيل:**

ويشمل على ثلاثة أنواع وهي:

أ - النقل الداخلي وهو الذي يكون ضمن نطاق الدولة.

ب - النقل الخارجي "الدولي" وهو النقل العابر بين الدول (خارج نطاق الدولة الواحدة).

ج - النقل الحضري وهو النقل داخل حدود المدينة، وهو المقصود بهذه الدراسة.

**ثانياً: التصنيف وفقاً للمسار:**

ويشمل على ثلاثة أنواع وهي:

أ - النقل المائي (النهري والبحري).

ب - النقل البري (طرق، سكة حديد - خطوط أنفاق - باصات - مركبات - أنابيب...).

ج - النقل البحري والمشترك (طائرات - مطارات - طائرات جوية ومائية).

(1) محمد توفيق سالم، "هندسة النقل والمرور"، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1985، ص15-16.

ثالثاً: التصنيف حسب القوة المحركة: ويشمل على أنواع ثلاثة هي:

- أ - عضلي بشري (دراجة، عربة حمال) أو حيواني (العربة التي تجرها الحيوانات).
- ب - قوى طبيعية: كالرياح (سفن شراعية) والتيارات المائية.
- ج - الطاقة (وقود، كهرباء).

رابعاً: التصنيف حسب نوعية الخدمة: ويشتمل على نوعين:

- أ - متخصصة: لنقل الركاب فقط أو البضائع فقط.
- ب - مشتركة: لنقل الركاب والبضائع معاً، أو للنقل الجدي والبري معاً.

خامساً: التصنيف حسب طبيعة وسيلة النقل: ويشتمل على نوعين هما: (النقل العام، والنقل الخاص) وهو التصنيف الذي يهتم به المختصين في مجال تخطيط النقل الحضري عموماً، وذلك لأنه يعتبر من العناصر المؤثرة بشكل كبير في عملية النقل الجوي داخل المدن، وما يرتبط بها من نمو عمراني وتوسع.

**تصنيف الطرق البرية:** تتعدد معايير تصنيف الطرق البرية طبقاً لكفاءتها، وحجمها، ووظائفها، وطرق إنشائها، وحجم الحركة عليها، وتشتمل هذه التصنيفات:

1) **تصنيف إداري:** وفيه تصنيف الطرق إلى طرق دولية أو قومية أو إقليمية<sup>(1)</sup>.

(1) عبد الحميد عبد الواحد، "مقدمة في تخطيط النقل الحضري"، بدون دار نشر، الدوحة، 1976، ص29-

- (2) **تصنيف وظيفي:** وفيه تصنيف إلى طرق مرورية وطرق سكنية وطرق تجارية، أي أن هذا التصنيف حسب الوظيفة التي تؤديها<sup>(1)</sup>.
- (3) **تصنيف حسب حجم الحركة:** وفيه تصنف الطرف إلى طرق سريعة وطرق شريانية رئيسية، وطرق شريانية فرعية<sup>(2)</sup>.
- (4) **تصنيف حسب درجة رصف الطريق:** وفيه تصنيف الطرق إلى طريق درجة أولى، وطرق درجة ثانية، وطرق درجة ثالثة، وطرق درجة رابعة<sup>(3)</sup>.

كما أن هناك من صنفها وفقاً لمعياري المرتبة والسعة حيث أن غياب التدرج الهرمي لشوارع أي مدينة وغياب تصنيفها حسب الأهمية والوظيفة قد أدى إلى ظهور العديد من المشاكل والتي منها مشاكل الازدحام المروري والحوادث والتلوث وغيرها، لهذا جاءت الحاجة ملحة في التخطيط المتوازن بين استعمالات الأراضي المختلفة وشبكة الطرق التي من خلالها يتم تنظيم العلاقة بين هذه الاستعمالات وتحقيق التوازن المطلوب فيما بينها.

(1) عبد الحميد عبد الواحد، المرجع السابق، ص 29-35.

(2) حسن سيد حسن، "شبكة الطرق البرية بسلطنة عمان في الفترة 1970-1995، دراسة في جغرافية النقل، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد السادس، القاهرة، 1998، ص 148-149.

(3) فاروق كامل عز الدين، "جغرافية النقل أسس ومناهج وتطبيقات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 2005م.



تصنيف شبكات الطرق داخل المدينة وفقاً لمعياري المرتبة والسعة كما يلي<sup>(1)</sup>:

**1 - طريق حرة (Free Ways)** وتصمم هذه الطرق بسعات كبيرة وسرعات عالية وبطاقة استيعابية عالية تصل إلى 2000 مركبة/ ساعة، ويعدد خطوط بين 4-8، وسرعة تصل إلى 120 كم/ساعة، وتستخدم هذه الطرق للربط بين المدن والأقاليم والمناطق الحضرية لمسافات طويلة.

**2 - طرق سريعة (Express Ways)** وهي طرق سريعة أيضاً تصمم للرحلات بين المناطق الإقليمية والحضرية وبطاقة استيعابية تصل إلى 1400 مركبة/ ساعة، وبسرعة عملية 80 كم/ ساعة.

**3 - طرق شريانية رئيسية: (Major Arterial Roads)** وتصمم هذه الطرق لاستيعاب حجم من الرحلات الحضرية ما بين 800-1200 مركبة/ ساعة، وبسرعة تصل إلى 60 كم/ ساعة، وترتبط بين المدينة وضواحيها.

**4 - طرق شريانية ثانوية: (Minor Arterial Roads)** ومهمتها نقل حركة المرور المتولد عن مناطق ضمن المناطق الحضرية دون المرور فيها.

(<sup>1</sup>) زين العابدين علي، "مبادئ تخطيط النقل الحضري"، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2000م، ص55-59.

5 - طرق تجميعية: (Collector Roads) ووظيفتها تجميع الحركة المرورية المتولدة عن منطقة من مناطق التجمعات السكنية والتجارية وغيرها داخل المدينة وربطها بالطرق الشريانية وبطاقة استيعابية من 600-800 مركبة/ ساعة، وبسرعة عملية 40كم/ ساعة.

6 - طرق محلية: (Local Roads) وهي الطرق القصيرة التي تنسق الحركة المرورية بين الطرق التجميعية والأبنية السكنية مباشرة، وهي طرق قصيرة، وبطاقة استيعابية بين 500-600 مركبة/ ساعة، وبسرعة من 20-30كم/ ساعة، ويأتي تصنيف الطرق المحلية من الناحية الهرمية في أدنى مرتبة إلا أنها تحتل المرتبة الأولى بالنسبة لمعيار العدد ومجموع الأطوال داخل المدينة.

7 - بعض المشاكل التي تتعلق بقطاع النقل والمرور في المدن<sup>(1)</sup>:  
الحوادث - الازدحام - عدم احترام قواعد المرور - الضوضاء - تلوث الهواء.

(<sup>1</sup>) جمال صغيري، النقل الحضري وتأثيره في إدماج التجمعات العمرانية مدينة المسيلة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تسيير مدينة، معهد تسيير التقنيات الحضرية، 2008-2009، ص34.

- الأمر التي يجب اتباعها لتقليل من مشاكل النقل والمرور داخل المدينة<sup>(1)</sup>:
- 1) إجراء البحوث والدراسات الميدانية الخاصة بقطاع النقل للحصول على المعلومات اللازمة لأغراض التخطيط والتي تعكس واقع التطورات الحضرية في المدن كالتغيرات في الكثافة السكانية وإحصاء الحوادث المرورية.
  - 2) مراجعة القوانين المرورية وتحليل نقاط الضعف والقوة فيها، من أجل تطويرها بما يتناسب والتطور والتوسع الحضري القائم.
  - 3) فصل حركة المشاة عن المركبات والاهتمام بمعايير المشاة وتصميمها وفقاً لمعايير الصحة والسلامة والبيئة.
  - 4) النهوض بالنقل العام وتطوير النظم الخاصة به بما يتناسب مع التكنولوجيا والتطبيقات الحديثة وبما يلبي الاحتياجات الفعلية للمدينة.
  - 5) مراجعة المساحات المخصصة لمواقف المركبات وتوظيفها بشكل أمثل.
  - 6) تحسين شبكة الطرق الموجودة والاهتمام بالتقاطعات في المناطق الحضرية وإجراء الصيانة المستمرة لشبكة النقل وفق الأساليب الحديثة التي تحافظ على استمرار الحركة أثناء القيام بعمليات الصيانة.

---

(1) شريف محمد الأمين، مرجع سبق ذكره، ص 19-20.

7) اهتمام إدارات تسيير المرور في المدن بعملية التوعية بالأنظمة المرورية للسكان عن طريق وسائل الإعلام للتقيد بالأنظمة المرورية وأخلاقيات السير والتقيد بشروط السلامة العامة للحد من حوادث المرور، وتخفيف الازدحام المروري.

**نبذة تاريخية عن تطور النقل في ليبيا:** عاش الإنسان القديم فترة طويلة معتمداً في حياته على صيد الحيوانات وجمع النباتات الفطرية، وكانوا في هذه الفترة فترة الترحال والتنقل يحملون أمتعتهم وأطفالهم على ظهورهم أو رؤوسهم، أما إذا كانت هذه الأحمال ثقيلة وتفوق قدرة شخص واحد تربط على أعمدة خشبية أو على الجلود وتجر على الأرض، أي أنها كانت تعتمد على الجهد العضلي للإنسان، وقد سميت هذه الفترة بعصر ما قبل التاريخ والذي قام الإنسان في أواخر هذا العصر بصناعة المزاليج ذات البكرات، حيث وجدها أسهل وأسرع وأقل مشقة. وبعد استقرار الإنسان في مستوطنات صغيرة أو قرى صغيرة الحجم واكتشاف الزراعة، أصبح هناك فائض عن حاجة الإنسان من المنتجات الزراعية مما أدى إلى التبادل بين السكان والقرى وهذه بداية التجارة والتي من خلالها جاءت الحاجة إلى إيجاد وسيلة نقل أفضل حيث ساعدت الحيوانات التي كان الإنسان يستغلها في حراث الأرض وإخراج الماء من الآبار، استعملها أيضاً في نقل الحمولات والبضائع بشكل أكبر.

وبمرور الزمن استطاع الإنسان اختراع الآلات البخارية ومن بعد ذلك محركات الديزل واختراع أنواع المركبات المختلفة البرية والبحرية والجوية، إن ما سبق الإشارة إليه من تطور في وسائل النقل مرتبط بتطور في شبكة وخطوط النقل، حيث كانت قديماً

مسارات ترابية غير معبدة من طرق قوافل وغيرها، وبعد اختراع المركبات استدعت الحاجة إلى تخطيط وتنظيم شبكة من الطرق والشوارع التي تتخلل استعمالات الأرض. لقد أنشأ الفراعنة الطرق المختلفة حسب الأغراض التي تستخدم لها فمنها كانت مؤقتة لنقل الكتل الحجرية اللازمة لبناء الأهرامات، وأخرى طرق مقدسة تصل بين المعابد بنيت بعناية وكانت سطوحها من الحجر، وكذلك طرق ترابية استخدمت لنقل المحاصيل الزراعية والمواد الأخرى<sup>(1)</sup>.

أما في عهد الرومان فيعتبر العصر الذهبي لإنشاء الطرق في العصر القديم، حيث تم إنشاء شبكة الطرق الرومانية التي بلغ مجموع أطوالها أكثر من 90000 كم لتربط بين الدولة الرومانية ومستعمراتها، وقد برع الرومان في إنشاء الجسور على هيئة عقود حجرية مازالت موجودة حتى الآن في إيطاليا وفرنسا<sup>(2)</sup> وباعتبار النصف الثاني من القرن الثامن عشر هو بداية نهضة الطرق، حيث بدأ التفكير في إنشاء الطرق ذات القدرة العالية على التحمل واستخدام كميات أقل من الصخور لإنشاء طبقات رصف الطرق، وقد عرفت طريقتين رئيسيتين هما:

- طريقة الفرنسي تراساجيت "Trasaguet" عام 1774 حيث قام بإنشاء مجموعة من الطرق داخل فرنسا.

(1) شريغي محمد الأمين، "التوسع العمراني وأثره على النقل الحضري، دراسة حالة مدينة البيض"، مرجع سبق ذكره، ص 17.

(2) نفس المرجع السابق، ص 17.

- طريقة الإنجليزي مكادام "Macadam" عام 1815<sup>(1)</sup>.

وفي ليبيا كغيرها من دول العالم جاء تطور الطرق على مراحل، فقد كانت في البداية عبارة عن طرق القوافل ودروب التجارة القديمة، والطرق الزراعية التي قام الإنسان بتمهيدها لتسهيل التنقل بين المحلات العمرانية، ومن مزرعة لأخرى، وقد ظل هذا الوضع سائداً في كل أنحاء البلاد بما في ذلك مدينة الخمس "منطقة الدراسة" حتى العقد الثاني من القرن العشرين، حيث ظهرت الطرق المعبدة خلال فترة الاحتلال الإيطالي، ويعتبر الفينيقيون أول الشعوب التي قطنت المناطق الشمالية من ليبيا، إذ اتجهت سفنهم إلى الشواطئ الليبية نظراً لوقوعها في طريق الرحلات إلى إسبانيا مصدر المعادن، وقد استفادوا من خصائص المنطقة الساحلية في تكوين موانئ تجارية، فضلاً عن اهتمامهم بالزراعة حتى صارت من أخصب الأراضي، مما أدى إلى تحسين الزراعة وكذلك استقرار السكان بهذه المحطات التجارية، وقد نمت وتحولت إلى مراكز عمرانية، وكان أهمها مدن لبدة (الخمس)، وأويا "طرابلس" وصبراتة، وكان للطرق البرية الدور الأبرز في تكوينها عبر وسائل النقل البدائية آنذاك والمتمثلة في الخيول والحمير، إضافة إلى موقع المنطقة الجغرافي، والظروف المناخية الملائمة،

(1) خليل أحمد أبوأحمد، "التصميم والتخطيط الهندسي للطرق الحضرية والخلوية"، مطبعة الأهرام،

وخلو الساحل من التباين التضاريسي، وسهولة الاتصال بين أجزاء المنطقة والتي تربط المدن الثلاثة (لبدة، أويا، صبراتة) والمناطق الأخرى<sup>(1)</sup>.

أما في العهد الروماني فقد بسطوا سيطرتهم على القسم الغربي من ليبيا، وقاموا بإنشاء منطقة عمرانية متكاملة نمت في المواقع ذاتها التي أقام فيها الفينيقيون مراكزهم، ورغم تقلص مساحة المراكز الرئيسية كأويا، وصبراتة، ولبدة، نتيجة لمرور المنطقة بفترات اضمحلال، فإن الفترة الرومانية تميزت بمحافظتها على ما تبقى من المراكز الفينيقية، ونالت المنطقة اهتماماً من قبل الرومان لم تشهد له مثيلاً أثناء الحكم الفينيقي، وكان من أبرز الأسباب التي دفعت بالرومان لغزو الساحل الليبي بعد القضاء على عدوهم القرطاجي، هو الأهمية التجارية والزراعية لقارة أفريقيا، حيث تحولت ليبيا إلى مركز لزراعة الحبوب والزيتون لمد رومان بما تحتاجه، لذلك أطلق عليها مخزن غلال روما<sup>(2)</sup>، ولقد اهتم الرومان بالطرق البرية أثناء احتلالهم البلاد لضمان سيطرتهم عليها، فأخذوا يشقون الطرق ويرصفونها بالحجارة لحماية أهدافهم الاستراتيجية، كما قاموا بتعديل العديد من الطرق القديمة وأوجدوا طرقاً أخرى جديدة رصفوا بعض أجزائها وبخاصة التي تربط بين القلاع العسكرية، أما الأجزاء الأخرى، فهي مسالك

(1) أحمد انديشة، التاريخ الاقتصادي والسياسي للمدن الثلاثة، دار الجماهير للنشر والتوزيع، بنغازي، 1993، ص33.

(2) محمد المبروك المهدي، "جغرافية ليبيا البشرية"، منشورات جامعة قارونس، بنغازي، 1990، ص31.

تربائية استخدمت لأغراض عدة منها: تسهيل تنقل الجيوش بين أنحاء البلاد، وتنشيط حركتي التجارة والسياحة، وتوطيد الأمن، وتسهيل نقل المحاصيل الزراعية<sup>(1)</sup>. ويتكون نظام الطرق الرومانية في المنطقة في ذلك الوقت من الطريق الساحلي الذي يعتبر من أهم الطرق ويسير من قرطاج في الغرب إلى الإسكندرية في الشرق، عبر المناطق الشمالية مروراً بالمنطقة الشمالية الغربية من ليبيا، فيربط لبدّة بأويا "طرابلس" وصبراته، ويتفرع منه طريق يسير من لبدّة "الخمس" في اتجاه الجنوب الغربي ماراً عبر مسلاته وترهونة، وتتفرع طرق أخرى من هذا الطريق وتمتد غرباً في اتجاه الشمال الغربي إلى قابس في تونس، ويرجع اهتمام الرومان بهذا الطريق وبناء الحصون عليه إلى ما تميزت به هذه المناطق التي يعبرها من اعتدال للمناخ وخلوها من الكثبان الرملية، بالإضافة إلى سهولة حمايته من ناحية البحر<sup>(2)</sup>.

---

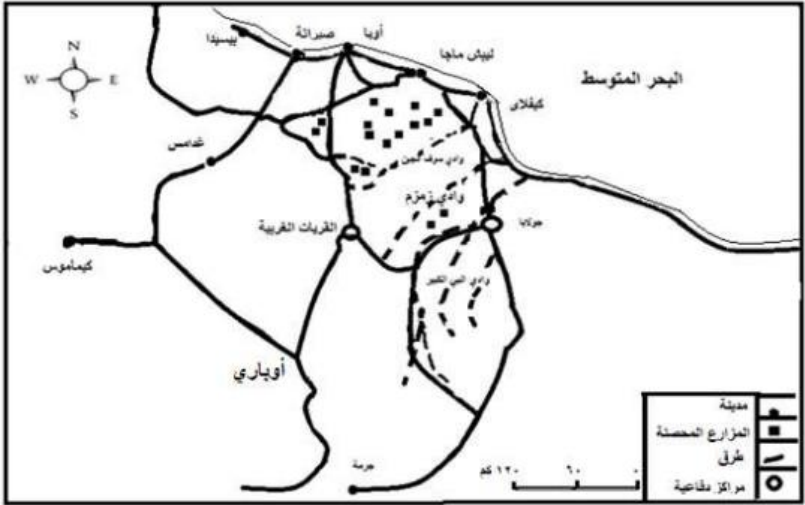
(1) أكرم صالح ميلاد، "التحليل المكاني لشبكة الطرق البرية في ليبيا للفترة من عام 1969 إلى 2006"،

رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، 2008، ص17.

(2) أحمد انديشة، مرجع سبق ذكره، ص221.



### شكل رقم (3) الطرق الجارية في العهد الروماني



المصدر: أحمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاثة، دار النشر والتوزيع، بنغازي، 1993، ص 168.

وبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية بدأت الطرق المنتظمة في الزوال نتيجة الحروب، وعدم الاستقرار السياسي الذي ساد البلاد، حيث أخذت شبكة الطرق تتغير تبعاً لتغير الحياة الاقتصادية والسياسية حتى قدوم المسلمون إلى الشمال الأفريقي في منتصف القرن السابع الميلادي بقيادة عمر بن العاص وفتحوا المدن الساحلية، وامتد نفوذهم ليشمل كامل المنطقة، وخضعت ليبيا آنذاك للحكم الإسلامي، ودخلت مرحلة

جديدة حيث كان للفتح الإسلامي تحولاته الجذرية في حياة البلاد من الناحية الدينية بصفة خاصة، والاجتماعية والاقتصادية بصفة عامة، بحكم الآثار الواضحة التي تركها المسلمون في جميع مجالات الحياة<sup>(1)</sup>.

وقد ازدهرت حركة التجارة في ليبيا بعد الفتح الإسلامي وبدأت القبائل العربية هجرتها إليها فاستأنفت المدن الساحلية وكذلك الداخلية نشاطها، وقد كان للطرق البرية دور فعال في هذا الازدهار، وبخاصةً للموقع الممتاز الذي تتمتع به ليبيا كحلقة وصل بين الغرب والشرق الإسلاميين، والذي كان يربط البلاد بعدة طرق تجارية برية وبحرية<sup>(2)</sup>.

وقد أضاف العهد العربي الإسلامي إلى شبكة الطرق مجموعة من الطرق التي تخص قوافل الحجيج من المغرب العربي إلى الأراضي المصرية، وكان من أشهرها في المنطقة الشمالية الغربية الخط الساحلي الشمالي والمعروف بطريق الحاجة الذي يمر بالمراكز الساحلية زوارة، والعجيلات، وصرمان، والزاوية، وطرابلس، وتاجوراء، والخمس<sup>(3)</sup>.

(1) عواطف الأمين، "تقييم مخطط مدينة الزاوية لسنة 2000"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم

الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، 1997، ص 39.

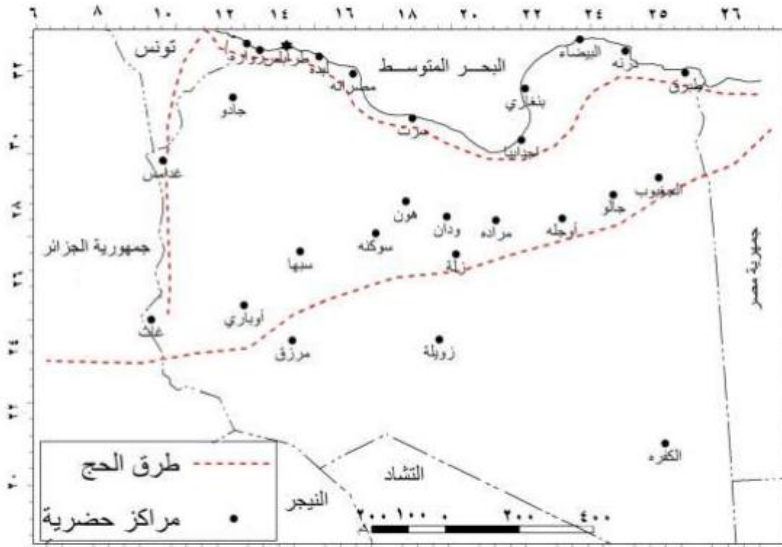
(2) أكرم صالح ميلاد، مرجع سبق ذكره، ص 26.

(3) صلاح مصطفى مفتاح، "ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر"، الشركة العامة للنشر

والتوزيع، بيروت، ص 202.

## شكل رقم (4)

## طرق الحج في العهد الإسلامي



المصدر: صلاح مصطفى مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع، بيروت، من دون تاريخ، ص 202.

بعد اضمحلال الدولة الإسلامية تعرضت ليبيا إلى الاحتلال الإسباني لفترة من الزمن، ثم جاء بعد ذلك الأتراك العثمانيون الذين دخلوا البلاد تلبية لطلب الليبيين لإعانتهم على طرد الإسبان وجيوش القديس يوحنا<sup>(1)</sup>، وظلت الطرق التي تشكل

(1) الطاهر الزاوي، "تاريخ الفتح في ليبيا"، دار المعارف، القاهرة، 1985، ط2، ص 385.

شرايين الاتصال بين مدن الساحل ومدن الدواخل هي طرق القوافل القديمة التي رسمتها قوافل الإبل، ولم يهتم السكان بصيانتها في ذلك الوقت، ولم يكونوا في حاجة إلى شبكة طرق منتظمة، لأن وسيلة النقل الوحيدة آنذاك كانت الإبل، ولم تكن الحكومة العثمانية في بادئ الأمر تعير هذه الطرق اهتماماً، وذلك بسبب الظروف المادية الصعبة التي أعاققت إنشاء شبكة من الطرق، بالإضافة إلى الطبيعة السهلية، وبخاصةً في المناطق الساحلية حيث كانت القوافل تؤدي مهمة التبادل التجاري بين الولايات ومراكزها التجارية والإدارية الكبرى كما تقوم بمهمة نقل "البريد" إلى جانب كونها وسيلة ترحال للأهالي والأجانب<sup>(1)</sup>.

تمتلك ليبيا موقعاً استراتيجياً في شمال القارة الإفريقية، مما جذب إليها أنظار إيطاليا فغزتها، وبمجرد أن وطئت أقدام الطليان الشواطئ الليبية، أدركوا أهمية المنطقة الشمالية الغربية لكونها منطقة زراعية ذات تربة خصبة، وقد أولى الإيطاليون التنمية الاقتصادية عناية خاصة، فاهتموا برعاية الأراضي الخصبة ومصادر المياه الطبيعية، وكانت إيطاليا تسعى للاستثمار الزراعي، كما وجهت استثمارات كبيرة في هذا المجال، رغبةً منها في زيادة الإنتاج الزراعي لصالح المهاجرين الإيطاليين الوافدين إلى البلاد، غير أنها كان لزاماً عليها أن تنمي البنية الأساسية في الاقتصاد، ومن هنا كان التركيز في المراحل الأولى على تنمية الهيكل الأساسي للاقتصاد، والذي يأتي في

(1) فرانثيسكو كور، "ليبيا أثناء العهد العثماني"، (ترجمة) خليفة التليسي، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1984،

مقدمته مد الطرق المعبدة، وبناء الموانئ، وخطوط السكك الجديدة، والمباني الزراعية، وبالفعل أعطت إدارة المستعمر أولوية لإنشاء الطرق من أجل تشجيع استيطان الطليان، فشجعت أصحاب الأموال والبنوك على استثمار أموالهم في ليبيا، وعلى هذا الأساس تم افتتاح عدة فروع لبنك روما عام 1905م في مدينتي طرابلس وبنغازي، ليضم بعد ذلك مدن الخمس، ومصراته، وسرت، وزوارة<sup>(1)</sup>.

وقد عملت إيطاليا منذ البداية على ربط الطرق في العديد من المناطق، وتحسين أداء طرق القوافل التي كانت تشكل الرابط بين مراكز العمران لضمان تحقيق الأهداف الاقتصادية والعسكرية، ونظراً لتميز المنطقة بالسطح المستوي الملائم لحركة المركبات الكبيرة، فإن أعداد المركبات تزايدت وخاصةً العسكرية، ونتيجةً لهذه الأسباب قامت بتعبيد وترصيف الطرق المهمة وكان الاتصال الرئيسي يعتمد على البحر<sup>(2)</sup>.

وبعد أن وطأت أقدام الطليان أرض ليبيا وجدوا أنفسهم في حاجة ماسة إلى تحسين شبكة الطرق بإدخال نظام السكك الحديدية لغرض تسهيل سيطرتهم الأمنية وتأمين احتياجات القوات الإيطالية من المؤن والعتاد، وفي عام 1912 بدأوا في بناء خطوط القضبان الحديدية، وكانت جميع خطوط النقل التي أنشئت في سهل الجفارة

(1) سالم فرج سالم، "الوجود الإيطالي في ليبيا قبيل الغزو"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، القاهرة، 1998، ص 46 - 47.

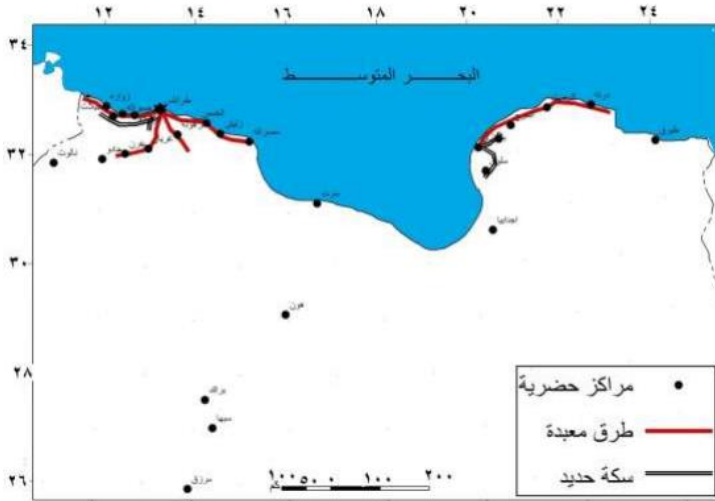
(2) أبو القاسم العزابي، صالح أبو صفة، "الطرق والنقل البري والتغير الاجتماعي والاقتصادي في ليبيا، تحليل جغرافي"، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، مطابع طرابلس، ليبيا، 1981م، ص 195.

عبارة عن خطوط فردية، كما حدد متوسط عدد القطارات المشغلة في اليوم لـ13 قطاراً<sup>(1)</sup>.

كما قامت بإنشاء عدد من الطرق البرية الداخلية بين طرابلس وغريان، وطرابلس ويفرن، وترهونة والخمس، وكان أهم مشروع رغبت الحكومة الإيطالية في تنفيذه هو ربط القرى المنعزلة بطريق رئيسي واحد متصل على طول الساحل<sup>(2)</sup>.

### شكل رقم (5)

### توضيح شبكة الطرق في ليبيا 1925م



(<sup>1</sup>) نفس المرجع السابق، ص 264.

(<sup>2</sup>) نفس المرجع السابق، ص 195.

المصدر: الهادي أبولقمة، الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا، (تحرير) إدريس الحريري، مركز الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، ليبيا، 1983، ص86.

ومع بداية إنتاج النفط عام 1961 أخذ اقتصاد البلاد يتحسن بعض الشيء وخلال هذه الفترة اعتني بإنشاء وتجديد وصيانة الطرق، حيث نتج عنه زيادة في أطوال شبكة الطرق في مختلف المناطق في ليبيا، وزاد الاهتمام بترصيف وتعبيد الطرق منذ ذلك الوقت، فقد أصبحت جميع المدن الليبية مربوطة بطرق معبدة بالطريق الدولي السريع "الساحلي" أضف إلى ذلك تطوير البنية التحتية للمدن وتعبيد الطرق داخلها مما يساعد في توزيع وتنظيم استعمالات الأرض داخلها.

فخلال السبعينات وأوائل الثمانينات كان نمو التجمعات السكانية في الجماهيرية الليبية يدار ويوجه على أساس المخططات العمرانية الشاملة والعامة والتي أعدت حتى عام 1988م، فبحلول عام 1970م، بعد قيام ثورة الفاتح كان قد تم الانتهاء من إعداد 29 مخططاً تنظيمياً شاملاً، و148 مخططاً عام<sup>(1)</sup>، ومن خلال هذه المخططات تم تحديد مشاكل التنمية، كما تم إعداد مخططات تفصيلية لاستعمالات الأراضي داخل المدن وبيانات حول أنشطة القاعدة الاقتصادية والاتجاهات السكانية وتوفر فرص العمل والمرافق والبنى التحتية والخدمات، وبهذا وفرت هذه المخططات الوسائل لضمان نمو عمراني موجه، وبعد ذلك انطلقت عجلة

(1) التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ليبيا الثورة في 30 عام من 1969 - 1999م، ص466.

تشبيد المشاريع الإسكانية والمرافق والصناعات والخدمات بسرعة مثيرة، ورغم وجود هذه المخططات، دعت الحاجة إلى إعادة تقييم ما هو موجود على أرض الواقع وتحديثها، وقد كلفت اللجنة الشعبية العامة للإسكان والمرافق مجموعة شركات استشارية لإعداد مخططات جديدة عام 1984، وتم تكليف شركة بوليسيرفس البولندية بإعداد مخطط تنظيمي عمراني شامل لإقليم طرابلس ما بين 1980 - 2000م، وكانت الخمس من ضمن هذه الأقاليم حيث أُعد لها مخطط تفصيلي لاستخدامات الأرض داخلها وأعدت الخرائط والتقارير والدراسات بالخصوص.



**تطوير شبكة الطرق داخل مدينة الخمس:** تعد شبكة الطرق لأي مدينة شرايين الحياة داخلها والعمود الفقري لأي نشاط مهما كان صغيراً، لهذا فهي التي تحدد تناسق الهيكل العمراني لأي مدينة، ومدينة الخمس كغيرها من المدن الليبية التي أعدت لها مخططات لاستعمالات الأرض داخلها حيث يوضح مورفولوجيتها أي تركيبها الداخلي، وتناسق استعمالات الأرض بها، حيث تغطي شبكة الطرق التي تربط مركز المدينة ببعضه من ناحية وتربطه بالضواحي والمجاورات والقرى المحيطة بها من ناحية أخرى مساحة كبيرة جداً، وتندرج بشكل هرمي من الشوارع الرئيسية ثم الفرعية، والمحلية والمسالك، تبلغ أطوال الطرق بمنطقة الخمس (915 كم) وقد صممت من قبل مهندسين متخصصين في هذا المجال<sup>(1)</sup>.

**أهم الطرق داخل مدينة الخمس واتجاهاتها<sup>(2)</sup>:** ترتبط مدينة الخمس بالمناطق المجاورة والمدن الأخرى بعدة طرق منها:

- الطريق الساحلي المتجه نحو الغرب إلى مدينتي مسلاتة وطرابلس.
- الطريق الساحلي المتجه نحو الشرق إلى سوق الخميس وكعام ومدينة زليتن.
- طريق سوق الخميس وكعام المتجه شرقاً من مركز المدينة.

(1) أمانة مواصلات الخمس، بيانات غير منشورة، في عياد ميلاد المجرس، "العلاقة بين النمو السكاني، والنشاط الاقتصادي وتطور قطاع النقل بالسيارات في منطقة الخمس في ليبيا"، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا، 2010، ص74.

(2) نفس المرجع السابق، ص76.

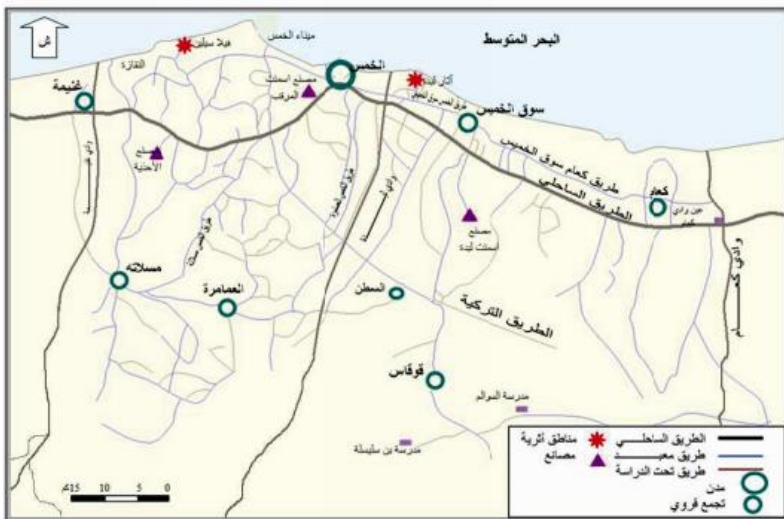
- طريق الميناء الخمس (زنبرة) إلى منطقتي سيلين البحرية وغنيمة.
  - طريق العمامرة الخمس والمتجه جنوباً.
- ويوجد بمدينة الخمس ثلاثة نقاط رئيسة لحركة المرور وهي المدخل الشرقي، والمدخل الغربي، والمدخل الشرقي الساحلي والمحاذي لشاطئ البحر والذي يربط الميناء والمناطق الشرقية للمدينة.
- وقد تم تنفيذ عدة طرق به المخطط التنظيمي داخل مركز المدينة التجاري كما هو موضح بالشكل رقم (5) و(6) منها قديمة وحديثة والتي تم تنفيذها وأهمها<sup>(1)</sup>:
- الطريق الساحلي (سريع) يمر جنوب المدينة ويصل طوله 3500م ويربط المدينة شرقاً وغرباً.
  - شارع الفاتح (رئيس عام) يربط وسط المدينة بالمدخل الغربي للمدينة ويصل طوله 2382م.
  - شارع لبدة (رئيس عام) ويربط وسط المدينة بالمدخل الشرقي ويصل طوله 2500 متراً.
  - شارع الحاراتي (مجمع) يربط جزيرة الدوران سيلين البحرية باتجاه الغرب ويصل طوله 820 متراً.

---

(<sup>1</sup>) نفس المرجع السابق، ص78.

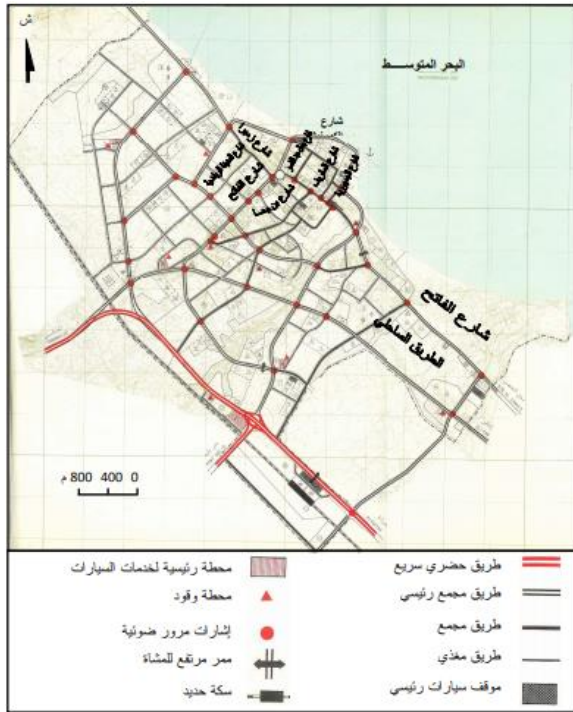
- شارع الجامعة (مجمع) يربط بين شارع الحارثي وحتى الطريق الساحلي ويصل طوله 2035 متر.
- شارع جامع المدينة (مجمع) ويربط بين الشرق والغرب من شارع الفاتح حتى تقاطع كلية الآداب، ويصل طوله 661 متر.
- شارع عشرين (مجمع) ويربط بين شارع بن جحا بين الشرق والغرب ويصل طوله 1500 متر.

شكل رقم (6)  
شبكة الطرق بمنطقة الخمس



المصدر: أمانة المواصلات والنقل بشعبية المرقب، في عياد ميلاد المجرش، مرجع سبق ذكره، ص 77. شكل رقم (7)

شبكة الطرق ومرافق النقل بالمخطط التنظيمي لمدينة الخمس



المصدر: مخطط بولسيرفس، في، عياد ميلاد المجرش، مرجع سبق ذكره، ص 79.

## النمو العمراني واثره في تطور شبكة الطرق:

النقل هو نشاط إنتاجي في المدينة أو أي تجمع حضري، حيث إنه المسؤول الأول عن ديناميكيتها وأهميتها في مختلف المجالات (الاقتصادية - الاجتماعية - الثقافية... الخ)، كما يعد من العوامل الأساسية التي تتحكم في المظهر العمراني بها، وتتناسقها وتنظيم استعمالاتها، مما يسمح بتردد عدد كبير من السكان عليها وبالتالي التعريف بالجمال، مما يؤدي إلى فك العزلة عن المناطق والأحياء الهامشية للمدينة. وقد أسهمت عدة عوامل في توزيع وتغير أنماط استخدام الأرض في مدينة الخمس، وظهور أحياء سكنية جديدة تركزت فيما وراء المنطقة الحضرية، وقد اتسمت هذه الأحياء بشبكة من الطرق تخدم هذا التوسع، كذلك شبكة من الخدمات والمرافق كشبكات المياه والكهرباء، والمستشفيات والمراكز الصحية والخدمات التعليمية ومراكز الشرطة، فضلاً عن التطور الكبير في مخطط شبكة النقل والمواصلات، ويعيداً عن وسط المدينة، فقد أخذ التوسع العمراني في المراكز العمرانية المحيطة في الإقليم أبعداً جديدة حيث بدأت تلتحم وتندمج نتيجة نموها على طول طرق المواصلات في اتجاهات مختلفة وجذبت إليها أشكال الاستخدامات التي تشكلت مع المراكز العمرانية من سوق الخميس وكعام، وقوقاس، والجحوات وسيلين وغنيمة وهو ما يعرف بظاهرة الضم الحضري<sup>(1)</sup>.

(1) نفس المرجع السابق، ص 128.

فكلما ازداد النمو العمراني وازداد عدد السكان في منطقة الخمس، تزايدت حاجتهم للنقل، ومد الطرق وتحسين الشوارع القائمة، وشق أخرى جديدة مما يدل على العلاقة الطردية الموجية، بين هذين المتغيرين، وبمقارنة شبكة الشوارع مختلفة الأنماط والأشكال في منطقة الخمس ما بين عامي (1990 - 2006) يتضح التزايد الملحوظ في أعدادها ومواصفاتها، فلقد تجاوز عدد الشوارع (200) شارعاً داخل وسط المخطط التنظيمي بالشوارع التي تربط الضواحي والأرياف<sup>(1)</sup>.

**النقل والمجال العمراني وتنظيم الحيز:** يلعب النقل والمواصلات دوراً كبيراً في التخطيط العمراني، حيث يبرز دوره الفعال من خلال توسيع نطاق العمران وتعمير وتخطيط المحيط، وبالتالي التقسيم التفصيلي والتنظيمي لاستعمالات الأراضي داخل المجال الحضري للمدينة، كما يسمح النقل بظهور أقطاب النمو الموزعة على كامل الحيز وهذا بسبب فتح أنماط جديدة للإنتاج بدلاً من تركزها في بعض النقاط دون البعض الآخر، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه كلما كان هناك عملية إنشاء أو بناء مناطق عمرانية جديدة تستلزم إنشاء هياكل أخرى جديدة للنقل وهو ما يفسر دور الطريق في التهيئة العمرانية للحيز، وضمان تنظيمه، حيث يسمح بخلق قيمة اقتصادية واجتماعية بعدة مناطق نائية منعزلة، فنقص البنى التحتية ووسائل النقل تشكل عائقاً لتنمية المناطق المختلفة للمدينة وحتى الإقليم.

(1) أمانة المواصلات والنقل بشعبية المرقب، قسم المشروعات، بيانات غير منشورة، 2008م.

لهذا يمكن القول بأن للنقل أهمية كبيرة، فهو يرتبط بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، أي أن له علاقة تتعلق بكل المجالات التي تشكل المدينة، وهذه العلاقة طردية موجبة، إضافة إلى أنه أساس تحرك الأفراد وقضاء جميع احتياجاتهم واستمرارية علاقاتهم الاجتماعية.

### نتائج الدراسة:

ومن أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة ما يلي:

- 1- إن تركيز جل الأنشطة والتجهيزات في مركز المدينة قد أدى إلى وجود ضغوط وازدحامات في المركز، وهذا يؤثر على الأحياء الجديدة وعلى التنقل بصفة عامة للسكان.
- 2- سوء وغياب التخطيط، وهذا يرجع لنقص الكفاءات المتخصصة في ذلك.
- 3- مساحة الأرصفة وعروضها عند حواف الطرق غير مناسب، وهذا راجع لنقص الحس الحضري للمواطنين وتعديهم عليها عن طريق رصف السيارات من قبل البعض، واستحواذ البعض الآخر على الرصيف واستعماله لأغراض تجارية، كبناء محل تجاري أو توسيع المجال الأمامي للمنزل، مما يجعل المشاة يخرجون للطريق ويسببون عرقلة في حركة المرور.



- 4- غياب الرقابة على الشاحنات وعدم التزامها بخطوط النقل المخصصة لها، حيث أن جعلها تمر من وسط المدينة، وهذا بسبب هبوط ونزول وتشقق في الطرق، بسبب حمولاتها المختلفة والتي تفوق القدرة التي يجب أن تتحملها هذه الطرق، إضافة إلى خلق الازدحام داخل طرق المدينة.
- 5- نقص وحدات النقل الجماعي على مستوى خطوط المدينة والمناطق المجاورة لها، واعتماد معظم السكان على النقل الخاص أي السيارات، وهو ما يزيد من الازدحام المروري بها.
- 6- سوء حالة الطرق داخل المدينة، مما يؤثر على حركة السير، وذلك من خلال عدم مراعاة المقاييس التقنية في إنشاء شبكة الطرق وتدهورها وضيقها، وعدم صيانتها كوجود الحفر وأشغال توصيلات المياه، وهذا كله يجعلها غير قادرة على توفير الخدمة اللازمة لمستعمليها، وقد تتسبب في ارتفاع نسب الحوادث.
- 7- افتقار المدينة لساحات انتظار السيارات، حيث أنها تعد عنصراً رئيسياً يجب مراعاته عند التخطيط لتوسع مجال المدينة ونموها، فالملاحظ وجود قصور كبير لعدم وجود ساحات الانتظار مما يؤدي إلى وقوف السيارات موازياً للرصيف أو على الرصيف، وهذا بدوره يؤدي إلى إعاقة المرور ولحركة المشاة.

8- تواجد تكديس مروري بصفة عامة داخل شوارع المدينة، ولاسيما في تقاطعات الشوارع، حيث يلاحظ افتقارها لإشارات المرور، وحتى وإن وجدت نجد أن أغلب السكان لا يتوقفون لها.

**الاقتراحات والتوصيات:** لقد تمخضت هذه الدراسة على مجموعة من الاقتراحات من أجل تحقيق التجانس بين توسع المدينة المجالي والتنظيمي والتخفيف من مشاكل النقل والتنقل، هذا من ناحية، وربط التجمعات العمرانية بالمركز وتسهيل حركة المرور من ناحية أخرى، وهي ما يلي:

- 1- تنظيم وتوزيع النشاطات والخدمات على مستوى المدينة وضمان توزيعها بشكل متوازن ومنظم من الناحية المجالية والتنظيمية والتنسيق بينها.
- 2- ضبط حركة المرور في المدينة، وذلك لتسهيل مهمة التنقل بحرية داخل الوسط الحضري،
- 3- تخفيف الضغط على المحاور الرئيسية في المدينة، وتحديد مسارات خاصة للنقل الثقيل "الشاحنات" بدقة من قبل المختصين.
- 4- الاعتماد على مبدأ اللامركزية وتوزيع التجهيزات والأنشطة على الأجزاء الأخرى للمدينة على غرار مركز المدينة.

5- تعبيد الطرق وصيانة التي تحتاج وذلك لضمان بصورة مردودية جيدة لحركة النقل.

6- التشجيع على استعمال النقل الجماعي وذلك للتخفيف من الاختناقات المرورية.

### قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- 1- ابن منظور: لسان العرب المحيط، مج3، بيروت، لبنان.
- 2- أبوالقاسم العزابي، صالح أبوصفحة، "الطرق والنقل البري والتغير الاجتماعي والاقتصادي في ليبيا، تحليل جغرافي"، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، مطابع طرابلس، ليبيا، 1981م.
- 3- أحمد انديشة، التاريخ الاقتصادي والسياسي للمدن الثلاثة، دار الجماهير للنشر بنغازي، 1993.
- 4- الطاهر الزاوي، "تاريخ الفتح في ليبيا"، دار المعارف، القاهرة، 1985، ط2.
- 5- بشير التيجاني، "التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2000.
- 6- خليل أحمد أبوأحمد، "التصميم والتخطيط الهندسي للطرق الحضرية، مطبعة الأهرام، 2008.

- 7- زين العابدين علي، "مبادئ تخطيط النقل الحضري"، دار صفاء للنشر عمان - الأردن، 2000م.
- 8- صلاح مصطفى مفتاح، "ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر"، الشركة العامة للنشر والتوزيع، بيروت.
- 9- عبد الحميد عبد الواحد، "مقدمة في تخطيط النقل الحضري"، بدون دار نشر، الدوحة، 1976.
- 10- عزت عبد الكريم وآخرون، "المجتمع العربي"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- 11- علي محمد عبد المنعم حسن، "هندسة النقل والمرور - مبادئ تخطيط النقل والمرور داخل المدن"، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1994.
- 12- فاروق كامل عز الدين، "جغرافية النقل أسس ومناهج وتطبيقات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 2005م.
- 13- فرانشيكو كور، "ليبيا أثناء العهد العثماني" خليفة التليسي، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1984.
- 14- محمد المبروك المهدي، "جغرافية ليبيا البشرية"، منشورات جامعة قارونس، بنغازي، 1990.
- 15- محمد توفيق سالم، "هندسة النقل والمرور"، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1985.

16- محمد عاطف غيث، "علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988.

### ثانياً: الرسائل العلمية:

- 1- أكرم صالح ميلاد، "التحليل المكاني لشبكة الطرق البرية في ليبيا للفترة من عام 1969 إلى 2006"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، 2008.
- 2- جمال صغيري، "النقل الحضري وتأثيره في إدماج التجمعات العمرانية مدينة المسيلة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تسير مدينة، معهد تسير التقنيات الحضرية، 2008-2009.
- 3- سالم فرج سالم، "الوجود الإيطالي في ليبيا قبيل الغزو"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، القاهرة، 1998.
- 4- شريفي محمد الأمين، "التوسع العمراني وأثره على النقل الحضري دراسة حالة مدينة البيض"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الهندسة الحضرية، جامعة محمد بوضياف الجزائر، 2016.
- 5- عواطف الأمين، "تقييم مخطط مدينة الزاوية لسنة 2000"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، 1997.

6- عياد ميلاد المجرس، "العلاقة بين النمو السكاني، والنشاط الاقتصادي وتطور قطاع النقل بالسيارات في منطقة الخمس في ليبيا"، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا، 2010.

### ثالثاً: التقارير والدوريات:

- 1- التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ليبيا الثورة في 30 عام من 1969 - 1999م.
- 2- أمانة المواصلات والنقل بشعبية المرقب، قسم المشروعات، بيانات غير منشورة، 2008م.
- 3- أمانة مواصلات الخمس، بيانات غير منشورة،

### رابعاً: المجالات والمذكرات:

- 1- رابح منادى وآخرون، "التوسع العمراني مدينة سطيف"، مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة تخصص تسيير المدن، معهد التسيير والتقنيات الحضرية، جامعة المستنيلة، 2004-2005.
- 2- حسن سيد حسن، "شبكة الطرق البرية بسلطنة عمان في الفترة 1970-1995، دراسة في جغرافية النقل، المجلة الجغرافية، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد السادس، القاهرة، 1998.

## التوسع الصناعي وأثره على الاقتصاد النصري في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر (635-897هـ/1238-1492م)

اعداد. د. نعيمة عبد المولى سالم العيساوي(\*) - د. عبد المنعم المدني الكبير(\*\*)

### المقدمة

تعتبر مملكة غرناطة من الممالك الإسلامية التي نشأت خارج النطاق الجغرافي للوطن العربي ، وذلك نتيجة لتوسع الإسلام وانتشاره خارج حدوده ، فكان لهذا الانتشار أثرٌ عظيم في خلق حضارة عربية إسلامية سامية في الممالك الإسبانية والمسيحية في الجنوب الأوروبي، والتي عاشت في صراع طويل مع هذه الدول ، إلا أن ذلك لم يقف حاجزاً أمام تقدمها وتطورها .

فاهتمت مملكة غرناطة بجميع مجالات دولتها ، وخاصة المجال الاقتصادي وبالتحديد الصناعي الذي هو موضوع الدراسة .

فاهتمت بالتوسع الصناعي اهتماماً عظيماً، فارتقت فيها الصناعات في مختلف مجالاتها وأشكالها ، ولم تغفل عن أي صناعة فيها، والذي ساعدها على ذلك توفر المادة الخام فيها بشكل كبير ومتنوع، إلى جانب توفر الأيدي العاملة المحلية المتخصصة

\* - ع. ه. ت ، قسم التاريخ ، كلية التربية/ ترهونة/ جامعة الزيتونة .

\*\* ع. ه. ت ، قسم التاريخ ، كلية التربية/ ترهونة/ جامعة الزيتونة .

أيضاً، حيث كانا هذان العاملان من أهم العوامل التي أسهمت في رقي الصناعة وتطورها في غرناطة .

ونتيجة لتوسع هذه الصناعة تمّ تخصيص كل حي من أحيائها لصناعة معينة وتمت تسميته حسب الحرفة التي كان يمتهنها هؤلاء الصنّاع والحرفيين ، مثل تسمية باب الدبّاغين لصنّاع الجلود ، وريض الفخّارين لصنّاع الفخار وغيرها .

وعليه تمّ الحديث في هذا البحث عن توفر المادة الخام والأيدي العاملة ودورها الصناعي، والصناعات التي نشأت في المملكة والتي كان لها دور عظيم في التقدم الاقتصادي في المملكة والتي كانت من أهمها :

أولاً : صناعة النسيج والحريز -ثانياً : صناعة الأبسطة والسجاد .

ثالثاً : صناعة الجلود -رابعاً : صناعة الأسلحة .

خامساً : صناعة الحلّي والمجوهرات . سادساً : صناعة الأواني الفخّارية والخزف والزجاج . سابعاً : الصناعات الغذائية .

واختتمنا البحث بخاتمة لعرض أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان في إعداد هذا البحث وتليها قائمة المصادر والمراجع .



تعتبر الصناعة<sup>(\*)</sup> في مملكة غرناطة من المجالات المهمة التي أسهمت في رقي الاقتصاد الغرناطي، فلذلك توسع نطاق الصناعات فيها، توسعاً كبيراً في معظم أنحاءها في عهد بني نصر، وذلك بسبب توفر المادة الخام<sup>(1)</sup> المتنوعة والمهمة لقيام الصناعات على اختلاف أنواعها<sup>(2)</sup>، فلهذا لعبت الصناعة دوراً هاماً في النهوض بالاقتصاد النّصري. فكانت الصناعة فيها تتمثل في تصنيع الإنتاج الزراعي وتحويله إلى مواد مصنعة يستفاد بها في المجتمع النصري، وكذلك تصنيع المعادن التي يتم استخراجها من باطن الأرض، وتصنيع المنتجات الحيوانية من جلود وأصواف ولحوم وألبان وغيرها، وتحويلها إلى مواد مصنعة يستفاد منها في المملكة لسد حاجات المواطنين في المملكة وتصدير الفائض منه إلى خارجها. وللتحدث عن التوسع الصناعي لأبد من النظر في عدة أمور أهمها:-توفر المادة الخام التي تقوم عليها الصناعة، ووجود الأيدي العاملة المتخصصة التي تنهض بالصناعة.

\* - يقسم ابن خلدون الصناعة إلى معنية مثل النجارة والحدادة والحياسة، وغير معنية مثل الوراقه والكتابة والغناء والشعر وتعليم العلم والتدريس، انظر: ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون المقدمة، منشورات دار ومكتبه الهلال، بيروت، ط الأخيرة، 2000م، ص258، 261، 262، وما بعدها.

<sup>1</sup> - ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد التلمساني، (ت 776هـ / 1374م)، اللحة البدرية في الدولة النصرية، صحّحه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1347م، ص 13.

<sup>2</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ص254 وما بعدها.

وكان لتوفر المادة الخام في إقليم غرناطة أثر عظيم في إقامة عدة صناعات أهمها صناعة النسيج<sup>(1)</sup>، وصناعة السفن<sup>(2)</sup>، وصناعة بعض الأدوات المعدنية وغيرها من الصناعات الأخرى. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: إلى أي مدى ساهم توفر المادة الخام في التقدم والتطور الصناعي في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد من التحدث عن المادة الخام وتوفرها وتنوعها بالمملكة. **توفر المادة الخام**:- نتيجة لتمتع غرناطة بأرض خصبة وممتازة غنية بكم هائل من المواد الخام سواء التي في جوفها أو على سطحها، فكان هذا كفيلاً بوجود صناعات عظيمة ظهرت في هذا البلد آنذاك، فكانت المادة الخام فيها منقسمة إلى نوعين:- مواد خام معدنية ومواد خام غير معدنية، فالأول تتمثل في، الذهب والحديد والنحاس والتوتيا<sup>(3)</sup> وغيرها، من المعادن الأخرى، أما الثانية فتتمثل في النباتات والحيوانات، بالإضافة إلى غناها بالأحجار الكريمة<sup>(4)</sup> والرخام<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup>- الأدريسي، محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف(ت558هـ-1163م)، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، تح، دوزي ودي خويه، ليدن 1866م، ص 197، ص 198.

<sup>2</sup>- العمري، ابو العباس بن فضل الله شهاب الدين محمد (ت742هـ-1341م)، مسالك الأبيصار من ممالك الأمصار، الجزء الخاص بوصف افرقية والمغرب والأندلس، تح حسن حسني عبد الوهاب، جامعة الزيتونة، تونس، دت، ص 45، ص 47، ص 48.

<sup>3</sup>- ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج/1، تح محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، ط 4، القاهرة، 1421هـ، 2001م، ص 98.

<sup>4</sup>- المقري، احمد بن المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج/1، تح إحسان عباس، دار صادر، ط5، بيروت، 2008م، ص 143.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه والجزء، ص 201.

وكان معدن الذهب متوفر في غرناطة بشكل كبير جداً ، وكانت تلتقط سحالة الذهب <sup>(1)</sup> من نهر حدره بغرناطة <sup>(2)</sup>، كما كانت البيرة موطناً له، وهي من أعمال غرناطة، أما معدن الفضة فكان يستخرج من البيرة<sup>(3)</sup> وكورة تدمير وقرطبة<sup>(4)</sup>، ونتيجة لكثرة المعادن وتوفرها بشكل كبير أعطى هذا الأمر، أهل غرناطة دراية ومعرفة تامة بطرق استخراج هذه المعادن الثمينة من مناجمها وإستخلاص الشوائب منها<sup>(5)</sup> ، وكان الذهب والفضة يستعملان في السكة والزينة<sup>(6)</sup>.

أما معدن الحديد فكان يوجد في المرية<sup>(7)</sup> في موضع يسمى بكارش<sup>(8)</sup>، كما كان يوجد بكميات كبيرة في مدينة غرناطة<sup>(9)</sup>ومدينة مالقة<sup>(1)</sup>. أما معدن النحاس فكان يوجد

<sup>1</sup> - الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري، (ت أواخر القرن 9هـ /15م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تح ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1937م ، ص 23.

<sup>2</sup> - ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، (ت نهاية القرن السادس الهجري)، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني ، تح عبد الهادي التازي ، بيروت ، 1964م، ص190.

<sup>3</sup> - الأصبخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارس الاصبخري المعروف بالكرخي ، (ت346هـ/957م)، المسالك والممالك ،تح محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة والإرشاد ، الجمهورية العربية المتحدة، 1961م ، ص36.

<sup>4</sup> -المقري ، مصدر سابق ، ص 143، ص200

<sup>5</sup> - الحميري ، مصدر سابق ، ص24.

<sup>6</sup> - أبي الحسن ، علي بن يوسف الحكيم ، ألف كتاب في القرن الثامن الهجري، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تح حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1958م، ص 85، ص102.

<sup>7</sup> - المقري ، مصدر سابق ، ج1، ص162، وانظر الحميري الروض المعطار ، ص 184.

<sup>8</sup> - عبد الواحد المراكشي ، محي الدين ابي محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، (ت647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح محمد سعيد العريان، ن.د، القاهرة ، 1383هـ / 1963م ، ص 448.

<sup>9</sup> - ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج1، ص98.

أيضاً في غرناطة والبييرة<sup>(2)</sup> والمرية التي اشتهرت بالصناعات النحاسية<sup>(3)</sup> ، كما استخرج معدن الرصاص من غرناطة<sup>(4)</sup> والبييرة<sup>(5)</sup> والمرية<sup>(6)</sup>، وكذلك معدن التوتيا الذي استخرج من قرية أسمها بطرنة من أعمال البييرة<sup>(7)</sup>.

بالإضافة إلى هذه المعادن توجد معادن أخرى مثل :- معدن المرقشيتا واللازورد<sup>(8)</sup> ، وكذلك الملح<sup>(\*)</sup>الذي كان يتم استخراجها من سرقسطة، كما كان يوجد الياقوت الأحمر الذي استخدم في صناعة الحلبي بغرناطة ، وكان يتم استخراجها من حصن منت ميور<sup>(9)</sup> وكذلك كان للرخام دوراً بارزاً في ازدهار الصناعة بإقليم غرناطة ،

<sup>1</sup> - الإدريسي ، مصدر سابق ، ص 197 .

<sup>2</sup> - ابن غالب ، محمد ابن ايوب الأندلسي ، (ت في القرن السادس الهجري) ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، تح لطفي عبد البديع ، مج/1 ، ج/2، مجلة معهد المحفوظات العربية ، 1955م، ص283.

<sup>3</sup> - الإدريسي ، المصدر السابق ص197 ، انظر: نفع الطيب ، ج/1، ص143.

<sup>4</sup> - ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج/1 ، ص98 .

<sup>5</sup> - الحميري ، المصدر السابق ، ص 24.

<sup>6</sup> - المراكشي ، المصدر سابق ، ص448

<sup>7</sup> - ابن الخطيب ، المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة، انظر الحميري ، الروض المعطار ، ص 24.

<sup>8</sup> - ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 1 ، ص 98 ، أنظر المقرئ نفع الطيب ، ج/1، ص169.

\* - وهو الأندلسي الأبيض الصافي الأملس الخالص يوجد بسرقسطة، انظر ابن الخطيب ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ( مجموعة من رسائله ) ، تح أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، 1983م، ص 82 . وانظر المقرئ ، نفع الطيب ، ج/1، ص150.

<sup>9</sup> - المقرئ ، نفع الطيب ، ج/1 ، ص 61 .

وكان يوجد تحديداً بالبيرة ، وكما يوجد بها مقطع للرخام لين أبيض اللون<sup>(1)</sup> حيث كانت تصنع منه الأقداح والأكواب والأطباق<sup>(2)</sup> .

كما يوجد نوعاً من الرخام الجيد في باغة من أعمال غرناطة موشاة في حمرة وصفرة<sup>(3)</sup> وكذلك المرية كانت من المدن التي لها دوراً كبيراً في إنتاج المواد الخام والمتمثلة في نوع من الحصي ، التي استخدمت في تجميل وتزيين حوائط المنازل والقصور والمساجد حيث شبهه المقري بأنه : " كالدُّر في رونقه وله ألوان عجيبة " ولذلك مثلت المادة الخام المتنوعة والمختلفة الأشكال في إقليم غرناطة ، حجر الأساس للتقدم والتطور الصناعي بهذا الإقليم الذي ترتب عليها ، وجود أيدي متخصصة ومدربة تتقن الصناعات المختلفة في عدة مجالات ، فلهذا انتشرت هذه الصناعات في هذا الإقليم بشكلٍ واسعٍ .

- الأيدي المتخصصة في صناعة الحرف المختلفة. كانت حاجة الناس للصناعة ، من الأسباب التي أسهمت في التوسع الصناعي على أكبر بقعة من إقليم غرناطة، وكذلك كان سبباً في صقل المهارات المختلفة في المجال الصناعي آنذاك، حيث يدل هذا على التقدم الحضاري الذي وصلت إليه المملكة ، ويؤكد ابن خلدون على هذا التقدم الحضاري

<sup>1</sup> - نفس المصدر والجزء والصفحة .

<sup>2</sup> - المقري ، نفح الطيب ، ج/1 ، ص 201 .

<sup>3</sup> - نفس المصدر والجزء والصفحة ، الجزء والصفحة .

قائلاً: "إن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرتة"<sup>(1)</sup> ولذلك اختلف لفظ العمال من مكان إلى مكان آخر في البلاد العربية ، ففي المغرب والأندلس ، أُطلق على العمال لفظ " الصنّاع"<sup>(\*)</sup>، وأطلق الموحدون عليهم اسم " عبّيد المخزن"<sup>(2)</sup>، وينقسم العمال إلى ثلاثة أصناف :

أولاً :- الصانع الخاص<sup>(3)</sup> وهو الذي يعمل عند صاحب العمل أو مالك الصناعة<sup>(4)</sup>.

ثانياً:- الصانع المشترك ، وهو ليس بأجير عند رب العمل وإنما يجلس للعمل ويخدم كل من يقدم إليه حاجته مثل ، الخرز<sup>(\*)</sup> والخياط<sup>(\*\*)</sup> والصباغ والدباغ والنشّار<sup>(\*\*\*)</sup>.

1- ابن خلدون ، المقدمة ،ص 225.

\* - وتعرف كلمة صناع في اللغة ، جمع صنائع وهي منسوبة إلى صناعة ، حرفة الصانع ، والمشتقة من الفعل الثلاثي صنع ، الرازي ، محمد بن أبي بكر بن القادر ، (ت666هـ / 1267م) مختار الصحاح، دار الرسالة ، الكويت ، 1983م، ص 371. وللزيد من المعلومات ينظر السقطي ، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالكي (ت631هـ/1234م)، في آداب الحسبة ، نشر كولن وليفي بروفستال، باريس، 1931م، ص 62.

2- العمري ، مسالك الابصار " الجزء الخاص بوصف أفريقيّا" ص10.

3- ابن رحال ، أبي الحسين على ، كشف القناع عن مسائل الصنّاع ، مخطوط الخزانة العامة الرباط ، مجموعة رقم 1079، دت، ص 39، ص40.

4- نفس المصدر والصفحة .

\* - الجزار ، وهو محترف في صناعة الجلد ودبغه أي صبغة ، انظر ابن خلدون ، المقدمة ، ص257.

\*\* - الخياط، وهو الذي يخبّط الثياب ، انظر ابن خلدون ، المصدر السابق ص 262، وانظر السقطي ، رسالة في آداب الحسبة ، ص62.

\*\* - الصباغ هو الذي يقوم بصباغة الثياب ، والدباغ هو الذي يقوم بدباغة الجلود، والنشّار هو الذي يقوم بالنجارة ونشر الخشب ، انظر : السقطي ، المصدر السابق ، ص63، ص65

ثالثاً :- الصانع المتجول ، مثل صنّاع الأواني الحديدية أو الخشبية وينتقل من بلد إلى آخر حسب العرض والطلب<sup>(1)</sup>، هذا ولم يكن الصنّاع رجالاً فحسب بل كان من بينهم عدد كبير من النساء اللاتي احترفن فن صناعة الغزل والنسيج<sup>(2)</sup>.

ونتيجة لكثرة الصنّاع وتخصصها ، فصار لكل نوع من الحرف شارحاً وسوقاً يحمل إسم هذه الصنعة، مثل ريش الفخارين بغرناطة<sup>(3)</sup>، وسوق العطارين<sup>(4)</sup> والصبّاعين والوراقين والدباغين<sup>(5)</sup> والطوابين<sup>(6)</sup> وكانت هذه المهن الصناعية لها تنظيم إداري تسيير عليه بطريقة منظمة ، حتى لا يختل توازن العمل داخل هذه المؤسسة الصناعية ، فكان يتم تقسيم أصحاب الحرف على شكل طوائف وعلي كل منها عريف أو أمين<sup>(7)</sup> ويتم تعيينه عادة من قبل القاضي أو المحتسب<sup>(8)</sup> وكانت له السلطة عليهم ، وهو المسؤول

<sup>1</sup> - المراكشي ، عبد الله المراكشي ، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ،تح إحسان عباس دار الثقافة ، بيروت 1964م- 1965م، ص321.

<sup>2</sup> - ابن عبدون ، محمد أحمد التجيبي ،(ت في النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12م) ،رسالة في الفضاء والحسبة ( ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب، تح ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار المشرقية ، القاهرة ، 1955، ص55.

<sup>3</sup> -العمري ، وصف افريقية ، المصدر السابق ، ص43.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ،ص41.

<sup>5</sup> - العمري، المصدر السابق ،ص40.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه ،ص41.

<sup>7</sup> - السقطي ، رسالة في الحسبة، ص39.

<sup>8</sup> - اعطيت صلاحيات واسعة للقاضي في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر ، وكان يعاونه في القضايا القانونية ، قاضي مساعد يعرف بصاحب الأحكام، وهو مايعرف بصاحب الشرطة ، ويعاونه أيضاً صاحب السوق وهو المسؤول بصورة عامة عن أمور السوق ، وكان ابرز رجال الحسبة والشرطة في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر ، القاضي ابوبكر محمد بن فتح الانصاري الاشبيلي، (ت 698هـ) ، انظر : النباهي، أبو الحسن عبد الله

عن كل ما يحدث داخل هذه المؤسسة ، ويراقب هؤلاء الصناع في أعمالهم الحرفية والصناعية وجودة هذه الصناعة وتمييز الجيد من الرديء منها<sup>(1)</sup> ونتيجة لتوفر المواد الأولية التي تحتاجها الصناعة شهد إقليم غرناطة تطوراً كبيراً في عدة صناعات مختلفة مثل:-

صناعة النسيج والحريز<sup>(2)</sup> وصناعة الأبسطة والسجاد<sup>(3)</sup> ، والصناعات الجلدية، وصناعة الخزف والزجاج والأواني الفخارية<sup>(4)</sup>، والصناعات المعدنية والحلي<sup>(5)</sup>، والصناعات الغذائية ، وصناعة الأسلحة وصناعات أخرى متنوعة.

**أولاً : صناعة النسيج والحريز:-** ورثت غرناطة عن الأندلس صناعة النسيج ، وازدهرت بها هذه الصناعة ، حتى القرن الخامس عشر الميلادي، ومنها انتقلت إلى الممالك

---

الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ت أواخر القرن 8هـ/14م)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا المعروف بتاريخ قضاة الأندلس، شرح وضبط صلاح الدين الهواري، نشر المكتبة العصرية ، بيروت، 1429هـ/2006م ، ص15.

- <sup>1</sup> - المجيلدي، أحمد سعيد ، التيسير في أحكام التسعير ،تح موسي اقبال ، الجزائر ، 1970م ، ص56.
- <sup>2</sup> - أبو الفداء ، السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت 732هـ /1331م)، تقويم البلدان ، تح رينو رينو والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية ، باريس ،1840م ، ص 175.
- <sup>3</sup> - هو نوع قائم بذاته من فنون النسيج، مزيداً من التفصيل انظر ، رتشارد تننهاوزن، أثر فنون الزخرفة والتصوير عند المسلمين على الفنون الأوروبية ، ضمن كتاب ، تراث الإسلام ، تصنيف شاخت وبوزورت، ترجمة حسين مؤنس واحسان صفي، مراجعة فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،1978م، ص 108.
- <sup>4</sup> - الحميري ، صفة جزيرة الأندلس، ص 184.
- <sup>5</sup> - الفلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ / 1418م)، صبح الأعشي في صناعة الانشا، شرحه وعلق عليه ، محمد حسين شمس الدين ، ج/5، دار الكتب العربية ، بيروت ،1987م، ص 216 . أنظر : عماد محمد الحفيظ، بعض الصناعات الغذائية في الأندلس، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، 1989م ، ص557 ، ص558 .



الإسبانية المسيحية وإلى الدول البيزنطية<sup>(1)</sup>، ولجودة هذه الصناعة كان سلاطين بنو الأحمر يقدمون منسوجاتهم كهدايا إلى ملوك الدول الأخرى، فمثلاً السلطان محمد الرابع قدّم هدية إلى الفونسو الحادي عشر في عام 1333/734م عبارة عن نسيجاً من الحرير وخيوط الذهب، كانت تنتجها مصانع غرناطة حيث حازت هذه الصناعة على إعجاب شديد من ملوك إسبانيا المسيحية<sup>(2)</sup>. واشتهرت مدينة المرية بهذه الصناعة، وانتشرت فيها بشكل كبير فكانت تصنع الحرير الموشي والديباج<sup>(3)</sup>، وكان بها أعداد كثيرة من الطراز<sup>(\*)</sup>، فقد وصلت طراز الحرير فيها ثمانمائة طراز<sup>(4)</sup>، وتوسعت فيها صناعة الثياب بأنواع وأشكال مختلفة فتميزت بصناعة الديباج<sup>(5)</sup> والاسقلاطون<sup>(\*\*)</sup>، والجرجاني والأصفهاني<sup>(\*\*\*)</sup>، والستور المكلفة والثياب المعنفة<sup>(\*\*\*\*)</sup>، والعتابي الفاخر والخمر<sup>(\*\*\*\*\*)</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، تقديم أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، 1997، مصر، ص 304.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 305.

<sup>3</sup> - المقري، نفع الطيب، ج/1، ص 305.

\* - طرز أو طراز للكلمة معان كثيرة منها الكتابة الرسمية التي كانت تتوج أوراق الدولة أو تطرز على الأقمشة التي تحتكرها الحكومة، وقد كشفت الأبحاث الأثرية عن وجود نوعين من دور الطراز، طرز العامة، وأغلب الظن أن المقصود به المصانع الأهلية للنسيج والتي نشرف عليها الدولة إشرافاً دقيقاً، وطراز الخاصة الذي كان ملحقاً يقصر السلطان وعلى رأسه موظف كبير ويختص بنسيج ما يحتاج إليه السلطان وحاشيته، أنظر: محمد عبد العزيز مزوق، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، ج/2، بيروت دت، ص 122.

<sup>4</sup> - الأدريسي، نزهة المشتاق، ص 198، وانظر: الحميري، الروض المعطار، ص 184، المقري، نفع الطيب، ج/1، ص 163.

<sup>5</sup> - ابن الوردي، سراج الدين أبي حفص عمر (ت 749هـ - 1348م)، جزيرة العجائب وفريدة الغرائب، مطبعة أحمد الجليبي البابي، القاهرة، دت، ص 16، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 184.

وزاد الإنتاج بكميات كبيرة في مدينة المرية ، وذلك لأن معظم أهلها يشتغلون بحرفة صناعة النسيج والحياكة (1) ، ولهذا أصبحت المرية تمثل مصنعاً للحلل الموشية النفيسة ، التي يتعجب أهل المشرق من حسن وإتقان هذه الصناعة (2) ، فتوسعت صناعة الحرير وإنتاجه في معظم مدن المملكة، فكانت غرناطة نفسها وبسطه تنتجان نوعاً من الحرير يسمى " الملبد المختم " والذي يمتاز بألوانه العجيبة (3) كما تميزت مدينتنا وادي آش ودلايه بإنتاج نوعاً من الحرير كانت تفضله أميرات غرناطة ونساء الطبقة الراقية ، حيث انتشرت هذه الصناعة وانتقلت إلى المدن الإيطالية التي كانت تستورد كميات كبيرة من الحرير الخام من غرناطة حتى القرن الخامس عشر (4) وكان لهذا النمو الصناعي

\* - الأسقلاطون ، نوع من المنسوجات الحريرية التي اشتهرت بها بلاد اليونان ومنها انتقل إلى البلاد الإسلامية ، عبد العزيز مزروق ، المرجع السابق ، ص 124.

\*\*\* - الجرجاني والأصفهاني : كلاهما منسوجات حريرية نسبة إلى أصبهان وحران بإيران ، عبد العزيز مزروق ، المرجع نفسه ، ص 124 .

\*\*\*\* - هي ماكانت تزدان بنقط صغيرة تشبه عيون الوحش، أو تلك التي تزدان بزخرفة هندسية على هيئة المعين ، انظر مزروق المرجع نفسه والصفحة.

\*\*\*\*\* - نوع من القماش الحريري أيضاً بنسب إلى حي عتاب في بغداد ، حيث توجد مصانعه ، والخمر وهو مانعطي به المرأة رأسها ، المرجع نفسه والصفحة.

1- الزهري ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزهري (ت 556هـ/1160م) كتاب الجغرافية ، تح محمد صباح صادق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1968م، ص 102.

2- المقري ، نفع الطيب ، ج/1، ص 201.

3- مؤلف مجهول ، أخر أيام غرناطة ، تح محمد رضوان الداية ، دار حسان للطباعة والنشر ، دت ، ص 87.

4- محمد كمال شبانه، يوسف الأول ابن الأحمر ، سلطان غرناطة (733-755هـ) ، مكتبة- الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2004 ، ص 194.

وتطوره وانتشاره في مدن وإقليم غرناطة ، أثراً عظيماً على التقدم الاقتصادي فيها، وزيادة الإنتاج وتصديره للبلدان الأخرى ، ونتيجة لذلك امتدح ابن الخطيب حرير غرناطة ويذكر أنه لا يمكن مقارنته إلا بحرير العراق ورغم مقارنته به إلا إن حرير العراق يقل عنه " رقه ولدونه وعتاقة" (1) ، ولتوسع وانتشار صناعة الحرير في المملكة تم تخصيص عامل يتولي رعاية بويضات دودة القز التي تربي في أشجار التوت ، مقابل إعطائه ربع الحرير كمكافأة له(2). وكان من الشائع يتم غزل الحرير في المناطق الريفية ، وأما نسجه وتصريفه فكان يتم في المراكز التجارية في غرناطة ومالقة والمرية(3) ولذلك اكتسبت غرناطة شهرة عظيمة في معظم صناعاتها ، حيث امتدح ابن خلدون هذه الصناعة قائلاً : " إن رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد أمصارها"(4).

وإلى جانب صناعة الحرير تميزت غرناطة بصناعة ونسج الكتان الذي كانت جودته أعظم من كتان النيل، وتم تصديره إلى بلدان بعيدة(5) ، وبرز النساجون الغرناطيون في " القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي في فن صناعة المنسوجات ، فأدخلوا

1- ابن الخطيب ، اللحة البدرية ، ص13.

2 -Jose Lopez Ovtiz :Fatwas Granadinas de los siglos xiv y xv(AL Andalus, Vol.VI,1941.P.113.

3 -Miguel Angel ladero Quesada : Granad Historia deun Pais , Madrid , 1969 ,P.40

4- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 256 .

5- الحميري ، الروض المعطار ، ص 24 .

ألواناً وزخارف هندسية عليها تميزت بالدقة والذوق الرفيع لأصحاب هذه الحرفة<sup>(1)</sup> وكان للنساء شأن عظيم في هذه الصناعة ، حيث تميزت في الوشي بالخیوط الذهبية والفضية، ونقش الصور الملونة على النسيج ، حيث كانت تتم هذه العملية بآلات يدوية معينة<sup>(2)</sup> وفي حقيقة الأمر كان لهذه الصناعة تأثيراً عظيماً على التقدم والتطور الإقتصادي في المملكة ، حيث تم تحقيق الاكتفاء الذاتي من الألبسة الحريرية والكتانية والمذهبة بالوشي<sup>(3)</sup>، وتصدير الفائض منها إلى خارج المملكة، مما زاد أرباح طائلة على اقتصاد المملكة، ويرجع هذا كله إلى اهتمام ملوك بني الأحمر بمملكة غرناطة وصناعاتها<sup>(4)</sup> حتى وصلت إلى هذا القدر من التقدم والتطور الاقتصادي<sup>(5)</sup>.

**ثانياً : صناعة الأبسطة والسجاد :** ازدهرت صناعة الأبسطة والسجاد بغرناطة ازدهاراً عظيماً، فمن المعروف أن الأبسطة من الأشياء التي تزين بها وتفرش بها أرضيات المنازل والقصور والمساجد، إلا أنه نتيجة لتطور هذه الصناعة وتوفرها بشكل كبير في المملكة وتميز دورها بصناعاتها<sup>(6)</sup>، أصبحت تزين بها جدران وحوائط المنازل والقصور<sup>(1)</sup>،

1- كمال شبانة ، يوسف الأول ، ص 193 .

2- المرجع نفسه ، ص 194 .

3- جمعة شيحة ، ابن الصباح ، غرناطة حاضرة دولة بني الأحمر ، مجلة دراسات أندلسية ، (العدد 45-46) ، مؤسسها جمعة شيحة ، مطبعة المغاربة للطباعة والنشر والأشهار ، تونس ، 2011 م ، ص 28 .

4- ابن الخطيب ، للمحة البدرية ، ص 55 ، وانظر ابن الخطيب ، أعمال الأعلام فيمن ببيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تح ليفي بروفسنال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2004 م ، ص 100 .

5- جمعة شيحة ، المرجع السابق ، ص 16 .

6- أحمد الطوخي ، مظاهر الحضارة ، ص 307 .

وان دلّ هذا على شيء إنما يدل على ازدهار الزخرفة العربية الإسلامية التي أصبحت تزين قطع السجاد، فصارت بمثابة مناظر جميلة يتم بها تزين الحوائط في المنازل الغرناطية في ذلك الوقت .

وتطورت هذه الصناعة لتوفر المادة الخام اللازمة لها في إقليم غرناطة، فتنوعت قطع السجاد من حيث الحجم ، فكان منها قطع كبيرة الحجم ، وصغيرة الحجم ، فكبيرة الحجم كانت تفرش بها أراضي المنازل والمساجد وخاصة أيام الجمع والأعياد<sup>(2)</sup>، وصغيرة الحجم وهي التي يأخذها معه المصلي أينما أدركته الصلاة لكي يصلي عليها<sup>(3)</sup> وتميزت كل من غرناطة وبسطة بصناعة البسط والسجاد الفاخر والمتقن الصنع والذي ينسب إلى مدينة بسطة ، وتحدث ابن الخطيب عن فخامة هذه الصناعة وجودتها قائلاً: " الوطاء البسطي من الديباج الذي لا يعلم له نظير "<sup>(4)</sup>. وكذلك تميزت تنتالة من عمل مُرسية بصناعة البسط التي يغالي في ثمنها بالمشرق<sup>(5)</sup>.

ولعل هذا يشير إلى انتشار وتوسع هذه الصناعة إلى خارج المملكة وزيادة الثروة الاقتصادية وتطورها ، حتى أصبح يصدر منها وتباع خارج المملكة.

<sup>1</sup> - كمال شبانه ، يوسف الأول، ص 194 .

<sup>2</sup> - كمال شبانه ، المرجع السابق ، ص 131 .

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 131 .

<sup>4</sup> - ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص 31 .

<sup>5</sup> - المقري ، نفح الطيب ، ج/1 ، ص 201 .

ثالثاً : صناعة الجلود: ومن الجدير بالذكر ، أن مملكة كمملكة غرناطة تميزت بصناعاتها المتنوعة والمتقنة، لن تغفل عن صناعة الجلود التي كان لها دور مهم في حياة المجتمع الغرناطي ، فلهذا اشتهرت غرناطة بهذه الصناعة كغيرها من الصناعات الأخرى، وخاصة إن فن الصناعات الجلدية كان متداولاً عند أهل الأندلس منذ قرون سابقة ، حيث كان يرجع تاريخ هذه الصناعة في غرناطة إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي ، أي في عهد السلطان يوسف الأول (733 هـ -755هـ / 1333-1354م)<sup>(1)</sup>، كما اشتهرت المرية بالصناعات الجلدية ، وتخصصت مألقة بإنتاج الأغشية والحزم والمدورات<sup>(2)</sup>، وعرف أهل غرناطة صباغة الجلود بألوان مميزة ودباغتها ، فاستعملوا في صباغتهم النيلة والقرمز والزعفران ، الذي اشتهرت غرناطة بإنتاجه<sup>(3)</sup>، وأيضاً تميزت بسطة بإنتاج الجيد من الزعفران<sup>(4)</sup>، وكذلك باغة من أعمال غرناطة<sup>(5)</sup> وكان الدباغون ينزلون على ضفاف أنهار مدينة غرناطة إتقاء لرائحة صناعتهم<sup>(6)</sup>.

1- كمال شبانة ، يوسف الأول ، ص 195 .

2- العمري ، مسائل الأبيصار ، ص 161 .

3- المقري ، نفح الطيب ، ج / 1 ، ص 149 .

4- ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص 31 .

5- المقري ، المصدر السابق ، 149 .

6- ليفي بروفنسال ، محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها ، ألقاها عامي 1947 - 1948 م ترجمها إلى العربية د. محمد عبدالله الهادي شعيرة ، راجعها الأستاذ عبد الحميد العبادي ، مطبوعات جامعة الإسكندرية ، مصر ، 1951 ، ص 66 .

كما اهتم الغرناطيون بهذه الصناعة، فقاموا بنقش الجلود بعد صبغها ودباغتها وتحويلها إلى أحزمة وأحذية وسروج وأعماد للسيوف وسائر الأوعية الجلدية<sup>(1)</sup> ولرقي هذه الصناعة وتطورها أنتقلت فيما بعد إلى أوروبا<sup>(2)</sup>، ونتيجة لتوسع نطاق هذه الصناعة تمّ تخصيص مكاناً لها سمي بباب الدبّاعين<sup>(3)</sup>، وقد خضعت هذه الصناعة لرقابة المحتسب<sup>(4)</sup>، وذلك للمحافظة على جودة هذه الصناعة من الغش ، فكان المحتسب يشترط على محترفي هذه الصناعة والذين يقومون ببيع منتجاتها " بأن لا يباح للدباغ بيع جلد إلا أن يكون قد خرج ماؤه وتحققت في دباغه ، ومتى يبس وطوي وتكسر فهو غير جيد الدباغ وينقد في ذلك لداليه ومن وجد بعد ذلك فعله أَدَبٌ ونُكِّلَ " <sup>(5)</sup> وهذا يدل على اهتمام الإدارة الغرناطية بالرقي في مجال الصناعات والمحافظة عليها من الغش وفي ذلك تطبيقاً لمبادئ الدين الإسلامي الذي ينهانا دائماً عن إتباع أسلوب الغش في المعاملات مهما كان نوعها .

1- العمري ، وصف أفريقية ، ص 48 .

2- يوسف شكري فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة حضارية ، مؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، 1982 ، ص 146 .

3- العمري ، المصدر السابق ، ص 40 .

4- السقطي ، في آداب الحسبة ، ص 63 .

5- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

رابعاً : صناعة الأسلحة:- أشهر إقليم غرناطة بإنتاجه الوفير من المواد المعدنية ، مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص والتونيا والنحاس<sup>(1)</sup> ونتيجة لهذا التنوع في المادة الخام اشتهرت عدة مدن غرناطية بالصناعات المعدنية والتي أهمها ، صناعة آلات الحرب من التروس والرماح والسروج والدروع<sup>(2)</sup>، كما اقتصت مرسية بإنتاج وصناعة الآلات الحديدية ، كالكساكين والمقصات<sup>(3)</sup>، واشتهرت المرية بإنتاج وصناعة الآلات النحاسية إلى جانب الصناعات الحديدية<sup>(4)</sup>.

وبما أن حياة غرناطة كانت كلها حياة حرب وكفاح ، فتقدمت فيها صناعة الأسلحة تقدماً كبيراً، فاشتهرت بصناعة الأسلحة وآلات الحرب ، ويشير ابن سعيد نقلاً عن المقري عن تطور هذه الصناعة وتنوعها قائلاً :- " وأما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والأجم والدروع والمغافر فأكثر هم أهل الأندلس كانت مصروفة إلى هذا الشأن " (5).

ويبدو من هذا النص، أن الأيدي المتخصصة في هذه الصناعة كانت أيدي محلية من أهل الأندلس أنفسهم، فغرناطة خاصة والأندلس عامة لم تكن بحاجة إلى أيدي عاملة

1- ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج/1 ، ص 98 .

2- العمري ، مسالك الأبصار ، ص 161 ، الفلقشندي ، صبح الأعشي ، ج/5 ، ص 219 .

3- المقري ، نفخ الطيب ، ج/1 ، ص 201 .

4- المصدر نفسه ، ص 163 .

5- المقري ، نفخ الطيب ، ج/1 ، ص 202 .



غير محلية، فبسبب توفر المادة الخام بشكل كبير، تفنن أهل هذا الإقليم في هذه الصناعة وغيرها.

وامتلاك غرناطة لساحل كثير التعاريج ، قامت بإنشاء دور لصناعة السفن في عدة مدن بإقليم غرناطة منها : مالقة<sup>(1)</sup> والتي كانت أهم ثغور غرناطة فأقيمت بها دار لصناعة السفن التجارية والسفن الحربية وخاصة الحراريق<sup>(\*)</sup>، وكذلك مدينة المنكب التي أقيمت بها دار لصناعة السفن الحربية والتجارية أيضاً<sup>(2)</sup> أما المرية فاهتمت هي أيضاً بصناعة السفن وأنشي فيها دار لصناعة السفن<sup>(3)</sup> إلى جانب ذلك اهتمت معظم مدن إقليم غرناطة بصناعة السيوف التي كانت تمثل عندهم أداة مهمة في الحرب نتيجة للظروف التي كانوا يعيشونها ، فتفنن الصانع النصري في إخراج سيوف رشيقة<sup>(4)</sup> لاستعمالها في حروبه مع النصاري.

#### خامساً : صناعة الحلي والمجوهرات:

- 
- <sup>1</sup> - العمري ، مسالك الأبصار ، ص 48 .
- \* - الحراريق وتسمى أيضاً الحراقات ، ومفردها حراقة ، وهي نوع من السفن الحربية تستخدم لحمل الأسلحة ، أنظر : بشير رمضان التليسي ، جمال هاشم الذويب ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار المدار الإسلامي ، لبنان ، 2002 ، ص 179 .
- <sup>2</sup> - ابن الخطيب ، نفاضة الجراب في غلالة الأغرراب ، نشر أحمد مختار العبادي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة 1967 م ، ص 300 ، وانظر الحميري ، الروض المعطار ، ص 186 .
- <sup>3</sup> - العمري ، مسالك الأبصار ، ص 46 ، وانظر الحميري ، الروض المعطار ، ص 183 ، ص 184 وعن ثغور المرية انظر ابن الخطيب ، اللحة البدرية ، ص 19 .
- <sup>4</sup> - أحمد الطوخي ، مظاهر الحضارة ، ص 310 .

تميزت نساء غرناطة عن غيرها من نساء ذلك العصر في التفنن في اقتناء المجوهرات والحلي مختلفة الأشكال والألوان وزيادة إقبالهن عليها<sup>(1)</sup> ويشير ابن الخطيب إلى تفنن نساء غرناطة في اقتناء المجوهرات والحلي قائلاً: " وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المصبغات ، والتفريس بالذهبيات والديباقيات ، والتماجن في أشكال الحلي ، إلى غاية فنسأل الله أن يعرض منهن فيها ، عين الدهر "<sup>(2)</sup>. فكانت نساء غرناطة يتقلدن الجواهر النفيسة ، وخاصة المرصعة بالزمرد والياقوت<sup>(3)</sup>، الذي اشتهرت به مالقة ، وكذلك الأقراط والخواتم المصنوعة من الذهب والفضة<sup>(4)</sup> فهذا التنوع في المعادن الثمينة المتوفرة بشكل كبير في أرض غرناطة ، دفع باهلها إلى الاهتمام بهذه الصناعة والتفنن فيها بكل مهارة ودقة<sup>(5)</sup> وإن دل هذا على شيء ، يدل على غنى مملكة غرناطة وأرضها بهذه المواد الخام الثمينة ، التي ساهمت في انتشار هذه الصناعة وتفنن أهلها في صناعتها ، واقتناء نساءها هذه المجوهرات وخاصة نساء الطبقة الراقية منهن، بينما الطبقات الفقيرة فحليهن كانت من الفضة<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup>- ابن الخطيب ، اللحة البدرية ، ص 29 ، انظر محمد كمال شبانة ، مرجع سابق ، ص 201 .

<sup>2</sup>- ابن الخطيب ، الأحاطة ، ج/1 ، ص 139 .

<sup>3</sup>- ابن الخطيب ، اللحة البدرية ، ص 29 .

<sup>4</sup>- ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج/1 ، ص 98 .

<sup>5</sup>- المصدر نفسه ، ص 138 ، ص 139 ، انظر محمد كمال شبانة ، المرجع السابق ، ص 207

<sup>6</sup>- عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس ، ص 105 ، ص 106 ، محمد كمال شبانة ، يوسف الأول ، ص 207.

## سادساً : صناعة الأواني الفخارية والخزف والزجاج :-

تركزت هذه الصناعة في معظم مدن غرناطة حيث تفوقت هذه المدن في صناعة الفخار والخزف ، فانتشرت صناعة الخزف والأواني الفخارية في كل من ، مالقة<sup>(1)</sup>، واندرش<sup>(2)</sup> وبرجة<sup>(3)</sup>، فصنعوا أشكالاً جميلة من المنتجات الضرورية الهامة ، كأواني الطبخ التي كان يستعملها أهل غرناطة آنذاك<sup>(4)</sup> كما اشتهرت مالقة بإنتاج النوع الجيد من الفخار المذهب العجيب الذي صُدِّر منه إلى الخارج<sup>(5)</sup>، كما كان يجلب هذا النوع من الفخار إلى أقاصي البلاد، كما اشتهرت مالقة أيضاً بصناعة الأطباق الخزفية ذات البريق المعدني مزخرفة برسوم نباتية متنوعة<sup>(6)</sup>. وكذلك كانت المرية من المدن التي ساهمت في صناعة بعض الأواني الزجاجية العجيبة<sup>(7)</sup>، وانتشرت هذه الصناعة أيضاً في

<sup>1</sup> - الحميري ، الروض المعطار ، ص 31 .

<sup>2</sup> - ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ( ت 685 هـ / 1286 م ) المغرب في حلي المغرب ، ج/2 ، تح شوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة ، 1953 ، ص 228 .

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص 228 .

<sup>4</sup> - محمد كمال شبانة ، المرجع السابق ، ص 217.

<sup>5</sup> - ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ج/1 ، ص 424 ، ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد الطنجي اللواتي ( ت 779 هـ / 1378 م ) ، الرحلة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج/1 ، دار الشرق العربي ، لبنان ، د.ت . ص 519 ، المقري ، نفح الطيب ، ج/1 ، ص 202 .

<sup>6</sup> - زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، النهضة المصرية ، مصر 1948 م ، ص 333 ، ص 334 .

<sup>7</sup> - الأدريسي ، نزهة المشتاق ، ص 197 ، الحميري ، الروض المعطار ص 184 ، المقري ، نفح الطيب ، ج/1 ، ص 202 .

مالقة<sup>(1)</sup>، وكانوا ينتجون أيضاً نوعاً من الزجاج يعرف بالفسيفساء ، ونوعاً آخر يعرف بالزليجي<sup>(2)</sup>، حيث كانوا يستخدمونه في زخرفة المنازل.

ورغم وجود الرخام بوفرة في غرناطة الا إن الزجاج كان أرخص ثمناً منه<sup>(3)</sup> وكان ملوك بني نصر يهتمون بمراقبة الحرف الصناعية للمحافظة عليها من الغش ، والمحافظة على الصحة العامة ، حتى لا يتضرر الناس من الدخان المتصاعد من هذه الصناعات ، وخاصة صناعة الزجاج والفخار التي تحتاج إلى درجة حرارة عالية<sup>(4)</sup>، وذلك بجعل مكان صناعته بعيداً نوعاً ما عن سُكنى الناس ، فأخذ في غرناطة مكاناً لصناعة الفخار سمي بربط الفخارين<sup>(5)</sup>.

وهذا يشير إلى وعي الإدارة النصرية واهتمام ملوكها بالصحة العامة ، والمحافظة على التقدم الصناعي بالمملكة .

**سابعاً : الصناعات الغذائية :**

<sup>1</sup> - ابن سعيد، المصدر السابق ، ص 44 .

<sup>2</sup> - المقري ، نفح الطيب ، ج/2 ، 202 .

<sup>3</sup> - حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1967 م ، ص 216 .

<sup>4</sup> - ابن عبد الرؤوف ، أحمد بن عبد الله ، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب (ضمن مجموعة ثلاث رسائل في الحسبة) تح ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، 1955 م ، ص 112 .

<sup>5</sup> - العمري ، وصف أفريقية ، ص 41 .

اهتمت مملكة غرناطة بالصناعات الغذائية وذلك لتوفر الغلال فيها بشكل كبير، فاهتمت بإنشاء طواحين لطحن الحبوب والتي أقيمت على شواطئ الأنهار ، حيث كانت توجد بها أكثر من مائة وثلاثين طاحونة<sup>(1)</sup>، وكذلك صناعة عصر الزيتون<sup>(2)</sup> ، وأيضاً صناعة تجفيف الفاكهة، والتي تقدمت تقدماً ملحوظاً في غرناطة حيث كان فلاحو غرناطة يدخرونه سليماً طوال العام<sup>(3)</sup>، وأيضاً التين والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز الذي لا ينفذ ولا ينقطع مدده إلا في الفصل الذي يزهد في استعماله<sup>(4)</sup> وكذلك صناعة السكر والذي اشتهرت مدينة المنكب بزراعة قصب السكر حيث كان يصدر إلى البلدان الأخرى<sup>(5)</sup>، وكذلك انتشرت صناعته في فحس غرناطة وشلوبين<sup>(6)</sup> كما انتشرت صناعة الخمر بغرناطة، فاشتهرت مألقة بتصنيع الخمر من التين والكروم<sup>(7)</sup> والتي مثلت أهم مراكز إقليم غرناطة في إنتاج الخمر في ذلك الوقت .

## الخاتمة

<sup>1</sup>- ابن الخطيب ، اللحمة البدرية ، ص15 .

<sup>2</sup>- ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص84 .

<sup>3</sup>- ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج/1 ، ص137 ، ابن الخطيب ، اللحمة البدرية ، ص28 .

<sup>4</sup>- ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج/1 ، ص137 ، ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص79 .

<sup>5</sup>- العمري ، وصف إفريقية ، ص46 ، ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص80 .

<sup>6</sup>- الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص199 ، العمري ، وصف إفريقية ، ص46 .

<sup>7</sup>- ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ج/1 ، ص424 .

كانت مملكة غرناطة من أعظم الممالك الإسلامية التي نشأت في الجنوب الأوربي وتحديداً في شبه جزيرة إيبيريا، والتي كان لها دوراً عظيماً في الرقي بالمجال الاقتصادي وخاصة الصناعة، والذي ساهم مساهمة فعالة في الرقي بالمملكة اقتصادياً .

ومن خلال ذلك تمّ التوصل إلى النتائج التالية والتي من أهمها :

1- إن مملكة غرناطة قد حباها الله سبحانه وتعالى بنعم كثيرة والتي من أهمها توفر المادة الخام سواءً التي فوق أرضها أو في جوفها ، وإن هذه النعم لم تهمل من قبل أهلها وإنما تحولت إلى صناعات مختلفة استقادت منها المملكة .

2- كان هناك حافزاً أو رغبةً عند أهل هذه المملكة في الرقي بالمجال الصناعي ، والدليل على ذلك أن معظم العاملين والحرفيين والصنّاع كانوا من أهل المملكة نفسها .

3- إتقان هؤلاء الصنّاع والحرفيين لصناعاتهم مكنهم من تحقيق الاكتفاء الذاتي ، وتصدير الفائض منه إلى الخارج .

4- اهتمام ملوك بني نصر بالتوجيه والإرشاد لهؤلاء الحرفيين والصنّاع عن طريق المحتسب بالابتعاد عن الغش في الصناعات والتزييف وتشديد المراقبة عليهم ، مما زاد من إقبال الناس داخل وخارج المملكة على اقتناء وشراء المصنوعات الغرناطية.

5- رغم أن هذه المملكة عاشت في صراع وحروب طويلة منذ نشأتها حتى سقوطها والتي استمرت قرنين ونصف من الزمن مع الممالك النصرانية والمسيحية ، إلا أنها لم تهمل النهوض بركائز الدولة ، والرقي بصناعاتها ، حيث مثلت أعظم دولة إسلامية في الجنوب

الأوروبي والتي مازال صداها إلى وقتنا الحاضر ، وما تركته من حضارة عربية وإسلامية لها أثرها العظيم على المجتمع الأوروبي .

6- كان من العوامل الأساسية التي ساهمت في إنجاح ما وصلت إليه هذه المملكة هو انتشار الإسلام فيها بشكل كبير ، والذي كان مبدأ أهلها في القيام بكل العلاقات مع بعضهم وغيرهم من المسلمين ، مما زاد ثقة التاجر المسيحي بالتاجر المسلم رغم اختلاف الدين والعادات والتقاليد .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر العربية المخطوطة : أ- المخطوطات

1- ابن رحال ، أبي الحسن علي ، كشف القناع عن مسائل الصناعات ، مخطوط الخزانة العامة ، الرباط ، رقم 1079 ، د.ت .

ب- المصادر العربية المطبوعة :

1: الأديسي : محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف (ت 560هـ - 1165م)، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق دوزي ودي خويه ، ليدن 1866م.

2: الأصبخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارس الاصبخري المعروف بالكرخي ، (ت 346هـ/957م)، المسالك والممالك ،تح محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة والإرشاد ، الجمهورية العربية المتحدة، 1961م.

3: ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد الطنجي اللواتي (ت 779 هـ / 1378م) ، الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، الجزء الأول ، دار الشرق العربي، لبنان ، د.ت .

4: أبي الحسن : علي بن يوسف الحكيم ، ألف الكتاب في القرن الثامن الهجري، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1958م .

5: ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد التلمساني ، (ت 776 هـ / 1374م).

-الإحاطة في أخبار غرناطة ، الجزء الأول ، تحقيق محمد عبد الله عفان، مكتبة ، الخانجي ، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1421هـ ، 2001

-تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2004 م .

-مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ( مجموعة من رسائله ) ، تحقيق أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، 1983م .

-اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، صححه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1347م.



- نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب ، نشر أحمد مختار العبادي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة 1967 م .
- 6:الحميري : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري، (ت أواخر القرن9هـ /15م) ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تحقيق ليفي بروفسنال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1937 .
- 7:ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون المقدمة ، منشورات دار ومكتبه الهلال ، بيروت ، الطبعة الأخيرة ، 2000 م .
- 8:الزهري : ابو عبدالله محمد بن أبي بكر الزهري( ت 556هـ/1160م) كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد صباح صادق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1968م .
- 9:السقطي : أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالكي الأندلسي ، (ت631هـ/1234م) ، في آداب الحسبة ، نشر كولن وليفي بروفسنال ، باريس ، 1931م .
- 10:ابن صاحب الصلاة : عبد المالك،(ت نهاية القرن السادس الهجري)، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني ، تحقيق عيد الهادي التازي ، بيروت ، 1964م .
- 11:ابن عبد الرؤوف : أحمد بن عبد الله ، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب (ضمن مجموعة ثلاث رسائل في الحسبة) تح ليفي بروفسنال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، 1955 م .

12: ابن عبدون ، محمد أحمد التجيبي ، (ت في النصف الثاني من القرن 6هـ / 12م) رسالة في الفضاء والحسبة ( ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفينال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1955م .

13: العمري : ابو العباس بن فضل الله شهاب الدين محمد (ت 742هـ/1341م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الجزء الخاص بوصف افريقية والمغرب والأندلس ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، جامعة الزيتونة، تونس ، د.ت .

14: ابن غالب : محمد ابن أيوب الأندلسي ، (ت ، في القرن السادس الهجري) ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، تحقيق لطفي عبد البديع ، المجلد الأول والمجلد الثاني، مجلة معهد المخطوطات العربية ، 1955م .

15: أبو الفداء : السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت 732هـ / 1331م)، تقويم البلدان ، تحقيق رينو رينو والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840م .

16: القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ / 1918م)، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه ، محمد حسين شمس الدين ، الجزء الخامس ، دار الكتب العربية ، بيروت ، 1987م .

- 17: مؤلف مجهول ، آخر أيام غرناطة ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار حسان للطباعة والنشر ، د.ت .
- 18: المجيلدي : أحمد سعيد ، التيسير في أحكام التسعير ، تحقيق موسي اقبال ، الجزائر ، 1970 م .
- 19: المراكشي : عبد الله المراكشي ، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة ، بيروت ، 1964م .
- 20: المراكشي : عبد الواحد المراكشي ، محي الدين ابي محمد عبد الواحد علي التميمي المراكشي، (ت647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ، 1383هـ / 1963م .
- 21: المقري : احمد بن المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الجزء الأول، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، ط5، بيروت ، 2008م.
- 22: النباهي : أبو الحسن عبد الله الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ت أواخر القرن 8هـ/14م)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا المعروف بتاريخ قضاة الأندلس، شرح وضبط صلاح الدين الهواري، نشر المكتبة العصرية ، بيروت، 1429هـ/2006م.
- 23: ابن الوردي : سراج الدين أبي حفص عمر (ت 749هـ / 1348م)، جزيرة العجائب وفريدة الغرائب ، مطبعة أحمد الحلبي البابي ، القاهرة ، د.ت .

24: الونشريسي: أبي العباس أحمد بن يحيى، (ت 914هـ/1085م) المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس، الجزء التاسع، مطبعة الشافعة ، فاس ، د. ت .

### ثانياً : المراجع العربية والمعربة :

- 1: الطوخي ، أحمد محمد : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، تقديم أحمد مختار العبادي ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، 1997م .
- 2: الحفيظ ، عماد محمد : بعض الصناعات الغذائية في الأندلس ، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، 1989م .
- 3: بروفسنال ، ليفي : محاضرات في آداب الأندلس وتاريخها ، (لقاها عامي 1947 - 1948م) ، ترجمها إلى العربية محمد عبد الله الهادي شعيرة ، راجعها عبد الحميد العبادي ، مطبوعات جامعة الإسكندرية ، 1951م .
- 4: تنبهاوزن ، ريتشارد : أثر فنون الزخرفة والتصوير عند المسلمين على الفنون الأوروبية ، ضمن كتاب تراث الإسلام ، تصنيف شاخت بوزورث ، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صفي ، مراجعة فؤاد زكريا ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978م .
- 5: حسن ، زكي محمد : فنون الإسلام ، النهضة المصرية ، 1948م .

6: شبانة ، محمد كمال : يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة ، ( 733 - 755هـ ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2004م .

7: فرحات ، يوسف شكري : غرناطة في ظل بني الأحمر ، دراسة حضارية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، 1982م .

8: القادر ، محمد بن أبي بكر : ( ت 666هـ / 1267م ) مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، 1983م .

1: مرزوق ، محمد عبد العزيز : الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس ، الجزء الثاني ، دار الثقافة لطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1970م .

2: مؤنس ، حسين : الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1967م .

### ثالثاً : الدوريات :

1: جمعة شيخة ، ابن الصباح ، غرناطة حاضرة دولة بني الأحمر ، مجلة دراسات أندلسية (العدد 45 - 46) مؤسسها جمعة شيخة ، مطبعة المغاربة للطباعة والنشر والإشهار ، تونس 2011م .

### رابعاً : المراجع الأجنبية :-

1. Jose Lopez Ovtiz : Fatwas Granadinas de los siglos xiv y xv (AL Andalus), Vol.VI,1941
2. Miguel Angel Iadero Quesada : Granad Historia de un Pais , Madrid,1969 .
3. Scott, s.p :History of Moorish Empire in Europe .3vols (Philadelphia ∞ London) . 1904

## علاقة التراث العمراني بالتنمية السياحية المستدامة

إعداد: د. عادل أبو بكر الكاسح - د. علي غفير علي سعيد

د. خالد سالم معوال

### مقدمة:

التراث العمراني يمثل إرثاً يعكس مسيرة وتطور الحضارة الإنسانية عبر التاريخ، وقد تعرضت المناطق التراثية في كثير من البلدان إلى تغيرات حضارية واجتماعية أدت إلى تدهورها، إلا أنه اعتباراً من القرن الماضي بدأ ظهور التيارات الفكرية التي تنادي بالحفاظ على المناطق التراثية ، وذلك لما تمثله هذه المناطق من ثروة قومية بالإضافة إلى ما تحمله من قيم تاريخية وثقافية واقتصادية واجتماعية، ومع تزايد الاتجاه العام لصناعة السياحة وما تحققه من عوائد اقتصادية، أصبحت هناك ضرورة لإيجاد توازن بين حماية التراث العمراني وبين التنمية السياحية، وتوجد علاقة وثيقة بين التراث العمراني وقطاع السياحة، حيث يمد التراث العمراني السياحة بعناصر جذب مميزة بالإضافة لموارد المنتجات

السياحية، في الوقت الذي تعتمد السياحة على زيارة ذلك التراث من قبل السياح، بالإضافة إلى حمايته لضمان الاستدامة والاستمرارية.

**مشكلة البحث:** بالرغم من تنوع الموروث الثقافي والعمراني في العالم والناجح عن وجود ثقافات معمارية مختلفة عبر التاريخ والنابعة من البيئة الطبيعية الموجودة بها، إلا أنه لا يتم توظيف هذا التنوع سياحياً بصورة تحقق الاستدامة، مما يهدر من فرص التنمية الاقتصادية وزيادة الدخل القومي، حيث تشابهت العديد من المناطق العمرانية السياحية وافقدت الطابع العمراني المميز والانتماء للمنطقة، وتتمثل المشكلة الرئيسية في صعوبة تحقيق التوازن بين الحفاظ على التراث العمراني وبين التنمية السياحية المستدامة، ويناقش البحث بعض الموضوعات التي يمكن صياغتها في صورة مجموعة من الاسئلة التي يحاول البحث أن يوضح أبعادها وإجاباتها:

. ماهي الأساليب الحالية المتبعة للحفاظ على التراث العمراني؟

. هل لمؤسسات المجتمع المدني دور في مشروعات الحفاظ على التراث العمراني؟

. ماهي العلاقة المتبادلة بين السياحة والبيئة والعمران والاقتصاد والمجتمع المحلي؟

. ماهي تحديات التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية؟

**الفرضية:** وبناءً على ما سبق افترض البحث ما يلي: لا يتأتى تحقيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية إلا من خلال تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني في الحفاظ على المناطق التراثية وتطويرها الارتقاء بها، وخاصة في مرحلة تنفيذ مشروعات



الحفاظ على التراث العمراني، ولكن بعد الدراسات النظرية والتحليلية للحالات الدراسية واختبار الفرضية والتوصل إلى الخلاصة، فقد تم تعديل فرضية البحث كما يلي: تحقيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية يتم من خلال المشاركة الشعبية وتفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني في الحفاظ على المناطق التراثية وتطويرها والارتقاء بها، سواء في مرحلة تخطيط أو تنفيذ المشروعات.

**أهمية البحث:** هذا البحث يعتبر من نوعية الأبحاث متعددة المجالات، مثل الحفاظ على التراث العمراني، التنمية السياحية المستدامة، ودور مؤسسات المجتمع المدني.

**منهجية البحث:** تطرح موضوعات الحفاظ العمراني التي تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة تحديات عديدة، وهذا الأمر يزداد تعقيداً نظراً لأن كل موضوع هو حالة خاصة له مفاهيمه الخاصة به، خاصة إذا ما تعلق موضوع الحفاظ بموضوعات التراث العمراني، وإذا ما تعلق موضوع التنمية المستدامة بموضوعات التنمية السياحية، ويتبع البحث مناهج أساسية تم استخدامها في البحث وهي: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي الاستنباطي، لذلك سعى البحث الى توضيح العلاقة بين الثلاثة مكونات رئيسية للدراسة وهي التراث العمراني- التنمية السياحية المستدامة- مؤسسات المجتمع المدني.

يتضمن البحث مقدمة عامة عن الدراسة والمشكلة الأساسية للبحث وأهميتها، مع عرض المنهجية والأهداف والفرضية الأساسية، ويتناول البحث تكوين خلفية نظرية عن "علاقة التراث العمراني بالتنمية السياحية المستدامة"، وما هو مفهوم السياحة الثقافية، تحديات التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية، المبادئ الأساسية لاستدامة

السياحة في المناطق التراثية، ودور القطاع الحكومي والخاص والمجتمع في تحقيق التنمية السياحية المستدامة للمناطق التراثية، وناقش هذا البحث أهم الاعتبارات الواجب مراعاتها في عملية الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية السياحية المستدامة.

**علاقة التراث العمراني بالتنمية السياحية المستدامة:** يتم عرض علاقة التراث العمراني بالتنمية السياحية المستدامة، مع التركيز على تقييم دور مؤسسات المجتمع المدني في عملية الحفاظ لتحقيق التنمية السياحية المستدامة، وذلك من خلال النظريات التي تطرقت إلى هذا الموضوع، حيث تعتبر عناصر التراث العمراني من أهم عناصر الجذب بالنسبة للسياحة العالمية والمحلية في عصر تعتبر فيه صناعة السياحة من أهم الصناعات العالمية التي تهتم بها كافة الدول، لما تحققه من انتعاش اقتصادي مباشر أو غير مباشر، وذلك من خلال تشجيع الاستثمارات الأجنبية، فالسياحة تهتم بالتراث العمراني بشكل كبير، من حيث المحافظة على ديمومته وإبرازه، في الوقت الذي يقوم التراث العمراني بإمداد السياحة بعناصر جذب مميزة وموارد اقتصادية هامة للتنمية السياحية بشكل خاص وللاقتصاد الوطني بشكل عام، والأهمية التاريخية لمناطق التراث العمراني تستوجب وضع خطة عمل تهدف إلى تحقيق تنمية سياحية متكاملة ومستدامة بيئياً، تحافظ على المناطق التراثية وتراعي الظروف الاجتماعية للسكان ومتطلبات المجتمعات وذلك بهدف الاستفادة والمحافظة على هذا المورد الهام، والاستدامة في التنمية السياحية تحفز الاستثمار الأمثل للمقومات والموارد الطبيعية والعمرانية والبيئية والثقافية، وتحافظ على الهوية العمرانية والثقافية للواجهة السياحية، وبشكل عام فإن التنمية السياحية المستدامة ينبغي أن تأخذ في الاعتبار عدة أبعاد لتحقيق التوازن بين الجوانب المعنوية

والمادية لمناطق التراث، وهذه الأبعاد تشمل الجانب الروحي، الثقافي، الاقتصادي، الاجتماعي، الترويحي والبيئي، كما وأن أهداف التنمية السياحية المستدامة يجب أن تبنى على هذه الأبعاد حتى تكون قطاعاً منتجاً اقتصادياً وإيجابياً اجتماعياً وثقافياً وبيئياً.

## 1- مفاهيم السياحة:

أ- **تعريف السياحة:** توجد العديد من المفاهيم للسياحة، وبحسب تعريف منظمة السياحة العالمية UNWTO: "السياحة هي نشاط السفر بهدف الترفيه، وتوفير الخدمات المتعلقة لهذا النشاط، والسائح هو ذلك الشخص الذي يقوم بالانتقال لغرض السياحة لمسافة ثمانين كيلو متر على الأقل من منزله" (ar.wikipedia.org).

ب- **السياحة من منظور اقتصادي:** هي قطاع إنتاجي يلعب دوراً مهماً في زيادة الدخل القومي وتحسين ميزان المدفوعات، ومصدراً للعملة الصعبة، وفرصة لتشغيل الأيدي العاملة، وهدفاً لتحقيق برامج التنمية.

ج- **السياحة من منظور اجتماعي وحضاري:** السياحة هي حركة ديناميكية ترتبط بالجوانب الثقافية والحضارية للإنسان، بمعنى أنها رسالة حضارية وجسر للتواصل بين الثقافات والمعارف الإنسانية للأمم والشعوب، ومحصلة طبيعية لتطور المجتمعات السياحية وارتفاع مستوى معيشة الفرد.

د- **السياحة من منظور بيئي:** تعتبر السياحة عاملاً جاذباً للسياح وإشباع رغباتهم من حيث زيارة الأماكن الطبيعية المختلفة والتعرف على تضاريسها وعلى نباتاتها والحياة

الفطرية، بالإضافة إلى زيارة المجتمعات المحلية للتعرف على عاداتها وتقاليدها (عايد وإياد خنفر، 2006).

**1-1 تصنيف السياحة (تبعاً للغرض من السفر):** طبقاً لنسرين رفيق (2007)، فقد تعددت تصنيفات السياحة تبعاً للموضع والطلب والحدود السياسية بين الدول، وتبعاً لخصائص الطلب السياحي وتبعاً للغرض من السفر، وتقتصر هنا بالتعرض لتصنيف السياحة تبعاً للغرض من السفر كما يلي:

**أ. السياحة الأثنية (Ethnic Tourism):** وتهدف إلى الدراسة التعليمية والاستكشافية لعادات وتقاليد وطرز حياة المجتمع المضيف المختلفة بالاندماج معه إلى حد كبير.

**ب. السياحة الثقافية (Cultural Tourism):** وتتضمن السفر إلى المناطق الأثرية والتاريخية والدينية للاطلاع على طراز الحياة المختلفة وما كانت عليه حياة الناس وثقافتهم في الأزمنة القديمة والمعاصرة.

**ج. السياحة التاريخية (Historical Tourism):** ويتطلع السائح فيها إلى فهم الحضارات التي ازدهرت واندثرت، وتقوم هذه السياحة على زيارة المتاحف والتماثيل والمواقع التاريخية، والمباني والبقايا الأثرية، والتي تمثل ذكريات تاريخية مرئية لحقب قديمة.

**د. السياحة الترفيهية (Recreational Tourism):** ويلتمس السائح من خلالها الراحة النفسية والذهنية والجسمانية من خلال اختياره للأماكن التي تتميز بطبيعة خاصة،

وهي القاسم المشترك لجميع أنواع السياحة، فالسائح الذي يهدف إلى زيارة الآثار يمكن أن يقوم أثناء ذلك بزيارة الشواطئ أو المسارح، كما يمكن أن يقوم سائح المؤتمرات بزيارة المعالم الأثرية.

هـ. **السياحة العلاجية (Health Tourism):** وتهدف إلى زيارة الأماكن التي تتميز بتوافر المقومات العلاجية كالمناخ الملائم والعيون الطبيعية والمياه المعدنية، وتتميز بطول مدة إقامة السائح.

و. **السياحة الرياضية (Sport Tourism):** وتهدف إلى ممارسة الرياضيات كالترحلق على الجليد أو الرياضات المائية وتسلق الجبال والصيد والغطس والسباحة، وتسمى أحياناً بسياحة المغامرات.

ز. **السياحة الدينية (Religion Tourism):** سواء كانت محلية أو دولية فهي تقوم على الرغبة في إشباع العاطفة الدينية بزيارة الأماكن ذات الطابع الديني، وفي هذه الدراسة سوف يتم التركيز على السياحة الثقافية أو التراثية والتي تعني بسياحة المناطق التراثية.

## 2- السياحة الثقافية/ التراثية:

1-2 أهمية السياحة الثقافية/ التراثية: 1. يتمتع نمط السياحة الثقافية بأنه أكثر استقراراً عن الأنماط السياحية الأخرى من حيث حجم حركتها وفترات نشاطها وازدهارها.

2. يتميز هذا النمط بالاستمرارية في ظل المواقف والظروف المختلفة.

3. يشجع هذا النمط من السياحة على نمو الحرف والصناعات اليدوية التقليدية والتي تمثل عنصر جذب للسائحين، وفي نفس الوقت صناعة تحقق دخل مادي للمجتمع المحلي.

4. تعمل السياحة الثقافية على رفع المستوى الثقافي والحضاري والعمراني في أنحاء البلاد.

**2-2 تعريف المناطق التراثية:** طبقاً لنسرين رفيق (2007)، فإنه يمكن تعريف المناطق التراثية والتي يهتم هذا البحث بها بأنها: "تلك المناطق التي ترتبط بالتراث الثقافي الحضري والذي يشمل الموروث المادي من المباني والمنشآت والمواقع التي صممت لأغراض معينة غير جذب الزوار والتي يمكن أن يستخدمها كترفيه، بالإضافة إلى تلك التي صممت بهدف جذب الزوار وتلبية احتياجاتهم من احتفالات ومناسبات وصناعات يدوية، وما يتصل بذلك من منتجات ذات قيم تراثية غير ملموسة متمثلة بسكان هذه المناطق وما يرتبط بهم من عقائد سائدة وقيم ودين ولغة".

**2-3 السياحة التراثية/ الثقافية من حيث المفهوم والاتجاهات المختلفة:** تمثل الموارد وعناصر الجذب السياحي سواء الدينية، الأثرية، الطبيعية، والعلاجية إحدى الركائز الأساسية للعرض السياحي في أي دولة، وكل هذه تعتبر عناصر مهمة للسائح في تحديد مكان الزيارة المقصود، وهذه العناصر تتمثل في طبيعة المكان من حيث توافر الشمس والرمال مثلاً أو الجبال والجليد أو الغابات والأنهار، وقد تكون هذه العوامل معالم سياحية أثرية في مناطق مختلفة من البلاد، ويمكن لآثار ما قبل التاريخ أن تجذب السياح الراغبين في التعرف عليها في بيئتها الطبيعية والاجتماعية، وخاصة الآثار الثابتة غير المنقولة كالمعابد والأضرحة والفنون الصخرية، فالآثار تجذب إليها السائح منذ أكثر من مائة سنة

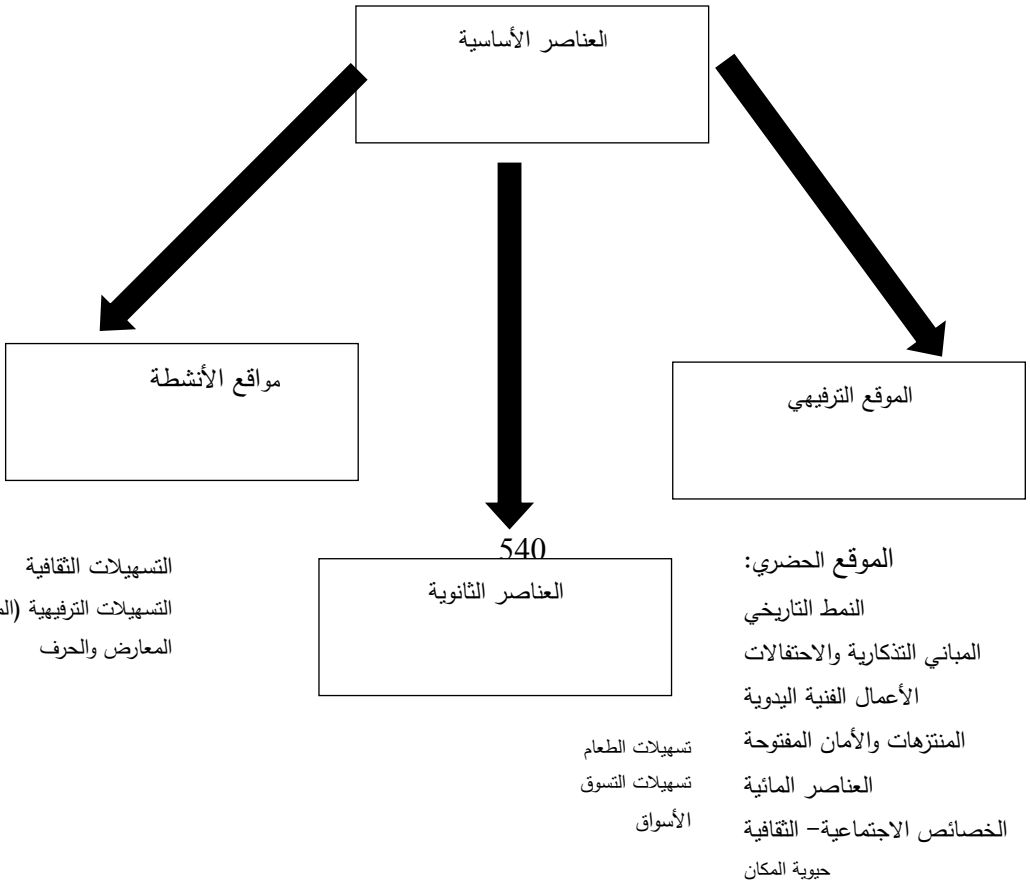
وحتى يومنا هذا وإذا ما تم ربطه بنشاط سياحي منظم، سوف يوفر دخلاً مادياً كبيراً ويساعد في تطوير المناطق الموجودة بها هذه الآثار وتطويرها، وتشير ليلي قندقجي (2002) إلى أن اهتمام الدول بصناعة السياحة بشكل عام، وبالسياحة الثقافية بشكل خاص، ما هو إلا تعبير عن الأهمية الاستثنائية والمكانة التي يتمتع بها هذا القطاع في دعم الدخل القومي لهذه الدول، ولهذا فهي تقوم بإعداد البيئة المناسبة والمنافسة لجذب السياح، وذلك عن طريق تخصيص الأموال والطاقات البشرية والدعاية الإعلانية، وتشكل السياحة الثقافية مفصلاً ومرتكزاً أساسياً في إعداد الخطط والبرامج التنفيذية لهذه الدول، حيث إن أحد الجوانب الإيجابية للسياحة الثقافية هي التعرف على المخزون الثقافي والتاريخي للمدينة، وذلك من خلال زيارة متاحفها ومواقعها الأثرية، إضافة إلى الإحساس بفراغاتها العضوية، والتعرف العيني على حياة سكانها، والذي يعتبر بحد ذاته جزءاً أساسياً لعملية التبادل الثقافي، بين السائح والمقيم.

**2-4 سائح المناطق التراثية أو السائح الثقافي:** طبقاً لأحمد غاوي (2010) فإن السياحة كنشاط ترفيهي تحولت اليوم إلى سياحة معرفة، وأصبح الإنسان ينتقل للبحث عن المعرفة، وإحصائية منظمة السياحة العالمية تؤكد على أن أكثر من 80% من السياح اليوم يغادرون أو يتركون بلدانهم من أجل السياحة الثقافية، بالإضافة إلى أن الخدمات الأخرى التي تقدم للسائح خلال انتقاله تحقق له الجانب الترفيهي والمعرفي بشكل كامل.

**2-5 المنتج السياحي في المناطق التراثية:** طبقاً لنسرين رفيق (2007) فقد تم تحديد المنتج السياحي في المنطقة التراثية في ثلاثة عناصر هي العناصر الأساسية والثانوية

والمشروطة، كما هو موضح بالشكل رقم(1)، تشمل عناصر الجذب السياحي الرئيسي أو (العناصر الأساسية) كلاً من (مواقع الأنشطة) والتي تتضمن التسهيلات والأنشطة الثقافية والترفيهية، و(الموقع الترفيهي) والذي يتضمن كلاً من عناصر الجذب المادية (الموقع الحضري)، وعناصر الجذب الغير مادية (خصائص المنطقة الاجتماعية الثقافية) ويتم دعم العناصر الأساسية من خدمات التجارة والطعام (العناصر الثانوية) والتي تشمل تسهيلات الطعام والتسوق، وتشمل (العناصر المشروطة) البنية الأساسية السياحية العامة ومواقف السيارات وغيرها من الخدمات، يتكون المنتج السياحي التراثي من مكونين هما: المورد أو المخزون التراثي نفسه، والخدمات والتسهيلات المتدفقة من هذا المخزون والمقدمة في الموقع.

### شكل رقم (1) عناصر المنتج السياحي في المناطق التراثية





فالمخزون التراثي من المباني والمواقع التراثية في وضعه الأصلي يوفر منفعة كمنتج تراثي فقط ويجب أن يتم دعمه وتعزيزه وجعله أكثر جاذبية لتوفير منافع ترضي احتياجات الزائرين عن طريق توفير خدمات وأنشطة إضافية في المواقع كالمطاعم والملاهي والمحلات وغيرها، هذا مع استخدام خامات ومواد البناء من البيئة نفسها، وأيضاً عرض الفنون المحلية النابعة من البيئة.

**3- تأثير السياحة على البيئة والعمران والاقتصاد والمجتمع المحلي:** بالرغم من أن صناعة السياحة لا تلوث البيئة بسمومها، إلا أنها تحدث تأثيرات كبيرة على التنوع الإحيائي في النظام البيئي الطبيعي وفي النظام الاجتماعي للبلدان المضيفة، وقد أدى توسع قطاع الفنادق إلى الازدحام، وبالتالي حدوث ضغوط على المناطق الطبيعية والمحمية والتنوع البيولوجي والمواقع الأثرية والمراكز الثقافية، كما أن مخاطر الآثار السلبية على القيم الثقافية والاجتماعية للمجتمعات المحلية تشكل مشاكل حقيقية ناتجة عن النشاط السياحي (القمة العالمية للتنمية المستدامة، 2001).

وطبقاً لنسرين رفيق (2007) فإن الأنشطة السياحية تؤدي إلى حدوث آثار إيجابية وسلبية تؤثر بشكل مباشر على الاقتصاد والمجتمع والبيئة المحلية الطبيعية والعمرانية، وفيما يلي عرض لهذه التأثيرات:

### 3-1 تأثير السياحة على البيئة العمرانية:

## أ. الآثار الإيجابية:

- إحياء الطرز والأنماط المعمارية التراثية.
- زيادة فرص توفير الخدمات للسكان.
- توظيف المباني التراثية باستخدامات سياحية جديدة توفر دخلاً يمكن استغلاله في ترميم وصيانة هذه المباني وحمايتها من التدهور.
- تحسين الصورة البصرية للمنطقة التراثية.
- إحلال الأنشطة غير المتوافقة مع التراث مثل بعض الأنشطة الصناعية والإنتاجية التي لا تتوافق مع طبيعة هذه المناطق الخاصة.
- زيادة الاهتمام بشبكة الطرق وتحسين كفاءتها.
- تحسين كفاءة البنية التحتية من صرف صحي وشبكات مياه وكهرباء.
- تحسين مستوى تلوث الهواء ونظافة المنطقة التراثية عن طريق إحلال الأنشطة الملوثة.

ب. الآثار السلبية: . تدهور الموارد التراثية، في حالة زيادة أعداد السياح بالمناطق التراثية، خاصة مع استخدامهم المكثف وغير المناسب للموارد التراثية.

. فقدان أصالة المنطقة التراثية.

. تغيير الصورة البصرية للمنطقة التراثية، بسبب المنشآت السياحية العشوائية التي يتم إقامتها من خلال المواطنين المحليين أو المستثمرين والتي تكون في الغالب غير ملائمة لطابع المنطقة التراثية.

. زيادة الكثافة السكانية ودرجة الازدحام، ويحدث ذلك في المواسم السياحية، ويترتب على الأعداد السياحية الكبيرة ازدحام في حجم حركة المرور في الشوارع، والتأثير السلبي لذلك على المناطق السياحية.

. إعادة هيكلة البيئة العمرانية وتغيير استخدامات الأراضي، عن طريق التوسع في إقامة المنشآت السياحية، واستبدال بعض الأنشطة والخدمات بأخرى سياحية دون مراعاة لطبيعة المنطقة التراثية.

. تدني فرص توفير الخدمات للسكان، نتيجة تنافس السياح مع السكان المحليين في المساحات المحدودة والتي يتم استخدامها في الأنشطة السياحية.

. تدني كفاءة شبكات البنية الأساسية والخدمات الحيوية كالمياه والصرف الصحي، ويحدث ذلك نتيجة تزايد معدلات الاستهلاك من قبل السياح بجانب السكان المحليين.

. ارتفاع مستوى تلوث الهواء ونظافة المنطقة وخاصة من قبل الفنادق التي يمكن أن تتسبب في توليد الفضلات. (محمد صبحي عبد الحكيم ، وحمدي أحمد الديب، 2001).

### 3-2 تأثير السياحة على البيئة الاقتصادية:

أ- الآثار الإيجابية: . زيادة الدخل المادي وفرص الاستثمار، حيث أن التنمية السياحية تلعب دوراً أساسياً في التنمية الاقتصادية حيث تؤثر رواج صناعة السياحة بشكل مباشر على اقتصاد ورواج الصناعات والأنشطة المرتبطة بصناعة السياحة، فيحدث الإنفاق

على الخدمات الفندقية من قبل السياح، والإنفاق على إنشاء المشروعات السياحية من قبل المستثمرين والإنفاق على مشروعات البنية الأساسية ومرافق الخدمات العامة من قبل الدولة. (محمد خميس الزوكة ، 2005).

. خلق فرص عمل متعددة سواء في القطاع السياحي نفسه أو في الأنشطة والقطاعات الأخرى المتأثرة بالنشاط السياحي، مما يؤدي إلى زيادة الدخل وتحفيز الإنتاج. . توفر التمويل اللازم للحفاظ على المباني وصيانتها وكذلك الحفاظ على المواقع الأثرية والتاريخية.

ب- الآثار السلبية: الأرباح المتقطعة بسبب السياحة الموسمية، مما ينتج عنه معاناة المؤسسات السياحية من الركود والنقص في معدلات الإشغال بصورة متكررة في أشهر معينة من العام.

. التضخم وما ينتج عنه من ارتفاع أسعار الأراضي والخدمات، وخاصة في المواسم السياحية. . فقدان الأنشطة الاقتصادية الأصلية للمنطقة وتدني فعاليتها، نتيجة اتجاه السكان المحليين للعمل بالسياحة وترك الأنشطة الاقتصادية الأخرى.

. قلة مصادر التمويل المتاحة.

. استخدام العمالة الأجنبية الأكثر كفاءة والاستغناء عن استخدام العمالة المحلية.

**3-3 تأثير السياحة على البيئة الاجتماعية- الثقافية:**

أ. الآثار الإيجابية: . تعمل السياحة في حالة نموها وزيادتها على رفع مستوى معيشة المجتمعات والشعوب وتحسين نمط حياتهم، وتحسين التعليم، ورفع مستوى الوعي بالتنمية السياحية لدى فئات واسعة من المجتمع.(سهير محمد السيد حسن ، 1997م).

. تعمل على الاستفادة من الثقافات المحلية لجذب السياح وتنمية الوعي الثقافي لدى المواطنين.

. تنمي لدى المواطن شعوره بالانتماء إلى وطنه، وتزيد من فرص التبادل الثقافي والحضاري بين كل من المجتمع المضيف والسياح الزائرين.

ب. الآثار السلبية: . الهجرة من مجتمعات أخرى إلى المناطق السياحية، مما يؤدي إلى التغيير في حجم المجتمع وتركيبه السكاني.

. تغيير هيكل العمالة بسبب اتجاه العمالة المحلية إلى السياحة لتحقيق دخل أفضل.

. الصراعات الثقافية بين السياح والمجتمعات المحلية.

. تغييرات في أساليب الحياة والقيم المحلية والأنماط الثقافية.

مما سبق عرضه نجد أن السياحة سلاح ذو حدين، فالدراسة الجيدة للموارد والإمكانيات البيئية والطبيعية والثقافية المتاحة، مع التخطيط الجيد لإدارة هذه الموارد من خلال التنمية السياحية، تضمن الاستغلال الأمثل وتوظيف العمالة المحلية، مما يؤدي إلى رفع المستوى المعيشي للسكان المحليين، وبالتالي تحقيق عائد اقتصادي للمجتمع المحلي والقومي، وبالعكس فإن التنمية السياحية التي لا تراعي الإمكانيات والموارد المحلية، ولا يتم التخطيط الجيد لها، تؤدي إلى تدهور في المنطقة المضيفة، مما ينعكس

على الاقتصاد المحلي والقومي، وبالتالي يكمن الحل في استغلال الموارد البيئية والطبيعية والثقافية المتاحة بطريقة مستدامة، ومن هنا ظهر مفهوم التنمية السياحية المستدامة.

### 3- مفهوم التنمية السياحية وأسس استدامتها:

4-4-1 مفهوم التنمية السياحية: هي توفير التسهيلات والخدمات لإشباع حاجات ورغبات السياح، وتشمل كذلك بعض تأثيرات السياحة مثل: إيجاد فرص عمل جديدة ودخول جديدة" (نور الدين هرمز، 2006).

4-2 مفهوم التنمية السياحية المستدامة: نتيجة للتوسع السريع في قطاع السياحة، تواجه الجهات السياحية التقليدية مزيداً من الضغط على بيئتها الطبيعية والثقافية والاجتماعية الاقتصادية، هذا مع الإقرار بأن حالات نمو السياحة الغير متوازن والهادف إلى تحقيق فوائد قصيرة الأمد، كثيراً ما يفضي إلى حدوث آثار سلبية تضر بالبيئة والمجتمعات، وتدمر الأساس الذي تقوم عليه السياحة، وقد اقترح مبدأ السياحة المستدامة أوائل عام 1988م من طرف "المنظمة العالمية السياحية"، كنتيجة لمفهوم "التنمية المستدامة" الذي ظهر لأول مرة في الهيئة العالمية للبيئة والتنمية (WCED) (لجنة براند تلاند) في تقرير "مستقبلنا المشترك" "Our Common Future" في عام 1987م وهي "التنمية التي تفي بمتطلبات الحاضر دون الحد من قدرة الأجيال المستقبلية في تلبية متطلباتهم" (Brundtland Report, 1987).

وقد عرف الدليل الإرشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي (جامعة الدول العربية، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، 2005) السياحة المستدامة على أنها "هي الاستغلال الأمثل للمواقع السياحية من حيث دخول السياح بإعداد متوازنة للمواقع السياحية، على أن يكونوا على علم مسبق ومعرفة بأهمية المناطق السياحية والتعامل معها بشكل ودي، وذلك للحيلولة دون وقوع الأضرار على الطرفين"، والسياحة المستدامة تلبي احتياجات السياح مثلما تعمل على الحفاظ على المناطق السياحية مع زيادة فرص العمل للمجتمع المحلي، وهي تعمل على إدارة كل الموارد المتاحة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو طبيعية في التعامل مع المعطيات التراثية والثقافية، بالإضافة إلى ضرورة المحافظة على التوازن البيئي والتنوع الحيوي، وقد أصبحت السياحة المستدامة منهجاً وأسلوباً تقوم عليه العديد من المؤسسات السياحية العالمية، وتطبيق مفهوم السياحة المستدامة لا يعد مكلفاً من الناحية المالية، حيث له عائده المعنوي والمادي ويعود بالربح والفائدة على المؤسسات السياحية، وبعد أن كان ينظر لصناعة السياحة والمجتمع المحلي والبيئة على أنها ثلاثة عناصر منفصلة، جاء مفهوم الاستدامة الذي ارتبط بالسياحة ليوجه النظر إلى العلاقة بين هذه العناصر التي وجد أنها تؤثر وتتأثر ببعضها البعض ضمن عملية التنمية السياحية، والاستدامة السياحة كما هو الحال بالنسبة لاستدامة الصناعات الأخرى، لها ثلاثة مظاهر متداخلة: **1. الاستدامة الاقتصادية:** ويقصد بها العائد المادي لأصحاب المشاريع السياحية، وللمجتمع المضيف.

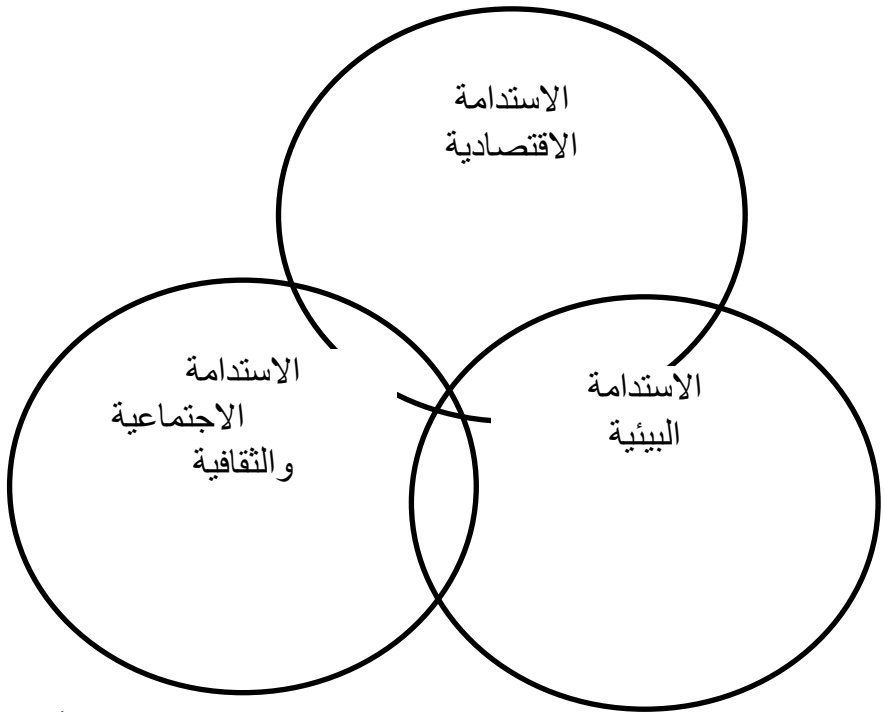
2. الاستدامة الاجتماعية والثقافية: تشير إلى المؤسسات السياحية وهي جزء من المجتمع المحلي وعليها الاستفادة من الخبرات والكفاءات المحلية ما أمكن، بالإضافة إلى اشتراك المجتمع المحلي والأخذ برأيه.

3. الاستدامة البيئية: يجب على السياحة المستدامة المحافظة على الموارد الطبيعية من ماء وطاقة ونباتات وأحياء طبيعية، وبيئات تراثية وثقافية لدرء أي خطر من مشاكل التلوث والتدهور.

### شكل رقم (2) مظاهر الاستدامة السياحية

وقد تم التأكيد على أهمية اشراك السكان والمجتمع المحلي في عملية التنمية السياحية لضمان الاستدامة، فقد أدرج الدليل الإرشادي للتنمية المستدامة (جامعة الدول العربية، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، 2005) بعض المبادئ والأنظمة التي لاقت نجاحاً في تحقيق التوازن بين رغبات ونشاطات السياح من جهة وحماية الموارد البيئية والاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى وهذه المبادئ هي:





أ. التوعية والتثقيف البيئي للسكان المحليين وللعاملين في المواقع التراثية بأهمية البيئة والمحافظة عليها، ففي بعض المناطق كثيراً ما نلاحظ أن السكان المحليين هم الذين يسعون إلى تخريب وتدمير بيئتهم لأسباب مادية.

ب. تحديد القدرة الاستيعابية للمكان السياحي، بحيث يحدد أعداد السياح الوافدين للمنطقة السياحية بدون ازدحام، حتى لا يؤثر ذلك على البيئة الطبيعية والاجتماعية من جهة وعلى السياح من جهة أخرى، فيرون بيئة جاذبة توفر لهم الخدمات والأنشطة بدلاً من بيئة طاردة لهم.

ج. دمج السكان المحليين وتوعيتهم وتثقيفهم بيئياً وسياحياً واشراكهم في الأنشطة السياحية، وذلك مع مراعاة عدم تدمير تراثهم الثقافي والطبيعي.

د. توفير مشاريع مدرة للدخل للسكان المحليين، مثل الصناعات الحرفية التقليدية ومرافقة الدواب لنقل السياح وتشجيع الزراعة العضوية، فضلاً عن العمل كمرشدين سياحيين.

هـ. تضافر كل الجهود لنجاح السياحة البيئية من خلال تعاون كل القطاعات ذات العلاقة بالسياحة، مثل القطاع الخاص والحكومي والمؤسسات الرسمية والهيئات غير الحكومية والسكان المحليين.

مما سبق نجد أن التنمية السياحية المستدامة لها عدة أبعاد، فليس الهدف منها هو تحقيق عائد اقتصادي على حساب الموارد الطبيعية والمجتمع المحلي، ولكنها تراعي الظروف الاجتماعية والثقافية والبيئية للبلدان المضيفة، كما أنها تعمل على استغلال جميع الموارد المتاحة، سواء كانت اجتماعية، ثقافية، بيئية، طبيعية وذلك لتحقيق عائد اقتصادي مع الحفاظ على هذه الموارد، وقد تم التأكيد على أهمية دور الجمعيات الأهلية

وإشراك السكان المحليين في عملية التنمية السياحية المستدامة عن طريق التوعية والتدريب، وتوظيفهم في مشروعات مدرة للدخل، وإشراكهم في الأنشطة السياحية.

### 5- التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية:

5-1 تحديات التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية: تم تحديد بعض التحديات التي تواجه التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية ملخصة من العديد من القراءات والتحليلات:

أ. **حماية التراث العمراني:** عندما يكون التراث هو جوهر ما يقدمه المجتمع للزوار، فحماية هذا التراث هو أمر ضروري، ويكون التحدي الرئيسي في برامج التنمية السياحية المستدامة للمناطق التراثية هو ضمان أن ازدياد السياحة لن تدمر المناطق التراثية التي جذبتهم، فبالرغم من أن السياحة صناعة "نظيفة" لا تلوث البيئة بسومومها فليس هناك مداخن أو أي مواد كيميائية خطيرة، إلا أنها تحدث تأثيرات كبيرة على النظام البيئي الطبيعي وفي النظام الاجتماعي للبلدان المضيفة، لأنها تتطلب بنية تحتية من طرق ومطارات وإمدادات مياه وخدمات عامة.

ب. **نقص المعلومات:** عندما لا تتوفر المعلومات الضرورية عن المناطق الأثرية فإن ذلك يمثل أكبر تحديات الحفاظ على التراث العمراني، فلا بد من وجود بيانات كافية تدل على تاريخ الأثر وتضع شروطاً معينة لاستخدامه.

من أكبر المشكلات هو وجود برنامج أو خطط للتوثيق والتسجيل وتنظيم للأبحاث والدراسات في المجالات المختلفة مثل المستهلكين (تفضيل الزائر) أو التأثيرات المختلفة للسياحة (بيئية، ثقافية، اجتماعية، اقتصادية)، كل هذه المعلومات لها دور هام في التخطيط والإدارة الفعالة، إن عدم توافر احصاءات دقيقة وشاملة عن الحركة السياحية الداخلية والدولية، وحجم الأنشطة السياحية الحالية والمتوقعة، يؤدي إلى صعوبة تخطيط السياسات الملائمة لصناعة السياحة وتطويرها وتسويقها ومراقبتها.

**ج. التدريب الفني:** تفتقر الكثير من البلدان إلى المهارات المطلوبة والمعلومات الضرورية لضمان إدارة الموارد التراثية والمنتجات السياحية ذات الجودة العالية، وأحد المهام الرئيسية للتعاون الإنمائي الدولي في مجال السياحة الثقافية هو ضمان الوصول إلى بناء القدرات البشرية في البلاد من أجل ضمان سلامة ثقافتهم، وفي بعض الحالات هناك حاجة لتدريب عدد كبير من الناس في مناطق أنشطة محددة، بينما في حالات أخرى تكون الحاجة لبعض المتخصصين لنجاح عملية الحفاظ على التراث العمراني.

**د. ضعف إدارة المواقع التراثية:** . عدم وجود خطط لإدارة الزائرين وتقديم الخدمات التي تلزمهم ويكونوا في حاجة إليها في معظم مواقع التراث العمراني.

. الإدارة الضعيفة للسياحة وارتباط السياحة بالتطور، قد يؤثر على بنية المواقع التراثية وخاصة لأصالتها وتميزها.

**هـ. سلوك المجتمع المدني:** عدم اهتمام معظم الناس بالمحافظة على أبنية التراث العمراني وعدم التعاون مع الجهات المسؤولة عن التطوير لرغبتهم في إنشاء مباني حديثة

أو بسبب ارتفاع أسعار الأراضي في الأحياء التي تقع بها هذه المباني، وكذلك ضعف وعي المجتمع المدني بأهمية المنتج السياحي وعدم إحساسهم بالفوائد الاقتصادية التي تعود عليهم من خلال مشاركتهم في عملية التطوير، وكذلك ضعف الوعي لدى الكثير من المسؤولين عن التطوير في مناطق التراث العمراني.

**و. القوانين والتشريعات:** عدم وجود تشريعات وقوانين تتعلق بتنظيم إقامة المباني في المناطق التراثية للحفاظ على التراث المعماري، وكذلك عدم وجود سياسات محددة للتعامل مع الأحياء التقليدية والمناطق المحيطة بها أو إعادة بناء مباني التراث العمراني المتهدمة، وكذلك عدم وجود قوانين تحدد مسؤولية الدولة والجهات ذات العلاقة والأفراد باعتبار أن معظم مباني التراث العمراني في المناطق التراثية ملكية خاصة.

**ز. التمويل:** يحدث فقد لكثير من موارد التراث بسبب التدهور الناتج عن الإهمال أو عدم كفاية الصيانة.

. زيارات الموقع التراثي تؤدي عادة إلى زيادة تكلفة صيانة التراث، ونقص التمويل يؤدي إلى زيادة التدهور لهذا التراث.

**ح. التسويق:** التركيز على التوظيف الثقافي لبعض مباني التراث العمراني التي تم ترميمها، واستعمالها كمناحف ومراكز ثقافية وعدم التفكير في التوظيف الاقتصادي الذي يحقق لها موارد واستقلالية في الموارد المالية.

ط. التنسيق والشراكة: . عدم وجود شبكة أو عملية اتصال مع الهيئات الدولية المعنية بالحفاظ على التراث للاستفادة من الخبرات الدولية في هذا المجال.

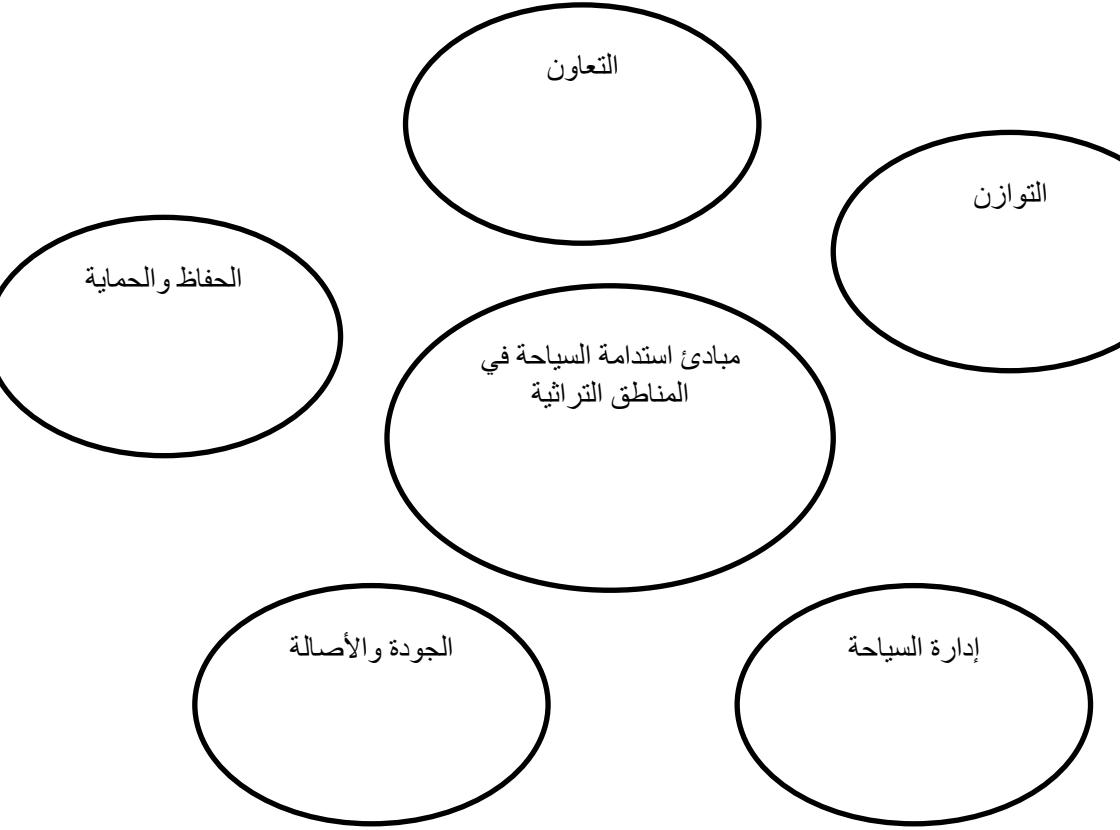
. عدم وجود تنسيق في أدوار قطاعات الدولة مثل القطاع الحكومي، والقطاع الخاص والمجتمع المدني.

ي. التأثير السلبي على البيئة: ويقصد بها تأثير السياحة على أنماط حياة المجتمعات المحلية، حيث زيادة عدد الزائرين والضغط على البيئة التحتية للمواقع التراثية، إلا أن التحديات ليس فقط من تأثير الزوار، بل أيضاً من خلال توقعاتهم لمنتجات وخدمات عالية الجودة تقدم لهم، فيكون التأثير على التكوين الايكولوجي لهذه المواقع.

مما سبق عرضه نجد أن هناك أكثر من تحدي يواجه التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية، وقد تمت الإشارة إلى أن ضعف الوعي المجتمعي بأهمية التراث، وضعف وعي المسؤولين عن التراث يعتبر من أهم التحديات التي تواجه التنمية السياحية المستدامة، والسؤال الرئيسي هو كيف يمكن تحقيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية؟ ونعرض فيما يلي مبادئ وأسس استدامة التنمية السياحية في المناطق التراثية.

5-2 المبادئ الأساسية المستدامة للتنمية السياحية في المناطق التراثية: طبقاً للصندوق الوطني لصون التراث التاريخي (marefa.org)، يمكن تحقيق الاستفادة القصوى من السياحة الثقافية، من خلال خمسة مبادئ توجيهية لبدء العمل في مجال السياحة على التراث الثقافي، كما هو مبين بالشكل التالي:

شكل رقم (3) مبادئ استدامة السياحة في المواقع التراثية



**أ. التعاون:** التعاون ضروري في ظل تنافسية السياحة، وتزايد الضغوط على الموارد المحلية، فيكون من الأهمية إيجاد توافق بين المجتمع والسياحة، لضمان أن تكون السياحة مستدامة على المدى الطويل، كما أن نجاح برامج السياحة الثقافية يكمن في الشراكة بين مؤسسات لم تكن تتعاون مع بعضها من قبل، مثل التعاون بين مؤسسات القطاع الخاص والمؤسسات الحكومية وأيضاً التعاون بين المنظمات الأهلية والمؤسسات الحكومية، وبالتالي يمكن أن يتحقق الكثير من الفوائد الاقتصادية.

**ب. التوازن:** لضمان الاستفادة القصوى من التراث الثقافي والسياحة، لا بد من تحقيق التوازن بين احتياجات السكان والزائرين، ومن المهم فهم أنماط وحجم السياحة التي يمكن أن يتقبلها ويتعامل معها المجتمع المحلي، وبالتالي إشراك المجتمع المحلي في البرامج والأنشطة السياحية أمر بالغ الأهمية.

**ج. إدارة السياحة:** التأكيد على إدارة برامج سياحية لاجتذاب الزائرين، بحيث تعمل على إظهار التراث الثقافي للمجتمعات.

**د. الجودة والأصالة:** التأكيد على جودة المنتج السياحي في السياحة الثقافية، حيث أن الأصالة التي تميز مجتمع عن مجتمع آخر هي أمر بالغ الأهمية في كل ما يتعلق بالتاريخ أو التراث.

**هـ. الحفاظ والحماية:** لا بد من حماية التراث الثقافي والتاريخي والموارد الطبيعية، لوجود قيمة عالية لها ولا يمكن استبدالها، وبالتالي لا بد من الحفاظ عليها وحمايتها من أجل



الاستمرارية مما سبق عرضه نجد أن إشراك السكان المحليين في الأنشطة السياحية هو من المبادئ الأساسية لاستدامة السياحة في المناطق التراثية، فلا توجد تنمية وحفاظ بمعزل عن السكان المحليين.

**3-5 تحقيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية:** كما عرضنا نجد أن هناك تحديات تواجه التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية، وتم عرض مبادئ وأسس الاستدامة السياحية في المناطق التراثية، وفيما يلي نعرض أساليب تحقيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية في مرحلتها التخطيط والتنفيذ والتي تم تجميعها من أكثر من مرجع، نعرضها كما يلي:

### 1. مرحلة التخطيط والإدارة:

أ. **المشاركة الشعبية:** نقلاً عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي فإن المشاركة الشعبية تعتبر من ركائز التنمية، وتهدف التنمية بواسطة المجتمع إلى إعطاء كل فرد فرصة المشاركة فيها، والتركيز على المشاركة الشعبية يبرز دور المنظمات غير الحكومية كطرف أساسي في مسيرة التنمية. (أحمد يحي ومنى حسن، 2002).

ب. **التعاون والمشاركة بين الأجهزة المعنية بالتنمية:** تمثل الشراكة في التنمية الحضرية للمناطق التراثية ركيزة أساسية لأي تطوير وتنمية للمجتمع، ويقصد بالتعاون مشاركة الأجهزة المعنية بالتنمية الحضرية مثل القطاع الخاص، ومؤسسات السياحة، وهيئات الآثار والثقافة، وأجهزة التخطيط العمراني والأجهزة المحلية ممثلة في البلديات

ومؤسسات المجتمع المدني المعنية بالتراث إلى جانب الخبراء والمتخصصين في الجامعات ومراكز البحوث، للقيام بوضع الاستراتيجيات والرؤيا المستقبلية للتنمية السياحية للمواقع السياحية وربطها بالنسيج المعماري بهدف جعل المجتمع متكاملًا، وذلك عن طريق مجموعة من الخطوات تشمل تأهيل وتخطيط المناطق التراثية السياحية بما يضمن المحافظة عليها وإبرازها بصورة جمالية مع مراعاة البعد الاجتماعي والاعتبارات البيئية والآثار الاقتصادية، مع ضرورة إيجاد شبكة أو عملية اتصال مع الهيئات الدولية المعنية بالحفاظ على التراث مثل اليونسكو (عبد الله العلي، 2005).

### ج. تأسيس قاعدة بيانات شاملة:

ج.1. معلومات خاصة بالموقع التراثي: إجراء دراسات شاملة ومتكاملة للمنطقة ومحيطها العمراني والاجتماعي والاقتصادي لاختيار الوظائف والفعاليات المناسبة لكل مبنى تراثي، وهذه الدراسات تشمل القيام بأعمال رفع مساحي وإعداد مخططات لحالة المباني قبل الترميم لتكون المعلومات في متناول الباحثين والمرممين بعد أجيال ومعرفة التدخلات التي أجريت ومواقعها (أحمد يحي ومنى حسن، 2002).

ج.2. معلومات خاصة بالزائرين (السياح): جمع المعلومات حول الزائرين القادمين من حيث أماكن قدومهم، والدافع للقدوم وتوقعاتهم من زيارتهم المنطقة التراثية، والخلفيات الاجتماعية والاقتصادية للزائر، وأنماط السياحة اليومية والموسمية والسنوية، والاختلافات العمرية والنوع والجنس، وبالتالي نصل إلى أفضل تصميم للبرامج أو الخدمات لإشباع

احتياجاتهم، حيث أن كل مجموعة من المجموعات سيكون لها احتياجات مختلفة وتوقعات مختلفة عند زيارة أي موقع سياحي. (Heritage Tourism Guidebook, 2006).

**د. القوانين والتشريعات:** العمل على وجود إطار تشريعي قانوني لأعمال البناء والتغيير في المناطق التراثية، تكون غايته ليس فقط ضبط تلك العمليات، بل أيضاً توجيهها لخدمة التنمية الشاملة، ولا بد أن تتمتع هذه القوانين بالمرونة للتحكم بمسألة البناء في المناطق التراثية، من حيث إعطاء الأولوية المطلقة لإصلاح البناء الأصلي بشكل دقيق، وإعادة استخدام مواد البناء الأصلية ما أمكن، واستخدام التقنيات الحديثة في التدعيم، وتشجيع التوظيف الأصلي للعقارات، أو إعطائها وظائف جديدة تتسجم مع مخططاتها المعمارية، مع ملاحظة التغييرات والإضافات الواجب إدخالها على المبنى لتأدية وظيفته الجديدة، مع مراعاة أن تتسجم مع البناء ذاته ومع المحيط المجاور، من حيث الحجم والمقياس والمادة والطابع العام للمنطقة (عماد الصالح، 2002).

**هـ. الوعي البيئي:** العمل على إدراج الاهتمام بالوعي البيئي وإدخاله ضمن برامج التعليم في المدارس والجامعات وتعميق ثقافة المحافظة على البيئة الطبيعية، خصوصاً مع تزايد السكان وتضاعف أعداد زوار المناطق الطبيعية، بالإضافة إلى توعية الجمهور عن طريق التعليم والمشاركة في الحفاظ على التراث العمراني من خلال مؤسسات المجتمع المدني (خليفة مصطفى، 2008).

و. **التدريب الفني:** الاهتمام بالتدريب الفني، وإنشاء نظام تعليم يسمح بتخريج فنيين في مجال الحفاظ على التراث والآثار خاصة في مجال الترميم المعماري وإدارة المواقع الأثرية، مع تدريب العاملين في مجال السياحة، لتقديم الخدمات السياحية التي يحتاجها السائحون.

ز. **تأمين التمويل اللازم:** من أكبر العقبات التي تواجه المشروعات السياحية في المواقع التراثية هو تأمين الأموال اللازمة لإدارة مشروعات التنمية المستدامة، ويمكن تأمين التمويل اللازم لأي مشروع عن طريق:

- تلقي التمويل من الأفراد، سواء كانت في شكل خدمات، تطوع، أو أي أنواع أخرى من الدعم.
- تلقي التمويل من الحكومة، مثل تقديم قروض ومعونات للأهالي دون فوائد، للقيام بأعمال الترميم وتأمين السلامة العامة للسكان والمارة.
- تلقي التمويل من القطاع الخاص، عن طريق الاستثمار في المناطق التراثية وعمل مشروعات سياحية خدمية.
- تلقي مساعدات خارجية من هيئات عالمية تهتم بالمناطق التراثية، مثل اليونسكو.

(Botswana Tourism Board, 2008).

ح. **تسويق المناطق التراثية:** يمكن أن يبدو تسويق المناطق التراثية صعباً في بداية الأمر، ولكن هناك العديد من الخيارات المتاحة للوصول إلى الجمهور المستهدف،

والخطوات الأولية تشمل تحديد الجمهور المستهدف لتحديد كيفية استخدام أدوات التسويق الفعالة للوصول إليها قبل الانتقال إلى المرحلة التالية، وأدوات التسويق هي:

- العلاقات العامة مع ممثلي الإعلام (صحفيين، مذيعين، ... الخ).
- الإعلانات وتشمل الأشكال المطبوعة والإذاعة والتلفزيون واللوحات الإعلانية أو مواقع الانترنت (Botswana Tourism Board, 2008).

2. مرحلة التصميم والتنفيذ (المعايير المقترحة لإقامة مشروعات سياحية في المناطق التراثية):

توجد بعض المقترحات التي وضعت بواسطة منظمة سياحية من بوتسوانا (Botswana Tourism Board, 2008) وذلك في مرحلة تصميم وتنفيذ المشروعات السياحية لتحقيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق السياحية التراثية والبيئية، والتي نعرضها فيما يلي:

أ. **تقييم الأثر البيئي:** تهدف عملية تقييم الأثر البيئي لمشروع ما إلى تعيين الآثار الناجمة عن إقامة هذا المشروع على البيئة، ومن ثم تحديد الإجراءات الضرورية للحد من الآثار السلبية الناجمة عنه وتؤثر على البيئة بهدف تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتقوم دراسة الأثر البيئي على تحديد عناصر البيئة والتنبؤ بحجم الأضرار الناجمة عن المشروع ومحاولة تجنبها أو التقليل من ضررها والتخفيف من آثارها السلبية، وقد يستدعي ذلك إشراك خبراء جيولوجيين وآثار وعلماء بيولوجيا وكيمياء وزراعة وتربة واقتصاد واجتماع وبيئة ومياه وإدارة وخبراء غابات وتصحر وتلوث هواء وما إلى ذلك من

تخصصات تتناسب مع حجم المشكلة وطبيعتها، وتقييم الأثر البيئي لا يقتصر على دراسة أثر المشروع في صيغته النهائية، بل يدرس أيضاً الأضرار الناجمة عن المعدات الإنشائية والبنية التحتية التي يستلزمها المشروع منذ بدء العمل وحتى إتمامه كاملاً، فضلاً عن دراسة أثر الآليات المستخدمة والنفايات التي تلقىها، كقطع الغيار والزيوت والمواد الكيميائية وغيرها.

**ب. سهولة الوصول إلى الموقع:** المواقع المفضلة هي المواقع القريبة نسبياً إلى الطرق السريعة الموجودة أو مهبط الطائرات وشبكة الطرق القائمة ويتم التركيز على حماية البيئة من خلال الحد الأدنى من بناء الطرق وحماية المواقع الحساسة بيئياً.

**ج.** تنسيق نباتات البيئة المحلية فقط لهندسة المناظر الطبيعية، وعدم استخدام نباتات الزينة المستوردة، مع الأخذ في الاعتبار أنه لا بد من استخدام النباتات التي تتطلب الحد الأدنى من المياه وتتطلب الحد الأدنى من الصيانة، وهذا النهج يساعد أيضاً على حفظ التنوع البيولوجي، ويمكن استخدام الأشجار الكبيرة لتوفير الظل وخفض درجة الحرارة.

**د. خيارات التكنولوجيا البديلة:** العمل على تحديد أكثر التكنولوجيات الملائمة بيئياً لمرافق السياحة البيئية ويمكن أن يحدث هذا على جميع المستويات لتطوير المرافق وتشمل المحافظة على المياه وإعادة التدوير، استخدام الألواح الشمسية والضوئية، واستخدام طاقة الرياح.

هـ. استخدام طرق البناء التقليدية ومواد البناء المحلية (الطبيعية): استخدام المواد المحلية وتقنيات البناء التقليدية التي هي معروفة ومألوفة لمقاولي المنطقة والعمال المحليين، لتعكس فن العمارة المحلية للمنطقة باستخدام مواد البناء المحلية مثل الخشب والطين والحجارة وذلك للحفاظ على الألوان المنسجمة مع الطبيعة، ومن الممكن أيضاً استخدام المواد المعاد تدويرها، وهذا النهج قد يكون نموذجاً لاهتمام لسكان المحليين والمساهمة في الانخفاض العام لاستهلاك الطاقة، مع استخدام الأثاث المحلي المصنع من مواد محلية مثل الخشب وباستخدام العمالة المحلية.

و. استخدام الأغذية العضوية الطازجة والمشروبات: لضمان الاستدامة من الأفضل أن تكون المواد الغذائية والمشروبات من المنتجات المحلية، وينبغي أن تكون طازجة وعضوية، ويتم إنتاج الأغذية العضوية وفقاً لمعايير معينة لإنتاج المحاصيل وهو ما يعني أنها نمت دون استخدام المبيدات التقليدية، والأسمدة الصناعية التي تم تجهيزها دون الإشعاعات المؤينة أو المواد المضافة للأغذية.

ز. توظيف العمالة المحلية: توظيف العمالة المحلية أمر ضروري لتحقيق التنمية المستدامة، وذلك لتحقيق الفوائد الاقتصادية المرجوة للمجتمع المحلي، ويتم التعرف على إمكانات العمال المحليين لتوزيعهم وظيفياً بطريقة ملائمة لإمكانياتهم، والسماح للحرفيين وغيرهم من المنتجين والموردين لتبادل حرفتهم، وتعتبر مرافق السياحة البيئية مكان جيد لعرض إنتاج الفنون والحرف المحلية، مما يعزز من فرص حماية التراث البيئي والثقافي،

وتحقيق الاستدامة الاقتصادية بمساهمة السياح بشكل مباشر في اقتصاديات المجتمعات المحلية دون أن يؤثر ذلك سلباً على جوانب أخرى من حياة السكان المحليين.

مما سبق نجد أن تحقيق التنمية المستدامة في مشروعات التنمية السياحية في المناطق التراثية يمر بمرحلتين: مرحلة التخطيط والإدارة، ومرحلة التصميم والتنفيذ، وفي كلا المرحلتين تم التأكيد على أهمية المشاركة الشعبية والمنظمات الأهلية وأهمية إشراك المجتمع المحلي في المشروعات السياحية لتحقيق الاستدامة، ويوضح جدول رقم (1) فيما يلي، تحقيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية .

### جدول رقم (1) تحقيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية.

تحقيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية	
مرحلة التخطيط والإدارة	مرحلة التصميم والتنفيذ
المشاركة الشعبية	المعايير المقترحة لإقامة مشروعات سياحية في المناطق التراثية
التعاون والمشاركة بين الأجهزة المعنية بالتنمية	تقييم الأثر البيئي
تأسيس قاعدة بيانات شاملة	سهولة الوصول إلى الموقع
القوانين والتشريعات	تنسيق الموقع باستخدام النباتات المحلية
الوعي البيئي	خيارات التكنولوجيا البديلة
التدريب الفني	استخدام طرق البناء التقليدية ومواد البناء المحلية
تأمين التمويل اللازم	استخدام الأغذية العضوية والمشروبات
تسويق المناطق التراثية	توظيف العمالة المحلية

المصدر : من عمل الباحث .



6- دور القطاعات الحكومية والخاصة والمجتمع المدني في التنمية السياحية المستدامة للمناطق التراثية: يؤكد (Pakdeepinit, Prakobsiri, 2007) على أن الاتجاهات الحالية للتنمية السياحية تؤكد على التنمية الشاملة والمستدامة مع توصيل إحساس الملكية لأفراد المجتمع، حيث يتم الاهتمام بالموارد السياحية والتراثية والاعتماد عليها والاستفادة منها، وهي أساس التنمية المستدامة، ويؤكد أيضاً على أنه لا بد القطاع الخاص من فهم أن المجتمع المحلي والبيئة الطبيعية والثقافة المحلية هي الثروة الحقيقية، وإذا لم تتواجد فرصة لمشاركة المجتمع المحلي أو أصحاب المصلحة فسوف تظهر المشاكل الاجتماعية والثقافية والبيئية، مما يتسبب في أنشطة سياحية غير مستدامة، ويجب أيضاً على المجتمعات المحلية أن تطور نفسها لتصبح همزة الوصل التي تربط بين أجهزة الدولة والقطاع الخاص من أجل تطوير عملية السياحة، بالإضافة إلى تسهيل مشاركة الجمهور الحقيقي، وعلاوة على ذلك المبادئ التوجيهية للمشاركة الشعبية يجب أن يؤدي إلى الاستخدام التعاوني والمستدام للموارد السياحية.

فيما يلي ننقل عرض الدكتور محمد شبيب (2008) لدور القطاعين الحكومي والخاص في التنمية السياحية المستدامة لحماية البيئة والتراث العمراني.

### 1-6 دور القطاع الحكومي:

- يقع على مسؤولية الحكومة التخطيط للتنمية السياحية المستدامة، مع تحديد الأهداف المرجوة من تطبيق مبادئ الاستدامة في القطاع السياحي.

- توفير نظام متكامل من التشريعات والقوانين وإرشادات الحماية للموارد البيئية.
- عمل قاعدة بيانات شاملة عن المواقع التراثية، والحركة السياحية الداخلية والدولية، وحجم الأنشطة السياحية المحلية والمتوقعة.
- إعداد برامج للرقابة والتقويم.
- تخطيط المساحات الأرضية في الأماكن السياحية ووضع المعايير اللازمة لذلك.
- دراسة التأثيرات البيئية للمشروعات قبل إعطاء التراخيص لها .
- إعطاء أولوية خاصة لتطبيق مفهوم التنمية السياحية المستدامة في الأماكن ذات الحساسية الخاصة.
- التوعية البيئية لكافة شرائح المجتمع من خلال وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة.
- تحديد الأماكن السياحية، والعمل على تشييد ودعم البنى الأساسية، والخدمات المساندة.
- وضع الخطط والبرامج الكفيلة بإنشاء وتنفيذ مشاريع السياحة البيئية بحيث تتوافق مع المحافظة على البيئة، والآثار والتراث الحضاري والثقافي.
- العمل على جذب وتشجيع الاستثمارات في مجال السياحة البيئية، من خلال تقديم الحوافز والتسهيلات للمستثمرين.
- إنشاء المحميات التراثية والطبيعية ذات الأحكام الخاصة من أجل المحافظة على المواقع التراثية والمناطق الطبيعية في تلك المحميات، وفتح الفرص للاستثمار في هذه المواقع.

## 6-2 دور القطاع الخاص:

يتمتع القطاع الخاص بكفاءة إدارية وخبرة استثمارية وقدرة تنافسية تؤدي إلى توفير السلع والخدمات السياحية بأسعار منافسة، إضافة إلى ما يمتلكه من رأس مال، وبالتالي فإن دور القطاع الخاص في تطوير صناعة السياحة وتوزيع مصادر الدخل القومي يعد مكملاً للدور الحكومي، وبما أنه تقع على القطاع الخاص مسؤولية توفير البنية التحتية لقطاع السياحة، فإن دوره في تنفيذ خطة التنمية المستدامة لقطاع السياحة يتطلب إدراك مفهوم التنمية المستدامة من جميع وحدات القطاع الخاص ذات العلاقة بصناعة السياحة والإسهام الفاعل في تنفيذ خطة التنمية السياحية المستدامة، ويتحقق ذلك من خلال التركيز على البنود التالية:

- زيادة الإنتاجية والقدرة التنافسية للمنشآت السياحية من خلال العمل على تطوير منتجات سياحية منافسة وملائمة للتنمية السياحية المستدامة.
- توفير البنية اللازمة لتنمية وتطور السياحة البيئية والممتلئة في إنشاء الفنادق والمطاعم والملاهي والمرافق الخاصة بالمنشآت الرياضية.
- الاعتماد على العمالة المحلية والوطنية في تطوير قطاع السياحة لضمان مشاركة المواطنين بشكل أوسع في تنمية القطاع، ومن ثم في تفاعلهم مع خطة التنمية السياحية المستدامة.

- توزيع الاستثمارات السياحية في المناطق المختلفة، والاستفادة من الإمكانيات والمقومات السياحية، مع مراعاة عدم التركيز على المدن الرئيسية فقط لما قد يمثله ذلك من ضغط على البنية التحتية.
  - تسويق المشروعات السياحية المستدامة للوصول إلى أكبر عدد من الجمهور المستهدف.
- 6-3 دور مؤسسات المجتمع المدني:**

يوضح أحمد غاوي (2010) أن الجمعيات الأهلية تكمن أهميتها في أنها يكون لديها القدرة والمرونة في العمل والتفاعل مع المجتمع والتعامل مع المستويات الشعبية المختلفة ويتمثل دورها في:

- المساهمة في توعية المجتمع بالفوائد الاقتصادية التي يمكن الحصول عليها نتيجة تطبيق مبادئ التنمية السياحية المستدامة وحماية الموارد الطبيعية.
- التدريب الفني للمجتمع المحلي اللازم لعملية السياحة في المواقع التراثية.
- تقديم المعلومات اللازمة لجميع المشاركين في عملية التنمية السياحية.

ويؤكد محمد شبيب (2008) على أن إشراك المجتمع المحلي في عملية التنمية السياحية المستدامة يؤدي إلى التغيير السلبي لدور المجتمع المحلي، ويجعله في موقف إيجابي تجاه العملية السياحية، حيث يؤدي إشراك المجتمع في تحويل دوره في مستقبل للسائحين إلى مشارك في اتخاذ القرار.

## الخاتمة:

قامت الدراسة باستعراض علاقة السياحة بالتراث العمراني، حيث نجد أنه يمكن أن يكون للسياحة آثار إيجابية وسلبية في آن واحد على البيئة العمرانية والبيئة الاقتصادية والبيئة الاجتماعية- الثقافية، مثلها مثل غيرها من قطاعات التنمية .

والتراث التاريخي والثقافي يحدد جاذبية بلد ما للسياح، كما يشجع الحكومات على حمايته والمحافظة على معالمه، ولذا فإن كثيراً من الدول تبذل جهوداً كبيرة لتوفير الحماية اللازمة للمناطق التراثية وخاصة ذات الأهمية التاريخية والفنية، وفي المقابل نجد أن السياحة المفرطة تحدث تلوثاً وتأثيرات سلبية على البيئة وفي النظام الاجتماعي للبلدان المضيفة، لذا يجب أن يؤخذ بالحسبان أن السياحة وحماية البيئة أمران مترابطان ومتكاملان، إذ لا تصلح السياحة في بيئة متدهورة كما أن تدهور البيئة يحد من فرصة تنمية السياحة، ولهذا السبب تم الاتجاه عالمياً إلى مفهوم التنمية السياحية المستدامة والتي ظهرت كنتيجة لمفهوم التنمية المستدامة.

ومن أهم مبادئ التنمية السياحية المستدامة هو إشراك مؤسسات المجتمع المدني والسكان المحليين في الأنشطة السياحية وتوفير مشاريع سياحية مستدامة مدرة للدخل مثل الصناعات الحرفية التقليدية والزراعة العضوية والعمل كمرشدين سياحيين.

وخلصت الدراسة إلى أن الهدف الأساس من التنمية السياحية المستدامة لمناطق التراث العمراني هو تنمية هذه المناطق اقتصادياً وعمرانياً وثقافياً بأسلوب مستديم يحافظ

على استمرارية الهوية التراثية، ويجعلها مورداً اقتصادياً للسكان المحليين، من خلال الاستفادة من السياحة في إيجاد فرص عمل للمجتمع المحلي، عن طريق إحياء الحرف اليدوية والصناعات التقليدية والتي كانت سائدة في مناطق التراث، وكذلك إشراك الأهالي في إعادة تأهيل هذه المناطق التراثية وتميئها بما يعود عليهم بالمنفعة، وبالتالي زيادة العائد الاقتصادي المحلي والقومي.

وكذلك هناك ثلاثة قطاعات أساسية تؤثر على استغلال التراث العمراني سياحياً وتحقيق الاستفادة وهذه القطاعات هي: الحكومي، والخاص، والمدني .

ومما سبق تتضح أهمية الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية السياحية المستدامة، حيث أن كلا منهما يعتمد على الآخر، فالسياحة وسيلة مهمة لتفعيل النشاط الاقتصادي في مناطق التراث العمراني، وتشجيع على إقامة المشروعات الصغيرة والمتوسطة مما يعود بالنفع على السكان والمستثمرين، ومع توفر الخدمات الأساسية اللازمة في المناطق التراثية، وذلك يشجع السياح ويساهم في قضاء جزء من برنامجهم السياحي داخل هذه الأماكن، مما يعود بالفائدة الكبرى على السكان المحليين، ويشجع الأسر على العمل في إنتاج متطلبات السائح.

وقد جاءت نتيجة اختبار الفرضية في هذه الدراسة إيجابية حيث تؤكد من الدراسات السابقة أهمية إشراك المجتمعات المحلية في التنمية السياحية والحفاظ على التراث العمراني، حيث لا توجد تنمية بعيداً عن السكان المحليين الذين يعيشون داخل المجتمع، فالربط بين المجتمع والمكان له أهمية كبرى في نجاح عمليات التنمية المستدامة، ولكن

لابد من التنسيق والشراكة بين الثلاثة قطاعات في الدولة، القطاع الحكومي والقطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني لتحقيق الاستدامة السياحية، فكل قطاع من قطاعات الدولة الثلاثة دوره في تحقيق الاستدامة السياحية في المناطق التراثية.

### المصادر والمراجع:

أولاً: كتب عربية:

1. خليف مصطفى غرابيه، السياحة البيئية، الاردن، دار يافا العلمية للطبع والنشر، 2008م.
2. سهير محمد السيد حسن، نظرية السياحة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م .
3. محمد خميس الزوكة، صناعة السياحة من المنظور الجغرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005م .
4. محمد صبحي عبد الحكيم، حمدي أحمد الديب، جغرافية السياحة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2001م .
5. نسرين رفيق اللحام، التخطيط السياحي للمناطق الأثرية باستخدام تقنية تقييم الاثار البيئية ، القاهرة، دار النيل للنشر والطبع والتوزيع، 2007م.

ثانياً: بحوث اكااديمية عربية:

1. أحمد يحي جمال، منى حسن سليمان، الشراكة والتنمية الحضرية المستدامة للبيئات التراثية بين الواقع والطموح: رؤية مستقبلية لمنطقة القاهرة القبطية، بحث بجامعة القاهرة، القاهرة، 2002م.
  2. عايد راضي خنفر، إيايد عبدالإله خنفر، تسويق السياحة البيئية والتنوع الحيوي، بحث بجامعة الزرقاء الاهلية، الاردن، 2006م.
  3. عماد الصالح، السياسات التنظيمية للتعامل مع التراث العمراني: سياسة الارتفاع في مدينة حلب القديمة هدفاً للتنمية الشاملة، بحث بجامعة حلب ، حلب، 2008م.
  4. ليلي قندقجي، التنمية السياحية للمناطق التراثية- مدينة حلب القديمة بحث بجامعة حلب، حلب، 2002م.
  5. محمد شبيب حسن، دور المجتمع المحلي في التنمية السياحية المستدامة - بالتطبيق على مدينة البتراء في المملكة الأردنية الهاشمية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات السياحية، كلية السياحة والفنادق، جامعة حلوان، 2008م.
- ثالثاً: مؤتمرات وندوات ودورات عربية:



1. عبدالله العلي النعيم، التنمية السياحية للمناطق التراثية في المواقع الساحلية، مؤتمر التنمية والسياحة بالمناطق الساحلية شرم الشيخ جمهورية مصر العربية، من 9-12-مارس 2005م.

#### رابعاً: تقارير ووثائق عربية:

1. القمة العالمية للتنمية المستدامة، تقرير تقييم التقدم في المنطقة العربية - الملخص التنفيذي، 2001م.
2. جامعة الدول العربية، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، الدليل الإرشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي، سلسلة رقم(1) دليل مفهوم السياحة المستدامة وتطبيقها، 2005م.

#### خامساً: الأبحاث والمقالات العربية:

1. أحمد الغاوي، التراث العمراني في المملكة العربية السعودية يخص الهوية الثقافية أمام التحديات، مقالة، جريدة الرياض الالكترونية، 18 مايو 2010م- العدد 15303.
2. نورالدين هرمز، التخطيط السياحي والتنمية السياحية، مقالة، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (28) العدد(3)، عام 2006م.

## سادساً: الابحاث والمقالات الاجنبية:

- 1- Botswana Tourism Board, Ecotourism Best Practices Guidelines Manual, (2008).
- 2- Brundtland Report, Our Common Future, Reborn of the World Commission on Environment Development (WCED)(1987).
- 3- Pakdeepinit, Prakobsiri(2007) : A Model for Sustainable Tourism Development in Kwan Phayao Lake Rim Communities, Phayao Province, Upper Northern Thailand, Unpublished PhD thesis, Silpakorn.
- Texas Historical Commission, Heritage Tourism 4-Guidebook,(2011).

## سابعاً: مواقع إلكترونية:

1. موقع المعرفة [www.marefa.org](http://www.marefa.org).
2. موقع ويكيبيديا [www.ar.wikipedia.org](http://www.ar.wikipedia.org).

## أسلوب السخرية في الشعر السياسي الليبي

إعداد: د. ميلود مصطفى عاشور - د. إبراهيم محمد الزوام

## المخلص

مثلت دواوين الشعر الليبي فسيفساء خلابة جمعت بين طياتها براعة المبدع الليبي في تصوير الأحداث والوقائع، والتعبير عن المواقف وخلجات النفوس، بأساليب رفيعة جمعت بين سلامة التركيب والرصانة مع حسن استعمال البديع، بساطة الأفكار وتكرارها؛ لتأكيد المعاني، علاوة على تعزيز الأفكار والقضايا وتأكيدهما، بالاعتدال من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كما لا يكاد يخلو ديوان شاعر من التنوع في استعمال الأساليب التي يعرض بها أفكاره ويناقش بها قضاياها، معتمدين في ذلك أساليب متنوعة للتأثير في المتلقي، ففي حين تدور قصيدة ما حول الحكمة والمحاكاة تنهض أخرى بأسلوب تهكمي قوامه السخرية، وتارة أخرى تكون القصيدة وفق أسلوب قصصي أو حوارى يحقق الوحدة العضوية في القصيدة، حيث يجعل من أفكارها الجزئية متشابكة مترابطة تؤكد إحداها الأخرى بأسلوب سلس يخلو من التكلف، تسعى هذه الورقة إلى دراسة أسلوب السخرية والتهكم في نماذج من الشعر الليبي، ولما كانت دراسة هذه الظاهرة لا تسعها هذه الورقة اكتفينا فيها براسة بعض النماذج من قصائد أحمد رفيق، ورجب الماجري، وإبراهيم الهوني، ومحمد الشلطامي، وذلك لتسليط الضوء على أسلوب السخرية وسعيها للإجابة عن سؤال الورقة المتمثل في : ما مدى نجاح الشاعر في توظيف أسلوب السخرية في عرض الأفكار المتنوعة ومناقشة القضايا المختلفة.

## الكلمات الدلالية: السخرية، الشعر، الليبي، التأثير، التلقي

## مقدمة

تتصل السخرية بالأدب اتصالاً وثيقاً حيث نُظر إليها على أنها فن أدبي يحتاج إلى براعة فائقة في التصوير ونسج العبارات<sup>(1)</sup>، فأسلوب السخرية غاية في الصعوبة يحتاج قدرات إضافية تمكن الأديب من الانحراف بالمعنى والالتفاف من حوله حتى يقدمه في صورة غير متوقعة ممزوجة بالعاطفة، ويغلفها الخيال الإبداعي الواسع، فالشاعر عندما يقدم الحياة ويعالج قضاياها ويعرضها للمتلقي لا يعرضها بأسلوبٍ مباشرٍ، بل يتلاعب بالصور والتشبيهات، ويعقد مقارنات جديدة وعلاقات مغايرة لما ألفه المتلقي واعتاده، ومما يميز الصور الساخرة أنها لا تقوم إلا من خلال الارتباط بالواقع، أي يجب أن يكون لها انعكاس في الواقع وإلا فإنها لا تعدو أن تكون ضرباً من الخيال والعبث؛ لذلك شكّلت مظاهر المعاناة -من فقر وحرمان وجوع، وظلم وقهر واستعباد- في المجتمع مادةً للشاعر الساخر، وغالباً ما كان الشعراء أنفسهم ممن ذاق ألم تلك المعاناة، فصوروا أحوالهم، وباحت قصائدهم بمعاني الشكوى والرفض والاستهزاء وخيبة الأمل، ومرارة الواقع وإعلان المقاومة. فكانت سخريتهم مظهراً من مظاهر الرفض. ونقداً لاذعاً يهدف إلى تغيير حالة ما أو رفض فكرة أو التشكيك في حقيقة أو تعديل موقفٍ سياسي أو اجتماعي وغالباً ما يكون لأسلوب السخرية تأثيرٌ بالغٌ في المتلقي؛ لأنه يعتمد على الجودة في عرض الفكرة، والمغايرة في بيان تفاصيل الحدث أو القضية. وقد برع في هذا

(1) عبد العزيز شرف، الأدب الفكاهي، مكتبة لندن، ط1، 1992م، ص: 22.

الأسلوب عدد كبير من الشعراء ففاضت أشعارهم به حتى حلت عند بعضهم كأبي نواس مثلاً محل الأخلاق والفلسفة وصارت عالمه الذي ينظر به إلى العالم<sup>(1)</sup>

**السخرية في اللغة :** جاء في معاجم اللغة أن الفعل (سَخِرَ) بكسر العين فعل لازم يتعدى إلى مفعوله بأحد الحرفين "الباء أو من"، فيقال سَخِرَ مِنْهُ وَبِهِ<sup>(2)</sup>. والسخرية: الضحكة ورجل سَخِرَ يسخر بالناس<sup>(3)</sup>، والسُّخْرِيَةُ الْهُزُّوْ، فيقال: "اتَّخَذَنِي فُلَانٌ هُزْوَاً، وَاتَّخَذَنِي سُخْرِيّاً، وَيُقَالُ: فُلَانٌ هُزْأَةٌ، وَسُخْرَةٌ، وَضُحْكَةٌ بِضَمٍّ فَفَتَحَ فِيهِنَّ، أَي يَهْزَأُ بِالنَّاسِ، وَهُوَ هُزْأَةٌ وَسُخْرَةٌ، وَضُحْكَةٌ بِضَمٍّ فَسُكُونٌ، أَي يُهْزَأُ بِهِ، وَفُلَانٌ مَضْحَكَةٌ لِلنَّاسِ أَي هُزْأَةٌ، وَقَدْ بَاتَ بَيْنَهُمْ أَضْحُوكَةٌ مِنَ الْأَضْحَاكِكِ"<sup>(4)</sup>.

وفي قولهم: "سَخِرَ مِنْهُ وَبِهِ. سُخْرِيّاً وَسُخْرِيَّةً"<sup>(5)</sup>، مسألتان:

- 
- (1) ينظر: على أحمد سعيد، أدونيس : مقدمة للشعر العربي ، دار العودة، بيروت، ط3، 1979. ص: 40.  
 (2) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ) ، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير آخرون، دار المعارف، القاهرة، ج 3، ص: 1963 .  
 (3) نفسه .  
 (4) إبراهيم بن ناصف الأياري، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، مطبعة المعارف، مصر، 1905 م ج2/ص:76.  
 (5) لسان العرب، مصدر سابق، ج 4/ ص: 357.

الأولى هي التذكير والتأنيث؛ لكن المنتشر هو تأنيث الكلمة. قال الأزهري: قد يكون نعتاً، كقولك: هو لك سُحْرِيٌّ وَسُحْرِيَّةٌ، ... فَمَنْ ذَكَرَ قَالَ: سُحْرِيًّا، ومن أَنْتَ قَالَ: سُحْرِيَّةٌ<sup>(1)</sup>.

أما الثانية: فهي تعدي الفعل: حيث قال الأخفش بجواز تعديه بـ"من" أو بـ"الباء" حيث قال: "سَخَرْتُ منه وَسَخَرْتُ به وَضَحَكْتُ منه وَضَحَكْتُ به وَهَرَيْتُ منه وَهَرَيْتُ به كُلٌّ يُقَالُ"<sup>(2)</sup>. بينما نقل الأزهري عن الفراء: قوله "يُقَالُ: سَخَرْتُ مِنْهُ. وَلَا يُقَالُ: سَخَرْتُ بِهِ"<sup>(3)</sup> وأن الأصح تعديه بـ"من" ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾<sup>(4)</sup>. وقال تعالى ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(5)</sup> وَقَالَ: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾<sup>(6)</sup>

- 
- (1) أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي الأزهري، (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م. ج7، ص: 167.
- (2) لسان العرب، مصدر سابق، : ج3، ص: 1963.
- (3) ينظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت 1205 هـ)، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1424 هـ. ج11، ص 522.
- (4) سورة الحجرات 11.
- (5) سورة التوبة: 79
- (6) سورة هود: 38 ..

والسخرية اصطلاحاً: تعني: "طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل، كقولك للبخيل "ما أكرمك" ويقال "هي التعبير عن تحسّر الشخص على نفسه، كقول البائس "ما أسعدني"<sup>(1)</sup>.

عرّفها إبراهيم المازني بأنّها: "العبارة عما يثيره المضحك أو غير اللائق من الشعور بالتسلي أو التفرز على أن تكون الفكاهة عنصراً بارزاً والكلام مفرغ في قالب أدبي"<sup>(2)</sup>. كما عرّفَتْ بأنّها "فنُّ إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صورة تخري بمقاومتها، والرد عليها وإيقاف مفعولها، من غير أن يلجأ إلى الهجوم المباشر، أو يبدو في موقف يكون فيه هدفاً للانتقام"<sup>(3)</sup>. كما يوصف الأسلوب الأدبي الساخر بأنه "نوع من الهزء قوامه الإمتاع من إسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كلّ على الكلمات والإيحاء عن طريق الأسلوب وإلقاء الكلام بعكس ما يُقال"<sup>(4)</sup>.

لذا فإن السخرية في الحقل الأدبي -وفي الشعر تحديداً- تتدرج تحت الهجاء؛ إذ إنها مظهر من مظاهر الهجاء المقذع والنقد اللاذع، كما أنها أمانة على براعة الشاعر؛

(1) مجدي وهبة، وكمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2. بيروت، مكتبة لبنان. 1984. ص: 112.

(2) إبراهيم المازني، حصاد المهسيم، مطبعة الشعب، د/ ت. ص: 302.

(3) حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983م. ص: 35.

(4) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م. ص: 138.

لأن نسج الهجاء وفق أسلوب ساخر يدل على ذكاء الشاعر وتمكنه من تطويع اللغة وأساليبها وأدواتها لخدمة هدفه؛ لذا يمكن القول بأن السخرية أرقى أنواع الهجاء؛ "لأنها تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء والخفاء والمكر علاوة على التمكن اللغوي وسعة الخيال.

### المطلب الأول : السخرية في الشعر العربي

منذ العصر الجاهلي لم تكن السخرية غرضاً شعرياً مستقلاً بذاته، حيث امتزجت بالهجاء وكانت أحد أساليبه، وتحدث النقاد القدامى حول الفرق بينها وبين الهجاء الصريح الذي يعبر عن الرفض المباشر والنيل من الخصم بسلبه الفضائل ووصفه وصفاً صريحاً بالردائل وموجبات الذم. وقد حدد ابن رشيقي الفرق بين الهجاء الصريح المبتدل وبين والهجاء الذي يقوم على أساس التعريض والسخرية والتهكم، في ثلاث خصائص تجعل التعريض أهجى من التصريح وهذه الخصائص هي:

1. اتساع الظن ويقصد به بعد المعنى وانفتاح النص وقابليته للتأويل

2. وشدة تعلّق النفس به، كونه يأتي على طريق الهزل لا الجد

3. والبحث عن معرفته وطلب حقيقته.

لذا يرى ابن رشيقي أن التعريض أهجى من التصريح لأن الهجاء الصريح تحيط به النفس ويستوعبه المتلقي ببسر وسهولة ثم يصبح مبتدلاً فهو " كل يوم في نقصان لنسيان أو ملل" (1).

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، ج2، ص172، 173.



وهذا ما ذهب إليه القاضي الجرجاني حيث قال "إن أبلغ الهجوم ما خرج مخرج الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه، وسهل حفظه، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس<sup>(1)</sup> وإذا تتبعنا ظاهرة السخرية في الشعر العربي نلاحظ أنها لم تحتل مكانة بازة في العصر الجاهلي ؛ إذ لم تكن غرضاً مستقلاً من أغراض الشعر، بل كانت جزءاً من غرض الهجاء حيث تتخلل بعض المعاني الساخرة قصيدة الهجاء، ويرى الباحث أن ذلك يرجع إلى شيم العرب الجاهليين ونأيهم عن الهزل والاستهزاء بالآخرين، حيث كانوا يفضلون هجاء الخصم بسلبه الفضائل بأسلوب جزل، ولهذا لم يكن الهجاء عند عرب الجاهلية سباباً وإفحاشاً "ولكنه سلب الخلق أو سلب النفس، أو فصل المرء من مجموع الخلق الحي الذي يؤلف قومية الجماعة وتركه عضواً ميتاً يتواصفون ازدرائه"<sup>(2)</sup> من ذلك قول زهير في آل حصن عندما قيل إنهم أدوا جاراً لهم<sup>(3)</sup>:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء  
فإن قالوا النساء مخبات فحق لكل محصنة هداء

( 1 ) أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت 392هـ) الوساطة بين المتنبى وخصومه، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي د/ت. ص: 24

( 2 ) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، ط1، 2000. ج3 ص61 وما بعدها

( 3 ) يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشننمري، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، المطبعة الحميدية، مصر،

ط1، 1323 هـ، ص: 72

قال ابن رشيقي بعد أن أورد هذين البيتين: "فإن هذا عندهم من أشد الهجاء، وأمضه"<sup>(1)</sup>. ثم أورد ما روي عن النابغة من أنه عتّف بعض قومه من بني ذبيان عندما ردوا على هجاء عامر بن الطفيل بهجاء قوامه السباب والشتم فقال النابغة: أفحشتم على الرجل وهو شريف لا يُقال له مثل ذلك، ولكني سأقول<sup>(2)</sup>:

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطية الجهل السباب  
فكن كأبيك أو كأبي براء تصادفك الحكومة والصواب  
فلا يذهب بلبك طائشات من الخيلاء ليس لهن باب

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه، وقال: ما هجاني أحد حتى هجاني النابغة، جعلني القوم رئيساً، وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي! لذلك كان خلف الأحمر يصف أشد الهجاء عند العرب بالنظر إلى أفكاره ومعانيه بقوله: "أشد الهجاء أعفه وأصدقه، وقال مرة أخرى: ما عف لفظه وصدق معناه"<sup>(3)</sup> أما صاحب الوساطة فقد وجه نظره إلى أسلوب التصوير وطريقة التعبير فقال: فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه، وسهل حفظه، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس"<sup>(4)</sup>. ثم قال: "فأما القذف والإفحاش فسباب محض، وليس

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، مصدر سابق، ج2، ص: 869

(2) نفسه، ج2، ص: 171

(3) نفسه

(4) الوساطة بين المتنبئ وخصومه ونقد شعره ، مصدر سابق، ص: 24

للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم"<sup>(1)</sup>، وهكذا فأغلب الهجاء الجاهلي غلب عليه أسلوب نقض الفضائل النفسية فكان يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار سواء في ذلك أكان موضوع الهجاء هو الفرد أم الجماعة أم الأخلاق والمذاهب<sup>(2)</sup> واستمر أسلوب الهجاء في صدر الإسلام وفق ما كان عليه في الجاهلية رصيناً جزلاً يعتمد على سلب الخصوم كل الفضائل ، يقول حسان بن ثابت في هجاء أبي سفيان:

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي: فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخْبٍ هَوَاءٍ  
أَي جبان لا فؤاد له<sup>(3)</sup>

ثم زاد فسلبه السيادة والمهابة والقيادة قائلاً:

وَأَنْ سَيُوفِنَا تَرَكْتِكَ عَبْدًا وَعَبْدَ الدَّارِ سَادَتَهَا الْإِمَاءُ

لذا كان الهجاء في صدر الإسلام لا يختلف أسلوبه عن المدح إلا في أن المدح تقرير للفضائل أما الهجاء فهو سلب لتلك الفضائل دون سباب أو فحش. وقد أسهمت تعاليم الإسلام في الحد من انتشار ظاهرة السخرية إذ نهى الإسلام عنها وحرّم الهجاء المقذع الفاحش والسخرية والاستهزاء والطعن في الآخرين بالفواحش ورميهم بالشتم المستقبحة، لذا غلب على الشعراء في صدر الإسلام التهكم بالخصم دون سخرية

(1) نفسه

(2) ينظر: محمد حسين، الهجاء والهاجؤون في الجاهلية، مكتبة الأدب، 1947، ص: 16

(3) أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري (ت 538هـ) أساس البلاغة تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار

الكتب العلمية، بيروت ط1، 1998 م، ج1، ص: 157

واستهزاء صريح، من ذلك ما موقع بين الحطيئة والزيرقان في عهد الفاروق حين هجا الحطيئة الزيرقان بن بدر قائلاً:

**دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي**

أي لا يبلغ من مروؤتك يا زيرقان إلا القعود والأكل. فاشتكاه إلى الفاروق - رضي الله عنه - فحبس الفاروق الحطيئة زمناً، ثم أطلقه، وقال له حين أطلقه: "ياك والهجاء المقذع. فقال الحطيئة: وما المقذع يا أمير المؤمنين؟ قال: المقذع: أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء، وأشرف، وتبني شعراً على مدح لِقَوْمٍ وذم لمن تعاديهم"<sup>(1)</sup>.

أمّا في العصر الأموي فقد تطور الهجاء تطوراً ملحوظاً سواء على مستوى الشكل أم على مستوى المضمون والغاية، إذ أصبح له محترفوه وقصائده المستقلة المطولة عندما ازدهر فن النقائض في هذا العصر وبرز شعراء برعوا في هذا الفن واستحدثوا طرائق وأساليب ساخرة تهدم كيان الخصم وتحط من قيمته، مستغلين في ذلك التاريخ الجاهلي بما فيه من أنساب ومثالب، وحروب، وانتصارات، وهزائم، ثم التاريخ الإسلامي، ومواقف القبائل من الدولة الأموية وخلفائها، متوخين من نقائضهم التسلية والترفيه

(1) العمدة في محاسن الشعر وآبائه، لابن رشيق، ج2، ص170.

والإضحاك، والاستهزاء والسخرية من الخصوم<sup>(1)</sup> لقد اعتمدت النقائض على التصوير الساخر للمعنى فمثلاً يقول الأخطل في بني يربوع رهط جريير

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأهمم بولي على النار  
فتمسك البول بخلاً أن تجود به وما تبول لهم إلا بمقـدار

وتعد النقائض فناً أدبياً محوره النقد والنقض، بأسلوب ساخر أكثر من كونه هجاءً بالمعنى الذي كان معروفاً في الجاهلية وصدر الإسلام، فعلاوة على ما حوت النقائض من سبابٍ وفحشٍ، فإن الشاعر عندما ينظم النقيضة لا ينظمها وفق معانٍ قريبةٍ وبسيطة، تعتمد على سلب الخصم الفضائل والقيم النبيلة بل يطلق لخياله العنان في تصوير الخصم تصويراً ساخراً لا يقف عند حدٍ معينٍ، ولعل ذلك كان مظهراً من مظاهر التغيير في نمط الحياة تبعاً لما يتلاءم مع التطور العقلي وأساليب المعيشة، ومظاهر الحياة الجديدة التي ارتبطت بتطور الدولة الإسلامية والمجتمع العربي الإسلامي آنذاك<sup>(2)</sup>.

(1) شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط8، دار المعارف، القاهرة 1987، ص: 163،  
وايضاً: ص: 204.

(2) ينظر : نفسه، ص: 203 ما بعدها.

وأما في العصر العباسي فقد صاحب حياة الترف نشوء ظاهرة الفكاهة والتندر بالشعر ، حيث تفنن بعض الشعراء في صوغ المعاني بأسلوب يغلب عليه الفكاهة<sup>(1)</sup>. ثم ظهرت السخرية التي تعتمد على التقاط العيوب، وتصويرها ونقضها بطريقة تهكمية مضحكة، وانتشر أسلوب السخرية بشكل ملحوظ في هذا العصر حتى شكل ظاهرة أسلوبية عند الجاحظ في رسائله، وفي كتابه "البخلاء" ثم عند الشعراء مثل بشار بن برد وأبي نواس وابن الرومي وغيرهم.

ومما يعزز من تأثير المعاني المبنية على أسس هزلية، ويجعلها أكثر تأثيراً هو ميل الإنسان إلى المزاح والترفيه عن النفس بين الفينة والأخرى، وسواء أكان المتلقى شاهداً يتلقى النص سماعاً، أم كان قارئاً يقلب صفحات الديوان، ويطالع قصائده، فهو يميل إلى هذا الأسلوب، أسلوب السخرية والهزل والمزاح أكثر من ميله إلى الأساليب ذات الطابع الجدي الرصين. إذ كما قال أبو الفتح البستي<sup>2</sup>:

أفد طبعك المكدود بالجد راحة بلهوٍ وعلله بشيء من المزح  
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بقدر الذي يعطى الطعام من الملح

(1) ينظر: فتحي محمد معوض ابو عيسى، الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970م، ص: 170.

(2) الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين اليوسي، (ت: 1102هـ)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي. ومحمد الأخضر، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب. 1981 م. ج2، ص: 171

إن ما يجعل من أسلوب السخرية أكثر تأثيراً هو ما يحمله هذا الأسلوب من غرابة وطرافة في بناء الصور وقد قرر النقاد القدامى أن الغرابة والطرافة من أسباب إستعادة المعنى؛ وذلك لأن المعنى عندما يشتمل على هذه الصفة يكون مثيراً لانتباه المتلقي، كما يكون مدعاةً للحفظ؛ لما فيه من متعةٍ جماليةٍ، ولما فيه من التسلية والترفيه عن النفوس . لذلك قال ابن قتيبة: "قد يُختار الشعر ويُحفظ؛ لأنه غريبٌ في معناه (1)، وذلك كقول الأقيشر الأسيدي يمدح أميراً مجوسياً تفضل عليه بمهر ابنة عمه الرباب :

كفاني المَجُوسِيَّ مَهْرَ الرَّبَابِ فِدَىً لِلْمَجُوسِيِّ خَالٍ وَعَمٍّ (2)

شَهِدْتُ عَلَيْنِكَ بِطِيبِ الْمُشَاشِ وَأَنَّكَ بَحْرٌ جَوَادٌ خِصَمٌ

وَأَنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِيمِ إِذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ

قَرِينٍ لِهَامَانَ فِي قَعْرِهَا وَفِرْعَوْنَ وَالْمُكْتَنَى بِالْحَكَمِ

إن هزلية الصورة وبراعة الشاعر الأقيشر في قلب المعاني والتأليف بينها بأن جعل السيادة والرفعة للمجوسي، فقدّمه على الملوك والزعماء وجعله أعلى مرتبةً منهم، كل ذلك كان مناسباً لمقام المدح، لكن المفارقة التي تحققت بها غرابة المعنى وجدته أن تلك المنزلة العلية كانت في قعر الجحيم.

(1) ينظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: د.مفيد قميحة ومحمد أمين ط/1، ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص:26

(2) ديوانه: جمعه وحققه وشرحه، د. خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، ط1، 1991م: 97

وهكذا أصبحت السخرية مرحلة متطورة من مراحل الهجاء، حيث ازدهرت عند شعراء النقائض واشتد عودها واستوى على سوقه في العصر العباسي، وأصبحت سمة غالبية عند العديد من شعراء الهجاء، مما يدل على أن السخرية فن قائم بذاته في الهجاء، يرتفع من الناحية الفنية إلى درجة التصوير الساخر<sup>(1)</sup> فاشتهر بها عدة شعراء مثل بشر بن برد وأبي دلالة وأبي نواس وغيرهم من شعراء العصر العباسي.

أما في الشعر الحديث فقد اشتهر أسلوب السخرية وازدهر وصار أسلوباً ناجحاً في التعبير عن المقاومة والرفض والنقد سواء للسلط الحاكمة وسياساتها، أو للمجتمع وما يشيع فيه من ظواهر وعادات قد يرفضها الشاعر أو يناصرها العداء ويجعلها محل سخريته. وكثيراً ما كانت قسوة الحياة وما فيها من بؤس وكدر، وظلم وقهر، مدعاة لازدهار النوادر والفكاهات حتى يكاد يغلب على البعض السخرية من كل شيء وعلى كل شيء، وبالأخص عندما يصبح الإنسان عاجزاً على تغيير الواقع. وإلى ذلك ذهب الدكتور زكريا إبراهيم حيث قال: "وقد دللتنا التجربة في كثير من الأحيان على أن ازدياد إقبال الأفراد والشعوب على الفكاهة قد يقترن بازدياد قسوة المعيشة، مما يدلنا على أن الضحك قد يكون فناً تبذعه النفس البشرية لمواجهة ما في حياتها من شدة وقسوة وحرمان"<sup>(2)</sup>.

(1) ينظر: منتصر الغضنفر، زهراء حمادي، الفكاهة والسخرية في شعر أبي دلالة، مجلة كلية التربية، جامعة

بابل ع: 13 أيلول، 2013م. ص: 36

(2) زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، مكتبة مصر، (د.ت). ص: 274.



ولعل هذا ما يجعل من السخرية والضحك -في بعض الأحيان- نوعاً من التأديب لمن يتناولون على المجتمع الإنساني ويعبثون بأخلاقياته وقيمه الموروثة<sup>(1)</sup>.

ولعل أبرز العوامل التي أسهمت في نجاح الشعراء المعاصرين في توظيف الأسلوب الساخر في عرض القضايا أنهم يعتمدون في ذلك الجمع بين السخرية وبين القص والحوار والسرد كما في أشعار نزار قباني وعبد الله البردوني وأحمد مطر الذي يُعد من الشعراء المعاصرين الذين برعوا في هذا الفن ولمع نجمهم في سمائه، بالأخص فيما يعرف بالشعر السياسي الذي يبني جله على السخرية ويقوم أغلبه على التهكم والازدراء فما هو يقول في قصيدة بعنوان "السكرتة القلبية"<sup>(2)</sup>:

لي صاحبٌ

يدرُسُ في الكَلِيَّةِ الطَّيْبَةِ

تَأَكَّدَ المَخْبِرُ مِنْ مَيولِهِ الحَزْبِيَّةِ

وَقَامَ بِاعْتِقَالِهِ

حِينَ رَأَهُ مَرَّةً

يَقْرَأُ عَنِ تَكْوُنِ "الخَلِيَّةِ" !

\*\*\*

وبعدَ يومٍ واحدٍ

(1) ينظر: هنري برجسون، الضحك، ترجمة: سامي الدروبي وعبدالله الدايم، ط1، دار اليقظة العربية، دمشق، 1964م، ص: 126.

(2) أحمد مطر، لافتات2، ط2، لندن، 2001م. ص: 13

أُفْرَجَ عَنْ جُتَّتِهِ

بحالة أمنيّة :

في رأسه زُفْسَة بُنْدِقيّة!

في صدره قُبْلَة بُنْدِقيّة!

في ظهره صُورَة بُنْدِقيّة!

لكنّني

حينَ سألتُ حارسَ الرعيّة

عن أمره

أخبرني

أنّ وفاة صاحبي قد حَدَثَتْ

بالسكّنة القلبيّة !

يروي أحمد مطر قصة صديقه بأسلوب ساخر يعتمد التلميح والكناية والصور البيانية التي تشابكت خيوطها مكونةً مشهداً معبراً عن الرفض والغضب بأسلوب ساخر قوامه المفارقة بين الأشياء: طبيب متعلم/ مخبر جاهل. تكوين الخلية / تكوين الحزب. أثر القبلات / وآثار التعذيب... لقد عبّر أحمد مطر في هذه الأبيات عن رفضه للظلم والفقر والجهل وتعسف الحكام بهذه الصور الساخرة التي حملت نقداً سياسياً لاذعاً يعبر عن فضائع الاستبداد.

المطلب الثاني : أسلوب السخرية في الشعر الليبي

لقد مثلت دواوين الشعر الليبي فسيفاء خلافة جمعت بين طياتها براءة المبدع الليبي في تصوير الأحداث والوقائع والتعبير عن المواقف وخلجات النفوس، بأساليب رفيعة جمعت بين سلامة التركيب والرصانة، مع حسن استعمال البديع، وبساطة الأفكار وتكرارها؛ لتأكيد المعاني، علاوة على تعزيز الأفكار والقضايا وتأكيدهما بالاقتراب من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ كما لا يكاد يخلو ديوان شاعر من التنوع في استعمال الأساليب التي يعرض بها أفكاره ويناقش بها قضاياها، معتمدين في ذلك أساليب متنوعة للتأثير في المتلقي، ففي حين تدور قصيدة ما حول الحكمة والمحاكاة تنهض أخرى بأسلوب تهكمي قوامه السخرية، وتارة أخرى تكون القصيدة وفق أسلوب قصصي أو حوارى يحقق الوحدة العضوية في القصيدة حيث يجعل من أفكارها الجزئية متشابكة مترابطة تؤكد إحداها الأخرى بأسلوب سلس يخلو من التكلف.

ولما كان الشعراء أقدر من غيرهم على تطويع اللغة والجنوح بها إلى مراتب الإبداع وأفانق الخيال الواسعة، كانوا أقدر من غيرهم في توظيف أسلوب السخرية للتعبير عن الرفض والمقاومة؛ إذ علاوة على أن الشعر عموماً أكثر تأثيراً من النثر، امتاز الشعر السياسي بأنه وظف أسلوب السخرية للإمعان في التشنيع، مما جعله أشد وقعاً وأكثر تأثيراً في نفوس المتلقين؛ إذ إن أغلب الشعر السياسي الساخر يقوم على تشخيص الظواهر والأحداث في قالب يعتمد فيه الشاعر على النقد والنقض والاستهزاء، ويلتزم التشويق الذي يجعل من المتلقي حاضر ذهن يتأمل ما يعرضه الشاعر دون كللٍ أو مللٍ. وأساس ذلك كله هو القالب الساخر الذي صاغه الشاعر، وبالأخص إذا جمع النص بين السخرية والأسلوب القصصي أو الحوارى.

وهنا وجب التأكيد على أن بعض من لا بصر لهم بفنون القول يظنون أن أساليب السخرية والهزل في الأدب عامة، عبثٌ يخلو من القيمة، "وأن الشعر الفكاهي ضرب من القول لا أثر للفن والإجادة فيه، والحق، أن الشعر الفكاهي فضلاً عما يزخر به من عواطف صادقة، وتصوير حي لنفسيات قائله، فإنه يصور المجتمع تصويراً صادقاً، ويسلط أضواء كاشفة على أحداث معينة"<sup>(1)</sup>.

لقد مثّل العصر الحديث بانتكاساته وتربيته، وواقعه السياسي المثقل بالنكبات، بيئةً ملائمة لازدهار أسلوب السخرية؛ إذ إن مظاهر القهر والظلم والاستعباد التي يعانيها المواطن العربي كانت رافداً رئيساً يغذي هذا النوع من الشعر إضافة إلى القضايا الاجتماعية التي ارتبطت بالظواهر السلبية والانحطاط والتقهقر أمام تيارات التغريب والعمولة والجهل والعصبية والانغماس في المظاهر المادية على حساب القيم الوطنية والمبادئ والأخلاق الحميدة، فكل تلك العوامل ساعد في ظهور أصوات ساخرة حملت على عاتقها مهمة المقاومة والرفض والتصحيح.

فها هو شاع الوطن الكبير أحمد رفيق المهدي يسخر من أبواق المستعمر الذين كانوا يشرفون على صحيفة (بريد برق) التي تدعو إلى المهادنة والركون إلى الدعة في

(1) الحبيب شيبوب، الفكاهة في الأدب التونسي الحديث، مجلة الهلال، مصر، ع8، أغسطس، 1974م. ص:

كف المستعمر وتزور الحقائق وتزيين صورة المستعمر الإيطالي؛ فازدراها وسعى إلى تنفير القراء وتحذيرهم من سمومها قائلاً<sup>(1)</sup>:

**ألم يبلغك ما قال البريد هراء لا يضر ولا يفيد**

**مسيلمة الجرائد ما تنبأ وزاد فدينه كفر جديد**

ثم يسخر من صاحبها محمد الطاهر المحيشي قائلاً:

**تملق كي ينال رضاء قومٍ فما رضي الإله ولا العبيد**

ومع أن صاحب الصحيفة محمد المحيشي هو ابن عمه أحمد رفيق، وفوق هذا كانوا أصهاراً، ورفيق يعمل موظفاً إدارياً في البلدية التي كان المحيشي عميداً لها، لكن كل ذلك لم يشفع للمحيشي، ولم يكن ليحميه من هجوم أحمد رفيق، إذ إن رفيقاً الذي لقب بشاعر الوطن - وكان حقيقياً به- لم يكن ليؤثر أحداً على مصلحة الوطن والمبادئ الوطنية؛ فلم تكن صلات القرابة والمصاهرة والعمل لتصمد أمام وطنية رفيق، وتحمله على المجاملة أو السكوت. حيث مضى رفيق في السخرية من الصحيفة وصاحبها قائلاً:

**ودع عنك السياسة لست منها فانك عن حقائقها بعيد**

**كفاك! فضحتنا فاذهب طريداً فيوم فراقك اليوم السعيد**

فأشار شاعر الوطن إلى أنه يبرأ من صلته وقرابته وينكر عليه انصياعه لإرادة المستعمر الإيطالي، ثم يعود ليؤكد عظم الخطر الذي تروج له الصحيفة ويدعو إلى مقاطعتها قائلاً:

**إذا جاؤوا إليك به فعجل إلى الكانون يصحبك الوقيد**

( 1 ) ديوان رفيق: الفترتان الأولى والثانية من 1919-1925) المطبعة الأهلية. بنغازي ط1، 1971. ص84.

ولا تقنع بتمزيق فيبقى له في الناس مكروب شديد

فالشاعر يدعو إلى إتلافها حرقاً خوفاً أن يبقى منها شيء إذا مزقت تمزيقاً. ويمكن أن يُحمل معنى البيت على أنه دعوة غير مباشرة من الشاعر إلى إحراق مقرها الذي تصدر عنها حتى لا يبقى لها أثر.

ومن قصائد رفيق السياسية الساخرة التي سرت على ألسنة الناس آنذاك قصيدته

المشهورة التي هجا فيها الحزب الدستوري<sup>(1)</sup> التي يقول فيها:

الحزب الدستوري العربي ينبوع الباطل والكذب

قد لفق أحقر شرذمة ما ينقصهم غير الذنب

ما أنتم للظليان سوى بقر للخدمة لا الحلب

وكلاب ليس لها أمل إلا في الراتب والرتب

فشاعت هذه المقطوعة وذاعت لما اتصفت به من خفة الوزن وقرب المعاني

وشناعة التصوير، حتى قال عنها طه الحاجري: "لا نكاد نشك في أنه بلغ بهذه القطعة

الغاية المرجوة"<sup>(2)</sup> وهي التحذير من عمالة هذا الحزب للمستعمر الإيطالي.

ولم يكن رفيق ليتوانى عن تعبيره عن الرفض وانتقاد الحكومة سواء في عهد

المستعمر الإيطالي أم في عهد الإدارة الإنجليزية، بل حتى بعد الاستقلال تعرضت

(1) نفسه، ص83.

(2) رفيق في مراحل حياته الأولى (1898/1925) مهرجان رفيق، إعداد محمد دغيم، منشورات جامعة قارونوس،

ط1، 1993، ص: 43.

علاقته الحميمة بالملك إدريس إلى فتور أو ما يشبه الجفاء بسبب آرائه وانتقاده لسياسات الحكومة، إذ ما انفك يهزأ بالسياسيين والحكومة التي عبر عن خضوعها لإرادة المستشارين الأجانب في أكثر من مناسبة<sup>(1)</sup>، وسخر من وزرائها في عدة مواضع، ومن ذلك قصيدته المشهورة "في وصف بطيخة" التي استهزأ فيها بوزراء ليبيا في ذلك العصر، حيث اختار الشاعر البطيخة غير الناضجة للتعريض ببعض الوزراء بأسلوب تهكمي ساخر يوحى بحجم الخسارة التي تكبدها الوطن بسبب سوء اختيار الحكومة لوزرائها، فافتتح القصيدة قائلاً:

ما غرني من شكلها العجيب إلا اخضرار لونها الغريب

ثم أخبر بأن ثمنها باهض وأنه عقد عليها الآمال لكي تروي ظمأه، فأوحى بالثمن الباهض الذي دفعه فيها، والثمن الباهض الذي يدفعه الوطن، كما أوحى بظمنه بظماً الوطن المتعطش لمن يقود ركبته نحو العلا والتقدم، فقال:

شريتها من (بختي العطيب) للفظر كي تطفئ من لهيبي  
وضعتها في الثلج والضرب من مطلع الشمس إلى المغرب  
ثم يعبر عن خيبة الأمل قائلاً:

وحيما ظفرت بالحبيب (رشمته) وقلت يا نصيبي

فأنفلقت بيضاء كالمشيب بذورها كالبعر في الحليب

إلى أن يصل إلى مراده من سرد هذه القصة قائلاً

ياخيبة الشاعر والأديب يا أملاً قد خاب بالتجريب

(1) ديوان رفيق: الفترتان الرابعة والخامسة، إعداد لجنة الرفيقيات، المطبعة الأهلية، بنغازي، ص: 226.

## جاءت لسوء طالعي الغريب كأنها رأس وزير ليبي

لقد فاجأ الشاعر متلقيه بالتشبيه الذي ورد في الشطر الأخير من القصيدة، إذ جعله صورةً تختزل كل الصور والمعاني التي وردت في أبيات القصيدة، فأطلق العنان لخيال المتلقي كي يسبح في فضاءات النص بصورة الطريفة وأسلوبه الفكاهي الذي انقلب فجأةً سخريّةً لاذعة تعبر عن حجم الألم ومرارة الواقع.

لقد كانت أشعار رفيق الساخرة من الوضع السياسي، سبباً في التضييق عليه فغدت حياته محفوفةً بالخطر حتى اضطر إلى مغادرة البلاد<sup>(1)</sup>

إن أسلوب السخرية في الشعر أسلوبٌ إبداعيٌّ مبتكرٌ في المقام الأول؛ إذ إنه أسلوب يعتمد على الجدة والمغايرة ومخالفة التوقع فالشاعر عندما يصوغ قصيدة وفق أسلوب ساخر يطلق لخياله العنان في تصوير الأشياء والمواقف والأحداث، ويعبر عنها بأسلوب جديد غير مألوف فيعتمد تشبيهات جديدة ويربط بين مستعار ومستعارٍ منه غير مألوف، ويقلب صور الحياة وينقلها إلى فضاء هزلي تمتزج فيه المآسي بالمسرات، والعبث بالجد، فينسج نصاً هزلياً ومشهداً ساخراً لواقعة ما أو حدث معين يرتسم بدوره في ذاكرة المتلقي، يتنذر به ويكرره ببهجة وسرور مهما كانت مرارة مضمونه. وقد كان أحمد رفيق مبدعاً بارعاً في هذا النوع من الشعر، وبكل اقتدار.

(1) ينظر: شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، وما بعدها منشأة المعارف، ط1، 1977،



وسار الشاعر رجب الماجري على خطى رفيق فيما يتعلق بالقضايا الوطنية، ولا غرو فقد عاصر رفيق باكرة شعر الماجري واحتقى بها واتقفا في مواقفهما الصارمة تجاه الوطن؛ حيث لم يكن الماجري متساهلاً ولا مجاملاً فيما يتعلق بقضايا الوطن والمواطن، ونرصد في ديوانه العديد من القصائد التي تدل على شدة تمسكه بقضية الاستقلال ورفض التبعية، والتمسك بتعاليم الإسلام السمحة.

وكان أسلوب السخرية من الأساليب التي اعتمدها الماجري في التعبير عن مواقفه من بعض القضايا السياسية من ذلك قصيدة "سوق الضمائر"<sup>(1)</sup> التي سخر فيها من انتخابات البرلمان البرقاوي وتهكم فيها على بعض من اعتمد على شراء النعم والأصوات للوصول إلى كرسي البرلمان من جهة، وازدرى فيها ضعاف النفوس الذين باعوا أصواتهم بأبخس الأثمان من جهة أخرى. يقول الماجري في هذه المقطوعة:

سوق الضمائر وهي رائجةً      أثمانها هبطت لدينار  
 إن لم تكن كفوًّا فلا حرج      وضع الجنبه بكف سمسار  
 تربح من الأصوات ما عجزت      عن نيله أفعال أحرار  
 وإذا بلغت "الدست" محترماً      فاحكم فأنت البائع الشاري

فابتداءً من عنوان النص ومطلعه تتبدى فكرة الازدراء التي نتجت عن إضافة "سوق" إلى "الضمائر"، فيتبادر إلى ذهن المتلقي فكرة تهجم الشاعر على جماعة معينة متصفة

(1) رجب مفتاح. الماجري، في البدء كانت كلمة ديوان شعر. ط1. بنغازي: مجلس تنمية الإبداع الثقافي الليبي، 2005، ص: 56.

بصفاتٍ يمقتها الشاعر، ثم يؤكد الشاعر فكرة ازدياد شريحة معينة من المجتمع ويصفها بأنها شريحة واسعة في قوله "رائجة" وهذا الوصف يعود على السوق أي إن هذه السوق التي تباع فيها الذمم وتشتري رائجة وروادها كثر. ويزيد الشاعر في توضيح الفكرة التي تبناها في عجز البيت قائلاً:

### أثمانها هبطت لدينار

فهذه السوق عامرة ومزدهرة بروادها، ولكن كان من المفترض أن تكون السلع النفيسة باهظة الثمن ولا يقدر عليها سوى القلة من الميسورين، وزبائنها قلة؛ فالعكس هو الصحيح مع الضمائر والذمم والقيم والمبادئ فإنها -مع نفاستها وعلو قيمتها- أصبحت رخيصة حتى بيعت بأبخس الأثمان. -وهذا يعتبر من كفاءة النص الإعلامية لما في النص من مخالفته لمألوف المتلقي وتوقعاته- حيث يتبادر إلى ذهن المتلقي سؤال منطقي هو: لماذا؟ أو كيف كان ذلك؟ ومتى كان؟ فيأتي الجواب وتعليل السبب وبيان الكيفية في البيتين التاليين حيث قال الشاعر:

إن لم تكن كفوًّا فلا حرجٌ وضع الجنية بكفٍ سمسارٍ

تربح من "الأصوات" ما عجزت عن نيله أفعال أحرارٍ

فيظهر السبب الذي جعل الشاعر يشن هذا الهجوم، ويحيلنا إلى معركة انتخابية يتنافس فيها أناس ليس لهم هم سوى الوصول إلى الكرسي، والتمتع بامتيازاته، وهم بعيدون كل البعد عن الحس الوطني والمسؤولية الأخلاقية تجاه الوطن والناس التي يجب أن يتحلى بها المترشح لتولي زمام الأمر في قيادة الدولة وخدمة الناس. ويوغل الشاعر في تسفيه تلك الشريحة بقوله:

## إن لم تكن كفوًّا فلا حرج

فالمجال مفتوح للسفيه والحليم، الوطني والعميل، والانتهازي الذي يسعى لنيل امتيازات ومكاسب شخصية.

ويتجلى مدى ازدياد الشاعر للحدث موضوع القصيدة، المتمثل في اعتراض الشاعر على الرموز المترشحة وطريقتهم في الفوز بالمقاعد البرلمانية، فالأمر ميسور ولا يتطلب سوى:

## وضع الجنيه بكفِ سمسارٍ

فمسامرة الأصوات يستطيعون تحقيق حلم الطامعين في الوصول إلى سدة الحكم. ثم يقول الشاعر:

## تربح من "الأصوات" ما عجزت عن نيئه أفعال أحرارٍ

هذا البيت يوحي بمدى التردّي المجتمعي، وتفشي النفعية، إذ كان من باب أولى أن يحافظ الليبيون على ما حققه الأبطال في ساحات الجهاد والكفاح المسلح، والمكاسب السياسية التي حققها المناضلون من أجل قضايا الوطن، وأن يجعلها المجتمع الليبي آنذاك ثوابت لا يمكن المرهنة عليها ومقايضتها بالمصالح الذاتية والمكاسب الشخصية أو الجهوية، على حساب مصلحة الوطن. ثم يقول الماجري:

## وإذا بلغت "الدست" <sup>1</sup> محترماً فاحكم فأنت البائع الشاري

وهنا تتم الفكرة حيث يعرض الشاعر للنتيجة الحتمية التي ستؤدي إليها السمسرة في قضايا الوطن وشراء ذم الناس. فغاية هؤلاء الانتهازيين الذين يسعون للوصول إلى سدة الحكم

(<sup>1</sup>) الدَّسْتُ صدر المجلس ودسَّت الوزارة : منصبها

بشرايهم لدمم الناس التي أصبحت رخيصة، هي الوصول إلى "الدست" والمراد به هنا مجلس النواب الذي سيكون له العقد والحل في مصير البلاد وقضايا الوطن، فإذا كانت طريقتهم في الفوز بمقاعد البرلمان بالتلاعب وشراء الذمم فلا يُرجى منهم الخير لا للناس ولا للوطن.

لقد ارتبطت القصيدة بحدث سياسي مهم يستحضره الشاعر ويعرض موقفه منه، في مسعىً للتأثير على المتلقي وحثه على رفض الانجرار وراء بعض الطامعين في كراسي السلطة آنذاك، وإغراءاتهم المادية ووعودهم الكاذبة في سبيل الوصول إلى كراسي السلطة والنفوذ. واللافت للنظر أن القصيدة عبرت عن مرحلة من مراحل الحياة السياسية في ليبيا -نراها تتكرر من جديد بعد أكثر من سبعة عقود مضت- حيث يتحدث فيها الشاعر عن سرقت تضحيات الأبطال وانحراف مسيرة بناء الدولة الوليدة فيحضر في ذهننا الواقع الراهن الذي يسمح لنا بإسقاط هذه القصيدة التي كتبها الماجري ونشرت في صحيفة الوطن في مطلع يونيو 1950 - على وقتنا الراهن، مما يدل على عودتنا إلى المربع الأول من جديد.

وفي قصيدةٍ أخرى يوظف الماجري عنوان القصيدة للفت انتباه المتلقي إذ بنى العنوان وفق بنية ساخرة تخالف مألوف المتلقي حيث عنوانها بـ "أحلام قرد"<sup>(1)</sup> فما إن يقع بصر المتلقي على هذا العنوان يتأثر به؛ لأن إضافة الأحلام للقرد ليس من معهود

(1) ديوان الماجري، مصدر سابق، ص: 74.

المتلقي، لذلك ينتابه الفضول لكشف الغموض ومعرفة مضمون القصيدة. ثم يستدرج الشاعرُ متلقي النص من خلال افتتاحه القصيدة بأسلوب السرد القصصي الساخر قائلاً:

قِيلَ كان القرد بالأوهام صَباً مستهماً  
عشق الأحلام حتى حسب الدنيا مناماً  
فرأى أنه كالإنسان حسناً وغراماً

كان لافتتاح النص بالفعل المبني للمجهول قيمة فنية عالية، ثم حدثت الجِدّة وكان الإبداع في مخالفة توقعات المتلقي الذي لم يعهد أن للقرود أحلاماً وأمالاً تسعى لتحقيقها. ثم تنعزرت هذه الإعلامية بأسلوب السرد القصصي الذي لا يخلو من اللمحة الساخرة مما يحث المتلقي ويدعوه إلى تتبع المتواليات النصية فيتحقق بذلك التفاعل مع النص.

ويوظف الماجري أسلوب الكناية على طول القصيدة حيث لجأ إلى التلميح والرمز وما يحمل من طرافة وسخرية لتصوير آمال بعض الطامعين في التسلط على الناس والسيطرة على مقاليد الحكم. عندما كئى بالقرد عن بعض الطامعين في السيطرة على مقاليد الحكم. فنسج الشاعر النص وفق أسلوب يتسم بسخرية لاذعة وطفرة عجيبة قائلاً:

قِيلَ كان القرد بالأوهام صَباً مستهماً  
عشق الأحلام حتى حسب الدنيا مناماً  
فرأى أنه كالإنسان حساً وغراماً  
ورأى في "شكله" الفتان حسناً وانسجاماً  
ورأى في "شخصه" الجبار مقداماً هماماً

عرض الشاعر في هذه الأبيات مجموعة من الأسباب والمقدمات التي اعتمد فيها أسلوب تصويري ساخر يقوم على التعريض والتهكم وما فيه من طرافة. ثم يأتي بالنتيجة التي أفرزتها تلك المقدمات حين يقول:

فأتى جمع قروِدٍ واستوى فيهم إماماً

قال: يا قومي حباناً لله عقلاً ومقاماً

فعلام لا يسود القردُ في الدنيا علام

اجمعوا الشمل وشبوها حروباً وخصاماً

واقهروا الإنسان بالتهديد أو موتوا كراماً

وهذه المجموعة من المقدمات لا بد أن تقود إلى النتيجة التي جاءت في قوله:

فوضوني عنكمو، إني أريد الانتقاماً

إننا أمام مشهد درامي متكامل صور فيه الشاعر على سبيل الكناية والتعريض بشخص

ما؛ لا ندري على سبيل اليقين من هو! لكن يمكن للمتلقي أن يتعرف على بعض صفاته

التي ألمح إليها الشاعر في قوله:

"بالأوهام صباً مستهاماً"

يتبين لنا جموح الآمال التي جعلت صاحبها يقع في الأوهام. وفي قوله:

"ورأى في شكله الفتان"

نستشف أنه يعرض بشخصٍ معجب بنفسه حد الغرور. وفي قوله:

"ورأى في شخصه الجبار"

إشارة إلى قوة كان يمتلكها. وعندما قال عنه أنه "أتى جمع قروءٍ ندرك أن هذا الشخص كان له مناصروه ممن هم على شاكلته. بينما يوجي قوله:  
"فعلام لا يسود القردُ"

يظهر مدى ازدياء الشاعر من طموح هذا الشخص وجماعته، كما يوجي لنا الشاعر بهذا الاستفهام بحجم الوهم الذي يسعى إلى تحقيقه هؤلاء الناس الذين نعتهم بالقروء.  
وعندما قال الشاعر على لسان ذلك المغرور: "فؤوضوني عنكمو"؛ أكمل البيت  
ببيان العلة أو الغاية من طلب هذا التفويض قائلاً: "إني أريد الانتقاماً".  
ثم يبدأ الشاعر مقطعاً جديداً للقصيدة ليعبر عن المرحلة التي أعقبت هذا  
التفويض حين يصف ذلك الحدث:

فانتهى الجمع - كما شاء - وولوه الزماماً

ويعمن الشاعر في سخريته من أولئك القوم وقائدهم القرد، فيوظف أسلوب السرد والحوار  
في بناء القصيدة، قائلاً:

وأتى القرد ظباءً أحكمت فيه السهاما

قال: إني ملك الفتنة فعلاً لا كلاماً

ولقد فوضني قومي وأولوني الزماما

أوما تبصرن في شخصي البدرَ التماما

فتضحكن وقلن: الحسن في جلدك هاما

فخذ المرأة تبصر فتنةً تسبي الأناما

وبدا القرد على المرأة وجهاً وقواما

فرأى جمجمةً أبدت له القبح ابتساما  
 قال: هذا شبح الإنسان في المرأة ناما  
 قلن: بل أنت!! فألقاها شظايا تترامي  
 هذه قصة قرد عن هدى الحق تعامى  
 شاد أحلاماً على الأوهام فانهارت حطاماً

إن مظاهر الإبداع في هذا النص تكمن في ثلاثة أمور:

الأول: أسلوب السرد الذي يسهم في إغراء المتلقي بتتبع المتواليات النصية، وتحفزه إلى الوصول إلى نهاية القصة.

والثاني: هو الرمزية التي تتضمنها الكناية حيث اعتمدها الشاعر باختياره للقرد رمزاً يعبر به عن سلوك بعض الواهمين. فهذا الرمز يثير في ذهن المتلقي دلالات الازدراء والبغض؛ لأنه جمع بين الطرافة والسخرية والتنفير، فالمتلقي يستحضر من مخزون ذاكرته دلالات تحيله إلى القصص القرآني حيث أخبرنا الله تعالى في أكثر من موضع في القرآن أنه مسح بعض بني إسرائيل إلى قردة عقوبة لهم على معصيتهم لله تعالى. مثل قوله تعالى عزّ وجل: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾<sup>(1)</sup> ثم يربط المتلقي بين هذه الدلالات ودلالات الازدراء والسخرية التي اشتمل عليها نص القصيدة.

أما الثالث: فيتمثل في الدلالات المكثفة الموجزة التي يشتمل عليها أسلوب الكنايات، مما يتطلب من المتلقي ملء الفراغ النصي الذي يحدثه التلميح والرمز والإيجاز بالكناية. فتلك

(1) سورة الأعراف: 166.



الكنايات أحدثت فراغات في النص جعلت الفضاء النصي رحباً مفعماً بالدلالات والإيحاءات.

وللشاعر إبراهيم الهوني بعض القصائد السياسية التي اعتمد فيها أسلوب التهكم والمفارقة والسخرية عرض فيها بحماة الوطن وساستهم الذين أقسموا على رعاية مصالحه فاختار عنواناً لقصيدته حمل دلالات مكثفة هو "حديث مع كلب"<sup>(1)</sup> فهذه العتبة النصية تحمل دلالات عدة وتثير في ذهن المتلقي معاني تكاد تتناقض فيما بينها : كالسخرية التي توحى بها دلالة الكلب الذي يمثل رمزاً للشئام بين الناس، وكذلك الوفاء الذي يعرفه الناس عن هذا الحيوان الأليف،

رويدك حدثني أيا أيها الكلب فإني إلى استطلاع أحوالكم أصبو  
فهل أنتمو كالناس بين شعوبكم فروق فذا شرقي وذا جنسه الغرب  
وهل أنتموا كالآدميين غلظةً وهل عندكم بغضٌ وهل عندكم حبٌ

يقارن الشاعر في هذه الأبيات من خلال أسئلة مقصودة توحى بإحساس الشاعر الذي يتحدث عن لسان حال الليبيين وشعورهم بالتمييز العنصري في ظل سيادة المستعمر ويظهر ذلك في كلمات : شرقي/ غربي. كما يظهر جانب آخر من شعور الناس الذين تتجاذبهم عواطف: الجفاء/ الغلظة/ البغض/ الحب.

(1) ديوانه، جمعه وحققه: فريزة زرقون نصر، منشورات أكاديمية الفكر الجماهيري، ط1، 2008، ج2/ص: 36،

ثم بعد أن فرغ الشاعر من طرح الأسئلة جاوبه الكلب:  
فجاوبني الكلب الوديع صراحةً إليك حديثي صادقاً ما به كذبُ  
حياة كلاب الأرض غير حياتكم فلا حسدٌ فينا ولا بيننا حربُ  
أمينون لا نبغي احتقاراً لغيرنا لـمـالـكـنا منـا المـودـة والحب  
وغايتكم فيما عرفناه عنكم هي السلب والطغيان والحرب والنهبُ  
ومهما تسترتم فإن حياتكم نفاق وتدليس يبررها الكـذب  
إذا كان شخص سيء الخلق بينكم دنئٌ ومنحط يقال له كلبُ  
ونحن إذا كلب تدانى بخسةٍ نسميه إنساناً ويمقته الصحبُ

إن هذه المقارنة تحملُ أبعاداً دلالية كثيرة، إذ توحى أن الشاعر أراد بها توبيخ خصمٍ لم يستطع ذكره وبنى حديثه على استتطاق الكلب الذي عدد صفاتٍ عديدة يرى الشاعر أن مهجوه يفتقر إليه، ودلت عليها الكلمات: أمينون/ لا حسد/ لا حرب/ أمينون/ لا احتقار/ مودة/ حب. هذه كلها في عالم الكلاب.

أما عالم الآدميين الذي فضّل الشاعر أن يفسح المجال لكلبه أن يتحدث عنه، في محاولة منه لأن يكون محايداً، بغية الوصول إلى أقصى درجة من التأثير في المتلقي، حيث أطنب الكلب في تعداد مساوي هذا العالم، لم يكن تعداد تلك المساوي مبنياً على شكٍ من الكلب أو تخمين بل كان مبنياً على معرفةٍ تامةٍ ويقينٍ ثابت، وهو ما يوحي به قوله:

## وغايتكم فيما عرفناه عنكم

فقال عرفنا ولم يقل علمنا تأكيداً لما جاء بعد ذلك من نعوت وصفات أنها جاءت عن معرفة مستقرّة لا علمٍ قد يشوبه الشك؛ إذ إن المعرفة هي حصيلة واسعة من العلم، بما تنطوي على الخبرات الواسعة، والتجارب المتكررة، لذا اختار الشاعر التعبير بـ (عرفنا) دون (علمنا)<sup>(1)</sup>، ثم استرسل في تعدادها فكانت: السلب/ الطغيان/ الحرب/ النهب/ التستر/ النفاق/ التدليس/ الكذب.

قد يبدو هذا النص الشعري قريب الدلالات منغلقاً على معانٍ أحاديةٍ لكن المتأمل في فضائه يدرك مدى انفتاح النص على تأويلات عديدة فقد يقرأ على أنه نصّ يعالج قضايا إنسانية عامة كما يحتمل أن يكون استجابة لظواهر اجتماعية، وكذلك يمكن تصنيفه نصاً سياسياً ساخراً معبراً عن شعور الشاعر المرير بخيانة الوطن من قبل الراعي المحامي المدافع عن حياضه ممثلاً في الطبقة الحاكمة من السياسيين ورجال الدولة.

إن أساليب السخرية تتفاوت فيما بينها من حيث الوضوح والجلء، وكونها أساليب يغلب عليها جانب الإبداع والجدّة والتجدد، لذا فإن أغراض الشعراء فيها تتفاوت، "فأحياناً تكون واضحة لا لبس فيها ولا خفاء، بحيث لا يتعذر فهمها وتفسيرها ومعرفة

(1) . قال أبو هلال العسكري في كتابه الفروق اللغوية: "لفظ المعرفة يُفيد تمييز المَعْلُوم من غيره ولفظ العلم لا يُفيد ذلك..." (ص: 26)

المراد منها للقارئ والناقد على السواء، وأحياناً يشوبها الغموض ولا يدرك كنهها إلا ذوو الخبرة من النقاد<sup>(1)</sup>

ومن النصوص الشعرية التي قد لا تبدو ساخرة قصيدة الشاعر محمد الشلطامي المسماة "بطاقة"<sup>(2)</sup>، حيث يبدو وكأنها ليست إلا لحظة ضعف مر بها الشاعر وصورها لنا، لكن بتأمل النص تتجلى الحقيقة حيث تتعارض الأنا مع الجماعة، بسبب تعارض الواقع مع الوهم، يقول الشلطامي:

قل ما تشاء ....

واكتب بخط التاج ما نحت الشقاء

فينا، وقل متخاذلون،

جبنا، ماتت في عروقهم همم الرجال.

أنا قد هربت،

وتركت أهديتي ورأيي،

وتركت خلف الجسر صوت إذاعة الشرق القتيل.

قل ما تشاء أنا عميل

متخاذل، حافٍ، يجر وراءه عاراً جديداً.

قل ما تريد،

(1) أحمد محمد الجرم، اتجاهات نقد الشعر الليبي الحديث، ط1، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2010م. ص: 68.

(2) محمد الشلطامي ديوان تذاكر للحجيم، ط1، منشورات وزارة الثقافة، طرابلس، 2013، ص: 369.

## لكنما أنا لن أموت

أبدأ لتركب جثتي للنصر ... لا ... أنا لن أموت

لا شك أنه من الصعب تأويل النص إذا لم ندرك مكونات مقامه: مناسبته، وزمانه، ومكانه، وكذلك صاحبه ومتلقيه وغير ذلك من مقومات المقام؛ فمع أن لغة النص وأسلوب بنائه تضيئ لنا جانباً من النص وتوحي بازدياد الشلطي لمن يدعي الوطنية ويتشوق بمبادئها، بينما هم البقاء في سدة الحكم على جثت المغفلين.

لكن ذلك لا يكفي...، إذ بالامساك بمكونات المقام، تتجلى سخريّة الشاعر التي تستمد هزليتها من هزلية المشهد العربي في حادثة ما يزال أثرها على الأمة بادياً إلى يومنا هذا.

لقد أراد الشلطي أن يصور لنا واقع المغيبين عن الحقيقة، الغارقين في الأوهام، عندما كتب هذا النص المفعم بالألم والسخرية من الواقع السياسي، بمناسبة النصر المزعوم الذي فجأة تحوّل إلى هزيمة، هزيمة نكراء لحقت بالأمة العربية في 5 / 6 / 1967م ، أمام عدوها الأول إسرائيل، الهزيمة التي لحقت بالشعب دون زعمائه وقادته، وهذا أحد الجناحين اللذين صيّرنا هذه الهزيمة إلى نكسة.

إذ بعد إعلان عبد الناصر المفاجئ للهزيمة في خطابه المشهور في 6/9 / 1967. صعقت الجماهير المغيبة التي كانت تتحلّق حول المذاييع، وتتناقل أخبار النصر العربي في المربيع، وتتحرق شوقاً لسحق العدو، ولإعلان النصر، يحدوها في

ذلك حماسة الأناشيد، والحلم باستعادة الماضي المجيد، وكانت الأخبار العاجلة تبعث فيهم الأمل بالنصر المؤزر، فتفاجأت تلك الجموع بإعلان الهزيمة، حينها ظهر الشلطي من بينها بعد أن تخلص فجأة- من أوهامه التي أيقن أن ثمنها كان غالباً مع أنها كانت تباع للجملة، وبسرر الجملة، انتفض الشلطي واثباً مختاراً طريقه ولم يسمح حتى لحدائه بأن يعيقه.

لقد صور الشاعر نفسه فرداً من تلك الجموع التي شربت كؤوساً من هوى القومية، ملؤها الخطابات الرنانة والأناشيد الحماسية التي كان يسوقها الإعلام العربي خلال حرب الأيام الستة، لكن هذا الإعلام المخادع سكت فجأة أمام هول المصيبة العظيمة والهزيمة الساحقة، التي يستحيل التستر عليها. فتحطمت آمال الجماهير العربية في جيوشها الفتية، لكنها لسكرها لم تتحرر من عشقها الأحادي لقادتها وزعمائها آنذاك. بل لم تستطع أن تعي أنهم سبب الهزيمة، ولحسن حظ الشاعر أنه لم يكن قد غاب في سكرته كما غابت جموع من المخدوعين، فكفر بالزعماء ولم يكفر بالقضية<sup>(1)</sup>، فقال:

**وتركت خلف الجسر صوت إذاعة الشرق القتيل.**

وإذا عدنا إلى النص نلحظ أن الشاعر استعمل لفظ "قتيل" بدل "مقتول" للتشكيك في ماهية القاتل أولاً. ولأنه أبلغ كونها صيغة تدل على الثبوت لا الحدث. أي أنها تدل

(1) عُرف عن الشلطي انتماؤه لتيار القوميون العرب وقد اعتقل بسببه سنة 1967، إذ كان من بين الأسماء التي رصدتها دفاتر المخبرين، لكن في أشعاره ما يدل على أنه لكفر بزعماء القومية آنذاك.

على أن هذا الموت أصبح صفةً ثابتةً لن تزول. وهذا من الفروق الدقيقة بين الأبنية في العربية<sup>(1)</sup>، كما أنه يدل على براعة الشلطي وتمكّنه اللغوي.

لقد كتب الشلطي هذه الأبيات في ذات اليوم الذي اعترف فيه جمال عبد الناصر بالهزيمة، ومع أن أمين القومية قد اعترف بدوره الرئيس في الهزيمة؛ وأنه يستحي أن يستمر يوماً في الرئاسة، إلا أن الجموع الحزينة تضاعفت، وبدلاً من أن تهتف برفض الهزيمة، هتفت برفض تحي المسؤول عن الهزيمة، وحينها تضاعفت الهزيمة لتصبح هزيمتين هما جناحي النكسة التي مازالت ترفرف في سماء العرب.

وإذا عدنا إلى عنونة الشلطي لهذه القصيدة بعنوان "البطاقة" فإن هذا العنوان يوحى بداليتين-على الأقل:-

**الأولى:** تكمن في أنه قد يكون قصد به أنه أُلّف بطاقة انتمائه لتيار القوميّين العرب. فلم يكن لشاعرنا إلا أن يفيق من الأوهام، فأخرج هذه البطاقة، وتخلص منها، مثلها مثل حدائه الذي كان يمثل عباً يعيقه أثناء الهرب.

أما الدلالة الأخرى لهذا العنوان يمكن أن تُحمل على أن هذه البطاقة بطاقة حمراء في وجه عبدالناصر زعيم تيار القوميّين وسبب الهزيمة الأول، ولعل هذه الدلالة هي الأرجح لأن الشاعر ختم النص قائلاً:

(1) ينظر مثلاً: فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ط2، دار عمار، 2007، ص: 53.

لكنما أنا لن أموت

أبدأ لتركب جثتي للنصر ... لا ... أنا لن أموت

فالتعليل في قوله "لتركب" دل على أن الشاعر أيقن باستمرار النقتيل من أجل نصرٍ وهميٍّ، تحت شعارٍ قوميٍّ. وهذا ما يفسر المعاني الانهزامية في قوله: **جبناء/ متخاذلون/ ماتت في عروقهم هم الرجال/ عميل/ متخاذل.**

وفي المقابل: نلحظ يقينية الموقف، وعدم التراجع في القرار: **قل ما تشاء/ قل ما تريد.**

وصوت "الأنا" والإرادة فاخترار أسلوب مواجهة الموت وطريقته في قوله: **لكنما أنا/ لن أموت/ أبدأ/ لتركب جثتي/ لا/ لن أموت.**

فعبر عن رفضه للموت هدرًا، وفق طريقته من أجل أمجاد مزيفة، يخفيها ضباب الإعلام المخادع، والشعارات العاطفية الواهمة، التي لا تستطيع الصمود أمام أول شعاعٍ من أشعة الحقيقة، بقدر ما كرر الشلطامي من معاني الانهزام وصوره إلا أنها لم يثبتها لنفسه، لأنه أجراها على لسان السياسي المبجل الذي عرض به وسخر منه في قوله:

قل ما تشاء

واكتب بخط التاج ما نحت الشقاء



لأن الملكية المصرية كانت تعتمد الخط التاجي في كتاباتها، وبذلك يحينا الشاعر إلى دالتين:

**الأولى:** مصر عادت مملكة من جديد، وملكها عبد الناصر ولن يزيحه عنها إلا الموت، أما ادعاؤه التحي فهو فصل جديد من فصول المسرحية الهزلية.

**أما الدلالة الثانية:** فتوحي بها صيغة الفعل "قل" إذ أراد بها التعبير على الصوت الواحد والرأي الواحد الذي يتصف بها النظام السياسي الشمولي المحتكر للسلطة والمتفرد بالقرار. وقد مثله آنذاك عبد الناصر ومن حوله من السياسيين العرب، وجوقة إعلامهم القومي الذين تاجر بقضية فلسطين دهنراً دون أن يحرروا منها حجراً.

وقال الشلطامي في مقطوعة أخرى تدور في هذا الفلك، فلك من ادعوا الملكية أكثر من الملك:

رأيته موثق اليدين والأقدام<sup>(1)</sup>  
يرجمه أحبابه في ساحة الإعدام  
يذبحه الخطيب في جوامع المدينة  
وكانت عيناه في سبيلنا حزينة  
يقتلني جحود هذا العالم المخمور

(1) محمد الشلطامي، ديوان تذاكر للجحيم، ص:349.

عقيمة كالتلج كالظلام كالصخور  
 سنين هذا العصر يا رفيقنا المغدور  
 صلوا معي يا أصدقاء اليتم والطفولة  
 صلوا معي في معهد الأحران، فالفضيلة  
 ضاجعها واعظنا الخطيب ذات ليلة  
 وكانت الأصفاد حول جيدها ثقيلة

هذه الصور التي تشكل ملامح المشهد وتترج من النهاية على حبل المشنقة لتبدأ من جديد من ذات الحبل وذات المشنقة، مشهدٌ يسخر فيه الساخر من نفسه: فالشانقون هم/ وسبب الشنق هم/ عيناه حزينتان عليهم/ المخمورون هم/ حتى الخطيب منهم/ والجوامع لهم، ثم يعتذر الشاعر لصديقه المشنوق، ويدعو له بكل صدق وإخلاص، لأن الباعث هو الشفقة: على يتمهم هم/ وعلى طفولتهم هم/ وعلى فضيلتهم هم/ فالمشنقة لا تعرف الشفقة كما لا يعرفها ذاك الخطيب الذي لا يجيد إلا لغة القهر والتعسف، ويملك قيوداً وأصفاداً تكفي لكل الأيدي والأقدام وحتى الجيد يملك له قيوداً ناعماً يناسب رقة فضيلته المستباحة.

إن هذا الكم الهائل من القيود والأصفاد والأطواق تجعلك تتمنى ألا تكون معلقاً تتأرجح قدمك بين قلوب باردة كالتلج، ومشاعر ميتة كالصخر، ففي عهد الظلام لا ينفع لا البصر ولا البصيرة، لأنه عهد يصنع عالماً يفيض بالجحود والغدر، ويلزم للنجاة من سطوته أن تعيش في أوهامه، وتبسط أسارىك في وجه ظلامه.

## الخاتمة

إن السخرية مظهر من مظاهر الرفض. وهي في حقيقتها نقد لاذع يهدف إلى تغيير حالة ما أو رفض فكرة أو التشكيك في حقيقة أو تعديل موقف سياسي أو اجتماعي. وغالباً ما يؤثر أسلوب السخرية تأثيراً بالغاً في المتلقي لأنه يعتمد على الجدة في عرض الفكرة أو المغايرة في بيان تفاصيل الحدث محل السخرية والتهكم. فهي مع ما تنطوي عليه من شعورٍ باليأس أو المرارة والمعاناة وخيبة الأمل، تبقى نوعاً من الفكاهة المثيرة للضحك، ومع هذا فإن الفرق بين الأدب الفكاهي والأدب الساخر يكمن في الغاية من كل أحدٍ منهما؛ إذ إن الغاية التي يسعى إليها الأدب الفكاهي هي الترويح عن النفس والترفيه عنها بشيء من الهزل والدعابة، أما غايات الأدب الساخر فهي تتراوح بين الرفض والنقد والاستهزاء؛ لذا فالسخرية أقرب ما تكون هجاءً لا فكاهةً. ولكون الأدب الساخر غالباً ما يتضمن معانٍ سلبيةٍ لذا فإن علاقته بالهجاء هي علاقة الخاص بالعام، فالهجاء مصطلح عام والسخرية تنطوي تحته وتعد أرقى أساليبه، وأعظمها في النيل من الخصوم والتأثير في عامة المتلقين. ولقد مثلت السخرية في الشعر الليبي أسلوباً إبداعياً نرصده في دواوين عدد لا بأس به من شعراء ليبيا، وامتاز هذا الأسلوب عند أغلبهم باقترانه بنقد الأوضاع السياسية، ورفض المظاهر السلبية في المجتمع، كما امتاز هذا الأسلوب عند كثير من الشعراء بالترفع عن الشتم، والسباب والفحش، مما أسهم في انتشار هذه النصوص الساخرة وعزز من ذبوعها في أوساط المجتمع الليبي.

## النتائج

خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج من أبرزها:

- أ. ارتبط أسلوب السخرية في الشعر الليبي بالقضايا السياسية والاجتماعية.
- ب. غلب على القصائد الساخرة الجمع بين الأسلوب الساخر والأسلوب القصصي أو الحواري.
- ج. يعد أحمد رفيق المهدي ومن بعده رجب الماجري من أغزر الشعراء الليبيين نتاجاً فيما يخص الشعر السياسي الساخر
- د. إن القضايا السياسية كانت في مقدمة القضايا التي عالجه العديد من الشعراء الليبيين بأسلوبٍ ساخر، ثم يليها القضايا الاجتماعية، ومن بعدهما الدينية والفكرية، وهذا ما دلت عليه القصائد الواردة في دواوين كل من: رفيق والماجري والهوني، والشلطامي.

#### التوصيات:

- يوصي الباحثان بمزيد من الدراسات حول ظاهرة السخرية في الشعر الليبي، إذ إنها لم تحظ بنصيبها من الدراسة والتمحيص والتدقيق. ويقترحان دراستها من عدة زوايا:
- أ. من زاوية: الشعراء (الساخرون)
  - ب. ومن زاوية: القضايا (محل السخرية).
  - ج. ومن زاوية: الأسلوب الساخر وبواعثه ودلالاته.

## المراجع

1. إبراهيم المازني، حصاد الهشيم، مطبعة الشعب، د/ت .
2. إبراهيم الهوني، ديوان شعر، جمعه وحققه: قريرة زرقون نصر، ط1، منشورات أكاديمية الفكر الجماهيري، 2008م
3. إبراهيم بن ناصف التيازي، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، مطبعة المعارف، مصر، 1905 م.
4. أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت 392هـ) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي د/ت.
5. أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري (ت 538هـ) أساس البلاغة تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1998 م.
6. أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي الأزهري، ، (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.
7. أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ط3، دار الآفاق، بيروت، 1979م

8. أحمد محمد الجرم، اتجاهات نقد الشعر الليبي الحديث، ط1، منشورات جامعة  
7 أكتوبر، 2010م
9. أحمد رفيق، ديوان شعر: الفترتان الأولى والثانية، ط1، المطبعة الأهلية. بنغازي  
1971.
10. أحمد رفيق، ديوان شعر: الفترتان الرابعة والخامسة، إعداد لجنة الرفيقيات،  
المطبعة الأهلية، بنغازي.
11. أحمد مطر، لافتات 2، ط2، لندن ، 2001م.
12. الأقيشر الأسدي، ديوان شعر: جمعه وحققه وشرحه، د. خليل الدويهي، ط1،  
دار الكتاب العربي، 1991م
13. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
14. حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
مصر، 1983م.
15. الحبيب شيبوب، الفكاهة في الأدب التونسي الحديث، مجلة الهلال، مصر،  
ع8، أغسطس، 1974م.

16. الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين اليوسي، (ت: 1102هـ)، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: محمد حجي. ومحمد الأخضر، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب. 1981 م.
17. رجب مفتاح. الماجري، في البدء كانت كلمة ديوان شعر. ط1. بنغازي: مجلس تنمية الإبداع الثقافي الليبي، 2005م.
18. زكريا إبراهيم، **سيكولوجية الفكاهة والضحك**، مكتبة مصر، د/ت.
19. شوقي ضيف، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط8، دار المعارف، القاهرة 1987م.
20. شوقي ضيف، **الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور**، ط1، منشأة المعارف، 1977م.
21. طه الحاجري، **رفيق في مراحل حياته الأولى (1898 / 1925)**، مهرجان رفيق، إعداد محمد دغيم، ط1، منشورات جامعة قاربيونس، 1993م.
22. عبد العزيز شرف، **الأدب الفكاهي**، ط1، مكتبة لندن، 1992م.
23. عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق: د. مفيد قميحة ومحمد أمين ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م

24. على أحمد سعيد، أدونيس : مقدمة للشعر العربي ، ط3، دار العودة، بيروت، 1979.

25. فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ط2، دار عمار، 2007

26. فتحي محمد معوض ابو عيسى، الفكاهاة في الأدب العربي إلى نهاية القرن

الثالث الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970م.

27. مجدي وهبة، وكمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،

ط2. بيروت، مكتبة لبنان. 1984.

28. محمد الشلطامي ديوان تذاكر للجحيم، ط1، منشورات وزارة الثقافة، طرابلس،

2013.

29. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الرّبّيدي (ت 1205 هـ)، تاج العروس،

تحقيق: علي شيري، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1424 هـ.

30. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي

(ت 711هـ) ، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير آخرون، دار

المعارف، القاهرة .

31. محمد حسين، الهجاء والهجائون في الجاهلية، مكتبة الأاداب، 1947م

32. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط1، دار الكتب العلمية، 2000.



33. منتصر الغضنفرى، زهراء حمادى، الفكاهة والسخرية في شعر أبى دلامة،  
مجلة كلية التربية، جامعة بابل ع: 13 أيلول، 2013م.
34. هنري برجسون، الضحك، ترجمة: سامى الدروبي وعبدالله الدايم، ط1، دار  
اليقظة العربية، دمشق، 1964م،
35. يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمري، شرح ديوان زهير بن أبى سلمى،  
ط1، المطبعة الحميدية، مصر، 1323 هـ.

المنسوجات والأبسطة في العصر الصفوي" دراسة فنية نموذجية "

إعداد: د. جمال أحمد الموير

### ملخص:

لعبت المنسوجات والسجاد الإيراني في العهد الصفوي دورا كبيرا في انتشار المنسوجات والسجاد الإسلامي في أنحاء كثيرة من العالم، حيث إنها تميزت بالجودة العالية في الصناعة والزخرفة، وهذا يدل على مهارة الفنان المسلم في فن المنسوجات والسجاد، بالرغم من تأثيره بالزخارف الصينية، إلا أن النسيج والسجاد الإيراني الصفوي كان له طابعاً مميزاً. ولا شك أن فن النسيج أول الفنون لها، وتنتج أصلاً من الحاجة لحماية الجسم البشري من التقلبات الجوية، وقد تطور هذا الفن من الناحيتين الفنية والصناعية سوياً تبعاً لرقى وتقدم المجتمع؛ لأنه يعتبر من أهم مظاهر التمدن، ولا بد من الرد على آراء المستشرقين الذين ينسبون بعض السجاد الفاخر إلي أوروبا وخاصة بولندا فيجب علي علماء الآثار كتابة الحقائق والرد علي المستشرقين الذين ينسبون ما تحوي أنفسهم إلي أعمالهم.

## المقدمة:

لقد وجدت صناعة النسيج والسجاد منذ العصور السابقة للإسلام وخاصة في البلاد التي شهدت حضارات عريقة ومزدهرة كبلاد النيل وبلاد الرافدين. ويدخل الدين الإسلامي عن طريق الفتوحات لهذه البلاد استفاد المسلمون من هذه الصناعة وحوروا أساليبها مما يتناسب مع تعاليم الدين الإسلامي بذلك ظهرت منسوجات إسلامية الطابع، حيث تفنن المسلمون في صناعتها وزخرفتها على مر العصور الإسلامية، التي أنتجت أنواعاً غاية في الروعة والإبداع الصناعي والزخرفي، ومنها النسيج الذي يحمل صوراً مطرزة بألوان متعددة، من الحرير والكتان والقماش المطرز بخيوط من الفضة والذهب، والعض مطبوع. وهذه الأنواع من النسيج لها زخارف تتكون من جامات صغيرة وكبيرة تحتوي على رسوم لحيوانات وطيورا، أو مناظر صيد تمثل حيوانات وطيوراً في رسوم متداخلة ومتشابكة، أو تصاميم هندسية، مثل المعينات والأشكال السداسية، بها رسوم أدمية أو أزهار وورود، وأحياناً تكون مصحوبة بأشرطة بها كتابة كوفية أو نسخية، التي هي جزء من الزخرفة، والتي تذكر فيها اسم المدينة، التي صنع فيها النسيج، واسم الخليفة أو السلطان الذي

نسجت في عهده. ومن الواضح أن صناعة النسيج، في الفترة الإسلامية المبكرة، قد نفذت بنفس الأساليب التي كانت متبعة في صناعة النسيج الساساني في بلاد الرافدين وفارس، والقبطي في مصر. ثم تطورت صناعة النسيج الإسلامي، فأدخل صناع النسيج طرقاً وأساليب صناعية جديدة، ميزت النسيج الإسلامي، وأعطته شخصيته المميزة، باستخدامه لرسوم ونماذج زخرفية، التي أصبحت من سمات النسيج الإسلامي.

ونلاحظ أن أبرز هذه المنسوجات ما ظهر في إيران في العهد الصفوي، ويعتبر هذا العهد من أزهى العصور الإسلامية في هذه الصناعة، خاصة أن بعض المدن الإيرانية كانت تدفع عدداً من منسوجاتها النفيسة ترسله كضريبة إلى بلاد الخليفة.

**مشكلة الدراسة:** يعد موضوع المنسوجات في العصر الصفوي جديراً بالدراسة والبحث لأنه لم ينل حقه منهما.

**أهداف الدراسة:** تهدف الدراسة إجمالاً إلى التعرف على المنسوجات عبر العصور الإسلامية بصفة عامة، وفي العصر الصفوي بصفة خاصة ويمكن تلخيص أهداف

الدراسة في التعرف على صناعة السجاد في العصر الصفوي من الناحية الصناعية والزخرفية.

**أهمية الدراسة :** تعد المنسوجات الصفوية من أهم المنسوجات الموجودة في العالم من حيث الصناعة وكذلك ما تحتويه من الزخارف كما أنها تعكس الوجه الحضاري للحضارة الاسلامية، وكذلك تسهم في فتح المجال لدراسة المنسوجات الاسلامية بشكل عام والمنسوجات في العصر الصفوي بصفة خاصة.

**المنسوجات والأبسطة في العصر الصفوي:** قد ظلت صناعة النسيج في إيران في القرون الأولى بعد الإسلام شأنها شأن الفنون الأخرى، متأثرة بالطراز الساساني في استخدام الزخرفة بحبيبات اللؤلؤ أو الأشرطة ووريقات الشجر والخطوط المتشابكة والمتقاطعة، وفي استخدام الدوائر المتماسة والمتداخلة، والمناطق المختلفة الأشكال (الجامات) تضم كل منها بعض مناظر الصيد أو رسوم الحيوانات أو الطيور الخرافي منا

والطبيعي، ولم يزد عليها في العصور الإسلامية سوى الأشرطة الكتابية الكوفية<sup>(1)</sup> وفي العصر الصفوي وصلت صناعة النسيج والسجاد ذروتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي في إيران إبان العهد الصفوي، ووصل النساجون إلى فن زخرفي لم يعرف في العصور السابقة، وأقبلوا على الزخرفة النباتية من فروع نباتية ومناظر الحدائق والطيور والحيوانات والأشكال الآدمية<sup>(2)</sup> وقد استخدم في صناعة النسيج نوعين من الخامات أو المواد الخام وهما خامات طبيعية وخامات صناعية، وتتقسم الخامات الطبيعية إلى ثلاثة أقسام<sup>(3)</sup>: **القسم الأول:** خامات نباتية ومصدرها النبات كالكطن والكتان.

**القسم الثاني:** خامات حيوانية ومصدرها الحيوان مثل الصوف والحرير.

(1) علي أحمد الطايش، **الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة**، ط2، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2003م، ص106.

(2) أبو صالح الألفي، **الفن الإسلامي**، دار المعارف، لبنان، 1984م، ص292.

(3) رأفت محمد النبراوي، **الآثار الإسلامية العمارة الفنون والنقود**، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة، 2006م، ص341.

القسم الثالث: خامات معدنية ومصدرها المعادن كالذهب والفضة أما الخامات الصناعية فهي عبارة عن ألياف صناعية.

وقد تعددت أنواع المنسوجات فظهرت المنسوجات الحريرية سادة ومتعددة الألوان، إلي منسوجات حريرية مزينة بخطوط الذهب والفضة، واستخدمت هذه المنسوجات في صناعة الملابس والستائر والحشيات وُطنت بها الخيام<sup>(1)</sup>.

وفي القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي طرأت تغيرات جديدة في زخرفة الأزهار بالأسلوب الطبيعي، وإلى جانب زخرفة التوريق استلهمت بعض الموضوعات القصصية لزخرفة النسيج مثل قتل الأسكندر للتتين وأيضا زيارة ليلي للمجنون<sup>(2)</sup> ومن هذه المنسوجات المصورة والتي تنسب صناعتها إلي مدينة يزد قطعة حرير من ا مضاء النساج غياث، وتظهر بها زخارف من قصة ليلي والمجنون، وهناك

(1) نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، دار المعارف، ط2، دار المعارف، 1977م، ص316.

(2) أرنست كونل، الفن الإسلامي، ترجمة: أحمد موسى، بيروت، 1966م، ص147.

قطعة حريرية مؤشاه متعددة الألوان ومزخرفة بوحدة متكررة لفارس بجانب شجرة يقود أسيراً ربما يكون من الأزيك أو التركمان، وأرضية القطعة حمراء اللون، بلاضافة لهذه القطع برع الصقويون في نسيج المخمل، وأشهر مدن إنتاجه يزد وكرمان<sup>(1)</sup> أما صناعة السجاد في هذا العصر ازدهرت بشكل كبير في القرن السادس عشر، وتنوعت زخارف هذه السجاجيد بشكل كبير بفضل تشجيع الشاه اسماعيل، حيث تعددت مراكز الإنتاج في تبريز وقاشان وهراه وهمدان<sup>(2)</sup>.

واستبدلت الوحدات الهندسية التي ظهرت في العصر المغولي والتموري بزخارف ذات عناصر آدمية ونباتية، تتكون من براعم وتفرعات مزهرة ومراوح نخيلية متشابكة مع أشرطة من سحب الفن الصيني<sup>(3)</sup>.

(1) علام، المرجع السابق، ص318.

(2) ديمانند م.س، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى، دار المعارف، مصر، ص268.

(3) علام، المرجع السابق، ص318.



ومن هذه الزخارف نجده علي أساس الزخرفة فيه جامعة كبيرة في الوسط والأركان علي أرضية غنية بزخارف الزهور والنباتات، ومنها سجاجيد تغلب عليها الرسوم الحيوانية في أوضاع مختلفة وفي حركات انقضاضية، والأرضية مزخرفة بالنباتات وظهور الفرسان في الصيد<sup>(1)</sup> وكانت هذه الجامعة الوسطي ذات أشكال متنوعة، أما مستديرة أو بيضاوية مسننة أو نجمية الشكل، وقد تتصل بهذه الجامعة من أعلى أو أسفل دلايات علي شكل إناء، ويوجد في أركان السجادة ربع جامعة كبيرة، بالإضافة إلى المساحة من السجادة يكتب بها تاريخ صناعتها، وهناك نوع من السجاجيد تكون جاماته الوسطى متوسطة وبها رسوم نباتية مزهرة وأشكال آدمية وحيوانية، وينسب هذا النوع من السجاجيد إلي مدينة هراه في القرن السادس عشر الميلادي<sup>(2)</sup>.

ومن هذا النوع هناك سجادة يتوسطها جامعة كبيرة مزخرفة برسوم آدمية وحيوانية وأزهار، وتشغل أرضية السجاد القائمة رسوم متقابلة منفردة أو مزدوجة، ويحتوي الإطار

(1) الألفي، المرجع السابق، ص294.

(2) علام، المرجع السابق، ص320.

الأحمر على جامات بها رسوم فهود تطارد غزلاناً، كما تزخرف بقية أرضية الإطار وحدات لحيوان التتین<sup>(1)</sup> ويظهر التأثير الصيني في زخرفة السجاد الإيراني حيث تظهر عناصر صينية من وحدات نباتية وبطاط صينية طائرة وتقرينات مزهرة وحيوانات طبيعية، على أرضية السجاد الذي تنسب صناعته إلي تبريز في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، وفيه الأبسط ذات الجامات المتعددة حيث تستبدل الجامة الكبيرة في الوسط مجموعة من الجامات الصغيرة وتتكون كل مجموعة من جامة صغيرة تحيط بها تسع جامات أصغر حجماً، ويتكرر ذلك في أرضية السجاد، وتظهر في زخارف بعض الجامات العناصر الصينية<sup>(2)</sup>.

ومن التأثيرات الصينية أيضاً ظهور أشرطة من السحب الصينية، وزهرة اللوتس، ومحاكاة الطبيعية، ورشاقة الرسم وبهجة الألوان، حيث ظهر في سجاد هذا العهد جامات ذات حيوانات، والأرضية المحيطة تحوي الزخارف النباتية أنواع من الأشجار تتخللها

(1) المرجع نفسه، ص320.

(2) جودي، تاريخ الفن الإسلامي، دار المسيرة، عمان، 1998م، ص160.

وحدات حيوانية منقولة عن الطبيعة، وأنتجت مدينة تبريز مثل هذا النوع من السجاد حيث تظهر الأشجار كعنصر رئيسي في الزخارف، وتحوي الجامات الوسطى رسوم طيور، ويظهر بالإطار الداكن الذي يحيط بالسجادة مراوح نخيلية وزخارف من الأرابسك والطيور<sup>(1)</sup> ووجد نوع من السجاجيد الإيرانية في العصر الصفوي لم يحتو علي جامات، بل احتوت على وحدات زخرفيه موزعة حول مركز السجادة، واستخدمت فيها اللون الأحمر والأزرق في تلوين الأرضية، أما ألوان الأزهار فيها فهي ذات ألوان براقه، ونُسب هذا النوع من السجاد إلي أصفهان<sup>(2)</sup> ومن ضمن السجاجيد الإيرانية السجاد الحريري، ومن أشهرها سجادة بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن، وتزخرف هذه السجادة وحدات حيوانية، ولقد استخدمت فيها الحريري المتعدد الألوان وخيوط الذهب والفضة، واحتوت هذه السجادة علي زخارف لأدميين مجنحين في أطرافها، ويعتقد أن رسومها مستوحاة من رسم المخطوطات التي اشتهرت في هذا العصر، واختلفت مصادر هذا السجاد فيعتقد أنه من

(1) سعد عبد الحميد زغلول، العمارة في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1986م، ص540.

(2) علام، المرجع السابق، ص324.

مدينة قاشان أو تبريز أو قزوین<sup>(1)</sup>ومن المؤثرات التي دخلت علي هذا النوع من السجاد الإيراني، هي المؤثرات الأوروبية، حيث ظهرت الرنوك البولندية علي مثل هذه السجاجيد تنسب صناعتها إلي بولندا خطأً، بينما تم صناعتها في مدينة أصفهان أو قاشان، وربما قدمت كهدايا إلي هؤلاء الحكام<sup>(2)</sup>.

### الخاتمة:

صناعة السجاد من الصناعات الفنية الممتعة، فصناعته لها ماض معروف، فكما أن فن العمارة يمكن أن يوصف بأنه تاريخ مكتوب على الأحجار، ففي السجاد مدون على الصوف، وازدهرت صناعة النسيج في العصر الإسلامي في كل الأقطار الإسلامية التي أنتجت أنواعاً غاية في الروعة والإبداع الصناعي والزخرفي، ومما سبق يتضح لنا أن صناعة السجاد قد ازدهرت في العالم الإسلامي وخاصة في العصر الصفوي الذي امتاز عن غيره من العصور في تقنية صناعة السجاد وزخرفته حيث شمل جميع أنواع الزخرفة،

(<sup>1</sup>) علام، المرجع السابق، ص 324.

(<sup>2</sup>) زغلول، المرجع السابق، ص 541.

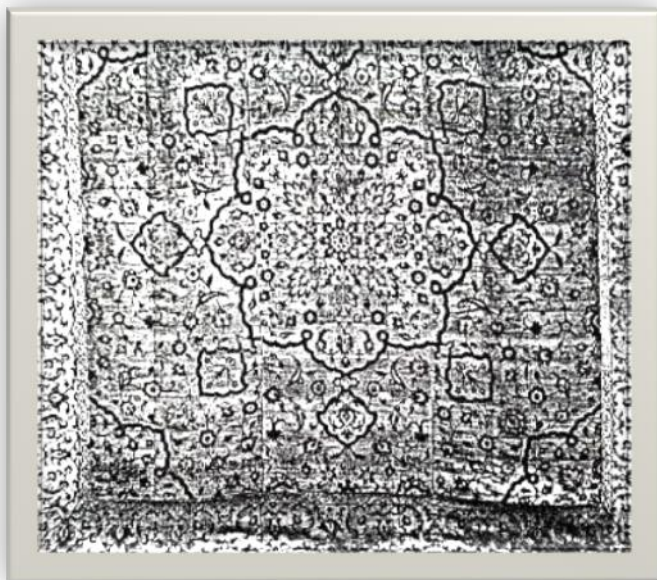
حيث أستخدم في زخرفته حبيبات اللؤلؤ ووريدات الشجر والخطوط المتشابكة، وكذلك الأشكال المتمثلة في الجامات تضم كل منها بعض مناظر الصيد ورسوم الحيوانات، ووصل الفن الزخرفي على السجاد نروته لم يعرف في العصور السابقة، وخير دليل على تميز السجاد الصفوي هو وجوده في المتاحف العالمية.

### ملحق اللوحات



لوحة (1) بساط حريري مزين بزخارف منسوجة، من إيران في العصر الصفوي

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 427.



لوحة (2) سجادة من القطيفة ( جزء مفصل)، من إيران في العصر الصفوي

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 416.



لوحة (3) سجادة من القطيفة من إيران في العصر الصفوي. إيران في العصر الصفوي. مناطق "جزء مفصل" من  
 عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 416. عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 421.





إيران لوحة (5) بساط حريري ذو رسوم حيوانية في العصر الصفوي.  
 لوحة (6) بساط ذو جامه من إيران في العصر الصفوي.

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 425. عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 420.

لوحة (7) ساجدة من العصر الصفوي  
 لوحة (8) بساط ذو



عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 421. إيران العصر الصفوي. رسوم حيوانية

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 422



637



لوحة (9) بساط ذو جامه من إيران في العصر الصفوي لوحة (10) بساط من الحرير جزء مفصل،  
من عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 422. إيران في العصر الصفوي.

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 425.



لوحة (11) جزء مفصل من بساط من إيران في العصر الصفوي. من إيران في العصر الصفوي.

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 427.

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 426.



لوحة (13) جزء مفصل من بساط من إيران بولنده في العصر الصفوي. من إيران في العصر الصفوي.

لوحة (14) بساط حريري من النوع المنسوب إلى

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 426.

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 427.



لوحة (15) جزء مفصل من بساط ذي رسوم لوحة (16) قطعة من قماش الحرير  
الموشى من إيران

على صورة زهريات العصر الصفوي.

في العصر الصفوي.

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 426

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 416.



لوحة (17) قطعة من قماش القطيفة من إيران في  
من إيران في العصر الصفوي.

لوحة (18) وشاح من الشاش جزء مفصل  
العصر الصفوي.

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 415.

عن: ديماندا، الفنون الإسلامية، 416.

### قائمة المصادر و المراجع:

1- أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، دار المعارف، لبنان، 1984م.

- 2- أرنست كونل، الفن الإسلامي، ترجمة: أحمد موسى، بيروت، 1966م.
- 3- جودي، تاريخ الفن الإسلامي، دار المسيرة، عمان، 1998م.
- 4- ديماندر م.س، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى، دار المعارف، مصر، ب-ت.
- 5- رأفت محمد النبراوي، الآثار الإسلامية العمارة الفنون والنقود، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة، 2006م.
- 6- سعد عبد الحميد زغلول، العمارة في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1986م.
- 7- علي أحمد الطائش، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، ط2، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2003م.
- 8- نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، دار المعارف، ط2، دار 7- المعارف، 1977م.

## الإنتاج الأكاديمي لدى أعضاء هيئة التدريس الجامعي

( دراسة ميدانية على أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب . الجامعة الأسمرية  
الإسلامية)

إعداد د. محمود أحمد الكبير - د. عبد المنعم محمد الغويل

## المقدمة :

يؤدي التعليم الجامعي دوراً محورياً في بناء المجتمعات ، إذ يعد هذا المستوى التعليمي الآلية الرئيسة التي تعمل على تنمية وتأهيل القوى البشرية حتى تصبح قادرة على تحمل أعباء التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، كما أنه يتولى نقل المعرفة الحديثة إلى المجتمع في مختلف التخصصات وهي المعرفة التي يمكن أن تشكل أساساً لتطوير التكنولوجيا اللازمة للتنمية الاجتماعية ، وتطوير المجتمع ، إضافة إلى أن هذا المستوى التعليمي يساعد من خلال الجامعات والمراكز البحثية على تجديد نموذج التنمية التي ينبغي أن يتطور المجتمع من خلالها<sup>(1)</sup> .

فقد أدت التغيرات التعليمية ، والمهنية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، إلى تحسين جودة الأداء وزيادة فاعليته في مؤسسات التعليم العالي ، وتكون ضرورة ملحة لمساعدة أعضاء هيئة التدريس والطلاب والعاملين كمنظومة بشرية تعليمية وتنميتها

(1) علي ليلة ، التعليم الجامعي والحراك الاجتماعي ، القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، 2009 ، ص45 .



للتكيف مع البيئة الجامعية والتغلب على المشكلات والصعوبات التي يواجهها التعليم الجامعي وتسهم بدور كبير في تنمية مهارات الطلاب التي تعينهم في القيام بدورهم في المجتمع .  
وتعتبر الجامعات مركزاً مهماً ورئيساً للمعلومات والمعرفة بمختلف أنواعها وهي قمة هرم المؤسسات التعليمية والتربوية في جميع أنحاء العالم ، وفي الجامعة يتبلور فكر المتعلمين ويوظف إنتاجهم تبعاً لتخصصاتهم المختلفة ، ومن نتاج هذه المؤسسة تأثيرها ببقية المؤسسات المجتمعية الأخرى ، كما يعتمد نجاح أي تعليم جامعي على مدى ما يتوفر له من عناصر جيدة من الأساتذة الجامعيين .

ولذلك تسعى معظم الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في مختلف الدول إلى تحقيق أهدافها وبلوغ غاياتها والوصول إلى المكانة العلمية المتميزة بين مختلف جامعات العالم من خلال ما تقوم به من مهام وما تؤديه من وظائف بأعلى مستوى من الكفاءة والفاعلية ، معتمدة في ذلك على مجموعة من الركائز والدعائم ، لعل أهمها أعضاء هيئة التدريس لديها ، ومدى قدرتهم على الاضطلاع بمسؤولياتهم ومهامهم بالصورة المطلوبة ، فالأستاذ الجامعي هو حجر الأساس في العملية التعليمية ، كما أنه المسؤول الأول عن عملية التعليم الخاصة بالطلاب ، واهتمت الجامعات ومؤسسات التعليم في أنحاء العالم بالتعرف على العوامل التي تساعد على زيادة دافعية أعضاء هيئة التدريس وتحسين مستوى أدائهم الوظيفي وإنجازهم الأكاديمي الخاص بهم .

وترتكز عملية الارتقاء بالمستوى الجامعي بركائز أساسية من أهمها الأستاذ الجامعي، حيث إن مهمته ليست قاصرة على التدريس ونقل وتوصيل المعرفة والمعلومات ، وإنما تمتد لتصل إلى عمليات التأليف والترجمة والبحث العلمي وبناء شخصيات الطلاب



علمياً وتربوياً وتقديم الاستشارات في مجال تخصصهم والعمل باللجان العلمية والميدانية داخل الجامعة وخارجها .

كما ترتكز عملية الارتقاء والتطوير بتوفير بيئة مادية مناسبة للعمل والإنتاج أمراً في غاية الأهمية بالنسبة لعضو هيئة التدريس ، والتي تتمثل في العديد من المتغيرات التي لها تأثيراتها الإيجابية والسلبية على مستوى الإنجاز الأكاديمي والوظيفي ، كمدى جودة المباني الجامعية من قاعات المحاضرات والمعدات والمعامل والمكتبات ومرافق الجامعة المختلفة الخاصة بالأنشطة الجامعية والطلابية ، وتلك التي تنعكس كذلك على رفع المستوى التعليمي للطلاب ، حيث تؤثر قلة مكونات البيئة المادية الجامعية على عملية مستويات الأداء والإنجاز لدى الأستاذ الجامعي .

فمعايير الجودة والاعتماد الأكاديمي العالمية تؤكد على أهمية إدراك مؤسسات التعليم العالي لمسؤولياتها في تقديم الخدمات الضرورية ، لتوفير بيئة آمنة وصحية لطلابها وتنمية مهاراتهم وقدراتهم وتحقيق احتياجاتهم ، وأحد المعايير المهمة التي تقاس بها جودة أداء مؤسسات التعليم العالي هو جودة ما تقدمه المؤسسة لطلابها من دعم وخدمات ، والتي من أهمها البرامج الأكاديمية وإنجازها في جودة التعليم الجامعي، ومن هنا أصبحت عملية الإنجاز الأكاديمي ضرورة حتمية في مؤسسات التعليم العالي، حيث يعمل أعضاء هيئة التدريس بتقديم إرشاداتهم وتوجيهاتهم للطلاب ومساعدتهم لتخطيط البرامج لتحقيق الأهداف الأكاديمية والمهنية وتحقيق الجامعة

أهدافها في مساهمة التخطيط والاستشارات ورسم السياسات المتنوعة ، لتساهم في تنمية المجتمع في مختلف مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

**أولاً - مشكلة الدراسة :** تعد التنمية البشرية في مجال التعليم عامة والتعليم الجامعي على وجه الخصوص عماداً هاماً من أعمدة التنمية البشرية التي تدفع المجتمعات النامية نحو قاطرة التقدم ، ويزداد وضع التعليم العالي ارتباطاً بالتغيرات التي يشهدها العالم ، وإزاء متطلبات الجودة العالمية في التعليم وإزاء ما يفرض من سياسات تعليمية تضعها المراكز والمؤسسات والهيئات الاستشارية العلمية طبقاً لسياسات تنموية ترتبط بسوق العمل ومخرجات التعليم<sup>(1)</sup> .

حيث يلعب التعليم الجامعي دوراً أساسياً في تحديث المجتمع؛ وذلك لأن التعليم هم النظام الذي يضخ المعارف والقيم الحديثة التي تفكك روابط الثقافة التقليدية للمجتمع ، تلك التي تعيق تطوره وانطلاقته ، إضافة إلى أن التعليم يعمل على تدريب الملتحقين به ويزودهم بالمهارات والكفاءات التي تساعدهم على مشاركتهم بفاعلية في دفع عملية التحديث في المجتمع ، إلى جانب أن المتعلمين يكونون عادة حلقة الوصل التي تربط المجتمع بالعالم الخارجي ومراكز إنتاج المعرفة ، لذلك نجد أن جهود التنمية والتحديث التي وقعت في مختلف المجتمعات تضافرت مع الاهتمام بتطوير النظام التعليمي أفقياً

(1) محمد ياسر الخواجة ، العلوم الاجتماعية والتنمية البشرية " القضايا والمستقبل " ، طنطا ، التركي للكمبيوتر والطباعة ، 2007 ، ص 45 .

ورأسياً، بحيث نجد غالبية الدول اتجهت مباشرة إلى تحديث أنظمتها التعليمية وتطبيق معايير الجودة والأداء باستغلال مواردها البشرية والمادية لإنجاز تلك الجهود<sup>(1)</sup> .

وحتى يؤدي التعليم الجامعي دوره المتميز في التغيير والتطوير الإيجابي في شتى الميادين ، ضرورة أن يتميز إنتاجه بالنوعية والإنجاز والجودة في الكم والكيف من حيث مدخلاته ومخرجاته بنوعية مميزة تحقق الأهداف الجامعية المنشودة والمتمثلة في التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع وتنميته وللوصول إلى التطوير المنشود في التعليم الجامعي بالاعتماد على معايير الجودة والأداء المستمر للعاملين في المؤسسات التعليمية ، واهتمام الدول بتوفير الميزانيات وكل المتطلبات، والذي يعكس أهمية إعداد العنصر البشري الفعال ودوره في تحقيق التنمية والتقدم.

وتعد معرفة مستوى جودة الإنجاز الأكاديمي للأستاذ الجامعي من أهم المجالات التي ينبغي الاهتمام بها، لما لها من أهمية في تحسين أدائهم وفعاليتهم وتطوير المادة العلمية ومحتوياتها ومضامينها وتطوير أساليب مستوى الإنجاز والمهارات الأكاديمية في البحث العلمي وتطوير برامج خدمة الجامعة وتنمية المجتمع ويعاني قطاع التعليم في الوطن العربي من جوانب قصور عديدة ، وهذا ما أكده تقرير التنمية البشرية العربية حول التعليم الجامعي والبحث العلمي وأساليبه ، حيث يشير تدني مؤشرات جودة التعليم لدى غالبية الجامعات العربية دون (60 %) وفقاً للمعايير المعمول بها

(1) علي ليلة ، التعليم الجامعي والحراك الاجتماعي ، القاهرة ، مرجع سابق ، ص 1 .

دولياً كأداء التعليمي ، والبحث العلمي ، ومساهمة الجامعة بتنمية المجتمع<sup>(1)</sup> ومن هنا كانت الحاجة الشديدة لمثل هذه الدراسات التي تهتم بالتعليم الجامعي والأساتذة الجامعيين، فيما يتعلق بالبحث العلمي وتنمية المجتمع وأهمية الإنجاز الأكاديمي للأستاذ الجامعي في تحقيق أهداف الجامعة ، وتحديدأ عملية إعداد وبناء مخرجات مؤهلة كقوة تلبي حاجات المجتمع ومتطلباته المختلفة وجاءت هذه الدراسة للبحث في عملية الإنجاز الأكاديمي وجودته للأستاذ الجامعي وما يحققه من انعكاسات على جودة التعليم، من خلال آراء أعضاء هيئة التدريس أنفسهم المحور الرئيس للعملية الأكاديمية الجامعية، ويمثل أعضاء هيئة التدريس الجامعي القيادة الإدارية التعليمية وحلقة الوسط من حلقات الإدارة الجامعية والقيام بتسيير شؤون الأقسام الأكاديمية من ناحية المحاضرات العلمية وعمليات التقييم والامتحانات وتطوير المناهج والندوات العلمية لرفع مستوى الإنجاز الأكاديمي وربطها بمتطلبات المجتمع ومشكلاته بعد عملية المتابعة والتقييم من خلال إدارة الجودة وتقييم الأداء على مستوى الجامعة .

وتكمن مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة على التساولين الآتيين :

1- ما مستوى الإنجاز الأكاديمي لدى أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب - الجامعة

الأسمرية زليتن ؟

(1) محبوب إسحاق فيصل ، إدارة الجامعات العربية في ضوء المواصفات العالمية ، المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، 2003 ،

2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الإنجاز الأكاديمي لدى أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب من خلال مجموعة من المتغيرات ك ( النوع - العمر - المؤهل العلمي - الدرجة العلمية - الخبرة - مكان الحصول على الشهادة العلمية ) ؟

وتتم الإجابة على هذين التساولين من خلال مؤشرات وأبعاد الإنجاز الأكاديمي الأربعة وهي ( مجال الأداء التنظيمي ، مجال البحث العلمي ، مجال خدمة الجامعة والمجتمع، مجال السلوكيات ) وعلاقتها بتلك المتغيرات .

ثانياً - أهداف الدراسة : تسعى الدراسة الحالية إلى الكشف عن مستوى الإنجاز الأكاديمي لدى أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب زليتن بالجامعة الأسمرية الإسلامية من خلال :1: الكشف عن درجة الإنجاز الأكاديمي لدى أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب زليتن - الجامعة الأسمرية الإسلامية .

2: الكشف عن طبيعة التباينات بين متغيرات [ النوع - العمر - المؤهل العلمي - الدرجة الأكاديمية - عدد سنوات الخبرة - مكان الحصول على الشهادة العليا ] وتأثيرها في مستوى الإنجاز الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب زليتن عند مستوى دلالة إحصائية (0.05) .

ثالثاً - أهمية الدراسة : تتمثل أهمية الدراسة من خلال مجموعة من الاعتبارات والتي يمكن إبرازها في الأهمية النظرية ، والأهمية التطبيقية كما يلي :

أ) الأهمية النظرية: أهمية عملية الإنجاز كعنصر حيوي وفعال ومؤثر في مجال العمل والذي يمكن من خلاله تشكل سلوك العاملين مما يزيد من إنتاجهم والعمل على إحداث التنمية والنهوض بالمجتمع وتقدمه .

1: اتجاه معظم المنظمات والمؤسسات العالمية خاصة على مستوى التعليم الجامعي باختلاف تخصصاته نحو الجودة كضرورة ملحة في ظل التحول والتطور والتغيير المستمر للمهن ومتطلباتها من مهارات وكفاءات .

2: زيادة الوعي بأهمية الارتقاء بمستوى الإنجاز الأكاديمي وجودته للأستاذ الجامعي من خلال تطوير كفايته ومهاراته الأكاديمية وتنميتها بغية الوصول إلى مستوى معايير الجودة المهنية الأكاديمية .

ب) الأهمية التطبيقية: 1: تقديم المقترحات والتوصيات العلمية المدروسة عن الكيفية الأفضل للانتقال في عملية الإنجاز والكفاءة والأداء بصورة متدرجة نحو الاستمرارية أو التغيير حتى تتلاءم مع المتطلبات الجديدة للمجتمع وتغييراته مع مستجدات سوق العمل ومتطلبات التنمية .

2: تكمن أهمية الدراسة الحالية في تسليط الضوء على عملية الإنجاز الأكاديمي وجودته للأستاذ الجامعي ، كذلك يمكن أن يكون لمتغيرات ( الجنس - التخصص العلمي - الدرجة العلمية ) تأثيرات واضحة في عملية الإنجاز الأكاديمي وجودته .

3: أهمية الدور الذي يقوم به عضو هيئة التدريس والذي يعد الأساس للعملية التعليمية والعنصر الفعال في تطوير الجامعة وبرامجها والذي يتطلب فيه درجة عالية من الإنجاز الأكاديمي بشكل يدفعه إلى تحقيق أكبر قدر من الفاعلية والإنتاجية .

رابعاً - مفاهيم الدراسة : يتم استعراض المفاهيم والمصطلحات الأساسية التي تنهض عليها هذه الدراسة وبالترتيب الآتي : الإنجاز . الإنجاز الأكاديمي . عضو هيئة التدريس الجامعي .

أ- الإنجاز **Achievements**: قبل التطرق لمفهوم الإنجاز الأكاديمي يجب الإشارة هنا إلى مفهوم الإنجاز بصفة عامة ، والذي يعني عملية الأداء من الناحية الإدارية القيام بأعباء الوظيفة من مسؤوليات وواجبات وفقاً للمعدل المفروض أدائه من العامل الكفاء المدرب ، ويمكن معرفة هذا المعدل عن طريق تحليل الأداء أي دراسة كمية العمل والوقت الذي يستغرقه وإنشاء علاقة عادلة بينهما ، وترفع كفاءة الأداء للموظف من خلال اختبار الأداء أو الاعتماد على تقارير الأداء أي الحصول على بيانات من شأنها أن تساعد في تحليل وفهم وتقييم أداء العامل لعمله ومسلكه فيه في فترة زمنية محددة<sup>(1)</sup> ويشير معجم مصطلحات القوى العاملة إلى مفهوم الإنجاز بأنه تنفيذ الأوامر والواجبات والأعمال المسندة لشخص أو مجموعة ما للقيام به ، فالأداء هو ناتج جهد معين يقوم الفرد أو مجموعة ببذله لإنجاز أعمال معينة وبطريقة محددة ، والتعرف

(1) أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ط2 ، 1986 ، ص310.

على هذا الأداء والتأكد من إنجازه تتطلب عملية تقييم له تتم في ضوء المعيار المحدد لإنجازه وفق المتطلبات الأساسية والقانونية اللازمة لأدائه<sup>(1)</sup> ويشير معجم مفاهيم علم الاجتماع لعملية الإنجاز بأنها إنجاز لمهمة أو دور من خلال خطة عمل مبرمجة تستلزم القيام بعدة وظائف متكاملة وتتحدد بموجبها شروط الأداء ( الواجبات والمسؤوليات ) بصيغة قانونية ، وتقاس عمليات معدلات الأداء والإنجاز بحساب كمية العمل التي يحققها المؤدي (فرد - جماعة) من خلال وقت معين ، فهو إذاً معدل أو مستوى المردود والإنتاجية<sup>(2)</sup>.

### ب- الإنجاز الأكاديمي Academic achievements:

هو درجة قيام عضو هيئة التدريس بتنفيذ المهام الأكاديمية والبحثية المناطة بها ، وما يبذله من ممارسات وأنشطة وسلوكيات تتعلق بمهامه المختلفة عملياً .  
وتعرف الدراسة الحالية الإنجاز الأكاديمي بأنه كل ما يقوم به الأستاذ الجامعي من أنشطة وعمليات وسلوكيات تعليمية أكاديمية تتعلق بوظائف الجامعة ( التدريس - البحث العلمي - خدمة المجتمع )

ج- عضو هيئة التدريس الجامعي Academic Staff Member :الأستاذ الجامعي هو الركيزة الأساسية في إعداد وتكوين الكوادر المتخصصة من خلال ما يقوم به من جهد ونشاط علمي معرفي لتحقيق الأهداف المرسومة للتعليم الجامعي

(1) محمد كامل مصطفى وآخرون، معجم مصطلحات القوى العاملة، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1984، ص166.

(2) خليل أحمد خليل ، معجم مفاهيم علم الاجتماع ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، 1996 ، ص50 .



وإسهامها في دراسة وحل مشكلات المجتمع ، وتعرف الدراسة الراهنة عضو هيئة التدريس الجامعي بأنه الشخص القائم بمهام التدريس والإشراف والبحث العلمي والمهام العلمية التي تسهم في تطوير التعليم والبحث العلمي من خلال المؤسسة الجامعية .

**خامساً - الإطار النظري للدراسة:** يشير الإطار النظري للدراسة إلى عرض مبسط لأهم الاتجاهات السوسيولوجية الحديثة والمعاصرة والمرتبطة بعملية الإنجاز من خلال علم اجتماع التنمية والعمل والتي عالجت التأثيرات التبادلية بين التنمية والقيم وعملية العمل والإنجاز ، يشير كارل ماركس ( Karl Marx ) إلى أن عملية تنمية المجتمع تتضمن وجود نظام للقيم يتوافق مع التنظيم الاجتماعي للإنتاج ، ومن ثم أسهمت النظرية الماركسية في الكشف عن أهمية المتغيرات الاقتصادية والمادية في عملية التنمية باعتبارها متغيرات أساسية تحدث تغيرات في مختلف محالات النظم الاجتماعية الأخرى كالنظم السياسية والدينية والثقافية ، موضحة أن تغير وسائل وأدوات الإنتاج وتقدمها تكنولوجياً يؤدي إلى تغيير في علاقات الإنتاج<sup>(1)</sup> والماركسية تؤكد على ضرورة توافق القيم مع أسلوب الإنتاج وعلاقات العمل بحيث لا يكون هناك تضارب بين عملية العمل والقيم وتكون هناك زيادة للعملية الإنتاجية والإنجاز لتحقيق عملية التنمية<sup>(2)</sup> واستند ماكس فيبر ( Max Weber ) على قضية أساسية أن القيم والأخلاقيات الدينية والاقتصادية هي الدعامة الرئيسية للتنمية والنمو الاقتصادي وأن

(1) كمال التابعي ، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية ، القاهرة ، دار المعارف ، ط2 ، 1995 ، ص104 .

(2) كمال التابعي ، المرجع نفسه ، ص105 .

تغير القيم والاتجاهات يعد من المتطلبات الرئيسية لخلق مجتمع حديث، حيث يشير ماكس فيبر إلى أن الرأسمالية الحديثة تستند إلى العمل العقلاني الحر الرشيد الذي يتحدد من خلال فضائل وقيم محددة تتمثل في الاقتصاد في الإنفاق ، وضبط النفس والابتكار والتجديد والدقة ، والإنجاز والانضباط في العمل ، وهي كلها خصائص نموذجية للمجتمع الحديث بمشروعات اقتصادية تستند على التنظيم الاقتصادي الرشيد الذي يعتمد أساساً على المبادئ والتجارب والمعرفة العلمية والانتفاع بها بصور تكفل الإنتاج للمجتمع مرتكزة على نظام قانوني وإداري متميز وفق المعايير والمواصفات القياسية للأداء والإنجاز بالاعتماد على الكفاءة الفنية والفضيلة والمنافسة الحرة والموازنة المستمرة بين التكلفة والعائد والسعي للربح المتجدد بطريقة رشيدة ومنظمة<sup>(1)</sup> ويركز دانيال لبرنر ( Danial Lerner ) على الخصائص السيكولوجية للأفراد والجماعات كمنظور سلوكي وعاملاً أساسياً في التنمية بجوانبها الاقتصادية والاجتماعية ، حيث أشار لبرنر إلى تنمية الدول النامية في ضوء اكتساب خصائص سلوكية وسيكولوجية معينة لمستويات ومتغيرات التنمية تتمثل في المشاركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الفرد عن طريق التعليم ، والقدرة على التقمص العاطفي من خلال القدرات التي يقدمها لهم المجتمع بقصد مساعدتهم على تغيير

(1) ماكس فيبر ، الأحلاف البروتستانتية وروح الرأسمالية ، ترجمة : محمد علي مقلد ، بيروت ، مركز الإنماء العربي ، ب.ت، ص ص28-29.

أسلوب حياتهم التقليدي إلى خصائص سلوكية وأسلوب حياة يتسم بالحدثة<sup>(1)</sup> . وذلك بالاعتماد على التخطيط المركزي ، والاستعانة بجهاز بيروقراطي كفؤ ، والأخذ بالأسلوب العلمي ، واستخدام التكنولوجيا المتقدمة ووسائل الاتصال والصحافة ، وتغليب الاتجاهات العقلانية الرشيدة . هذه الخصائص تستلزم توافر مجموعة من السمات الشخصية والقيم والاتجاهات والسلوكيات العصرية لتحقيق التنمية وتدعيم قيم الإنجاز لدى الأفراد بالمجتمع<sup>(2)</sup> .

ويعالج ديفيد ماكيلاند ( david McClelland ) قضية التنمية الاقتصادية من منظور سيكولوجي، حيث قدم دراسته الشهيرة ( مجتمع الإنجاز حيث يوضح ماكيلاند أن الدافع إلى الإنجاز يؤدي إلى النمو الاقتصادي ، وأن عملية تحقيق التنمية الاقتصادية تعتمد بصفة أساسية على وجود مجموعة من المنظمين ذوي بناء نفسي خاص يشجعهم ويدفعهم إلى الاجتهاد والابتكار والمخاطرة والإنجاز لتحقيق أهداف اجتماعية تتمثل في تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي<sup>(3)</sup> .

ويربط ماكيلاند في دراسته لمجتمع الإنجاز بين التنمية الاقتصادية والقيم والعلاقة بينهما ، ويذهب إلى أن تنمية المجتمع المنخلف اقتصادياً يتطلب دعم الشعور

(1) سامية محمد فهمي وآخرون ، مدخل إلى التنمية الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1999 ، ص149 .

(2) كمال النابعي ، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية ، مرجع سابق ، ص127 .

(3) دافيد ماكيلاند ، مجتمع الإنجاز ( الدوافع الإنسانية للتنمية الاقتصادية ) ، ترجمة : عبد الهادي الجوهري ومحمد سعيد فرج ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1998 ، ص60-61 .

بالحاجة للإنجاز لدى الأفراد من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية والتعليم في الأسرة والمدرسة والمجتمع ، وتحفيز المجتهدين والمجدين وتشجيعهم للدخول في ساحة العمل الاقتصادي . ويضيف ماكيلاند إلى ضرورة تغيير القيم والمعايير التقليدية التي يكون بعضاً منها قيماً معوقة لعملية التنمية واستبدالها بقيم مستحدثة وإيجابية تدفع بشدة عملية التحديث الاقتصادي<sup>(1)</sup> كما يرى إفرت هيجن ( Evret Hegan ) أن المستويات العالية من الإنجاز والإبداع والخلق هي الشرط الأساسي لوحدات التنمية الاقتصادية ، ذلك لأن الشخصية الإبداعية تتميز بتوافر الحاجة الشديدة إلى الإنجاز ، والقوة ، والاستقلال والنظام والانتظام ، حيث يرى هيجن أن الشخصية في المجتمعات المتقدمة تتصف بصفات محددة تدفعها إلى حيث التغيير والإنجاز وأطلق على هذه الشخصية اسم ( المنظم ) ، حيث يمثل نموذجاً من الشخصية المتصفة بالحاجة الشديدة إلى الإنجاز والإحساس بالتفوق على بقية أفراد المجتمع<sup>(2)</sup> .

ويؤكد اليكس انجلز ( Alex Inkeles ) في دراسته عن التحديث على مجموعة من الخصائص والاتجاهات والقيم وأساليب السلوك العملي للشخصية العصرية، ويعتبرها عاملاً أساسياً للتنمية وهي خصائص سيكولوجية حديثة مثل الانفتاح نحو التجديد والتغيير والاتجاه نحو المستقبل والأخذ بالأسلوب العلمي، واستخدام التكنولوجيا

(1) دافيد ماكيلاند ، المرجع نفسه ، ص229-230 .

(2) السيد محمد الحسيني وآخرون ، دراسات في التنمية الاجتماعية ، القاهرة ، دار المعارف ، ط3 ، 1989 ، ص49 .

المتقدمة وتغليب الاتجاهات العقلانية الرشيدة وتقدير الأفراد على أساس العمل والإنجاز وتحمل المسؤوليات، والإيمان بالتخطيط والتوجه الديمقراطي بعقلية منفتحة في تقبل الآراء والانتقاد<sup>(1)</sup> ويتناول تالكوت بارسواتر ( Talcott Parsons ) عملية التنمية والتخلف من خلال اتجاه الثنائيات والمتصلات الاجتماعية من خلال تصنيفه للمجتمعات إلى نمطين من أنماط البناء الاجتماعي وهما : المجتمع التقليدي ، والمجتمع الحديث ، فبينما تمتاز العلاقات في النمط التقليدي بالعمومية والنوعية والوحدانية، والتوجه نحو الذات والتعميم وتمتاز العلاقات الاجتماعية في النمط الحديث بالخصوصية ، والإنجاز، والتوجه نحو المجتمع ، التخصص ، والحياد الوجداني ، حيث يركز بارسواتر بشكل خاص على استخدام متغيرات ثنائية النمط ، وهما ( العمومية - الخصوصية ) و (النوعية - الإنجاز) للمقارنة بين المجتمعات ، فالمجتمع الأمريكي مثلاً يوصف بأنه مجتمع الإنجاز لأنه يضع قيمة عالية على الإنجاز الفردي باتباع قوانين وقواعد ومعايير عامة تطبق على الجميع دون محاباة . والمجتمع الصيني القديم يوصف بأنه مجتمع الإنجاز والمحاباة في نفس الوقت يضع قيمة الإنجاز الشخصي باتباع قواعد ومعايير تحابي فئة دون أخرى . كما يوصف المجتمع الألماني بـمجتمع العمومية والنوعية ويضع قيمة عالية على تطبيق القواعد والمعايير على الجميع مع المحافظة في نفس الوقت على تطبيق القواعد والمعايير على الجميع مع المحافظة في نفس الوقت على المكانات التقليدية للجماعات داخل البناء

(1) عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ط7 ، 1998 ، ص ص303-304 .

الاجتماعي . بينما توصف مجتمعات أمريكا اللاتينية بأنها مجتمعات النوعية والمحابة إلا أنها تضع قيمة عالية على توجيه السلوك من خلال معايير تتميز حسب مكانة الفاعل الاجتماعي<sup>(1)</sup> .

وبناء على ما تقدم وما تم عرضه بالإطار النظري فإن الدراسة الراهنة تبنت الاتجاه التكاملي في دراستها للإنجاز الأكاديمي لدى أعضاء هيئة التدريس الجامعي والمتعلق بتنمية الموارد البشرية وذلك انطلاقاً من أن التنمية عملية تكاملية شاملة وتغيير حضاري لها أبعادها المتداخلة والمتربطة تلك الأبعاد التي تتحد في البعد الاقتصادي ، والبعد التكنولوجي ، والبعد الاجتماعي الثقافي .

حيث ينهض هذا الاتجاه على النظرة الكلية للمجتمع ولا يقتصر على مؤشر واحد ورفضه التفسير الجزئي لقضية التنمية وذلك على أساس أن المجتمع يمثل وحدة كلية تتربط أجزاؤها ، وأنه لا يمكن فهم جزء من أجزائها إلا في ضوء علاقته بالأجزاء الأخرى أو بعبارة أخرى لا يمكن فهم أي نظام أو ظاهرة أو عملية اجتماعية إلا في ضوء علاقتها بالسياق الاجتماعي العام الذي توجد في إطاره ، وهذا يعني عند دراسة ظاهرة التنمية لا بد من فهم مكونات البناء الاجتماعي مثل البناء الديموغرافي ، والنسق الأيكولوجي ، والنسق الاقتصادي ، والنسق السياسي ، والنسق التعليمي ، والنسق القرابي ، ونسق القيم .. إلخ . فالتخطيط لعملية التنمية يجب الوضع في

(1) مجد الدين عمر خيرى خمس ، علم الاجتماع " الموضوع والمنهج " ، عمان ، دار مجدلاوي ، الأردن ، 1999 ، ص 107 .

الاعتبار البعد الاجتماعي الثقافي الذي لا يقل أهمية عن بقية الأبعاد الأخرى في عملية التنمية والذي يتكون من عناصر ومكونات عديدة أهمها العنصر القيمي الذي يساهم في تحديد اتجاهات الأفراد وأنماطهم السلوكية والتي تفعل تكامل الخطة الإنمائية بما يكفل تحقيق الأهداف المأمولة للتنمية .

سادساً - الدراسات السابقة :يتم استعراض مجموعة من الدراسات السابقة المتعلقة بالأنشطة الأكاديمية والوظيفية وإنجازها لأعضاء هيئة التدريس الجامعي من الأقدم إلى الأحدث على النحو التالي :

1- دراسة الحكمي 2003<sup>(1)</sup> ( الكفاءات المهنية المتطلبة للأستاذ الجامعي من وجهة نظر طلابه وعلاقتها ببعض المتغيرات ) :تهدف الدراسة إلى إعداد معيار للكفاءات المهنية المتطلبة للأستاذ الجامعي ، ومعرفة أكثر الكفاءات المهنية تفضيلاً لدى الأستاذ الجامعي من وجهة نظر الطلاب بجامعة أم القرى ، وتكونت عينة الدراسة من (210) طالباً من كليتي التربية والعلوم بجامعة أم القرى بالسنة الأولى والسنة الأخيرة حيث استخدمت الدراسة قائمة الكفاءات المهنية والمشتملة على (6) كفاءات رئيسية و (75) كفاءة فرعية من إعداد الباحث ، حيث تم التوصل إلى النتائج الآتية :

(1) إبراهيم الحسن الحكمي ، الكفاءات المهنية المتطلبة للأستاذ الجامعي من وجهة نظر طلابه وعلاقتها ببعض المتغيرات ، ( مجلة رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ، الرياض-السعودية ، العدد 90 ، السنة الرابعة والعشرون ) ، 2003 ، ص13-156 .

1: تتمحور الكفاءات المهنية المطلوبة للأستاذ الجامعي من وجهة نظر الطلاب حول ست كفاءات رئيسية هي (الشخصية . الإعداد للمحاضرة وتنفيذها . العلاقات الإنسانية . الأنشطة والتفوييم . التمكّن العلمي والنمو المهني . أساليب الإنجاز والحوافز والتعزيز).

2: توجد فروق في درجات تفضيل طلاب الجامعة للكفاءات المهنية المطلوبة للأستاذ الجامعي وتميل جميعها إلى ضرورة توافر متطلبات قائمة الكفاءات للأستاذ الجامعي .

2- دراسة السر 200<sup>(1)</sup> ( تقويم جودة مهارات التدريس الجامعي لدى أساتذة جامعة الأقبصى في غزة ):

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وتكونت عينة الدراسة من (92) أستاذاً موزعين حسب متغير المؤهل والكلية والخبرة التدريسية ، طبقت عليهم استبانة مؤلفة من (72) فقرة موزعة على أربعة مجالات : التخطيط للتدريس - تنفيذ التدريس - تقويم تعلم الطلبة وتقديم التغذية الراجعة - الاتصال والتواصل مع الطلبة ، وتم التحقق من صدق وثبات الأداة . ومن أجل اختبار فرضيات الدراسة استعمل الباحث المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية وتحليل التباين الأحادي ، وأظهرت النتائج أن متوسط التقديرات التقويمية لإجمالي المهارات ، ولمهارات التخطيط ومهارات التواصل وصلت مستوى الجودة، بحيث بلغت (80%) ، ولمهارات التقويم لم

<sup>(1)</sup>خالد حسن السر ، تقويم جودة مهارات التدريس الجامعي ، حمل على الرابط :

http://dr-saud-a.com/vb/SHOW Thread. PHP?T=64930 بتاريخ : 2015-1-30 .



تبلغ مستوى الجودة حيث كانت في المستوى المتوسط ، وإن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 في جودة مهارات تنفيذ الدروس ومهارات الاتصال والتواصل ، وإجمالي المهارات لدى أساتذة الجامعة وفقاً لمتغير المؤهل ( دكتوراه - ماجستير - بكالوريوس ) ، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في جودة مهارات تنفيذ الدروس وتقويم تعليم الطلبة وتقويم التغذية الراجعة والاتصال والتواصل مع الطلبة لدى أساتذة الجامعة تعزى لمتغير الكلية التي ينتمي إليها الأستاذ ، وإن هناك فرق في مهارة التخطيط للدرس حيث إن أساتذة كلية الآداب يعطون اهتماماً أكبر في هذه المهارة من أساتذة كلية العلوم .

**3- دراسة السبوعي 2010<sup>(1)</sup> (واقع المهارات التدريسية والمثالية لعضوات هيئة التدريس بكلية العلوم التطبيقية في ضوء معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر طالبات كلية العلوم التطبيقية بجامعة أم القرى ) :** هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع ممارسة عضوات هيئة التدريس لمهارات تدريس العلوم في ضوء معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر طالبات كلية العلوم التطبيقية بجامعة أم القرى. واستخدمت الدراسة استبانة لجمع البيانات اشتملت على أربعة محاور تناولت مهارات تدريس العلوم في ضوء معايير الجودة الشاملة وبعدها (73) مهارة ، وبعد التأكد من صدق وثبات الاستمارة قامت الباحثة بتطبيقها على عينة الدراسة التي بلغت (189). وأسفرت نتائج التحليل الإحصائي عن الآتي:

(1) منى حميد السبوعي ، واقع المهارات التدريسية والمثالية لعضوات هيئة التدريس بكلية العلوم التطبيقية في ضوء معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر طالبات كلية العلوم التطبيقية بجامعة أم القرى، (ندوة التعليم: الأبعاد والتطلعات) ، جامعة أم القرى-السعودية ، 2010 ، ص548-587.

1: مارست عضوات هيئة التدريس بأقسام العلوم مهارات تدريس العلوم بدرجة ضعيفة في ضوء معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر طالبات كلية العلوم التطبيقية ، مما يعني أن هذه المهارات لم تبلغ المستوى المقبول الذي حددته الباحثة وهو (78.50%)، الأمر الذي يشير إلى انخفاض مستوى الأداء والإنجاز في هذه المهارات عن مستوى الجودة الشاملة .

2: هناك اختلاف في درجة ممارسة عضوات هيئة التدريس للمهارات التدريسية وجميعها كانت لصالح عضوات هيئة التدريس في قسم الأحياء .

وفي ضوء نتائج الدراسة أوصت الباحثة بجملة من التوصيات منها :1: نشر ثقافة الجودة والتوعية بأهمية الدورات التدريبية في صقل المهارات التدريسية .  
2: عقد دورات تدريبية وورش عمل لتطوير الكفاءات التدريسية لعضوات هيئة التدريس بالجامعة.

4- دراسة الكبيسي 2010<sup>(1)</sup> ( واقع جودة التدريس الجامعي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في جامعة الأنبار ) : هدفت الدراسة إلى معرفة واقع جودة التدريس الجامعي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في جامعة الأنبار ، استخدم

(1) عبد الواحد حميد الكبيسي ، واقع جودة التدريس الجامعي وسبل الارتقاء به ، (المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي ، 2-4-2010م)، ص35-48 .

المنهج الوصفي للدراسة كونه الأنسب لهذا النوع من الدراسات وذلك عن طريق استخدام الأساليب الإحصائية المناسبة في مثل هذه الدراسات ، وتكون مجتمع البحث من جميع أساتذة جامعة الأنبار من حملة شهادة الدكتوراه والبالغ عددهم (302) دكتور موزعين على (20) كلية علمية وإنسانية للعام الجامعي (2010/2009) ، كما بلغت عينة البحث (61) أستاذ . استخدم الباحث استبيان مكون من أربع مجالات كأداة بحثية لغرض التعرف على الاستجابات .

وكان من نتائج البحث لل فقرات جودة التدريس الجامعي والذي كان المتوسط الحسابي العام هو (147) أي بنسبة (57.42%) وهو أعلى من المتوسط الفرضي البالغ (50%) ، إلا أن هذه النسبة لا ترتقي إلى نسبة التمكن والذي حدد في أغلب أدبيات الموضوع بـ (80%) فأكثر ، واستنتج أن هناك انخفاض في مستوى جودة التدريس الجامعي حسب الاستبيان المعد للدراسة ، وقد يعزى السبب لهذا التذني أن بعض الأساتذة للفروع العلمية لم يتلقوا إعداد تربوي كافٍ .

5- دراسة الدليم 2011<sup>(1)</sup> ( واقع الإرشاد الأكاديمي في جامعة الملك سعود من وجهة نظر طلابها والمرشدين وأعضاء هيئة التدريس ) :هدفت الدراسة إلى الكشف عن واقع الإرشاد الأكاديمي في جامعة الملك سعود من وجهة نظر الطلاب وأعضاء هيئة التدريس فيها في ضوء متغيرات : الجنس . الكلية . المستوى الأكاديمي والمعدل

(1) فهد بن عبد الله الدليم ، واقع الاستفادة من خدمات الإرشاد الأكاديمي في الجامعات السعودية ، المجلة السعودية للتعليم العالي ، العدد 6 ، ديسمبر ، 2011 ، ص43-71 .

الدراسي للطلبة . نوعية الخدمات الإرشادية المقدمة وأساليبها فيما يتعلق بالمرشدين . وتكونت عينة الدراسة من (283 طالب) و (167 طالبة) بمجموع (450) ، في حين تكونت عينة المرشدين الأكاديميين من (78 شخصاً) : (26 مرشداً) و (52 مرشدة) من أعضاء هيئة التدريس ، طبقت عليهم استبانة كأداة للدراسة من إعداد الباحث . حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي باستخدام عدد من المقاييس الإحصائية كاختبار (ت) وتحليل المضمون وتحليل التباين الأحادي إضافة إلى حساب المتوسطات والتكرارات والنسب المئوية ، أن هناك مستوى رضا عام من الطلبة على مختلف أبعاد الاستبانة عن مستوى خدمات الإرشاد الأكاديمي المقدمة في مختلف وحدات الجامعة كالأقسام والكليات ومراكز التوجيه والإرشاد الطلابية ، كما كشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق دالة بين الطلاب والطالبات في بعد العلاقة مع المرشد والوعي بدوره وتقييم العملية الإرشادية ككل ، كذلك فقد أظهرت نتائج تحليل استجابات المرشدين عن تقديمهم لخدمات أساسية في الإرشاد الأكاديمي الوصفي .

**6- دراسة الصرايرة 2011<sup>(1)</sup> ( الأداء الوظيفي لدى أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر رؤساء الأقسام بها )** :هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الأداء الوظيفي لدى أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر رؤساء الأقسام بها ، وقام الباحث بتطوير استبانة الدراسة ثم طبقت على عينة مكونة من (77) رئيس قسم أكاديمي تم اختيارهم بالطريقة

(1) خالد أحمد الصرايرة ، الأداء الوظيفي لدى أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر رؤساء الأقسام بها ، (مجلة جامعة دمشق ، المجلد 27 ، العددان الأول والثاني) ، 2011 .

العشوائية البسيطة، وللإجابة على أسئلة الدراسة تم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، واختبار (ت)، وتحليل التباين الأحادي ، واختبار شيفيه . وبينت نتائج الدراسة أن درجة مستوى الأداء الوظيفي لأعضاء الهيئات التدريسية كانت مرتفعة إذ بلغت (3.78) درجة من (5) درجات ، كما دلت نتائج الدراسة على عدم وجود فروق ذات دلالة تعود للمتغيرات . وأوصى الباحث بأن تقوم الجامعات بتعزيز الأداء الوظيفي لأعضاء الهيئات التدريسية فيها ، وأن تتعرف على حاجاتهم ورغباتهم لتحقيق الممكن منها وإشباعها ، وأن توفر نظام حوافز تشجيعية مادية ومعنوية ، لما لها من أثر إيجابي في المحافظة على مستوى الأداء الوظيفي المرتفع.

**التعليق على الدراسات السابقة:** من خلال استعراض هذه الدراسة لمجموعة من الدراسات السابقة حول الإنجاز الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة وتقييمه بصفة خاصة بما يتمشى مع طبيعة هذه الدراسة ، فقد أمكن استخلاص أهم القضايا وإبداء بعض الملاحظات حول تلك الدراسات كما يلي :

1- ركزت أغلبية الدراسات السابقة على أهمية الأداء الوظيفي لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات وتقييمه وفق معدلات الإنجاز ومعايير الجودة المتبعة بمؤسسات التعليم العالي لرفع وتحسين مستوى الأداء بها .

2- تشير الدراسات السابقة أن مستوى أداء الأستاذ الجامعي وتقييمه تتم عبر المنظومة التعليمية المشتملة على أعضاء هيئة التدريس الجامعي ، ورؤساء

الأقسام وعمداء الكليات والطلبة ودورهم الفعال لعملية تقييم أداء الأستاذ الجامعي بالجامعات وإداراتها ومراكزها البحثية .

3- من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة تبين أن أغلبها اهتم بجوانب عديدة حول أداء الأستاذ الجامعي وتقييمه ، فبحث بعضها عن مستوى أداء الأستاذ الجامعي في الجوانب الأكاديمية والوظيفية ، وأخرى لمستوى الفاعلية والمهام والمهارات والكفايات التدريسية .

4- قلة الدراسات السابقة حول مستوى الأداء والإنجاز الأكاديمي لدى الأستاذ الجامعي وآليات تقييمه وتطويره ، لتحديد المستويات الإيجابية والسلبية للأداء بالجامعات العربية عامة والجامعات الليبية على وجه الخصوص .

5- استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة من خلال الاطلاع على طرق البحث وأدوات القياس المطبقة فيها ، وتصميمات العينة والاتجاهات والمقاييس المتعلقة بالإنجاز والأداء الوظيفي للأستاذ الجامعي ، والتي ساهمت في حل كثير من المشكلات والتساؤلات حول تطبيقها ، ومن ثم الاستفادة من ذلك لتحسين مستوى الدراسة الراهنة .

6- تتميز هذه الدراسة بأنها تتناول تقييم الإنجاز الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب زليتن بالجامعة الأسمرية الإسلامية محاولة التعرف إلى المتغيرات ذات الأثر لهذا المتغير الرئيس ، وهي تختلف في مجتمعها وعينتها عن الدراسات السابقة، وفي تركيزها على أبعاد الإنجاز الأكاديمي التالية : الأداء التعليمي . البحث العلمي . خدمة الجامعة والمجتمع والعلاقة معها . السلوكيات .

سابعاً - الإجراءات المنهجية للدراسة : وذلك من خلال تتبع تلك القواعد والخطوات العلمية التي اعتمدها الدراسة ، والتي تتضمن أهم إجراءات الدراسة الميدانية مثل نوع الدراسة وأداتها ، والمنهج المستخدم في الدراسة ومجالاتها ، وتحديد مجتمع البحث ، واختيار العينة وأداة جمع البيانات والتأكد من صدق وثبات الأداة ، وإجراءات الدراسة الميدانية ووسائلها الإحصائية .

1- نوع الدراسة وأداتها: تعد الدراسة الراهنة دراسة وصفية تحليلية فهي تحاول أن تقدم وصفاً لموضوعها ، وذلك من خلال جمع البيانات وتحليلها ، وقد استخدمت الدراسة المسح الاجتماعي الشامل لأعضاء هيئة التدريس بالكلية بعدد (113) عضو هيئة تدريس جامعي يمثلون (10) أقسام علمية بها .

2- مجالات الدراسة :تتضمن الدراسة ثلاث مجالات وهي :

(أ) **المجال المكاني** : ويقصد به النطاق لمكاني لإجراء الدراسة ، حيث تقع وحدات الاهتمام والتحليل ضمن الحدود الإدارية لمدينة زليتن التي تقع على البحر المتوسط بطول خمسين كيلومتراً خط طول 14/34 شرقاً ، ودائرة عرض 32/28 شمالاً وترتفع عن سطح البحر 18 متراً ، وتقع على بعد 158 كيلومتراً إلى الشرق من مدينة طرابلس - ليبيا<sup>(1)</sup>، وقد حدد الباحثان مجتمع البحث بكلية الآداب زليتن بالجامعة الأسمرية الإسلامية .

(ب) **المجال البشري** : يقتصر المجال البشري للدراسة على جميع أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية الآداب بالجامعة الأسمرية الإسلامية-زليتن .

(ج) **المجال الزمني** : حددت المدة بين : 2018/9/1 م إلى 2018/12/30 م مجالاً زمنياً للدراسة الميدانية وهي المدة التي تم فيها جمع البيانات والمعلومات من مجتمع الدراسة .

**3- مجتمع الدراسة** : تكون مجتمع الدراسة من جميع أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية الآداب بالجامعة الأسمرية الإسلامية-زليتن من مختلف أقسامها العلمية ، الذين هم على رأس عملهم خلال العام الجامعي (2017-2018 م) ، البالغ عددهم (113) عضو هيئة تدريس يمثلون (10) أقسام علمية ، وفقاً لإحصائيات إدارة أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب-زليتن للعام الجامعي 2018-2019 م منهم (37) من حملة

(1) اللجنة الشعبية للمرافق ، المخطط الشامل 2000 ، التقرير النهائي ، مكتب المشاريع ، البلدية (زليتن) ، شركة بولسيفرس ، 2000 ، وارسو-بولندا) ، ص14 .



الدكتوراه و (76) من حملة الماجستير<sup>(1)</sup> نشأت كلية الآداب-زليتن وذلك تأسيساً على المعهد العالي لتكوين المعلمين بزليتن الذي افتتح سنة 1986 م والذي تحول إلى كلية الآداب والتربية سنة 1991 م وتتبع إلى جامعة المرقب بالخمس، وكانت تضم مختلف الأقسام الإنسانية والعلمية التطبيقية<sup>(2)</sup>، ثم انفصلت كلية الآداب عن كلية العلوم وانضمت إلى الجامعة الأسمرية الإسلامية بزليتن في منتصف شهر يناير 2014 م ، وتضم حالياً (10) أقسام علمية وهي

- 1- قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية .
- 2- قسم اللغة الإنجليزية .
- 3- قسم علم الاجتماع والخدمات الاجتماعية .
- 4- قسم التربية وعلم النفس .
- 5- قسم الفلسفة .
- 6- قسم الجغرافيا .
- 7- قسم التاريخ .
- 8- قسم الآثار .
- 9- قسم المكتبات والمعلومات .
- 10- قسم الإعلام .

ويبلغ إجمالي أعداد الطلاب بالكلية خلال العام الجامعي 2017/2018 م (2778) طالباً وطالبة بمختلف أقسام الكلية<sup>(3)</sup> .

#### 4- أداة الدراسة :

أ- أداة استمارة الاستبيان : اعتمدت الدراسة الراهنة على استمارة الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات ، حيث تم تطويرها من خلال الاعتماد على الأدب السوسولوجي

(1) كلية الآداب زليتن ، إدارة شؤون أعضاء هيئة التدريس ، بيانات غير منشورة ، 2018 م .

(2) دليل كلية الآداب والعلوم بزليتن ، منشورات جامعة المرقب ، الخمس ، 2007 م .

(3) كلية الآداب بزليتن ، قسم الدراسة والتسجيل ، بيانات غير منشورة ، 2018 م .

المتعلق بموضوع الدراسة ، والاستفادة من مقياس قيم العمل<sup>(1)</sup> ، ومجموعة من الدراسات السابقة : دراسة إبراهيم الحكمي (2003)، ودراسة السبيعي (2010) ، ودراسة فهد الدليم (2011) ، ودراسة خالد الصرايرة (2011)، حيث تم إعداد استمارة الدراسة الراهنة وتكونت من قسمين : القسم الأول يتضمن البيانات الأساسية : النوع . العمر . المؤهل العلمي . الدرجة الأكاديمية . عدد سنوات الخبرة . مكان الحصول على الشهادة العلمية ، وشمل القسم الثاني أربعة مجالات هي : الأداء التعليمي . البحث العلمي . خدمة الجامعة والمجتمع والعلاقة بينهما . السلوكيات ، موزعاً على (35) فقرة ب- **صدق الأداة** : بعد استكمال استمارة الاستبيان الخاصة بالدراسة الراهنة قام الباحثان من التأكد من صدق أداة الدراسة، حيث تم عرضها على عدد من الأساتذة\* في الجامعات الليبية من ذوي الاختصاص والخبرة، وذلك لإبداء آرائهم وملاحظاتهم عن ملائمة فقراتها ومحاورها من حيث دقتها العلمية وصياغتها اللغوية ومعانيها ومدى مناسبتها لمجال الدراسة وموضوعها .

(1) أحمد زايد وآخرون ، مقياس قيم العمل ( الإطار النظري ودليل المقياس ) ، القاهرة ، مكتبة الأنجلومصرية ، 1992 .

- \* وهم : 1- د. محمد عبد المحسن عبد الله محسن - كلية الآداب زليتن - الجامعة الأسمرية الإسلامية .  
2- د. مصطفى محمد الشارف البحيح - كلية الآداب زليتن - الجامعة الأسمرية الإسلامية .  
3- د. جمعة عمر فرج محمد - كلية الدراسات العليا - جامعة الزيتونة .

ج- ثبات الأداة: تمت عملية التحقق من ثبات أداة الدراسة باستخدام طريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test - retest) ، إذ تم توزيعهما على عينة أولية مكونة من (10) أعضاء هيئة تدريس بكلية الآداب -زليتن بواقع استمارة واحدة لكل قسم . وبعد مرور أسبوعين أعيد تطبيق الاختبار على العينة نفسها، وبعد تصحيح الإجابات، وتفريغ الدرجات وإيجاد العلاقة بين الاختبار الأول والاختبار الثاني باستخدام معامل ارتباط بيرسون ، فبلغ (0.81) وهو معامل ارتباط دال إحصائياً .

5- الأساليب الإحصائية للدراسة : اعتمدت الدراسة استخدام الوسائل الإحصائية المناسبة على الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وكانت هذه الوسائل كالآتي :

- 1- إيجاد التوزيع التكراري والنسب المئوية لغرض البيانات في صورة ميسرة ومناسبة ، ولصياغتها صياغة عملية تبين أهم الميزات الرئيسية لها، فالتوزيعات التكرارية تلقي الضوء على توزيع ووصف الظاهرة موضوع البحث
- 2- استخراج قيمة مقاييس النزعة المركزية والتشتت لكل أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب حسب المتغيرات المختلفة لإعطاء صورة واضحة تتعلق بمتوسط توزيع الظاهرة موضوع البحث .

أ- حيث قام الباحثان بعرض وتحليل بيانات متغير واحد في جداول تكرارية تحتوي على التوزيعات التكرارية والنسب المئوية ومقاييس النزعة المركزية والتشتت ويمكن الإشارة إلى هذه المقاييس كما يلي :

$$\text{النسب المئوية} = \frac{\text{التكرار}}{\text{المجموع الكلي}} \times 100$$

أولاً .

ثانياً . مقاييس النزعة المركزية :

- المتوسط الحسابي : وهو مجموع القيم مقسوم على عددها ويرمز له بالرمز (س) ويحسب في البيانات المبوبة بالصيغة الآتية :

$$س = \frac{\text{مجم (ك س)}}{ن}$$

ثالثاً . مقاييس التشتت :

- الانحراف المعياري : وهو الجذر التربيعي لمتوسط مجموع مربعات انحرافات القيم عن المتوسط الحسابي ويرمز له بالرمز (ع) ويحسب للبيانات المبوبة بالصيغة الآتية

$$ع = \sqrt{\frac{\text{مجم (س - س)^2}{(ن - 1)}}$$

رابعاً . تحليل التباين بين متغيرين (F – Test) :

فقد استخدمت الدراسة الأساليب الإحصائية التالية :

1- تحليل التباين الأحادي : باستخدام دلالة الفروق بين المتوسطات لأكثر من

عينتين مستقلتين :

$$\text{حيث } \sqrt{\frac{م ع^2 ب}{م ع^2 د}} = \text{ف}$$

د ج متوسط مجموع المربعات بين المجموعات

د ج وتعني = متوسط مجموع المربعات داخل المجموعات

$$= \varepsilon = \varepsilon \frac{\text{د ج ب (1 - ف)}}{\text{د ج ب + د ج د}}$$

بين متوسطي

خامس

مجموع

$$= \text{ت} \frac{\text{س1 - س2}}{\frac{\text{1(ع1)} + \text{2(ع2)}}{\text{1ن} + \text{2ن}}}$$

سادساً . المتوسط الحسابي المرجح والوزن المئوي لبيان أهمية فقرات المقاييس

ويحسب بالصيغة الآتية :

$$\frac{(ك \times 5) + (ك \times 4) + (ك \times 3) + (ك \times 2) + (ك \times 1)}{ن} = \text{ط الحسابي}$$

ن

- سرر .

ن = مجموع القيم (حجم العينة) .

أما الوزن المثوي = ( الوسط المرجح / الدرجة القصوى )  $\times 100$ 

حيث يقصد بالدرجة القصوى أعلى درجة في المقياس .

ثامناً - تحليل بيانات الدراسة :

1- خصائص مجتمع الدراسة :

جدول رقم (1) يبين خصائص عينة الدراسة حسب المتغيرات الاجتماعية والديموغرافية

المتغير	التكرار	النسبة المئوية	المتغير	التكرار	النسبة المئوية
4- الدرجة الأكاديمية			1- النوع الاجتماعي		
53.1	60	محاضر مساعد	77	87	ذكر
40.7	46	محاضر	23	26	أنثى
5.3	6	أستاذ مساعد	2- العمر		
0.9	1	أستاذ	7.1	8	25-30
5- سنوات الخبرة			22.1	25	31-35
35.4	40	أقل من 5 سنوات	24.8	28	36-40
38.9	44	من 5-10 سنوات	23.9	27	4-45
16.8	19	من 11-15 سنة	15.0	17	46-50
8.8	10	16 سنة فأكثر	7.1	8	51 فأكثر
6- مكان الحصول على الشهادة			3- المؤهل العلمي		

61.1	69	ليبيا	67.3	76	ماجستير
32.7	37	دولة عربية	32.7	37	دكتوراه
3.5	4	أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية	عينة الدراسة 113 عضو هيئة تدريس حسب متغيراتها الستة		
2.7	3	باقي دول العالم			

يبين الجدول رقم (1) خصائص عينة البحث والتي شملت جميع أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب زليتن البالغين (113) عضو هيئة تدريس وذلك حسب المتغيرات الاجتماعية ، والتي شملت حسب النوع الاجتماعي (87) من الذكور وبنسبة (77%) و (26) من الإناث وبنسبة (23%) ، فيما شملت متوسط أعمارهم من 31 سنة إلى 50 سنة بعدد (80) عضو هيئة تدريس وبنسبة (84%) وأغلبهم من حملة شهادة الماجستير بنسبة (67.3%) وبدرجة محاضر مساعد بنسبة (53.1%) ، وسنوات خبرة من (5-10) سنوات وبنسبة (39%) وأغلبهم من الحاصلين على الشهادة العلمية من ليبيا وبنسبة (61%) ومن دول عربية مختلفة وبنسبة (32%) .

## 2- مؤشرات الإنجاز الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس الجامعي :

### جدول رقم (2) يوضح الأهمية النسبية لمؤشرات مجال الأداء التنظيمي

#### لأعضاء هيئة التدريس الجامعي

الوزن المثوي	الوسط المرجح	المؤشرات	ر.م
87.25664	4.362832	أستخدم عدة أساليب لتقويم الطالب	1.
87.07965	4.353982	أشجع على التحديث ومواكبة الجديد	2.
84.95575	4.247788	لدي القدرة على اتخاذ القرارات في المهام الكلف بها	3.

83.71681	4.185841	أنجز العمل بدقة وكفاءة في المهام المكلف بها	.4
80.70796	4.035398	أنجز الخطة التدريسية في الوقت المحدد	.5
77.69912	3.884956	أخطط لعمل الفصل الدراسي	.6
77.34513	3.867257	أقترح حلول للمشاكل والعقبات التي تعيق العملية التعليمية	.7
77.16814	3.858407	ملم بدرجة كبيرة باللوائح والمعلومات عن العمل المكلف به	.8
76.63717	3.831858	أستخدم طرق تدريسية جديدة متميزة لرفع مستوى الأداء	.9
67.78761	3.389381	أستخدم وسائل تعليمية مثل الحاسوب	.10

يتضح من الجدول (2) الأهمية النسبية لمؤشرات المجال الأول الأداء التنظيمي لأعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب - زليتن نحو الإنجاز الأكاديمي ، حيث بينت فقرات هذا المجال أن الفقرة الأولى والثانية والتي تنص على (أستخدم عدة أساليب لتقويم الطالب) و ( أشجع على التحديث ومواكبة الجديد) سجلتا أعلى وزن مئوي (87.25%) ، ثم الفقرة الثالثة (لدي القدرة على اتخاذ القرارات في المهام المكلف بها) بوزن مئوي (85%) ، وسجلت الفقرة الرابعة (أنجز العمل بدقة وكفاءة في المهام المكلف بها) بوزن مئوي (83.71%) ، ثم الفقرة الخامسة (أنجز الخطة التدريسية في الوقت المحدد) بوزن مئوي (80%) ، والفقرة السادسة (أخطط لعمل الفصل الدراسي) بوزن مئوي (77%) ... إلخ . وكما هو مبين بالجدول فإن اتجاهات أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب نحو مجال الأداء التنظيمي يعتبر مرتفعاً .



## جدول رقم (3) يوضح الأهمية النسبية لمؤشرات مجال البحث العلمي لأعضاء هيئة التدريس

ر.م	المؤشرات	الوسط المرجح	الوزن المنوي
1.	أربط المعلومة النظرية بالواقع	4.044248	80.88496
2.	مستمر في قراءة البحوث والكتب العلمية	4.026549	80.53097
3.	استعين بالمراجع والمصادر الحديثة	4.017699	80.35398
4.	أحضر ورش العمل لتطوير أداء أعضاء هيئة التدريس	3.486726	69.73451
5.	عندي دوافع لتأليف الكتب	3.486726	69.73451
6.	أشارك في حضور المؤتمرات والندوات العلمية	3.451327	69.02655
7.	أجري دراسات وبحوث علمية	3.39823	67.9646
8.	أحرص على إنجاز بحث أكاديمي في السنة على الأقل	3.256637	65.13274

يتبين من الجدول (3) الأهمية النسبية لاتجاهات أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية الآداب نحو مؤشرات مجال البحث العلمي ، حيث سجلت الفقرة (1) ، الفقرة (2) ، الفقرة (3) والتي تنص على (أربط المعلومات النظرية بالواقع) و (مستمر في قراءة البحوث والكتب العلمية) و (استعين بالمراجع والمصادر الحديثة) سجلت أعلى مرتبة و بوزن مئوي (80.50%) ، فيما سجلت الفقرة (4)، الفقرة (5) ، الفقرة (6) والتي تنص على (أحضر ورش العمل لتطوير أداء أعضاء هيئة التدريس) و (عندي دوافع لتأليف الكتب) و (أشارك في حضور المؤتمرات والندوات) وبدرجة جيدة ومتوسطة بوزن مئوي (69%) ، حيث تؤكد بيانات هذا الجدول أن اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو البحث العلمي تعتبر متوسطة ومقبولة إلى حد ما .

جدول رقم (4) يوضح الأهمية النسبية لمؤشرات مجال خدمة الجامعة والمجتمع

لأعضاء هيئة التدريس الجامعي

الوزن المئوي	الوسط المرجح	المؤشرات	ر.م
83.18584	4.159292	التعاون مع الزملاء في أداء المهام	1.
92.65487	4.132743	طرح الأفكار الجديدة في الموضوعات المتعلقة بالمهام المكلف بها	2.
82.47788	4.123894	التواصل مع الطلبة	3.
81.76991	4.088496	المعرفة بإمكانيات المجتمع	4.
81.59292	4.079646	القدرة على حل المشكلات	5.
80	4	سهولة الاتصال مع الزملاء	6.
74.15929	3.707965	مدى الإسهام في سد احتياجات المجتمع المحلي	7.

يبين الجدول (4) اتجاهات أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب نحو مجال خدمة الجامعة والمجتمع ، حيث تشير الفقرة (1) والتي تنص على (التعاون مع الزملاء في أداء المهام) بوزن مئوي ونسبة (83%) كأعلى فقرات هذا المجال ، ثم تأتي في المرتبة الثانية الفقرة (2) ، الفقرة (3) والتي تنص على (طرح أفكار جديدة حول المهام المكلف بها عضو هيئة التدريس) و (التواصل مع الطلبة) و بوزن مئوي (82.50%) ، ثم الفقرة (4) ، الفقرة (5) والتي تنص على (المعرفة بإمكانيات المجتمع) و (القدرة على حل المشكلات) و بوزن مئوي (81.50%) ، فيما سجلت الفقرة الأخيرة رقم (7) (مدى الإسهام في سد احتياجات المجتمع المحلي) و بوزن مئوي (74%) . وبذلك تشير اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو هذا المجال على أنها مرتفعة إلى حد ما .

جدول رقم (5) يوضح الأهمية النسبية لمؤشرات مجال السلوكيات لأعضاء هيئة التدريس الجامعي

الوزن المنوي	الوسط المرجح	المؤشرات	ر.م
91.68142	4.584071	الالتزام بوقت المحاضرة	1.
90.97345	4.548673	تحمل المسؤولية العلمية والقانونية والأخلاقية	2.
90.97345	4.548673	استغلال وقت المحاضرة بالفعالية المطلوبة	3.
89.55752	4.477876	الرغبة في التدرج المهني والأكاديمي	4.
86.72566	4.336283	التصرف بعقلانية في المواقف الحرجة	5.

يوضح هذا الجدول اتجاهات أعضاء هيئة التدريس الجامعي نحو مؤشرات سلوكياتهم العلمية والأكاديمية كعملية من عمليات الإنجاز الأكاديمي ، حيث تشير الفقرة (1) ، الفقرة (2) ، الفقرة (3) والتي تنص على (الالتزام بوقت المحاضرة) و (تحمل المسؤولية العلمية والقانونية والأخلاقية) و (استغلال وقت المحاضرة بالفعالية المطلوبة) حيث سجلت أعلى الرتب وبوزن منوي (91%) ، فيما سجلت الفقرة (4) والتي تنص على (الرغبة في التدرج المهني والأكاديمي) وبوزن منوي (89.50%) ، فيما سجلت الفقرة (5) (التصرف بعقلانية في المواقف الحرجة) أقل الفقرات وبوزن منوي (86.72%) . ومن خلال هذا العرض يتبين أن اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو السلوكيات العلمية والأكاديمية تعتبر مرتفعة بدرجة كبيرة .

### 3- النوع الاجتماعي :

جدول رقم (6) يوضح نتائج اختبار (t: test) بين متوسطي درجات الذكور والإناث في مقياس الإنجاز الأكاديمي

النوع	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوى الدلالة
ذكر	87	118.5057	14.36394	111	5.927	0.017
أنثى	26	124.8846	10.40510			

يشير الجدول (6) تحليل التباين الأحادي لدرجات استجابات أعضاء هيئة التدريس بالكلية من الذكور والإناث نحو مقياس الإنجاز الأكاديمي ككل حيث بلغ متوسط درجات اتجاهات الذكور (118.50) وانحراف معياري (14.36) ، في حين بلغ متوسط درجات الإناث (124.88) وانحراف معياري (10.40) ، ولغرض معرفة دلالة الفرق بين هذين المتوسطين باستخدام اختبار (T: test) لعينتين مستقلتين ، اتضح أن هناك فرقاً دالاً إحصائياً عند مستوى دلالة (0.017) حيث كانت قيمة (T: test) : (5.927) وبدرجة الحرية (111) . وتدل هذه النتيجة على أن متغير النوع للأساتذة ، الذكور والإناث يؤثر في مواقفهم نحو الإنجاز الأكاديمي وأن الإناث أكثر إنجازاً أكاديمياً من الذكور .

#### 4- الشهادة العلمية :

جدول رقم (7) يوضح نتائج اختبار (t: test) بين متوسطي درجات الماجستير والدكتوراه للأساتذة في مقياس الإنجاز الأكاديمي

المرهل	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوى الدلالة
ماجستير	76	115.8684	11.28934	111	3.802	0.054
دكتوراه	37	128.4054	14.71481			

تشير البيانات الواردة في الجدول (7) أن متوسط درجات استجابات الأساتذة جملة شهادة الماجستير قد بلغ (115.86) وبانحراف معياري (11.28) ، في حين بلغ متوسط درجات استجابات حملة الدكتوراه (128.40) وبانحراف معياري (14.71) ، ولغرض معرفة دلالة الفرق بين هذين المتوسطين باستخدام اختبار (T:test) اتضح أن هناك فرقاً دالاً إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.054) ، حيث كانت قيمة اختبار (T:test) : (3.802) وبدرجة الحرية (111) . وتدل هذه النتيجة أن متغير المؤهل العلمي يؤثر في مواقف الأساتذة نحو الإنجاز الأكاديمي وأن الأساتذة من حملة الدكتوراه أكثر إنجاز أكاديمي من حملة الماجستير .

### 5- العمر :

جدول رقم (8) يبين الوصف الإحصائي لمتغير عمر الأساتذة ومقياس الإنجاز الأكاديمي

فئات العمر	التكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
25-30	8	110.3750	10.83562
31-35	25	114.6400	13.84100
36-40	28	118.5714	8.86704
41-45	27	120.5185	15.52261
46-50	17	128.9412	13.02148
51 فأكثر	8	130.2500	12.08009
المجموع	113	119.9735	13.77916

تشير بيانات الجدول (8) أن المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الإنجاز الأكاديمي حسب أعمار الأساتذة توجد بها فروق ظاهرية في هذه

المتوسطات ، حيث بلغت فئات العمر (25-30) بمتوسط حسابي (110.37) ، وفئات العمر (31-35) : (54 ، 114) ، وفئات أعمار الأساتذة (38-40) بمتوسط حسابي (118.57) ، وفئات العمر (41-45) ب (51 ، 128) ، وفئات أعمار الأساتذة (46-50) بمتوسط حسابي (128.90) ، وفئات أعمار الأساتذة (51 فأكثر) بمتوسط حسابي (130.25) . ويتضح من خلال هذا التحليل أن الأساتذة الذين أعمارهم (51 فأكثر) أكثر إنجاز أكاديمي .

جدول رقم (9) يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات الأساتذة لدرجات الإنجاز الأكاديمي حسب متغير العمر

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	3723.246	5	744.649	4.542	0.001
داخل المجموعات	17541.674	107	163.941		
المجموع الكلي	21264.920	112			

أشارت بيانات الجدول (9) إلى الفروق بين متوسطات فئات أعمار الأساتذة والتي كانت دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.001)، حيث كانت قيمة (F.Test) المحسوبة (4.542) وبدرجة حرية (5 ، 107) . مما يدل على أن متغير العمر لدى الأساتذة يؤثر في اتجاهاتهم نحو تأثير الإنجاز الأكاديمي .

6- الدرجة الأكاديمية : جدول رقم (10) يبين الوصف الإحصائي لمتغير الدرجة الأكاديمية للأساتذة

## ومقياس الإنجاز الأكاديمي

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرارات	الدرجة الأكاديمية
11.08575	115.5667	60	محاضر مساعد
15.19803	124.6739	46	محاضر
14.84251	126.5000	6	أستاذ مساعد
0.000000	129.000	1	أستاذ
<b>13.77916</b>	<b>119.9735</b>	<b>113</b>	<b>المجموع</b>

أشارت المتوسطات الحسابية لدرجات الإنجاز الأكاديمي وفق الدرجة الأكاديمية وجود فروق ظاهرية في هذه المتوسطات ، فقد بلغت درجة الإنجاز الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس بالكلية من درجة محاضر مساعد (115.56) ، وكانت درجة محاضر (124.67) ، وأستاذ مساعد (126.50) ، وكانت بدرجة أستاذ بمتوسط حسابي (129.00) . مما يدل أن الأساتذة من حملة درجة أستاذ أكثر إنجاز أكاديمي من بقية الدرجات الأخرى .

جدول رقم (11) يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات الأساتذة لدرجات الإنجاز الأكاديمي

حسب متغير الدرجة الأكاديمية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2518.578	3	839.526	4.881	0.003
داخل المجموعات	18746.342	109	171.985		
المجموع الكلي	21264.920	112			

اتضح من بيانات الجدول (11) أن الفروق بين متوسطات فئات الدرجات الأكاديمية كانت دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.003) ، إذ كانت قيمة

(F.Test) المحسوبة (4.881) وبدرجاتي حرية (3 ، 109) . مما يدل على أن الدرجة الأكاديمية تؤثر في اتجاهات ومواقف الأساتذة نحو تأثير الإنجاز الأكاديمي .  
7- سنوات الخبرة :

جدول رقم (12) يبين الوصف الإحصائي لمتغير سنوات الخبرة للأساتذة ومقياس الإنجاز الأكاديمي

عدد السنوات	التكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أقل من 5 سنوات	40	114.8250	12.07219
من 5-10 سنوات	44	120.1591	12.39832
من 11-15 سنة	19	128.4211	15.38150
16 سنة فأكثر	10	123.7000	15.47794
المجموع	113	119.9735	13.77916

تشير بيانات هذا الجدول إلى المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الإنجاز الأكاديمي حسب سنوات الخبرة للأساتذة بالكلية ، حيث تشير إلى وجود فروق ظاهرية في هذه المتوسطات ، فقد بلغت درجة الإنجاز الأكاديمي للأساتذة الذين خبرتهم (أقل من 5 سنوات) بمتوسط حسابي (114.82) ، وكانت خبرة الأساتذة من (5-10 سنوات) وبمتوسط حسابي (120.15) ، وللأساتذة ذوي الخبرة من (11-15 سنة) بمتوسط حسابي (128.42) ، وللأساتذة من ذوي الخبرة من (16 سنة فأكثر) وبمتوسط حسابي (123.70) . ومن خلال هذا التحليل يتبين أن الأساتذة الذين خبرتهم (16 سنة فأكثر) أكثر إنجاز أكاديمي .

جدول رقم (13) يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات الأساتذة لدرجات الإنجاز الأكاديمي



حسب متغير سنوات الخبرة للأساتذة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2556.527	3	852.176	4.965	0.003
داخل المجموعات	18708.393	109	171.637		
المجموع الكلي	21264.920	112			

يتبين من بيانات الجدول (13) أن الفروق بين متوسطات فئات سنوات الخبرات كانت دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.003) ، إذ كانت قيمة (F.Test) المحسوبة (4.965) ودرجتي حرية (3 ، 109) . مما يدل على أن متغير سنوات الخبرة يؤثر تأثيراً كبيراً في اتجاهات الأساتذة نحو الإنجاز الأكاديمي .

### 8- مكان الحصول على الشهادة العلمية :

جدول رقم (14) يبين الوصف الإحصائي لمتغير مكان الحصول على الشهادة للأساتذة

ومقياس الإنجاز الأكاديمي

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرارات	مكان الحصول على الشهادة
11.78941	16.3333	69	ليبيا
14.81082	127.0270	37	دولة عربية
4.85627	111.7500	4	أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية
17.92577	127.6667	3	باقي دول العالم
13.77916	119.9735	113	المجموع

يتضح من خلال الجدول (14) أن المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الإنجاز الأكاديمي حسب مكان الحصول على الشهادة العلمية للأساتذة يوجد بها فروق ظاهرية في هذه المتوسطات ، حيث درجة الإنجاز الأكاديمي

للأساتذة الحاصلين على الشهادة العلمية من ليبيا بمتوسط حسابي (156.33) ،  
والأساتذة الحاصلين على الشهادة العلمية من الدول العربية بمتوسط حسابي  
(127.02) ، والأساتذة الحاصلين على الشهادة العلمية من أوروبا الغربية وأمريكا  
الشمالية بمتوسط حسابي (111.75) ، والأساتذة الحاصلين على الشهادة العلمية من  
باقي دول العالم بمتوسط حسابي (127.86) . مما يدل على أن الأساتذة الحاصلين  
على شهاداتهم العلمية من الدول العربية وباقي دول العالم أكثر إنجاز أكاديمي من  
بقية الفئات الأخرى .

جدول رقم (15) يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات الأساتذة لدرجات الإنجاز الأكاديمي

حسب متغير مكان الحصول على الشهادة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	3203.197	3	1067.732	6.444	0.001
داخل المجموعات	18061.723	109	165.704		
المجموع الكلي	21264.920	112			

يشير هذا الجدول إلى تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق بين  
متوسطات مكان الحصول على الشهادة والتي بينت على أنها دالة إحصائياً عند  
مستوى دلالة (0.001) ، إذ كانت قيمة (F.Test) المحسوبة (6.444) وبدرجتي  
حرية (3 ، 109) . مما يدل على أن متغير مكان الحصول على الشهادة العلمية  
يؤثر في اتجاهات الأساتذة نحو الإنجاز الأكاديمي .

تاسعاً / نتائج الدراسة :

من خلال ما تقدم من تحليل بيانات الدراسة الميدانية يمكن عرض أهم النتائج كما يلي :

1- أظهرت نتائج الدراسة أن درجة الإنجاز الأكاديمي لدى أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب - الجامعة الأسمرية زلّتين بشكل عام كان مرتفعاً من خلال مؤشرات ومجالاته الأربعة (مجال الأداء التنظيمي ، مجال البحث العلمي ، مجال خدمة الجامعة والمجتمع، مجال السلوكيات).

2- توصلت الدراسة إلى أن اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو الأداء التنظيمي يعتبر مرتفعاً من خلال استخدام أساليب متعددة لتقويم الطلاب والتحديث والتجديد والقدرة على اتخاذ القرارات وإنجاز العمل بكفاءة للخطة التدريسية والتخطيط لها .

3- أظهرت نتائج الدراسة أن مجال البحث العلمي لأعضاء هيئة التدريس بكلية يعتبر متوسطاً كيرب المعلومات النظرية بالواقع والاستعانة بالمراجع والمصادر الحديثة والاستمرار بالاطلاع عليها ومجالات التأليف والورش والمؤتمرات والندوات العلمية .

4- توصلت نتائج الدراسة إلى أن مجال خدمة الجامعة والمجتمع لدى أعضاء هيئة التدريس يعتبر مرتفعاً إلى حد ما فيما يتعلق بالمعرفة بإمكانيات المجتمع والقدرة على حل المشكلات والتعاون والتواصل مع الزملاء والطلاب والإسهام في سد احتياجات المجتمع المحلي وطرح أفكار جديدة حولها .

5- أكدت نتائج الدراسة أن سلوكيات أعضاء هيئة التدريس كانت مرتفعة بدرجة كبيرة نحو تحمل المسؤولية العلمية والقانونية والأخلاقية والالتزام بالمحاضرات العلمية بفاعلية قصوى والطموح والتدرج المهني والأكاديمي والعقلانية في مواجهة المواقف المحرجة.

6- أظهرت نتائج الدراسة وجود تباين جوهري بين متغيرات (النوع - العمر - المؤهل العلمي - الدرجة الأكاديمية - عدد سنوات الخبرة - مكان الحصول على الشهادة ) فيما يتعلق بتأثيرها في اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو مستوى الإنجاز الأكاديمي .

7- توصلت نتائج الدراسة إلى أن متغير النوع (الأساتذة الذكور والإناث) يؤثر في درجتهم نحو الإنجاز الأكاديمي وأن الإناث أكثر إنجاز أكاديمي من الذكور .

- 8- توصلت نتائج الدراسة إلى أن متغير المؤهل العلمي يؤثر في مواقف الأساتذة نحو الإنجاز الأكاديمي وأن الأساتذة من حملة الدكتوراه أكثر إنجاز أكاديمي .
- 9- بينت نتائج الدراسة أن متغير عمر الأساتذة يؤثر في اتجاهاتهم نحو الإنجاز الأكاديمي كما أن الأساتذة الذين أعمارهم (51 سنة فأكثر) أكثر إنجاز أكاديمي من بقية الفئات العمرية الأخرى .
- 10- كما بينت نتائج الدراسة أن الدرجات الأكاديمية لأعضاء هيئة التدريس تؤثر في اتجاهاتهم ومواقفهم نحو الإنجاز الأكاديمي وأن الأساتذة من حملة أستاذ أكثر إنجاز أكاديمي .
- 11- توصلت نتائج الدراسة إلى أن سنوات الخبرة للأساتذة تؤثر تأثيراً كبيراً في مستوى الإنجاز الأكاديمي لديهم وبينت أن الأساتذة ذوي الخبرة الطويلة (16 سنة فأكثر) هم أكثر إنجاز أكاديمي .
- 12- بينت نتائج الدراسة أن مكان حصول الأساتذة على شهادتهم العلمية باختلاف الدول والمناطق سواء المحلية أو العربية أو الأوروبية وغيرها كان له تأثيراً واضحاً في اتجاهات الأساتذة نحو الإنجاز الأكاديمي وأن الأساتذة الحاصلين

على شهاداتهم العلمية من الدول العربية ، وباقي دول العالم أكثر إنجاز أكاديمي من بقية الدول الأخرى .

### توصيات الدراسة :

تقدم هذه الدراسة جملة من التوصيات الآتية :

- 1- تحسين ظروف العمل بالمؤسسات الأكاديمية سواء الخاصة بالتجهيزات ووسائل التدريس والمختبرات ومعامل الحاسوب والمكتبات والدوريات العلمية ، وذلك لتحسين درجة الإنجاز الأكاديمي .
- 2- اعتماد جودة الأداء الأكاديمي للأستاذ الجامعي كمعيار ومحك أساسي في منح الترقيات العلمية إلى جانب البحث العلمي ومدى مساهمته في خدمة المجتمع وحل مشكلاته .
- 3- نشر ثقافة الجودة والتطوير المهني بين العاملين بالمؤسسات التعليمية وإجراء المزيد من البحوث والدراسات الميدانية في هذا المجال للكشف عن العوامل المؤثرة في جودة الأداء والإنجاز الأكاديمي للأستاذ الجامعي .
- 4- وضع برامج تقييمية لمستوى الأداء الأكاديمي للأستاذ الجامعي يساعد على رفع جودة التعليم الجامعي من حيث وضع معايير تؤكد على تطوير

المناهج التعليمية ، وتفعيل مصادر التعلم والتعليم والبحث العلمي ، وتطوير أساليب الأداء الأكاديمي ، بما يسهم في التنمية المجتمعية

5- إجراء ملتقيات تدريبية للأساتذة بصفة مستمرة لتعريفهم بطرق وأساليب التعليم والبحث العلمي الحديثة ووسائلها التكنولوجية المتطورة ، والتي تساهم في رفع مستوى التفكير العلمي على غرار الكثير من الجامعات المتقدمة في العالم .

6- الاطلاع على الخبرات للدول المتقدمة في طرق تقييم أداء الأستاذ الجامعي ومراجعة جودة التعليم والاستفادة منها .

#### قائمة المصادر المراجع:

1- إبراهيم الحسن الحكمي ، الكفاءات المهنية المتطلبة للأستاذ الجامعي من وجهة نظر طلابه وعلاقتها ببعض المتغيرات ، مجلة رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ، الرياض-السعودية ، العدد 90 ، السنة الرابعة والعشرون ، 2003 .

2- أحمد زايد وآخرون ، مقياس قيم العمل ( الإطار النظري ودليل المقياس ) ، القاهرة، مكتبة الأنجلوالمصرية ، 1992 .

- 3- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1986.
- 4- الثبيتي مليمان ، القرني علي ، طرق أساليب تقويم أداء أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية من وجهة نظر عمداء الكليات ورؤساء الأقسام ، مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية ، الرياض ، المجلد الخامس .
- 5- الخوالدة محمد، مرعي توفيق، مدى ممارسة أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك للكفايات الأدائية المهمة لوظائفهم الأكاديمية، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد (26)، 1991.
- 6- السيد محمد الحسيني وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1989
- 7- الكندري حاسم ، إبراهيم علي ، تحليل للنشاط الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الكويت ، رسالة الخليج العربي ، الكويت ، العدد (34) ، 1990 .
- 8- اللجنة الشعبية للمرافق ، المخطط الشامل 2000 ، التقرير النهائي ، مكتب المشاريع ، بلدية زليتن ، شركة بولسيرفس ، وارسو-بولندا ، 2000 .
- 9- حسن شحاتة، التعليم الجامعي والتقويم بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2001.



10- خالد أحمد الصرايرة ، الأداء الوظيفي لدى أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر رؤساء الأقسام بها ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 27 ، العددان الأول والثاني ، 2011 .

11- خالد حسن السر ، تقويم جودة مهارات التدريس الجامعي ، حمل على الرابط

http://dr-saud-a.com/vb/SHOW Thread. PHP?T=64930 بتاريخ : 2015-1-30

12- خليل أحمد خليل، معجم مصطلحات علم الاجتماع، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1996.

13- دافيد ماكلياند ، مجتمع الإنجاز ( الدوافع الإنسانية للتنمية الاقتصادية ) ، ترجمة عبد الهادي الجوهري ومحمد سعيد فرج ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1998 .

14- دليل كلية الآداب والعلوم زليتين ، منشورات جامعة المرقب ، الخمس ، 2007 .

15- سامية محمد فهمي وآخرون ، مدخل إلى التنمية الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1999 .

16- ضياء الدين زاهر ، تقويم أداء الأستاذ الجامعي (الأداء البحثي كنموذج) ، مجلة المستقبل للتربية العربية ، المجلد (11) ، العدد (3) .

17- عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ط7 ،  
1998.

18- عبد الواحد حميد الكبيسي ، واقع جودة التدريس الجامعي وسبل الارتقاء به ، المجلة  
العربية لضمان جودة التعليم الجامعي ، 2-4-2010 م .

19- علي ليلة، التعليم الجامعي والحراك الاجتماعي، القاهرة، المركز القومي للبحوث  
الاجتماعية والجنائية ، 2009 .

20- فهد بن عبد الله الدليم ، واقع الإرشاد الأكاديمي في الجامعات السعودية ، المجلة  
السعودية للتعليم العالي ، العدد 6 ، ديسمبر 2011 .

21- كمال التابعي، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، القاهرة، دار المعارف، ط2،  
1995 .

22- ماكس فيبر، الأحلاف البروتستانتية وروح الرأسمالية ، ترجمة : محمد علي مقلد،  
بيروت، مركز الإنماء العربي ، د.ت .

23- مجد الدين عمر خيرى خمس، علم الاجتماع "الموضوع والمنهج"، عمان، دار مجدلاوي، الأردن،  
1999 .

- 24- محمد كامل مصطفى وآخرون، معجم مصطلحات القوى العاملة ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1984 .
- 25- محمد ياسر الخواجه، العلوم الاجتماعية والتنمية البشرية " القضايا والمستقبل ، طنطا ، التركي للكمبيوتر والطباعة ، 2007 .
- 26- منى حميد السبيعي ، واقع المهارات التدريسية والمثالية لعضوات هيئة التدريس بكلية العلوم التطبيقية في ضوء معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر طالبات كلية العلوم التطبيقية بجامعة أم القرى ، ندوة التعليم : الأبعاد والتطلعات ، جامعة أم القرى-السعودية ، 2010 .

## اختلاف الفقهاء في صحة العمل بالوعول (دراسة فقهية مقارنة)

إعداد: د. عادل فرحات حسين الشلبي\*

## المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد ورسوله.

أما بعد... فإن علم الميراث من أجل العلوم وأشرفها؛ إذ به يتم إيصال الحقوق إلى ذويها على المنهج الشرعي الذي حكم الله به، ولحكمة يريد بها الله - تعالى - لم ينص على جميع مسائل الميراث، فاختلّف الصحابة - رضوان الله عليهم، ثم اختلف من بعدهم في بعض المسائل التي للاجتهاد فيها مجال، وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - له اجتهادات في هذا الباب اشتهرت، ومن أهم المسائل التي تفرد فيها: العول، وسيتناول البحث ماهية العول، ونشأة الخلاف فيه، وأهم أدلة العلماء ومناقشتها نقاشاً علمياً، وبيان الراجح من الأقوال، وقد قسمت البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: مقدمة تمهيدية في الميراث

\* عضو هيئة تدريس بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب الخمس، جامعة المرقب.

## المطلب الأول: تعريف الميراث، وبيان أركانه وشروطه، وأسبابه

## أولاً: الميراث لغةً.

الميراث جمع إرث وهو مأخوذ من مادة (ورث) فالواو والراء والثاء: كلمة واحدة، هي الورث، والميراث أصله الواو<sup>(1)</sup>، ويطلق في اللغة ويراد منه البقاء، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾<sup>(3)</sup>، أي: يبقى بعد فناء الكل ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له، ويطلق ويراد منه انتقال الشيء من قوم إلى آخرين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ﴾<sup>(4)</sup>.

## ثانياً: تعريف الميراث اصطلاحاً.

عرّف الفقهاء الميراث بتعريفات عدّة منها ما يلي:

1- عرفه الحنفية بأنه: "علم بأصول من فقه وحساب تعرف حق كل من التركة"<sup>(5)</sup>.

(1) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: (ورث)، (796/1)، والمصباح المنير للفيومي، مادة: (ورث)، (655/2).

(2) سورة مريم، الآية: 40.

(3) سورة الحجر، الآية: 23.

(4) سورة النمل، الآية: 16.

(5) رد المختار، لابن عابدين، (757/6).

- 2- عرفه المالكية بأنه: "علم يعرف به من يرث ومن لا يرث ومقدار ما لكل وارث"<sup>(1)</sup>.
- 3- عرفه الشافعية بأنه: "نصيب مقدر شرعاً للوارث"<sup>(2)</sup>.
- 4- عرفه الحنابلة بأنه: "العلم بقسمة الموارث"<sup>(3)</sup>.

ثالثاً: أركان الميراث، وهي ثلاثة<sup>(4)</sup>:

- 1- وارث: وهو من يستحق التركة أو جزءاً منها بسبب من الأسباب.
  - 2- مورث: وهو الميت حقيقة أو حكماً أو تقديراً.
  - 3- الشيء المورث: وهو ما يخلفه الميت من الحقوق قابلة للتجزئة كانت للميت.
- رابعاً: شروط الميراث، وهي ثلاثة<sup>(5)</sup>:

- 1- موت موروث حقيقة، أو حكماً كمفقود، أو تقديراً كجنين انفصل ميتاً في حياة أمه.
- 2- وجود وارثه عند موته حياً ولو بلحظة، حقيقة، أو تقديراً كالحمل.

(<sup>1</sup>) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدسوقي، (456/4)، حاشية الصاوي، للصاوي، (58/11).

(<sup>2</sup>) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لذكريا الأنصاري، (3/3).

(<sup>3</sup>) شرح الزركشي على مختصر الخرقى، للزركشي، (426/4)، وكشاف القناع، للدهوتي، (402/4).

(<sup>4</sup>) ينظر: رد المحتار، لابن عابدين، (758/6)، وحاشية العدوي على كفاية الطالب الرياني، (488/2).

(<sup>5</sup>) ينظر: مغني المحتاج، للشربيني، (10/4).

3- العلم بجهة إرثه.

خامساً: أسباب الميراث، وهي ثلاثة<sup>(1)</sup>:

**1- النكاح:** وهو عقد الزوجية الصحيح عند الجمهور، وادعى الحنفية في ذلك

الإجماع، خلافاً للمالكية، فيرث عندهم بسبب النكاح ولو فاسداً حيث كان مختلفاً

فيه، ولو لم يحصل دخول بالعقد إجماعاً، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾<sup>(2)</sup>.

**2- الولاء:** لقوله ﷺ: "الولاء لحمة كلحمه النسب"<sup>(3)</sup> أي: في حق استحقاق الميراث،

فقد التحق الولاء بالنسب؛ ولأنه بالإعتاق تسبب إلى إحيائه حكماً حين أزال عنه

المالكية والولاية التي هي من خاصة الإنسانية.

**3- النسب:** أي قرابة قريت أو بعدت من الجهات الثلاثة: الأصول، والفرع،

والحواشي، قال تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>.

(<sup>1</sup>) ينظر: رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، (762/6)، وحاشية العدوي على كفاية

الطالب الرياني، (488/2)، ومغني المحتاج، للشربيني، (9/4)، وروضة الطالبين، للنووي،

(3/6)، والإنصاف، للمرداوي، (303/7).

(<sup>2</sup>) سورة النساء، الآية: 12.

(<sup>3</sup>) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، (240/6)، كتاب: الفرائض، جماع أبواب الموارث، باب:

الميراث بالولاء، برقم: 12510، عن الحسن البصري مرسلأ، قال الزيلعي: أصح ما فيه

حديث هشام بن حسان عن الحسن وهو مرسل، ينظر: نصب الراية، للزيلعي، (152/4).

وقد جمعها الناظم في قوله<sup>(2)</sup>:

أسباب ميراث الوري ثلاثة \* \* كل يفيد ربه الوراثه

وهي نكاح وولاء ونسب \* \* ما بعدهن للمواريث سبب

المطلب الثاني: موانع الإرث وذكر آياته.

أولاً: موانع الميراث، وهي ثلاثة متفق عليها<sup>(3)</sup>:

1- الرق: وافرأ كان أو ناقصاً؛ ذلك لأنه سلب أهلية الملك، فجميع ما في يده من المال فهو لمولاه، فلو ورثناه عن أقربائه لوقع الملك لسيدته، فيكون توريثاً للأجنبي بلا سبب، وهو باطل إجماعاً.

2- الكفر: فالكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر، لقوله ﷺ: "لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم"<sup>(1)</sup>.

(1) سورة الأنفال، الآية: 75.

(2) نظم بغية الباحث عن جمل الموارث، للرحبي، (ص3).

(3) ينظر: رد المحتار، لابن عابدين، (766/6)، وحاشية الدسوقي، للدسوقي، (485/4).



3- القتل: فلا يرث القاتل ممن قتله لقوله ﷺ: "ليس للقاتل من الميراث شيء" (2).

وقد جمعها الناظم في قوله (3):

ويمنع الشخص من الميراث \* \* واحدة من علل ثلاث

\*

رقق وقتل واخْتِلافُ دين \* \* فافهم فليس الشك كاليقين

\*

ثانياً: ذكر آيات الفرائض في القرآن الكريم.

تعرض القرآن الكريم للمواريث في خمس آيات (4):

اثنان مجملة وهي في قوله تعالى:

1- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (1).

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، (8/156)، كتاب: الفرائض، باب: لا يرث المسلم الكافر ولا

الكافر المسلم، برقم: 6764، ومسلم في صحيحه، 5/59، كتاب: الفرائض، برقم: 1614،

عن أسامة بن زيد. رضي الله عنهما. مرفوعاً.

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، (6/120)، كتاب: الفرائض، باب: توريث القاتل، برقم:

6333، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً.

(3) نظم بغية الباحث عن جمل الموارث، للرجبي، (ص3).

(4) ينظر: الموارث والوصايا، لحمزة أبو فارس، (ص34).

2- وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾<sup>(2)</sup>.

والباقية مجملة وهي:

1- قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِن كُن نِسَاءً فَوَقَّعْنَا لِهِنَّ مِمَّا تَرَكَ مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(3)</sup>.

2- قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَمْ يَكُنْ لِهِنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَن مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلِهِنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِن لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلِهِنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ

(1) سورة النساء، الآية: 7.

(2) سورة النساء، الآية: 33.

(3) سورة النساء، الآية: 11.

وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي التُّلْتِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ  
يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ<sup>(1)</sup>.

3- قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَدٌّ وَرَأْسُ  
أَخْتٍ فَلَهَا نِصْفُ مِمَّا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَدٌّ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا  
التُّلْتَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ  
لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>(2)</sup>.

4- المبحث الثاني: ماهية العول في مسائل الميراث.

المطلب الأول: تعريف العول، وبيان أول من حكم بالعول وأصول الفرائض.  
أولاً: العول لغةً.

الميل في الحكم، أي: الجور، يقال: عال الرجل عولاً إذا جار وظلم، ومنه  
قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ إِلَّا تَعُولُوا﴾<sup>(3)</sup>، ويستعمل بمعنى الرفع، يقال: عال الميزان إذا

(1) سورة النساء، الآية: 12.

(2) سورة النساء، الآية: 176.

(3) سورة النساء، الآية: 3.

ارتفع أحد طرفيه عن الآخر، ويطلق ويراد منه شدة الشيء، يقال: عال أمر القوم عولاً إذا اشتد وتفاقم<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: العول اصطلاحاً.

"زيادة في السهام ونقص في الأنصباء"<sup>(2)</sup>.

وذلك عند تزامم الفروض وكثرتها، بحيث تستغرق جميع التركة ويبقى بعض أصحاب الفروض بدون نصيب من الميراث، فيلجأ حينها إلى زيادة أصل المسألة، حتى تستوعب التركة جميع أصحاب الفروض، وبذلك يدخل النقص إلى كل واحد من الورثة، دون أن يحرم أحدهم من الميراث.

مثالها: مسألة فيها: زوج وأختان شقيقتان، وإخوة لأم، فيفرض للزوج النصف، وللأختين الشقيقتين الثلثان، وللإخوة لأم الثلث، فالمسألة من ستة تعول إلى تسعة وتصويرها كما في الجدول التالي:

9	6	
3	3	زوج $\frac{1}{2}$
2	2	شقيقة $\frac{2}{3}$

(<sup>1</sup>) ينظر: العين، للفريدي، (248/2)، ولسان العرب، لابن منظور، مادة: (عول)، (481/11)-

482)، والمصباح المنير، للقيومي، مادة: (عول)، (438/2).

(<sup>2</sup>) حاشية الصاوي، للصاوي، (645/4)، وينظر: رد المحتار، لابن عابدين، (786/6)،

وكشاف القناع، لليهوتي، (431/4).

2	2	شقيقة
1	1	أخ الأم $\frac{1}{3}$
1	1	أخ الأم

فالزوج الذي يستحق النصف صار نصيبه الثلث، فعوضاً عن أن يأخذ ثلاثة أسهم من ستة وهو النصف أخذ ثلاثة من تسعة وهو الثلث، وهكذا بقية الورثة يدخل عليهم النقص في أنصبتهم في حالة عول المسألة<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: أول من حكم بالعول في مسائل الميراث.

لم يقع العول في زمن النبوة على صاحبها أفضل صلاةٍ وأزكى تسليم، ولا في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأول عول وقع في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسألة فيها: زوج وأختين لغير أم العائلة لسبعة فقال: لا أدري من أخره الكتاب فأؤخره ولا من قدمه فأقدمه، ولكن قد رأيت رأياً فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمن عمر، وهو أن يدخل الضرر على جميعهم، وينقص كل واحد من سهمه<sup>(2)</sup>.

ويقال: إن الذي أشار عليه بذلك أولاً العباس، وقيل: علي، وقيل: زيد، وقيل:

(1) ينظر: المبسوط، للسرخسي، (161/29).

(2) ينظر: المرجع السابق، ورد المحتار، لابن عابدين، (786/6)، وحاشية الدسوقي، للدسوقي، (471/4).

جمع من الصحابة رضي الله عنهم فقال لهم: فرض الله للزوج النصف وللأختين الثلثين، فإن بدأت بالزوج لم يبق للأختين حقهما، وإن بدأت بالأختين لم يبق للزوج حقه، فأشيروا إليّ فأشار العباس رضي الله عنه بالعدل، وقال: أرأيت لو مات رجل وترك ستة دراهم ولرجل عليه ثلاثة ولآخر عليه أربعة أليس يجعل المال سبعة أجزاء؟ فأخذت الصحابة رضي الله عنهم بقوله ولم يخالفهم أحد من الصحابة إلا ابن عباس - رضي الله عنهما - إلا أنه لم يظهر الخلاف إلا بعد موت عمر رضي الله عنه (1)، وقال: "إن الذي أحصى رمل عالج عدداً لم يجعل في المال نصفاً ونصفاً وثلاثاً" (2).

#### رابعاً: أصول الفرائض.

معنى أصل الفريضة: هو أقل عدد يستخرج منه سهام ذوي الفروض (3).

#### • أصول الفرائض المتفق عليها والمختلف فيها.

إن جملة أصول الفرائض تسعة سبعة متفقٌ عليها، واثنان مختلفٌ فيهما، فأما السبعة المتفق عليها فهي:

1- الاثنان عندما يكون في الفريضة نصف أو نصفان.

(1) ينظر: المراجع السابقة.

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، (6/253)، كتاب: الفرائض، باب: العول في الفرائض، برقم: 12584، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفاً.

(3) ينظر: رد المحتار، لابن عابدين، (6/787)، وحاشية الدسوقي، للدسوقي، (4/469-470)، ونهاية المحتاج، للرملي، (6/34-35)، وكشاف القناع، للبهوتي، (4/430-431).

- 2- الثلاثة عندما يكون في الفريضة ثلث أو ثلثان.
  - 3- الأربعة عندما يكون في الفريضة ربع أو ربع ونصف.
  - 4- الستة عندما يكون في الفريضة سدس، أو سدس وثلث، أو سدس وثلث ونصف، أو نصف وثلث.
  - 5- الثمانية عندما يكون في الفريضة ثمن، أو ثمن ونصف.
  - 6- الاثنا عشر عندما يكون في الفريضة ثلث وربع، أو ربع وسدس.
  - 7- الأربعة وعشرون عندما يكون في الفريضة ثمن وثلث، أو ثمن وسدس.
- وأما الاثنان المختلف فيهما:

- 1- الثمانية عشر عندما يكون في المسألة سدس، وثلث الباقي.
  - 2- الستة والثلاثون عندما يكون في المسألة سدس، وربع، وثلث الباقي.
- وهاتان المسألتان من مسائل باب الجد والإخوة، وأكثر الفقهاء لم يعتبروها أصولاً، بل اعتبروها تصحيحاً لغيرها من الأصول<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: بيان الأصول التي تعول من غيرها.

(1) ينظر: رد المحتار، لابن عابدين، (787/6)، وحاشية الدسوقي، للدسوقي، (469/4-470)، ونهاية المحتاج، للرلمي، (34-35/6)، وكشاف القناع، للبهوتي، (430-431/4)، والمواريث والوصايا، للدكتور حمزة أبو فارس، (ص93).

تقدم أن الأصول المتفق عليها سبعة، ولقد وجد بالاستقراء أن ثلاثة منها تعول، وهي: الستة، والاثنا عشر، والأربعة والعشرون.

1- فما أصله ستة قد يعول إلى سبعة وإلى ثمانية وإلى تسعة وإلى عشرة.

فالأول، كزوج وأختين شقيقتين: فإن الزوج يأخذ النصف وهو ثلاثة أسهم، والأختين الثلثين، وهو أربعة، فالمجموع سبعة، ومثال العول إلى ثمانية: زوج، وأختان لأب، وأم، فإن الزوج يأخذ النصف ثلاثة أسهم، وتأخذ الأختان الثلثين أربعة أسهم، والأم السدس سهماً، فالمجموع ثمانية.

ومثال العول إلى تسعة: زوج، وأختان شقيقتان، وأخوان لأم، فإن للزوج النصف ثلاثة، وللأختين الشقيقتين الثلثين أربعة، وللأخوين لأم الثلث سهمين، فيكون المجموع تسعة، ومثال العول إلى عشرة: زوج، وأخت شقيقة، وأخت لأب، وأخوان لأم، وأم، فللزوج النصف ثلاثة أسهم، وللأخت الشقيقة النصف ثلاثة، وللأخت لأب السدس سهم، وللأخوين لأم الثلث سهمان، وللأم السدس سهم، فالمجموع عشرة.

2- وما أصله اثنا عشر قد يعول إلى ثلاثة عشر، أو إلى خمسة عشر، أو إلى سبعة عشر.

فالأول كزوجة وأم وأخت لأب، فإن للزوجة الربع، وللأم الثلث، وللأخت لأب النصف، فأصل المسألة: اثنا عشر، للزوجة ثلاثة أسهم، وللأخت ستة، وللأم أربعة. وقد تعول إلى خمسة عشر، كزوج، وبنيتين، وأم، وأب، للزوج الربع ثلاثة، وللبنيتين ثمانية، ولكل من الأب والأم اثنان، فيكون المجموع خمسة عشر.



وقد تعول إلى سبعة عشر، كزوجة، وأم، وأختين لأب، وأخوين لأم. للزوجة الربع ثلاثة، ولأم السدس اثنان، ولأختين لأب الثلثان ثمانية، ولأخوين لأم الثلث أربعة، فيكون المجموع سبعة عشر.

3- وإذا كان أصل المسألة أربعة وعشرين، فإنها لا تعول إلا إلى سبعة وعشرين، وذلك كزوجة، وبنيتين، وأم، وأب، للزوجة الثمن ثلاثة، وللبنتين الثلثان ستة عشر، ولكل من الأب والأم السدس أربعة أسهم، فيكون المجموع سبعة وعشرين.

وما عدا ما ذكر من أصول المسائل فلا تعول، وهي الاثنان، والثلاثة، والأربعة، والثمانية، فلا عول في الاثنتين، لأن المسألة إنما تكون من اثنين إذا كان فيها نصفان، كزوج وأخت شقيقة، أو نصف وما بقي، كزوج وأخ شقيق.

كما لا عول في الثلاثة؛ لأن الخارج منها إما ثلث وما بقي، كأخ لأب وأم، وإما ثلثان وما بقي، كبنيتين وأخ لأب، وإما ثلث وثلثان، كأختين لأم وأختين شقيقتين ولا عول في الأربعة؛ لأن ما يخرج منها، إما ربع وما بقي، كزوج وابن، أو ربع ونصف وما بقي، كزوج وبنيت وأخ شقيق، أو ربع وثلث ما بقي، كزوجة وأبوين.

ولا عول في الثمانية؛ لأن الخارج منها إما ثمن وما بقي، كزوجة وابن، أو ثمن ونصف وما بقي كزوجة وبنيت وأخ لأب وأم.

وتسمى المسألة التي لا عول فيها ولا رد العادلة، وهي التي استوى مالها وفروضها؛ سميت بذلك لمساواة فروضها للمال في بقدره<sup>(1)</sup>.

المبحث الثالث: اختلاف العلماء في العمل بالعول وبين القول الراجح

**المطلب الأول: قول الجمهور من الصحابة ومن تابعهم واستدلّاهم**

ذهب جمهور الصحابة، كعمر بن الخطاب، والعباس بن المطلب، وزيد بن ثابت وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم، إلى القول بالعول في مسائل الميراث، وهو قول جمهور الفقهاء،

كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وأصحابهم<sup>(2)</sup>.

واستدلّ أصحاب هذا القول بالكتاب والسنة، والآثار، والقياس، وهاك تفصيلها:

**أولاً: القرآن الكريم.**

(<sup>1</sup>) ينظر: المرجع السابق، وحاشية الدسوقي، للدسوقي (4/469-470)، ونهاية المحتاج، للرملي (6/34-35)، وكشاف القناع، للبهوتي (4/430-431).

(<sup>2</sup>) ينظر: الإشراف، لابن المنذر النيسابوري (4/338)، ورد المحتار، لابن عابدين (6/786)، وحاشية الدسوقي (4/471)، والمجموع، للنووي (16/92)، وكشاف القناع، للبهوتي (4/431).

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وُلْدٌ﴾<sup>(1)</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وُلَّهُ أَحٌّ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي التُّلْثِ﴾<sup>(2)</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وُلْدٌ فَإِنْ كَانَ تِثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا التُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾<sup>(3)</sup>، وقال أيضاً: ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا التُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾<sup>(4)</sup>.

### ووجه الدلالة من الآيات:

أن الله تعالى قد سمى لأصحاب الفرض فروضهم، فسَمِيَ للزوج، وللأخت الشقيقة النصف، وللأخ من الأم السدس عند انفراده، والتلث إذا تعدد، ولم يفرق بين حال اجتماعهم وانفرادهم في مسائل الميراث؛ فإذا انفردوا واتسع المال لسهامهم قسم بينهم عليها، ففرض كل من هؤلاء ثابت لازم في كتاب الله الكريم بآيات محكمات، فالواجب إعطاء كل ذي فرض فرضه، فإذا ازدحمت الفروض وضاق أصل المسألة عن أسهمها وجب العول حتى يتم الإيفاء بحق جميع الورثة، وأما القول بتقديم من قدم الله تعالى وتأخير من أخره، فإنما قدم الله أصحاب الفروض، وأخر غيرهم وجعل الباقي

(1) سورة النساء، الآية: 12.

(2) سورة النساء، الآية: 12.

(3) سورة النساء، الآية: 176.

(4) سورة النساء، الآية: 176.

في حال التعصيب فقط، وأما حال التسمية التي لا تعصيب فيها فليس واحد منهم أولى بالتقديم من الآخر<sup>(1)</sup>.

**ثانياً: السنة.** عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: "اقسموا المال بين أهل الفرائض على كتاب الله، فما تركت الفرائض فلأولى رجل ذكر"<sup>(2)</sup>.

**وجه الدلالة:** أن الله تعالى فرض لكل واحد من أصحاب الفروض فرضاً فوجب أن يقسم ذلك بينهم، فإذا كان الأخوات أقوى حالاً من الأم، والبنات أقوى حالاً من الزوج والزوجة؛ بدليل أن البنات يحجب الزوج والزوجة من النصف والربع إلى الربع والثلث، والزوجان لا يحجبانهن، والأخوات يحجب الأم، والأم لا تحجبهن، فكيف يجوز تقديم الضعيف على من هو أقوى منه، فوجب إذا ضاقت التركة عن سهام التركة أن يجعل لكل واحد منهم على قدر سهمه حسب قانون النسبة ويضرب به<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص (116/2).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (151/8)، كتاب: الفرائض، باب: الجد مع الأب والاختوة، برقم:

6737، ومسلم في صحيحه (59/5)، كتاب: الفرائض، باب: ألحقوا الفرائض بأهلها، فما

بقي فلأولى رجل ذكر، برقم: 1615، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً.

(3) ينظر: المجموع للنووي (95/16).

## ثالثاً: الأثر.

ما تقدم من الأثر الثابت عن عمر رضي الله عنه، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، أنهم قضوا بالعول عند تزام الفروض في كل فريضة زاد مجموع سهام المستحقين فيها عن أصل الفريضة، حيث قال: "والله لا أدري أيكم قدم الله عزّ وجل ولا أيكم آخر، فلا أجد شيئاً أوسع من أقسم بينكم هذا المال بالحصص، فأدخل على كل ذي حق ما دخل عليه من العول<sup>(1)</sup>."

1- ما ثبت عن علي رضي الله عنه، أنه سئل عمّ تستحقه الزوجة من تركة زوجها في فريضة يرثها معها أبوان وبنتان، وكان حينها يخطب الناس على المنبر فقال: "قد صار ثمنها تسعاً"، واستمر في خطبته، ومعنى قوله صار ثمنها تسعاً أنها تستحق ثلاثة أسهم من سبعة وعشرين، وهي التسع بعد أن كانت تستحقها من أربعة وعشرين وهي الثمن<sup>(2)</sup>.

## رابعاً: القياس.

1- إن التركة التي زاد مجموع سهام المستحقين فيها عن أصل الفريضة تقاس على التركة إذا كانت مستغرقة بديون تزيد عليها، وكذا على الغرماء إذا ضاق مال المفلس عن توفيتهم، فكما أن التركة المدينة وكل مال مدين تجب قسمته على الدائنين بنسبة

(1) تقدّم، ص7.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (262/16)، كتاب: الفرائض، باب: في ابنتين وأبوين وامرأة، برقم: 31853، عن علي رضي الله عنه موقوفاً.

كل دين إلى مجموع الديون، ودخل النقض على كل منهم بنسبة ما نقص المال عن المجموع، فكذا يجب قسمة التركة على الوارثين الذين زاد مجموع سهامهم عن أصل فريضتهم، فيدخل على كل منهم من النقص بنسبة ما نقصه أصل الفريضة عن مجموع السهام، بجامع أن كلاً من المقيس والمقيس عليه مال يتسع لوفاء مستحقه<sup>(1)</sup>.

2- أن التركة التي تضيق بسهام المستحقين تقاس على الوصية فيما إذا أوصى لأشخاص كل منهم بمقدار معلوم أو بجزء منسوب إلى أصل التركة كتمنأها أو ربعها، وقد ضاق ثلث التركة عن إيفاء الموصى لهم ما أوصى لهم به، فإن ثلث التركة حينئذ يقسم على الموصى لهم بنسبة حصة كل منهم إلى الثلث، فيدخل النقص على الجميع، فكذا يجب الحكم في التركة التي ضاقت عن إيفاء مستحقيها بإدخال النقص على جميعهم بنسبة ما نقصته التركة عن مجموع السهام<sup>(2)</sup>.

#### خامساً: المعقول.

1- إن مسائل العول يستفاد حكمها من القرآن؛ وذلك أن الله تعالى قد فرض وقدر لأهل الموارث أنصباء، وهم بين حالتين:

- (<sup>1</sup>) ينظر: المبسوط، للسرخسي (2/162-163)، والمجموع، للنووي (95/16)، وتأويلات أهل السنة، للماتريدي (3/62)، وأضواء البيان، للشنقيطي (4/200).
- (<sup>2</sup>) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص (2/116)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (3/62)، والمجموع، للنووي (95/16).

إما أن يحجب بعضهم بعضاً أو لا، فإن حجب بعضهم بعضاً، فالمحجوب ساقط لا يزاحم ولا يستحق شيئاً، وإن لم يحجب بعضهم بعضاً فلا يخلو، إما أن لا تستغرق الفروض التركة، أو تستغرقها من غير زيادة ولا نقص، أو تزيد الفروض على التركة، ففي الحالتين الأوليين كل يأخذ فرضه كاملاً، وفي الحالة الأخيرة وهي ما إذا زادت الفروض على التركة فلا يخلو الأمر من حالتين:

إما أن ننقص بعض الورثة عن فرضه الذي فرضه الله له، ونكمل للباقيين منهم فروضهم، وهذا يعتبر تحكماً وترجيحاً بلا مرجح وهو باطل، فليس نقصان أحدهم بأولى من الآخر، فتعينت الحال الثانية، وهي: أن يعطي كل واحد منهم نصيبه بقدر الامكان، ويحاصّ بينهم كديون الغرماء الزائدة على مال الغريم، ولا سبيل لذلك إلاّ بالعول، فعلم من هذا أن العول في الفرائض قد بينه الله في كتابه<sup>(1)</sup>.

2- تناقض مذهب ابن عباس - رضي الله عنهما - ومن تبعه في مسألة واحدة، وهي إذا كان هناك زوج، وأختان لأم، وأم، فلا بد أن ينتقض فيها بعض أصول ابن عباس - رضي الله عنهما؛ لأنه إن قال: للزوج النصف وللأم السدس، وللأختين الثلث نقض أصله في أن الأختين تحجبان الأم من الثلث إلى السدس، وإن قال: للزوج النصف وللأم الثلث وللأختين للأم الثلث نقض أصله؛ لأنه أدخل النقص

(1) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص168).

على من له فرض مقدّر لا ينقص عنه، وإن قال: للزوج النصف ولأمّ الثلث وللأختين أمّ الثلث أعال الفريضة فنقض أصله في العول<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني

قول ابن عباس ومن تابعه واستدلّاهم وبينان القول الراجح

الفرع الأول: قول ابن عباس ومن تابعه واستدلّاهم

ذهب ابن عباس - رضي الله عنهما - إلى أن مسائل الميراث لا تعول، وبه قال الظاهرية<sup>(2)</sup> واستدل هؤلاء القوم بما يلي:

أولاً: من القواعد الثابتة المسلمة في بنية العالم أن الشيء لا يعقل أن يكون أكثر من نصفين، فإن كل ما خلق الله تعالى في الدنيا والجنة والنار والعرش لا يتسع لأكثر من نصفين، أو ثلاثة أثلاث، أو أربعة أرباع، أو ستة أسداس، أو ثمانية أثمان، فمن الباطل أن يكلفنا الله عز وجل بالمحال، وما ليس في الوسع، ومن الباطل أن يكلفنا من المخرج من ذلك والمخلص منه ما لم يبيّن لنا كيف نعمل فيه، ولذلك لا يصح في

(1) ينظر: أحكام القرآن، للكنيا الهراسي الشافعي (351/2)، المجموع، للنووي (95/16).

(2) ينظر: رد المحتار، لابن عابدين (787/6)، وحاشية الدسوقي، للدسوقي (469/4-470)، ونهاية المحتاج، للرملّي (34-35/6)، وكشاف القناع، للبهوتي (430-431/4)، والمواريث والوصايا، للدكتور حمزة أبو فارس، (ص93).



بنية العالم أن يكون في المسألة نصف ونصف وثالث، كما في زوج وأخت شقيقة وأختين لأم، فقد ذهب النصفان بالمال، فأين الثلث؟ وهكذا في بقية مسائل العول<sup>(1)</sup>.

وقد أثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله: "إن الذي أحصى رمل عالج عدداً لم يجعل في مال نصفاً ونصفاً وثلاثاً"<sup>(2)</sup>.

ثانياً: القول بالعول محدث، ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ وإنما هو احتياط ممن رأى العمل به من السلف ﷺ وقصدوا به الخير، فهو محض اجتهاد غير مسلم يقبل الخطأ، وإعطاء ميراث بلا نص من كتاب أو سنة، ومن هنا لا ينهض حجة، وإن أثر عن جمع من الصحابة ﷺ، فالحجة عند أهل الظاهر الكتاب والسنة والإجماع، وليس في مسألة العول دليل من كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، أو إجماع، وبهذا يكون القول بالعول في مسائل الميراث محدث لا يجوز العمل به<sup>(3)</sup>.

ثالثاً: عهد في الميراث التقديم والتأخير عند تقديم أصحاب الفروض كالزوج والزوجة، كما عهد أن بعض أصحاب الفروض يؤخرون أحياناً ليرثوا بالتعصيب إذا وجد من يعصدهم كالبنات وبنات الابن، وعهد أيضاً أن بعض أصحاب الفروض يحجبون

(1) ينظر: المحلي، لابن حزم الأندلسي (277/8).

(2) تقدم تخريجه، (ص8).

(3) ينظر: المرجع السابق، (278/8).

أحياناً حجباً كاملاً كما في أولاد الأم، فلو قدمنا من قدم الله، وأخرنا من آخر الله لما عالت الفرائض<sup>(1)</sup>.

وقد أثار عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: "وايم الله، لو قدم من قدم الله، وأخر من آخر الله، ما عالت فريضة، فقيل له: وأيهم قدم؟ وأيهم آخر؟ قال: كل فريضة لا تزول إلا إلى فريضة، فتلك التي قدم الله، وتلك فريضة الزوج له النصف فإن زال، فألى الربع، لا ينقص منه، والمرأة لها الربع، فإن زالت عنه، صارت إلى الثمن، لا تنقص منه، والأخوات لهن الثلثان، والواحدة لها النصف، فإن دخل عليهن البنات، كان لهن ما بقي، فهؤلاء الذين آخر الله، فلو أعطى من قدم الله فريضته كاملة، ثم قسم ما يبقى بين من آخر الله بالحصص، ما عالت فريضة"<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: مناقشة أدلة الفرقين بيان القول الراجح

أولاً: مناقشة أدلة مذهب ابن عباس ومن تبعه.

1- أما قولهم: لا يعقل أن يكون في بنية العالم شيء أكثر من نصفين، ومن الباطل أن يكلفنا الله بالمحال.

فيناقش: بأنه ليس في المال نصف ونصف وثلث، ولكن تعلق في المال حق صاحب نصف، وحق صاحب نصف آخر، وحق صاحب ثلث، كمسألة فيها:

(<sup>1</sup>) ينظر: المرجع السابق، (8/279).

(<sup>2</sup>) تقدم تخريجه، (ص8).

زوج، وشقيقة وأم، وما التأثير على بنية العالم في هذا؟! فالأرض تكون لرجل واحد، والأرض نفسها تصير لأثنين ولأربعة ولعشرة ولأكثر من ذلك، ولا تتأثر بنية الكون.

2- **وأما احتجاجهم:** بأن القول بالعول محدث.

**فيناقش:** بأنه قول لا وجه له، لأن أقوال الصحابة رضي الله عنهم آثار وسنن فكيف باتفاقهم، بل إن القول بأن لا عول في المسائل هو الأقرب للإحداث بعد اتفاق الصحابة، وأما أنه لم تمض به سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن مسائل العول لم تكن في عهده فيقضي بها، وإذا كان اتفاق الصحابة رضي الله عنهم راجعاً إلى رأي واجتهاد فقد صار حجة بعد اتفاقهم<sup>(1)</sup>.

3- **وأما احتجاجهم:** بأثر ابن عباس: "وأيمن الله، لو قدم من قدم الله، وآخر من أخر

الله، ما عاليت فريضة"<sup>(2)</sup> **فيناقش:** إن تقديم بعض أصحاب الفروض، وتأخير بعضهم عمل بغير دليل، فما الضابط في التقديم والتأخير؟ بل تقديم بعض أصحاب الفروض على بعض عمل بالقياس مع وجود النص القطعي، وهو ترك للعمل بالنص، ومع أن الظاهرية ينكرون القياس فمسلكهم في هذه المسألة هو عين العمل بالقياس ولكنه من أشنع أنواعه؛ لمخالفته كتاب الله صراحةً، فإنما قدم الله أصحاب الفروض، وآخر غيرهم وجعل لهم الباقي في حال التعصيب فقط،

(<sup>1</sup>) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص (2/116)، المجموع، للنووي (16/95)، العذب المنير من مجالس الشنقيطي، لمحمد الأمين الشنقيطي (3/128).

(<sup>2</sup>) تقدّم تخريجه، (ص8).

وأما حال التسمية التي لا تعصيب فيها فليس واحد منهم أولى بالتقديم من الآخر<sup>(1)</sup>.

ثانياً: مناقشة أدلة مذهب الجمهور القائلين بالعول.

1- أما احتجاجهم بظاهر الكتاب والسنة والأثر، وأن الله لم ينص على تقديم بعض أصحاب الفروض على بعض إنما نص على تقديم أصحاب الفروض على الذين يرثون بالتعصيب وما أثر عن عمر: "ما أدري أيهم قدم الله عز وجل ولا أيهم آخر"<sup>(2)</sup> فيناقش: أن عمر رضي الله عنه ومثله من الصحابة رضي الله عنهم لم يدعوا ما لم يتبين لهم، فإن كان خفي على عمر فلم يخف على ابن عباس - رضي الله عنهما - وليس مغيب الحكم عن غاب عنه حجة على من علمه، وقد غاب عن عمر رضي الله عنه علم جواز كثرة الصداق، وموت رسول الله، وأشياء كثيرة، فما قدح ذلك في علم من علمها. ويرد هذا النقاش: أن تقديم بعض أصحاب الفروض، وتأخير بعضهم بغير دليل، فما الضابط في التقديم والتأخير؟ بل إن تقديم بعض أصحاب الفروض على بعض عمل بالقياس مع وجود النص القطعي، وهو ترك للعمل بالنص<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص (2/116)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص168).

(2) تقدم تخرجه، (ص7).

(3) ينظر: المرجع السابق.

2- **وأما احتجاجهم بقياس التركة التي زاد مجموع سهام المستحقين فيها عن أصل الفريضة على التركة إذا كانت مستغرقة بديون تزيد عليها، وكذا مع الموصى لهم، والغرماء في مال المفلس.**

**فيناقش:** أن ذلك المال لو اتسع على ما هو لوسع الغرماء، والموصى لهم، ولو وجد بعد تحاوص مال الغريم يقسم على الغرماء والموصى لهم أبداً حتى يسعهم، وليس كذلك أمر العول، فإن كل ما خلق الله تعالى في الدنيا والجنة والنار والعرش لا يتسع لأكثر من: نصفين، أو ثلاثة أثلاث، فمن الباطل أن يكلفنا الله عز وجل بالمحال، ومن الباطل أن يكلفنا من المخرج من ذلك والمخلص منه ما لم يبين عنا كيف نعمل فيه<sup>(1)</sup>.

**ويرد هذا النقاش:** بأنه ليس في المال نصف ونصف وثلاث، ولكن تعلق في المال حق صاحب نصف، وحق صاحب نصف آخر، وحق صاحب ثلاث، كمسألة فيها: زوج، وشقيقة وأم، وما التأثير على بنية العالم في هذا؟! فالأرض تكون لرجل واحد، والأرض نفسها تصير لاثنتين وأربعة ولعشرة ولأكثر من ذلك، ولا تتأثر بنية الكون.

---

(<sup>1</sup>) ينظر: المحلى، لابن حزم الظاهري (277/8).

3- **وأما احتجاجهم على من أبطل العول تناقضاً في مسألة واحدة يتجلى فيها تناقض** مذهب ابن عباس رضي الله عنه ومن تبعه، وهي إذا كان هناك زوج وأختان لأم وأم، فلا بد أن ينتقض فيها بعض أصول ابن عباس رضي الله عنه.

**فيناقش:** أن الزوج والأم يرثان بكل وجه، وفي كل حال، وأما الاختان للأم، فقد يرثان وقد لا يرثان، فلا يجوز منع من نحن على يقين من أن الله تعالى أوجب له الميراث في كل حال وأبداً، ولا يجوز توريث من قد يرث وقد لا يرث إلا بعد توريث من نحن على يقين من وجوب توريثه وبعد استيفائه ما نصّ الله تعالى له عليه، فإن فضل عنه شيء أخذه الذي قد لا يرث، وإن لم يفضل شيء لم يكن له شيء، إذ ليس في وسع المكلف إلا هذا، أو مخالفة القرآن بالدعوى بلا برهان: فللزوج النصف بالقرآن، وللأم الثلث بالقرآن، فليس للإخوة للأم غيره، إذ لم يبق لهم سواه<sup>(1)</sup> **ويرد هذا النقاش:** بأنه مخالف لنص الآية القطيعة الدلالة، فانه يقول: **﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾**<sup>(2)</sup> وهو يقول: فلم يبق إلا السدس، فهذا عمل بما يناقض القرآن، وهو باطل<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر: المحلى، لابن حزم الظاهري (284/8).

(2) سورة النساء، الآية: 12.

(3) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص (116/2)، والعذب المنير من مجالس الشنقيطي، لمحمد الأمين الشنقيطي (128/3).

## ثالثاً: بيان القول الراجح

من المعلوم أن الخلاف سنة كونية، وأن الله تعالى قد جعل تفاوتاً في العقول والأفكار بين عباده، فوقع الخلاف بين المجتهدين في فهم النصوص ووجه دلالتها، فأدلى كل إمام بما وفقه الله إليه، وفتح به عليه، فكان كل مجتهد مثاباً ومأجوراً. وعليه أقول: بعد النظر في أقوال كلا الفريقين وأدلتهم، ومناقشتها نقاشاً علمياً سلمياً، تبين أن القول الراجح في هذه المسألة قول الجمهور القائلين بصحة العول؛ وذلك بناء على قوة أدلتهم النقلية والعقلية سنداً وامتناً ودلالة، وسلامتها من المعارضات الصحيحة، وايضاً فإن أدلة أصحاب المذهب المخالف قد نوقشت نقاشاً علمياً دامغاً بما يوجب ردّها، وعدم قبولها، وأيضاً لما فيه من الإنصاف بين الوارثين المستحقين للتركة، وعدلاً بينهم ولهذا قال بعض المحققين من الفقهاء: "لا نعلم اليوم قائلاً بمذهب ابن عباس، ولا نعلم خلافاً بين فقهاء الأمصار في القول بالعول بحمد الله ومنه"<sup>(1)</sup>.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد، فإنني توصلت من خلال دراسة هذا الموضوع الماتع إلى جملة من النتائج النفيسة التي تتلخص في النقاط التالية:

(1) المغني، لابن قدامة المقدسي (283/6).

- 1- تدور مادة "عول" في اللغة العربية حول عدّة معانٍ منها: الجور، والرفع، وشدة أمر الشيء.
  - 2- أن التعريف الاصطلاحي للعول عند الفقهاء هو: "زيادة في السهام ونقص في الأنصباء".
  - 3- لم يقع العول في زمن النبي ﷺ، ولا في عهد أبي بكر الصديق ﷺ وأول من حكم به عمر بن الخطاب ﷺ في مسألة فيها: زوج وأختين لغير أم العائلة لسبعة.
  - 4- أن أصول الفرائض المتفق عليها سبعة منها ثلاثة تعول وهي: الستة، والاثنا عشر، والأربعة والعشرون، وأربعة لا تعول وهي: الاثنان، والثلاثة، والأربعة، والثمانية.
  - 5- أن العلماء اختلفوا في صحة العمل بالعول في مسائل الميراث، فمنهم من رأى العمل به وهم كبار الصحابة وجمهور الفقهاء، ومنهم من لم يرى العمل به، وهم: حبر الأمة عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - والظاهرية.
  - 6- أن القول الراجح هو قول الجمهور القائلين بصحة العول؛ وذلك بناء على قوة أدلتهم، وسلامتها من المعارضات الصحيحة، وضعف أدلة أصحاب المذهب المخالف التي نوقشت نقاشاً علمياً دامغاً مما يوجب ردّها، وعدم قبولها.
- وصلّى الله على سيدنا محمدّ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً  
والحمد لله رب العالمين



## فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبوبكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفي: 370هـ)، ت: عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1415هـ/1995م.
- أحكام القرآن، لعلي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملق بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفي: 504هـ)، ت: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 1405هـ.
- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لذكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، السنيكي (المتوفي: 926هـ)، دار الكتاب الاسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- الإشراف على مذاهب العلماء، لأبي بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفي: 319هـ)، ت: صغير أحمد الأنصاري أبوحماد، مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة . الامارات العربية المتحدة، ط:1، 1425هـ-2004م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، (المتوفي: 1393هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون طبع، 1415هـ-1995م.

- الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، (المتوفي: 885هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط:2، بدون تاريخ.
- بغية الباحث عن جمل الموارث، لموفق الدين أبو عبدالله علي الرحبي، (المتوفي: 579هـ)، دار المطبوعات الحديثة، بدون طبع، 1406هـ. تأويلات أهل السنة، لحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، (المتوفي: 333هـ)، ت: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1426هـ-2005م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر عبدالله السعدي، (المتوفي: 1376هـ)، ت: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420هـ-2000م.
- حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، (المتوفي: 1230هـ)، دار الفكر، ط: بدون طبعة، وبدون تاريخ.
- حاشية الصاوي على الشرح الصغير، لأبي العباس أحمد بن محمد الخلوئي، الشهير بالصاوي المالكي، (المتوفي: 1241هـ)، دار المعارف، بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.

- حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرياني، لعلي الصعيدي العدوي المالكي، ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، بدون طبعة، 1412هـ.
- رد المحتار علي الدر المختار، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي الحنفي، (المتوفي: 1252هـ)، دار الفكر، بيروت، ط:2، 1412هـ-1992م.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، (المتوفي: 676هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، ط:3، 1412هـ-1991م.
- السنن الكبرى للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف العمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط:1، 1352-1355هـ.
- شرح الزركشي على مختصر الخرفي، لشمس الدين محمد بن عبدالله الزركشي المصري الحنبلي، (المتوفي: 772هـ)، دار العبيكان، ط:1، 1413هـ-1993م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري، (المتوفي: 256هـ)، دار طوق النجاة، بيروت، ط:1، 1422هـ.

- صحيح مسلم، لابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (المتوفي: 261هـ)، دار الجيل، بيروت، مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334هـ، وترقيم الأحاديث، وفق طبعة: (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة).
- العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، (المتوفي: 1393هـ)، ت: خالد بن عثمان السبت، وإشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: 2، 1426هـ.
- العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (المتوفي: 170هـ)، ت: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- كشف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن ادريس البهوتي الحنبلي، (ت: 1051هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- لسان العرب، لمحمد بن أحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفي: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط: 3، 1414هـ.

- المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، (ت: 483هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط: بدون طبعة، 1414هـ-1993م.
- المجموع شرح المذهب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (المتوفي: 676هـ)، مع تكملة السبكي والمطبعي، دار الفكر، بدون: طبع، وبدون تاريخ.
- المحلى بالآثار، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، (المتوفي: 456هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون: طبع، وبدون تاريخ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- المصنف، لابن أبي شيبة، أبي بكر بن أبي شيبة علي الكوفي، (المتوفي: 235هـ)، دار القبلة، جدة، ومؤسسة علوم القرآن دمشق، سوريا، ط: 1، 1427هـ-2006م.
- المغني لابن قدامة، لأبي محمد موفق الدين عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، (المتوفي: 620هـ)، مكتبة القاهرة، بدون طبع، 1388هـ-1968م.
- المواريث والوصايا في الشريعة الاسلامية فقهاً وعملاً، للدكتور حمزة أبو فارس، دار الحكمة، طرابلس، ليبيا، ط: 7، 2015م.

- نصب الراءة لأحاديث الهاءة مع حاشيته بغاءة الألمعي في تخريج الزيلعي، لجمال الدين ابي محمد عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي، (المتوفي: 762هـ)، ت: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، دار القبلة للثقافة الاسلامية، جءة، ط:1، 1418هـ-1997م.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن ابي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي، (ت: 1004هـ)، دار الفكر، بيروت، ط: أخيرة، 1404هـ-1984م.

## مستوى التحصيل الدراسي لتلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال

(دراسة مقارنة بين التلاميذ الصف الأول الابتدائي بمنطقة قصر الأخيار)

إعداد: د. أسامة عمر بن شعبان

### المقدمة:

تعتبر مؤسسة رياض الأطفال من المؤسسات التربوية والاجتماعية التي تسعى إلى تأهيل الطفل تأهيلا سليما للالتحاق بالمرحلة الابتدائية ومساعدة الطفل في اكتساب مهارات وخبرات جديدة وتتراوح أعمار الأطفال في هذه المرحلة ما بين الثالثة والسادسة وذلك حتى لا يشعر الطفل بالانتقال المفاجئ من البيت إلى المدرسة، وهذا ما جعلها مرحلة ملحة ، يتوفر فيها التعرف على حاجات الطفل وميوله وتوفير ما يناسبه من مواد تساعدهم على زيادة التحصيل الدراسي الجيد ، وان ارتفاع التحصيل الدراسي نجد من أسبابه مؤسسة رياض الأطفال فهي مؤسسة هادفة لا تقل أهمية عن المراحل التعليمية الأخرى .

ونظرا للأهمية البالغة التي يحتلها القطاع التعليمي أظهرت دولة ليبيا كباقي الدول الأخرى، اهتماما واضحا في هذا المجال ، من خلال تبني أنظمة أكثر تطورا، وذلك من خلال مجموعة الإصلاحات التربوية التي قامت بها في مراحل متفاوتة لغرض تحسين وتطوير قطاع التربية والتعليم ، وخصوصا التعليم في المرحلة الأولى ، وحتى المراحل قبل المدرسة ، التي تعتبر عنصر موازن للمراحل التعليمية للطفل، والتي تسهم بشكل كبير في بناء شخصيته وتحفيزه على الانخراط في التعليم الإلزامي والرسمي المجسد في

المدارس النظامية للدولة؛ لدفع الطفل لتنمية معارفه ومهاراته المختلفة في سنواته الأولى وخاصة المرحلة التمهيديّة .

ولقد أكد جان بياجيه بأن المؤسسات التربوية (رياض الأطفال) التي تزود الأطفال بقدر متنوع من الأنشطة المختلفة تجعل أطفال ما قبل المدرسة الابتدائية يُكوّنون قدراً هائلاً من القدرات المختلفة قبل التحاقهم بالمدرسة بينما الأطفال الذين لا تمكنهم ظروفهم من الالتحاق بتلك المؤسسات يبدون مستوى منخفضاً في قدراتهم المختلفة .(روث م بيرد،1997،ص83)

فمؤسسات رياض الأطفال تهدف إلى تقديم المعارف والأنشطة المهارية لتنمية شخصية الطفل وتهيئته للدخول للمرحلة الابتدائية ، فالطفل في هذه المرحلة بحاجة ماسة إلى جعله ينتقل من طفل بيولوجي إلى تلميذ اجتماعي يتسم بأفكار علمية شاملة ومتعددة، ومزود بمختلف المهارات التي من شأنها أن تجعل منه تلميذ باستطاعته ممارسة جميع الأنشطة المدرسية ، التي تؤهله لبلوغ المراحل اللاحقة من تعليمه.

مما سبق يتضح لنا أهمية الدور الذي تلعبه مرحلة رياض الأطفال في تكوين شخصية الطفل وتحسين التحصيل الدراسي ، وإن ثقافة المجتمعات لن تتحقق دون تطبيق برامج التنمية لمهارات الحياة اليومية التي تواكب ظروف المجتمعات في الوقت الحالي وتخص كل طفل بخطط ترعى نموهم الجسمي والعقلي والنفسي وتسهل انتقالهم من الحياة المنزلية إلى التربية المدرسية إلى جانب المتعة التي تولدها هذه البرامج وتترك بأكبر الأثر في حياة الطفل والأسرة والمربين .



## مشكلة البحث :

إن مرحلة الطفولة من المراحل المهمة التي يمر بها الإنسان وهي مرحلة ذات قابلية للتأثر بالعوامل المختلفة والتي تحيط به، وتترك أثراً إما أن يكون ايجابياً أو سلبياً على حياته المستقبلية، وأن السنوات الخمسة الأولى ( مرحلة الطفولة ) لها أهمية بالغة في تكوين الشخصية وتحسين التحصيل الدراسي ، مما يستوجب على المؤسسات التربوية أخذ دوراً فاعلاً في العناية واحتضان واستقطاب أكبر عدد من الأطفال في رياض الأطفال كونها أحد أول المؤسسات التربوية واللبننة الأساسية التي تسهم في بناء المجتمع ، حيث تسهم مساهمة فعالة في تربية الأطفال وفق أسس ومناهج نفسية وتربوية وصحية تهيأهم إلى المرحلة القادمة ألا وهي مرحلة الدراسة الابتدائية .

ولقد عرفت العديد من البلدان تعليم ما قبل المرحلة الابتدائية منذ عقود، في حين لا تزال فكرة هذا التعليم جديدة نسبياً في البعض الآخر . وهذا التعليم يخدم الأطفال من سن ٤ سنوات إلى ٦ سنوات، في حين تكفي بلدان أخرى بتقديم هذه الخدمة للأطفال في سنتهم الخامسة، وتمتد الاختلافات المتعلقة بهذا التعليم لتطال مدى توافر هذا النوع من التعليم، حيث يكون متاحاً تقريباً لكل الأطفال في بعض البلدان كأوروبا، في حين يتوافر للقليلين أو ربما لا يتوافر في دول أخرى .ولا سيما الدول النامية ( Patricia ، pp575:2000)

وقد أكد الاتحاد العالمي لتربية الطفولة على أهمية السنوات التي تسبق المدرسة مباشرة أو التي يقضيها الأطفال في الروضة بشكلٍ خاص على نموهم بمظاهره المختلفة

(الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية) وتوفر خبرات مناسبة للأطفال لغوياً ، وثقافياً،  
ونمائياً..،2010، Frey. N. & Fisher (pp110)

كما أن كثيرا من الدراسات المتعلقة بمرحلة رياض الاطفال تشير الى التربية المبكرة بالمدرسة كثيرا ما تفيد في إيجاد الاتجاهات الايجابية نحو الدراسة ونحو المدرسة وهذه الاتجاهات لها قيمتها في مستقبل الطفل خلال مراحل التعليم المختلفة .

إن الالتحاق بدور رياض الأطفال يُمكن الطفل من تنمية قدراته واستعداداته وتنمية الجانب اللغوي والمعرفي وتهنيئته للحياة المدرسية النظامية في مرحلة التعليم الأساسي، وذلك ما أكدته الدراسات والبحوث المتعلقة برياض الأطفال على أن الأطفال الذين التحقوا برياض الأطفال ودخلوا المدرسة الابتدائية أسرع في التعليم وأحسن تحصيلاً من زملائهم الذين لم يلتحقوا برياض الأطفال.

فان ارتفاع التحصيل الدراسي نجد من أسبابه مؤسسة رياض الأطفال ، هذا ما أكدته دراسة كلا من (لعموري وليد،2016) بأن لمؤسسة رياض الأطفال دور فعال في تحصيل التلميذ ، ودراسة (مروه ابراهيم ، 2003) في أنه هناك علاقة إيجابية بين التحاق الطفل بمرحلة رياض الأطفال ومستوى تحصيله وقدرته على الاستيعاب .

كما توصلت دراسة (يخلف رفيقه، 2005) إلى أن رياض الأطفال في دولة الجزائر له الأثر الإيجابي على التحصيل الدراسي ، ومنها النمو الاجتماعي والمهارات التعليمية والاندماج المدرسي السهل وأن ضعف التحصيل الدراسي يمكن أن يُعزي إلى سنوات الطفولة المبكرة ، هذا ما أكدته دراسة (عايدة عطيفة، 1997) بأن الالتحاق بالروضة أثر على الاستعداد القرائي للأطفال؛ لذلك تُعد رياض الأطفال مؤسسات تربية واجتماعية

تسعى إلى تأهيل الطفل تأهيلاً سليماً للالتحاق بالمرحلة الابتدائية، وذلك لمساعدة الطفل في اكتساب مهارات وخبرات جديدة، ومن هنا يمكن أن تتحدد مشكلة البحث الراهن في التساؤل الآتي: ما مستوى التحصيل الدراسي لتلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال؟

### أهمية البحث:

1 - تعتبر مرحلة ما قبل المدرسة مرحلة رئيسة ومهمة للنمو الجسمي والعقلي والنفسي ، ولها آثارها العميقة في تكوين مفاهيم الطفل، لذا فإنه من الضروري تهيئة كل الطرق لينمو نمواً سليماً ،ولا يتأتى ذلك إلا من خلال ما يقدم له ، فالخبرات التربوية المبكرة ضرورية ومهمة فهي تنمي قدرات الطفل ،وتعمل على ربطه بالعالم المحيط به ، وتؤهله لأن يصبح عضواً نافعا ومنتجاً.

2 - تقدم هذه الدراسة دليلاً عملياً عن دور رياض الأطفال ومدى ضرورته لتحسين نوعية التعليم، ومدى التقدم في مستوى التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف الاول الابتدائي.

3 - يوضح هذا البحث أهمية مرحلة رياض الأطفال في إعداد الطفل للمرحلة الابتدائية وبالتالي يوضح أهمية هذه المرحلة وأنه يجب أن يلتحق كل طفل بها ليس لكونها اعداد للمرحلة الابتدائية فقط وإنما لكونها مرحلة مستقلة تساعد على النمو الشامل المتكامل للطفل.

4 - يساعد هذا البحث الباحثين والدراسين وأولياء أمور الأطفال في التعرف على أهمية دور الالتحاق برياض الأطفال في الرفع من مستوى التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف الأول الابتدائي .

5 - ازدياد شعور التربويين بأهمية تلك المرحلة وهو شعور مبني على قناعات ودراسات سيتم استعراض منها في هذا البحث.

#### أهداف البحث :

- 1 - الكشف عن مستوى التحصيل الدراسي لتلاميذ الصف الأول الابتدائي .
- 2 - التعرف على الفروق في مستوى التحصيل الدراسي بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال.
- 3 - التعرف على الفروق في مستوى التحصيل الدراسي بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال حسب النوع (ذكور-إناث).
- 4 - التعرف على الفروق في مستوى التحصيل الدراسي بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال حسب المقررات الدراسية.

#### تساؤلات البحث :

- 1 - ما مستوى التحصيل الدراسي لتلاميذ الصف الأول الابتدائي ؟
- 2 - هل توجد فروق في مستوى التحصيل الدراسي بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال؟
- 3 - هل توجد فروق في مستوى التحصيل الدراسي بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال حسب النوع (ذكور-إناث)؟

4 - هل توجد فروق في مستوى التحصيل الدراسي بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال حسب المقررات الدراسية؟

**مصطلحات البحث :**

**التحصيل الدراسي (academic attainment):** هو مستوى محدد من الأداء أو الكفاءة في العمل الدراسي ، كما يقيم من المعلمين عن طريق الخبرات المقننة أو كليهما . (الظاهر سعد الله ، 2006 : ص46)

**المدرسة الابتدائية (Elementary school):**

هي التي تقوم بالمرحلة الأولى من التربية والتعليم وتستهدف تربية الأطفال وتعليمهم من أوائل سنتهم السادسة ، وتحاول إكسابهم العادات ، والمهارات التي سيحتاجونها إليها في المستقبل ، مهما كانت المهن التي تنتظرهم ، كما تعرفهم المسالك التي سيسلكونها لذلك المستقبل .(عبدالحميد فايد، 1993 : ص37)

**رياض الاطفال ( Early Childhood):**

هي مؤسسات تربية تستقبل الأطفال من عمر (3-6) سنوات وتسعى إلى توفير الشروط التربوية المناسبة لرعاية القوى الكافية للطفل بغية إيقاظها وتسهيل نموها من النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية . (رحيم يونس ، 2014 : ص15)

**المدرسة (school):**

مؤسسة اجتماعية ينشئها المجتمع بهدف تأهيل التنشئة الاجتماعية للحياة الاجتماعية من خلال التربية . (مراد زغبى ، 2007 : ص124)

**الإطار النظري للبحث:**

أولاً: التحصيل الدراسي:

مفهوم التحصيل الدراسي:

يعتبر مفهوم التحصيل واحداً من أكثر المفاهيم تناولاً و تداولاً في الأوساط التربوية التعليمية، فهو مادة للحوار والنقاش وميداناً للبحث و الدراسات المعمقة، وهو ما يعكس بالتأكيد الأهمية التي يحتلها في نشاط المسؤولين التربويين والإداريين والمعلمين والأهل، التي تملئها الحاجة الملحة إلى إعداد الأجيال الناشئة لتكون قادرة على العطاء والإسهام وتحقيق الأهداف الاجتماعية. والتحصيل الدراسي يعتمد بالدرجة الأولى علي قدرات التلميذ وما لديه من خبرة ومهارة وتدريب، وما يحيط به من الظروف، حيث لا يمكن أن نؤتي ثمارها ونتائجها في ميدان التحصيل والإنجاز والأداء إلا إذا اقترنت بدوافع قوية، فالدافع القوي يستطيع أن يدفع بالتلميذ نحو تحقيق أعلى درجات من الإنجاز والتحصيل، . (محمد عدس، 2003 : 267).

- تعريف التحصيل الدراسي :

• تعريف لغوي: "حصل الشيء و حاصل الشيء" "محصوله" بقيته و "تحصيل" الكلام رده إلي محصوله . ( محمد أبي بكر الرازي : 1990 ، ص 66 ) .

• تعريف اصطلاحي للتحصيل الدراسي :

1- هو درجة الاكتساب التي يحققها الفرد، أو مستوى النجاح الذي يحرزه أو يصل إليه في مادة دراسية أو مجال تعليمي . ( غنيم محمد: 2003 ،ص 39 ) .

2- هو مستوى من الكفاءة في ميدان العمل الأكاديمي أو المدرسي ، سواء بصفة عامة أو في مهارة معينة كالقراءة أو الحساب.( النصار صالح: 1982 ،ص 3).

3- هو الإنجاز التحصيلي للتلاميذ في مادة دراسية أو مجموعة مواد مقدرة بالدرجات منها طبقا للامتحانات المحلية التي تجريها المدرسة آخر العام وغيرها . (رمزية الغريب: 1970 ، ص 38)

4- هو كل أداء يقوم به الطالب في الموضوعات المدرسية المختلفة والذي يمكن إخضاعه لقياس عن طريق درجات اختبار أو تقديرات المدرسية أو كليهما. (كاظم كريم: 1982 ، ص 43 )

يمكن القول أن التحصيل الدراسي هو مقدار فهم التلميذ للمعلومات المدرسية وما وصل إليه في تعليم مادة معينة أو عدة مواد دراسية وما حصله منها نتيجة دراسته لها.

### أهداف التحصيل الدراسي:

1-بواسطته يتمكن التلميذ من معرفة مستواه الدراسي ورتبته مقارنا في ذلك مستواه بمستويات ورتب أقرانه - .يعتبر الوسيلة التي يلجا إليها الأساتذة واللجان المسؤولة عن الامتحانات وذلك لمعرفة المستوى ا لدراسي للتلاميذ وإمكانياتهم التحصيلية .

2- معرفة المستوى المحدد من الإنجاز أو الكفاءة أو الأداء في العمل المدرسي أو الأكاديمي يجري من قبل المدرسة أو بواسطة الاختبارات المقننة .

3- معرفة المعدل التراكمي الذي يحصل عليه الطالب في المرحلة الدراسية.

4- معرفة مستوى الأداء الفعلي للمتعلم بالمقارنة مع منهج تلقي مضمونه بطرق تعليمية معينة، ويتم تقديم ذلك المستوى بأداء معلومات وقدرات فكرية أو مهارات باختبارات، يعدها المعلمون المباشرون بالعملية التربوية من اختبارات مقننة وموضوعية تكون لها درجة كافية من التجاوب وصدق المضمون .

ومما سبق نستنتج أن التخلف الدراسي ليس عملية وراثية صرفه، فإذا ما انتزعت الأسباب العضوية المتصلة بالأجهزة المخية العصبية و الغدية والحسية الحركية فإن جميع التلاميذ قادرون على تحقيق تحصيل دراسي عادي ولم تبرهن مقياس الذكاء والقدرات الاستعدادات على وجود تمايز في مستوى التحصيل الدراسي يرجع إلى حالة فطرية في التلميذ نفسه .

إن التحصيل الدراسي لا يتم بطريقة ثنائية تقتصر على المعلم و التلميذ فحسب فهناك من جهة المنهج الدراسي، ودرجة مرونيته ومسايرته للتغيرات الاجتماعية و الاقتصادية في المجتمع، ومن جهة أخرى الوسط الاجتماعي أي المسافة التي يقطعها التلميذ من الأسرة حتى المدرسة، وتشمل هذه المسافة عملية التطبيق باعتبارها الختم الأول الذي لا تحي آثاره وطريقة الطفل في تلقي مؤثرات البيئة . فالأسرة باعتبارها الجماعة المرجعية



الأولى هي الوسط الأول الذي يتم من خلاله صقل الطفل و إعداده لعملية التحصيل الدراسي المقصودة في المدرسة.

- العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي :-

و تتمثل هذه العوامل في عدة نقاط منها :

### 1- عوامل متعلقة بالطفل:

- **الدافعية والإنجاز:** فالتحصيل الدراسي يرتبط بدافعية الإنجاز وكلما امتلك الطالب دافعاً قوياً للإنجاز، كلما ارتفع التحصيل لديه. (الصالح مصلح:1996، ص27).

- **مفهوم الذات :** إن سلوك الطفل و أداءه يتأثر بمفهومه عن ذاته، وبما أن التحصيل الدراسي هو نوع من الأداء فهو يتأثر بمفهوم الطالب عن ذاته، فنظرة الطالب إلي ذاته كشخص قادر علي التحصيل و النجاح في تعلمه المدرسي تعمل كقوة منشطة تدفعه إلي تأكيد هذه النظرة و الحفاظ عليها ، أما الطلبة الذين يعتبرون أنفسهم غير قادرين علي النجاح و التحصيل فإن تحصيلهم المدرسي يتأثر بهذه النظرة إلي أنفسهم. ( عبد الله حمدان:2001،ص136).

- **الاستعداد الدراسي :** هو مدى قابلية الفرد للتعلم، أو مدى قدرته علي اكتساب سلوك أو مهارة معينة، إذا ما تهيأت له الظروف المناسبة، غير أن التحصيل

يختلف عن الاستعداد؛ لأن التحصيل يعتمد علي خبرات تعليمية محدودة في أحد المجالات الدراسية أو التدريبية. بينما الاستعداد الدراسي يعتمد علي الخبرة التعليمية العامة التي يكتسبها الفرد في سياق حياته . وعليه فإن تحصيل الطلبة ذوي الاستعداد الدراسي المرتفع يكون أفضل من تحصيل الطلبة ذوي الاستعداد الدراسي المنخفض . ( رجاء أبو علام : 1994 ،ص306 ) .

- **القدرة العقلية :** إن التحصيل الدراسي يتأثر بقدرات الطالب العقلية ، فذوي القدرات العقلية المرتفعة أكثر تحصيلاً من ذوي القدرات العقلية المنخفضة . ( محمد عبد الرحمن عدس : 1996 ،ص200 ) .

2- **العوامل المتعلقة بالأسرة :** تؤثر طريقة معاملة الوالدين لأبنائهم علي مستوى تحصيلهم الدراسي، فالوالدان يهتمان بحياة أبنائهما، وما تتجه لهم من إمكانات مادية تلبي متطلباتهم الدراسية، يؤثر في استقرارهم النفسي والاجتماعي، و بالتالي علي مستوى التحصيل لديهم (بسماء آدم : 2001 ،ص81).

3- **عوامل متعلقة بالمدرسة:** يتأثر التحصيل الدراسي بالبيئة الاجتماعية والمادية للمدرسة، وبأنظمة الامتحانات فيها، ويمدى توافق الطالب مع محيطها، وعلاقته مع زملائه ومدرسته وكلما كانت العلاقة قائمة على الاحترام المتبادل، ومعرفة المعلم بالراحل النمائية للطلبة وبمشكلاتهم وكيفية التعامل معها ، كلما أثر ذلك

إيجابياً في مستوى التحصيل لديهم ، أما عدم احتياجات الطلبة النفسية و التعليمية والعلاقة القائمة علي إساءة معاملتهم ، فذلك يؤثر سلباً في مستوى تحصيلهم . (صالح الداھري: 2000 ،ص65).

#### - أنواع التحصيل الدراسي :

1- **التحصيل الدراسي الجيد** : يعرف التحصيل الدراسي الجيد علي أنه سلوك يعبر عن تجاوز الأداء التحصيلي للفرد لأداء أقرانه من العمر نفسه العقلي ولزمني.

2- **الفرد المتفوق دراسياً** يمكنه تحقيق مستويات تحصيلية مرتفعة عن المتوقع وحسب التحصيل الدراسي الجيد عبارة عن سلوك يعبر عن تجاوز أداء الفرد للمستوى المتوقع. ( عبد الحميد عبد اللطيف : 1990 ،ص188).

3- **التحصيل الدراسي الضعيف**: يكون ضعف التحصيل الدراسي أو التخلف الدراسي علي شكلين رئيسين ، العام والخاص، فالتخلف العام هو الذي يظهر عند التلميذ في كل المواد الدراسية ، أما الخاص فهو تقصير ملحوظ في عدد من الموضوعات الدراسية مثل مادة الرياضيات والفيزياء . (نعيم الرفاعي : 1979 ،ص436) .

#### - أسباب تدني التحصيل الدراسي :-

من أهم أسباب التحصيل الدراسي:

- 1- الضعف في الصحة العامة.
- 2- ضعف البصر والسمع والنطق .
- 3- ضعف الذكاء العام .
- 4- الفقر المادي للمنزل .
- 5- فقدان التوازن العاطفي .
- 6- انحطاط المستوى الثقافي في المنزل .
- 7- عدم المواظبة علي حضور المدرسة . (محمد النعامي: 2008، 28).

- شروط ومبادئ التحصيل الدراسي الجيد :

- للتعلم قوانينه وأصوله، توصل إليها علماء النفس والتربية والتي تجعل من التعليم إفادة لصاحبه، ومن أهم الشروط والمبادئ الخاصة بالتحصيل الدراسي الجيد :
- 1- التكرار: لحدوث التعلم لابد من التكرار أو الممارسة ، فلا يستطيع حفظ أي شيء دون تكرار ذلك عدة مرات حتي يتم إعادة التعلم و إتقانه .

2- الدافعية : شرط من شروط حدوث التعلم الجيد، وهو أن يكون هناك دوافع نحو بذل الجهد والطاقة لتعلم المواقف الجديدة أو حل المشكلات .

3- الطريقة الكلية: أن يأخذ المتعلم أولاً فكرة عامة عن الموضوع المراد دراسته ككل ثم بعد ذلك يبدأ في تحليل إلي جزئياته ومكوناته. ( عبدالله حمدان : 2001 ،ص54).

- العوامل المعيقة عن الدراسة و التحصيل :-

و تتمثل عوامل التحصيل الدراسي في الآتي :

1- وجود المشاكل العائلية في الأسرة .

2- سوء البيئة الاجتماعية التي فيها منزل الطالب .

3- انشغال الطالب بعمل والده في المتجر أو المصنع أو تعليق الطالب برياضة معينة يصرف فيها كل وقته و يفضلها علي الدراسة .

4- سوء حالة الطالب المادية ، كراهية الطالب لمادة معينة أو أستاذ معين أو مدير المدرسة .

5- تساهل المدرسة في غياب الطالب وعدم توفير ما يحتاجه من أدوات وآلات وكتب في المدرسة.

6- عدم تعاون المنزل مع المدرسة من أجل تتبع الطالب من ناحية التحصيل الدراسي.

7- كثرة المواد التي تدرس له وطول المقررات الدراسية .

8- ضعف مستواه الدراسي بسبب إهماله في جميع المواد الدراسية وصعوبة المادة وعدم فهمها وعدم مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة في الفصل من قبل المدرسين.

9- عدم حث الطالب بالاستقرار في كل وقت في البيت وفي المدرسة علي المذاكرة والتحصيل والكفاح ومن ثم إعداد الطالب لذلك الشعور بعدم تمكنه من متابعة زملائه في الفصل .

10- انتشار عملية الغش في المدرسة وتسريب الأسئلة يؤدي إلي الإهمال .

11- سوء معاملة الوالدين وقسوتهم .

12- عدم تمكن الأستاذ من شرح وسوء إخراج الكتاب .

13- فقدان الأمن والطمأنينة في الأسرة .

14- عدم تمكن الأستاذ من الشرح وسوء إخراج الكتاب .

15- عدم وجود النشاطات الترفيهية داخل المدرسة كالرياضة والجمعيات المدرسية داخل المدرسة.

16- كما أن المرض يعد من أهم العوامل المعيقة عن الدراسة والتحصيل . ( عبدالله حمدان : 2001، 124 ) .

#### تقويم تحصيل الطلاب :-

تقويم التحصيل هي عملية يتم فيها تقدير قيمة و معرفة نواحي القوة والضعف لمستوى الدراسات أو طرق التدريس وإصدار أحكام عليها باستخدام وطرق وأدوات متنوعة منظمة تستخدم فيها نتائج القياس أو أي معلومات يحصل عليه بوسائل أخرى مناسبة في إصدار أحكام علي أداء الدراسات لمعرفة وتحديد مدى الانسجام والتوافق بين الأداء والأهداف أو بين النواتج الواقعية للمتعلم أو النواتج التي كانت متوقعة . ( أمل خليلي: 2005، 341 ) .

#### أولاً: رياض الاطفال:

رياض الأطفال هو المكان الأول الذي يتجه إليه الأهل كمرحلة ثانية في حياة الطفل، حيث ينتقل للاعتماد على نفسه والتعرف على البيئة الاجتماعية والتعاون بين الأطفال

واكتساب مهارات الاتصال والتواصل بشكلها الأولي بما يتناسب مع عمره. وهنا تبدأ شخصية الطفل بالظهور بشكلها الأساسي حيث ترسم ملامحها لتتضح أكثر.

### مفهوم رياض الأطفال:

بحكم تعدد التعاريف الخاصة برياض الأطفال نظرا لاختلاف وجهات النظر التي تناولها كل عالم فسناول التعريف بشكل موجز ومختصر لتلك التعريفات وهي على النحو الآتي :

هي مؤسسة تربوية تعليمية ترعى الأطفال في المرحلة السنّية من 3-4 سنوات حتى المرحلة الابتدائية أو التعليم الأساسي، وتقدم رياض الأطفال رعاية منظمة هادفة محدّدة المعالم لها فلسفتها ، أسسها ، أساليبها ، وطرقها التي تستند لمبادئ ونظريات علمية ينبغي السير على هدفها .(مجدي عزيز، 2007،ص: 62).

ويعرّف (Good) رياض الأطفال بأنها: " مؤسسة تعليمية أو جزء من نظام تربوي مخصّص لتعليم الأطفال الصغار من 4-6 سنوات ، وهي تتميز بأنشطة اللعب المنظم ذي القيم التعليمية الاجتماعية ، و إتاحة الفرص للتعبير الذاتي للطفل والتدريب على كيفية تعلم العلم واكتساب خبرات الحياة لزيادة نموّ الطفل .«صف لذلك فإنّ رياض الأطفال نعني به التربية السابقة على المدرسة الابتدائية وهي مرحلة للرعاية المتكاملة ، حيث لا يعدو تلقي المعرفة والعلم أن يكونا جزءا من هذه التّثمية الشّاملة لشتى جوانب شخصية الطّفل ، تلك التّثمية التي هي الأصل والهدف.(مجدي عزيز ، 2007 ،ص:



وتعرفها رنا يوسف الخطيب بأنها " مؤسسة تربوية تستهدف لتنمية شخصية الطفل من جميع النواحي الجسمية ، العقلية ، اللغوية ، الاجتماعية، الانفعالية، والروحية . كما أنّ هذه المؤسسة تقوم على أساس منهج مرن وليس لها مواد ثابتة معيّنة ، والمبدأ الذي يقوم عليه المنهج هو التّعليم عن طريق العمل" . (مراد زعيمي، 2006 : 83 ص)

لقد أوضح فروبل "frobel" بأنّ هناك فرقا بين "رياض الأطفال" و "الرّوضة" و"دور الحضانة" وأكّد أنّ معنى رياض الأطفال يتّضح من خلال التّرجمة الدّقيقة لهذا المسمى الألماني (gerden-kinder) والذي يعني بالعربية "بستان الأطفال"، إذ اعتبرت الرّوضة هي البستان الذي ينمو فيه الأطفال مثل : النّباتات الصغيرة يتلقون فيها الحبّ والاهتمام ورعاية المربيّة التي مثّلها "بالبستاني" وهو تشبيه مطابق للتّفسير اللفظي لكلمة بستان والتي تعني "المساحة الخضراء" حيث يجد فيها الطّفل راحته وجنّته مع طفولته وأنداده . والفرق بين رياض الأطفال ودور الحضانة يبقى فرقا في الدّرجة ، فرياض الأطفال تؤكّد عمل دور الحضانة وتكمّله ، فهي توفّر الفرص الكافية للممارسة والخبرات المتوّعة إلى جانب الرّعاية المتكاملة من جميع النّواحي لطفلها . (مجدي عزيز ، 2007 ، ص: 62)

### أهمية رياض الاطفال:

لا يقلّ دور رياض الأطفال أهميّةً عن دور المدارس؛ بل تعتبر أهمّ مرحلةٍ لأنّها أولى خطوات تعليم الطفل حتى وإن كان هذا التعليم لا يعتمد على القراءة والكتابة، فهي تُطوّر مهارات الطفل الحركيّة، وتساعد على التعبير عن نفسه وخياله، وتقوي شخصيّة الطفل

إذا تَمَّت تنشئته تنشئةً صحيحة، وهذا يعتمد على المعلّمت فيها، ويجب على المسؤولين الانتباه إلى المعلّمت في الروضة وتنمية مهارتهنّ وإعطائهنّ دوراتٍ كي يقمن بدورهن على أكمل وجه؛ حيث إنّ الروضة من الممكن أن تكون من أخطر المراحل على الطفل إذا لم تتمّ تنمية قدراته ومهارته تنميةً صحيحة. (هدى الناشف:2005،ص36)

كما أن مرحلة رياض الأطفال تنقل الطفل من جوّ الأسرة والبيت إلى العالم الخارجي، وتهيئه لمرحلة المدرسة والاعتماد على النفس بدلاً من الاعتماد على الأهل، وهي تتمي قدراته الحركية من خلال اللعب، وتأتي هذه المرحلة باعتبارها أولى مراحل تربية وتعليم الطفل السلوكيات والآداب، كما يتعلّم الطفل على العمل بروح الفريق والتعاون مع أقرانه والاندماج معهم، حتى لا يصبح الطفل انطوائياً وخجولاً، كما أنها تقوي العلاقة بين الطفل ومعلّمته كي يستعدّ لمرحلة المدرسة، ولا يكون دور المعلّم جديداً على الطفل.

إنّ مرحلة رياض الأطفال تفيد الطفل في تنمية قدراته العقلية من خلال تعليمه على العد بشكلٍ بسيط، وهذا يساعده على التذكّر ومعرفة الأعداد بشكلٍ بسيط، كما تُثمي قدراته الكلامية، وتجعله قادراً في التعبير عن نفسه وأفكاره، أمّا من الناحية السلوكية فسبق وذكرنا أنّها تعلمه الأخلاق والآداب الحميدة كما تعلّمه أن يكون سلبياً تجاه بعض الصفات السيئة مثل العدوانية والأنانية، ومن المهم تعليم الطفل النظافة في هذه المرحلة . (هدى الناشف:2005،ص37)

#### أهداف رياض الأطفال :

من المعروف أنّ التربية تهدف بصفة عامة إلى تعديل وتطوير سلوك المتعلّمين لتحقيق أهداف المجتمع واكتساب المفاهيم والاتجاهات والقيم التي يسعى المجتمع إلى

تحقيقها ، إذ تقوم المؤسسات التربوية وعلى رأسها رياض الأطفال الوصول إلى الأهداف الآتية:

- 1 - تعليم الطّفّل بعض الموضوعات التي تسهم في بناء شخصيته على أسس علمية سليمة. (محمود منسي، 1994، ص: 17)
  - 2 - رعاية الأطفال وتدريب شؤونهم في السّنوات الأولى من أعمارهم وتأهيلهم للحياة المدرسية التي تأتي بعد ذلك ، والعمل على إيماء قواهم وغير ذلك من الصّفات الحسنة حتّى تجعل من الطّفّل شخصية محبوبة من والديه ومجتمعه وتهيئته لمواجهة حياته المقبلة
  - 3 - تنمية الشّعور بالنّقة لدى الطّفّل ، والنّقة في الآخرين ، في جوّ غير قهري وتنمية الاستقلالية في القبول والرّفص والذهاب والعودة مع تعويده بوجود وقت لا يستطيع أن يفعل فيه كلّ ما يريد مع تجنّب إجراجه أو إشعاره بالخجل
  - 4 - تدريبه على المهارات الحركية و العادات الصّحيحة مع تربية حواسه وترتيبه على حسن استخدامها ، ضف لذلك تزويده بثروة من التّعابير اللّغوية الصحيحة والمعلومات المناسبة
  - 5 - تنمية المهارات المعرفية وذلك من خلال إقامة الفرص المتعدّدة لحلّ المشكلات والتي من خلالها يشعر الطّفّل باحتياجه لبعض المعلومات التي تعتبر ضرورية لحلّ المشكلة وهذا المنطق يسعى للحصول على المعلومات والمعارف المختلفة . (مراد زعيبي، 2006، ص ص: 97-98)
- مناهج رياض الأطفال:

ليس هناك منهج محدد في رياض الأطفال كما هو الحال في المدارس، نظراً لأنّ الهدف الأساسي يعتمد على تنمية المهارات الحركية والوجدانية للطفل، خاصةً إن كُنّا نتحدّث عن أولى مراحل رياض الأطفال، ففي هذه المرحلة لن يكون الطفل مستعداً لتعلم الكتابة والقراءة؛ بل تكون قدرته على الحفظ هي الأساس، فمن الممكن تعليمه الأعداد، وبعض آيات القرآن دون إرهاق عضلاته بالكتابة ومسك القلم.

وللروضة منهاج تقوم على المتنوعة، فلا يقتصر على نوع واحد ما دامت الغاية من هذا النشاط متعددة الأهداف، بحيث يكون لكل هدف أكثر من نشاط واحد، ولكل نشاط أكثر من هدف واحد، ويخدم أكثر من طفل واحد، فيعد تطور مفهوم المنهج أصبح من البديهي معرفة أن التركيز على الجوانب المعرفية وحدها لا يساعدها على بناء الشخصية وإشباع الحاجات وتنمية الاستعدادات لدى الأطفال، لذا اتسع مفهوم المنهج ليشتمل جميع العوامل والظروف التي تؤثر في نمو الطفل جسدياً، عقلياً، نفسياً، واجتماعياً، وروحياً.

فمنهج رياض الأطفال هو (مجموعة منظمة من الخبرات التربوية المتميزة بالمرونة، التي تراعي عقيدة المجتمع وثقافته وخصائص النمو الإنساني للطفل، مصاغه على شكل وحدات تعليمية مشوقة بناءً على اهتمامات وميول الأطفال، وترتبط ببيئتهم وأمور حياتهم، وتلبي احتياجاتهم الجسمية والنفسية والاجتماعية بما يحقق الأهداف التربوية لرياض الأطفال بأبعادها المعرفية، والوجدانية، والمهارية). (فضيلة أحمد: 2001، ص9) فالهدف الأول للنهج هو تنمية مدارك الطفل وتربية حواسه وإشباع رغباته وتلبية احتياجاته، واكتشاف ميوله ومواهبه والسماح لهذه المواهب والتمويل بالنمو والظهور في جو

تسوده الحرية والانطلاق المعقولين، بعيداً عن الكتب والإرهاق الشديد في اتباع نظام معين، أما هدف المعرفة فيكون غير مقصود لذاته، وإنما يأتي نتيجة لمختلف النشاطات التي يمارسها الطفل، وبالقدر الذي يسمح له بمزاولة هذا النشاط بما يتمشى واستعداد الطفل بعيداً عن الرقابة المألوفة أو التقيد بالنظام الصفي المتبع.(محمد عدس: 1999،ص150)

### ثالثاً: خصائص النمو:

**النمو الحركي:** " يبدأ النمو الحركي واضحاً في مرحلة الطفولة ، فنجد أن الطفل يواصل حركته المستمرة فلا يستطيع أن يظل فترة طويلة في سكون ، فنجده يجري ويقفز ويلعب الكرة وينط الحبل ، ويستطيع طفل هذه المرحلة ركوب الدراجة ويمارس الألعاب المنظمة " (خليل معوض : 1983 ،ص186).

" ويستمر نمو العضلات مع زيادة سيطرة الطفل على العضلات الكبرى ، بينما لا تتم السيطرة على العضلات الصغرى إلا في سن الثامنة، وتعتبر هذه الفترة هي فترة اكتساب عدد كبير من المهارات الحركية حيث يمارس الطفل الأعمال اليدوية ويشارك في عدد كبير من الألعاب " (رمضان محمد القذافي: 1994 ،312).

" وتلعب المهارات الحركية دوراً مهماً في نجاح الطفل في مرحلة الطفولة سواء في أداء نشاطه المدرسي أو في لعبه مع غيره من الأطفال ، ولذلك فإن الطفل الذي يكون نموه الحركي أقل من أقرانه من الأطفال يشعر عادة بالعجز والضعف ، وقد ينسحب من الجماعة ، وتتكون لديه اتجاهات سلبية نحو نفسه ونحو الحياة الاجتماعية ، وحين تنتهياً

للطفل الفرصة فإنه يشارك في النشاط الحركي بمختلف أنواعه " (فؤاد أبو حطب ، آمال صادق : 1999 ، ص251).

ونظراً لنشاط الطفل الزائد وعدم استقراره ، لا يستطيع في بداية هذه المرحلة الاستمرار في عمل لمدة طويلة ، وإن كانت الحاجة ملحة لتنظيم أوقات الطفل له وتوزيعها بين الراحة واللعب لرغبة التلميذ في اللعب المستمر وبذل النشاط" (سعد جلال : 1985 ، ص211)

وتظهر الفروق بين الجنسين في بعض المهارات الحركية فنتميز الذكور بالحركات العنيفة كالجري ولعب الكرة ، والإناث تتميز بالمهارات الدقيقة كالخياطة والرسم ، وقد أشارت دراسة **كراتي Cratty** على أن البنات يتفوقن على الأولاد في القفز على قدم واحدة فوق مربعات مرسومة على الأرض ، وأن الخصائص الحركية البسيطة والمركبة تختلف إلى المدى الذي يتطلب من الطفل أداء حركات مستقيمة دقيقة ، أو حركات متجهة إلى أعلى ، أو حركات عرضية طويلة ، فالأولاد ما بين 6- 12 سنة يتفوقون على البنات في ذلك ، في حين أن البنات تبدو أحسن من الأولاد في الوثب والرقص والتي تتطلب منهن الدقة والاتساق في أداء الحركات" (عادل الأشول ، 1999 : 347).

**النمو الحسي** : فالطفل في هذه المرحلة يستطيع أن يدرك الألوان وأن يدرك أشكال الحروف الهجائية ويستطيع تقليدها ، "ويتفوق أطفال هذه المرحلة تفوقاً كبيراً في حساسيتهم للمسية على الأطفال الأكبر سناً ، وقد أثبت **سبيرمان Spearman** في بحثه أن الطفل الصغير في سن 5 مثلاً يضارع الطفل الكبير في سن 10 مثلاً في الحساسية العضلية ولا يكاد يقل عن الراشد" (عبد المنعم المليجي ، ب.ت : 135).

**النمو اللغوي :** " باتساع عالم الطفل يكتشف أن الكلام أداة مهمة في السلوك الاجتماعي، ويدفعه ذلك إلى إتقان الكلام، وكذلك يتعلم أن الصور البسيطة من الاتصال مثل الصراخ والإيماءات ليست مقبولة اجتماعياً ويعطيه هذا حافزاً إضافياً لتحسين قدرته على الكلام ، ويتوقف النمو اللغوي في هذه المرحلة على عوامل كثيرة منها المستوى العقلي والمركز الاجتماعي والاقتصادي والجنس ، وبالنسبة للجنس يلاحظ أن الذكور أقل من الإناث في المحصول اللغوي وفي صحة بناء الجمل وفي القدرة على التعبير عن المعاني كما أن لديهم نقائص كلامية أكثر من البنات " (فؤاد أبو حطب ،آمال صادق :1999، ص255). يعتبر النمو اللغوي في هذه المرحلة بالغ الأهمية بالنسبة للنمو الاجتماعي والنمو الانفعالي، فالطفل يدخل المدرسة وقائمة مفرداته تضم أكثر من 2500 كلمة، وتزداد المفردات بحوالي 50% عن ذي قبل في هذه المرحلة ، ويذكر (حامد زهران: 1990 ،ص251) بأن هذه المرحل هي مرحلة الجمل المركبة الطويلة ، ولا يقتصر الأمر على التعبير الشفوي بل التعبير التحريري ، وتنمو القدرة على التعبير اللغوي التحريري مع مرور الزمن وانتقال التلميذ من صف إلى آخر في المدرسة ويلحظ أنه على طلاقه التعبير التحريري التغلب على صعوبات الخط والهجاء.

أما عن عيوب الكلام فليست الدرجة التي عليها في المرحلة السابقة ، "فالتتهمة واللججة وإبدال الحروف وكل صور الحبسة التي تظهر عند الطفل في مرحلة نموه السابقة قد تظل كما هي بمرور الزمن ما لم تبذل جهود علاجية لتصحيحها ، ولأن هذه الاضطرابات جميعاً تعود بأصولها إلى التوتر العصبي فإنها قد تزداد سوءا بدخول الطفل المدرسة بسبب الارتباك الذي سوف يعاينه حين يضحك الأطفال على طريقته في الكلام

، أما عن محتوى كلام الطفل فإنه أقل تمركزاً حول الذات من الطفولة المبكرة ، وانتقاله من التمركز حول الذات إلى ما يسميه (بياجية Piaget ) اللغة الاجتماعية " (فؤاد أبو حطب ، آمال صادق : 1999 ،ص255).

### النمو الانفعالي :

" تتميز هذه المرحلة بالهدوء والثبات الانفعالي ، وهي سمة غالبية على الجانب الانفعالي طول المرحلة، ولا يعني الهدوء الانفعالي أن التلميذ لا يغضب، ولكنه في هذه المرحلة يغير من طريقة تعبيره عن انفعالاته ، فلم يعد الطفل الذي يضرب الأرض برجليه ويصرخ عندما لا يجاب إلى طلبه ، بل أصبح يسلك بطريقة مختلفة ، فهو قد يحتج لفظياً ، وقد يناقش مشروعية طلبه، وقد يعاند إذا لم يقتنع " (علاء الدين كفاي : 1998 ،ص271).

والانفعالات الشائعة في هذه المرحلة هي نفسها انفعالات مرحلة الطفولة المبكرة ، إلا أنها تختلف في طبيعة المواقف الذي تستثير الانفعالات وصور التعبير عن هذه الانفعالات ، ومن أهم مظاهر الانفعالات هي الخوف Fear والغضب Rage والغيرة Jealousy :

**الخوف Fear :** " أن الخوف انفعال طبيعي عند الإنسان إلا أنه قد يتحول إلى خوف مرضي (فوبيا) إذا زاد عن حده ، ونلاحظ أنه في الوقت الذي تتناقص فيه المخاوف المستثارة من الأشياء المحسوسة تزداد المخاوف من الأشياء المتخيلة ومن ذلك الظلام وما يرتبط به ( كالجن والغول)، وتظهر أنواع جديدة من المخاوف مثل الخوف من أن يوصف الطفل بأنه مختلف عن أقرانه فيتعرض للسخرية منهم ، والخوف من الفشل في



المهام التي يقوم بها ، وحتى لا تبدو عليه أعراض الخوف أمام أقرانه فيسخرون منه يحاول الطفل في هذه المرحلة أن يتجنب قدر الإمكان أن يضبط متلبساً بحالة الخوف" (فؤاد أبو حطب ، آمال صادق : 1999 ، ص272).

**الغضب Rage :** " يعتبر الغضب من الانفعالات السائدة التي يولد الطفل وهو مزود بها ، فالطفل يتعلم من صغره أن يغضب من مواقف دون أخرى ، ويتقدم العمر بتغيير المواقف وتزداد الخبرات وينمو الإدراك المتصل بفهم العالم الخارجي ، وعادة ما يصحب الغضب تغيرات فسيولوجية مثل زيادة النبض أو ارتفاع الضغط والتوتر ، وفي مرحلة الطفولة المتأخرة يختلف التعبير عن الغضب في مثيراته عن المراحل السابقة ، ويغلب على التعبير عن الغضب في هذه المرحلة كثرة المضايقات الكلامية والتهمك والسخرية ، والواقع انه من مسببات الغضب من هذه المرحلة ، مقاطعة الطفل أثناء قيامه بنشاط معين ، أو عندما ينتقده الآخرون باستمرار ، أو عندما يقارن جهده بجهد ونشاط الآخرين ، أو في حالة النصائح والتوجيهات المستمرة" (عبد المجيد سيد ، زكريا أحمد: 1998 ، ص275) .

### الغيرة Jealousy :

" يغار الطفل في هذه المرحلة من أقرانه الذين يتفوقون عليه في التحصيل الدراسي ، والذين يفوقونه في النمو الجسمي وفي الرياضة البدنية ، ويغار أيضا من الأطفال الآخرين الذين يحضون برعاية وحب الوالدين أكثر منه ، وعندما تدب الغيرة في نفس الطفل ، نجده يوشى بأخيه الذي يغار منه وينسب إليه المخالفات التي تغضب الوالدين" (خليل مخائيل معوض : 1983 ، ص200).

## النمو الاجتماعي :

يتأثر الأطفال في نموهم الاجتماعي بالأفراد الذين يتفاعلون معهم وبالثقافة التي تهيمن على أسرهم ومدرستهم ومجتمعهم ، وتعتمد حياة الطفل الاجتماعية في نموها على العلاقات الاجتماعية والتي تبدأ من علاقته بأمه، وتتطور بعلاقته بأفراد أسرته، ثم تتطور وتنتهي بعلاقته بالمدرسة والمجتمع، وتعتبر هذه العلاقات الاجتماعية هي الدعامه الأولى للحياة الاجتماعية ، وهي التي تؤثر في نموه وتوجيه سلوكه .

" إن الطفل في هذه المرحلة يحرز تقدماً كبيراً في الناحية الاجتماعية ، وأن هذا التقدم متوقع على بناء الصفة التلازمية والعلاقات الإيجابية الموجودة بين جوانب النمو ، لأن الطفل يحرز تقدماً كبيراً في مجال النمو العقلي والإدراكي، وهذا التقدم يفسح الطريق أمام الطفل لينفتح على البيئة والوسط الذي يعيش فيه محققاً تقدماً مماثلاً في الجانب الاجتماعي ، ويدرك الطفل في هذه المرحلة ما حوله ويتفاعل معه، ويقبل معايير المجتمع وثقافته ويعمل بها ويحرص على ألا يأتي سلوكاً يتنافى معها، وكأنه يريد أن يثبت للمحيطين به انه أصبح رجلاً ، ولم يعد ذلك الطفل الصغير ، والطفل لا يفعل ذلك كله انصياعاً للكبار فقط ، ولكن لان هذه الأساليب السلوكية وهذه الاتجاهات العقلية والاجتماعية تلقي في نفسه قبولاً حسناً أيضاً ، ولأنه يجد في ذلك تحقيقاً لذاته" (علاء الدين كفاي : 1998 ،ص83) .

" ويتطور الطفل في تكوينه الاجتماعي ، حيث تظهر علاقات اجتماعية خارج نطاق الأسرة، فيها نشاط تعاوني اجتماعي واستقلالي ذاتي في نفسه، كما يبدأ الطفل تدريجياً في تكوين معايير الاجتماعية الخاصة ، وفي هذه المرحلة من العمر يتميز الطفل بوضوح

الشعور بالذات ، فيزداد إدراكه لذاته وإدراكه لغيره وضوحاً ، ويعد ذلك التغير أساساً نتيجة لقضاء الطفل معظم وقته خارج المنزل بعيداً عن حماية الوالدين" (عبد المجيد سيد ، زكريا أحمد:1998، ص277) .

ويعتمد توافق الطفل مع متطلبات المرحلة الجديدة على كيفية إعداد الأسرة له في مراحل نموه السابقة ، فالانتقال إلى الروضة يمثل خسارة للطفل إذا ما كان يتمتع بوضع خاص داخل الأسرة بسبب التدايل أو رغبة الوالدين في توفير الحماية الزائدة له ، كما يتطلب الأمر الانقياد للمدرسين أيضا الذين يقررون ما يصلح وما لا يصلح للطفل ، ويرى " اريك اريكسون E.Erikson بان رياض الاطفال والمدرسة تعمل على تعليم الطفل مهارات جديدة في العمل ، كما تدريبه على عمليات التوافق الاجتماعي ، وعلى أساليب التوافق مع الآخرين ، وذلك جنبا إلى جنب مع عمليات اكتساب المهارات العلمية، وتعمل القيم المدرسية على توجيه سلوك الطفل بطريقة غير مباشرة " . (رمضان محمد القذافي:1994، ص320).

ففي بداية التحاق الطفل إلى الروضة تتراد مجموعة الرفاق التي يتعامل معها في العدد والأهمية، حيث يجد الطفل نفسه مع عدد كبير من الأقران من نفس عمره مع اختلاف اتجاهاتهم، يحاولون تحدي العوائق الاجتماعية داخل المكان الجديد لذلك يتخذ الالتصاق والتقارب مع الرفاق عمقاً جديداً وقوة أكبر من تخلص الطفل من التمركز حول الذات ، وأن جماعة الرفاق لها آثارها الهامة في النمو الاجتماعي، حيث تمدّه بالثواب والذاتية الخاصة ، كما يرى في رفاقه النموذج الذي يريد إتباعه .

رابعاً: الدراسات السابقة:

## 1- دراسة: سهام بومزار (1999): "أثر الروضة على التحصيل الدراسي لدى الطفل"

:  
تهدف الدراسة الى الكشف عما إذا كان للروضة دور في التحصيل الدراسي " كتابة ،  
قراءة، حساب " عند الأطفال في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي .ومن الوسائل  
والأدوات المنهجية التي اعتمد عليها الطالب في دراسته هو الاستبيان واختيار عينة تتكون  
عينة البحث من 60 تلميذا، وقد تم اختيار هذه العينة بالطريقة العشوائية .توصلت هذه  
الدراسة إلى النتائج الآتية: أن الروضة هي مؤسسة تربية عينة بالإمكانيات المادية و  
البيداغوجية ، كما أنها تعتبر أساسية في تكوين شخصية الطفل من جميع جوانبها  
الجسمية والعقلية والانفعالية كما لها دور كبير وفعال في تحصيل الطفل والاعتناء به من  
الناحية الفكرية والبدنية .

2-دراسة صالح احمد(ب.ت) "أثر الالتحاق بالحضانات ورياض الأطفال على التلاميذ  
المرحلة الابتدائية بمصر":

هدفت الدراسة الى أثر الالتحاق بالحضانات ورياض الأطفال على التلاميذ المرحلة  
الابتدائية في مجالات التحصيل الدراسي في اللغة العربية الحساب والمعلومات العامة }  
علوم+ مواد اجتماعية} وهي المواد الدراسية التي يمتحن فيها التلاميذ في المرحلة  
الابتدائية وكذلك الأمر من الالتحاق هذا الدور على تكوين صفات شخصية مدعوة فيها  
إلى جانب اكتساب حقائق ومهارات واتجاهات مناسبة وذلك عن طريق الدراسات المدنية  
وكانت النتائج كالتالي : ثبت أن الالتحاق بالحضانات ورياض الأطفال يزيد من قدرتهم  
على التحصيل في المواد الدراسية كلها في جميع صفوف المرحلة الابتدائية بصفة عامة .

كما أن الصفات الشخصية المرغوب فيها كانت كلها أفضل في التلاميذ الذين سبق التحاقهم بالحضانات ورياض الأطفال قبل المرحلة الابتدائية.

**3 - دراسة لعموري وليد ، بداوي شهرزاد(2017) "رياض الأطفال والتحصيل الدراسي لتلاميذ قسم السنة أولى ابتدائي":**

تهدف الدراسة إلى التعرف على مدى أهمية رياض الأطفال وعلاقته بالتحصيل الدراسي للتلاميذ، وقد تم تطبيق هذه الدراسة على عينة من تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال ، وقد تم تطبيق هذه الدراسة على عينة قوامها 175 تلميذاً، واستخدم الباحث أداة استبيان ، وتوصلت الدراسة إلى أن لرياض الأطفال أثراً كبيراً على التحصيل الدراسي الجيد بالنسبة لتلاميذ قسم سنة أولى ابتدائي.

**4-عبدالرحمن الهاشمي (2011) "أثر الالتحاق بمرحلة رياض الأطفال في تنمية مهارتي القراءة والكتابة لدى طالبات المرحلة الأساسية":**

تهدف الدراسة إلى التعرف إلى أثر الالتحاق بمرحلة رياض الأطفال في الأردن، وتكونت العينة من (90) طالبة ، بواقع 30 طالبا، واستخدم الباحث اختبار الأداء الكتابي وظهرت النتائج ،عدم وجود فروق دالة احصائياً عند مستوى(0.05) بين متوسطات درجات الطالبات اللاتي التحقن برياض الأطفال واللاتي ، لم يلتحقن برياض الأطفال في مهارتي القراءة والكتاب للمصفوف الثلاثة.

**5-سهام بومزار (1999) "أثر الروضة على التحصيل الدراسي لدى الطفل "**

وهدف البحث الكشف عما إذا كانت للروضة دور في التحصيل الدراسي " كتابة ، قراءة، الحساب " عند الأطفال في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي، ومن الوسائل والأدوات المنهجية التي اعتمد عليها الطالب في دراسته هو الاستبيان واختيار عينة تتكون عينة البحث من 60 تلميذاً، وتوصل البحث إلى وجود فروق في التحصيل بين التلاميذ الذين التحقوا بالروضة والذين لم يلتحقوا .

## 6 - نازلي صالح احمد "أثر الالتحاق بالحضانات ورياض الأطفال على التلاميذ المرحلة الابتدائية بمصر":

هدفت الدراسة بالتعرف على أثر الالتحاق التلاميذ المرحلة الابتدائية برياض الأطفال في مجالات التحصيل الدراسي في اللغة العربية والحساب والمعلومات العامة وهي المواد الدراسية التي يمتحن فيها التلاميذ في المرحلة الابتدائية وكذلك الأمر من الالتحاق هذا الدور على تكوين صفات شخصية مدعوة فيها إلى جانب اكتساب حقائق و مهارات و اتجاهات مناسبة وذلك عن طريق الدراسات المدنية وكانت النتائج كالتالي:

ثبت الالتحاق بالحضانات ورياض الأطفال يزيد من قدرتهم على التحصيل في المواد الدراسية كلها في جميع صفوف المرحلة الابتدائية بصفة عامة.

**منهج وإجراءات البحث:**

أولاً : منهج الدراسة : اعتمد البحث على المنهج الوصفي المقارن للتعرف على مستوى التحصيل الدراسي لتلاميذ المرحلة الابتدائية ، وذلك لأنه " يقوم على وصف الظواهر الموجودة وتصنيفها واكتشاف العلاقات بينها وتفسيرها معتمدا على الدراسة الميدانية".  
(عبد الباسط حسن : 1991 ، ص 181)

ثانياً : مجتمع البحث: مجتمع البحث الراهنه هم تلاميذ الصف الأول من المرحلة الابتدائية الذين التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال الملتحقون بمدارس وزارة التربية والتعليم في منطقة قصر الأخيار للعام الدراسي(2018-2019م).

ثالثاً : عينة البحث : تم اختيار العينة بالطريقة العشوائية البسيطة وتم اختيارها بالقرعة من بين مدارس التعليم الأساسي بمنطقة قصر الأخيار، وهما : (مدرسة الهبابطة ، مدرسة خديجة الكبرى ، مدرسة التليية)، والبالغ عددهم (100) تلميذ (بنين ، بنات) ، بواقع (50) ممن التحقوا برياض الاطفال ، و(50) من لم يلتحقوا برياض الاطفال (ذكور-اناث).

رابعاً: أداة البحث : استخدم الباحث نتائج المقررات الدراسية للصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الاطفال ، و تم تفريغها حسب كل مقرر دراسي والمجموع الكلي.

خامساً : الوسائل الإحصائية: استخدم الباحث مجموعة من الأساليب الإحصائية لمعالجة بيانات ومعلومات البحث؛ للوصول للنتائج وتحليلها بالشكل المطلوب ؛ وذلك بعد

الاطلاع على الدراسات السابقة ، والرجوع إلى مصادر عدة في مجال الإحصاء ، وبمشاورة عدد من الخبراء ، والأساتذة المتخصصين في مجال الإحصاء التطبيقي ، وبما يحقق أهداف البحث وهي :

1. المتوسطات الحسابية ، والانحرافات المعيارية

2. اختبار (ت) Independent-Samples T Test لقياس دلالة الفروق بين

متوسطات عينتين مستقلتين .

3. اختبار (ت) Paired-sample T Test لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات

عينتين غير مستقلتين .

**تفسير وتحليل نتائج البحث :**

**عرض وتفسير نتائج التساؤل الأول :**

ما مستوى التحصيل الدراسي لتلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ومن لم يلتحقوا برياض الأطفال ؟

وللإجابة على هذا التساؤل فقد تم استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لتحديد مستوى التحصيل الدراسي لتلاميذ الصف الأول الابتدائي ، ولتحقيق الاهداف والتساؤلات فقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية بعد أن تم معالجتها إحصائياً وكانت على النحو الآتي :-

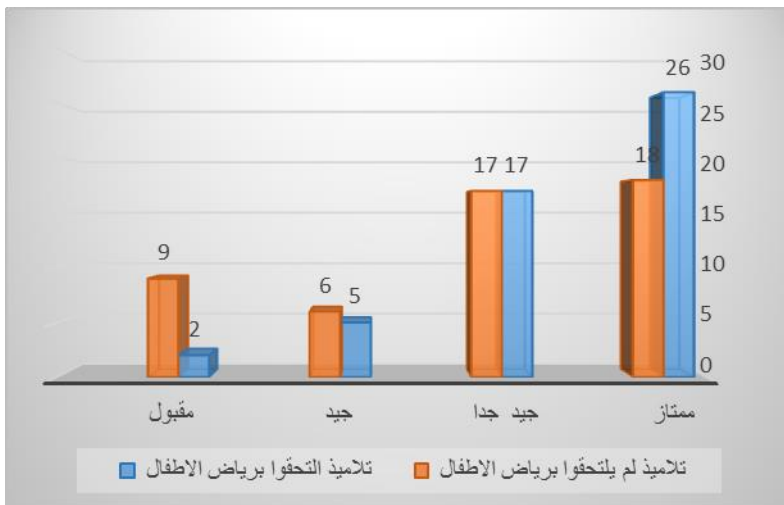
**جدول (1) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعينة تلاميذ الصف الأول**

**الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال**



المتوسط الحساب	مقبول		جيد		جيد جدا		ممتاز		العينة
	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	
1.66	4	2	10	5	34	17	52	26	نوا رياض الأطفال ن=50
2.12	18	9	12	6	34	17	36	18	يلتحقوا رياض الأطفال ن=50

يتبين من الجدول (1) أن مستوى متوسط درجات التلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال متفاوت ، حيث بلغ التكرار لمعدل (ممتاز) لمن التحقوا (26) تلميذ، وممن لم يلتحقوا برياض الاطفال (18) التلميذ، وأن معدل الدرجات (جيد جدا) لمن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال كان متساويا بتكرار (17) تلميذاً، وبلغ معدل الدرجات للتلاميذ لمعدل (جيد) لمن التحقوا برياض الاطفال (5) تلاميذ ، والتلاميذ ممن لم يلتحقوا برياض الاطفال (6)تلاميذ، ومعدل (مقبول) للتلاميذ ممن التحقوا برياض الأطفال كان بتكرار (2) تلميذاً، وتلاميذ ممن لم يلتحقوا برياض الأطفال بتكرار (9) تلاميذ، وبالتالي نستنتج أن التلاميذ الذين التحقوا برياض الأطفال كان معدل درجاتهم أعلى من الذين لم يلتحقوا برياض الأطفال ، والشكل (1) يوضح التمثيل البياني للمتوسطات :



شكل (1) يبين التوزيع النسبي لمستوى تحصيل عينة البحث

عرض وتفسير نتائج التساؤل الثاني :

هل توجد فروق في مستوى التحصيل الدراسي بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال؟

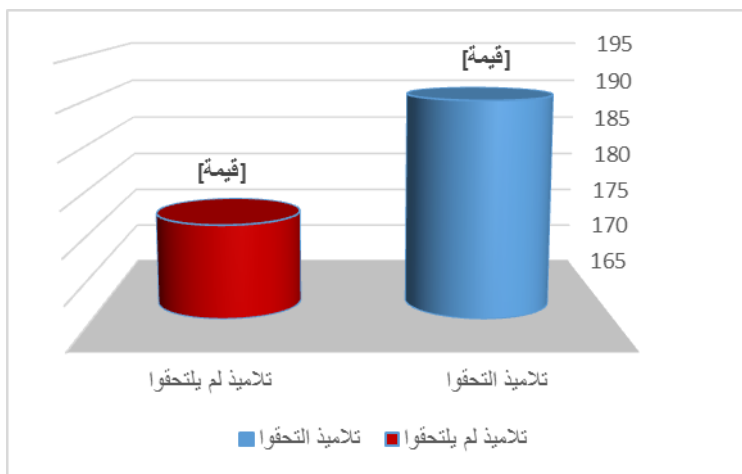
وللتحقق من صحة التساؤل الثاني، تم حساب اختبار (ت) **Independent-Samples T Test** لإيجاد دلالة الفروق بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال، والجدول التالي يبين نتائج هذا التحليل الإحصائي :

جدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم (ت) لاختبار دلالة الفروق بين متوسط درجات التلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال

مستوى الدلالة	قيمة ت"	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التلاميذ
0.002 دالة	3.132	98	18.46	190.06	التحقوا برياض الأطفال(ن=50)
			25.92	175.96	لم يلتحقوا برياض الأطفال (ن=50)

قيمة "ت" الجدولية عند مستوى  $(0.01)=2.63$

يتبين من الجدول (2) أنه توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسط درجات التلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال في المجموع الكلي للدرجات ، حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة للدرجة الكلية (3.132) ، فهي أكبر من القيمة الجدولية (2.63) عند مستوى (0.01)، وجاءت الفروق لصالح اعلى متوسط لتلاميذ ممن التحقوا برياض الاطفال بمتوسط ( 190.06)، وبذلك نستنتج أن إسهام رياض الأطفال في إعداد التلميذ إعدادا حسنا للمرحلة الدراسية تبرز أهدافها التربوية التي تهيئة للدخول في المدرسة الابتدائية، والشكل (2) يوضح التمثيل البياني للمتوسطات :



شكل (2) يبين الفروق بين التلاميذ ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال في التحصيل الدراسي

عرض وتفسير نتائج التساؤل الثالث :

هل توجد فروق في مستوى التحصيل الدراسي بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال بحسب النوع (ذكور-اناث)؟

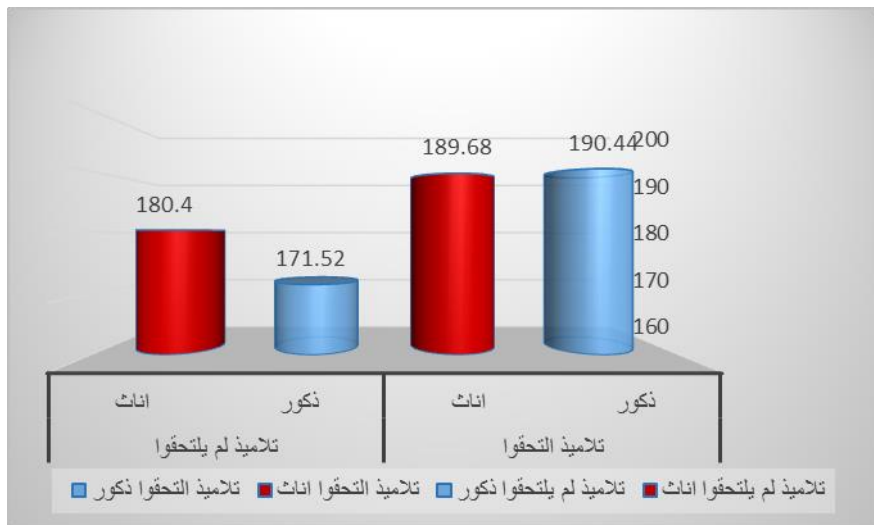
وللتحقق من صحة التساؤل الثالث، تم حساب اختبار (ت) Independent-Samples T Test لإيجاد دلالة الفروق بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال بحسب النوع (ذكور-اناث)، والجدول التالي يبين نتائج هذا التحليل الإحصائي :

جدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم (ت) لاختبار دلالة الفروق بين متوسط درجات التلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال بحسب النوع (ذكور-اناث)

مستوى الدلالة	قيمة "ت"	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التلاميذ	
0.886 غير دالة	0.144	48	18.45	190.44	ذكور	التحقوا(ن=50)
			18.84	189.68	اناث	
0.230 غير دالة	1.217	48	29.17	171.52	ذكور	لم يلتحقوا(ن=50)
			21.92	180.40	اناث	

قيمة "ت" الجدولية عند مستوى  $2.68=(0.01)$

يتبين من الجدول (3) أنه لا توجد فروق دالة إحصائية بين متوسط درجات التلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال في المجموع الكلي للدرجات بحسب النوع (ذكور-اناث)، حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة للدرجة الكلية لتلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا (0.144)، وبلغت قيمة (ت) للدرجة الكلية لدى تلاميذ الصف الاول الابتدائي ممن لم يلتحقوا (1.217)، وهي أصغر من القيمة الجدولية (2.68) عند مستوى (0.01)، والشكل (3) يوضح التمثيل البياني للمتوسطات :



شكل (2) يبين الفروق بين التلاميذ ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال في التحصيل الدراسي حسب النوع

#### عرض وتفسير نتائج التساؤل الرابع :

هل توجد فروق في مستوى التحصيل الدراسي بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال حسب المقررات الدراسية؟

وللتحقق من صحة التساؤل الرابع، تم حساب اختبار (ت) **Independent-Samples T Test** لإيجاد دلالة الفروق بين تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال حسب المقررات الدراسية، والجدول الآتي يبين نتائج هذا التحليل الإحصائي :

جدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم (ت) لاختبار دلالة الفروق بين متوسط درجات التلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال حسب المقررات الدراسية

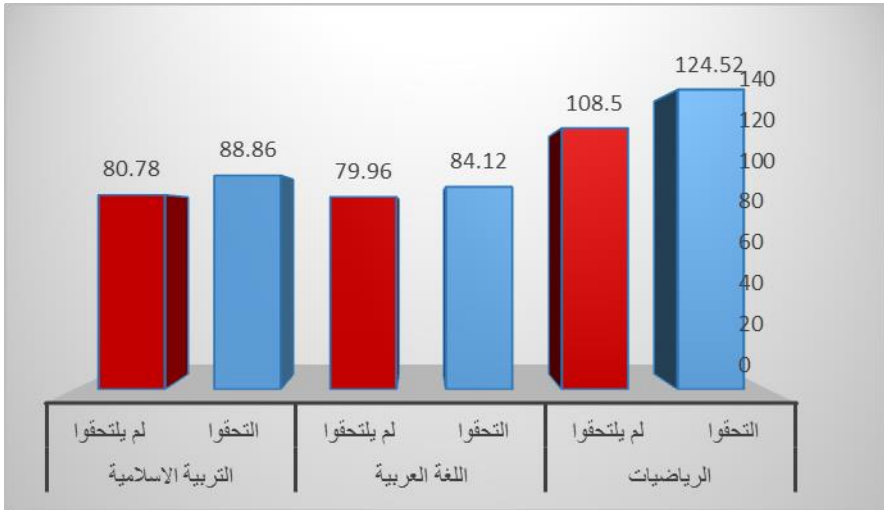
مستوى الدلالة	قيمة "ت"	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التلاميذ	
0.000 دالة	4.425	98	15.94	124.52	التحقوا	الرياضيات
			20.02	108.50	لم يلتحقوا	
0.072 غير دالة	1.817	98	7.85	84.12	التحقوا	اللغة العربية
			14.15	79.96	لم يلتحقوا	
0.000 دالة	3.645	98	7.46	88.86	التحقوا	التربية الاسلامية
			13.78	80.78	لم يلتحقوا	

قيمة "ت" الجدولية عند مستوى  $(0.01)=2.63$

يتبين من الجدول (4) أنه توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسط درجات التلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال في مقرر (الرياضيات)، وذلك لصالح التلاميذ الملتحقين برياض الأطفال ، حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة للدرجة الكلية (4.425) ، وهي أكبر من القيمة الجدولية (2.68) عند مستوى (0.01)، في حين بلغت قيمة (ت) للدرجة الكلية لدى تلاميذ الصف الأول الابتدائي لمقرر اللغة العربية (1.817)، وهي غير دالة عند مستوى (0.01) ، وأنه توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسط درجات التلاميذ الصف الاول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال في مقرر (التربية الاسلامية)، حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة للدرجة الكلية

(3.645) ، وهي أكبر من القيمة الجدولية (2.68) عند مستوى (0.01)، لصالح التلاميذ الملتحقين برياض الاطفال .

ومما سبق يتضح أن مؤسسات رياض الأطفال تشترك في مجموعة من الأهداف العامة التي تسعى إلى تحقيقها، ومنها تطوير وتنمية المهارات المعرفية لدى الطفل وتهيئة المناخ التربوي والتعليمي من خلال برامجها التي تسهل له الانتقال التدريجي من البيت إلى المدرسة، وتكسبه المهارات اللغوية والرياضية والدينية والعلمية لتحقيق أهداف مؤسسات رياض الأطفال ، ومن ثم تحسين مستوى التحصيل الدراسي ،والشكل (4) يوضح التمثيل البياني للمتوسطات :



شكل (4) يبين مستوى عينة البحث وفقاً للمقررات الدراسية



## نتائج البحث:

- 1 - إن التلاميذ الذين التحقوا برياض الأطفال كان معدل درجاتهم التحصيلية أعلى من التلاميذ الذين لم يلتحقوا برياض الاطفال.
- 2 - توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسط درجات التلاميذ الصف الاول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال في المجموع الكلي للدرجات لصالح التلاميذ الذين التحقوا برياض الاطفال .
- 3 - لا توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسط درجات التلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا برياض الأطفال في المجموع الكلي للدرجات حسب النوع (ذكور-إناث).
- 4 - لا توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسط درجات تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن لم يلتحقوا برياض الأطفال في المجموع الكلي للدرجات حسب النوع (ذكور-إناث).
- 5 - توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسط درجات تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال في مقرر الرياضيات ، وذلك لصالح التلاميذ الملتحقين برياض الأطفال.
- 6 - لا توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسط درجات تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال في مقرر (التربية الاسلامية).

7 - توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسط درجات تلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال في مقرر التربية الإسلامية، وذلك لصالح التلاميذ الملتحقين برياض الأطفال.

**توصيات البحث :** من خلال نتائج البحث يوصي الباحث بما يلي :

- 1 - إدخال مرحلة رياض الأطفال في سلم النظام التعليمي وعدم اعتبارها مرحلة اختيارية نظراً لتأثيرها الايجابي وأهميتها لرفع مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ.
- 2 - توفير الكتب والمصادر التربوية المتخصصة في مجال التربية قبل المدرسة للإفادة منها من قبل الباحثين والمهتمين برياض الأطفال.
- 3 - التوعية بأهمية الالتحاق برياض الأطفال عبر وسائل الإعلام المختلفة .
- 4 - توفير مناهج لرياض الأطفال بما يتناسب مع حاجات الأطفال والمستجدات التربوية والمعرفية المتلاحقة.

**ثالثاً : المقترحات :**

إجراء دراسات مماثلة للتعرف على أثر الالتحاق برياض الأطفال في أنماط التفكير المختلفة وفي جوانب نمو الطفل المختلفة.

**المصادر والمراجع:**

1. أمل عبد السلام الخليفي، إدارة الصف المدرسي، دار الصفاء للنشر، عمان، 2005م.
2. بسماء آدم، النمو الأخلاقي وعلاقته بالتحصيل الدراسي والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة ، كلية التربية ، جامعة دمشق ، 2001م.

3. حامد عبد السلام زهران ، علم نفس النمو ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1990م.
4. خليل مخائيل معوض ، سيكولوجية النمو ، ط2، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ، 198 م.
5. رجاء أبو علام ، علم النفس التربوي ، دار القلم ، الكويت ، 1994م.
6. رحيم يونس ، أثر الالتحاق برياض الأطفال في التحصيل الدراسي لتلاميذ الصف الأول الابتدائي بمادة الرياضات ، مجلة الأستاذ ، العدد 210 ، المجلد الثاني ، 2014م.
7. رمزية الغريب ، التقويم والقياس النفسي التربوي، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة ، 1970م.
8. رمضان محمد القذافي، علم نفس النمو، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، 1994م.
9. روث م. بيرد ، ترجمة فيولا فارس الببلاوي ، سيكولوجية نمو الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1997م.
10. سعد جلال، المرجع في علم النفس ، دار الفكر العربي ، القاهرة، 1985م .
11. صالح الدهري ، علم النفس العام ، دار الكندي ، الأردن ، 2000م.
12. صالح النصار ، دور النشاط المدرسي في التحصيل الدراسي ، منشورات جامعة الملك سعود ، السعودية، 1982م .
13. الطاهر سعد الله ، علاقة القدرة على التفكير الابتكاري الدراسي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006م.
14. عادل عزالدين الأشول، علم نفس النمو، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، 1999م.

15. عابدة عطيفة، تطور المفاهيم العلمية والرياضيات لدى أطفال المرحلة الابتدائية وما قبلها ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1997م.
16. عبدالحميد عبد اللطيف ،الصحة النفسية والتفوق الدراسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1990م.
17. عبد الله حميد حمدان ، الأمن النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى طلاب رعاية الأيتام بالرياض ، كلية الدراسات العليا بأكاديمية نايف للعلوم الأمنية ، قسم العلوم الاجتماعية، الرياض، 2001م.
18. عبد المجيد سيد احمد ، زكريا احمد الشربيني، علم نفس الطفولة ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1998م.
19. عبد المنعم المليجي ، النمو النفسي ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ،ب.ت.
20. عبدالحميد فايد ، رائد التربية العامة وأصول التدريس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1993م.
21. علاء الدين كفاني ، رعاية نمو الطفل ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998م.
22. فؤاد أبو حطب ، آمال صادق ، نمو الإنسان ( من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين ) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، 1999م.
23. كاظم كريم رضا، علاقة قدرات التفكير الابتكاري بالتحصيل الدراسي، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد، العراق، 1982م .

24. لعموري وليد ، بداوي شهرزاد،رياض الاطفال والتحصيل الدراسي لتلاميذ قسم السنة أولى ابتدائي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، 2017 م.
25. مجدي عزيز ،تدريس الرياضيات للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم للموهوبين والعاديين، عالم الكتب، القاهرة، 2007م.
26. محمد النعامي ،ضعف التحصيل الدراسي ، قسم التوجيه والإرشاد ، مركز التطوير التربوي ، دائرة التربية والتعليم ، وكالة الغوث الدولية، 2008م.
27. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
28. محمد عبد الرحمن عدس، الآباء و سلوك الأبناء ، دار وائل، عمان 1996م.
29. محمد غنيم ، الاتجاهات الحديثة في بحوث مشكلات تقويم التحصيل الدراسي ، موقع أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة، 2003م.
30. محمود عبد الحليم منسي ،التعليم الأساسي وإبداع التلاميذ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1993م.
31. مراد زغبى ، مؤسسة التنشئة الاجتماعية ، دار قرطبة للنشر ، الجزائر ، 2007م.
32. مصلح الصالح ،التكيف الاجتماعي والتحصيل الدراسي ، ط1، دار الفيصل ، الرياض، 1996م.
33. نعيم الرفاعي ، الصحة النفسية ، ط5 ، دار العلمية للنشر والتوزيع ، دمشق ، 1979م.
34. هدى الناشف، رياض الأطفال ، ط2 ، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005م.

35. يخلف رفيقة ، رياض الأطفال والتحصيل الدراسي عند تلاميذ الطور الابتدائي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر، 2005.

36.Frey، N. & Fisher، D. (2010). Reading and the Brain: What Early Childhood Educators Need to Know. *Early Childhood Education Journal* 38(2): 103–110.

37.Patricia P. Olmsted (*Early Childhood Education throughout the World*) In : Routledge International Companion to Education. ED by: Bob Moon، Sally Brown and Mirian Bn-Peretz. Published.

## المروءة بالبدل والعطاء من الجود والكرم

إعداد د. سليمان حندي صالح سليمان

## المخلص :

تضمّن البحث مقدمة تبعتها الإشكالية التي صيغت في تساؤلات أساسها: هل البدل والعطاء من المال دون غيره بالعدل ومقتضى الشرع والمروءة؛ يوفّي ما هو واجب على المرء؟، وأبرز ما يهدف إليه البحث بيان ما ينبغي أن يتحقق به تقديم عموم الخير لمطلق الغير لا لغرض ولا بعوضٍ، واستخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي في هذا البحث، وتأتي أهميته البحث في المساهمة في توضيح مكارم الأخلاق من مبعث المروءة بالجود والكرم في الحياة الإنسانية؛ بفعل الجميل، والكف عن إتيان كل قبيح أو مُشين، ومن بين ما بلغته النتائج؛ أن المروءة كمال النفس الإنسانية وصيانتها من الوقوع في الأذناس، والتعفف مما في أيدي الناس تورعاً، والجود والكرم لا يكونان إلا بالبدل والعطاء دون عسر ومشقة من كل خير أنعم به المولى علينا؛ من المال والجاه والثمرات والوقت والجهد والعلم بنفس طيبة رضية؛ دون انتظار مكافأة أو جزاء، وأن تكون السجايا مجبولة على ودّ الناس، وإيثار حب الخير والأمر به للجميع، حتى وإن كان المرء من أحوج الناس لما يبذل.

الكلمات المفتاحية: (المروءة - صنع المعروف - العطاء - الجود - الكرم)

## The virility of giving from Goodness and The vineyard

### Abstract:

This research discusses issues in Islamic "charity" on the point view of Islamic philosophy. This is mainly according to the law and morals of Islam. This paper aims to shown what should be achieved by chivalry self-perfection. Historical methods and descriptive approach are used in order to reach certain conclusion. The researcher tries to give some contribution about clarification of morals of virility stems from the Goodness and generosity of human life.

The result of this research comes to the conclusion that the virility of the perfection of human soul and maintenance of falling in the Adams with deformation in the hand of people tora.

**Keywords:** (virility – Charity – Tender – goodness – vineyard)

### المقدمة: Introduction

يقوم الدين الإسلامي على روابط الأخوة والتواد والتراحم والصلة بالبذل والعطاء والجود والكرم بين العباد ووصف نبي الأمة ﷺ بأعظم صفات الكرم، مما جبلت عليه نفسه التي بنيت عليها سائر



أخلاقه النبيلة، قال في وصفه تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾<sup>(1)</sup>، فصفته العطاء حتى وإن كان في أشد الحاجة لما يطلب منه، لأنه منهج إلهي من سجية الأنبياء كافة عليهم أفضل الصلاة والسلام، وإن كان هذا الدين اختص به أصفياؤه فهو من أسباب النماء والخير والبركة لسائر عبادته، ومن سوء التدبير والتبصر في الحياة، من أصوله البخل بما قدره الله للعباد أو للنفس أو للغير على حد سواء، فذاك من ضعف الإيمان وسوء الظن بالله العلي القدير على واسع عطائه، وكثير فضائله، مما يجعل المرء مبغض من الناس بعيد من رحمة الله، وكثيرا ما يقال: جود الرجل يحببه إلى أزداده، أو إلى أعدائه، وبخله يبغضه حتى إلى أولاده.

**مشكلة البحث: Problematic Research:** سنة الحياة أن جبل الناس على حب

الشهوات، وكثيراً ما يغيب عنهم أن البذل والعطاء في العاجلة من أي شيء خير لهم من الإمساك، ذلك لطبعهم أو سوء فهمهم وتقديرهم أو اعتقادهم، وما ينبغي أن يدخره المرء لنفسه إلا ما يحتاج إليه، فلا أنس في الدنيا إلا لضعيف النفس، فينبغي ألا يعطيها أكثر مما تستحق، ولا يتوق أو يتطلع منها أكثر مما ينبغي، فلا يكون مبدراً ولا مقتراً، ولا متكلاً بلا عزم، ولا متواكلاً متكاسلاً دون عمل، أسس هذا البحث على التساؤلات التالية: هل البذل والعطاء من المال دون غيره بالعدل ومقتضى الشرع

(1) [سورة الحاقة، الآية: 40].

والمروءة، يوفي ما هو واجب على المرء القيام به؟، وعلى ضوء ذلك ما حد البذل والعطاء ليقال عنه جوداً وكرماً؟، وما الباعث على البخل والطمع والجشع، وشبه النفس عن حد القصد والاعتدال؟، وبمعنى آخر، لماذا يبخل الإنسان على الغير وقد أصدق الله عليه النعم؟، أو يبخل حتى على نفسه وقد ساق الله إليه رزقه كاملاً؟، ولا يخرج من الدنيا إلا بعد أن يستوفي عمره ورزقه؛ وما زاد عن ذلك مما ملكه؛ فليس له منه إلا الحسرة والندامة!.

**أهداف البحث: Research goals :** مجمل شواهد أهداف البحث على وجه الاختصار

تتلخص في الآتي: 1: إبرازه مكارم الأخلاق الجليلة من المروءة في صنع المعروف بالبذل والعطاء؛ من أجل بلوغ الخير أو السعادة كغاية قصوى أو كلية ما بعدها غاية أخرى، التي بها يتحقق كمال النفس، وهي غاية الإنسان العاقل السوي الذي ينشد الغايات الفاضلة النبيلة؛ فهذا يرسم لنا المنهاج الذي ينبغي ألا نحيد عنه علماً وعملاً وشعوراً.

2: بيان أثر فضائل الجود والكرم من الأنفس والجهد والوقت والثمرات والعلم ونحو ذلك.

3: صنيع الخير لمطلق الغير بعموم الخير لا لغرض ولا بعوض، وهو أوفى المكاسب في الحياة الدنيا.

4: توضيح أن ضرر البخل أيًا كان نوعه لا يتعدي النفس لأن الأرزاق مقدره من الله تعالى بالتمام والكمال لعباده، ومن يبخل إنما يبخل عن نفسه لا عن غيره.

5: بيان أن مزية الجود والكرم وقاية للأنفس من لفح جهنم، ومن أجل التجارة الربحة في الدنيا والآخرة؛ بالجود بالنفس والمال في سبيل الله، ونصرة الدين.

**أهمية البحث: Research importance :** يسهم هذا البحث في توضيح مكارم الأخلاق؛

فهو يصور لنا كيف نحاول أن نتعلم ونعلم مبعث المروءة من صنيع الأجواد والكرماء الأخيار، من نفوسهم الطيبة وسيرتهم النقية وسيرتهم الزكية، لأن دينهم في الحياة ليس العطاء من فضل المال والنفس والجهد والوقت ونحو ذلك للغير، بل إنما هو عطاء بإحسان للمقلّ المواسي وإن كان محتاجاً إليه، وهو فعل أجود وأكرم وأفضل، إذ لا يكون ذلك إلا من باب أداء الواجب الشرعي، ويقظة الضمير والرحمة والمواساة وإنكار الذات، ليغطي به عيوب النفس ويبرئها من مذمة البخل؛ لأن داء البخل ليس

له طبيب ولا دواء، لأنه جامع لكل المساوئ والعيوب، فقد جاء عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: عن رسول صلى الله عليه وسلم: «وأي داء أدوأ من البخل»<sup>(1)</sup>، والداء معروف بالمرض والعلة، و(أدوأ) أكثر مرضاً وأشد آلام العلة.

**منهج البحث: Research Methodology:** استخدم الباحث المنهج التاريخي<sup>(2)</sup>، لأهميته عند وصف ودراسة الوقائع وتفسيرها وتحليلها بطريقة علمية منتظمة، للوصول منها إلى حقائق وتعميمات بشكل دقيق وإيجابي في فهم الحاضر، وإثراء المعارف ببراهين علمية يقينية؛ فهو يساهم في فهم المشكلات المعاصرة على ضوء وقائع الماضي، واستشراف المستقبل، بالنظرة الثابتة للمشكلات المستقبلية، إضافة إلى المنهج الوصفي، لارتباطه بالبحوث والظواهر الإنسانية بشكل مباشر، وهو يدرس الظواهر كما هي في الواقع، بوصفها كيفياً وكمياً مع بيان ارتباطها مع الظواهر الأخرى، وهو

- 
- (1) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (البخاري)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ - 1987م، ج4، ص1593. حديث رقم: 4122.
- (2) يحي مصطفى، (عليان)، وعثمان محمد، (غنيم)، أساليب البحث العلمي الأسس النظرية والتطبيقية، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، 1429هـ - 2008م، ص ص 52 - 59.

من جانب آخر مكمل للمنهج التاريخي بانتقاء الجوانب التي تخدم موضوع الباحث بغية إثبات الحقيقة العلمية، والوصول منها إلى استنتاجات تساعد الباحث في فهم الواقع وتحسينه أو تطويره، وهو أخيراً لا غنى للباحث عنه عند تحليل النتائج وتفسيرها واستخلاص التعميمات منها، وصياغة الملاحظات والمقترحات والتوصيات.

**مصطلحات البحث: Research terms: (المروءة: The virility** حال النفس بصدور

الفعل الجميل وترك القبيح بمقتضى الشرع والعقل والعرف.

**البذل: Make** البذل ضد المنع بالعطاء عن طيب نفس ودون عسر ومشقة من أي شيء.

**العطاء: Tender** فعل أو صنيع المعروف للفقراء والأغنياء والناس أجمعين.

**الجدود: Goodness** كثرة التودد إلى الناس، من النفس والمال والجاه والثمرات والإحسان بكل صوره.

**الكرم: The vineyard** هو إعطاء الشيء عن طيب نفس، قليلاً كان أو كثيراً، من غير سؤال.

## أدبيات البحث السابقة: Previous research literature

- جاء في أجمل صور الجود والكرم<sup>(1)</sup> مالا وإطعاماً وهدياً وعزة نفس عن أسرة حاتم طي<sup>(2)</sup>؛ أن زوجته<sup>(3)</sup> قالت له من باب اللوم تودداً؛ يا أبا سفانة<sup>(4)</sup>، إني لأشتهي أن أكل وأنت طعاماً وحدنا، قال: فابري من خيمتك حيث اشتهيت، فنقلت الخيمة من المكان الذي هم مقيمون فيه على قرابة ثلاثة أميال، وأخذت تهيب الطعام والخيمة مرخاة عليها ستورها، فلما قارب نضح الطعام، فكشف الستور،

- 
- (1) سليمان بن أحمد بن أيوب، (الطبراني)، الزيادة في كتاب الجود والسخاء، تحقيق: عامر حسن صبري، ط1، دار البشائر الإسلامية، 1423هـ - 2003م، ص295. فقرة رقم: 88.
- (2) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي: (ت 46 ق هـ = 578 م): فارس، شاعر، جاهلي، يعد مضرب المثل في الجود والكرم، وحسن الخلق؛ وكان زاهداً في حياته بما في يديه وإن أته الدنيا بحذافيرها، له ديوان، ومات في بلاد (طبي)، وأرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ. خير الدين بن محمود، (الزركلي)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002م، ج2، ص151.
- (3) زوجته حاتم: النوار البخترية، تعود أصولها إلى اليمن، وعاشت في الحيرة، وزوجته الثانية: ماوية بنت عفر ملكة من ملكات الحيرة. ينظر: <http://www.adab.com/modules.php?name>، تاريخ الزيارة: 2018/03/25م. 20:15:pm.
- (4) سفانة بنت حاتم الطائي، فصيحة متكلمة، تملأها الثقة والعزة بمكارم الأخلاق، يكنى أبوها: أبو سفانة، لأنها أكبر ولده، وهي أدركت الإسلام وأسلمت. ينظر: <http://www.alitthad.ae/details.php?id>، تاريخ الزيارة: 2018/03/15م، 11:20:pm.

وقدم الطعام، ودعا الناس، فأكل وأكلوا، فقالت له: ما وفيت بعهدك لي بما قلت، فأجابها: نفسي لا تطاوعني إلى اللوم، ونفسي أكرم علي أن يثنى عليها مثل هذا.

ومما ذكرته: النوار زوج حاتم الطائي عن بعض أمره في البذل والعطاء<sup>(1)</sup> فقالت: كل أمره كان عجباً؛ أصابتنا سنة، أي أصابهم شظف من العيش من شدة الضيق والمؤنة، حتى أيقنا أن الهلاك سيحل بنا، فذكرت قصة حاتم في جوده وإيثاره بما كان عنده حتى إنه نحر فرسه، وقال لبعض جاراته أيقظي أولادك ودونكم اللحم، فأقبلوا على الفرس يشوون ويأكلون، فقال حاتم: واسوءتاه! تأكلون وبعضاً من جيرانني جياع، فطاف عليهم فأنبههم وجلس ناحية متلفعاً بملحفة حتى فرغوا وما أكل معهم مزعة، وذكر: الشعبي<sup>(2)</sup>؛ لقد أرسل: الأشعث بن قيس، إلى: عدي بن حاتم، يستعير قدور حاتم، فأمر بها عدي فملئت وحملها الرجال إلى الأشعث، فأرسل إليه الأشعث، إنما أردناها فارغة، فأرسل إليه عدي

(1) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، (العسقلاني)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل،

بيروت، 1412هـ - 1992م، ج2، ص179، فقرة رقم: 1998.

(2) سليمان بن أحمد بن أيوب، (الطبراني)، الزيادات في كتاب الجود والسخاء، تحقيق: عامر حسن صبري، ط1، دار البشائر

الإسلامية، 1423هـ - 2003م، ص295، حديث رقم: 89.

إنا لا نعيدها فارغة، وقيل عن بنت حاتم: لما أتى النبي ﷺ بسبايا طيء كانت في السبايا من بينهم جارية فصيحة فقالت: يا رسول الله، بل يا محمد، هلك الولد وغاب الرافد فإن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب فإنني بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ولم يُرِدْ سائلاً قط، أنا بنت حاتم طيء، فقال: رسول الله ﷺ ((هذه صفة المؤمن، ولو كان أبوك مسلماً لترحمت عليه، خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق))<sup>(1)</sup> أفضل ما جاء في الجود<sup>(2)</sup> بالنفس، لنصرة الدين، والذود عن رسول الله ﷺ ما ذكر في يوم غزوة أحد: عندما انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة<sup>(3)</sup>، بين يدي النبي ﷺ فقال له أبو طلحة ؓ: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون

- 
- (1) إسماعيل حقي بن مصطفى، (الإستانبولي)، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، (دون تاريخ)، ج4، ص407. وينظر: أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الفزاري، (بن هذيل)، عين الأدب والسياسة وزين الحساب والرياسة، تصحيح: لجنة من العلماء بدار الكتب العلمية، ط2، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، (د ت)، ص114.
- (2) ينظر: (البخاري)، الجامع الصحيح المختصر، ج4، ص1490، حديث رقم: 3837.
- (3) أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود النجاري الأنصاري: (36 ق هـ - 34 هـ = 585 - 654 م)، صحابي، من الشجعان الرماة المعدودين في الجاهلية والإسلام، ولد في المدينة، شهد العقبة وبردأ وأحداً والخندق وسائر المشاهد، (الزركلي، الأعلام، ج3، ص58).



نحرك يا رسول الله، ووقى بيده رسول الله ﷺ فشلت، والنحر الصدر وأسفل العنق، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة»<sup>(1)</sup> ومما ذكر في شراء النفس بالمال جوداً وإيثاراً للدين على الدنيا وما فيها، ما قيل عن صهيب<sup>(2)</sup> لما خرج من مكة لاحقاً النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، فتبعته مجموعة من قريش أرادوا منعه من السفر، فأشار إليهم إني لأرماكم رجلاً، والله لأرميكنم ما بقي لي سهم، ثم لأضربن بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فقالوا له: لا نتركك تذهب عنا غنياً وقد جئتنا صلوكاً حقيراً، فلما كثر مالك هممت بالرحيل؟ فقال: رأيتم إن تركت مالي تخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، فدلهم على ماله أجمع فتركوه وهاجر إلى المدينة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما رآه النبي ﷺ أثنى عليه، وعن أبا أمامه الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا سابق العرب إلى الجنة، وصهيب سابق الروم إلى الجنة، وبلال سابق الحبشة إلى الجنة، وسلمان

- (1) ينظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، (الأصبهاني)، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1419 هـ - 1998 م، ج3، ص1146، حديث رقم: 2880. ورواه الثوري، عن ابن عقيل، عن جابر.
- (2) صهيب بن سنان بن مالك: (32 ق هـ - 38 هـ = 592 - 659 م)، أحد السابقين دخولاً في الاسلام، ولد بالموصل، ولما أغارت الروم على ديارهم سبوه وهو صغير، فنشأ بينهم، واشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة، فابتاعه: عبد الله بن جدعان التيمي، ثم أعتقه، واحترف التجارة، وريح منها مالاً وفيراً، وتوفي في المدينة. ينظر: (الزركلي)، الأعلام، ج3، ص210.

سابق الفرس إلى الجنة»<sup>(1)</sup>، وقيل نزل فيه قول الله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ»<sup>(2)</sup>، وقال البعض<sup>(3)</sup> أنها نزلت في العموم، بامتنال الطاعات، والإحسان في الإنفاق في سبيل الله، والصدقات بوجه عام.

### عرض موضوع البحث: Research topic: أولاً: المروءة Virility

**المروءة لغة:** مصدر مرؤ الرجل يمرؤ، وهو مأخوذ من مادة (م ر أ) <sup>(4)</sup> التي ذكر ابن فارس أنها لا تتقاس (أي ليس لها معنى واحد ترجع إليه مشتقاتها)، يقال امرؤ وامرآن وامريء، وامرأة تأنيث

(1) (الطبراني)، المعجم الصغير للطبراني، ج1، ص182، حديث رقم: 289.

(2) [سورة البقرة، الآية: 207].

(3) أبو محمد عبد الحق بن غالب (بن عطية)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي

محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413، هـ- 1993م، ج1، ص265.

(4) موسوعة: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ﷺ، أعدها: عدد من المختصين، إشراف: صالح بن عبد الله بن

حميد، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، (د ت)، ج8، ص3373.

امريء، المروءة<sup>(1)</sup>: كمال الرجولية، ويقال: قد مرؤ الرجل، وتمراً إذا تكلف المروءة، والمريء الرجل المقبول في خلقه وخلقه، وقال الجوهري: المروءة الإنسانية، ولك أن تقول: (بعد قلب الهمزة واواً مشددة: مروءة)، والرجل يمرؤ مروءة، فهو مريء على فعيل، وتمراً على تفعل: صار ذا مروءة. وتمراً: تكلف المروءة.

**المروءة اصطلاحاً:** مراعاة أن تكون النفس على أفضل أحوالها<sup>(2)</sup>، بحيث لا يظهر منها قبيح عن قصد، أو يتوجه إليها ذميم باستحقاق، وتعرّف على أنها<sup>(3)</sup>: قوّة للنفس مبدأ لصدور الأفعال الجميلة عنها المستتبعة للمدح شرعاً وعقلاً (وعرفاً) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كرم

- 
- (1) أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (الفراهيدي)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ب ط، دار ومكتبة الهلال، (د ت)، ج8، ص299.
- (2) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (الماوردي)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط2، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1418هـ، 1998م، ص238.
- (3) علي بن محمد بن علي، (الجرجاني)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1405هـ، 208، فقرة رقم: 1673.

المرء دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه»<sup>(1)</sup>، وسأل رجلا من حكماء الفرس ما المروءة فيكم؟ قال: ((أربع خصال يعتزل المرء الريبة كلها، فإنه إذا كان مريبا كان ذليلاً، وأن يصلح ماله، فإنه من أفسد ماله لم تكن له مروءة، وأن يقوم لأهله بما يحتاجون إليه حتى يستغنوا به عن غيره، فإنه من احتاج أهله إلى الناس، ذهب جاهه، وأن ينظر ما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه))<sup>(2)</sup>.

**المروءة شرعاً:** قوة للنفس ومبدأ صدور الأفعال الجميلة منها المستتبعة للمدح شرعاً وعقلاً وعرفاً<sup>(3)</sup>، وبذا فهي تستغرق كل الطاعات، وأولها الإيمان بالله تعالى ليصل المرء إلى أعلى درجات الإحسان بفعل ما أمر به من الفرائض والواجبات والسنن والمندوبات، والكف عما نهى عنه، من المحرمات والرذائل والمنكرات، وقيل: ((كمال المروءة أن تحرز دينك وتصل رحمك وتكرم أخوانك

(1) أبو بكر أحمد بن الحسين، (البيهقي)، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،

1410هـ، ج6، ص246، حديث رقم: 7667.

(2) أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد، (الدينوري)، المجالسة وجواهر العلم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1423هـ -

2002م، ص588. فقرة رقم: 2761.

(3) محمد عبد الرؤوف، (المناوي)، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر،

بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ، ص650.

وتصلح مالك وتقبل في بيتك))<sup>(1)</sup>، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال: أحد رفقاته: أصلحك الله إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير فقال: عبدالله: إن أبا هذا كان ودًا: لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبر البر صلة الولد أهل وُد أبيه»<sup>(2)</sup> وِدّ: بضم الواو وكسرهما أي صديقاً من أهل مودته وهي محبته في الله والله، وقد جاء عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال: «تعوذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع ومن مطمع يرد إلى طمع ومن طمع إلى غير مطمع»<sup>(3)</sup>؛ وسبب ذلك الشره المفرط، وقلة الأنفة والتعفف عن طلب الغير، فلا يقتنع الإنسان بالكثير وإن كفاه حاجته، ولا يستتف مما منع وإن كان حقيراً أو قليلاً.

- 
- (1) أبو بكر أحمد بن الحسين، (البيهقي)، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ، ج4، ص 183، حديث رقم: 4415.
- (2) أبو الحسن القشيري النيسابوري، (مسلم)، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص1979، حديث رقم: 2552.
- (3) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، (الطبراني)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، العراق، 1404هـ - 1983م، ج18، ص69، حديث رقم: 128.

## درجات المروءة ومراتبها العملية:

درجات المروءة عديدة وأيسرها: طلاقة الوجه، جاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة وإمطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»<sup>(1)</sup>، ومن مراتبها العملية التودد إلى الناس، وقضاء الحوائج.

**وللمروءة مراتب منها:** المروءة مع النفس بفعل الجميل والكف عن القبيح، ومع الخلق بإتباع كمال الأدب والأخلاق، ومع الخالق سبحانه وتعالى بالخشية والمراقبة، وإصلاح عيوب النفس؛ باستيفاء حقوق المروءة بالالتزام بما أوعز عليه الشرع، والبعد عما نهى عنه، وبفعل كل جميل وترك كل قبيح، وبصون النفس بأن لا يقبل أن يُمنَّن عليه في الأخذ عند الفاقة والاحتياج، أو يمن هو على الآخرين في العطاء، وقيل: ((الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر عليه ولا سبيل إلى إقامة

(1) محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، (الترمذي)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دون طبعة، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د ت)، ج 4، ص 339، حديث: 1956.

مروءته إلا باليسار من المال فمن رزق ذلك وضمن بإنفاقه في إقامة مروءته فهو الذي خسر الدنيا والآخرة، ولا آمن أن تفاجئه المنية فتسلبه عما ملك كريبها وتودعه قبراً وحيداً ثم يرث المال بعد من يأكله ولا يحمدّه وينفقّه ولا يشكره فأبي ندامة تشبه هذه وأي حسرة تزيد عليه<sup>(1)</sup>.

**البَدَلُ:** (بَدَلٌ) البَدَلُ<sup>(2)</sup> ضد أو نقيض المَنْع، بَدَلَهُ يَبْدُلُهُ وَيَبْدُلُهُ بَدَلًا أَعْطَاهُ وَجَادَ بِهِ، وكل من هانت نفسه وطابت بالعطاء دون عسر ومشقة من أي شيء فهو باذل له، والابتنال ضد الصيانة ورجل بَدَّالٌ وَيَبْدُولُ إذا كان كثير البذل للمال، وطويلُ الباعِ إذا كان سَمْحاً جَوَاداً، وقال بعض السلف<sup>(3)</sup> منع الموجود سوء ظن بالمعبود، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ

- 
- (1) محمد بن حبان البستي، (ابن حبان)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1397هـ - 1977م، ص233.
- (2) محمد بن مكرم بن علي، (ابن منظور)، لسان العرب، مراجعة وتصحيح نخبة من الأساتذة المتخصصين، ب ط، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ - 2003م، ج1، ص363.
- (3) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح، (الأبشيبي)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ج1، ص344.

الرازقين<sup>(1)</sup>»، وقيل لأحد أمراء العرب في الجاهلية، بم سَوَّدَكَ قومك؟ قال: ((بكف الأذى وبذل الندى، ونصرة المولى))<sup>(2)</sup>، أي حجز الأذى عن النفس والغير والإعانة على الحق.

**العطاء:** العطاء شعور داخلي فياض تستتبعه لذة نفسه جيشة من الفرح والسرور، لا يرتبط بقيمة العطاء المادي الملموس، أو الحسي المحسوس، بل بالجوانب المعنوية التي لا تقدر بأي قيمة أو شيء ملموس، وهو من غير شروط وبدون حدود، وبدون توقع مردود، جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول ﷺ «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...»<sup>(3)</sup>، فينبغي ألا يتكل المرء على شرف الحساب والنسب وتمجيد صنيع الآباء والأجداد ويتهاون في العمل بإعانة غيره بقدر الاستطاعة بالصدقات والتفريح عن المعسرين بالجاه وصنيع المعروف لتخفيف أو إزالة العسر والكربات، ذلك مما ينال به

(1) [سورة سبأ، الآية: 39].

(2) (بن هذيل) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، ص113.

(3) (الطبراني)، المعجم الكبير ج4، ص2074.



أعلى الدرجات، وقال علي كرم الله وجهه لا تستح<sup>(1)</sup> من عطاء القليل فالحرمان أقل منه، وقيل لبعض الحكماء: هل شيء خير من الذهب والفضة؟ قال: معطيها<sup>(2)</sup>، ومن حكم العرب: ((خير من الخير معطيه، وشر من الشر فاعله))<sup>(3)</sup>. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعطي عمر بن الخطاب العطاء فيقول له عمر: أُعْطِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْقَرَ مِنِّي، فقال رسول الله ﷺ: «خُذْهُ فَتَمَوْلُهُ أَوْ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مَشْرُوفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لَا فَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ»<sup>(4)</sup>، فمن أجل ذلك كان ابن عمر ﷺ لا يسأل أحداً شيئاً، ولا يرد شيئاً أُعْطِيَهُ، فالعطاء في أساسه أخذ، فكل ما جادت به الأنفس سننال منه الجزاء الأوفى والأفضل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ

(1) (الأبشيهي)، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص356.

(2) (الماوردي)، أدب الدنيا والدين، ص252.

(3) عبد الكريم،(الخطيب)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (دون تاريخ)، ج13، ص80، المكتبة الشاملة.

(4) (مسلم)، مختصر صحيح مسلم، ص 153، حديث رقم: 567.

شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»، [سبأ: 39]، فالعطاء<sup>(1)</sup> للغني والفقير والناس أجمعين بوسع السخاء والصنيعة والمعروف، والتصدق يختص بالفقراء ويقال<sup>(2)</sup>: رجلٌ خَذِمَ العطاء أي: جوادٌ سمحٌ.

**البذل والعطاء مما كسبت أيدي الناس:** جاء في الحديث المرفوع عن عوف بن مالك قال:

خرج رسول الله ﷺ وبيده عصا وقد علق رجل قنوه حشف فجعل يطعن في ذلك القنوه فقال: «لو شاء

رب هذه الصدقة تصدق بأطيب من هذا، إن رب هذه الصدقة يأكل حشفاً يوم القيامة»<sup>(3)</sup>، فيعز على

الإنسان دائماً الطيب من الرزق مما بيده أو مما يختاره لنفسه من الأفضل والأحسن والأجود، وفي

المقابل ينبغي أن يختار الجيد الطيب للتصدق منه للغير، وهو من باب الندب والفضيلة في الصدقة

العامة، أما الصدقة المفروضة فالواجب فيها من خير وطيب ما كسب، وليس مما هو دونه، ومما قيل

(1) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، (الكفوي)، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة،

بيروت، 1419هـ - 1998م، ص654.

(2) (الفراهيدي)، كتاب العين، ج4، ص247.

(3) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، سنن النسائي، (النسائي)، المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، حلب،

مكتب المطبوعات الإسلامية، 1406 - 1986م، ج5، ص43. حديث رقم: 2493.

في البذل أو العطاء الرادل<sup>(1)</sup>: من الرجل النقر، أي: الفسل الرديء، والنقر بالنتقيل، رذال المال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾<sup>(2)</sup>، والمعنى العام من الآية السابقة من قوله: ﴿أَنْفِقُوا﴾، تصدقوا وزكوا من النخل والكرم والحنطة والشعير، وما أوجبت فيه الصدقة من نبات الأرض، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾، بمعنى الرديء من غير الجيد.

### ثانياً: الجود

تعريف الجود لغة: يقال رجل جواد<sup>(3)</sup>: والجمع أجواد، وجاد الرجل بماله جوداً بالضم، والجود كثرة العطاء من غير سؤال<sup>(4)</sup> ومنه قولك جادت السماء إذا جادت بمطر غزير واسع، والفرس الجواد

(1) ينظر: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، (ابن السكيت)، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد

هارون، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1949م، ص28.

(2) [سورة البقرة، الآية: 207].

(3) (ابن منظور)، لسان العرب، ج2، صص 255 - 256.

(4) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (العسكري)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، 2009م، ص196، فقرة: 463.

الكثير الإعطاء للجري، ويقال: أصل الجواد إعطاء الخير من سعة العطاء<sup>(1)</sup>، سواء كان عن طيب نفس أو لا.

ويُعرّف الجود اصطلاحاً: بأنه إفادة ما ينبغي لا لعوض ولا لغرض<sup>(2)</sup> فلو وهب أحداً شيئاً مما يملك لغيره لغرض دنيوي أو أخروي لا يكون فعله جوداً، ويحى في لفظ الرحمة، وقد رفع عن أبي هريرة قال: ((ما احتذى النعال ولا انتعل ولا ركب المطايا ولا لبس الكور من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب يعني في الجود والكرم))<sup>(3)</sup>، وقيل لبعض الحكماء: ((متى يبلغ الرجل درجة الكمال؟ قال: إذا اتقى من خلقه، وجاد بما رزقه، فذاك الذي أنهج إلى الكمال طرق))<sup>(4)</sup>، وكمال المدح بالوصف بالأفعال لا بالأقوال والأسماء، كما تفعل العرب فتضع الأسماء موضع أفعالها التي

(1) (العسكري)، الفروق اللغوية، ص198، فقرة: 466.

(2) محمد علي، (التهانوي)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: علي دحروج، نقل النص

الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م، ج1، ص601.

(3) أحمد، (ابن حنبل)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط2، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 1999م،

ج15، ص206، حديث رقم: 9353.

(4) (بن هذيل)، عين الأدب والسياسة وزين الحساب والرياسة، ص119.

هي بها مشهورة، بمثل هذا الوصف<sup>(1)</sup>: إنما الجود حاتم والشجاعة عنتره؛ ومعناها: الجود جود حاتم فتستغني بذكر "حاتم" إذ كان معروفاً بالجود، من إعادة ذكر "الجود" بعد الذي قد ذكرته، فتضعه موضع "جوده"؛ فهو صفة ذاتية للجواد<sup>(2)</sup>، ولا يستحق بالاستحقاق ولا بالسؤال، وقد أجاد القول وأبدع النظم في هذا المعنى: حسان<sup>(3)</sup> بن ثابت، في مدح رسول الله ﷺ حيث قال<sup>(4)</sup>:

ما قال لا قَطُّ إلا في تَشْهَدِهِ \* لولا التَّشْهَدُ لم تُسْمَعْ لَهُ لاء.

- 
- (1) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، (الطبري)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000م، ج5، ص557-559.
- (2) (الكفوي)، كتاب الكليات، ص968.
- (3) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو الأنصاري النجاري، ت54هـ، صحابي، من الطبقة الأولى، روي له (البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه)، رتبته عند الذهبي: صحابي (قال: شاعر الإسلام). ينظر: شمس الدين أبو عبد الله، (الذهبي)، سير أعلام النبلاء، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، (دون تاريخ)، ج3، ص447، رقم الترجمة: 106.
- (4) (الكفوي)، كتاب الكليات، ص968.

وقيل عنه ﷺ : كانت لاؤه نعم، لأن لسانه لا يجري به، أو لا يستقيم عقلاً، وهو في لغة القرآن الكريم والرسول ﷺ للممتنع شرعاً وعقلاً، فمن بَدَل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً، فهو صاحب جود، تقول<sup>(1)</sup> هذا شيء جيد بيّن الجودة من أشياء جياد، وهذا رجل جواد بيّن الجود من قوم أجواد، وهذا فرس جواد بيّن الجودة.

**منشأ الجود:** الجودُ بالمالِ ينشأ<sup>(2)</sup> عن مكرمة قوة اليقين، والمحبة الإلهية للغير، والصبر على المشقة والتعفف، وبالأخص عندما يكون عن احتياج لا عن غنى، ومن الجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(3)</sup>، فالكلمة الطيبة من الخير صدقة، يسمعا الرجل ثم يعمل بها ثم يهديها إلى أخ له، وإيثار حب تعلم العلم وتعليمه للغير من الجود، وهذه الخصال من صفة صدق وإخلاص الرسل

(1) (ابن السكيت)، إصلاح المنطق، ص329.

(2) عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، (أبو حفص)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419 هـ، 1998م، ج7، ص591.

(3) تقي الدين أحمد، (ابن تيمية) مكارم الأخلاق، تحقيق: عبد الله بدران، ومحمد عمر الحاجي، ب ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2004م، ص203.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ ولهذه الأسباب فإن الله وملائكته، وطير السماء وحيثان الماء يصلون على معلم الناس الخير، كما أن كاتم العلم يعد بخيلاً يلعنه الله وملائكته واللاعنون.

**الجود المكروه:** يكره التصدق بكل ما يملكه المرء عند خشية الإملاق، أو التعرض للفقير ومسألة الغير، أما من لا يستطيع أن يصبر وقد يتعرض لمسألة الغير فأولى له الإمساك من الإيثار، وفي هذا الأمر جاء عن جابر بن عبد الله: أن رجلاً أتى النبي ﷺ بمثل البيضة من الذهب فقال: يا رسول الله هذه صدقة وما تركت بعدي لأهلي غيرها قال: فحذفه رسول الله ﷺ بها ولو أصابه لأوجعه ثم قال: «يعمد أحدكم فينخلع من ماله ثم يصير عيالاً على الناس»<sup>(1)</sup>.

**مراتب الجود:** تتعدد مراتب الجود في الحياة بين الناس؛ أعلاها الجود بالنفس<sup>(2)</sup>، وهو أعلى الغايات وأسامها، وفوق الجود بالمال، الجود بالرياسة، وبالراحة والرفاهية بنفع البدن على اختلاف أنواعه، الجود بالعلم وبذله، وبالنفع بالجاه وبالعرض في غير الحرام بالعمو عند المقدره والتسامح،

(1) (البيهقي)، شعب الإيمان، ج3، ص235، حديث رقم: 3417.

(2) مُحمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد، (ابن قيم الحوزيّة)، تهذيب مدارج السالكين، تهذيب: عبد المنعم صالح العلي، ط5، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1416هـ - 1996م، ج2، ص 643.

الجود بالصبر والاحتمال والإغضاء عن هنات وزلات الغير الجود بالخلق والبشر والبسطة، الجود بترك ما في أيدي الناس، وأعلى الجود منزلة ما كان في سبيل الله ثم رسول الله ﷺ والوالدين والأخوة والوطن... إلخ، وحقيقة الجود ومراتبه عند الصوفية: أن لا يصعب على العبد البذل، وعندهم السخاء هو الرتبة الأولى ثم الجود بعده ثم الإيثار، فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود، والذي قاسى الضرر وأثر غيره دون نفسه فهو صاحب إيثار، والبخيل بعيد من الله تعالى، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، وقالوا: الجود<sup>(1)</sup> إجابة خاطر الأول.

### أقوال بعض السلف والحكماء والعلماء في الجود:

قال: أبو بكر الصديق<sup>(2)</sup> ﷺ : ((صنائع المعروف تقي مصارع السوء))<sup>(1)</sup>، السوء بضم السين:

الاسم من السوء، بمعنى تقي الإنسان من مما يلحقه من صنيع الأعمال التي يترتب عنها ذنب أو

(1) (القشيري)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص112.

(2) (القشيري)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص112.



شر، أو تقي مواطن الشدة والعقاب، وعنه عليه السلام قال: ((الجُود حارس الأعراض))<sup>(2)</sup>، وقيل لحكيم: ((أيُّ فعلٍ للبتّر أشبه بفعل الباري تعالى فقال: الجُود))<sup>(3)</sup>، كما قيل لحكيم: متى يكون بذل القليل إسرافاً والكثير اقتصاداً، فقال: ((إذا كان بذل القليل في باطل، وبذل الكثير في حق))<sup>(4)</sup>، وأن الله جل وعلا بعث الرسل برسالات بينة الوضوح حتى تكون حجة على العباد لفعل كل حسن مليح، وترك كل خسيس قبيح، فالحق مرتبط بكلّ الفضائل والخيرات، من الأقوال والأفعال والمعتقدات، ونقيضه الباطل المرتبط بكلّ الرذائل والشور، فالنفس الفاضلة تتقبض عندما ترى أو تسمع عن فعل الشرور والمنكرات وتستهن وتستهجن وتستهجن فعل الرذائل، في حين نرى أن الحق تألفه وتشرح له كل النفوس الخيرة

(1) جار الله أبي القاسم محمود، (الزمخشري)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ب ط، مؤسسة

الأعظمي للمطبوعات، 1412هـ، ج4، ص480.

(2) (نفس المرجع السابق والصفحة).

(3) أبو القاسم الحسين بن محمد، (الراغب الأصفهاني)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو يزيد أبو زيد العجمي، دار

السلام، القاهرة، 1428 هـ - 2007م، ص287.

(4) نفس المرجع السابق، ص285.

ولا تأباه، وكان يُقال: ((مَنْ جَادَ بِمَالِهِ جَادَ بِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَادَ بِمَا لَا قَوْمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا بِهِ))<sup>(1)</sup>، وروى في شأن الصديق أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: ((رب منفق أوفاً لا يملك غيرها هو فيها مقتصد وببذلها مجتهد))<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: الكرم

يعرف الكرم لغة: بأنه<sup>(3)</sup>: شَرَفُ الرَّجُلِ، رَجُلٌ كَرِيمٌ وَقَوْمٌ كَرَمٌ وَكِرَامٌ، وَرَجُلٌ كُرَامٌ أَيْ: كَرِيمٌ وَتَكَرَّمَ عَنِ الشَّائِنَاتِ أَيْ: تَنَزَّهَ وَأَكْرَمَ نَفْسَهُ عَنْهَا وَرَفَعَهَا، وَالكَرَامَةُ: اسْمٌ لِلإِكْرَامِ مِثْلُ الطَّاعَةِ لِلإِطَاعَةِ وَنَحْوَهُ مِنَ الْمَصَادِرِ.

ويعرف الكرم اصطلاحاً بأنه: إِنْفاق<sup>(1)</sup> المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع كما ينبغي، وفي ما ينبغي، وقيل ما الكرم، فقالوا<sup>(2)</sup>: صدق الإخاء في الشدة والرخاء،

(1) نفس المرجع السابق، ص 365.

(2) نفس المرجع السابق، ص 287.

(3) (الفراهيدي)، كتاب العين، ج 8، ص 299.

وسأل معاوية الحسن بن علي عليه السلام عن الكرم فقال<sup>(3)</sup> هو التبرع بالمعروف قبل السؤال، والرأفة بالسائل مع البذل، وعن جرير بن عبد الله قال: لما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لأي شيء جئت يا جرير قال: جئت لأسلم على يدك قال: فألقى لي كساءه ثم أقبل على أصحابه فقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»<sup>(4)</sup>، وقيل قابل رجل صوفي بإحدى مدن الشام رجلاً من أهل المدينة فقال: ((ممن الرجل فقال: من أهل المدينة، فقال له: لقد أتانا منكم رجل يقال له: الحكم بن المطلب، فأغنانا، فقال المدني: فكيف وما أتاكم إلا في جبة صوف، فقال: ما أغنانا بمال، ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض حتى استغنينا))<sup>(5)</sup>، ويقال: ((الكريم من بنى الدار لضيافته وإخوانه واللئيم من بناها لنفسه))<sup>(6)</sup>، فعزيرٌ

(1) أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، (مسكويه)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تقديم: حسن تميم، ط2، دار مكتبة

الحياة. بيروت، لبنان، (د ت)، ص 47.

(2) نفس المرجع السابق، ج 1، ص 105.

(3) نفس المرجع السابق، ج 1، ص 346.

(4) (البيهقي)، شعب الإيمان، ج 7، ص 461، حديث رقم: 10997.

(5) (القشيري)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 336.

(6) (نفس المرجع السابق والصفحة).

مَنْ لا يَطْلُبُ مِنَ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ شَيْئاً؛ لا في الدنيا من جاهٍ أو مالٍ أو مودة، ولا في الجنَّة النعيم المقيم القريب الداني غير الممنوع ولا المقطوع؛ ولهذا يقال<sup>(1)</sup>: الكريم يمنح الرجل مودته عن لمحة أو نظرة واحدة أو معرفة يوم، واللئيم لا يصل أحداً إلا من رغبةٍ في تحقيق شيء أفضل منه أو طمع، أو خوف من ضرر أو رهبةٍ من إصابته مكروه، فالكريم<sup>(2)</sup> يجتزي بالكرامة واللطف، واللئيم يجتزي بالمهانة والعنف، فلا وجود إلا خوفاً، ولا يجب إلا عنفاً، يجتزي من الجزاء، كما قال الشاعر:

رأيتك مثل الجوز يمنع لَبَّه \*\*\* صحيحاً ويعطي خيره حين يُكْسَر.

فينبغي أن يحذر الإنسان من أن تكون المهانة طريقاً إلى عدم صنيع الخير للغير منه، والخوف سبيلاً إلى عطائه، وقال<sup>(3)</sup> بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرام نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير من فروعه.

(1) شهاب الدين محمود ابن عبدالله، (الألوسي)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (د ت)، ج2، ص55،

مصدر الكتاب: موقع التفاسير. <http://www.altafsir.com>. نقلاً عن المكتبة الشاملة.

(2) (الماوردي)، أدب الدنيا والدين، ص136.

(3) (الأبشيبي)، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص344.

من أقوال السلف والعلماء في الكرم: قال بعض السلف: ((أعط من الدنيا وهي مقبلة؛ فإن ذلك

لا ينقصك منها شيئاً، فكان الحسن بن سهل<sup>(1)</sup>، يتعجب من ذلك ويقول: لله دره! ما أطبعه على الكرم

وأعلمه بالدنيا))<sup>(2)</sup>، ويقال: ((العرضُ أَعزُّ على الكريم من المال))<sup>(3)</sup>، فالفرق بين الجواد والكريم؛ هو

أن: ((الجواد هو الذي يعطي مع السؤال، والكريم: الذي يعطي من غير سؤال))<sup>(4)</sup>، والجود الواسع

مبالغة في الوصف بالعتاء، وهو نقيض البخل في شدة التضييق على الغير، وقيل عن الكرم<sup>(5)</sup>:

التبرع بالمعروف، وإعطاؤك قبل السؤال، وإطعام في المحل.

(1) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، (166 - 236 هـ = 782 - 851 م)، وزير المأمون العباسي، وأحد كبار قادته،

اشتهر بالذكاء المفرط، والأدب والفصاحة والكرم، أصيب بمرض السويداء فتغير عقله حتى شد في الحديد، ثم شفي منه وتزوج بابنة

المأمون: وتوفي في سرخس بخراسان. ينظر: (الزركلي)، الأعلام، ج2، ص192.

(2) نفس المرجع السابق، ج4، ص368.

(3) أبو محمد علي بن أحمد، (ابن حزم)، الأخلاق والسير، أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل،

تحقيق: إيفار رياض، مراجعة: عبد الحق التركماني، ط1، بيروت لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، ص175.

(4) (ابن حزم)، الأخلاق والسير، فقرة: 465 - 466.

(5) ابن مفلح، (المقدسي)، الآداب الشرعية، ج2، ص430..

ثمرات الكرم<sup>(1)</sup>: ثمرات الكرم لا تحصى وتعد وأجلها المحبة الإلهية فعن سهل بن سعد قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويبغض سفاسفها»<sup>(2)</sup> ومنها أن الكرم

من دلائل الإيمان: عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ «المؤمن غرّ كريم، والفاجر خبّ لئيم»<sup>(3)</sup>.

**البذل في غير وجهه:** عن القاسم بن محمد، عن عائشة: قالت: قال: رسول الله ﷺ «أحب

الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»<sup>(4)</sup>، وقد قيل عن: قيس بن عاصم؛ فقد جمع بنبيه وهم اثنان

وثلاثون ذكراً، ومن بين ما أوصاهم به: ((يا بني، إذا أنا مت، فسودوا أكبركم تخلفوا أباكم، ولا تسودوا

أصغركم فيزري بكم ذاك عند أكفأكم، ولا تقيموا علي نائحة، فإني سمعت رسول الله ﷺ نهى عن

(1) (العسكري)، الفروق اللغوية، ص143، فقرة: 299.

(2) (البيهقي)، شعب الإيمان، ج6، ص240، حديث7647.

(3) (البيهقي)، شعب الإيمان، ج6، ص269. وأخرجه أبو داود، في السنن، باب في حسن العشرة.

(4) (مسلم)، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، ج2، ص189، حديث رقم: 1866.

النياحة، وعليكم بإصلاح المال؛ فإنه منبهة للكريم، ويُستَغْنَى به عن اللئيم، ولا تعطوا رقاب الإبل إلا في حقها، ولا تمنعوها من حقها، وإياكم وكل عرق سوء، فمهما يسركم يوماً فما يسوءكم أكثر...»<sup>(1)</sup>.

**من أقوال السلف والعلماء في العطاء:** عن عطاء قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: يا أيها

الناس لا يحملنكم العسر على أن تطلبوا الرزق من غير حله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم توفني إلبك فقيراً ولا توفني غنياً واحشرنني في زمرة المساكين يوم القيامة فإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة»<sup>(2)</sup>.

**البخل لغة وشرعاً واصطلاحاً:** <sup>(3)</sup> البخل في اللغة ضد الكرم، وجاء في الحديث المرفوع عن

خوله بنت حكيم قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول: «إنكم لتبخلون وتجنون وتجهلون وإنكم لمن ربحان الله»<sup>(4)</sup> لأن الولد يحمل أبويه على البخل، ويدعوها إليه

(1) (الأصبهاني)، معرفة الصحابة، ج4، ص2303، فقرة: 5682.

(2) (البيهقي)، شعب الإيمان، ج7، ص، 339، حديث رقم: 1024.

(3) (ابن منظور)، لسان العرب، ج1، ص 342.

(4) (الترمذي)، سنن الترمذي، ج4، ص317.

فيخلان بالمال لأجله، وقال الله تعالى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ»<sup>(1)</sup>، ومعناه اصطلاحاً: <sup>(2)</sup> المنع من مال النفس، قال تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ»<sup>(3)</sup>، ومعنى ذلك<sup>(4)</sup>: أمسك الله تبارك وتعالى أيديهم عن النفقة في سبيله فهم لا يبصرون الهدي، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج»<sup>(5)</sup>، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخيل وسوء الخلق»<sup>(6)</sup>، ومما قيل في البخل: عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

(1) [سورة آل عمران، الآية: 180].

(2) (التهانوي) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص312، و (العسكري)، الفروق اللغوية، صص 199 - 200.

(3) [سورة يس، الآية: 8].

(4) أبوبكر محمد بن جعفر، (الخرائطي)، مساوي الأخلاق ومذمومها وطرائق مكروهاها، ط1، بيروت لبنان، مؤسسة الكتب

العلمية، 1413هـ - 1993م، صص 169 - 171.

(5) (مسلم)، صحيح مسلم، ج5، ص77، حديث رقم: 4331.

(6) (المرجع السابق)، ج7، ص423، حديث رقم: 1962.



يدخل الجنة خبّ، ولا بخيل، ولا منان ولا سيئ الملكة»<sup>(1)</sup>، وقال: علي بن أبي طالب ؑ : ((ألا إنه سيأتي على الناس زمان عضوض، يعض المؤمن على ما في يديه، ولم يؤمر بذلك<sup>(2)</sup>)، ومن أقواله ؑ : (( البخل، والجبن، والحرص، من أصل واحد يجمعهن سوء الظن بالله تعالى))<sup>(3)</sup>، وعن أنس ؓ قال: قال: رسول الله ﷺ : «ثلاث مهلكات، شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، وثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر وكلمة الحق في الرضا والغضب»<sup>(4)</sup>، وروي ذلك من وجه آخر عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً.

### الخاتمة: Conclusion

المروءة والجود والكرم من أصول المحاسن وخصال الخير التي ارتبطت بمبادئ ومكارم الدين الإسلامي، وهذه المناقب الحميدة أساسها نقاء السريرة وصفاء السيرة التي كان عليها الهدي النبوي

(1) (الترمذي)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج4، ص343.

(2) (الخرائطي)، مساوي الأخلاق ومذمومها وطرائق مكروهاها، صص166-174.

(3) (أبو علي أحمد بن محمد، (مسكويه)، الحكمة الخالدة، (جاويدان خرد)، ط2، تحقيق عبد الرحمن بدوي. بيروت، دار

الأندلس للطباعة والتوزيع، 1980م، ص110.

(4) (البيهقي)، شعب الإيمان، ج1، ص471، حديث رقم: 731.

الشريف، التي جبلت عليها نفوسهم، بإسداء صنيع الخيرات للغير قبل السؤال، بإسداء المعروف وبذل الموجود مع الإيقان دون ظن بالمعبود، إن ذلك لا ينقص من ملكه ومما في خزائنه قيد أنمله، وما هذه الصفات إلا من أجل صفات الله تعالى من واسع جوده وفيض كرمه، ويستخلص من مجمل هذا البحث:

1- المروءة كمال النفس الإنسانية وصيانتها من الوقوع في الأذناس، وعلو الهمة والنأي والترفع عن الأفعال المذمومة، بالمجاهدة والمكابدة والاشتغال بأخلاق الفضائل المحمودة بالبر والتقوى ومحاسن الصفات وجميل الأفعال، بصون العرض واللسان، بعيداً عن الخنا والإساءات، وعدم الإكثار من الحديث والإسراف في المزاحات، وحسن القول والإصغاء وضبط النفس وتملكها عند هيجان الغضب، وكف النفس عن الابتهاج للسرور والمدح.

2- المروءة مع النفس أن يستحي الإنسان من فعل أي شيء دني في الخفاء كأنه مع الخلق، وأجدر به إن كان في الخلاء أن يستحي من المولي لأنه أحق بذلك، خشية أن يطلع عليها لأنه يعلم السر وما أخفى، وما توسوس به النفس من هم الخواطر والنجوى ومع القرناء على حدٍ سواء، رهبة من

عقابه، ورغبة في ثوابه، فهي السبيل الأسمى لكل الخيرات والرفعة وعلو الهمة عن الرذائل، واستهجان ما يستقبحه الغير وإن كان فيه نفع.

3- التربية الأسرية والتطبيع الاجتماعي للنشء على المروءة والجود والعطاء من مكارم الأخلاق، ذلك ينمي في نفوسهم الشعور بروابط التكافل الاجتماعي.

4- عدم الإنفاق بالبذل والعطاء طبع في النفس خشية الفاقة، وسوء تقدير ما قدره الله من الأرزاق في خزائنه التي لا تنفذ، والجهل بأن خير الآخرة لا يزول ولا يحول، لكن طبع الإنسان هو الغالب عليه إلا ما رحم ربي.

5- التوجيه الإلهي للإنفاق والعطاء؛ من غاياته الادخار للنفس، فالإنفاق من الطيب مما كسب الإنسان ومما أحب فهو مخلوف مدخر له بما هو أجزل وأفضل.

6- نعم الدنيا عارية فمن امتن الله عليه منها بالعطاء، فلا يمسك حين يجب البذل بنفسه سخية طيبة، ولا يعطي أو ينفق حيث لا يجب العطاء إلى من لا يستحقه، وهو بذلك قد أدى الواجب الذي عليه وأوفى حق الله وحق غيره وحق نفسه، ومن كان حظه قليل منها فالصبر أولى له من الجزع

على شظف العيش؛ لأن أمر الله نافذ لا محالة، وما له إلا القناعة بما قسم الله له، ويضع نصب عينيه قصر الأمل بالبقاء في الدنيا.

7- الجود والكرم ليس فقط ببذل المال والإغداق على المحتاجين بالعطاء تبرعاً؛ بل لا بد أن تكون السجايا مجبولة على ود الناس وإيثار حب الخير والأمر به للجميع حتى وإن كان المرء من أفقر الناس احتياجاً، فعليه أن يتعفف مما في أيدي الغير تورعاً إلى أن يغنيه الله، أو يجعل له مخرجاً.

8- الجود والكرم إذا وصف بهما الله تعالى فهما نعت لواسع رحمته وعطائه وإنعامه على مخلوقاته، وإذا وصف به الإنسان فذلك اسم لأخلاقه الكريمة وأفعاله المحمودة، مع التنزه عن الممن على الغير.

9- مداواة مرض الأنفس الشحيحة البخيلة بالعلم والعمل والقصد في الغنى والفقر والقناعة والرفق وحسن تدبير الأمور، والنظر إلى خلق الأنبياء والصحابة والتابعين بما كانوا عليه في حياتهم الدنيا، والكرام لا ينظر لعيوب الناس بقدر ما ينظر لعيوبه.

### قائمة المصادر والمراجع: List of Sources and references

• القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، (الكفوي)، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش،  
ومحمد المصري، ب ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ - 1998م.

2- أبو الحسن القشيري النيسابوري، (مسلم)، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تحقيق  
وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).

3- أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الفزاري، (بن هذيل)، عين الأدب والسياسة وزين  
الحسب والرياسة، تصحيح: لجنة من العلماء بدار الكتب العلمية، ط2، بيروت لبنان، دار الكتب  
العلمية، (د ت).

4- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (الماوردي)، أدب الدنيا والدين، تحقيق:  
مصطفى عبد القادر عطا، ط2، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1418هـ، 1998م.

- 5- أبو القاسم الحسين بن محمد، (الراغب الأصفهاني)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ب ط، دار السلام، القاهرة، 1428 هـ - 2007م.
- 6- أبو بكر أحمد بن الحسين، (البيهقي)، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ.
- 7- أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد، (الدينوري)، المجالسة وجواهر العلم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2002م.
- 8- أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، (مسكويه)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تقديم: حسن تميم، ط2، دار مكتبة الحياة. بيروت، لبنان، (د ت).
- 9- أبو علي أحمد بن محمد، (مسكويه)، الحكمة الخالدة، (جاويدان خرد)، ط2، تحقيق عبد الرحمن بدوي. بيروت، دار الأندلس للطباعة والتوزيع، 1980م.

10- أبو محمد عبد الحق بن غالب (بن عطية)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،

تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ب ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413، هـ - 1993م.

11- أبو محمد علي بن أحمد، (ابن حزم)، الأخلاق والسير، أو رسالة في مداواة النفوس

وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، تحقيق: إيفار رياض، مراجعة: عبد الحق التركماني، ط1،

بيروت لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.

12- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، (الأصبهاني)، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن

يوسف العزازي، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1419 هـ - 1998 م.

13- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (العسكري)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد

باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009م.

14- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، (ابن السكيت)، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد

شاكرا، وعبد السلام محمد هارون، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1949م.

- 15- أبوبكر محمد بن جعفر، (الخرائطي)، مساوي الأخلاق ومذمومها وطرائق مكروهاها، ط1، بيروت لبنان، مؤسسة الكتب العلمية، 1413هـ - 1993م.
- 16- أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (الفراهيدي)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ب ط، دار ومكتبة الهلال، (د ت).
- 17- أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، (النسائي)، سنن النسائي، المجتبي من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، 1406 - 1986م.
- 18- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، (العسقلاني)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، ب ط، دار الجيل، بيروت، 1412هـ - 1992.
- 19- أحمد، (ابن حنبل)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط2، مؤسسة الرسالة، 1999م.



20- إسماعيل حقي بن مصطفى، (الإستانبولي)، تفسير روح البيان، ب ط، دار إحياء

التراث العربي، د ت.

21- تقي الدين أحمد، (ابن تيمية) مكارم الأخلاق، تحقيق: عبد الله بدران، ومحمد عمر

الحاجي، ب ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2004م.

22- جار الله أبي القاسم محمود، (الزمخشري)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد

الأمير مهنا، ب ط، مؤسسة الأعظمي للطبوعات، 1412هـ.

23- خير الدين بن محمود، (الزركلي)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002م.

24- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، (الطبراني)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن

عبد المجيد السلفي، ب ط، مكتبة الزهراء، الموصل، العراق، 1404هـ - 1983م.

25- سليمان بن أحمد بن أيوب، (الطبراني)، الزيادات في كتاب الجود والسخاء، تحقيق:

عمر حسن صبري، ط1، دار البشائر الإسلامية، 1423هـ - 2003م.

26- شمس الدين محمد بن أحمد، (الذهبي)، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق وتخرّيج

الأحاديث: شعيب الارنؤوط، وفهرسه: عبد الرحمن الشامي، ط9، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413 هـ  
1993م.

27- شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح، (الأبشيهي)، المستطرف في كل فن مستظرف،

تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

28- شهاب الدين محمود ابن عبدالله، (الأوسي)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم

والسبع المثاني، (د ت)، مصدر الكتاب: موقع التفاسير. <http://www.altafsir.com>

29- عبد الكريم، (الخطيب)، التفسير القرآني للقرآن، ب ط، دار الفكر العربي، القاهرة، (د

ت)، نقلاً عن: المكتبة الإلكترونية الشاملة.

30- عز الدين أبي الحسن علي، (بن الأثير)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق:

عادل أحمد الرفاعي، ب ط، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1417 هـ - 1996م.

- 31- علي بن الحسين بن محمد بن أحمد، (أبو الفرج الاصبهاني)، الأغاني، تحقيق: علي مهنا، وسمير جابر، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ت).
- 32- علي بن محمد بن علي، (الجرجاني)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1405هـ.
- 33- عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، (أبو حفص) اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419 هـ، 1998م.
- 34- كتاب: تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، أضافه: عبد المجيد أبومريقة، بتاريخ: 8-2009م. مصدر الكتاب: <http://www.cultural.org,ae>. نقلاً عن: المكتبة الإلكترونية الشاملة.
- 35- مُحمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد، (ابن قيم الجوزيّة)، تهذيب مدارج السالكين، تهذيب: عبد المنعم صالح العلي، ط5، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1416هـ - 1996م.

- 36- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (البخاري)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ - 1987م.
- 37- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، (الطبري)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000م.
- 38- محمد بن حبان البستي، (ابن حبان)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ب ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1397هـ - 1977م.
- 39- محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، (الترمذي)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ب ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د ت).
- 40- محمد بن مكرم بن علي، (ابن منظور)، لسان العرب، مراجعة وتصحيح نخبة من الأساتذة المتخصصين، ب ط، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ - 2003م.

41- محمد عبد الرؤوف، (المنافس)، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد

رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ.

42- محمد علي، (التهانوي)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة:

علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م.

43- موسوعة، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ﷺ، أعتها: عدد من المختصين،

إشراف: صالح بن عبد الله حميد، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، (د ت).

44- يحيى مصطفى، (عليان)، عثمان محمد، (غنيم)، أساليب البحث العلمي الأسس

النظرية والتطبيقية، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، 1429هـ - 2008م.

تاريخ الزيارة: PM 20:15 <http://www.adab.com/modules.php?name> pm, 45-

2018/03/25م.

PM <http://www.alitthad.ae/details.php?id> : تاريخ الزيارة: 2018/03/15م،

11:20

## ( دور الفلسفة في البناء السياسي وتوطين الثقافة والقيم )

إعداد: د. قمر مفتاح الرويمي

## المقدمة

يعتبر الحديث عن الأنماط الفلسفية ودورها في البناء المجتمعي من الأهمية بمكان. لأن الفلسفة مرآة ينكشف أمامها ثقافة المرء وثقافة مجتمعه، فإذا لم تتلاق الثقافة على جانب إيجابي تكون إلى العيب أو اللامعقول أقرب، ومن هنا كان اهتمام الفلاسفة بالسياسة، ولأن الثقافة هي تهذيب العقل الواعي بالعلوم الصحيحة والمعارف النافعة، فقد باتت الثقافة معلماً من معالم وضوح السياسة التي هي في الأصل أحد جوانب الفلسفة قديماً وحديثاً، يدل عليه أن أرسطو قسم الفلسفة باعتبارات متعددة منها النظرية والعملية، وكذلك سار المفكرون بعد أرسطو تلك المسيرة. وبناءً عليه فقد صار من المألوف القول بأن السياسة أحد أجزاء الفلسفة وليس العكس. ثم إن عملية التوطين للفكر داخل المجتمع تنتهي إلى ضرورة مقابلة الفكر الذي يبحث عن مواضع صحيحة وتطبيقه في الحياة العملية، إذ ليس من

المعقول أن تظل الفلسفة بعيدةً عن الواقع المعاش. كيف لا ومن مهامها تصنيف العلوم وتقديم خدمات عامة للمجتمع، بجانب إعداد قادة متجددي الفكر.

كما أن القيم بأنواعها المختلفة تمثل توجهاً فلسفياً صحيحاً نحو غايات بعينها وبخاصةً القيم العليا قيم الحق والخير والصدق والجمال. فإذا أضفنا إلى ما سبق أن التعدد الثقافي أحد مظاهر السياسة الفاعلة وهو غاية من غايات الفلسفة بان أن المجتمع الإنساني كله بحاجة إلى هذا التعدد الثقافي، وأن علاقة الفلسفة بالسياسة واضحة من حيث دورها في بناء الثقافة وتوظيفها ورعاية القيم وصياغتها في ظل التعدد الثقافي وغيره. ومن ثم اخترت أن يكون موضوع بحثي هو (دور الفلسفة في البناء السياسي وتوطين الثقافة والقيم) بغرض المحافظة على المجتمع الإنساني الذي خلقه الله وجعل رعايته مسألة مهمة، وقد اقتضى ذلك السير في الخطوات التالية:

**أولاً: أسباب اختيار الموضوع:** 1: أن الفلسفة في مفهومها الواسع تقوم على إدراك العلاقات القائمة بين الأشياء ومعالجة ما يدور بداخلها، والثقافة والقيم من تلك الموضوعات التي تعالج فلسفياً.

2: أن دور الفلسفة في صناعة ثقافة متميزة أمرٌ لا ينكر، لأن السياسة فيها بحث متواصل بغرض الوصول للحكمة العملية والنظرية والثقافة السليمة تقوم عليها الحضارة المتطورة.

3: أن السياسة الواعية تصون القيم وتُعين على الوفاء بها خاصةً القيم المتعالية الجماعية التي تتال من العقلاء القبول ومن المفكرين الاستحسان، وهي في ذات الوقت من سمات المجتمع الراقي.

4: أن فكرة التوطين الثقافي لها ارتباط عضوي بكلٍ من السياسة والثقافة معاً، لأن السياسة فن قيادة المرء نفسه والآخرين، والثقافة هي توظيف القدرات العقلية للفرد العاقل فيما يحقق الفؤاد المشترك وذلك أمرٌ لا ينكر. من هنا كان التعدد الثقافي سمةً من سمات الجنس البشري.

ثانياً: منهج الدراسة: بما أن موضوع البحث من الموضوعات المتكاملة فقد اخترت أن يكون منهجي في دراسته هو المنهج التكاملي، ومعناه الذي يجمع بين مناهج جزئية متنوعة بحيث يعطي للباحث فرصة الانتقال من منهج إلى آخر طبقاً لاحتياجات البحث ومتطلباته المعرفية. فإذا طرح جانب تاريخي استخدمت له المنهج التاريخي الوصفي أو التحليلي أو الإستردادي، وإذا احتاج إلى موضوع



يرتبط بالتجربة فلا بد من استخدام منهج التحليل والتركيب الذي يوفي بالغرض، وإذا احتجت إلى منهج مقارن مدني المنهج التكاملي بذلك.

### ثالثاً: أهم المشكلات:

1: تحديد المفاهيم: يعتبر تحديد المفاهيم من المشكلات المعرفية التي ترتب عليها الحكم بالإلحاد على الأبرياء أو الضغط على عقلية الآخر مهما كان ذكياً، والسبب هو عدم تحديد المصطلح المتداول بينهما.

2: أن ما يتعلق بالثقافة والقيم بحاجة إلى مزيد من الدراسة إذ ما تزال هذه المفاهيم ثلاثية الأبعاد بين الدارسين، وبالتالي فمن الضروري تحديد المفهوم والموضوعات والغايات.

3: أن تصنيف المشكلات البحثية وتوظيفها ضرورة معرفية فإذا لم تتحقق ترتب عليها نتائج سلبية، ومن هنا كان دراسة ذلك الموضوع حتى يساهم في تقديم حلول علمية لتلك المشكلات البحثية.

### رابعاً: الأهداف والغايات:

1: أن الفلسفة ما تزال حية نابضة والسعي إليها ضرورة منهجية. أما الغاية فهي التأكيد على الدور الفلسفي في البناء السياسي الذي يتعلق به نظام الحكم وما يترتب عليه.

2: إثبات أن الفروق الفردية ظاهرة إنسانية، بل هي أحد معالم الفطرة بالنسبة لبني البشر. أما الغاية فهي إعلان أن الثقافة نبتٌ جديد يعلو كل يوم نظراً لكونه يتعلق بتهديب العقول الصحيحة ودعمها عن طريق المعارف السليمة.

3: ضرورة الاهتمام بمنظومة المواطنة لأن الإنسان بغير وطن يفقد هويته. أما الغاية فهي التأكيد على ضرورة احترام قواعد المواطنة فلا يقع احتلال قوي لوطن ضعيف، ولا يتخلى ضعيف عن معالم وطنه مهما كانت الظروف.

4: إثبات أن منظومة القيم لا يخلو عنها مجتمع أبداً، فإذا انهدمت تلك المنظومة سقط المجتمع، وكذلك التأكيد على ضرورة تدريب الصغار على الاهتمام بالمنظومة الأخلاقية في جانبها الذي يتعلق بالأفراد والمجتمعات. أما الغاية فهي العمل على إيجاد وسائل جامعة بين أفراد المجتمع الواحد حتى يظل دفاعهم عنه أمراً مشروعاً لا يصح التنازل عنه بحالٍ من الأحوال.

**خامساً: مكونات الدراسة:** يتكون هذا البحث بعد المقدمة من ثلاث مباحث هي:

المبحث الأول/ تحديد المفاهيم: الفلسفة/ السياسة/ الثقافة/ التوطين/ القيم/ التعدد الثقافي.

المبحث الثاني/ أثر الفلسفة في توطين الثقافة.

المبحث الثالث/ علاقة السياسة بالتعدد الثقافي.

الخاتمة/ وفيها أهم النتائج /أبرز التوصيات/ أهم المقترحات.

وأخيراً أهم المصادر والمراجع في حدود ما تسمح به ذات الدراسة.

**المبحث الأول: تحديد المفاهيم:** المعلوم لدى الباحثين أن كل لفظ له العديد من المفاهيم طبقاً لقاعدة أن اللفظ (حمل أوجه)، فإذا لم يتحدد وقع الخلط في المقدمات والنتائج، ومن هنا كان اهتمام العلماء قديماً وحديثاً بتحديد المفاهيم المتداولة في البحث وسيكون ذلك كما يلي:

**أولاً/ الفلسفة:** هي لفظ مشتق من اليونانية وأصله (فيلا صوفيا) ومعناه محبة الحكمة، ويطلق على العلم بحقائق الأشياء بما هو أصلح<sup>1</sup>. وإذا كان اليونانيون الأقدمون قد نظروا إلى الفلسفة بما هي كذلك، فإن المتأخرين قد عالجوا هذا المفهوم من الناحية التوظيفية وجاءت معالجتهم على نواحي اقتطف منها:

1. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار المتاب اللبناني، بيروت، المجلد2، د.ط، 1979م، ص160.

ما ذهب إليه الكندي فيلسوف العرب من أنها «علم الأشياء الأبدية الكلية بحقائقها وماهيتها وعللها بقدر طاقة الإنسان»<sup>1</sup>. ومن ثم فهو يركز على الجانب المعرفي الذي يظهر فيه المنتج العقلي على ناحية مقبولة. كما عرفها بأنها التشبه بأفعال الله بقدر طاقة الإنسان<sup>2</sup>، وهو تعريف يركز على الجانب العملي، لأن التشبه بالفعل الإلهي المقصود به الالتزام في الأفعال كلها. ولا يخفى أن الكندي بهذه التعريفات يقدم نفسه على أنه جامع بين الفلسفة والتفلسف وبين العارف وموضوع المعرفة.

أما الفارابي فيعرفها بأنها "العلم الوحيد الجامع الذي يضع أمامنا صورة شاملة للكون، والعلم الذي يعطي الموجودات معقولة ببراهين عقلية"<sup>3</sup>. ولا يخفى أن الفارابي بهذه التعريفات إنما ينسج على منوال ارتضاه وهو كونها العلم بالموجودات بما هي موجودة<sup>4</sup>.

2. صبحي مجد راشد، الكندي فيلسوف العرب، دار المروة للطباعة والنشر، 1977م، ص53.

3. عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م، ص223.

4. حسين مرسي محمود، دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار المنتزه، القاهرة، 1973م، ص175.

5. توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1979م، ص49. لا يخفى أن العلم بالموجودات من حيث هي موجودة فيه نزعة أرسطو طاليسية ولكنها تختلف من حيث الصياغة والعمق والمضمون.

وهناك من يرى أن الفلسفة مفهوم جامع لكل ما لم يستطع الفرد حتى الآن أن يتناوله تناولاً علمياً. وهو رأي برتراند راسل، ورأي كثير من الفلاسفة الوضعيين الذين يرون أن الفلسفة والعلم كانا يعنيان عند أرسطو شيئاً واحداً، وأن العلوم الجزئية قد انفصلت فيما بعد عن الفلسفة، وأصبحت الفلسفة من بعد بلا موضوع وإنما تطلق على محاولات معينة لتوضيح مشكلات مختلفة ما زالت غير ناضجة<sup>1</sup>. يتضح من عرضنا السابق أن الكثير من الباحثين يعتقدون صعوبة تعريف حدي للفلسفة نظراً لتعدد العصور والفلاسفة، وهذا يعني أن الفلسفة عملٌ عقليٌّ يقوم به مفكر ذو طبيعة مميزة تعينه على إدراك حقائق الأشياء في أصولها والعلاقات المتبادلة بينها، وترتبط بها غايات تتعلق معها مصالح المجتمع والإنسان.

ثانياً/ السياسة: ذهب العلماء إلى أن السياسة لها تعريفات بالاعتبارات المتعددة بناءً على أن قواعدها يقوم فوقها نظام الحكام، ولذا عرفها الغزالي بأنها «صلاح الخلق عن طريق إرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي للعالم والآخر»<sup>2</sup>. والغزالي بهذا يشير إلى السياسة الشرعية القائمة على الفكر الصحيح فاعتبرها أشرف الصناعات والأصول التي تقوم عليها حياة الناس ولذلك تستدعي هذه الصناعة

6. جوزيف بوخينسكي، مدخل إلى الفكر الفلسفي، ت:محمود حمدي زقزوق، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م، ص16.

1. أبو حامد الغزالي، فاتحة العلوم، مكتبة الجندي، القاهرة، 1322هـ، ص6.

سائر الصناعات<sup>1</sup>، وإذا كان هذا مفهوم السياسة بالنسبة للغزالي أو السياسة الشرعية على ما هي عبارته، فإن علماء السياسة المدنية يذهبون إلى أن الفلسفة السياسية «هي التي تدور حولها الأنظمة السياسية، وبمعنى آخر هي التي تدور حول فكرة الدولة والقانون والفرد والمجتمع»<sup>2</sup>. وحيث أن السياسة المدنية تتعلق بنظام الحكم وأشكاله فقد ذهب علماء القانون في تعريفها بأنها «ما يتعلق بصيغ الحكم وأشكاله وكيفية معالجة القصور الناشئ عند التطبيق بما يتوافق وطبيعة العصر الذي ظهرت فيه الأوضاع السياسية ابتداءً من عصر النهضة»<sup>3</sup>.

غير خاف أن مفهوم السياسة بنوعها الشرعية والمدنية يندرج فيما يتعلق بمصالح العباد، ولذا كان اهتمام العلماء قديماً بالسياسة بعيداً عن كونها شرعية أو مدنية. فإذا لاحظنا أن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد أمكن لنا القول بأن السياسة المدنية والشرعية يمكن أن يتلاقيا في طريق واحد تتحقق معه المصالح المشتركة إذا تخطى الناس عن مصالحهم الفردية وتمسكوا بالمصالح الجماعية.

2. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تحقيق: بدوي طبانة، مطبعة الحلبي، القاهرة، ج1، ص14.

3. فؤاد العطار، النظم السياسية والقانون الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة، ت:بدون، ص15.

4. صابر السيد راغب، النظم السياسية المعاصرة، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1983م، ط2، ص13.

ومن وجهة نظري أرى أن السياسة يمكن فهمها على أنها قيام الفرد الواعي بتدبير نفسه ومن أكلوا إليها أمورهم بحيث تحقق لهم سعادة، واعتقد أنه تعريف مقبول على ناحية بذاتها.

**ثالثاً/ الثقافة:** البين أن مادة الكلمة ث. ق. ف تقوم على التهذيب والتوضيح والبيان والتنازل عن الأفكار السلبية والتمسك بالأخرى الإيجابية، مع العمل المتواصل لتطبيقها فوق الأرض. ومن ثم قامت الحضارة على جانبيين: الجانب النظري "المعنوي" ويتمثل في الثقافة وهي تهذيب العقل الواعي بالمعارف والعلوم التي تظهر، وتحويل ذلك من نظري إلى عملي<sup>1</sup>. كما تعرف بأنها تثقيف العقل وتهذيبه بالمعارف والعلوم التي تظهر حتى تتكون المعرفة الحقة والنتائج الصحيحة وهو الجانب المعنوي من الحضارة<sup>2</sup>، ولا بد في معرفته من أن تكون يقينية. كما عرفت الثقافة بأنها تهذيب العقل بالمعارف والعلوم التي يظفر بها حتى ترقى مداركه. وهي الجانب الفكري من الحضارة<sup>3</sup>. وبناءً عليه تكون الثقافة هي الجانب النظري أو المعنوي من الحضارة.

- 
1. محمد سبع، الحضارة الإنسانية: أصولها ومقوماتها، دار المنتزه، القاهرة، 1983م، ص23.
  2. يقصد بالجانب المعنوي ما يتعلق بالفكر الإنساني، حيث يتيح الفرصة للجانب المادي المتعلق بالمظاهر كالبناءات المختلفة وصناعة وسائل النقل فكلها لها مظاهر مادية.
  3. السيد محمد محمد، دراسات في الثقافة، طبعة القاهرة، 1995م، ص24-23.

أما الجانب المادي فيتمثل في التطبيق المادي للفكر في جانبه الحضاري كإنشاء العمارات والمنشآت وهي التي يظهر بها أثر الفكر نفسه.

وفي تقديري أن الثقافة مصطلح واسع، فإذا قام على أسس صحيحة فإنه يكون قاعدة تتمدد بالنسبة للعقل الواعي، حينئذ يتخلى عن معارفه الغير صحيحة ويتنازل عنها طوعاً نظراً لكون الذي استدركه أعلى وفائدته أوسع.

رابعاً/ التوطين: هو مصدر وطن، ويراد به الاستقرار في مكانٍ ما بحيث يعود الإنسان إليه كلما خرج عنه، ولذا لا يُعرف التوطين المكاني في القبائل الرعوية المتنقلة من حيث أنهم يعتبرون الأرض كلها وطنٌ لهم<sup>1</sup>.

وبناءً عليه فالقبائل الرعوية لها امتداد في أنسابهم، وكل أرض وطؤها هي أرضٌ لهم عند إقامتهم بها. كما يُعرف التوطين بأنه نوع من الاستقرار في مكانٍ بذاته، بغض النظر عن كون المقيم به قصد الاستقرار أو الانتقال على فترات متباعدة. كما عُرّف بأنه التمسك بالمُقام الذي يأوي إليه الفرد، سواء أكان مكاناً جسدياً أم معنوياً. ولذا قالوا بأن «الفكرة الصحيحة تستوطن عقل صاحبها الذي يصير وطناً لها»<sup>2</sup>.

4. محمد الغزالي، الوطن والمواطنة: دراسة نقدية، مطبعة آل بسبوني، القاهرة، 1995م، ص31.

5. نفس المرجع، ص32.



ومادام التوطين يشمل المادي والمعنوي فإن استقرار الثقافة في مكانٍ ما، واستقرار السياسة في عقل فردٍ ما، واستقرار العلوم في مجموعة عقول يعتبر توطيناً<sup>1</sup>. ولا يخفى أن التوطين عمل إيجابي إذا تعلق بمصالح الفرد والجماعة التي لها هذا الوطن من غير منازعة، والمساحة الفكرية للشخص التي جعلها الله له، فهو المالك لها وهو المسئول عنها، وهي التي تدور معه وفيها مملكته الخاصة.

**خامساً/ القيم:** يعتبر الحديث عن القيم بمثابة الجانب التكميلي للفكر الفلسفي، لأنها مرتبطة بنتائج إيجابية إذا تعلق بمصالح صحيحة وتسمى القيم المتعالية، أما إذا ارتبطت بغير ذلك فإنها تكون متدنية. والقيمة هي أحد النظريات التي قامت عليها الفلسفة العامة، وأعني بها الوجود والمعرفة والقيم<sup>2</sup>.

وقد لاحظت أثناء بحثي عن معنى القيمة أن لها عدة دلالات منها ما اعتمد على المنطوق اللغوي فنجدها تدل على ما يجيء منها في الماديات والمعنويات، ومنها ما يفيد التتميم والتقدير بمعنى وضع الشيء في قيمته المقدره. ومادامت مادة

1. حقيقة إن الاستيطان هو نوع من الاحتلال الذي يقوم على انتزاع مساحة مكانية أو مساحة عقلية يلجأ إليها من يملك إرغام الآخر على التنازل عن كينونته والتخلي عن وطنه، ولا يقوم بذلك إلا المستعمر الذي يعبر عن عداوة مستأصلة فيه للإنسانية كحال الإيطاليين عندما جاءوا بأسرهم واستوطنوا جزءاً من بلدنا فترة احتلالهم لتلك الديار.

2. فتح الله الجعفري، الفلسفة قضايا وغايات، دار الفكر العربي، القاهرة، ص51.

الكلمة "قيم" لها تلك الدلالة فقد انتهى جهد الباحثين إلى أنها المفهوم الداخل في إطار تقييم العلاقات بين الأفراد، وخضوع ذلك لمراقبة القواعد القانونية بما يحقق الصالح العام لأفراد المجتمع، وعلى هذا سار الأقدمون من الباحثين في القيم.

بيد أن علماء الأخلاق نظروا للقيمة من حيث النتائج (حسنة أو شريرة)، وبالتالي عرفوها بأنها "ما يعقب ناتج ما يقوم الإنسان العاقل من حكم عليه، فإن كان الناتج مما يحكم عليه بالحسن كانت قيمته خيرة، وإن كان عكس ذلك كانت قيمته سيئة"<sup>1</sup>. من هنا يمكن القول بأن القيمة ذات جانب أخلاقي يرتبط بكل من الفلسفة والسياسة والثقافة على ناحية بذاتها. كما أن الأخلاقيين في تعريفهم للقيمة ربطوا بينها وبين الأفعال الإنسانية، وكذلك فعل الفلاسفة، وانتهوا إلى إيجاد قاسم مشترك هو «أن القيمة ما يتعلق بالحق والعدل والخير العام بجانب الجمال»<sup>2</sup>.

وهكذا نلاحظ أن الذين تناولوا القيمة على جوانب متعددة قدموا عملاً رائعاً بالنسبة لمن يأخذ عنهم، وفي تقديري أن القيم هي الصور الإيجابية التي يسعى الإنسان العاقل للاحتفاظ بها حتى تكون علامةً عليه، عندها يكون إنساناً مثالياً طالما أنه قائم بالقيم المتعالية وهي: الحق والخير والجمال.

3. نصر الدين الغزواني، الأخلاق بين الدين والفلسفة، دار الهدى، 1335هـ، ط1، ص17.

4. رشدي صبرا، الفلسفة ونظرية القيم، دار المنتره، القاهرة، ط1، 1957م، ص19.

سادساً/ التعدد الثقافي: هو وجود معارف متنوعة صحيحة في عقل الفرد الواعي بحيث ينتظم بها عقد حياته، عندها يكون التعدد مقبولاً وصحيحاً. ويرى البعض أن التعدد الثقافي في عقل الفرد الواعي له مظاهر متعددة أبرزها أن يكون هذا العقل محتفظ برصيدٍ من المعارف القديمة والحديثة على السواء فيستطيع توظيفها كلٌّ في الموضوع الذي يليق به<sup>1</sup>.

وبناءً عليه يكون التعدد الثقافي داخل عقل الفرد الواحد بمثابة مكتبة متنقلة يأخذ منها عندما يريد التوظيف، ويعطي منها عندما يريد الدفع في أرصدته المتعددة الدالة على ذلك النشاط.

كما عُرف التعدد الثقافي بأنه «علاقة رابطة بين أفراد المجتمع المختلفين في مصادر ثقافتهم، كالحال مع العلماء والمهندسين والعلماء من الفقهاء، فكل فريقٍ منهم له ثقافته والمجتمع يستفيد منهم جميعاً»<sup>2</sup>. كما يعتقد البعض أن التعدد الثقافي الإيجابي يقع فيه تكامل بين الأفراد عندها تتحقق الإفادة وتقوم الحضارة في جانبها الثقافي النظري والمادي والعملي.

1. محمد رشوان، سياحة فكرية، طبعة القاهرة، 1963م، ص85-86.

2. نجية محمد الحصري، علاقات المجتمع بأفراده: دراسة سيكولوجية الأفراد، المكتب الفني، القاهرة،

1963م، ص98.

وفي رأبي أن التعدد الثقافي الإيجابي يحقق التكامل بين أفراد المجتمع، ويهدف إلى إقامة حضارة ذات أصول قوية، فإذا خلا المجتمع من جانب انهدم كله.

أخلص مما سلف إلى أن الفلسفة تأخذ بيد السياسة لتقييم ثقافة متميزة يمكن توظيفها في مجتمع ما فتسود القيم الإيجابية المتعالية، ويمكن توظيف التعدد الثقافي للغايات العليا. وبناءً عليه انتقل إلى الجانب التطبيقي المتعلق بأثر الفلسفة في التوطين الثقافي.

### المبحث الثاني: أثر الفلسفة في توطين الثقافة..

إن للفلسفة أثر في توطين الثقافة داخل العقلية التي تتعامل معها والمجتمع الذي تقبل الإقامة به، وأنه إلى أن الفلسفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياسة على أساس علمي يقوم فيما يلي..

**أولاً/ التقسيمات العامة للفلسفة:** ذهب بعض الفلاسفة كابن سينا مثلاً إلى أن الفلسفة تنقسم باعتبار النظري والعملي إلى قسمين: أحدهما الحكمة النظرية وهي أنواع ثلاثة<sup>1</sup>: العلم الطبيعي، العلم الرياضي، العلم الإلهي<sup>1</sup>. وهذا التقسيم يتفرد

3. هذا التقسيم روعي فيه موضوع الفلسفة والغاية المترتبة عليها، وهو تقسيم قديم ذهب إليه اليونان الأقدمون وكذلك ظهر في تراث الشرق القديم حتى وإن لم يتم التصنيف له على تلك الناحية.

بأنواعه الثلاثة ولا يرتبط بالسياسة إلا من ناحية رعاية المعارف، فيرتبط بالمعرفة وأنواعها ومصادرها وأقسامها ونتائجها ودرجاتها.

القسم الثاني هو **الحكمة العملية** والمراد بها ما يكون له ارتباط بالمجتمع وقوانينه وأنظمة الحياة ومصالحها بجانب جملة الفضائل وهو أنواع ثلاثة:

**النوع الأول: الحكمة المدنية** وهي التي تقود الإنسان إلى التماس طرق التعاون بين الناس في مصالحهم واستمرار حياتهم، وهذا النوع يرتبط بالسياسة ويمهد له، كما يرتبط بالمواطنة ويُعين عليها، وله ارتباط وثيق بعملية التعدد الثقافي والإبقاء المعرفي.

**النوع الثاني: الحكمة المنزلية** وهي التي تنظم فيها المصالح المشتركة بين الأسرة الواحدة في المنزل. ومن ثم فإن الحكمة المنزلية ذات ارتباط وثيق بالسياسة من تلك الناحية على أساس أن الإنسان مجتمعي بطبعه، والمصالح مشتركة بين أفراد المجتمع، والفرد الإيجابي هو الذي يسعى لتوطين الفلسفة والسياسة معاً.

1. حسن محمود صبري، الفلسفة النظرية عند ابن سينا، مكتبة الجبل، القاهرة، 1985م، ص71. وانظر:

صلاح إبراهيم عبد العليم، دراسات في الفلسفة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1978م، ص28.

النوع الثالث: **الحكمة الخلقية** وهي التي تقود لتعليم الفضائل واجتتاب الرذائل، فيقف للفضائل متعلماً ويقف للرذائل موقف الراض لأحكامها فتزكو نفسه<sup>1</sup>.

إذن فالعلاقة القائمة بين الفلسفة والسياسة هي علاقة الكل "وهو الفلسفة" بالجزء "وهو السياسة والثقافة كذلك"، ولا عبرة لمن ينازع في دلالة الفلسفة على السياسة وكونها أحد أجزائها، بل يمكن القول بأن الحكمة العملية كلها فيها سياسة وثقافة وقيم وتوطين معرفي وإلى هذا نوهت.

**ثانياً/ مظاهر أثر الفلسفة في التوطين الثقافي:** مادامت الفلسفة هي محبة الحكمة، وهي العلم بحقائق الموجودات ومعرفة أصولها، فإن أثرها في السياسة التي هي فن قيادة النفس والآخر تكون مظاهره متعددة:

**المظهر الأول/ التعاون المجتمعي:** المعروف أن المجتمع هو المكان الذي يقيم فيه الأفراد بما معهم من متطلبات الحياة، وبناءً عليه تمهد الفلسفة لإقامة علاقات مجتمعية متميزة تحفظ للأفراد حقوقهم وتُنمي في الناس الارتباط العضوي القائم على المحبة واحترام الذات والآخر.

---

2. سليمان سليمان خميس، بداية الفلسفة الإسلامية في المغرب ونهايتها في المشرق، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1963م، ص34.

ويرى البعض أن الفلسفة بمفهومها الواسع لها اتصال وثيق بالسياسة وأبرز مظاهرها أنها تعمل على إقامة مجتمعات سليمة تنتهي إلى التوطين الثقافي للمعرفة وإشاعة الجوانب الإنسانية للأفراد<sup>1</sup>. وبناءً عليه يكون هذا الأثر واضح المعالم، ويظهر في ذلك الوقت أن عملية توطين الثقافة من المهام الضرورية التي تسعى إليها الفلسفة وتحاول المحافظة عليها بالسياسة العملية على أقل تقدير.

ويقدم فرانسيس بيكون نموذجاً رائعاً لفكرة التوطين الثقافي، واستخدم لذلك طريق الهدم للأفكار السلبية وتناوله تحت عنوان "الأوهام الأربعة"<sup>2</sup>، ثم أكد على ضرورة التوطين الثقافي حين تناول الجانب الآخر المتعلق بالتجربة وكيف انتهى بها إلى نتائج جعلت العقل البشري يعيد النظر في قضاياها والوقوف على قاعدة نظرية عملية.

**المظهر الثاني/ البناء المثالي للعلاقات الإنسانية:** ويراد به الناتج الذي قدمته الحكمة في انتظام مصالح الأفراد داخل الأسرة. ويُعرف البناء الثقافي بأنه القائم على النتائج التي أمكن استخلاصها عن طريق التعاون المتمثل في الحكمة المنزلية، ويعد كائن من أبرز الذين أقاموا البناء المثالي بالنسبة لعلاقة الفلسفة

1. عبد اللطيف صلاح، دراسات في الفلسفة، دار المنتزه بالقاهرة، 1998م، ص108.

2. يقصد بها أوهام الجنس، الكهف، السوق، المسرح للمزيد انظر: كريم متى، الفلسفة الحديثة، دار الكتب

الوطنية، بنغازي، ط2، 2001م، ص 41. 44.

بالسياسة، لأن الرجل وضع نظام صارم في حياته قام على الواجب الأخلاقي<sup>1</sup> وطبقه في حياته تطبيقاً لم يجد مفرّاً من الاستمرار عليه، وهذا في حد ذاته يقدم صورة من أثر الفلسفة في التوطين الثقافي. ولا يخفى أن كانط في هذا كله كانت غايته أن يقيم بناءً مثالياً للمعرفة، وهو الذي أوجب عليه أن يهب حياته للعلم والبحث عن الحقيقة.

غير خافي أن التخلف الثقافي يعد مشكلة أخلاقية شائكة، أما لماذا فلأن عدم التوافق بين أفراد المجتمع يؤدي إلى صراع مجتمعي وضمور الوعي الاجتماعي وهو بدوره يؤدي إلى جمود الثقافة لفترة من الزمن، وهذا هو حال دول العالم الثالث وخاصةً المجتمع العربي، ويعود السبب الرئيسي في ذلك الركود إلى الربط الغير موضوعي للعرب بين تاريخهم الذي كان له دور فعال في تطوير ثقافتهم وحفظ ثقافات أخرى من الضياع، وبين عدم الاعتراف بأن جزءاً من هذا الموروث لم يعد يفيدنا في هذا الوقت<sup>2</sup>. وهذا بدوره أدى إلى تأخر الوصول إلى النظام العالمي

3. نازلي إسماعيل، كانط: مقدمة لكل ميتافيزيقا نقدية مقبلة، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969م، ص10.

4. يرى عابد الجابري أن وضعنا مقلوب مع الغرب، فنحن في العالم العربي شعبنا من التراث ونبعث عن المعاصرة، أما الغرب فيبدو أنهم شعبوا من المعاصرة وبيحثون عن التراث. انظر: محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، ورقة مقدمة في إطار ندوة حول العرب والعولمة نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، 1997م.



الجديد "العولمة، التطور، التنمية" وما يحتويه من مبادئ أخلاقية واجتماعية وسياسية واقتصادية. ويمكن أن يؤدي غياب إحدى هذه المبادئ إلى إضعاف الوصول إلى العولمة وتشويهها.

ومنذ القرن الماضي قام النظام الرأسمالي في الدول المتقدمة بتطوير نفسه على حساب مجتمعات العالم الثالث، الأمر الذي منعها من الاعتماد على ذاتها أو الاستفادة من التطور التكنولوجي سنين طويلة، وجعلها في حالة جمود نسبي، وحول ظاهرة التخلف من حالة مؤقتة إلى حالة دائمة<sup>1</sup>.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: أليس من واجب المثقفين أن يسهموا في تنمية المجتمع العربي وتواصله مع روح العصر؟ والجواب يكمن في نقطتين أساسيتين هما:

1. أن بعض المثقفين العرب انصرفوا عن دراسة أسباب التخلف إلى كتابات سياسية حول الإرهاب والديمقراطية وحقوق الإنسان.
2. أنهم لم ينتبهوا، أو بالأحرى تناسوا محاولة الإصلاح السياسي والاجتماعي والنصح الأخلاقي، ومن ثم تفاقمت مظاهر التخلف.

---

1. محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار النهضة، مصر، ط1، 1999م،

من هنا يظهر لنا مدى أهمية توطين الثقافة في المجتمعات « فالمثقف هو عقل الأمة »<sup>1</sup>، ولكي يُفعل دوره التنموي أو التطوري لابد له من تحويل الأفراد إلى مجتمعات مؤسسية تتبنى إعادة تكوين هذا المثقف ليصبح له دوراً في نهضة شاملة كما حدث في القرن التاسع عشر الميلادي، وبعد إتمام إعادة التكوين تصبح المسؤولية على عاتق المثقف بإخراج المجتمع من العزلة الفكرية عن باقي الثقافات، وبناء علاقة متكافئة بين الإنسان ومجتمعه.

### المبحث الثالث: علاقة السياسة بالتعدد الثقافي..

سلف الحديث عن أثر الفلسفة في توطين الثقافة وها أنا انتقل إلى علاقة السياسة بالتعدد الثقافي، وأتوه إلى أن المراد بالسياسة هنا استصلاح الخلق للحق وقيادتهم إلى ما فيه سعادتهم. وذلك يدور فيما يلي:

**1. وضع الضوابط العامة:** يعتقد الفلاسفة المعاصرون أن علاقة السياسة بالتعدد الثقافي لا يمكن أن تكون من غير ضوابط تحكمه، يستوي في ذلك أصحاب فلسفة الظواهر "الفنومولوجيا" وغيرهم، لأن وضع الضوابط العامة ييسر للثقافة أن تتعدد ويضمن لها حق البقاء، يدل عليه أن هوسرل قد وضع تلك الضوابط في مبدئين أحدهما سلبي يقوم على ضرورة التحرر من كل رأي سابق، باعتبار أن ما ليس

2. تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار السافي، بيروت، 2001م، ص133.

متبرهن ببرهان ضروري لا قيمة له<sup>1</sup>. وغايته من ذلك أن يعطي للتعدد الثقافي قدراً لا بأس به بشرط أن يكون متحرر من مدخلات سابقة حتى لا يكون مكبلاً بها. إنه لا يرفض التعدد الثقافي بل يرى أن السياسة العلمية تحت عليه، إنه يرفض فقط أن تكون هناك سلطات لأراء سابقة لم تصح البرهنة عليها. وهذا الجانب السلبي لا يرتبط بحالة الفرد النفسية وإنما يرتبط بصدق الموضوعات التي يرى العقل أنها موضوعة بين علامتين صحيحتين وهذه مسألة مهمة.

**والمبدأ الإيجابي** يدل على ماهية الموضوع<sup>2</sup>، فيرى هوسرل أنه يجب الذهاب إلى الأشياء أنفسها، ومراده بذلك الذهاب إلى الأشياء الظاهرة في الشعور ظهوراً، بيناً، كاللون الأزرق والأحمر والصوت وما إلى ذلك من ماهيات ثابتة مدركة بحدس خاص<sup>3</sup>.

وإذا أدركنا أن هذين المبدئين "السلبي والإيجابي" تقوم عليهما جوانب كثيرة من الفلسفة المعاصرة تبيّن أن علاقة السياسة بالتعدد الثقافي قائمة على أصول مقبولة عندهم لوضع الضوابط العامة.

1. يوسف كرم، تاريخ، تاريخ الفلسفة الحديثة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2018م، ص415.

2. تهتم فلسفة الظواهر اهتماماً واسعاً بالموضوع من ناحية الدوافع التي قامت عليها، وتتمسك بضرورة أن يكون للعقل دور في تناول الموضوعات خالصة من كل واسطة غير صحيحة.

3. حسن طلبه، فلسفة الظواهر في ضوء القراءات الجديدة، طبعة القاهرة، 1995م، ص103. 104.

2. إضافة عناصر التأليف والتركيب: يعتقد الفلاسفة المعاصرون، وخاصة أصحاب فلسفة الفينومولوجيا، أن علاقة السياسة بالتعدد الثقافي تدور في موضوعات مقصودة من ناحية الفكر، بمعنى أنه يتجه إليها أولاً، وبهذا يميزون بين الموضوعات التي يعالجونها ومنها السياسة وغيرها ويقدمونها على موضوعات المنطق العقلي التي يعتبرونها مقصودات لاحقة يحصل عليها الفكر برجوعه على نفسه، يدل عليه ما ذهب إليه برانتانو حيث يقول «إن ظواهر الشعور تنقسم إلى ثلاث صور هي التصور والحكم ثم ظاهرتا المحبة والكرهية، وأن لهذه الصور الثلاث حالات ثلاث للقصد من حيث أن الإضافة للموضوع تكون مقصودة»<sup>1</sup>.

ولا بد في إضافة عناصر التأليف والتركيب من شروط:

**الشرط الأول:** أن تكون الأحكام الدائرة بينة بذاتها، عندها توصف بأنها صادقة فإذا لم تكن كذلك فلا يمكن قبولها مهما كانت العناصر المحيطة بها.

**الشرط الثاني:** إمكانية التجربة عليها، ومعناه أننا إذا افترضنا أن موضوع قضية ما اتجه إلى ملائم أو غير ملائم، فإن كان ملائم كالمحبة مثلاً فإنه يكون صحيحاً وصحته في كونه موضوع ملائم، وبناءً عليه فإذا كانت عناصر التأليف والتركيب غير ملائمة فإنه لا توجد علاقة بين السياسة والتعدد الثقافي. وكذلك

4. يوسف كرم، المرجع السابق، ص414.

الحال بالنسبة لموضوع الكراهية، فإذا اتجهت إلى المحبة لم يكن موضوعها ملائماً  
أما إذا اتجهت إلى موضوع غير ملائم فإنه يمكن وصفها بكونها على صواب<sup>1</sup>.

**3. ضرورة تعدد وجهات التجربة الفكرية:** يعتقد أصحاب فلسفة الظواهر أن كل  
تجربة فكرية لا تستقيم على جهة واحدة وإنما لابد فيها من وجهتين أو وجهين:

الوجه الأول وجه الموضوع، ولا يشترط أن يكون حقيقياً أو متخيلاً المهم أن  
يصح اعتباره موضوعاً، ولابد فيه من طرف إضافة وصدق قصد<sup>2</sup>.

الوجه الثاني الوجه النفسي، وهو المتعلق بفعل التصور المجرد ثم الحكم  
المتربب وأخيراً ينشأ عن ذلك غاية هي المحبة والكراهية، وعلى كل من الطرفين  
يقوم جانب معرفي. الواضح أن الجانب الأول المتعلق بالموضوع يُنمي الشعور  
بالخيال، بينما يتعلق الجانب الثاني بعلم النفس.

الواضح أن الفلسفة المعاصرة لا تهتم بجانب بذاته قدر تعويلها على الظواهر  
القائمة<sup>3</sup>، ومن هنا صح القول بأن هؤلاء الفلاسفة الذين يتبنون الفينومولوجيا

1. يوسف كرم، مرجع سبق ذكره، ص414.

2. المراد بطرف الإضافة ما يعبر عن علاقة السياسة بالتعدد الثقافي، فالسياسة حقاً هي الأصل الذي قام  
عليه الموضوع وهو الحقيقة، أما طرف الإضافة المترتب عليها الممهد لهدف القصد فيصح أن يكون  
متخيلاً وليس حقيقياً.

3. عزمي محمود سلام، فلسفة الظواهر: دراسة في فكر الآخر، دار الطليعة بيروت، 1998م، ص81.

يشوهون موضوع الفلسفة لأنهم صدروا عن آراء سابقة لا مسوغ لها وكان عليهم التخلي عنها حسب آرائهم ومبادئهم الأولى.

**4. وضع إطار معرفي للظاهرة المدروسة:** ومعناه أن كل ظاهرة لدى الفلاسفة المعاصرين هي موضوع معروف، وهي في ذات الوقت نفس المعرفة فتجمع بين الموضوع وهو الجانب الأول من حيث أنها معروف، وتجمع بين المعرفة وهي الجانب الثاني من حيث أنها فعل النفس، فيدخل في نطاق القول بالمتضايقين<sup>1</sup>.

غير خافٍ أن فكرة المتطابقين في فلسفة الظواهر قد تُقَرُّها السياسة من حيث أنها تقبل التعدد الثقافي، لكنها قد لا تقبلها إذا أُريد بها الخلط بين الذات العارفة وموضوع المعرفة .

صحيح أن هوسرل قد جاء بعد هيدجر، وشيلر، وهارتمان، لكنهم لم يكونوا على هذا الخط الذي سار عليه أصحاب الفينومنولوجيا المتقدمون، بل ذهبوا إلى أنه لا يجب أن يكون العالم الخارجي موضوعاً بين قوسين وإنما يمكن القول بوجوده متى نظرنا إلى تطبيق مبدأ القصد إلى الموضوع هذا من ناحية، والشعور بوجوده

4. محمود نصار، فلسفة الظواهر بين القبول والرفض، مكتبة المجد، القاهرة، 1998م، ص93-94.

الموضوع من ناحية ثانية، وهم يحللون الإنسان تحليلاً وجودياً على طريقة كيركجارد، فيصفون الانقباض وخوف الموت وغيرها من الانفعالات<sup>1</sup>.

لقد تأثرت علوم كثيرة بتلك النظرية التحليلية التي تدل على التعدد الثقافي، ثم تمددت إلى علم النفس والاجتماع والأخلاق بل وفلسفة الدين، وترتب على ذلك أن الظواهر الباطنة والمؤسسات الاجتماعية والقيم الأخلاقية والدينية صارت بمثابة أمور أصيلة يجدونها هي هي من خلال مظاهرها المختلفة.

أخلص مما سلف إلى أن علاقة السياسة بالتعدد الثقافي تشهد بأن الفلسفة لها دور فاعل في كل من أبحاث الوجود والقيم والمعرفة، ولا بد من الرجوع إلى الفكر الفلسفي الأصيل المنضبط بقواعد عامة حتى تتحقق العناصر الفاعلة بالنسبة للمعرفة الإنسانية.

## الخاتمة

من العرض السابق توصلت الباحثة إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات يمكن تناولها كما يلي:.

أولاً/ أهم النتائج:

1. يوسف كرم، مرجع سبق ذكره، ص416.

1. أن كل لفظ له مفهوم أصلي وآخر تبعي، فإذا لم يتحدد المراد منهما وقع الباحث في خطأ علمي. وبالتالي فتحديد المفاهيم هو ضرورة معرفية لا غنى عنها.
2. أن الأبحاث الفلسفية لها غطاء معرفي يدور في نطاق محبة الحكمة، والعمل على إدراك أصول الأشياء والعلاقات المتبادلة، وهذا في حد ذاته هدف معرفي تسعى إليه فلسفة العلم المعاصرة بل والمناهج العلمية الحديثة والمعاصرة أيضاً، وبالتالي فموضوع هذه الدراسة بالأهمية بمكان.
3. أن العلاقة بين الفلسفة والسياسة هي علاقة الكل بالجزء، علاقة الأصل بفروعه، ولا يمكن فصل الفروع عن الأصول.
4. أن للفلسفة في تصنيف الثقافة دوراً بارزاً، وفي توطينها أثر بالغ، وبناءً عليه تكون الفلسفة قد جمعت ضمن وظائفها تصنيف الثقافة واستبعاد الفاسد ثم توطين ذلك الصحيح والدفع به إلى مجال العلم والعمل على أساس أن من وظائف الفلسفة تقديم خدمات للمجتمع من كل الجوانب.
5. إذا كان السائد أن الثقافة أحد جناحي الحضارة فإن الحضارة ربيبة الفلسفة على أساس أن الفلسفة سابقة على الحضارة في الوجود الذهني داخل العقل الإنساني الواعي وهو ما يعرف بفلسفة ما قبل الفلسفة.



6. إن الدور المزدوج بين المجتمع والمتقف بالتربية والتأهيل النظري والعملية يجعل المجتمع فعالاً باستطاعته إيصالنا لحلم توطين الثقافة.

7. أن السياسة في صورتها العملية معقودٌ عليها إصلاح المجتمع والسعي إلى وضع المثل العليا موضع التطبيق، فإذا لم تصل إلى تلك الغاية فلا بد من تعديل المناهج التي قامت عليها وإعادة النظر في كل ما يتعلق بها وهو دور كل ذي عقلٍ واعي، فليست السياسة خداعاً لآخرين ولا هي تحقق آمال الحالمين.

8. أن الباحث المعرفي وهو يطالع جوانب التعدد الثقافي عليه ملاحظة الجوانب العامة، إذ لا قيمة للتكرار في عالم ينادي بالإبداع والابتكار، ولو ظل الناس أسرى للأفكار التقليدية ما تقدمت البشرية في السلم الحضاري، فالإبداع وليد البحث العلمي الجاد والانهيال أثر التخلف والجمود.

9. أن ظاهرة التعدد الثقافي الإيجابية تلزم أصحابها قبول الرأي الآخر، لأنها قائمة على أسس معرفية نهضت معها فروق فردية وقدرات عقلية وكل منها يساند الآخر ويسعى إليه ويساعده.

**ثانياً/ أبرز التوصيات:**

1. ضرورة الاهتمام بالتراث الفلسفي القديم والحديث والمعاصر لا من الناحية التكرارية وإنما من الناحية الإبداعية، فالعالم المعاصر يحتاج جملاً قصيرة ذات دلالات كبيرة.

2. ضرورة الأخذ في الحسبان أن تكون هناك ضوابط يتم على أساسها وزن الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر واستبعاد ما لا يكون مقبولاً، إذ ليس من المعقول أن ينادي البعض من الفلاسفة المحدثين أو المعاصرين بموت الإله مثلاً وإلا كان هذا القول رجماً في وجه صاحبه لأن الإله هو الحقيقة الثابتة التي لا يمكن إنكارها بحالٍ من الأحوال.

3. ضرورة الفصل بين السياسة والفكر السياسي، وكذلك الفصل بين النظريات المتعلقة بأنظمة الحكم واستبعادها من الإطار الفلسفي الحديث والمعاصر لأنها تتمثل فيها ميادين غير ما يهدف إليه البحث الفلسفي يدل عليه أن النظريات السياسية المتعلقة بأنظمة الحكم تدور في ثلاثة: الشعب ثم الحاكم ثم الدستور وليس الحال كذلك في النظريات الفلسفية التي تبحث في الوجود والمعرفة والقيم، وهذا الفصل لا محالة حتى تتضح الجوانب التي يجب البناء عليها والأخرى التي يجب التنازل عنها.

4. أن العالم المعاصر صار قرية صغيرة ينتشر الخبر الواحد بين أرجائها في لحظات قليلة تعبر عنها فكرة العولمة، ويتم محاكمة الرأي ومدارسته طبقاً لهذه الأفكار، وإذا كان العالم الماضي تتجه سبل التلاقي فيه إلى جوانب محكومة بطبيعة الزمان والمكان، فإن ما ينشر في جزء من العالم يظهر بذات اللحظة في كل أرجائه عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي مما قد يؤثر سلباً أو إيجاباً في أنظمة الحياة المختلفة.

### ثالثاً/ أهم المقترحات:

دور البحث الفلسفي في البناء المعرفي.

أثر الثقافة المعاصرة على القيم الإنسانية.

دور العقل الواعي في تخطي سلبيات العولمة.

علاقة العولمة بالأخلاق النظرية (دراسة في الموضوع).

الألوهية بين الدين والفلسفة المعاصرة (نيتشه نموذجاً).

دور السياسة في البناء المعرفي المعاصر.

وحيث تناولت ما سلف فأني أسأل الله العلي القدير التسديد.

## المصادر والمراجع:

1. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تحقيق: بدوي طبانة، مطبعة الحلبي، القاهرة، ج1.
2. أبو حامد الغزالي، فاتحة العلوم، مكتبة الجندي، القاهرة، 1322هـ.
3. السيد محمد محمد، دراسات في الثقافة، طبعة القاهرة، 1995م.
4. تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار السافي، بيروت، 2001م.
5. توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1979م،
6. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار المتاب اللاتاني، بيروت، المجلد2، د.ط، 1979م.
7. جوزيف بوخينسكي، مدخل إلى الفكر الفلسفي، ت:محمود حمدي زقروق، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م.
8. حسن طلبه، فلسفة الظواهر في ضوء القراءات الجديدة، طبعة القاهرة، 1995م.
9. حسن محمود صبري، الفلسفة النظرية عند ابن سينا، مكتبة الجيل، القاهرة، 1985م.
10. حسين مرسي محمود، دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار المنتزه، القاهرة، 1973م.
11. رشدي صبرا، الفلسفة ونظرية القيم، دار المنتزه، القاهرة، ط1، 1957م.
12. سليمان سليمان خميس، بداية الفلسفة الإسلامية في المغرب ونهايتها في المشرق، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1963م.
13. صابر السيد راغب، النظم السياسية المعاصرة، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1983م، ط2.
14. صبحي مجد راشد، الكندي فيلسوف العرب، دار المروة للطباعة والنشر، 1977م.

15. وانظر: صلاح إبراهيم عبد العليم، دراسات في الفلسفة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1978م.
16. عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976م.
17. عبد اللطيف صلاح، دراسات في الفلسفة، دار المنتزه بالقاهرة، 1998م.
18. عزمي محمود سلام، فلسفة الظواهر: دراسة في فكر الآخر، دار الطليعة ببيروت، 1998م.
19. فتح الله الجعفري، الفلسفة قضايا وغايات، دار الفكر العربي، القاهرة، ت: بدون.
20. فؤاد العطار، النظم السياسية والقانون الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة، ت: دون.
21. كريم متى، الفلسفة الحديثة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط2، 2001م.
22. محمد رشوان، سياحة فكرية، طبعة القاهرة، 1963م.
23. محمد سبع، الحضارة الإنسانية: أصولها ومقوماتها، دار المنتزه، القاهرة، 1983م.
24. محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، ورقة مقدمة في إطار ندوة حول العرب والعولمة نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، 1997م.
25. محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار النهضة، مصر، ط1، 1999م.
26. محمود نصار، فلسفة الظواهر بين القبول والرفض، مكتبة المجد، القاهرة، 1998م.
27. نازلي إسماعيل، كانط: مقدمة لكل ميتافيزيقا نقدية مقبلة، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969م.
28. نصر الدين الغزواني، الأخلاق بين الدين والفلسفة، دار الهدى، 1335هـ، ط1.
29. يوسف كرم، تاريخ، تاريخ الفلسفة الحديثة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2018م.

## حذف الياء وزيادتها في رسم المصحف الشريف " دراسة تحليلية "

إعداد: د. رجب فرج أبو دقاه

تمهيد:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فإنه من فضل الله على هذه الأمة أن أنعم عليها بالإسلام، وأنزل عليها القرآن العظيم، دستور حياتها، وطريقها إلى السعادة في الدارين، شَرَّفَهَا اللهُ به، ورفعها على سائر الأمم، واصطفى رجالا حفظوه في صدورهم قبل أن يحافظوا عليه في السطور، قال عز وجل:

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (1) وهو الأمر الذي تواتر بين الناس، وسرى ذكره في العالمين، وأكدت عليه سنة سيد المرسلين، حيث ورد عنه ﷺ " أمة أناجيلهم في صدورهم " (2)، لكن ذلك لا يعني أن هذه الأمة قد أهملت التدوين، وابتعدت عن الكتابة واكتساب أدواتها - القرطاس والقلم - التي ورد التوجيه إليها، والأمر بتعلمها في أولى النصوص التي نزلت من القرآن الكريم تخاطب محمدا ﷺ وجاء فيها: ﴿ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الَّذِي أَحْرَمَ الْعِلْمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (3).

وإذا كان قد عُرف عن العرب اعتمادهم على الذاكرة والحفظ في الصدور نظرا لطبيعة الحياة البدوية التي كانوا يعيشونها، وما يترتب على ذلك من الترحال والتنقل

(1) العنكبوت : 49 .

(2) رواه البيهقي في دلائل النبوة 1 : 139 من حديث وهب بن منبه في صفة هذه الأمة ..

(3) العلق : 3 . 5 .

طلبا للعيش عبر مواسم السنة: صيفا وشتاء، إلا أن ذلك لم يثنهم عن تعلم الكتابة، والاهتمام بها ، واكتساب أدواتها .

وبما أن الكتابة هي رسم ما يلفظ من الحروف لتوثيق ما يخشى نسيانه من الذاكرة، فقد كان حرصهم على حفظ كتاب الله والمحافظة عليه يدفعهم إلى تدوينه خوف نسيانه ، أو ضياع شيء منه بموت حفظته - كما حدث في موقعة اليمامة الشهيرة، التي استشهد فيها عدد كبير من الحفاظ لكتاب الله تعالى - (1)، أو بوقوع اختلاف بين الحفاظ حول رواياته وحروفه - كما حدث في عهد الخليفة عثمان بن عفان ؓ - حين التقى جند الشام والعراق واختلفوا في أحرف القرآن (2).

ومع أن طريقة التلقي المتلى بين الصحابة كانت المشافهة والحفظ (3) ، وأن الكتابة في الجزيرة العربية - زمن البعثة - لم تكن واسعة الانتشار ، ووسائلها بدائية وغير ميسورة ، فإن النبي ﷺ كان حريصا على تدوين ما ينزل من القرآن ، حتى إنه نهى - في البداية - عن كتابة شيء غير القرآن ، كما في حديث أبي سعيد الخدري ( ت : 74 هـ ) : " لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن ، فمن كتب عني غير القرآن فليمحاه " (4) ، وكان الرسول ﷺ قد اتخذ كتابا للوحي اهتموا بتدوين القرآن فشجعهم هذا على تعلم الكتابة، ورجبهم الرسول في ذلك، ولم يلتحق ﷺ بالرقيق الأعلى إلا وقد تجاوز عدد كتبة الوحي أربعين كاتباً (5).

### أهمية البحث وسبب اختياره:

(1) وهي التي وقعت في خلافة الصديق ﷺ وقتل فيها مسيلمة الكذاب مدعي النبوة وأتباعه ، واستشهد فيها سبعون من الحفاظ ، ينظر : سيرة ابن هشام 4 : 223 وما بعدها ، وجميلة أرباب المراد شرح العقيلة للجعبري : 196 وما بعدها .

(2) التقى جند الشام وجند العراق في معركة أرمينية وأذربيجان ، واختلفوا حول أحرف القرآن ، حتى كادت تحدث بينهما فتنة ، فأفرغ ذلك حذيفة بن اليمان وذهب إلى الخليفة عثمان لمعالجة الأمر ، ينظر تفصيل ذلك في كتاب المصاحف لابن أبي داود : 21 .

(3) ينظر : تقييد العلم للخطيب البغدادي : 36 .

(4) ابن أبي داود : 4 ، وينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني : 386 .

(5) ينظر : كتاب النبي للبلاذري : 478 - 479 والاستيعاب لابن عبد البر 1 : 68\_ 69 .

كانت الكتابة ولا تزال أهم وسيلة لتسجيل الأفكار، ونقل المعارف والأخبار، إلا أنها - من جهة اللغة - تفتقر في أغلب الأحيان إلى جوانب الكمال في التعبير عن أصوات اللغة، وتتسم الكتابة بعدة مظاهر من القصور في هذا المجال تتمثل في: أ- وجود رموز مكتوبة تنطق على غير ما عرف من الأصوات التي لا يقابلها في النطق شيء من الأصوات.

ب - وجود رموز مكتوبة تنطق على غير ما عرف من الأصوات التي تمثلها.

ج - وجود أصوات لا يمثلها في الكتابة شيء.

هذا في عموم الكتابة، أما في رسم المصحف الشريف فيكاد يطابق المكتوب النطق مطابقة تامة لولا ما يحدث من حذف أحيانا لبعض الحروف، والذي يقع فيه الحذف في رسم المصحف من أحرف الهجاء خمسة أحرف وهي:

1 - حذف الألف اختصارا كما في لفظ ( الْعَلَمِينَ ).

2 - حذف الواو تخفيفا لتوالي الأمثال كما في لفظ ( يَلُون ) .

3 - حذف الياء تخفيفا اكتفاء بالكسرة دليلا عليها كما في لفظ ( ثُمَّ كِيدُونَ ) .

4 - حذف اللام تخفيفا لتوالي الأمثال كما في لفظ ( اللَّيْل ) .

5 - حذف النون اختصارا، وللإشارة إلى قراءة أخرى كما في لفظ ( فَنُنْجِي ) .

وعلة حذف حروف المد من الرسم ثلاثة أوجه:

**الأول:** أنها إذا حذفت يبقى ما يدل عليها وهو الحركات.

**الثاني:** أنها متولدة عن الحركات، إذ هي فروع والحركات أصل<sup>(1)</sup> ، فيستغنى

بأصولهن

**الثالث :** أن هذه الحروف أكثر سائر الحروف في القرآن ، والمقصود بالحذف

- غالبا - التخفيف والاختصار ، فلو أثبتت هذه الحروف - جميعها - في المصحف

لكان أغلب المصحف ألفات ، ولاءات ، وواوات .

(1) ينظر : المحكم في نقط المصحف : 7 وما بعدها.



وكما يرد الحذف في بعض الحروف ترد زيادتها كذلك، والذي يزداد في رسم المصحف من حروف الهجاء هي حروف المد الثلاثة : فتزاد الألف في نحو : ( مائة ) وتزاد الواو في نحو :

( سَأُورِيكُمْ ) وتزاد الياء في نحو : ( بِأَيِّدٍ ) .

أما ما يبدو من كتابة بعض الأصوات بغير رموزها في الحروف التي خصصت لها مثل كتابة الواو بدل الألف المنطوق في لفظ ( الصَّلَاةُ ، وَالزَّكَاةُ ) وكتابة الياء بدل الألف المنطوق في لفظ ( البُشْرَى ، يَسْعَى ) فلعل الدراسات في مجملها كانت تتناول الرسم والكتابة من وجهات نظر أبعد ما تكون عن أن يكون بناؤها على أسس صوتية ، كما أن كتب الرسم القديمة لم تعط تفسيراً لظواهر الرسم القرآني في المصاحف العثمانية (1).

وفي هذه الدراسة نلقي الضوء على بعض مميزات الرسم القرآني ، ونعرض لبعض الظواهر الملاحظة في كتابة المصحف من زيادة ، وحذف ، ونخصص هذا البحث لتناول الجوانب المتعلقة بالزيادة والنقص في رسم حرف الياء في المصحف الشريف ، ونعرض لبعض العلل والأسباب ، مستفيدين من بعض ما دُوِّنَ قديماً في هذا المجال ، ويأتي في مقدمة ذلك ما دونه أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي: (ت: 721 هـ) في كتابه: ( عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل ) باعتباره أشهر محاولة لتفسير ظواهر الرسم قديماً ، بالإضافة إلى بعض الدراسات الحديثة في هذا المجال .

وتشتمل هذه الدراسة - بعد التمهيد - على مبحثين وخاتمة: المبحث الأول: يشتمل على حذف الياء في رسم المصحف: أنواعها وعللها. المبحث الثاني: يتضمن الحديث عن زيادة الياء وأسبابها، وتوجيهها، وأمثلتها. أما الخاتمة فسوف تشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

**المبحث الأول: حذف الياء في رسم المصحف الشريف**

(1) ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، غانم قدوري : 7 - 8 .

يعتبر رسم المصحف من أسس الرواية في النص القرآني ، وهذا الأمر حتم على القراء الحِفاظ عليه كما هو ، مخافة أن يفتح تطويره باب التغيير والتبديل ، وقد روي أن الإمام علياً عليه السلام سمع قارئاً يقول: ﴿ وَطَلَحٍ مَّنضُودٍ ﴾<sup>(1)</sup> فقال: ما لِلجَنَّةِ والطلح ، إنما هي: ﴿ وَطَلَعٍ ﴾ لكنه لما استأذنه القارئ في إصلاحها في المصحف رد عليه قائلاً : " إن المصحف لا يُهْتَأَجُ وَلَا يُحَوَّلُ " <sup>(2)</sup> أي: لا يغير رسمه ، لأن موافقة الرسم أحد الضوابط الثلاثة التي وضعها العلماء لقبول القراءة<sup>(3)</sup> .  
ومما شجع القراء على التمسك بهذا الرسم:

- 1 - كونه محل إجماع من الصحابة.
- 2- أن صورته الخطية استوعبت أكثر الروايات الصحيحة، نظراً لكونه كتب دون نقط أو شكل.
- 3 - أن الأحرف المحذوفة سمحت بتعدد ألفاظ قراءته، فصورة ( قل، وعند ) - قبل النقط والشكل - يمكن أن تقرأ ( قال، وعباد )  
والحذف في اللغة معناه الإزالة والانتزاع ، لأنك تقول: حذف كذا إذا أزلته وانتزعت من موضعه<sup>(4)</sup> ، والحذف عند علماء الرسم أربعة أنواع :  
النوع الأول : ما حذف منه حرف العلة للاختصار ، كحذف الألف من جمع السلامة في نحو :

﴿ صَدِيقِينَ ﴾ أو دفعا لتوالي الأمثال كحذف الواو في : ﴿ دَاوُدَ ﴾ وحذف الياء من

:

(1) الواقعة : 31.

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 17 : 208 - 209 .

(3) الثاني : موافقة وجه نحوي ، الثالث : صحة السند ، ينظر : شرح طيبة النشر في القراءات العشر للنويري 1 : 105 .

(4) ينظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي 3 : 130 .

﴿ يَسْتَحْيِي ﴾ ونحوه<sup>(1)</sup> .

**النوع الثاني:** ما حذف منه حرف العلة اقتصارا على موضع دون نظائره، كحذف الألف من لفظ: ﴿ أَلْمِيعَد ﴾ في سورة الأنفال دون نظائرها في المصحف .

**النوع الثالث:** ما اتفقت المصاحف على حذف حرف العلة منه واختلف القراء في قراءته ، كحذف الألف بعد السين والفاء في كلمتي : ﴿ اسْرَى تَفْلُدُوهُمْ ﴾

بالبقرة، ليحتمل القراءة الأخرى بإسكان السين والفاء<sup>(2)</sup>، ويسمى حذف إشارة .

**النوع الرابع :** حذف حرف المد في بعض المواضع دون مثيلاتها ، مع اختلاف القراء فيه دون غيره كحذف الألف بعد الطاء في قوله تعالى : ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ

طَآئِفٌ ﴾<sup>(3)</sup> بالأعراف<sup>(4)</sup> ، وإثباته في قول الله : ﴿ فَطَآفَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ ﴾<sup>(5)</sup>

بسورة القلم ، ويسمى هذا حذف اقتصار وإشارة معا

#### مواضع حذف الياء :

تقع الياء في الكلمة متحركة: ابتداء ووسطا وطرفا، وتقع ساكنة وسطا وطرفا ، وفي سكونها إما أن تكون حرف مد أو لا ، وهي تكون في الاسم والفعل والحرف ، وتقع أصلية في الكلمة وزائدة عن الأحرف الأصلية ، وفي هذه الأنواع جميعا يقع رسمها ثابتة على الأصل ، وقد تحذف في بعض أحوالها :

(1) ينظر : الوسيلة في شرح أبيات العقيلة للسخاوي : 263 ، 324 .

(2) قرأ حمزة ( أسرى ) وقرأ غيره ( أسارى ) ، وقرأ نافع وعاصم والكسائي ( تفادوهم ) بالمد ، وقرأ غيرهم بالقصر ، ينظر : البدر الزاهرة في القراءات العشر لعبد الفتاح القاضي : 33 .

(3) قرأ المكي والبصريان والكسائي ( طَيْفٌ ) وقرأ غيرهم ( طَائِفٌ ) البدر الزاهرة : 125 ، وينظر في اختلاف رسمها : الوسيلة في شرح العقيلة للسخاوي : 151 .

(4) الأعراف: 201 .

(5) القلم : 19 .

## أنواع حذف الياء:

والياء المحذوفة رسماً نوعان: مفردة، ومجاورة لياء مثلها. النوع الأول :

تُحذف الياء الواقعة في آخر الأسماء والأفعال، سواء كانت لاما للكلمة نحو: ﴿يَوْمَ

يَدْعُ الدَّاعِ﴾ و

﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ و ﴿قَالَ ذَالِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ أو كانت ياء إضافة للمتكلم ،

وهي تقع في الأسماء في موضع الجر للإضافة نحو : ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾

وتقع في الأفعال في موضع نصب على المفعولية نحو: ﴿لَيْنَ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ﴾ وهي قسمان:

**القسم الأول :** الياء الواقعة حشوا في الآي ، سواء أكانت لاما للفعل ، نحو : ﴿الْمُهْتَدِ﴾ أم كانت ياء للمتكلم نحو : ﴿وَمَنْ اتَّبَعْنِ﴾ و ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ ، ويذكر ابن الجزري<sup>(1)</sup> أن عدد هذه الياءات خمسا وثلاثين ياء<sup>(2)</sup> ، منها ثلاث عشرة ياء وقعت لاما للفعل، وتنتان وعشرون ياء للإضافة .

وقد تحذف الياء لموجب وهو دخول أداة جزم على الفعل نحو قوله تعالى :

(1) أبو الخيرات محمد بن محمد بن الجزري ، حافظ محقق ، من آثاره : النشر في القراءات العشر . وطيبة النشر ، وغاية النهاية في طبقات القراء، ت : 833 هـ ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء 2: 247 .

(2) النشر في القراءات العشر 2 : 180 .

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ ﴾<sup>(1)</sup> كما تحذف الياء رسماً بسبب التقاء الساكنين لأنها ساقطة في اللفظ نحو : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(2)</sup> ووقع من المحذوف للتقاء الساكنين خمسة عشر موضعاً كما يقول الداني<sup>(3)</sup> ، ويعلل علماء الأصوات سبب الحذف هنا بأن البناء المقطعي يمنع وجود حركة طويلة مثلوة بصوت غير متحرك إلا في حالة الوقف<sup>(4)</sup> ، وقد أدرك علماء الرسم وعلماء العربية هذه الظاهرة وأثرها في بناء كلمات اللغة ، فوضع سيبويه<sup>(5)</sup> باباً سماه : ( باب ما يحذف من السواكن إذا وقع بعدها ساكن )<sup>(6)</sup> كما أشار مكي بن طالب القيسي (ت: 437 هـ)<sup>(7)</sup> إلى هذه الظاهرة بقوله :

" أن تحذف الساكن الأول من كلمتين إذا كان الأول حرف مد ولين فتحذف للتقاء الساكنين، ويبقى ما قبله من الحركة يدل عليه " <sup>(8)</sup> .

وتحذف الياء رسماً من آخر المنادى في كل اسم منادى أضافه المتكلم إلى نفسه نحو:

(1) طه : 73 .

(2) النساء: 145 .

(3) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الصيرفي، من علماء الضبط والقراءات ، أشهر كتبه : المقنع في الرسم ، والمحكم في الضبط توفي سنة : 444 هـ ينظر : غاية النهاية 1 : 503 . وذكر حذف الياء في كتابه المقنع : 46 .

(4) ينظر : رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية : 244 وما بعدها .

(5) سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، إمام البصريين ، أخذ عن الخليل ويونس والأخفش ، من أشهر مصنفاته ( الكتاب ) توفي سنة : 180 هـ ينظر : بغية الوعاة 2 : 229 - 230 .

(6) الكتاب 2 : 276 .

(7) أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، صاحب التصانيف الكثيرة في علوم القرآن وغيره منها : التبصرة ، والرعاية ، والكشف عن وجوه القراءات ، ت : 437 هـ ينظر : إنباه الرواة 3 : 315 .

(8) الكشف عن وجوه القراءات وعللها 1 : 277 .

﴿ يَا أَيُّهَا ﴾ و ﴿ يَا أَب ﴾ وهي ياء إضافة تمثل كلمة استغني عنها ، واتفق أهل الرسم على حذفها رسماً ، ولم يثبت منها في رسم المصاحف سوى موضعين اتفاقاً وهما : ﴿ يَلْعَبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِ وَاسِعَةٌ ﴾ بالعنكبوت . و ﴿ يَلْعَبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ بالزمر، وموضع اختلف فيه رسماً وهو ﴿ يَلْعَبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ﴾ بالزخرف<sup>(1)</sup>، وهذه الياءات المحذوفة من المنادى تحذف أداء في حالتي الوصل والوقف، ويعلل ابن البناء<sup>(2)</sup> لهذا النوع بقوله : " فحذف الياء من : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴾<sup>(3)</sup>

و ﴿ قُلْ يَلْعَبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾<sup>(4)</sup> هذا خطاب للرسول ﷺ على الخصوص ، فقد توجه الخطاب إليه في فهمنا ، وغاب العباد كلهم عن علم ذلك ، فهم غائبون عن شهود هذا الخطاب لا يعلمونه إلا بواسطة الرسول ﷺ ، فهو على غير حال ما في قوله تعالى : ﴿ يَلْعَبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾<sup>(5)</sup> حيث ثبت الضمير وحرف النداء في الخط ، فإنه دعاهم من مقام إسلامهم وحضرة أعمالهم ، إلى مقام إحسانهم وحضرة آمالهم<sup>(6)</sup>

(1) ينظر : المقنع في مرسوم المصاحف : 33 - 34.

(2) ابن البناء : أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي ، له مصنفات في العلوم الشرعية والتفسير وعلوم القرآن ، وعلوم اللغة والأدب ، ت : 721 هـ ينظر : نيل الابتهاج للتبكتي : 65 - 67 .

(3) الزمر : 16.

(4) الزمر : 11.

(5) الزمر : 50.

(6) عنوان الدليل في مرسوم التنزيل : 100 - 101.

القسم الثاني : الياءات الواقعة في رؤوس الآي ، وحذف الياء في فواصل الآيات لغة فصيحة ، وقد أشار سيبويه إلى أن من مذاهب العرب حذف الياء في الوقف (1) وتكون هذه الياء:

أ - أصلية في الكلمة، ووردت في المصحف في خمس مواضع وهي: ﴿ الْمُتَعَالِ ﴾ بالرعد

و ﴿ التَّلَاقِ ، والتَّنَادِ ﴾ بغافر و ﴿ يَسْرَ ، وبِالْوَادِ ﴾ بالفجر .

ب - ياء إضافة ضميرا للمتكلم نحو : ﴿ وَإِلَيْهِ مَأْبِ ﴾ و ﴿ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونِ ﴾ وجملة الياءات المحذوفة من هذا النوع واحد وثمانون ياء للمتكلم (2).

ويرى الفراء (ت: 207هـ) (3) أن هذا الحذف جائز عند العرب في كلامهم ، سواء كانت الياء ضميرا أم أنها من بنية الكلمة يقول: " وليست تَهَيَّبُ العرب حذف الياء من أواخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسورا نحو: ﴿ رَبِّيَ أَكْرَمَنِ...رَبِّيَ أَهَانِي ﴾ وهو كثير، ويكتفى من الياء بكسر ما قبلها " (4).

ولعل الصورة تكون أوضح في حذف الياء في الفواصل وإثباتها في حشو الآي كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَدِّهِ خَلَقْنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ

(1) ينظر : الكتاب 2 : 289.

(2) فجملة الياءات المحذوفة رسما في الفواصل أو حشوا في الآي إحدى وعشرون ومائة، ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري 2 : 179 وما بعدها ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلاني 1 : 296 .

(3) أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء الديلمي ، قال السمعاني : لقب بالفراء لأنه كان يفري الكلام ، من آثاره : الوقف والابتداء ، والمنكر والمؤنث ، ومعاني القرآن وغيرها ، ت : 207 هـ ينظر غاية النهاية 2 : 371.

(4) معاني القرآن للفراء 1 : 90 .

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي... ﴿<sup>(1)</sup>﴾ فقد ثبتت الياء في ثلاث أفعال، وحذفت في أربع ، ثبتت في : (حَلَقَنِ) و (يُطْعِمُنِي) و (يُمِيتُنِي) وحذفت في : (يَهْدِينِ) و (وَيَسْقِينِ) و (يَشْفِينِ) و (يُحْيِينِ) وهذا دليل على أن اللوقف على رؤوس الآي، وطلب التناسب فيها أثرا في عدم إثبات الياء، يقول علماء الأصوات : " وهذا دليل على أن الحذف إنما هو صدى لسقوطها في النطق " <sup>(2)</sup>

وإذا كانت علة الحذف طلبا للمجانسة - كما يراها علماء الأصوات - فإن ابن الجزري (ت : 833هـ) يضيف بأن سبب حذف الياء في آخر الكلمات كان استجابة لحذفها في اللفظ في حالة الوصل أو الوقف بناء على قاعدة أن الأصل في الكتابة مطابقة الخط للفظ<sup>(3)</sup>، إلا أنه من خلال الاستقراء تبين أن هذه القاعدة لم تكن مطلقة ذلك لأن بعض الكلمات التي في آخرها ياء قد ثبتت يؤها في رسم المصحف. والذي يلفت نظر الباحث هنا هو إثبات - علماء الرسم - الياء في خمسة عشر موضعا مما وقع نظيره محذوفا في هذا الباب منها : ﴿ وَآخِشَوْنِيْ وَلِأْتِمَّ ﴾ <sup>(4)</sup> و ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ ﴾ <sup>(5)</sup> و ﴿ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبْغِ ﴾ <sup>(6)</sup> و ﴿ فَيَقُول رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي ﴾ <sup>(7)</sup> وهو أمر يدعونا إلى التأمل وإمعان النظر للبحث عن العلل

(1) الشعراء : 78 - 81 .

(2) رسم المصحف دراسة لغوية : 241.

(3) ينظر : النشر 2 : 181.

(4) البقرة: 257 .

(5) البقرة : 149.

(6) يوسف : 45 .

(7) المنافقون : 10 .



التي سوغت الحذف في موضع دون نظيره المماثل له في اللفظ القرآني ، ويمكننا في هذا المقام أن نعرض بعض الأمثلة مع الإشارة إلى بعض التعليقات التي استخلصها علماء اللغة ، وعلماء التفسير وعلماء الرسم القرآني :

**المثال الأول :** لفظ ﴿ تَسْأَلْنِي ﴾ وقد ورد مرة في سورة هود ، وأخرى في سورة الكهف ، وكان في الأولى محذوف الياء ، وفي الثانية ثبتت ياءه ، ففي هود قول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَلْتَوُحُّ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾<sup>(1)</sup> وفي الكهف : ﴿ قَالَ فَإِنِ ابْتِغَيْتَنِ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَخْبِرَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾<sup>(2)</sup> ، وقد علل أهل الرسم القرآني لحذف الياء هنا بقولهم :

" هذا المسؤول غيب ملكوتي ، يدلك عليه قوله تعالى : ﴿ مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ فهو على غير حال : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَخْبِرَكَ

لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ لأن هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام المشاهدة مثل :

خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقام الجدار"<sup>(3)</sup> .

أما أهل التفسير فيقولون إن نوحا قد توجه إلى ربه متوسلا في شأن ابنه بصلة القرابة النَّسَبِيَّةِ ، لكن الله خاطبه مؤكدا إلغاء هذه الصلة ، لأن كفر الابن قطع الصلة بينه وبين أبيه ، فهذا رسول مؤمن بالله تعالى ، وذاك كافر عنيد ، والأنساب مهما تقاربت أو تباعدت فلا وزن لها عند الله ، لأن التفاضل عند الله بالتقوى والعمل

(1) هود : 46 .

(2) الكهف : 69 .

(3) عنوان الدليل لابن البناء : 94 .

الصالح : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾<sup>(1)</sup> ونوح عليه السلام نادى ربه ولم يسأل ، لكن النداء قد تضمن معنى السؤال – كما يقول الزمخشري<sup>(2)</sup> . ويقول البلاغيون : إن هذا الحذف لم يكن لعلة نحوية أو صرفية ، وإنما هو رمز لمعنى لطيف ، وسر خفيف ، لأن المسؤول عنه أمر غيبي من شؤون المولى جلّت قدرته ، ولأن ما في صدور العباد لا يعلمه إلا الله ، وهو ما أكده رب العزة بقوله : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيَ أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ فحذف الياء رمز إلى هذا المعنى اللطيف ، ونظير ذلك إثباتها في الفعل الوارد في قول العبد الصالح لموسى : ﴿ فَإِنْ إِنِّي تَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَخْبِرَكَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

حيث لم تحذف الياء هنا للفرق بين المسؤول عنه في الموضوعين ، فالمسؤول عنه في آية هود شأن غيبي من الأمور التي لا يحيط بها إلا علم الله تعالى ، والمسؤول عنه في آية الكهف هو وقائع محسوسة ، لها صور مادية في الوجود تتمثل في : قتل الغلام ، وخرق السفينة ، وإقامة الجدار ، ومحال أن يكون مجيء الفعلين في السورتين على صورتين عبثاً ، خالياً من الدلالة ، فخصوصيات رسم المصحف الشريف مفعمة بالإيحاءات الصادقة ، المشعة بلطيف المعاني ، ودقائق الأسرار<sup>(3)</sup> . وبالتأمل في آية سابقة عن الآية التي أوردناها في سورة الكهف يزداد الأمر وضوحاً في تعليل حذف الياء ، ففي قول الله حكاية عن موسى وهو يخاطب العبد الصالح : ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾<sup>(4)</sup>

(1) الحجرات : 13 .

(2) ينظر : الكشاف : 2 : 272 .

(3) ينظر : الجلال والجمال في رسم الكلمة وجرسها في القرآن الكريم : 112 - 113 .

(4) الكهف : 65 .

حذفت ياء الإضافة من الفعل : ﴿ تَعَلَّمَنَّ ﴾ وهذا يرمز إلى معنى بلاغي لطيف ، ذلك لأن التعلم الذي يأمله موسى من العبد الصالح أمر غيبي يتصل ببواطن الأمور لا ظواهرها ، وهي الأسباب الخفية في قتل الغلام وخرق السفينة ، وإقامة الجدار ، فهذه الأسباب من علم الله الغيبي ، كشف عنها للعبد الصالح ولم يكشف عنها لأحد سواه<sup>(1)</sup> .

**المثال الثاني:** الفعل ﴿ تَبَّعْ ﴾ الذي ثبتت ياءه في سورة يوسف ، في قول الله

تعالى: ﴿ قَالُوا يَا بَانَا مَا نَبَّعَ هَذِهِ بَضَاعَتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾<sup>(2)</sup> وحذفت منه

الياء في سورة الكهف في قوله عز وجل : ﴿ قَالَ ذَالِكَ مَا كُنَّا نَبَّعُ... ﴾<sup>(3)</sup>

ويظهر من خلال النصين أن الإثبات على الأصل ، بينما الحذف لم يقع لعة لغوية ظاهرة موجبة للحذف ، وقد تعرض علماء اللغة والرسم والتفسير لبعض الأسباب التي سوغت حذف الياء، من ذلك قولهم : إن هذا الحذف جار على نسق أن العرب ليست تَهَيَّبُ حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسورا ، فتحذف الياء اكتفاء بالكسرة قبلها، يقول الفراء : " إن للعرب في الياءات التي في أواخر حروف الكلمة مثل : ( اتَّبَعْنَ ، أَكْرَمَنْ ، هَدَانِ ... ) أن يحذفوا الياء مرة ويثبتوها مرة، فمن حذفها اكتفى بالكسرة التي قبلها دليلا عليها ، وذلك أنها كالصلة إذا سكنت ، وهي في آخر الحروف ، واستثقلت فحذفت ، ومن أتمها فهو البناء والأصل "<sup>(4)</sup> .

(1) ينظر : الجلال والجمال : 116 .

(2) يوسف : 65

(3) الكهف : 63 .

(4) معاني القرآن 1 : 200 .

ويشير علماء البلاغة إلى أن الحدث مختلف في الآيتين، وهو ما يتضح من خلال السياق، ففي الآية السابقة لموضع الكهف يقول رب العزة: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ

أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْكُفُوتَ..... ﴾ ونسيان الحوت ليس هو ما يبغيه

موسى على وجه الحقيقة ، وإنما يبغى الشخص الذي يريد أن يتعلم منه ، أما في سورة يوسف فالطعام هو ما يبغون ، وهو سبب رحلتهم ، فالفرق واضح بين البغيتين ، فلما كان في سورة الكهف ليس هو ما يبغون ( أي أنه بغية ناقصة ) حذف من الحدث إشارة إلى عدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام ، وإنما هو علامة على الوضع الذي يجدون فيه بغيتهم ، وأما موضع سورة يوسف فهو بغيتهم الكاملة ، لذلك ذكر الفعل كاملا ولم يحذف منه ، فناسب كل مقامه<sup>(1)</sup> .

**المثال الثالث :** لفظ الفعل الماضي ( أَخْرَجْتَنِي ) الذي ورد في سورة الإسراء محذوف الياء في قول تعالى : ﴿ لَيْنَ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنِكَ

دُرَيْتَهُ، إِلَّا قَلِيلًا ﴾<sup>(2)</sup> وورد في سورة المنافقون ثابت الياء ، قال جل شأنه:

﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَجْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾

<sup>(3)</sup> والفرق في هذا بين المقامين واضح من خلال السياق في السورتين : فمن حيث تعليل أهل الرسم يقول ابن البناء : إن التأخير في سورة الإسراء هو تأخير بالمؤاخظة وليس تأخيرا حسيا ، فهو على غير حال : ﴿ لَوْلَا أَخْرَجْتَنِي إِلَى

(1) ينظر: الجلال والجمال : 117 .

(2) الإسراء : 62 ، وهذا من الحروف التي رواها الداني بالحذف بسنده إلى الأنباري ، ينظر : المقنع : 31

(3) المنافقون : 10 ، وقد نقل أبو داود الاتفاق على إثبات يائها ينظر : التنزيل : 224 .

أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴿ بالمنافقون لأن ذلك تأخير جسِّي في الدنيا الظاهرة<sup>(1)</sup> ، ونقل ابن الجزري عن الزمخشري أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير في لغة هذيل<sup>(2)</sup> ويشير علماء البلاغة إلى علة اختلاف رسم الموضوعين بقولهم : ورد فعل التأخير في سورة المنافقون مرتين ، في حين أنه ذكر مرة واحدة في سورة الإسراء<sup>(3)</sup> فزاد في موطن الزيادة وحذف في موضع الاجتزاء ، وفي المقارنة بين الموضوعين يلاحظ أن طلب إبليس لا يريده لنفسه ، وليس محتاجا إليه ، فهو لا يعود عليه بنفع ، ولا يدفع عنه ضرا ، إنما يريده ليُضِلَّ به ذرية آدم ، وهذا بخلاف الطلب الآخر الوارد في سورة المنافقون ، فإن طالبه يريده لنفسه حقا ، وأنه لا شيء ألزم إليه لمصلحته ودفع الضر عنه ، فلما كان التأخير لمصلحته على وجه الحقيقة أظهر الضمير ، أما طلب إبليس الذي لا يعود عليه بالنفع ، وليس من أجل نفسه فقد حذف منه الضمير واكتفي بالكسرة دليلا عليها .

قال الألوسي : " وجملة ﴿ لَيْنٌ أَخْرَتْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ استئناف وابتداء

كلام واللام موطنة للقسم ، وجوابه : ﴿ لَأَحْتَنِيكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ ﴾<sup>(4)</sup>

والمتمأل في كلام إبليس الذي حكاه القرآن يتضح له أنه ليس طلبا بل هو شرط دخل عليه القسم ، فقوله : ﴿ لَيْنٌ أَخْرَتْنِي ﴾ هو من باب الطلب الضمني ، وليس من باب الطلب الصريح ، وأما قول الآخر : ﴿ لَوْلَا أَخْرَتْنِي ﴾ فهو طلب صريح

(1) ينظر : عنوان الدليل : 95 .

(2) ينظر : النشر في القراءات العشر 2 : 293 .

(3) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي : 20 .

(4) روح المعاني للكلوسي 15 : 109 ، وينظر : تفسير أبي السعود 3 : 465 .

، ولذلك صرح بالضمير، وأظهر نفسه في الطلب الصريح، ويرى علماء الصوتيات: أن السياق في قول المتوفى :

﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ معبر بحروفه ومدّاته ، فهو يصور

مشهد مدّ الصوت بالدعاء لمن هو في العذاب ولا يريد أن ينتهي من النداء والاستغاثة ، فهو يقول (لَوْلَا) ولم يقل ( لو ) ، وواضح أن في ( لَوْلَا ) ترداد الصوت وتكرره ، وهذا يتناسب مع مشهد الإلحاح على ربه بقوله : ﴿

لَوْلَا أَخَّرْتَنِي ... إِلَىٰ أَجَلٍ ﴾ والنطق بين كل الكلمتين بالمدود المعلومة عند

علماء التجويد يشعر وكأنه مدّ التنفيس عن الكرب والعذاب الذي يعيش فيه ، وهذا بخلاف قول إبليس وهو في الدنيا قبل أن يعاين العذاب: ﴿ لَيْسَ أَخَّرْتَنِي ﴾ فليس

هناك ضرر أو معاناة ، ولا نلمس في نبر الصوت بالمد ضيق ولا ألم<sup>(1)</sup>.

والجواب: رابع : لفظ الفعل المضارع ( يَهْدِينِي ) حيث حذف ياؤه في سور الكهف

في قول الله تعالى : ﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي قَرَّبَ مَدِينٍ هَلْدَا رَشْدًا ﴾<sup>(2)</sup>

بينما ثبتت الياء في سورة القصص في قول الله : ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي

سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾<sup>(3)</sup> ، يقول المراكشي معللا للحذف : " سياق الكلام في أمور

محسوسة ، والهداية فيه ملكوتية، وقد هداه الله في الغار وهو ثاني اثنين حين خرج بدينه عن قومه بأقرب من طريق أهل الكهف حين خرجوا بدينهم عن قومهم

(1) ينظر : الجلال والجمال 142 - 123 .

(2) الكهف : 24 .

(3) القصص : 21 .

وعددهم على ما قص الله علينا فيه ، وهذه الهداية على غير ما قال موسى ﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ فإنها هداية السبيل المحسوسة إلى مدين في علم الملك ، يدل عليه قول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ (1) فالهداية الواردة في سورة الكهف هداية معنوية ، والدليل على ذلك وارد في الآية نفسها في قول الله تعالى : ﴿ إِذَا نَسِيتَ ﴾ والنسيان كيفية نفسية لا صورة له في الوجود المادي المحسوس ، وعند المقارنة مع ما ورد في سورة القصص نجد أن الفعل ( يهدين ) قد رسم بإثبات الياء ، وننساءل : لِمَ لَمْ تحذف كما حذفت في نظير هذا الفعل في الكهف ؟ والجواب: أن الهداية هنا هداية حسية، فموسى ﷺ حين خرج من مصر خائفا يترقب - بعد أن علم أن الملأ يتربصون به ليقتلوه - رجا ربه أن يهديه إلى أيسر الطرق التي توصله إلى مدين .. فكانت الهداية التي يرجوها ويطلبها هداية حسية ، والياء في الموضعين ضمير متكلمين : محمد، وموسى عليهما الصلاة والسلام ، وكلاهما مفعول به للهداية ، أو الفعل الدال عليهما ، ولولا هذه اللطائف والأسرار لجاء الرسم بإثبات الياء في الموضعين معا ، ومحال - كما يقول أهل البلاغة - أن يسوّى بين دلالتى الإثبات والحذف ، لأن ذلك يؤدي إلى محذور في قدسية الكتاب العزيز (2) وبالتالي لا تظهر للرسم القرآني قيمة تميزه عن الإملائي .

**النوع الثاني : الياء المجاورة لياء مثلها في كلمتها .**

اتفقت المصاحف على حذف إحدى الياءين المتجاورتين، سواء وقعتا وسطا أو طرفا، كانتا خفيفتين أو إحداهما، أصليتين أو زائدتين، أو إحداهما للبنىة أو

(1) عنوان الدليل من مرسوم التنزيل لابن البناء المراكشي : 95 .

(2) ينظر : الكشاف للزمخشري 2 : 480 ، والجلال والجمال في رسم الكلمة وجرسها في القرآن: 115 - 116 .

للإعراب، نحو: ﴿ الْحَوَارِيِّينَ .. خَلَسِينَ .. يُحْيِء ﴾ وفي كل ذلك اختلف

علماء الرسم في تحديد الياء المحذوفة هل الأولى أم الثانية ؟  
ومن خلال التتبع وعرض هذه الأنواع، واستقراء أسباب الحذف وعلله التي أشار  
إيها العلماء مع المقارنة بين بعضها والترجيح وفق المنهجية نقول:

1 - اتفقت المصاحف على حذف إحدى الياءين " تخفيفا " إذا كانت الأولى مشددة

والثانية ساكنة مدية ، علامة للجمع ، نحو : ﴿ رَبَّانِيَّيْنِ .. الْحَوَارِيِّينَ ﴾ واختلفوا

في تعيين المحذوفة منهما، فقبل الثانية هي المحذوفة ، ويجوز أن تكون الأولى ،  
والأول أقيس على رأي الداني (ت : 444هـ)<sup>(1)</sup>، وعلّة حذف الأولى عنده وجهان:

أحدهما أن الثانية جيء بها لمعنى لايد من تأديته وهو الجمع ، فيلزم إثباتها ليتأدى  
بذلك المعنى. والوجه الثاني: أن الياء الثانية مشاركة للنون في علامة الجمع فوجب  
إثباتها كما تثبت النون، بينما رجح ابن نجاح حذف الثانية معللا لذلك بوجهين أيضا  
الأول : أن الأولى جيء بها لمعنى لايد من تأديته وهو بناء فعيل ، أو بناء النسب  
فإذا حذف اختل المعنى الذي جيء بها من أجله ، فوجب إثباتها.  
الثاني : أن الثقل والجمع بين الصورتين المتفتتين إنما وقع بالياء الثانية لا الأولى<sup>(2)</sup>. واستثنى

من هذا النوع لفظ ﴿ عَلِيَّيْنِ ﴾ في المطففين حيث اتفق علماء الرسم على إثبات

الياءين فيه على الأصل ، واختلف في هذا اللفظ : فقيل مفرد ، أو هو اسم جمع لا  
مفرد له ، أو اسم مكان ، وقيل جمع مفرده عَلِيٍّ ، والمراد به الملائكة<sup>(3)</sup> قال الفراء  
: هو اسم موضوع على صيغة الجمع ، وقال أبو البقاء العكبري : (ت : 616 هـ) :  
" وأما عليون فواحداهما عَلِيٌّ وهو الملك ، وقيل صيغة للجمع مثل عشرون وليس له

(1) المقنع في مرسوم المصاحف : 49 .

(2) مختصر التبيين لهجاء التنزيل لابن نجاح 2 : 152 .

(3) ينظر : تنبيه العظشان على مورد الظمان لأبي الحسن الرجراجي 2 : 90 .



واحد

"

(1)

2 - الياءان الواقعتان وسطا إحداهما صورة للهمزة ، نحو

:

﴿ الْمُسْتَهْزِئِينَ النَّبِيِّينَ .. خَلْسِينَ ﴾ حيث انفقت المصاحف على حذف

إحدى الياءين تخفيفا ، والمحذوفة هنا صورة الهمز ، كما حذفت أيضا في قول الله تعالى ﴿ أَتَأْتُوا وَرَعْبًا ﴾ بمريم على قراءة من أثبت الهمز<sup>(2)</sup>، قال الداني: " ولا أعلمهمزة ساكنة قبلها كسرة حذفت صورتها إلا في هذا الموضع خاصة "<sup>(3)</sup> وذلك كراهة اجتماع ياءين في الخط. واستثنى علماء الرسم صورة الهمز من الحذف في

كلمات بعينها متوسطة ومتطرفة وهي:

﴿ سَيِّئَةٌ .. سَيِّئًا .. السَّيِّءُ .. وَهَيَّءٌ .. وَيُهَيِّئُ .. ﴾ (4)

3 - الياءان الواقعتان طرفا وهما على قسمين:

القسم الأول: أن تكون إحدى الياءين ساكنة نحو: ﴿ أَنْتَ وَلِيِّيَ .. يَسْتَحْيِي .. ﴾

قال القسطلاني ( ت : 923 هـ ) : اختلفوا هل الأولى أم الثانية ؟ وقد رجح علماء الرسم حذف الياء الأخيرة لسكونها وتطرفها<sup>(5)</sup> قال صاحب المورد<sup>(6)</sup> :

ونحو يستحي الأخير فاحذف مرجحا إذ سكنت في الطرف

(1) معاني القرآن 3 : 247 ، وإملاء ما من بة الرحمن للعكبري 2 : 283 .

(2) قرأ قالون وابن دكوان بتشديد الياء من غير همز والباقون بالهمز ، ينظر : التيسير للداني : 149 .

(3) المقنع للداني : 49 - 50 .

(4) ينظر : الجامع لما يحتاج إليه في رسم المصحف لابن وثيق الأندلسي : 48 .

(5) ينظر : لطائف الإشارات للقسطلاني 1 : 297 - 298 .

(6) محمد إبراهيم الخراز ( ت : 718 هـ ) صاحب منظومة مورد الظمان في رسم القرآن ، البيت رقم :

279 من المنظومة

ويندرج في هذا الحكم نوعان : الأول : أن تكون الياء الأخيرة ثابتة في اللفظ وصلا ووقفا نحو : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ﴾<sup>(1)</sup> والثاني: أن تكون الأخيرة ساقطة في اللفظ وصلا ثابتة وقفا نحو : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾<sup>(2)</sup>

**القسم الثاني :** أن تكون الياءان متحركتين معا نحو : ﴿ يُحْيِي الْمَوْتَى .

لِنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا .. إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ .. ﴾ وقد اتفق كتاب المصاحف على حذف إحداهما تخفيفا ، ورجحوا حذف الأولى ، وعللة الترجيح هنا التغيير الذي يلحق الياء الأولى إذا أدغمت في الثانية ، حيث يجوز في العربية إدغامها في الثانية<sup>(3)</sup> ، بدليل قراءة عدد من القراء بالإدغام في قول الله تعالى : ﴿ وَيَحْيِي مَنْ حَيَّيَ عَنْ بَيْنَةٍ ﴾<sup>(4)</sup> قال الداني عن تحديد الياء المحذوفة : " وهي عندي المفتوحة لأنها حرف إعراب"<sup>(5)</sup> ونص أبوداود في موضع الفرقان ﴿ لِنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا ﴾ على حذف المتطرفة<sup>(6)</sup> ، وجاء في الطراز أن الجعبري (ت : 732هـ) اختار حذف الأولى في الأعراف ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ ﴾ وحذف الثانية في غيرها لكون اللام محل

(1) سورة ق : 43 .

(2) يسن : 11 .

(3) ينظر : تنبيه العطشان 1 : 98 .

(4) من الآية : 43 من سورة الأنفال ، وقد قرئت بياعين خفيفتين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة للمدنيين والبرزي وشعبة ويعقوب وخلف العاشر ، والباقون بياء واحدة مشددة مفتوحة ، ينظر : البدر الزاهرة ، عبد الفتاح القاضي : 129 .

(5) المقنع : 50 .

(6) ينظر : مختصر التبيين لهجاء التنزيل 2 : 590 وما بعدها .

الإعلال<sup>(1)</sup> . والحكم بالنسبة للحذف والإثبات في النوعين واحد ، وذلك من حيث حذف إحدى الياءين ، وإنما الفرق بالنسبة إلى إلحاق الياء وعدم إلحاقها عند علماء الضبط ، يقول الرجراجي (ت : 899هـ) : والحكم أن تلحق الياء الأخيرة إذا وليها متحرك، أو تجعل مطة في موضعها ، ولا تلحق الياء ولا مطة في موضعها إذا وليها ساكن في الوصل . والساكنة أولى بالحذف من المتحركة، والمتطرفة أولى من المتوسطة لأن الأطراف محل تغيير، فإن أحق بالياء المتطرفة ضمير ثبتت على الأصل نحو: ﴿ يُحْيِيكُمْ .. قُلْ يُحْيِيهَا .. ثُمَّ يُحْيِيهِنَّ .. أَفَعَيَّبْنَا بِالْأُولَى ﴾<sup>(2)</sup>

### المبحث الثاني: زيادة الياء رسماً

لاحظ علماء الرسم والقراءات والعربية أن هجاء بعض الكلمات كثيراً ما يشتمل على رموز زائدة لا تلفظ مثل: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْءٍ ﴾ بالكهف، و﴿ وَجَاءَ ﴾ بالزمر والفجر، و﴿ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ بيونس ، و﴿ سَاءُ وَرِيكُمْ ﴾ بالأعراف ورموز تلفظ على غير ما يدل عليه رسمها مثل: ﴿ اَلصَّلَوٰه ﴾ و﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وأصوات تلفظ وليس في الكتابة ما يدل عليها كالتغليظ والترقيق، والقلقلة والهمس، لذلك أشاروا إلى وجوب اتباع النطق المروري والمعروف دون الالتفات إلى المكتوب<sup>(3)</sup> وفي هذا المعنى ورد في المحكم عن الحسين بن المنادي (ت : 386هـ) قوله : " إن من المكتوب ما لا تجوز القراءة به من وجه الإعراب ، وإن حكمه أن يترك على ما حُطَّ ، ويطلق للقارئ القراءة بغير الذي يروونه مرسوماً "<sup>(4)</sup> وقال ابن الجزري (ت : 833هـ) : " فكم من

(1) ينظر : الطراز شرح ضبط الخراز : 261 .

(2) ينظر : المحكم في نقط المصاحف للداني : 65 - 67 ، وتنبية العطشان 1 : 95 وما بعدها .

(3) ينظر : رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية : 566 .

(4) المحكم في نقط المصاحف : 185 .

موضع خولف فيه الرسم ، وخولف فيه الأصل ، ولا حرج في ذلك إذا صحت الرواية "(1) .

وهذه المخالفة بين الرسم والقراءة جائزة مقبولة ، بل تحتّمها ضرورة تحقيق الكلام المنطوق على وجهه الصحيح ، ولا يلتفت إلى ما في الرسم من زيادة أو نقص أو غير ذلك ، وهذا يؤكد ما ورد في البرهان ونصه : " انفقت في خط المصاحف أشياء خارجة عن القياسات التي يبني عليها علم الخط والهجاء ، ثم ما عاد ذلك بنكير ولا نقصان ، لاستقامة اللفظ ، وبقاء الحفظ ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف "(2) .

وبما أن الكتابة أداة القراءة ، ووسيلة النطق ، باعتبار أن الحروف المرسومة ينبغي أن تمثل صوتاً في النطق ، وحيث إننا قد أشرنا في المبحث السابق إلى أن حروفاً حذفت من رسم الكلمة لعل لغوية أو معنوية ومع ذلك ثبتت في الأداء الصوتي : إما في حالتي الوصل والوقف كما في قول الله : ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي ۙ ﴾

أو في حالة الوقف فقط كما في ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ﴾ في قول الله تعالى : ﴿ وَسَوْفَ

يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وبناء على ورود هذا الحذف في رسم المصحف فقد

جاءت الزيادة كذلك في رسم حروف لم يكن لها مجال صوتي عند النطق ، ولذلك اصطلح علماء الضبط بوضع علامة مميزة لهذه الأحرف ، وهي دارة بيضاوية تشبه الصفر الذي يمثل علامة خالية في علم الحساب .

وحرف الياء الذي أشرنا إلى وقوع حذفه في رسم المصحف وردت زيادته في الرسم القرآني في ألفاظ محددة حصرها العلماء في أحد عشر موضعاً ، سبعة منها

(1) النشر في القراءات العشر 2 : 141 .

(2) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي 1 : 172 .

مفردة ، واثنان تكرر لفظهما، وسوف نعرض لهذه الألفاظ مع بعض التقسيمات والعليلات اللغوية ، وما يتعلق بالمعاني الواردة في سياق النص القرآني .

ويحسن في البداية أن نطرح سؤالاً عن سبب تخصيص هذه الألفاظ بزيادة الياء دون سواها مما يماثلها أو يقاربها في اللفظ أو في الشكل والوزن ونقول: ما الفرق

بين: ﴿ مِنْ نَبِيٍّ أَلْمُرْسَلِينَ ﴾ بالأنعام، و﴿ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى ﴾ بالقصص؟ أو بين

﴿ وَإِيتَاءَ ذِي الْقُرْبَى ﴾ بالنحل ،وبين: ﴿ وَإِيتَاءِ الرَّكَّوَةِ ﴾ بالنور وغير

ذلك من الأمثلة ؟ للإجابة على هذه التساؤلات يمكننا أولاً أن نقسم الكلمات التي زيدت فيها الياء إلى ثلاثة أقسام :

**القسم الأول :** الكلمات التي لا ينطق فيها بالألف الواقع قبل الهمز وهذه الألفاظ هي:

﴿ أَفَايِن مَاتَ .. أَفَايِن مِتَّ .. مِنْ نَبِيٍّ .. وَمَلَائِهِمْ .. وَمَلَائِهِ ﴾ ولتوضيح ذلك نقول :  
الموضع الأول : ﴿ أَفَايِن ﴾ وقد ورد هذا اللفظ في سورتين :

الأول قول الله تعالى : ﴿ أَفَايِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾<sup>(1)</sup> في آل عمران ،حيث زيدت الياء

بين الهمزة الثانية وحرف النون ، وأصل هذه الكلمة ( إن ) الشرطية دخلت عليها همزة الاستفهام وفاء العطف ، والأصل أن يقال ( فأإن ) ولكن لأن أدوات الاستفهام لها الصدارة قدمت الهمزة على الفاء فصارت : ( أفإن ) وهذا كله واضح في قواعد اللغة ، أما سبب زيادة الياء هنا فإن حاصل ما ذكر في توجيه ذلك هو أن الأصل في أساليب الشرط تَرْتُبُ الجواب على فعل الشرط في الوجود ، لأن بين الشرط وجوابه رابطة السببية ، وحين التأمل في نص الآية يظهر لنا أن جواب الشرط هنا :

﴿ إِنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ لا يصلح أن يكون جواباً مُرَضِيّاً لفعل الشرط ، لأن

موت الرسول ﷺ أو قتله لا يكون سبباً للكفر بالله عز وجل ،ولذلك سلط عليه استفهام الانكار والتوبيخ ، لأن المطلوب من المؤمنين الثبات على الإيمان في حياة

(1) آل عمران : 144 .

الرسول وبعد مماته ، يقول البلاغيون : ومن أجل التنبيه على هذا المعنى زِيدت الياء في ( أفأين ) لتلفت الأذهان إلى أن رابطة السببية التي تدل عليها أساليب الشرط معدومة في هذا التركيب ، وقد زيد هذا المعنى قوة بقول الله : ﴿ وَمَنْ

يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ يَصْرُفْ لَنْ اللَّهُ شَيْئاً ﴾ ففي زيادة الياء لمحة لطيفة من لمحات الإعجاز القرآني تؤكد أن في خصوصيات الرسم القرآني بعض الدلالات المضافة التي تتناسب مع مبنى الكلمة لأنه محال أن يكون في كتاب الله شيء زائد في اللفظ وليس له معنى يدل عليه<sup>(1)</sup> أما الطبري (ت : 310هـ) فيقول في تفسير : ﴿ وَمَنْ

يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ إن المعنى : أفنتقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل ؟

فجعل الاستفهام في حرف الجزاء ، ومعناه أن يكون في جوابه خبر ، وكذلك كل استفهام دخل على جزاء فمعناه أن يكون في جوابه خبر ، لأن الجواب خبر يقوم بنفسه ، والجزاء شرط لذلك الخبر ثم يجزم جوابه ، ومعناه الرفع لوقوعه بعد الجزاء كقول الشاعر<sup>(2)</sup> :

حلفت له إن تدلج الليل لا يَزَلْ أمامك بيت من بيوتِي سائر  
ف(لا يَزَلْ) في موضع رفع إلا أنه جزم لمجيئه بعد الجزاء وصار كالجواب ، ولو كان مكان (انقلبتم) تنقلبون أو تنقلبوا جاز فيه الجزم والرفع ، وتركت إعادة الاستفهام ثانية مع انقلبتم اكتفاء بالاستفهام في أول الكلام<sup>(3)</sup> .

(1) ينظر : الجلال والجمال في رسم الكلمة وجرسها في القرآن الكريم : 74 - 75 .  
(2) البيت من شواهد النحويين أورده الفراء في معاني القرآن ولم ينسبه لأحد ، واستشهد به على جزم لا يزل في ضرورة الشعر بجعله جواب الشرط وكان القياس أن يرفع ويجعل جوابا للقسام فيكون جواب الشرط محذوفا مدلولا عليه بجواب القسم ينظر : خزنة الأدب للبغدادي 4 : 540 - 541 .  
(3) ينظر : جامع البيان للطبري 4 : 114 ، ومعاني القرآن للفراء 1 : 236 .

والموضع الثاني قوله تعالى: ﴿ أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمْ أَلْخَلِيدُونَ ﴾ (1) في الأنبياء .

وما قيل في توجيه الموضع الأول يقال هنا أيضا ، ومن الإضافات اللطيفة التي يشير إليها ابن البناء قوله : " زيدت الياء بعد الهمز في الحرفين وذلك لأن موته مقطوع به ، والشرط لا يكون في المقطوع به ولا ما رتب على الشرط ، لأن موته لا يلزم منه خلود غيره ولا رجوعه عن الحق ، والتقدير : أهم الخالدون إن مت ؟ فاللفظ للاستفهام والربط ، والمعنى للإنكار والنفي ، فزيدت الياء لخصوص هذا المعنى الظاهر للفهم الباطن في اللفظ " (2) .

الموضع الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ أَلْمُرْسَلِينَ ﴾ (3) قال

الطبري في تفسيره : " ولقد جاءك يا محمد من خير من كان قبلك من الرسل وخبر أممهم ، وما صنعت بهم حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وطغيانهم أنباء وترك ذكر ( أنباء ) لدلالة (من) عليها" (4) ، وفاعل جاءك هنا مضمر والمعنى : كما يقول القرطبي - (ت : 671هـ) : " جاءك من نبي المرسلين نبي " (5) .

أما أهل اللغة فيوجهون زيادة الياء هنا بأنها رمز إلى تفخيم ما زيدت فيه وهو نبي المرسلين ، وعلى هذا فالتفخيم والتعظيم لقصص المرسلين من ثلاث جهات : الأولى: التعبير بكلمة نبي دون الخبر لأن النبا هو الخبر العظيم، وقد جاء النبا موصوفا بالعظمة في كتاب الله حين قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَوُّ عَظِيمٌ ﴾ (6) .

(1) الأنبياء : 34 .

(2) عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل لابن البناء : 92 .

(3) الأنعام : 34 .

(4) جامع البيان 7 : 183 .

(5) الجامع لأحكام القرآن 6 : 417 .

(6) ص : 66 .

الثانية: أن زيادة الياء من خصوصيات الرسم القرآني ولا وجود لها في قواعد الرسم القياسي (الإملائي).

الثالثة: إضافة النبا هنا إلى ( المرسلين ) ، فهذه الجوانب وغيرها تظهر لنا بوضوح الخصوصيات التي انفرد بها رسم المصحف الشريف ، وأن كل ما فيه مما فارق به الخط الإملائي يرمز إلى معانٍ جد لطيفة .

الموضعان الرابع والخامس: لفظ ( ملأ ) المخفوض المضاف إلى ضمير المفرد الغائب ، أو إلى جماعة الغائبين كما في قول الله تعالى : ﴿ عَلَىٰ حَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ

وَمَلَأِيَهُمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ۗ ﴾ (1) وقوله جل شأنه : ﴿ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيَهُ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ

فِرْعَوْنَ ۗ ﴾ (2) ، وقيد الخفض بالإضافة احترازا من المخفوض بالجر نحو : ﴿ مَا

كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ ﴾ (3) ، وفي توجيه زيادة الياء هنا يقول

السخاوي (ت : 643هـ): يجوز أن تكون الألف التي قبل الياء صورة للهمزة فتكون زيادة الياء بعدها صورة للكسرة إعلاما بأنهم يصورون الحركات بالحروف قبل وضع النقط والشكل ، ويجوز أن تكون الألف زائدة والياء صورة للهمزة ، وصورت ياء لأنها تُلَيَّنُ على ذلك ، وزيادة الألف قبلها بيانا لها وتقوية كما زيدت في رسم المصاحف في مائة ومائتين (4) .

بينما يرى أبو الحسن الرجراجي (ت : 899 هـ) أن علة زيادة الياء في الأنواع الخمسة المتقدمة تتلخص في ستة أوجه أحدها : تقوية للهمزة لخفائها .

(1) يونس : 83 .

(2) هود : 97 .

(3) ص : 68 .

(4) ينظر : الوسيلة إلى كشف العقيلة للسخاوي : 351 .



الثاني : إشباعا لحركة الهمزة ، وإتماما للصوت بالحركة ، والمراد بالإشباع هنا إشباع تتميم لا إشباع توليد ، وهو الإشباع الذي تتولد عنه الحروف ، وليس هذا بمراد

الثالث : أن تكون الياء صورة لحركة الهمزة ، لأن الكسرة مأخوذة من الياء فجعلت الياء صورة للكسرة لتدل على ذلك، وأن الإعراب يقطع بهما معا، وهذا الوجه اختاره أبو عمرو في المحكم<sup>(1)</sup>

الرابع : أن تكون الياء نفس حركة الهمزة ، لأن العرب قبل زمن الصحابة كانت تصور الحركات حروفا

الخامس أن تكون الياء صورة للهمزة على مراد الوصل ، وتكون الألف قبلها تقوية للهمزة وبيانا لها .

السادس : أن تكون الياء صورة للهمزة على مراد الوصل ، والألف التي قبلها إشباعا لفتحة الحرف الذي قبل الهمزة .

ويضاف وجهان خاصان بلفظ ( نيا ) في قول الله : ﴿ مِنْ تَبَايَعِ الْمُرْسَلِينَ ﴾

الأول : أن تكون الألف والياء معا صورتين للهمزة باعتبار التحقيق والتسهيل ، وقد قرئ بالوجهين في ذلك ، فالتحقيق مذهب أكثر القراء ، والتسهيل مذهب حمزة إذا وقف<sup>(2)</sup> ، لأنه يجعلها في الوقف ياء ساكنة اتباعا للرسم ، وهو مذهب أبي جعفر القائد<sup>(3)</sup> في الوقف والوصل ، فالألف صورة التحقيق، لأنها همزة مفتوح ما قبلها والياء صورة للتسهيل لانكسارها .

(1) ينظر : المحكم للداني : 130 .

(2) ينظر : البدور الزاهرة : 1 : 243 ، والنشر في القراءات العشر 1 : 460 .

(3) أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني ، قرأ القرآن على مولاة عبد الله بن عباس ، وقرأ عليه نافع وابن وردان وابن جماز تصدرا للإقراء دهرًا ، توفي عام : 127 هـ معرفة القراء الكبار 1 : 27 .

الوجه الثاني : الذي اختص به ﴿ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أن تكون الألف والياء معا صورتين للهمزة باعتبار الانفصال والاتصال ، فالألف صورة الانفصال لأنها همزة متطرفة تحرك ما قبلها فتصور بالحرف الذي منه حركة ما قبلها وهو الألف هنا ، والياء صورة الاتصال لأنها همزة متوسطة مكسورة تحرك ما قبلها ، فتصور بالحرف الذي تنطق به وهو الياء<sup>(1)</sup> .

القسم الثاني : المواضيع التي ينطق فيها بالألف قبل الهمزة وعددها أربع :  
الموضع الأول : كلمة ﴿ تَلْقَاءِ ﴾ في قول الله : ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّا بِشْرَاءٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فَمَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾<sup>(2)</sup> حيث جاء في تفسيرها : أن نفرا من قريش جاءوا إلى الرسول ﷺ وطلبوا منه أحد أمرين :

إما أن يلغي القرآن كله ويأتي بقرآن آخر مغاير لهذا تماما ، وإما أن يحدث تغييرا وتعديلا بحيث لا يتنافى مع معتقداتهم ، ولا يتضمن سب آلهتهم التي يعبدونها ، فأمر الله رسوله أن يقول له : ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ نافية أن يصدر هذا عنه ، فزيدت الياء في حيز النفي ، للدلالة على استبعاد ما طلبوه منه واستنكاره ، ومعنى ﴿ تَلْقَاءِ ﴾ أي : من جهتي ومن عندي ، وهي مصدر على تَفْعَالٍ ، ولم يجئ بكسر التاء غيره ، وغير تَبَيَّنَ في المشهور ، وقرئ شاذًا بالفتح ، وهو القياس في المصادر الدالة على التكرار كالتطواف والتجوال . وقد خرج هنا

(1) ينظر : تنبيه العطشان للرجراجي 2 : 300 - 302 .

(2) يونس : 15 .

من ذلك إلى الظرفية المجازية ، والجرب من لا يخرج الظرف عن ظرفيته (1) ؛ ويرى علماء الأصوات أن زيادة الياء هنا قائمة مقام النبر في كلمة أنا ؟ أو كلمة أنت ؟ إذا وقعتا في مقام الإنكار، وقالوا إن هذا مسموع حتى في كلام العامة. فإذا نسب إلى شخص أمر لم يفعله، أو قول لم يقله فيكون رده: أنا فعلت هذا ؟ أو أنا قلت هذا ؟ نأبرا كلمة ( أنا ) لتأكيد النفي والتشديد في الإنكار على المخاطب . وهكذا كانت زيادة الياء في ( تلقاء ) للدلالة على المعنى المقصود في الآية(2) .

الموضع الثاني : لفظ ( إيتاء ) في قول الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (3) روى ابن جرير عن ابن مسعود أنها أجمع آية في القرآن لخير وشر(4). وقال القرطبي : " إنما خص ذا القربى لأن حقوقهم أوكد ، وصلتهم أوجب ، لتأكيد حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه ، وجعل صلتها من صلتها فقال : " أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك " (5) ولا سيما إذا كانوا فقراء " (6) .

والذي يرجحه الباحث أن زيادة الياء هنا للحث على المبالغة في العطاء لمستحقه من ذوي القربى، وإطلاق اليد في البر والإحسان إليهم، حتى شبه بعض البلاغيين الياء بأنها تمديد وتوسيع لدائرة الإنفاق الواجب والمستحب، ويفهم هذا التمديد من الإيحاء اللطيف في توسيع المساحة التي شغلتها الكلمة بسبب زيادة الياء وهناك معنى دقيق آخر وهو أن يسعى ذوو الفضل بعطاياهم إلى من يعلمون أنهم

(1) ينظر : روح المعاني للألوسي 11 : 84 .

(2) ينظر : الجلال والجمال في رسم الكلمة : 76 .

(3) النحل : 90 .

(4) ينظر : جامع البيان 14 : 163 .

(5) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة محمد ، باب : وتقطعوا أرحامكم ، حديث رقم : 4830 .

(6) الجامع لأحكام القرآن 10 : 167 .

في حاجة إلى مد يد العون ، لأن الساعي بالخير إلى مستحقه أركى عند الله من الذي يسعى إليه ذوو الحاجات لأن في ذلك إحراجا لهم .

الموضع الثالث : لفظ ( آناء ) في قول الله عز وجل : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ (1) وقد رسم هذا اللفظ بياء بعد الهمزة ، ولا يحتمل هنا أن تكون الألف

صورة للهمزة لأنه حرف مد وبعده همز ، ويجوز أن تكون الياء صورة حركة الهمزة ، لأن الهمزة مكسورة ، فتكون تلك الصورة بمنزلة الكسرة على الحرف اليوم، أو تكون إشارة وتنبيهها على تسهيل الهمز كما يقول السخاوي (2). ويمكن القول بأن زيادة الياء هنا رمز إلى معنى الامتداد والطول في الزمان الذي دلت عليه ﴿ آَنَاءِ ﴾ وليس المراد طول الزمن في نفسه ، بل المراد كثرة ما يقع فيه من

ذكر الله وتسبيحه ، وهذا يسمى عند البيانين كناية لطيفة، وهو ما يدل عليه توزيع التسبيح بحمد الله على أوقات ممتدة عبر رحلتي الليل والنهار المتمثلة في: قبل طلوع الشمس .. قبل غروب الشمس.. آناء الليل.. أطراف النهار، وبهذا صار التسبيح بحمد الله مستوعبا لوقت المؤمن إلا سويعات الهجوع ليلا وصلب النهار وهو وقت السعي لتحصيل الرزق - كما يقول د. مطعني - وتوجيه الكناية فيه هو الإيماء إلى طول الزمن من حيث ما يقع فيه من ذكر الله عز وجل (3). إضافة إلى ذلك ما يلاحظ في النص مما يسمى بالتقديم البلاغي عند ذكر التسبيح بالليل الذي يعطي معنى الاهتمام البالغ بهذا الوقت دون ذكر التقديم مع النهار حيث قال رب

(1) طه : 128 .

(2) ينظر : الوسيلة : 352 .

(3) ينظر : خصوصيات الرسم القرآني ، عبد العظيم المطعني ، سلسلة مقالاته في مجلة منبر الإسلام

سبتمبر: 2000

العزة : ﴿ وَمِنْ ءَانَآءِ مَآئِلِ فَنَسِجْ ﴾ ولم يقل : ( فسبح من آناء الليل ) بخلاف قوله مع ساعات النهار ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۚ ﴾ ومعلوم ما للتقديم من خصوصية في الاهتمام بهذا الوقت ( آناء الليل ) مع ملاحظة اللطف والمد واللين في نطق كلمة ( آناء ) وجرس حروفها التي تناسب لطف ورقة الليل ، وعذوبة المناجاة فيه . لذلك كان التركيز عليها وإبرازها أمام الأعين عن طريق

1 رسم الكلمة على هذه الصورة .

2 - أسلوب التقديم الذي يؤكد على هذه الخصوصية لرسم الكلمة.

3 - الوقفة الهامة لعبادة الليل والتجليات فيه ، وبخاصة ما كان يفعله المصطفى من مداومة على قيام الليل.

الموضع الرابع : كلمة ( وَرَاءِ ) في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ <sup>1</sup> حيث رسمت هنا بزيادة الياء بينما لم ترسم هذه

الياء في اللفظ المماثل في قول الله : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ

وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ <sup>(2)</sup> بسورة الأحزاب ، وهو ما يثير علامة استفهام حول علة عدم

التسوية بين الموضعين في رسم المصحف ، فكلا كلمتي ( وراء ) أضيفت إلى كلمة حجاب فلم كانت ( وراء ) في الأحزاب خالية من الزيادة ؟

المتأمل في الموضعين يلاحظ الفرق واضحا جليا بينهما ، حيث إن الحجاب المشار إليه في آية الأحزاب حجاب مادي محسوس ، ويقصد به : كل ساتر يحول دون رؤية النساء وهن في بيوتهن إذا طرق الباب رجال من غير المحارم ، لأن

(1) الشورى : 48 .

(2) الأحزاب : 53 .

أدب الإسلام أن تتوارى - في هذه الحالة - المرأة المسلمة خلف أي ساتر يحميها من وقوع بصر الرجال على شيء من محاسنها ، أما الحجاب المذكور في سورة الشورى فهو حجاب معنوي لا يرى ببصر ، ولا يلمس بيد ، والحجاب في آية الأحزاب يمكن اختراقه والاحتيايل عليه إذا انعدم الوازع الديني أو الخلقي ، أما المذكور في آية الشورى فهو حجاب محكم لا يمكن اختراقه ولا التحايل عليه ، لأن رؤية الله في الحياة الدنيا غير ممكنة الوقوع ، إذن فلنسمه حجاب العظمة ، لأن مَنْ وراء الحجاب هو رب العالمين ، وهو الحجاب الذي جعل نبي الله موسى يخز صاعقا حين تجلى ربه للجبل ، فاستحق أن يكتب اللفظ بزيادة الياء ، وهذا من الخصوصيات التي يرمز إليها رسم المصحف الشريف .

ونختم الحديث عن هذا القسم - الذي ينطق فيه بالألف قبل الهمز - بالإشارة إلى العلل التي ذكرها علماء الرسم حيث ذكروا لأسباب زيادة الياء في هذه المواضع ستة أوجه:

الأول : أن تكون الياء تقوية للهمزة وبيانا لها لخفائها، وبعد مخرجها .

الثاني : أن تكون الياء إشباعا لحركة الهمزة ، إشباع تتميم لا إشباع توليد .

الثالث : أن تكون الياء صورة لحركة الهمزة .

الرابع : أن تكون الياء نفس حركة الهمزة .

الخامس : أن تكون الياء صورة للهمزة باعتبار الوصل ، وهذا الوجه هو الذي

اختاره أبو عمرو الداني في كتابيه : المقنع ، والمحكم<sup>(1)</sup>.

السادس : أن تكون الياء علامة لتسهيل الهمزة<sup>(2)</sup>.

**القسم الثالث :** وهو الذي تتقدم فيه الكسرة قبل الهمز ويقع في موضعين اثنين :

(1) ينظر : المقنع : 47 ، 48 ، وكذلك 140 وما بعدها ، والمحكم : 180 .

(2) ينظر : الوسيلة إلى كشف العقيلة للسخاوي : 351 و تنبيه العطشان على مورد الظمان 2 : 301 - 302 .

الموضع الأول: لفظ (بأيد) في قول الله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا

لَمُوسِعُونَ ﴾<sup>(1)</sup> حيث زيدت الياء في رسم هذه الكلمة<sup>(2)</sup> ، وبما أن المزيدة قد

جاورت الياء الأصلية فقد يحدث اللبس عند القارئ في تمييز الأصلية من الزائدة لذلك اختلف أهل الضبط في تحديد العلامة التي توضع على كل منهما ، فالياء الأصلية ساكنة، والأساس أن توضع عليها علامة السكون ، والياء الزائدة توضع عليها الدارة التي هي علامة الزيادة ، وخوفا من اللبس اختار المغاربة أن توضع جرة على الياء الأولى ، وهي علامة السكون عند أهل الأندلس قديما، ويوضع على الثانية دارة علامة لزيادتها<sup>(3)</sup>؛ والسؤال هنا: لماذا زيدت الياء في هذا اللفظ ولم تزد

في غيره نحو : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾<sup>(4)</sup> وما الفرق بين اللفظين ؟

يقول علماء الرسم : إن الفرق بينهما من وجهين : أحدهما : المعنى ، لأن الأول معناه القوة ، والآخر معناه الجارحة . والثاني : الوزن ، لأن الذي بمعنى القوة وزنه فَعْلٌ والذي بمعنى الجارحة وزنه أَفْعَلٌ ، لأن مفرده يَدِيٌّ على وزن فَعْلٌ بسكون العين ، فلامه ياء حذف تخفيفا لكثرة الاستعمال ، هذا من حيث الفرق بينهما ، أما سبب الزيادة هنا فمن وجهين أيضا : الوجه الأول : أن الذي بمعنى القوة مفرد ، والذي بمعنى الجارحة جمع ، لأنه جمع يد ، فالمفرد أحمل للزيادة لخفته دون الجمع لثقله . الوجه الثاني : أن الذي بمعنى القوة سالم من التغيير ، بخلاف الذي بمعنى الجارحة فهو معتل ، لأنه محذوف اللام<sup>(5)</sup> . وقال صاحب عنوان الدليل : " إنما خصت التي

(1) الذاريات : 47 .

(2) ينظر : المحكم في نقط المصاحف ، باب نقط ما زيدت الياء في رسمه : 180 .

(3) وهذا اللبس يحدث في ضبط المغاربة فقط ، ينظر : أصول الضبط لأبي داود : 228 .

(4) علس : 15 .

(5) ينظر : تنبيه العطشان : 303 - 304 .

بمعنى القوة بالزيادة دون الجارحة لأن القوة التي بنى الله تبارك وتعالى بها السموات أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي التي بمعنى الجارحة ، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بالمعنى الأظهر<sup>(1)</sup> .

ويبدو واضحا مما تقدم أن زيادة الياء هنا جلبت لمعنى. ورمزت إلى لطيفة من لطائف كتاب الله العزيز ، حيث كانت الزيادة في هذه الكلمة للترقية بين اليد الحسية وبين اليد التي بمعنى القوة المعنوية ، وقد جمعت هكذا ( بأبيد ) ولم تأت مفردة (بيد) مرادا من الجمع تفخيم شأن تلك القوة ، لأنها قوة الله التي لا تحد .

الموضع الثاني : كلمة ( بأيكم ) في قول الله عز وجل : ﴿ بِأَيِّكُمْ أَلْمَفْتُونَ ﴾<sup>(2)</sup> حيث زيدت الياء مجاورة لياء قبلها ، وسبب الزيادة هنا - كما يقول علماء الرسم - أحد أمرين :

1 - إما التنبيه على الأصل ، باعتبار أن الحرف المشدد حرفان، كما فعلوا في ( اللهم واللعب) ونحوهما.

2 - أو أن الياء الأولى والألف قبلها معا صورتين للهمزة ، فالألف صورة لتحقيقها والياء صورة لتسهيلها لكونها مفتوحة بعد كسرة . وإذا كان مجمل ما خلص إليه الأقدمون في توجيه هذه الزيادة بأنها رمز إلى اختصاصهم بالفتنة دون الرسول الكريم فإن علماء اللغة يقولون : إن الآية التي سبقت هذه : ﴿ فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ قد اشتملت على ضميرين فاعلين :

الأول : ضمير مستتر تقديره ( أنت ) مخاطبا به رسول الله ﷺ .  
الثاني : ضمير ظاهر متصل وهو ( واو ) الجماعة الغائبين يعود على مشركي العرب وقت نزول القرآن الكريم ، وفي ﴿ بِأَيِّكُمْ أَلْمَفْتُونَ ﴾ رسم ياءان ، فإذا جعلنا هذين الياءين كنايةتين عن الضميرين المذكورين قبلهما ، كان الياء الأول

(1) عنوان الدليل لابن البناء المراكشي : 91 .

(2) القلم : 6 .



رمزا إلى ضمير الرسول ﷺ في الآية السابقة ، والياء الثاني رمزا إلى ضمير المشركين ، وهذه الياء الأخيرة هي المجاورة للفتنة المفهومة من كلمة ( المقتون ) ، وهذا ملمح قوي يفيد بُعد الرسول ﷺ عن الضلال والفتنة ، وهذه إحدى لطائف وأسرار الرسم القرآني التي لا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم .

**الخاتمة :**

الكلمة المقروءة تحتاج إلى ضوابط لتحديد الحروف التي ترسم بها حتى يتفق المكتوب مع الصوت المنطوق ليؤدي المعنى المراد أو قريبا منه ، هذا في عامة الكتابة ، أما كتابة القرآن الكريم فقد وضع لها علماء الرسم قواعد تضبط رسمها ، تختلف في بعض قواعدها عن ضوابط الرسم الإملائي ، وهي قواعد استقاها العلماء مما رسم في مصاحف عثمان بن عفان ؓ من خلال النسخ التي أرسلت إلى الأمصار ، وصارت مرجعا للمسلمين ، وكان من أبرز القضايا التي اختلف فيها بين الرسمين - المصحفي والإملائي - ما يتعلق بالحذف والزيادة في بعض الحروف ومن خلال عرضنا - في هذا البحث - لموضوع حذف الياء وزيادتها في رسم المصحف الشريف يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

أولا : إن حرص المسلمين الأوائل على حفظ كتاب الله والمحافظة عليه كان يدفعهم إلى تدوينه خوف نسيانه ، أو ضياع شيء منه بموت حفظته كما حدث في موقعة اليمامة الشهيرة .

ثانيا : مع أن طريقة تلقي القرآن بين الصحابة تمثلت في اعتمادهم على المشافهة والحفظ في الصدور باعتبار أن الكتابة - زمن البعثة - لم تكن واسعة الانتشار ، ووسائلها بدائية وغير ميسورة ، فإن الرسول ﷺ كان حريصا على تدوين ما ينزل من القرآن ، ولم يلتحق ﷺ بالرفيق الأعلى إلا وقد تجاوز كتبة الوحي أربعين كاتباً ثالثا : الأصل في الكتابة أن يطابق المرسوم المنطوق ، إلا أن رسم المصحف له خصوصية في ضبط قواعد الكتابة ، ورسم حروفها خالفت قواعد الرسم القياسي منها : الحذف والزيادة ، والفصل والوصل وغيرها مما هو مدون في كتب التخصص ، وقد التزم المسلمون بهذه القواعد في كتابة المصحف الشريف .

رابعا : مما شجع المسلمين على التمسك برسم المصحف وتوجيه المسلمين لاتباعه

1 - كونه محل إجماع الصحابة . 2 - وأن صورته الخطية استوعبت أكثر الروايات الصحيحة باعتباره دون نقط أو شكل .

3 - وأن الأحرف المحذوفة سمحت بتعدد ألفاظ قراءته .  
خامسا : حرف الياء من الحروف الشجرية - كما يسميه علماء التجويد - لأن مخرجه من وسط اللسان ، إلا إذا كان مديا فإن مخرجه الجوف ، وقد حاز هذا الحرف على اهتمام علماء الرسم لضبط قواعده ، حيث حذف رسمه في مواضع من المصحف وزيد رسمه في مواضع أخرى .

سادسا : جرى حذف الياء لموجب لغوي نحو : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ ﴾ أو بسبب التقاء الساكنين نحو : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقد

تحذف تخفيفا واختصارا ، واكتفاء بالكسرة دليلا عليها نحو : ﴿ تَمَّ كَيْدُونَ ﴾ سابعاً : زيد حرف الياء رسماً في مواضع بعينها في المصحف الشريف ، وهو وإن كان غير ظاهر في نطق الكلمة إلا أن له من النكت البلاغية ، والإضافات الحسية والمعنوية ما يعزز زيادته في هذه الكلمات دون نظائرها في المصحف ، وهو ما يؤكد إعجاز النص القرآني في رسمه ولغته ومعناه ، وأن كل ما في رسمه مما خالف الرسم الإملائي يرمز إلى معانٍ جد لطيفة ، منها ما هو مدرك ملحوظ ببصر ، ومنها ما يحتاج إلى تأمل يضاف إلى تلك الجهود التي بذلها الأقدمون قريبو العهد بالكتابة الأولى للمصحف الشريف .

المصادر والمراجع :

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب
- أصول الضبط وكيفية على جهة الاختصار
- إنباه الرواة على أنباء النحاة
- البدور الزاهرة في القراءات العشر
- البرهان في علوم القرآن
- بغية الواعية في طبقات اللغويين والنحاة
- التيسير في القراءات السبع
- تنبيه العطشان على مورد الضمان
- ابن عبد البر القرطبي
- أبو داود سليمان بن نجاح
- اللقطة
- عبد الفتاح القاضي
- بدر الدين الزركشي
- جلال الدين السيوطي
- أبو عمرو الداني
- أبو الحسن الرجراجي

- تقبيد العلم
- الخطيب البغدادي
- ابن جرير الطبري
- جامع البيان عن تأويل آي
- أبو عبد الله القرطبي
- الجامع لأحكام القرآن
- ابن وثيق الأندلسي
- الجامع لما يحتاج إليه في رسم المصحف
- إبراهيم الجعبري
- جميلة أرباب المراد
- سامح القليني
- الجلال والجمال في رسم الكلمة
- الخطيب البغدادي
- خزانة الأدب
- عبد العظيم المطعني
- خصوصيات الرسم القرآني
- شهاب الدين الألويسي
- روح المعاني في تفسير القرآن
- غانم قدوري الحمد
- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية
- أبو عبد الله التنسي
- الطراز في شرح ضبط الخراز
- ابن أبي داود السجستاني
- كتاب المصاحف
- البلاذري
- كتاب النبي
- سيبويه
- الكتاب
- مكي بن أبي طالب القيسي
- الكشف عن وجوه القراءات وعللها
- جار الله الزمخشري
- الكشاف عن حقائق التنزيل
- شهاب الدين القسطلاني
- لطائف الإشارات لفنون القراءات
- جمال الدين الفاسمي
- محاسن التأويل
- أبو عمرو الداني
- المحكم في نقط المصاحف
- أبو داود سليمان بن نجاح
- مختصر التبيين لهجاء التنزيل
- محمد فؤاد عبد الباقي
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
- أبي زكريا يحيى بن الفراء
- معاني القرآن
- محمد حسين الذهبي
- معرفة القراء الكبار
- أبو عمرو الداني
- المقنع في مرسوم المصاحف
- محمد إبراهيم الشريشي الخراز
- مورد الظمان في رسم القرآن
- محمد بن الجزري
- النشر في القراءات العشر

- نيل الابتهاج
- صحيح البخاري
- عنوان الدليل من مرسوم التنزيل
- غاية النهاية في طبقات القراء
- فتح الباري شرح صحيح البخاري
- القاموس المحيط
- سنن أبي داود
- الوسيلة شرح أبيات العقيلة
- التنبكتي
- ضبط نصه محمود نصار
- ابن البناء المراكشي
- محمد بن الجزري
- ابن حجر العسقلاني
- الفيروز آبادي
- أبو داود
- أبو الحسن السخاوي

## "دلالة المقطع الصوتي في سورة الناس"

إعداد : د. نجاة صالح اليسير\*

## المقدمة :

إنَّ القرآنَ الكريمَ هو المعجزةُ الخالدةُ التي نزلت على رسولنا الكريم، نزولاً صوتياً وليس مدوناً أو مكتوباً في كتاب، وكلّما تدبرنا فيه وجدنا فيه سرّاً من أسرار إعجازه، فقد اتّسم بنظام صوتي متنسق الحركات والسكنات، فامتاز بنظمه ودلالاته وإيحاءاته عن غيره مما جاء به العرب.

وقد حاولتُ في هذا البحث الكشف عن البنية المقطعية ودلالاتها في السياق بهدف الوصول إلى الدلالة الصوتية من خلال النسيج المقطعي لسورة الناس، وقد جاءت المقاطع الصوتية متنوعة ومتناغمة مع المعنى، للتنبيه على أنّه يجب علينا العياذ بالله والالتجاء إليه من شرّ خفي خطير مهلك، ألا وهو شرُّ الوسواس الخنّاس من الجنّة والنّاس.

## أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا البحث في توضيح العلاقة بين دلالة المقطع الصوتي والمعاني التي تحملها آيات هذه السورة الكريمة.

أما السبب في اختياري دراسة دلالة المقطع الصوتي في سورة الناس فهو:

\* عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة المرقب / الخمس.

أنها تُعدُّ من قصار السور التي تمثل قمة الإعجاز على مستوى توظيف الصوت وإيقاعه في خدمة المعنى.

والهدف من هذا البحث هو الوقوف على مدى موافقة دلالة المقطع الصوتي لسورة الناس للدلالات القرآنية التي تحملها هذه السورة الكريمة. وقد تناول البحث دلالة المقطع الصوتي في سورة النَّاس من خلال عدّة محاور رئيسة هي :

1 - المقطع لغة واصطلاحاً.

2 - أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية.

3 - دلالة المقطع الصوتي في سورة النَّاس وعلاقته بالمعنى.

أولاً: المقطع لغة :

كلمة المقطع لغة من القَطْع وهو : إبانةٌ بعض أجزاء الشيء من بعض، يقال : قَطَعَه قطعاً، وقَطَعَه واقْتطَعَه فانقَطَعَ وتَقَطَّعَ بتشديد الطاء للكثرة، والمَقْطَعُ من كل شيء : آخره حيث ينقطع وينتهي. والمقطع في اللغة : الوحدة الصوتية اللغوية التي تتألف منها الكلمة وجمعه : المقاطع ومقاطع القرآن : مواضع الوقوف، ومَبَادِيئُهُ: مواضع الابتداء ، ومُقْطَعَاتُ الشيء : طرائفه التي يتحلل إليها ويتركّب عنها كمُقْطَعَاتِ الكلام، ومُقْطَعَاتُ الشعر. (1)

(1) انظر: ابن منظور : لسان العرب ، دار الحديث القاهرة، 1423 هـ ، 2002م، 416/7 - 418 ، مادة ( قطع ) ، وانظر : المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية، ط / 4 ، مكتبة الشروق الدولية، 1425 هـ ، 2004 م ، ص : 745،746 ، مادة ( قطع ) .

## المقطع اصطلاحاً:

للمقطع الصوتي في اصطلاح علماء الأصوات تعريفات عدّة نذكر منها :  
تعريف رمضان عبد الثواب الذي يقول : إنَّ المقطع هو : " كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقف عليها "(1).  
بينما ذهب عبد الرحمن أيوب إلى أنَّ المقطع هو : " مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة "(2).

وذهب محمد الأنطاكي إلى أنَّ المقطع هو : " مجموعة من الأصوات المفردة، تتألف من صوت طليق صائت معه صوت حبيس صامت "(3).

ومن خلال ما سبق من التعريفات نرى أن المقطع في اصطلاح علماء الأصوات قريب من قول ابن منظور وغيره بأنَّ : مقطعات الكلام : أي أجزاءه التي يتحلل إليها ويتركب عنها.

وللمقطع الصوتي أهمية كبيرة في الكلام؛ لأن المتكلمين لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا، وإتّما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي المقاطع، ويرمز للصوت الصامت بالرمز ( ص )، وللصائت أو الحركة

(1) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ط / 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ ، 1977، ص: 94.

(2) أصوات اللغة ، ط / 2، مطبعة الكيلاني، القاهرة ، 1967، ص : 139.

(3) الوجيز في فقه اللغة، دار الشروق، بيروت ، 1969، ص : 254.

القصيرة بالرمز ( ح )، والحركة الطويلة ( ح ح ) مثل ألف المد، وياء المد، و واو المد. (1)

### ثانياً: أنواع المقاطع الصوتية في العربية:

يستخدم المقطع العربي بخمسة أشكال مختلفة<sup>(2)</sup> وهي على النحو التالي :

- 1 - المقطع القصير: ويتألف من صامت وحركة قصيرة ، ( ص ح ) مثل : كَتَبَ .
  - 2 - المقطع المتوسط المفتوح : ويتألف من صامت وحركة طويلة ( ص ح ح ) مثل : كَاتَبَ .
  - 3 - المقطع المتوسط المغلق: ويتألف من صامت ثم حركة قصيرة يتلوها صامت، ( ص ح ص )، مثل : مِنْ .
  - 4 - المقطع الطويل المغلق: ويتألف من صامت وحركة طويلة يتلوها صامت، ( ص ح ح ص ) مثل : مال .
  - 5 - المقطع الطويل ( مزدوج الإغلاق ) : ويتألف من صامت ثم حركة قصيرة يتلوها صامتان، ( ص ح ص ص ) ، مثل : بِنْتُ .
- والصوت الصامت يقبل الحركة، والصائت : الأصوات التي لا تقبل الحركة فهي ساكنة، مثل : ألف المد، وياء المد ، و واو المد، فإن تحرك الواو والياء فهما صامتان، والألف

(1) انظر : عمر ، أحمد مختار : دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب ، القاهرة، 1976م، ص : 238.

(2) انظر : أنيس ، إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ص : 124، وانظر : شاهين ، عبد الصبور: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص : 38 - 40



صائتة أبداً. لأنها لا تقبل الحركات مُطلقة وما دون هذه الصوائت الثلاثة صوامت : ء ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، ..... ل ، م ، ن ، هـ ، و الواو المتحركة ، والياء المتحركة (1).

ثالثاً: دلالة المقطع الصوتي في سورة النَّاس وعلاقته بالمعنى:

قد عملتُ في هذا البحث على تحليل المقاطع الصوتية التي تتكون منها كلمات السورة الكريمة، وبيان نوعية المقاطع ودلالاتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ \* إِلَهِ النَّاسِ \* مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ \* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ \* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (الناس 1 - 6).

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ ﴾

تتكون الآية الكريمة من ثمانية مقاطع، وتقطع على النحو التالي:

قُلْ	أ	عُو	ذُ	بِ	رَبِّ	بِئْ	نَاسِ
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص
متوسط مغلق	قصير مفتوح	متوسط مفتوح	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق	طويل مغلق

استهلت هذه السورة الكريمة بلفظ " قُلْ " وهذا الاستهلال يؤثر في الانطباع الأول للنفس فيكون أكثر تأثيراً أو فاعلية في غيره لأنه يسحب آثاره على ما يليه<sup>(1)</sup>.

(1) انظر : عكاشة ، محمود : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ط / 1 ، دار النشر للجامعات، مصر ، 1426 هـ ، 2005 م ، ص : 41.

ولفظة " فُلّ " تتكون من مقطع متوسط مغلق، وفيها تعليم للمسلمين أن يقولوا ما جاء بعدها، وهي خطاب وأمر موجه لكلِّ مَنْ يصلح للخطاب بصورة إفرادية من المسلمين.

ولصوت ( القاف ) الانفجاري في بداية الآية الكريمة دلالة مهمة فكأنه مطرقة تفرع الأسماع وتطرق القلوب، فللقاف جرسها الذي أوصل ابن سينا رحمه الله - إلى القول : " إنَّها تُسمعُ من شقِّ الأجسام وقلعها "(2) وفي هذا ما يدل على جاذبية هذا الجرس وتميزه. كما أن هذا الصوت يُحدث ضجة واضطراباً عند النطق به (3).

ويُحدث أيضاً ضجة نفسية تستجيب لها النفس مباشرة عند سماعها الخطاب الإلهي، وكان هذا مناسباً للمعنى لما فيه من إلحاحٍ وطلب للاستعاذة والحثُّ على قولها والجهربها، فضلاً عن إعطائه جرساً موسيقياً داخلياً تحكمها قيم صوتية أرحبُ من الوزن والنظم المجردين (4).

ولفظ الأمر " فُلّ " المراد به النَّاس ؛ " لأن النبي لا يلجأ ولن يلجأ إلا إلى الله وحده"(5).

ويُلي صوت ( القاف ) صوت اللام وهو من الأصوات التي تتسم بما يلي (6):

(1) انظر: ناجي : مجيد عبد الحميد: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ط / 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، 1404 ، 1984 ، ص 91.

(2) رسالة أسباب حدوث الحروف، تح : محمد حسان الطيّان، يحي مير علم ، دمشق، مجمع اللغة العربية ( د . ت ) ، ص : 23.

(3) انظر : أنيس ، إبراهيم: الأصوات اللغوية ، ص : 75.

(4) انظر: أحمد، محمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط / 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1984 ، ص : 362.

(5) مغنية، محمد جواد : تفسير الكاشف، ط / 1 ، دار الكتاب الإسلامي، 1424هـ ، 2003م، 7 / 627.

(6) انظر : أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص : 58، 59.

- صوت اللام من الأصوات الذلقية؛ لأنه يبدأ من ذلق اللسان.
- صوت اللام يمتاز بصفة التوسط بين الجهر والهمس.
- صوت اللام يمتاز بصفة الانحراف، إذ يميل فيه مخرج الهواء إلى طرف اللسان.
- صوت اللام له صفة الانفتاح والتوسط والميوعة.

وسكون اللام في لفظ " قُلْ " يُشعرنا بسكون النَّفْس وراحته المنبعثة من سكون الليل عند التلطف بالإعادة، فالنَّفْسُ في مُنْجَاة رَبِّهَا ودعائه تهدياً، وتشعر بالراحة والاطمئنان من وحشة الليل وظلمته، فهي تحتاج إلى من يُهدِي من روعها، ويرفع عنها العذاب، والرعب<sup>(1)</sup>. فكانها قد هُيِّت واستعدت لتقبُّل أمر الله - عز وجل - وهو الاستعاذة من شر واحد ألا وهو شر وسوسة الشيطان المهلكة.

" أَعُوذُ " :

جاء على لسان العرب " عاذ به يَعُوذُ عَوْذًا وَعِيَاذًا وَمَعَاذًا : لاذ به ولجأ إليه واعتصم ... والله عز وجل معاذٌ مَنْ عاذ به وملجأٌ من لجأ إليه، والملاذُّ مثل المعاذ؛ وهو عيادي أي ملجئٌ وعُدَّتْ بفلان واستعدت به أي لَجَأْتُ إليه "<sup>(2)</sup>.

و " العَوْذُ " : الألتجاءُ إلى الغَيْرِ و التَّعَلُّقُ به. ويقصد هنا الالتجاء إلى الله والاستتصار به "<sup>(1)</sup>.

(1) انظر : محمد، محمد، سناء طاهر، وإسماعيل، حازم ذنون: دلالة المقطع الصوتي في سورة الناس، مجلة جامعة

تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (20)، العدد (11)، 2013، ص: 4.

(2) ابن منظور: لسان العرب، 6/510 - 511. مادة ( عوذ ).

وفي مقاييس اللغة ( العين و الواو والذال ) أصل صحيح يدلُّ على معنى واحد وهو الالتجاء إلى الشيء ثم يُحْمَلُ كُلُّ شيءٍ لصق بشيء (2).

و " أَعُوذُ " فعل مضارع يفيد الاستمرار وهذا يعني أن يظلَّ المسلم معتصماً بربه، عائداً بمولاه ملتجئاً إليه، فإذا تحصَّن كل مسلم بالله واعتصم بمولاه ولجأ إلى حماه كان في مأمن ومنجى من هذه الوسوسة.

وقد احتوى لفظ " أَعُوذُ " على ثلاثة مقاطع صوتية مفتوحة تميّزت عن قوة الاستعاذة، والتحريرض عليها من شر الوسواس. فيجب الالتزام بما أمر الله به للتخلص من جميع الشرور والآفات(3).

" بَرَبٍ " :

استعمال كلمة ( رب ) من دون لفظ الجلالة ( الله )، لأن كلمة ( الرَّب ) تدل في الأصل على التربيّة، وهو إنشاء الشيء حالاً محالاً إلى حد التمام(4).

وكلمة ( الرَّب ) في هذا السياق أبلغ من سائر الأسماء وقد ذُكر المستعاذ به مضافاً إلى لفظة ( النَّاس ) في ثلاث آيات " رب الناس . ملك الناس . إله الناس " لأسباب منها

(1) الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، ط / 3، دار القلم، دمشق، 1423هـ، 2002م، ص: 594 - 595 .

(2) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، 1399هـ، 1979م، 4/183. مادة ( عوذ ) .

(3) انظر: الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ( د. ت ) ، 525/15.

(4) انظر: الأصفهاني: في مفردات ألفاظ القرآن، ص: 336.

ما ذكره الزمخشري في قوله : لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور النَّاسِ ، فكأنه قيل : أعوذ من شر الموسوس إلى النَّاسِ بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو الإلهُ ومعبودهم<sup>(1)</sup>.

" النَّاسِ " :

" قيل : أصله أناسٌ ، فَحُذِفَ فَاوُهُ لَمَّا أُدْخِلَ عَلَيْهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ ، وَقِيلَ : قَلْبٌ مِنْ نَسِيٍّ ، وَأَصْلُهُ إِنْسِيَانٌ عَلَى إِفْعِلَانٍ ، وَقِيلَ : أَصْلُهُ مِنْ : نَاسٍ يَنْوَسُ : إِذَا اضْطَرَبَ ... وَتَصْغِيرُهُ نُؤْيِسٌ " <sup>(2)</sup>.

وقد كرر لفظ ( النَّاسِ ) ثلاث مرات ، والغرض من هذا التكرار هنا تأكيد المعنى وتقويته<sup>(3)</sup> ، فضلاً عن أن لفظ الناس عمِلَ النَّقْطَةُ فِي خَتَامِ كُلِّ آيَةٍ وَخُتِمَتِ الْفَوَاصِلُ بِحَرْفِ السِّينِ لَمَّا يَتَضَمَّنُهُ مِنَ الْهَمْسِ وَالصَّمْتِ وَالصَّفِيرِ<sup>(4)</sup> ليتناسب مع حال الشيطان الذي يوسوس للإنسان في الخفاء.

وفي تنوع المقاطع الصوتية في هذه الآية الكريمة « برب الناس » ما بين مغلقة ومفتوحة جاء موافقاً لجو السورة وبشكل معجز جداً؛ إذ أن وسوسة الشيطان وحديث النفس لا يُردُّ عليه بقوة عضلية وإنما يُردُّ عليه بقوة إيمانية تتبع من داخل الإنسان لمقاومة هذه القوة الخفية.

(1) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، تح: عبد الرزاق المهدي،

دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، 1421هـ، 2001م، 818/4.

(2) الأصفهاني: في مفردات ألفاظ القرآن، ص : 828.

(3) انظر: الحسناوي، محمد: الفاصلة في القرآن، ط/2، دار عمان، عمان، 1406هـ ، 1986م، ص : 279.

(4) انظر: أنيس ، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص : 67.

" مَلِكِ النَّاسِ ":

تتكون هذه الآية الكريمة من خمسة مقاطع وتقطع على النحو التالي:

المقطع	مَ	لِ	كِ	نا	س
تكوينه	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح
نوع القطع	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مفتوح	قصير مفتوح

" مَلِكِ " بوزن ( فَعَل ) صفة مُشَبَّهه، إن امتلاكه للناس أمرٌ على سبيل الديمومة والأزل، فهو المتفرد بالتصرف فيهم، والمالك المطلق لهم، وهو مالك الملوك، ومالك يوم الدين، وصاحب الملك في الأولى والآخرة، قال ابن منظور: " وأما مَلِكُ النَّاسِ وسيد الناس ورب الناس، فإنه أراد أفضل من هؤلاء، ولم يرد أنه يملك هؤلاء"(1).

وقد اختيرت لفظة ( مَلِك ) دون كلمة ( مالك ) لدقة معناها الخاص ولا يمكن أن تحل محلها لفظة أخرى وهي محددة بشرط الإضافة إلى العقلاء، لتدل على حسن سياستهم(2).

وقد جاءت المقاطع الصوتية في هذه الآية الكريمة " ملك الناس " متنوعة ما بين مفتوحة ومغلقة، وأيضاً فإن التدرج في المقاطع ما بين قصير ومتوسط كل ذلك قد حَقَّق التناسق والدقة والقوة في المعنى، حيث أن هذه الآية الكريمة بدأت بمقطع قصير مفتوح

(1) لسان العرب، 362/8، مادة ( ملك ).

(2) انظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تح: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، 32 / 198.

وانتهت بمقطع قصير مفتوح. وهذا يُشعرنا بسكون النفس وراحتها واستعدادها لتقبل أمر ربه.

" إله النَّاسِ "

وتتكون هذه الآية الكريمة من أربعة مقاطع هي :

المقطع	إ	لا	هن	ناس
تكوينه	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح ص
نوع المقطع	قصير مفتوح	متوسط مفتوح	متوسط مغلق	طويل مغلق

مما سبق نرى أنّ هذه السورة قد تضمنت تناسباً دلاليّاً منتظماً يتضمن بلاغة برهانية تثير التأمل، وهو اسم لمن قام بتدبيره وإصلاحه، وهو من أوائل نعمه إلى أنّ ربه وأعطاه العقل فحينئذ عرف بالدليل أنه عبد مملوك وهو ملكه، فتى بذكر الملك، ثم علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه، وعرف أن معبوده مستحق لتلك العبادة عرف أنه إله، فلهذا ختم به<sup>(1)</sup>.

وقد تنوعت المقاطع الصوتية في هذه الآية الكريمة ما بين قصير مفتوح، ومتوسط مفتوح، ومتوسط مغلق، وطويل مزدوج الإغلاق، وهذا التنوع والتدرج في المقاطع بالزيادة عدداً وطولاً يشعرون براحة واطمئنان وأمان؛ وذلك لما يحققه العياذ بالله سبحانه وتعالى من سكينه وهدوء في النفس البشرية.

وقد خُتمت هذه الآية بصوت السين هذا الصوت الاحتكاكي المهموس الذي يدل على اللين واللفظ والرفقة. كما أن الترتيب بين هذه الآيات " رب الناس. ملك الناس. إله الناس

(1) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، 198/32.

" فيه إشعار بمراتب النظر في معرفة الله تعالى، فالناظر يعلم في أول أمره أن له رباً بسبب ما يشعر به من وجود نفسه، ونعمة تركيبه، ثم يتغلغل في النظر فيشعر بأن ربه هو الملك الحق الغني عن الخلق، ثم يعلم أنه المستحق للعبادة فهو إله الناس كلهم<sup>(1)</sup>. وتأتي الآيات الثلاث الأخيرة بالمقاطع المتنوعة عدداً وطولاً لتنبه إلى أمر خطير مهلك، ألا وهو شر الوسواس الخناس من الجنة والناس. وهذه الآيات الثلاث تدور حول هذا الموضوع نفسه.

وقد استهلّت هذه الآيات الكريمة بذكر الصفة أولاً، " ..... الوسواس الخناس " ثم تحديد عمله " الذي يوسوس في صدور الناس "، ثم تحديد ما هيته " من الجنة والناس ". وهذا الترتيب يثير في الحس اليقظة والانتباه، لتبين حقيقة الوسواس الخناس بعد إطلاق صفته في أول الآيات، ولإدراك طريقة فعله التي يتحقق بها شره تأهباً واستعداداً لدفعه أو مراقبته<sup>(2)</sup>

﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾

وتقطع هذه الآية كالتالي:

طع	من	شَرَّ	رل	وس	وا	سل	خن
ينه	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص

(1) انظر: بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر: التحرير والتنوير" تحرير المعنى السديد وتنوير

العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، الدار التونسية للنشر، تونس، ( د.ت )، 633/3، وانظر : الرازي :

التفسير الكبير، 32 / 198.

(2) انظر : القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: تفسير القرطبي، دار الريان للتراث، د.ت ،

.7354/10



المقطع	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق
--------	------------	------------	------------	------------	------------	------------	------------

﴿ الَّذِي يُسَوِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾

وتقطع هذه الآية كالتالي:

د	ال	لا	ذي	يُو	وس	و
تكوينه	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح
نوع المقطع	متوسط مغلق	متوسط مفتوح	متوسط مفتوح	متوسط مفتوح	متوسط مغلق	قصير مف

المقطع	في	صد	دو	رن	ناس
تكوينه	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح ص
نوع المقطع	متوسط مفتوح	متوسط مفتوح	متوسط مفتوح	قصير مفتوح	طويل مغلق

﴿ مِنْ الْجَبَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

وتقطع هذه الآية كالتالي:

المقطع	مِ	نل	جن	ن	ة	ون	ناس
تكوينه	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح
نوع المقطع	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق	قصير مفتوح	قصير مفتوح	قصير مغلق	طويل

فالملاحظ على هذه المقاطع والتي تنوعت بين القصير المفتوح، والمتوسط المغلق، والمتوسط المفتوح، والطويل المغلق، أنها تمثل أسهل المقاطع العربية نطقاً، كما أنّ لهذه الآيات الكريمة وضوحاً سمعياً عالياً مميزاً وقد اكتسبت هذا الوضوح من وفرة الأصوات اللغوية عالية الوضوح فيها، كصوت السين الذي تكرر كما ذكرنا سابقاً عدة مرات في هذه السورة الكريمة.

وقد أُختير هذا الصوت بصفة خاصة؛ لإبراز هذه الوسوسة، وما يلقيه الشيطان في روع الإنسان؛ ليزين له بذلك ارتكاب المعاصي، وهو أدلّ بجرسه الصوتي الاحتكاكي الهامس على تصوير حالة الهمس الخفي، وقد أعانته على ذلك بعض الأصوات الأخرى التي تقاربت معه مخرجاً منها الصاد المطبق الذي يشترك في كلّ خصائصه الصوتية مع صوت السين، ويزيد عليه الإطباق<sup>(1)</sup>، ويشترك معه صوتُ الفاء وهو صوت رخو مهموس شفوي أسناني احتكاكي. فهذه الأصوات الثلاثة تشترك في صفتي الهمس والاحتكاك<sup>(2)</sup>، وصوت الواو الذي شارك في إبراز هذه الوسوسة وهو صوت شبه صائت مجهور شفوي حنكي يخرج من أقصى اللسان<sup>(3)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ وجود بعض الأصوات الأخرى كصوت اللام والميم. قد أكسب هذه الآيات الكريمة الإيقاع الهادئ من أجل الوصول إلى الطريقة الصحيحة التي يتم من خلالها التخلص من عداء الشيطان و وسوسته، ومن ثم الوصول إلى الطريق الصحيح طريق النفس المطمئنة. وكذلك فإنّ صوت النون والتي تمثل أكثر الصوامت تكراراً في هذه السورة الكريمة قد أعطى لهذه السورة الكريمة إيقاعاً مناسباً ، كما أن أغلب الأصوات التي وردت في هذه الآية الكريمة أصوات احتكاكية مهموسة والاحتكاك يدل

(1) انظر : أنيس ، إبراهيم : الأصوات اللغوية ، ص : 68.

(2) انظر : السابق نفسه، ص : 44.

(3) انظر : السابق نفسه ، ص : 41.

على اللين، والهمس يدل على اللطف والرقّة وهذا يتفق مع معنى الوسوسة والوسواس في الخفة والخفوت<sup>(1)</sup>.

### الخاتمة:

قد تناول هذا البحث دلالة المقطع الصوتي في سورة النَّاس، وهي كغيرها من سور القرآن الكريم تمتلك تناسقاً صوتياً معجزاً، وقد كان هذا التنوع في المقاطع الصوتية معبراً عن المعنى ومتوافقاً معه.

كما تميزت أصوات هذه السورة العظيمة بوضوح سمعي يوائم ما تحمله من تحذير من شر الوسواس الخناس، وتكرار لفظ " النَّاس " بأصواته في فواصل هذه السورة الكريمة يُسهّم في بعث الراحة والاطمئنان

### المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- 1 - أحمد، محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط / 1 ، دار المعارف، القاهرة، 1984.
- 2 - الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، ط/3، دار القلم، دمشق، 1423 هـ ، 2002م.
- 3 - الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.

<sup>(1)</sup> انظر : الأصفهاني: في مفردات ألفاظ القرآن، ص : 869.

- 4 - الأنطاكي، محمد، الوجيز في فقه اللغة، دار الشروق، بيروت، 1969.
- 5 - أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية.
- 6 - أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، ط/2، مطبعة الكيلاني، القاهرة، 1967.
- 7 - الحسنوي، محمد ، الفاصلة في القرآن، ط/2، دار عمان، عمان، 1406هـ، 1986م.
- 8 - الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تح: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية.
- 9 - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان، 1421هـ ، 2001م.
- 10 - ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان، يحي مير علم، دمشق، مجمع اللغة العربية.
- 11 - شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 12 - عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الدار التونسية للنشر، تونس (د. ت).
- 13 - عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ط/3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ ، 1977م.

- 14 - عكاشة، محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ط/1، دار النشر للجامعات، مصر، 1426، 2005م.
- 15 - عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، علم الكتب، القاهرة، 1976م.
- 16 - ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، 1399هـ، 1979م.
- 17 - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير القرطبي، دار الريان للتراث، (د. ت.).
- 18 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط/4، مكتبة الشروق الدولية، 2004، 1425م.
- 19 - محمد، سناء طاهر، واسماعيل، حازم زنون، دلالة المقطع الصوتي في سورة الناس، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (20)، العدد (11)، 2013، ص 4.
- 20 - مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، ط/1، دار الكتاب الإسلامي، 1424هـ، 2003م.
- 21 - ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، 2002م.
- 22 - ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ط/1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1404هـ، 1984م

## المقالة الذاتية في أدب أحمد جمعة

إعداد: أ. فاطمة رجب محمد موسى

## المقدمة :

الحمد لله حمداً يليق بعظمة جلاله ، متبوعاً بالشكر والامتنان ؛ لأنه تفضل علينا بما لا يُعد ولا يُحصى من النعم ، فَمَنْ عَلَيْنَا بنعمة العقل ، ووهبنا التفكير ، وخصنا بالعلم والمعرفة، وهياً لنا القدرة على التعبير في عمليات عقلية تدل على قدرته سبحانه وتعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، المبعوث رحمة للعالمين .

أما بعد، فإن الإبداع أحد القدرات العقلية للإنسان ، والمبدع هو الذي ينقل إلينا من خلال مشاهداته وإحساساته ورؤاه ، كل تلك اللوحات الفنية في كل فنون الإبداع ، وتعد المقالة إحدى تلك الفنون التي نشأت وتطورت بفضل قدرات المبدع وتفانيه في الرقي بهذا الفن ، الذي يستوعب الكثير من الأجناس الأدبية الأخرى في داخله ، كالفنون الشعرية ، والنثرية المختلفة.

إن الإبداع الأدبي ابتكار ، ينجزه الكاتب في خضم حالة وجدانية تتشكل فيها بعض مشاعره وأحاسيسه ؛ وتتحول إلى كلمات تتسجم في جُمل ، تتدفق بالمعاني التي تشكل بدورها المضامين التي يسعى الكاتب للتعبير عنها.

وتعتبر المقالة الذاتية من النصوص الأدبية التي اعتمد كتابها في ابداعاتهم على العنصر الذاتي ، من خلال نقل الانفعالات والمشاعر للمتلقي بكل تلقائية دون تكلف وتصنع ، وانصب الاهتمام في هذا البحث على المقالة الذاتية في أدب الكاتب أحمد

جمعة ، حيث إن هذا العنصر يبدو ظاهراً وجلياً في كتاباته التي تنوعت فشملت المقالات ، والرسائل ، والقصائد التي تتدرج تحت مفهوم الشعر الحر .

### مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية :

س1 . من هو الكاتب أحمد جمعة ؟

س2. ما الأجناس الأدبية التي كتب فيها؟

### الهدف من البحث

يهدف البحث إلى ما يأتي :

1.. التعريف بالأديب أحمد جمعة.

2. عرض بعض مؤلفات الكاتب .

3 . الوقوف على خصائص أسلوب الكاتب من خلال دراسة بعض أعماله.

### أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

1- التعريف بالكاتب المبدع أحمد جمعة من خلال عرض بعض من نتاجه الأدبي.

2 - التركيز في البحث على تحليل المقالة ، لأنها لا تحظى بالدراسة الموضوعية مثل باقي الأجناس الأدبية الأخرى كالقصة والرواية مثلاً.

3 - دراسة وتحليل أحد مقالات الكاتب أحمد جمعة للوقوف على خصائص أسلوبه.

### المنهج المتبع في البحث

قد وقع اختياري على المنهج التكاملي ، لأنه يتفق مع طبيعة هذا البحث ، حيث حاولت من خلاله جمع المعلومات عن الكاتب أحمد جمعة، واقتناء بعض كتبه التي تتضمن كتاباته الشعرية والنثرية لغرض تتبع رحلته الإبداعية ، والتعريف ببعض مؤلفاته ، ثم تحليل أحد مقالاته ، وبذلك شمل البحث الجانب النظري والتطبيقي ، وقد تضمن البحث المقدمة ، والمباحث التي تضمنت العديد من المطالب ، والخاتمة التي تضمنت نتائج البحث ، ثم التوصيات ، وثبت بالمصادر والمراجع التي استعنت بها على إنجاز هذا البحث.

### المبحث الأول : التعريف بالأديب أحمد جمعة

**المطلب الأول : حياته :** ولد الأديب أحمد جمعة ، في قرية من قرى ضواحي مدينة الخمس ، سنة 1948م .

**نشاطه العلمي :** درس الكتاب في إحدى قرى ضواحي المدينة ، تحصل على الثانوية العامة بالقسم الأدبي ، ثم التحق وتخرج في جامعة قار يونس ببنغازي (كلية الآداب سابقاً) عام 1972م قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، حاضر في الأدب والفلسفة .

**نشاطه الأدبي :** تنوع نتاجه الأدبي بين الشعر الحر ، والمقالة ، والخاطرة ، والرسالة ، ونشر معظم مقالاته في صحيفة الزحف الأخضر ، وبعضها في صحيفة الجماهيرية (1).

**نشاطه العملي :** عمل معلماً في مدينته ، وكان عضواً في نقابة المعلمين بالجماهيرية ، حضر عدداً من اللقاءات والندوات المتعلقة بمجال علم الاجتماع(2).



**ثقافته :** يتمتع الأديب بثقافة واسعة ، يلمسها القارئ من خلال اطلاعه على كتاباته المتنوعة، وبخاصة في المقالة حيث تحتوي مقالاته على معلومات وأحداث ، تتم عن اكتسابه لقسط كبير من الثقافة العامة.

### مؤلفاته في مجال المقالة :

1- محطات وأشياء أخرى صغيرة : هو كتيب صغير ، يقع في مئة وعشر صفحات ، صدرت الطبعة الأولى منه عن دار النيهوم في مصراته سنة 1995م ، يحتوي على إحدى وأربعين مقالة متنوعة المواضيع.

2 - عاشق النسيان (مقالات ورسائل) : كتاب من القطع الكبير، صدرت الطبعة الأولى منه عن المرقب للطباعة سنة 2009م و يحتوي على مئتين وأربع وعشرين صفحة بين مقالة ورسالة.

---

1- أحمد جمعة - محطات وأشياء أخرى صغيرة - ط1 - 1995م - الجماهيرية العظمى - ص الغلاف.

2 - عبد الله سالم مليطان - معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين - ج1 - دار مداد - ط1 - 2001م - ص 70

تفتظ الساحة الأدبية في ليبيا بكم هائل من الكتاب والكاتبات في مجالات الإبداع كافة ، ويعد الأديب أحمد جمعة أحد هذه الأعلام المبدعة ، التي نثرت عذاباتنا على صفحات الأوراق ، في صمت دون ضجيج ، مبدع مولع بالكلمة ، وعاشق للكتابة ، والدليل على ذلك رصده للحدث اليومي ، والتعبير عنه بكل عفوية وصدق.

## ولكن لماذا أحمد جمعة ؟

يبدو السؤال كبيراً ، وقد لا تسعفني العبارة حتى أختزل إجابته في بعض السطور ، ولكن سأعدد بعض أسباب اختياري لهذه الشخصية المسكونة بالألم والعذاب ، والمعبرة بصدق عن إحساسات القلب الجريح الحزين ، والروح التائهة في خضم هذا الوجود ، تبحث عن ذاتها ، وتحاول التعبير عن الألم والوجع والفجيرة لتعمر فضاءات السطور بما يعتمل في الأعماق من مشاعر وأحاسيس .

وقد وقع اختياري على هذه الشخصية لأنها :

1- شخصية أدبية معطاء ، ترصد لحظة الإبداع ، وتحيلها نثراً جميلاً ، يفيض بالعاطفة الصادقة حيال الأشخاص والوجود .

2 - هذه الشخصية التي تطاوعها الكلمات ، وتنتال عليها العبارات ثرية ، وبسيطة ، ومعبرة في عالمها الجميل بإحساساته الدفاقة ، المفعمة بالإدراك ، المتحسسة لما يلج في هذا الوجود لمحاولة اقتناص لحظة الإبداع ، والتعبير عما يختلج في داخلها من مشاعر مسرلة بالحزن العميق ، غالباً ما تشعر به من خلال كلماته وتعابيره المشحونة بالألم والفقد والحرمان .

3 - هذا القلم المبدع صارح هموم الحياة ، وامتنص مرارة فقدان ، ونقل إلينا عبر همساته وآهاته المصاغة فتاً يطلق عليه فن المقالة ، فإلى جانب محاولاته الشعرية ، حاول المبدع أن يدخل عالم المقالة ، ويرصد لنا صور الحياة المختلفة من خلالها .

4 - إن ما وقع تحت يدنا من كتاباته ، جدير بالبحث والدراسة نظراً للتدفق الإنساني الذي يكتنفها ، فعاشق النسيان أوجد إرثاً ثقافياً ضمنه خلاصة تجاربه الحية الواقعية كي لا

يُنسى ، ونحن إذ نسلط الضوء على أعماله في هذا البحث المتواضع ، كونه مبدعاً في مجال الرسالة والمقالة ، وإن المطلع على مقالاته يشعر بأن الألم يعتصر قلبه ، وأن الوجود معتم أمام عينيه كيف لا وهو يعيش فقدان ويكابد حرقته ، فقد ودع أحبته واحداً تلو الآخر ، ثم مأساة عجزه الجسدي ، الذي يستولي على تفكيره لكنه لم يثته عن مواصلة الإبداع.

### المطلب الثاني : الشرح والتحليل للنص

وقع اختياري على المقالة التي عنونها الكاتب (( قراءة في أول شتاء بعد الرحيل)) (1) لأن فيها شحنة من العاطفة القوية ، التي جاءت نتيجة لفقد حقيقي لا يمكن أن يعبر عنه الإنسان إلا بمداد الصدق الناجم عن الانفعال الحقيقي الواقعي ، وهنا تتجسد الذاتية بكل أبعادها.

وسيكون الشرح والتحليل على الوجه الآتي: -

#### 1- العنوان ومدى ملاءمته للموضوع

يعتبر العنوان من الأساسيات التي تقوم عليها المقالة ، وهو يمثل الجزء الأول من المقدمة ، ونكمن أهميته في جذب القارئ ، وتشويقه ، والتعريف بالفكرة العامة للمقالة ، فكلما كان العنوان شائقاً ، ومثيراً ، ومدعياً حقق الغاية منه ، ولعل من أهم مميزاته الإيجاز ، حيث يمكن أن يكون مختصراً في كلمة واحدة مثيرة ودالة، أما المقدمة فيجب أن تقدم الفكرة العامة لموضوع المقالة ، بينما تترك التفاصيل للعرض (2) ، وقد بدأ الكاتب مقالته واصفاً لها بعنوان (( قراءة في أول شتاء بعد الرحيل)) ويلاحظ أنه لم يكن موفقاً في استعمال كلمة قراءة ، لأن قراءة أو قراءات تستعمل عند النقاد

بمعنى وجهة النظر النقدية الذاتية مع عدم التعمق ، وهو في هذه المقالة لا يقوم بعملية نقد ذاتية ولا موضوعية ، ولكنه رصد لنا حالة وجدانية واقعية ، شعر بها بكل حواسه وعائشها بكل إحساساته ، وحاول التعبير عنها ، بكل ما أوتي من مقومات الإبداع عنده.

1 - أحمد جمعة - عاشق النسيان ورسائل أخرى - المرقب للطباعة - 2009م ص 162  
 2 - د محمد نجيب التلاوي - د/ مراد عبد الرحمن مبروك - فن التعبير - مكتبة الثقافة الدينية - لاط - لات ص 110 وما بعدها.

حاول الكاتب أن يعبر عن نوعين من قسوة الإحساس بالبرد ، وتمكنه من أوصال جسده ، وكوامن روحه الغريبة في وحشة الكون ، الذي خلا من أمه إلى الأبد.

النوع الأول : الشعور بالبرد الخارجي بفعل طقس فصل الشتاء البارد فعلاً ، أي طبيعة الفصل الشتوي وما يصاحبها من أمطار غزيرة ، ورياح قوية عاتية ، وبرودة شديدة ، وتلج متناثر ، تلك الأجواء التي تنقلها الحواس فيقتسعر لها البدن.

النوع الثاني : الشعور بالبرد العاطفي الذي سرى في روحه ، والفقد الوجداني الذي احتل قلبه، فشعر بالوحدة ، والغربة ، وعاش فقدان الدفاء العاطفي ، الذي كانت تمده به والدته منبع الحنان كما يصفها ، ولكنه بعد رحيلها فقد كل ذلك ، فكأن كل تلك القيم الإنسانية : الحب ، والوفاء ، والحنان، والتضحية ، مرتبطة بوجودها، وحين رحلت أخذت معها كل تلك المشاعر الإنسانية الرائعة ، التي تعين الإنسان على العيش في هذه الحياة بكل تناقضاتها.

لماذا اختار الكاتب فصل الشتاء ليصور فيه مأساته ومعاناته دون غيره من الفصول؟ اختار الكاتب فصل الشتاء ليصور في أجوائه حالته النفسية المضطربة، فالاضطراب الخارجي يوازيه اضطراب داخلي في ذات الكاتب نفسه ، ولأن الناس في الشتاء يحتاجون للدفاء ويسعون لتوفيره واستعمال مصادره من ملابس ، ومأكلاً ، وركن يشع منه الدفاء في إحدى زوايا حجرات البيت ، وجلساء يخلصون المودة والمحبة ، فيشعرون الجليس بالدفاء العاطفي الذي يدخل إلى نفسه الاطمئنان والراحة والسكينة.

إن الكاتب يرى بعين عقلة أن الشتاء قد عاد بأيامه ، ولياليه الباردة ، والممطرة ، ويرى بعين عاطفته أنه يفتقد الدفاء الذي كان يسعد به فيما مضى من شتاءات ، مع منبع الحنان التي لم تبخل عليه بالحب ، والحنان ، والعطف ، والدفاء ، وهو يفتقدها في هذا الشتاء الأول لرحيلها ، ويفتقد معها كل تلك الإحساسات المفعمة بالمحبة والدفاء ، إنه الغياب الأبدي ، والحرمان المطلق من دفاء الحياة برمتها ، وليس فصل واحد منها فقط.

اعتمد الكاتب في تقديم مقالته على الشكل القصصي ، واستعاض عن الحوار المباشر بالحوار المخزن في الذاكرة ، إلى جانب حديث النفس الداخلي ، ليخبر عن الفراغ العاطفي ، والأسري ، والاجتماعي الذي خلفه رحيل الأم ، فدورها لم يكن مقتصرًا على أفراد أسرتها فقط ، بل اتسعت إنسانيتها حتى شملت غيرهم من الناس ، وكذلك الكائنات الأخرى ، لما تتمتع به من الرحمة ، والمودة الصادقة ، والإحساس بالآخرين.

يعد الاستهلال من العناصر الأساسية في النصوص الأدبية ، وقد حرص الأدباء والشعراء على هذا العنصر وأولوه اهتماماً كبيراً في الشعر والنثر ، وقد كان الكاتب موفقاً

حين استهل مقاله بوصف المكان قائلاً : (( المكان في الغرفة الباكية ، الذي كنت تشغيله\*فارغ كأن قطرات المطر دموعه ، دموعي ليست غزيرة مثله ))(1) ، فوصف المكان يدل على مدى الإحساس بالفراغ الذي يشعر به بعد رحيل أمه ، وكأن الفراغ الكبير الذي تركته في داخله ، يماثل الحيز الخالي من الغرفة التي تصور أنها تفتقد صاحبته أيضاً وتبكيها ، حيث جسد منها إنساناً باكياً لما يعتريه من الألم بسبب فقدان صاحبته ورحيلها عنه ، والكاتب يرى أن دموع ذلك المكان أغزر منه شخصياً ، إمعاناً في استنطاق الأشياء اللصيقة الصلة بالأم الراحلة.

وفي قوله : ((لم أعد أسمع (خذ بالك من البرد أنت مريض) بعد رحيلك يا منبع الحنان)) (2) يعبر الكاتب فينفي سماع النصيحة المتعلقة بصحته وسلامته من غيرها ، كما أنه يصور فقدانه لصوت أمه الذي كان يوجه له النصيحة ، التي وإن جاءت بصيغة الأمر فهي تدل على مدى حرصها على ابنها ، وأقصى ما تتمناه ألا يتفاقم عليه المرض وتساء حالته الصحية والنفسية معاً. وفي قوله: (( من يفقد أمه لا يسمع جُملاً\* \* دافئة من هذا النوع، من يفقد أمه وهو صغير فقد ضاع، ومن يفقد أمه وهو كبير فقد عاش في ضياع ، خاصة من فقدوا والدهم وهم صغار لأن الأم هي الأب والأب في ذات الوقت)) (3) يصل الكاتب إلى حقيقة مفادها أن فقدان الأم أمر عظيم ، فرحيلها عن الصغير مشروع ضياع في رحاب الحياة ، دون ناصح ولا مرشد خالص

1- أحمد جمعة - عاشق النسيان ورسائل أخرى - مصدر سابق - ص 162

2 - المصدر نفسه - 162

\*تشغيله : كذا وردت والصواب : تشغيله إذ لا موجب لحذف النون ، فالفعل لم يسبق بأدوات الجزم ولا النصب.

\*\*جُمَل : كذا وردت والصواب ما أثبتناه.

3 - المصدر نفسه - ص 162

النصح والإرشاد، حريص كل الحرص على حياة الطفل الصغير من كل جوانبها، فإذا كان هذا حال الصغير في السن الذي لم تكتمل مداركه بعد ليفهم الحياة وما فيها من خير وشر، فما بالك بالإنسان الكبير المدرك لبعض الأمور فيها، والذي يختزن في داخله كمّاً هائلاً من الذكريات مع أمه ، فهو حين يفقدها سيفقد معها طعم الحياة ، وخاصة حين يقارن حياته في كنف حياة أمه وحبها وعطفها ورعايتها ، وحين يكون فاقداً لها ولكل ما كانت تحيطه به عواطف إنسانية سامية متسامية لا يوجد بها بكل هذا السخاء إلا قلب الأم ، الذي لا يتوقف عطاؤه حتى آخر لحظة في العمر . وفي قوله: (( دفاء ، حنان ، بسمة ، فرحة قلب الأم لا يوجد مثلها في نساء العالم ، حب الأم لا تعرفه أبجدية اللغات ، وفاء وتضحية الأم لا يعرفه العقل بعد.)) (1) صور لنا الأم بأنها مبعث الدفاء، والحنان ، والبسمة، والفرحة ، وبعد رحيلها رحلت كل هذه المشاعر السامية، الخالدة ، الجميلة ، لأن مصدرها الأساسي قد اختفى من الوجود واختفت معه، ثم خص أمه بقلب دافق بالحب والحنان لا تملكه نساء العالم ، وأن ذلك الحب المتدفق منه قد أعجز كل اللغات في التعبير عن مدى عطائه بكل الصدق في العطاء، ثم بين لنا أن الوفاء والتضحية هما من أهم سمات أمه ، وهما صفتان مازال العقل لم يدرك كنههما حتى الآن .

وفي قوله : (( لا يوجد إنسان فرد وهو مريض يفضل أو يختار الموت قبلي ، وأنا مريض مشلول ، وهي عاجزة إلا أمي ))(2) نفي أن يوجد إنسان في الوجود يفضل الموت قبله وهو يعاني من المرض المزمن الذي لا طائل من علاجه ، فالشلل قد أعجزه وأقعده ومنعه من ممارسة حياته الطبيعية في أبسط شؤونها ، وهو في هذه الحالة أحوج ما يكون إلى أمه ، بالرغم من عجزها عن مساعدته كما يجب ، ولكنه يكتفي منها ولو بالندر اليسير كالدعاء والمؤانسة في مثل هذه الحالة ، وعلى الرغم من سوء حالته الصحية فإنها التي تتمني له الحياة ، وتختار الموت قبله حتى لا تفجع فيه ، وتعيش لوعة فراقه وفقدانه وغيابه عنها ، وهنا تتجسد التضحية التي

1- المصدر نفسه - ص 162

2 - المصدر نفسه - ص 162

وصفها بها وأكبرها فيها . وفي قوله : (( فليذهب التاريخ والعلم وأبجديات اللغات إلى الجحيم ))(1) لقد لجأ الكاتب إلى النقمة على الأشياء وهي من سمات الكاتب المقالي ، على ألا يكون مسرفاً في نعمته على الحياة بكل ما فيها بحدة مطلقة ، والمرجح أن دافع تلك النقمة عند الكاتب نابع من مقدار التضحية الجسيمة التي تقدمها أمه وهي أن تفضل الموت قبله ، فهذه التضحية بموجبها يشق التاريخ والعلم وأبجديات اللغات طريقهم إلى الجحيم جميعاً ، ويبرر ذلك قائلاً : (( لأنهم مهما أتوا من بيان لم ولن يستطيعوا وصف منبع حنان ووفاء وتضحية أمي ))(2) مبيناً أن التاريخ الذي تكمن في طياته الأحداث المختلفة في العالم ، والعلم الذي أدركه الإنسان ويجهل جله ، واللغات المختلفة ، كل



هؤلاء سيقفون عاجزين أمام رصد هذه التضحية وتجسيدها في حدث وكلمات. وفي قوله : (( إنها أكثر من ملاك وأكبر من قداسة من قدسية بعد الله عرفتها في حياتي)) (3) يرى الأم بقلب المحب الصادق في الحب اللامحدود فيضفي عليها من الصفات بما يليق بمقامها عنده ، وفي قوله: (( أتخيل وأنا مقعد منبع حناني وهي في القبر نائمة لم يتحلل جسدها لأنها ملاك)) (4) يتخيل الكاتب أمه في قبرها ، ليجزم بأمنية يتمناها ألا يتحلل جسدها في التراب كباقي الأجساد ، بل يبقى مسجى وكأنها نائمة على أمل أن تستيقظ من رقدتها، حتى لو كان ذلك خيالاً لا يمكن تحقيقه بعد الرحيل الأبدي عن الحياة ، وقد أنزلها منزلة الملاك حتى لا يتبادر لذهنه مطلقاً كونها تلاشت عبر السنين في ذرات التراب كما هو حال كل الموتى ، فهي كالملاك لا تتلاشى مطلقاً وإن غيبها الموت وهو من طبيعة الحياة والأحياء.

وفي قوله: (( ولأن عذابها في الكفاح من أجلنا مرير ، قاس ، وعنيف ، أشعر بالبرد القارس\* ، وفوراً ينتقل خيالي للقبر، وكأنني أريد أن أقول لها : خذي بالك من البرد مع أنني أعلم

---

1- المصدر نفسه - ص 162

2- المصدر نفسه - ص 162

3- المصدر نفسه - ص 162

4- المصدر نفسه - ص 162

\*القارص : كذا وردت والصواب ما أثبتناه.

أنها فقدت الإحساس ، وأنها بجوار الغفور الرحيم ، دفؤه\* فاق كل دفء متعارف عليه)) (1) إلى جانب أمنيته بألا يتحلل جسد أمه في التراب ، ومن أجل ذلك أنزلها منزلة الملاك ، نجد الكاتب يضيف شيئاً آخر لمنع ما يكره حدوثه من التحلل والتلاشي والفناء ، ويحاول إقناع نفسه معللاً ذلك بالكفاح المرير والطويل الذي كابدته الأم من أجل أبنائها ، فهو لن يضيع سدىً عند الله عز وجل ، وما إن شعر بالبرد يهز برعدته كيانه الهزيل ، حتى جنح به الخيال إلى أمه في قبرها، حيث تزامن شعوره بالبرد بعبارتها التي لم يعد يسمعا من أحد بعدها (( خذ بالك من البرد أنت مريض)) (2) هذا أشعره بحاجته أن يحذر من البرد وينصحها بأن تتقيه ، ثم يقف على حقيقة مؤلمة ألا وهي فقدانها للإحساس ، ثم يطمئن نفسه عليها فيعمد إلى إدراكه بأنها بجوار لا يقاس بجوار أحد أبداً ، إنها بجوار الله الغفور الرحيم ؛ وإنه لنعم الجوار الذي لا يضام ولا يظلم جاره، وإن ما يخاف أن ينتابها من شدة البرد الروحي لن يحدث لها ؛ لأن دفء الله الأبدي لا نظير له مطلقاً.

وفي قوله: (( ماذا أفعل؟ لن تطاوعني هذه النفس ، خيالي الجامح ينقلني ويكشف لي القبر أراك فيه مستلقية فيه كأنك في قبولة)) (3) يتساءل الكاتب تساؤل العاجز عن فعل أي شيء يمنع نفسه من ثورات الحنين التي تنتابها للأم المفقودة جسداً والباقية روحاً ، تطوف في المكان مذكرة بزمن وجودها وعطائها العاطفي والمادي الذي لن يطويه النسيان في طياته على الرغم من توالي السنوات ، إنه حائر وممزق بين عدم طاعة نفسه له ، وبين خياله الجامح الذي لا يمكن كبحه ، حيث إنه يأخذه إلى القبر ، ويرسم له

الصورة التي يود أن يرى أمه عليها ، فهي تبدو مستلقية وكأنها نائمة في راحة وسكينة ويرجو استيقاظها بعد حين ، لأنه لم يشأ أن يتصور أنها فارقت

1- المصدر نفسه - ص 162

\*دفعته: كذا وردت والصواب ما أثبتناه.

2 - المصدر نفسه - ص 162

3 - المصدر نفسه - ص 162

الحياة الدنيا إلى الأبد . وفي قوله: (( ولم أتصور تحلل جسدك الطاهر العفيف لعذابك الطويل من أجل اليتامى في العوز والقحط والجفاف ))(1) ينفي عن نفسه أن يتصور أن جسد أمه الشريفة العفيفة ، لم يعد له وجود ، بل تحلل وتلاشى وضاع بين جزئيات التراب ، وهو لا يتصور حدوث ذلك لأنها عانت مشقة الحياة من أجل أبنائها اليتامى في ظروف قاسية ، اتسمت بالفقر والحاجة لأبسط مقومات الحياة الكريمة. وفي قوله: (( لو كانت نساء العالم مثلك لانعدمت الجرائم والكراهية والحقد من العالم ، وساد الحب ، والوفاء ، والعفة ، والنزاهة والطهارة ))(2)

يرشدنا الكاتب إلى صفات تتحلى بها أمه دون نساء العالم ، ويتصور لو أن النساء تمتعن بصفاتها ، لانعدمت الجرائم بأنواعها كافة ، وزالت الكراهية ، وتلاشى الحقد وعمت العالم بأسره الفضائل الكثيرة ، كالحب ، والوفاء و العفة ، والنزاهة ، والطهارة. وفي قوله: (( كيف لي أن أتصور تحلل الجسد وعذاب القبر ، وأنت لم تفتري يوماً في الصيام رغم الداء الذي يمخر جسدك ، وصلاتك حتى وأنت مقعدة لم تتركي وقتاً

منها)) (3) يحاول أن يقنع نفسه ويؤكد لها ، بأن الأذى لن يصيب أمه في قبرها ، لأنها ذاقَت العذابات المختلفة في خضم الحياة وظروفها الصعبة ، ويتعمد أن يقنع نفسه بوقائع عايشها فعلاً مع أمه ، فهي تؤدي الطاعات إلى الله عز وجل من صيام وصلاة حتى وهي في حالات ضعفها. وفي قوله: (( كيف لي أن أتصور العذاب وأنت عودت أولادك على الأمانة والوفاء والرأفة بالحيوان والإنسان ، ومقابلة السيئة بالحسنة ، كيف لي أن أتصور العذاب ، وأنت علمت أولادك أهمية صلة الرحم والعطف والتصدق على الفقراء والمحتاجين والكرم والسخاء )) (4) يتساءل الكاتب المسكون بالأسئلة في استغراب كيف له أن يتصور تتحلل جسد أمه في القبر وتلاشيها في العدم ، فذلك يستبعده من فرط حبه لها وتعلقه بها ، فهو لن يصدق ما قد يحدث ، لأن أمه لديها أياد بيضاء على أسرتها وخارج نطاقها ،

1 - المصدر نفسه - ص 162

2 - المصدر نفسه - ص 162 - 163

3 - المصدر نفسه - ص 163

4- المصدر نفسه - ص 163

وقد شمل عطفها الإنسان والحيوان ، فهي التي أحسنت تربية أبنائها على الفضائل كالأمانة ، والوفاء ، ونصحت فأحسنت النصيحة كالترفق بالإنسان والرأفة بالحيوان ، ودعت إلى صلة الرحم وحثت على التصديق على كل من يحتاج إلى المساعدة والمعونة.

وفي قوله: (( لا والله لن يخامرني شك في مقامك الرفيع بين يدي الله عز وجل ، هذا ما يبعث في نفسي الهدوء والسكينة ، رغم حرقة ومرارة فراقك الأبدي في هذه الدنيا ، ووجدتي القائلة في شللي ومرضي وأحزاني ))(1) ينفي الكاتب ويؤكد ذلك النفي بالقسم بأنه لن يتسرب الشك إلى نفسه ، بأن أمه في مقام رفيع عند الله عز وجل ، لإيمانه المطلق في رحمته ، وذلك الإيمان المدعم باليقين ، هو الذي يشعره بالراحة على الرغم من إدراكه الأكيد لحرقة ومرارة الفراق الأبدي؛ وهو يعايش ويلزم حالة من الضيق النفسي الناجم عن رحيل أمه إلى الأبد ، والوحدة القائلة بدونها ، إلى جانب حالته الصحية التي تزيد من آلامه وأحزانه.

### المطلب الثالث : طريقة عرض الفكرة

**1- السرد القصصي :** اعتمد الكاتب في عرض فكرته على طريقة السرد القصصي ، حيث اشتملت المقالة على شخصيات تمثلت في الكاتب وأمه ، كما أنه حدثنا عن أحداث وقعت فعلاً ، كمعاناة والدته من أجل أن يعيش أبنائها الحياة الكريمة ، ثم تحدث مع نفسه وخاطب أمه من خلال بعض الجمل والتساؤلات التي كان يطرحها عدة مرات في حوار داخلي مع الذات مثل قوله :

— كأني أريد أن أقول خذي بالك من البرد.

— ماذا أفعل؟ لن تطاوعني نفسي.

— لم أتصور تحلل جسدك الطاهر العفيف لعذابك الطويل من أجل اليتامى .

— لو كانت نساء العالم مثلك لانعدمت الجريمة والكرهية والحقد من العالم، وساد الحب ، والوفاء ، والعفة ، والنزاهة والطهارة.

## 1- المصدر نفسه - ص 163

- كيف لي أن أتصور تحلل الجسد وعذاب القبر ، وأنت لم تقطري يوماً في الصيام رغم الداء الذي يمخر جسدك ، وصلاتك حتى وأنت مقعدة لم تتركي وقتاً منها.

- كيف لي أن أتصور العذاب وأنت عوّدت أولادك على الأمانة والوفاء والرأفة بالحيوان والإنسان، ومقابلة السيئة بالحسنة . كيف لي أن أتصور العذاب ، وأنت علمت أولادك أهمية صلة الرحم والعطف والتصدق على الفقراء والمحتاجين والكرم والسخاء.(1).

**2 - الوصف ودوره في النص :** استعان الكاتب بالوصف في نقل مشاعره ، فوصف الغرفة بأنها باكية ، والمكان في الغرفة الباكية بأنه فارغ ، وقطرات المطر بالدموع الغزيرة ، وأمه بمنبع الحنان، وذلك المنبع فياض بكل المشاعر الإنسانية السامية كالدفء ، والحنان، والبسمة، والفرحة، والحب ، والوفاء ، والتضحية ، فكل هذه الصفات يرى أنها تتجسد في أمه ، وكلها يفتقدها بسبب رحيلها عن دنياه، ووصف جسدها بالطهارة والعفة وتصورها مستلقية ونائمة كي يبعد عن نفسه حقيقة كونها ماتت وانتهت من الوجود وتركته وحيداً وجدائياً ، فكل من حوله لا يملؤون ذلك الفراغ الكبير الذي تدور فيه ذاته شاردة ومشردة ، ونقل لنا صورة ما يعانيه ويكابده فوصف لنا حاله بالمقعد والمشلول والمريض والحزين، وأراد أن يوضح ما لأمه من فضل لا يقدر بثمن ، من خلال وصفه لكفاحها من أجل أسرتها ، ذلك الكفاح الطويل ، والمرير، والقاسي، والعنيف في ظروف صعبة وقاسية

وتكمن فائدة هذا الوصف ، في كونه نقل لنا ما يشعر به الكاتب من إحساس بالفقد ، والحرمان ، والوحدة ، وتقدير التضحية ، خاصة وهو يعيش فقدان منبع الحنان ، إلى جانب حالته الصحية المتدهورة الملازمة له ، وعذاباته الوجدانية الأخرى.

يلحظ أن أثر الكاتب يبدو ظاهراً في النص ، تجسد ذلك في الإحساس الصادق الذي عبّر به عن ما يعانيه من ذكرياته التي تجسدت في زمن وجود أمه معه ، فعلى الرغم من مآسي الحياة التي اجتاحت الأسرة بفقد الأب في زمن مبكر ، إلا أن الحياة لم تخلُ تماماً من الطمأنينة بسبب وجود منبع الحنان - كما راق له أن يصفها - فهو يشعر ويشعرنا بأن القيم الإنسانية

#### 1- المصدر نفسه - ص 162 - 163

التمثلة في الصدق ، والوفاء ، والتضحية ، والحب كلها كانت معاشة فعلاً ، ويشعر بها أفراد الأسرة ، لأن نبعها مازال دفاقاً بكل تلك الإحساسات والمشاعر ، ولكن بعد أن نضب ذلك المنبع المعطاء بكل عذب رقرق، دب القلق في النفس واحتل القلب الحرمان وتعاضم الشعور بالفقدان، وهامت روح الأديب على غير هدى ، تطارد الزمن الماضي لتتهل منه الصور والرؤى ، فنتور مشاعره ويأخذ في التعبير عنها بما يمكن أن ينقله إلى كلمات قد لا تترجم كل الشعور ولكنها مفعمة بالصدق الوجداني.

وقد كان عنصر التشويق ظاهراً في النص لسببين هما:

1- حسن اختيار الموضوع : حيث إنه يتضمن قيمة إنسانية قوية ، ومشاعر حيّة متقدة ، وإحساساً عميقاً بصعوبة فقدان وقسوة الحرمان ، بسبب رحيل الأم المؤلم والأبدي ، مع

توارد الذكريات و مثولها في آفاق الخيال ، لتذكر بالفاجعة ، و تتكأ جراح القلب في كل حين .

2- القدرة التي أظهرها الكاتب في نقل هذه المشاعر المتسريلة بالعذاب والحزن ، من فاجعة ذلك الرحيل الذي أخذ معه قيماً إنسانية لا توجد بكل هذا العطاء والصدق في كل الناس، وفي كل الأمكنة وفي كل الأزمنة.

### - المبحث الثاني : تحليل النص الأدبي من حيث عناصره

#### المطلب الأول : تحليل مفردات اللغة:

شغل : إنا في شُغْلٍ و شُغْلٍ ، وشغلنتني عنك الشواغل ، وشُغِلْتُ عنك ، واشتغلْتُ ، وتشاغلْتُ ، ولي أشغال وشُغُولٌ ومشاعلٌ ، وفلان فارغ مشغول : متعلق بما لا ينفع به ، وهو (( أشغُلُ من ذات النحيين ))، ومن المجاز : دار مشغولة : فيها سكان ، وجارية مشغولة : لها بعل ، ومال مشغول : مُعَلَّقٌ بتجارة (1).

الجامح : جَمَحَ الفرس براكبه أعتزّه على رأسه وذهب جرياً غالباً لا يملكه ، وتقول هذه دابةً

1- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - أساس البلاغة - دار الفكر - لبنان - لاط - 2000م ص 332

سَمَحَهُ ما بها جَمَحَةٌ ولا رَمَحَهُ ، وفسر جَمُوحٌ ، وبه جِمَاحٌ وجُمُوحٌ (.....) وفلانٌ جَمُوحٌ وجامحٌ : راكبٌ لهواه (.....) وجَمَحَ بفلانٍ مرادُه إذا لم يَنَلْهُ (1) .



صلة الرحم : رَحِمْتُهُ رحمة ومرحمة ورُحْمًا ، وما أقرب رُحْمَ فلان إذا كان ذا مرحمة  
 (.....) ومن المجاز : رَحِمَهُ الله ، وهو الرحمن الرحيم : الواسع الرحمة، وبينهما رَحِمَ  
 ورُحِمَ ، قال الهذلي: ولم يَكُ فِظًا قاطِعًا لِقْرَابَةٍ ولكن وَصُولًا لِلْقْرَابَةِ ذَا رُحْمٍ  
 ( وَ أَقْرَبَ رُحْمًا) وهي علاقة القرابة وسببها ، وَأُنْشِدُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ ، ووصلتُك رَحِمَ ،  
 ووصلوا الأرحام وقطعوها.(2)

الرأفة : رأف : الله تعالى رؤوف بعباده ، ورؤُفٌ ، وقد رؤف بهم ورأف ، وهو ذو رأفة  
 ورحمة ، وترأفَ الوالدُ بولده ، وما كان رؤوفاً ، وقد رأفته واسترأفته : استعطفته ، وترأف  
 القومُ ، وما لبني لا يتراءفون : لا يتراحمون(3)

مخر: فُلُكٌ مَوَاحِرُ ، تمخرُ الماء وتمخره: تشقه مع صوت ، ونشأت بناتٌ مَخْرٌ : وهي  
 سحابة الصيف تمخرُ الجوّ مخرًا ، واستمخرت الريح: استقبلتها بأنفي ، وخرجتُ أتمخرُ  
 الريحَ وأستشققها، ومخرتُ الأرضَ مخرًا : سقيتها لتطيب(4).

### المطلب الثاني : أنواع الجُمْل وتراكيبها في النص

استعمل الكاتب الجُمْل الاسمية والفعلية ، وقد تباينت في القصر والطول وهي على  
 النحو الآتي :1- الجُمْل الاسمية القصيرة ، ومنها : المكان في الغرفة الباكية – دموعي  
 ليست غزيرة مثله –

1 - المصدر نفسه - ص 98

2 - المصدر نفسه - ص 225

3 - المصدر نفسه - ص 213

4 - المصدر نفسه - ص 584 – 585

حب الأم لا تعرفه أبجدية اللغات – هذا ما يبعث في نفسي الهدوء والسكينة  
 2 - الجُمْلُ الفعلية القصيرة ومنها : أتخيل وأنا مقعد منبع حناني – أشعر بالبرد القارس  
 - خذ بالك من البرد.

3 - الجُمْلُ الطويلة ومنها : لم أعد أسمع ( خذ بالك من البرد أنت مريض) بعد رحيلك يا  
 منبع الحنان – أتخيل وأنا مقعد منبع حناني وهي نائمة لم يتحلل جسدها لأنها ملاك – لو  
 كانت نساء العالم مثلك لانعدمت الجرائم والكرهية والحقد من العالم .  
 المطلوب الثالث : عرض الأساليب المستعملة في النص وتحليلها:

### أولاً — الأساليب النحوية

اعتمد الكاتب على العديد من الأساليب النحوية في عرض فكرته ، منها:

- 1- أسلوب النداء في قوله : يا منبع الحنان.
- 2- أسلوب الشرط : ومنه أسلوب الشرط الجازم في قوله :  
 — من يفقد أمه لا يسمع جُملاً دافئة .  
 — من يفقد أمه وهو صغير فقد ضاع .  
 — ومن يفقد أمه وهو كبير فقد عاش في ضياع.
- مهما أتوا من بيان فلم ولن يستطيعوا وصف منبع حنان ووفاء وتضحية أمي .  
 وأسلوب الشرط غير الجازم في قوله :
- 2 - لو كانت نساء العالم مثلك لانعدمت الجرائم والكرهية والحقد.
- 3 - أسلوب الاستفهام في قوله :
- ماذا أفعل ؟ لن تطاوعني هذه النفس.

— كيف لي أن أتصور تحلل الجسد وعذاب القبر؟

— كيف لي أن أتصور العذاب؟

4 - أسلوب الاستثناء في قوله : لا يوجد إنسان فرد وهو مريض يفضل أو يختار الموت قبلي ، وأنا مريض مشلول وهي عاجزة إلا أُمي.

5 - أسلوب التفضيل في قوله :

— إنها أكثر من ملاك.

— أكبر قداسة من قدسية بعد الله عرفتها في حياتي.

6- أسلوب القسم في قوله : لا والله لن يخامرني شك في مقامك الرفيع بين يدي الله عز وجل.

#### 4 - أنموذج الإعراب

1- الجُملة المعربة مثل : كأني أريد أن أقول خذي بالك من البرد.

كأن : حرف تشبيه من أخوات إن.

ياء المخاطبة : ضمير مبني على السكون في محل نصب اسم كأن.

أريد : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره لأنه صحيح الآخر ولم يسبق

بناصب أو جازم والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا

— أن : حرف مصدري ونصب.

أقول: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره لأنه صحيح

الآخر والمصدر المؤول من أن والفعل في محل نصب مفعول به للفعل (أريد) والجملة

الفعلية ( أريد أن أقول) في محل رفع خبر كأن.

خذي : فعل أمر مبني على حذف حرف النون لأنه من الأفعال الخمسة.

ياء المخاطبة : ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل.

بال : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف ، والكاف

ضمير خطاب مبني على الكسر مضاف إليه .

من : حرف جر

البرد : اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة على آخره وجملة ( خذي بالك من البرد) في

محل نصب مقول القول.

– جُملة ( أعلم أنها فقدت الإحساس ) : في محل رفع خير إن.

2- الجُملة التي لا محل لها من الإعراب مثل :

1- جملة صلة الموصول : كنت تشغلينه.

2- جملة جواب الشرط غير الجازم : لانعدمت الجرائم والكراهية والحدق ( الجواب مقترن

باللام لأنه ماض مثبت)

**المؤكدات المستعملة في النص :**

كأن : حرف مشبه بالفعل يفيد التشبيه والتوكيد.

أن : حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد

قد : حرف تحقيقي : يفيد التوكيد

**المطلب الرابع : أنواع الأفعال المستعملة في النص**

اعتمد الكاتب في كتابته لهذه المقالة على العديد من الأفعال ، فاستعمل الماضي مثل: فقدت الاحساس ، والمضارع مثل: أتخيل وأنا مقعد منبع حناني ، والأمر مثل: خذ بالك من البرد أنت مريض.

### المطلب الخامس : التحليل البلاغي للنص الأدبي

استعمل الكاتب كل أنواع البلاغة في التعبير ومن الأساليب الإنشائية ( يا منبع الحنان) فهي جملة إنشائية طلبية بالنداء ، (كيف لي أن أتصور العذاب ؟) جملة إنشائية طلبية بالاستفهام ( لو كانت نساء العالم مثلك لانعدمت الجرائم والكرهية والحد من العالم ، وساد الحب ، والوفاء ، والعفة ، والنزاهة والظاهرة) : خبر ابتدائي ، (المكان في الغرفة الباكية) ، (هذا ما يبعث في النفس الهدوء والسكينة) : كلاهما خبر ابتدائي.

**من المحسنات : (الطباق) بين ( السيئة والحسنة) وهما من الأضداد.**

أما قول الكاتب : (منبع الحنان) : ففيه كناية عن الأم ، ونوع الكناية هنا كناية الصفة، والمراد بها الصفة المعنوية كالعطاء والجود والكرم والحب والوفاء ، فالأم منبع لكل هذه الصفات الحميدة القيمة ، ومن صور التشبيه الواردة في النص قول الكاتب : (خيالي الجامح ينقلني ويكشف لي القبر أراك فيه مستلقية كأنك في قيلولة ) : قد شبه الكاتب أمه وهي مستلقية في القبر ، بأنها نائمة في وقت القيلولة ، بجامع الهدوء والسكينة في كل ، وإضافة الحنان إليه في قوله : (منبع حناني) تدل على إيمانه واقتناعه بأنها منبع الحنان وبأنه يكن لها كل الحب الصادق.

ومن الملاحظ أن كل الصور البلاغية مطروقة من قبل ولا ابتكار فيها بأي معنى جديد .

**المطلب السادس : الخصائص الأسلوبية عند الكاتب**

أولاً - المميزات : يلاحظ على التجربة بأنها ذاتية بحثة ، فهي تصور معاناة الكاتب الحقيقية ، وكان دافعه لتجسيد هذه المشاعر الوجدانية ، ما أحس به من فقد وحرمان ، بعد غياب أمه وخلو المكان والزمان منها ، فعاش بعدها على استرجاع الذكريات في عمر اتسم بالكفاح ، والشقاء ، والعذاب ، وقد تميز أسلوبه بصدق العاطفة وقوتها في نقل هذه المشاعر بذكرياتها البعيدة ، وواقعها الأليم ، كما تميز بالبساطة ، والسلاسة ، والوضوح ، والإشراق ، فالكلمات ليست غريبة ، وحوشية غير مألوفة ، ولا وجود لتنافر في حروفها بحيث تشكل ثقلاً على السمع ، أو تعيق الفهم ، ولا كلمات مخالفة لقياس وتراكيب قواعد اللغة المتعارف عليها ، وقد حاول أن يختزل الشعور الصادق الدفاق في بعض الجمل مثل قوله : (( من يفقد أمه لا يسمع جُملاً دافئة من هذا النوع )) (1) وقوله : (( حب الأم لا تعرفه أبجدية اللغات )) (2) وقوله : من يفقد أمه وهو صغير فقد ضاع )) (3) وقوله : (( ومن يفقد أمه وهو كبير فقد عاش في ضياع )) (4) وقد خلا الأسلوب من الغموض و الإبهام بحيث لم يكن معقداً غير مفهوم ، بل اتسم بالصفاء والجلاء ما يجعلك تحس بكل كلمة وتفهمها ، وتشعر بالنص يخاطب مشاعرك وإحساساتك فتعيش مع الكاتب مرارة المعاناة ، وتقتسم معه قسوة الألم واعتصار الحزن ، وقد وفق الكاتب في استعمال بعض الكلمات مثل كلمة ( انعدمت ) ، فالعدم يعني الفناء الأبدي ، وفي تصوره أن الجرائم والكراهية والحقد سوف تتعدم نهائياً من العالم لو كانت نساؤه مثل أمه ، وكذلك كلمة ( الجامح ) التي وصف بها الخيال ، لأن الخيال الجامح هو الذي يأتي بالصور التي لا يتوقع الإنسان مشاهدتها بالعين المجردة مباشرة ، فالأم في القبر لا تراها العين المبصرة ، ولكن تراها عين الخيال الجامح الذي يصور للكاتب

اكتشاف ما في القبر الذي يعد لغزا عصياً لم ولن يفك ، كما يسجل له الغزارة في النتائج الفكري والعاطفة الصادقة التي يتوج بها النص.

### ثانياً – المآخذ على النص:

**1- فيما يخص الفكرة :** تناول الكاتب من خلال مقالته فكرة الموت وما يعقبها من الألم النفسي للإنسان الذي فقد أحد أفراد أسرته وبخاصة الأم ، الفكرة ليست مبتكرة ولكنها معروفة ، وعبر عنها المبدعون شعراً ونثراً ، كل حسب وقع الحدث في نفسه ، ويتضح من النص أن الأديب حاول أن ينقل لنا هذا الشعور بالفقدان والحرمان العاطفي ، وجند من أجل ذلك واقعه وذكرياته، ونجح في ذلك إلى حد ما ؛ لأن الشعور لا تختزله العبارة !

**2 - فيما يخص العنوان :** كان العنوان طويلاً ، والعنوان في النص الأدبي من شروطه أن يكون قصيراً ، ومعبراً عن فكرة الموضوع باختصار ، حتى تتحقق الغاية منه ، وهي جذب القارئ وتشويقه للقراءة مع استمرارها.

**3 – فيما يخص المقدمة :** بدأ الكاتب مقالته بتصوير المكان الخالي من وجود أمه ، فالفراغ المتروك في الغرفة هو الذي أشعر بالفراغ العاطفي الذي تمكن من روحه ، فجعله

1- المصدر نفسه - ص162

2 - المصدر نفسه - ص 162

3 - المصدر نفسه - ص 162

4 - المصدر نفسه - ص162

يستتق الماضي ، فيتذكر كلمة قالتها له منبع الحنان هنا ، وموقفاً حدث بمعيتها هناك ، وإذا كان خلو المكان من الأجزاء على القلوب يحدث كل تلك الثورة في المشاعر ، فما بالك بفراغ الزمان منهم ، والذي غفل عنه الكاتب فلم يصوره ولم يشر إليه إشارة واضحة ، تبين صعوبة اللحظة ومرارة مرور الدقيقة في زمن خارج نطاق وجودهم ، اللهم إلا إذا اعتبرنا في اختياره لفصل الشتاء زمناً لرصد تلك الحالة الوجدانية ، والتعبير عنها دون أن يأتي على ذكر دقائقه ، وساعاته ، وأيامه ، ولياليه المسكونة بالغياب والفراق والحرمان ، فالزمان عند غياب من يحزننا فراقهم ، ويصعب علينا نسيانهم لأنهم يتمثلون أمامنا في كل حين ، تصبح مكوناته خاوية وفارغة من كل النفحات الإنسانية التي كنا نتقاسمها معهم ، فالكثير من العواطف الإنسانية التي نعيشها مع الآخرين وخاصة في محيط الأسرة التي لها خصوصيتها المميزة ، نفتقدتها بعد رحيل أحد أفرادها ويصبح الزمن بعدهم مصدراً للفقدان ، والإحساس بالغرابة ، ولو كنا بين كل الناس.

**4 - فيما يخص اللغة :** يؤخذ على الكاتب بعض الأخطاء اللغوية مثل كلمة ( تشغيله ) وقد كان يفترض أن تكتب تشغيله لأنها فعل من الأفعال الخمسة مرفوع بثبوت النون لتجرده من الناصب والجازم. أما في قوله : (( وفاء وتضحية الأم لا يعرفه العقل بعد )) (1) فكان يجب أن يكون الضمير في كلمة (يعرفه) عائداً على مثني (الوفاء والتضحية) فتكون الصياغة وفاء وتضحية الأم لا يعرفهما العقل بعد، وكذلك استعمال (لم) لأنها تفيد النفي والجزم والقلب بدلاً من (لا) التي تفيد النفي فقط.

**5 - فيما يخص تراكييب الجمل:** وردت بعض الجمل وهي طويلة جداً مثل قوله: ((لم أعد أسمع

1 - المصدر نفسه - ص162



(خذ بالك من البرد أنت مريض) بعد رحيلك ما منبع الحنان)) (1) وقوله: (( لا يوجد إنسان فرد وهو مريض يفضل أو يختار الموت قبلي ، وأنا مريض مشلول ، وهي عاجزة (إلا أمي)) (2). كما وردت بعض الجمل وهي ليست محكمة التركيب مثل قوله: (( لا يوجد إنسان فرد وهو مريض يفضل أو يختار الموت قبلي ، وأنا مريض مشلول ، وهي عاجزة إلا أمي)) (3) ، كما وردت جمل أخرى ضعيفة الصياغة مثل قوله: (( حب الأم لا تعرفه أبجدية اللغات)) (4): (( لا يوجد إنسان فرد وهو مريض يفضل أو يختار الموت قبلي ، وأنا مريض مشلول ، وهي عاجزة إلا أمي)) (5) حيث استعمل الحرف (لا) وهو يفيد النفي ، ولو استعمل (لم) لكان أفضل لأنها تفيد النفي ، والجزم ، والقلب ، وقد اقتصر استعماله للربط بين الجمل على بعض حروف العطف كالواو ، و الفاء ، وأو فقط.

**6 - فيما يخص عرض المقالة:** وفق الكاتب في التحكم في طول المقالة ، فببت معتدلة الطول ، وهذه ميزة وخاصية من خصائص المقالة الأدبية ، ويلاحظ أن اهتمام الكاتب كان منصباً في فكرته على الفراغ الذي يحدثه رحيل الأم ، وما يعقبه من فقدان لأهم القيم الإنسانية ، التي لا يخلو منها قلب أي أم نحو أبنائها ، وبخاصة بعد رحيل الأب الذي يشكل أحد أهم أعمدة الأسرة ، وقد عقد مقارنات توضح الضياع الذي يعيشه الإنسان إن فقد أحد والديه أو كليهما ، وجاء ذلك التوضيح في مرحلتين من سني عمر الإنسان ، الأولى : وهو صغير والثانية : وهو كبير ، ليبين حاجة الإنسان لوالديه مهما امتد به العمر ، وأضفى على أمه صفات حميدة ، تضي عليها في داخله المكانة والوقار ، وكان يبعد في نفسه

عن تصور أنها تتلاشى في

1 - المصدر نفسه - ص162

2 - المصدر نفسه - ص 162

3 - المصدر نفسه - ص 162

4 - المصدر نفسه - ص 162

5 - المصدر نفسه - ص 162

ذرات التراب ، وقد كرر ذلك مراراً وتكراراً ، لأنه لا يريد أن يتصوره مجرد التصور ، وعلل لنفسه ذلك بما عرفه عن أمه من طاعة الله في السراء والضراء ، وكذلك ما تمثله هذه الأم الفاضلة من إنسانية ، تجاوزت أسرتها لغيرها من البشر بل شملت حتى باقي الكائنات الأخرى.

**7- فيما يخص الخاتمة :** انطلاقاً من إيمان الكاتب بقضاء الله وقدره ، استسلم للفراق وعذاباته ، وأخذ يخفف عن نفسه وطأة ذلك الألم وقسوة تلك الحرقه ، بإيمانه المطلق بأن أمه في جوار الله سبحانه وتعالى ، المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص ، وهو يثق في رحمته بها ، ويتصور مكانها الرفيع عنده بسبب حسن ظنه بالله عز وجل .

**8 - فيما يخص الأسلوب :** تبدو سيطرة الرومانسية واضحة في النص ، الفياض بالعاطفة الصادقة ، والمتسريل بالحنن ، والناضح بعذابات الروح ، والناطق بأنات الجسد المثقل بالأوجاع ، والمجدد للفقدان العاطفي والوجداني الذي كان السبب فيه رحيل الأم جسداً وبقاتها روحاً تحوم في زوايا المكان ، تنفض الغبار عن ذكريات السنين الخوالي ، فتكون متقدة أمام خيال الكاتب ، فتثير مشاعره ، وتوقظ قريحته ، فيستلهم من الذكرى ما يمكن أن يصوغه في النص الأدبي ، ويؤخذ على أسلوب الكاتب الاعتماد على التقريرية والمباشرة ، إلى جانب الاضطراب في التسلسل المنطقي للأفكار ، وعدم إحكام انسياب تداعيات بعضها إلى بعض ، مما جعل الأسلوب يبدو مضطرباً ومباشراً وسطحياً ، كما أنه لم يدعم فكرته بما يكسبها القوة ، والإقناع ، والتأثير في المتلقي ، كالآيات الكريمة ، أو الحديث الشريف ، أو أبيات من الشعر .

## خاتمة البحث

بتوفيق من الله عز وجل ، تمكنت من إعداد هذا البحث ، وقد حاولت قصار جَهدي ، أن أضمنه كل ما من شأنه أن يسלט الضوء على شخصية الكاتب المبدع أحمد جمعة، من حيث التعريف به ، وببعض كتبه ، ومعرفة مجالات الكتابة عنده ، وخصائص أسلوبه من خلال دراسة تطبيقية لأحد مقالاته الأدبية المتممة بالذاتية.

## نتائج البحث

توصلت بعد إجراء هذا البحث إلى نتائج يمكن حصرها في النقاط الآتية :

- 1- يتمتع الكاتب بالقدرة الكبيرة على رصد الأحداث ، وإحالتها إلى نصوص أدبية ، مفعمة بصدق العاطفة وحسن التعبير عنها .
- 2 - ينتمي الكاتب إلى المدرسة الرومانسية ، ويتضح ذلك من خلال إظهار معاناته الشخصية التي تضفي على إبداعاته سحابة من الحزن والألم.
- 3 - تنوع الموضوعات التي تناولها في مقالاته المختلفة.
- 4 - تعتبر الذاتية عنصراً مهماً في نصوص الكاتب ، وهي التي أظهرت شخصيته بشكل واضح وصريح لأنها تنبع من خلجات القلب وكوامن الروح.
- 5 - تحتل الذاتية حيزاً كبيراً من التعبير عند الكاتب ، وهذا ما يجعل كتاباته الأقرب إلى التأثير في المتلقي والإحساس بما يكابده من فقدان والألم.
- 6 - المقالة تستوعب دخول بعض عناصر الأجناس الأدبية الأخرى في عرض الفكرة المناطة بالكتابة عنها ، إلا أن الكاتب لم يستفد من ذلك أثناء كتابة مقالاته.

- 7 - يتميز الكاتب بالعطاء المتدفق ، ونقل المشاعر نقلاً صادقاً ، من خلال أسلوبه الصريح الوضاء المشرق الخالي من التصنع والتكلف.
- 8 - تتميز التجربة الأدبية عند الكاتب بالواقعية ، وذلك من خلال نقل العديد من صور الحياة الواقعية إلى عمل إبداعي وبخاصة في مجال المقالة.
- 9 - تبدو ثقافة الكاتب واضحة في المضامين التي تناولها في كتاباته.
- 10 - غزارة النتاج الأدبي في فترة زمنية وجيزة ومقاربة ، حيث إن بعض الأيام تحفل بكتابة أكثر من مقالة واحدة.

### التوصيات :

- 1- يجب تمرين الطلاب على الإتياء والتعبير ، خلال مراحل دراستهم المختلفة.
- 2 - ضرورة الاهتمام بالمواهب ونقد كتاباتهم ونشرها ، تشجيعاً لهم على الإبداع ، لتكوين شخصيات مبدعة في المجتمع مستقبلاً.
- 3 - حث ذوي المواهب على القراءة باستمرار ، ليكون لهم رصيد ثقافي يمكن الاستفادة منه في عملية الكتابة .
- 4 - التعرف بالشخصيات الأدبية في الآداب المختلفة ، والوقوف على بعض أعمالها يحفز المواهب على الاقتداء بهم.
- 5 - تفعيل النشاط الثقافي في دور العلم والمعرفة ، والحرص على إجراء مسابقات أدبية و ثقافية تقدم فيها أعمال المواهب ويتم تقويمها وتقييمها والاحتفاء بها ، حثاً لهم على مواصلة الإبداع الأدبي ، لاستمرار وتطور الحركة الأدبية.

6 - نأمل من المهتمين بالدراسات الأدبية الاهتمام بدراسة الأدب العربي في ليبيا ، لرصد الحركة الأدبية في ليبيا ، والتعريف بالأدب فيها وتتبع مسيرته عبر الأجيال ، للوقوف على تحديد أصوله ومدى تأثيره بالآداب الأخرى ، وتوضيح جوانب التطور فيه ، والتعريف بأعلامه بنوعيه الشعري والنثري ، لإثراء المكتبة الليبية بالكتب المتنوعة ، وزيادة التراث الفكري ، الذي يتناول بالدراسة والتحليل الأعمال الأدبية في مناحي الحياة كافة.

أخيراً ... إذا وفقت فهو من الله سبحانه وتعالى ، وإن أخفقت فهو من نفسي ، لأن الكمال لله عز وجل ، كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل المؤلفين الكرام ، الذين استفدت من كتبهم ودراساتهم المختلفة ، وأترحم على كل من انتقل منهم إلى رحمة ربه وجاوره ، لما ترك لنا من آثار أدبية كانت نعم العون لي في هذا البحث المتواضع ، وأرجو أن يحقق فائدة ولو معلومة بسيطة لك

### ثبت مصادر البحث

- 1 - أحمد جمعة - عاشق النسيان ورسائل أخرى - المرقب للطباعة - الطبعة الأولى - 2009م
- 2 - جار الله أبو القاسم محمود بن عمران الزمخشري - أساس البلاغة - دار الصادر بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - 1992م.
- 3 - عبد الله مليطان - معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين - الجزء الأول - دار مداد - الطبعة الأولى - 2001م .
- 4 - د/ محمد نجيب التلاوي - د/ مراد عبد الرحمن مبروك - فن التعبير - مكتبة الثقافة الدينية - لاط - لات.

## معالم الرفق واللين في دعوة إبراهيم - عليه السلام - لأبيه

د. عبدالقادر عمر عبدالقادر الحويج

**المخلص:** من أهم مشكلات الدعوة إلى الله في عصرنا الحاضر عدم الرفق واللين والأخذ بالشدّة والغلظة من قبل الدعاة إلى الله تعالى، وما يترتب على ذلك من نتائج عكسية، الأمر الذي كان له بالغ الأثر في مسار الدعوة الإسلامية، مما جعل دراسة هذا الموضوع مطلباً ضرورياً وحاجة ملحة، وقد بينت في هذا البحث معنى الرفق واللين، وأهمية دراسة هذا الأسلوب الدعوي المهم، وبيان أهم معالمه من خلال محاورة سيدنا إبراهيم لأبيه، ووضحت فيه الثمرات التي نجنيها من خلال هذه الدعوة المباركة، واستنتجت أنّ الرفق واللين من أهم صفات الداعية إلى جانب العلم والإحسان، مع وجوب اتباع المناهج والطرق الدعوية الحكيمة التي انتهجها الأنبياء والمرسلين، والسير على نهجهم، فهو العلاج الشافي لكل أمراض الدعوة والدعاة، والحذر كل الحذر من مخالفة هذا المنهج في الدعوة إلى الله تعالى.

**الكلمات المفتاحية:** معالم، الرفق، اللين، الدعوة.

#### **Milestones The kindness and softness of Abraham's call to his father.**

One of the most important problems of calling to God in our time is the lack of companionship and softness and the introduction of intensity and ruggedness by preachers to God. The consequences are counterproductive, which has had a profound impact on the course of the Islamic call, which made the study of

this subject It has shown in this research the meaning of kindness and softness, and the importance of studying this important advocacy method, and the most important statement His manifestations through the dialogue of Abraham to his father, and explained the fruits that we reap through this blessed invitation, and concluded that the kindness And softness of the most important qualities of the preacher in addition to science and charity, with the need to follow the curricula and methods of preaching wise adopted by the prophets And senders, and follow their approach, it is a panacea for all diseases of the call and preachers, and caution all caution against violating this approach in the call To Allah Almighty.

key words: Milestones. Kindness. Soft. the invitation.

## المقدمة:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ:

إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ؛ لِإِخْرَاجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمَنِ الشَّرِكِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَلَا شَكَّ بِأَنَّ الْقُلُوبَ يَجْذِبُهَا الرَّفْقُ وَاللِّينُ بِهَا، وَيَنْفَرُهَا الْغَلْظَةُ وَالشَّدَّةُ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ مِنْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (1).

فلو كان الرسول غليظاً في دعوته لما فتح قلوباً غُلفى في دعوته إلى الله، فالداعية في حاجة ماسة لأن يلتفت الناس حوله، ويجذب القلوب إليه؛ ليُسمع منه، ويُستجاب له.

ولقد اهتم القرآن الكريم بالجانب الدعوي اهتماماً كبيراً، وعرض أساليب الأنبياء الدعوية مع أقوامهم، فلقد رسم لنا القرآن الكريم صورة جميلة للداعية اللين والمرفق بمدعوّيه، وذلك من

(1) سورة آل عمران: الآية: 159.



خلال دعوة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لأبيه، والذي هو قدوة لنبينا - ﷺ - ولأمة جميعاً، قال تعالى: (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) (1).

وعلى الرغم من ذلك .. نجد أنّ كثيراً من المدعوين ينفرون من الداعية بسبب أسلوبه وطبعه الغليظ، وما ذلك إلا نتيجة انحراف بعض الدعاة عن المنهج القرآني الرائد، ومن ثمّ فشلهم في ميادين الدعوة وحقولها.

**مشكلة الدراسة/** تحاول الدراسة الإجابة على التساؤلات الآتية:

- 1- ما معنى الرفق واللين والدعوة؟.
- 2- ما أهمية دراسة أسلوب الرفق واللين في الدعوة والتحلي بأدابه؟.
- 3 - ما أهمّ معالم هذا الأسلوب من خلال دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه؟.
- 4- ما الثمار التي من خلالها يمكن معالجة انحراف بعض الدعاة عن منهج الأنبياء والمرسلين؟.

**أهداف الدراسة /** بناء على ما سبق من تساؤلات فإن أهداف البحث تكمن في الآتي:

- 1- بيان معاني الرفق واللين في الدعوة إلى الله تعالى.
- 2- بيان أهمية دراسة أسلوب الرفق واللين والتحلي بهذا الخلق الكريم.
- 3 - معرفة أهمّ معالم هذا الأسلوب من خلال دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه.
- 4- معرفة ثمار هذا الأسلوب الرائد ومن ثمّ معالجة هذا الخلل عند الدعاة إلى الله تعالى.

(1) سورة الممتحنة: الآية: 4.

أهمية الدراسة/ تكمن أهمية الدراسة من وجهة نظر الباحث في الآتي:

1- قلة الدراسات الإسلامية والبحوث العلمية التي تتناول أهم الأساليب الدعوية والتي منها (الرفق واللين).

2- إبراز منهج الأنبياء والمرسلين في دعوتهم إلى الله تعالى، وبيان مواطن المخالفة لهذا المنهج والرجوع إليه لتصحيح مسار الدعوة الإسلامية.

3 - يأمل الباحث أن تفيد نتائج هذا البحث في لفت أنظار العاملين في مجال الدعوة لهذه المشكلة، ومن ثم يتم توجيه الاهتمام لمواجهتها، والعمل على تلافيتها والتغلب عليها.  
الدراسات السابقة:

لقد كتب العديد من الباحثين والمفكرين في موضوع الأساليب الدعوية بصفة عامة، من أمثال فضل إلهي في كتابه: (من صفات الداعية اللين والرفق)، وعلي محفوظ في كتابه: (هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة)، وصلاح الخالدي في كتابه: (مواقف الأنبياء في القرآن)، وعبدالكريم زيدان في كتابه: (المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة)، وأحمد الأميري في كتابه: (فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم)، إلا أن هذا البحث يختلف عن تلك الكتابات، فهو يركّز على أسلوب استخدمه خليل الله تعالى في دعوة أقرب الناس إليه، والذي بات من أهم الوسائل وأكثرها تأثيراً على المدعويين، والذي بكل أسف أهمله بعض العاملين في الحقل الدعوي المعاصر، فكانت الحاجة ماسة لتسليط الضوء على هذا الأسلوب النبوي لتصحيح المسار.

**منهج البحث:** أما منهجيتي في البحث فقد ركزت على الآيات التي أظهرت هذا الأسلوب (الرفق واللين) في دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه، والتي ذُكرت في سورة مريم، وقد اتبعت المنهج الاستنباطي والوصفي في كتابة هذا البحث.

**خطة البحث:** تتكون من تمهيد وثلاثة مباحث.

أما التمهيد فسيصور الحديث فيه حول تعريف الرفق واللين والدعوة في اللغة والاصطلاح.

وأما المبحث الأول فسيصور الحديث فيه عن أهمية الرفق واللين وأثرهما في الدعوة إلى الله.

وأما المبحث الثاني فيتناول معالم الرفق واللين في دعوة إبراهيم - عليه السلام - لأبيه.

وأما المبحث الثالث فيتناول ثمرات دعوة إبراهيم - عليه السلام - لأبيه والمستفاد منها.

### تمهيد:

أولاً: الرفق في اللغة: هو "حسن الانقياد لما يؤدي إلى جميل"<sup>(1)</sup>، "ورفق يرفق رفقاً فهو رقيق بكذا أي: لطيف به"<sup>(1)</sup>، وهو "لين الجانب"<sup>(2)</sup> ولطافة الفعل"<sup>(3)</sup>.

(1) التوقيف على مهمات التعريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد عبد الرضوان

الداية، دار الفكر المعاصر: بيروت، ط1، 1410هـ، باب الرأء، فصل الفاء، 105/1.

وفي الاصطلاح: "التذرع بالشفقة والرحمة مع جميع المخلوقات، لا فرق بين إنسان وحيوان، والعطف على البؤساء والضعفاء، ومعاملة جميع الناس بالرأفة ولين الجانب، والابتعاد عن القسوة والغلظة"<sup>(4)</sup>.

ثانياً: اللين لغة: مصدر من الفعل الثلاثي (لين) ف " الام والياء والنون كلمة واحدة وهي اللين ضد الخشونة والصعوبة"<sup>(5)</sup>.

(1) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر: بيروت، ط1، (د، ت)، مادة (ر ف ق)، 118/10.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية: بيروت، (د، ط)، 1979م، مادة (ر ف ق)، 246/2.

(3) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر، 1979م، مادة (ر ف ق)، 243/1.

(4) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، أحمد سعيد الدجوي، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، مكتبة دار المحبة، ط1، 1991م، ص: 113.

(5) تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبي الفيض السيد محمد الواسطي الزبيدي الحنفي، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، ط1، مادة (ر ف ق)، 358/6.

وفي الاصطلاح: "سهولة الانقياد للحق والتلطف في معاملة الناس وعند التحدث إليهم"<sup>(1)</sup>، وهو تعريف مطابق لتعريف للتعريف اللغوي كخلقٍ حميد في معاملة الناس يدفع الإنسان لمعاملة غيره برفقة وعطف خالية من الغلظة والخسونة.

ثالثاً: الدعوة لغة: لها معان عدة، من أبرزها: "النداء، والدعاء إلى الشيء، جاء في معجم مقاييس اللغة: "الدال والعين والحرف المعتل) أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاء، والدعوة إلى الطعام بالفتح، والدعوة في النسب بالكسر، هذا أكثر كلام العرب، إلا عدي الرباب فإنهم ينصبون الدال في النسب. (2) الدعوة اصطلاحاً: فقد تعددت تعريفات العلماء لها، وتباينت تبعاً لاختلاف وجهات نظرهم، فمنهم من عرفها بمعنى: الإسلام، ومنهم من عرفها بمعنى: التبليغ والنشر، وكلّ هذه التعريفات تعود إلى معنى متقارب، وهو تبليغ دين الله عز وجل بالوسائل والأساليب التي رسمها لنا القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة. وهنا أذكر تعريفين للدعوة الإسلامية أوردهما أحمد غلّوش أحدهما أنها بمعنى الدين، و "هي النظام العام، والقانون الشامل لأمر الحياة ومناهج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد - ﷺ، وأمره ربه بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في

(1) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسل الكريم، إعداد مجموعة من المختصين، إشراف:

صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، 3296/8.

(2) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: اتحاد

الكتاب العربي، 2002م، مادة (دعو)، 280/2.

الآخرة<sup>(1)</sup>. وأما الثاني فإنها بمعنى: العلم، فقال: هي " العلم الذي نعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام، بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق<sup>(2)</sup> .

### أولاً- أهمية الرفق واللين في الدعوة:

إنّ الرفق في الدعوة إلى الله تعالى يؤدي إلى توثيق العلاقة بين الداعية والمدعويين؛ لأنّ نفوس الناس لا تُساس إلا بالرفق واللين، ولا يتأتى التأثير على المدعو إلا من خلال التلطف معه، ولنا في رسول الله - ﷺ - الأسوة الحسنة، حيث كان - ﷺ - قدوة في الرفق في تعليمه للجاهل وتوجيهه المخطئ باللين وعدم تجريحه مما يحافظ على مشاعره، ويؤدي إلى كسب القلوب واستقطابها ومن ثمّ استجابتها. يقول الشيخ الميداني: "وأولى الناس بالتخلّق بخلق الرفق الدعاء إلى الله والمعلمون، فالدعوة إلى الله لا تؤثّر ما لم تقتنر بخلق الرفق في دعوة الخلق إلى الحق، وتعليم الناس لا يؤتي ثمراته الطيبات ما لم يقتنر بخلق الرفق الذي يملك القلوب بالمحبة، أما العنف فمن شأنه التنفير من الداعي، والتنفير من المعلم، إنّ من توجه له الدعوة إلى الخير أو يراد تعليمه متى وجد العنف والشدة انكشمت عاطفته فانغلق قلبه ومتى انغلق قلبه انغلق فكره، وعندئذ يصير كصخرة صماء ترجع ولا تمتص، بخلاف الداعي أو المعلم الرفيق الحليم ذي الأناة، فإنه يملك القلوب بالمحبة

(1) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، لأحمد غلوش، ط1، دار الكتاب اللبناني: بيروت، 1987 م، ص: 13.

(2) المرجع السابق، ص: 10.

وعندئذ تنفتح له القلوب التي أحبته، ومتى انفتحت إليه الأفكار، وتأثرت به وتفاعلت معه أتت دعوته وأعماله ثمراتها طيبة يانعة<sup>(1)</sup>. إنّ الهدف الرئيس للداعية هو أن يستقيم المدعون على طاعة الله، ويحرصوا على الطاعات ويتجنبوا المنكرات، ولكي يتحقق له ذلك فلا بد من الرفق واللين في الدعوة حتى يصل إلى هدفه المنشود. إنّ الداعية يواجه صنوفاً شتى من الناس وأخلاقاً متنوعة من فئات المجتمع، ولكي ينجح الداعية في التعامل مع شتى الطبقات، وتحت كافة الظروف فلا بد من التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله وأن يتصف - في تعامله - بلين الجانب وسهولة المعاشرة حتى يفتح - لدعوته - مغاليق القلوب، وينفذ - بنصحه - إلى أعماق النفوس ومن هنا كان اتصاف الداعية بالرفق والتيسير في دعوته إلى الله شيئاً أساسياً في سلوكه إذا أراد السداد والصواب، وتتضح أهمية الرفق في حياة الدعاة باعتبار أنّ الداعية يبغى بدعوته هداية الناس إلى طاعة الله، واستنقاذهم مما يسخطه ويغضبه، وليس الأمر - بالنسبة له - مجرد أداء الواجب لتقوم الحجة على الناس فقط، ولا يتسنى للداعية أن يقوم بهذه الوظيفة إلا إذا اتصف بالحلم وطول النفس والتزم الرفق ولين الجانب.

ولا شك أنّ سلوك طريق الرفق في الدعوة هو سبيل الأنبياء عليهم السلام، إنّ الطريق الأمثل الذي سلكه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو الدعوة إلى الله تعالى في أول الأمر بالرفق واللين، الذي يشعر المدعو والمأمور والمنهي بأنك مشفق عليه، وتحب له الخير،

(1) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم: دمشق، ط5،

حتى تتفتح لك نفسه ويستجيب؛ فإنّ الناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ودّ يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج إلى عطاء، على الداعي أن يكون هيناً عطوفاً مشفقاً على الناس.

### ثانياً- آثار الرفق واللين في الدعوة:

1- جذب الناس إلى دين الله تعالى: لا شك أنّ النفس البشرية تميل إلى السماحة والرفق واللين، وتضيق ذرعاً بالغلظة والقسوة، ومن منطلق ذلك نجد أنّ من أهم عوامل نجاح الدعوة الإسلامية وجذب الناس إليها انتهاج الدعاة للرفق واللين في تبليغهم، وعدم تحميل الناس فوق طاقتهم، مع الأخذ بمبدأ التدرج الذي نادى به الإسلام في كثير من الأمور، وتأسيساً برسول الله -ﷺ- ف ( ما خيّر بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه )<sup>(1)</sup>.

ولقد كان لرفق الرسول أكبر أثر على نجاح دعوة الإسلام، شهد بذلك الأعداء وصدقوا بتلك الحقيقة، وعلى نهجه سار من بعده من المخلصين لدعوة الله تعالى.

(1) الجامع الصيغ المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة: بيروت، ط3، 1987م، كتاب المناقب، باب صفة النبي ، رقم الحديث: 1306/3367.



2- تحقيق الغاية من الدعوة إلى الله تعالى وهي عباده وحده لا شريك له: فهذه هي الغاية الكبرى من الدعوة الإسلامية برمتها، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)<sup>(1)</sup>، ولا تحقق هذه الغاية إلا بأساليب مناسبة يستخدمها الداعية في دعوته، ويكون ارتكازها على الرفق واللين في المعاملة، ولقد حقق رسول الله -ﷺ- هذه الغاية فدخل الناس في دين الله أفواجاً.

3- تحقيق عالمية الدعوة وصلاحيتها: إن عالمية الدعوة مستمدة من عالمية الدين الإسلامي، فهو دين صالح لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، وليس بإمكان أي دعوة الانتشار وبلوغها أقاصي الأرض كدعوة الإسلام، وذلك للأوامر الربانية الكريمة من لدن الحكيم الخبير الذي أمر بالرفق واللين في الدعوة إليه، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)<sup>(2)</sup>، وبين لرسوله -ﷺ- أن هذه الدعوة العالمية التي أرسل بها لتبليغها وإرشاد الناس إلى عبادة ربهم إنما هي رحمة لخلقه، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)<sup>(3)</sup>، وأمره بالأخذ بالتي هي أحسن، والإعراض

(1) سورة الذاريات، الآية: 56.

(2) سورة النحل، الآية: 125.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 107.

عن الجاهلين أثناء دعوته إليه، بهدف انتشار دينه الحنيف، وبلوغ الدعوة أرجاء المعمورة، قال تعالى: ( خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ<sup>(1)</sup>).

ولقد حثَّ رسول الله -ﷺ- الدعاة والناس جميعاً بانتهاج الرفق في حياتهم، حيث قال: ( اللهم من رفق بأمّتي فارفق به، ومن شقّ عليهم فشقّ عليه)<sup>(2)</sup>.

وحرّم -ﷺ- النار على كل من تطف ورفق في نشر هذا الدين لبلوغ العالمية المرجوة له، فقال: ( ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار، على كل قريب هين سهل)<sup>(3)</sup>.

لذلك فما ينبغي تأكيده في هذا المقام بعد التنبيه إلى أنّ الدعوة إلى الله تعالى عامة إلى كل الناس، وأنّ المدعوين هم الناس كافة، وأنّ موضوعها هو دين الإسلام الخاتم الذي فيه سعادة البشر جميعاً، وأن يعلم أنّ ما يثبت عالميته الرفق واللين في الدعوة إلى شريعته، والتي تؤكد رفع الحرج ونفي الجناح وجلب التيسير عند المشقة، وتغيّر الفتوى بتغيير معطياتها زماناً ومكاناً، وهذا الذي على مثله يؤمن الناس بالإسلام، فنتحقق مصالحهم في العاجل والآجل.

(1) سورة الأعراف، الآية: 199.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة: مصر، (د، ت)، 6/62.

(3) المرجع السابق، عن عبد الله بن مسعود، رقم الحديث: 3938، 415/1.

4- تحقيق الوحدة والألفة بين المسلمين: من مقاصد الدعوة إلى الله تعالى الوحدة والالتفاف حول الكتاب والسنة، ونبذ الفرقة والاختلاف بين المسلمين، يقول الله تعالى في الحث على الاعتصام وعدم التفرق (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)<sup>(1)</sup>، وهذا الاتفاق والالتفاف هو ثمرة الرفق في دعوة الداعية إلى الله تعالى، فبدونه لن تلتف القلوب حوله، قال تعالى: (فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)<sup>(2)</sup>.

5- الإعذار إلى الله تعالى: لقد جعلنا الله تعالى خير أمة أخرجت للناس فقال: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)<sup>(3)</sup>، وقد كان سبب هذه الخيرية ما تحملته هذه الأمة من واجب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أتم وجه ولا يكون ذلك بدعوة عنيفة تفتقر إلى الرفق واللين في التعامل مع المدعويين.

كما لا يتحقق الإعذار المرجو إلا عند تبليغ الدعوة لكل من يستطيع أن يصله الداعي إلى الله تعالى، بالصفات والأساليب التي أمر بها في كتابه العزيز، ووضحها نبيه.

(1) سورة آل عمران، الآية: 103.

(2) سورة آل عمران، الآية: 159.

(3) سورة آل عمران، الآية: 110.

يقول الله تعالى في أهمية الإعذار، وجواب الدعاء للناس عندما أشاروا عليهم بترك الدعوة في عصاة لا يتعظون بالنصح، (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) <sup>(1)</sup>، وقد بلغ النبي -ﷺ- ما عليه على أتم وجهه، وأكمل صورة، وبين لنا المنهج والطريق السليم الذي من خلاله نبلغ دين الله تعالى ونعذر عنده.

### المبحث الثاني- معالم الرفق واللين في دعوة إبراهيم -ﷺ- - لأبيه:

لقد كانت دعوة سيدنا إبراهيم -ﷺ- متضمنة لأسمى معاني الولاء لله تعالى، والبراء من الشرك وأهله، حتى وإن كان متمثلاً في أحب الناس إلى قلبه، فلقد كان والده آزر على الشرك يعبد الأصنام والأوثان، فأحزن سيدنا إبراهيم -ﷺ- ذلك، وقام بدعوته بكل رفق ولين، موضعاً أنّ عبادة هذه الأصنام ما هو إلا ضلال مبين.

بذل سيدنا إبراهيم -ﷺ- جهده بكل لطف وسماحة، مُظهراً رفقته ولينه في دعوة أبيه، فرغم كون الأب جافياً غليظ الردّ، إلا أنّ إبراهيم -ﷺ- ظلّ مشفقاً مستغفراً لأبيه حتى تبين له أنه مات على الشرك؛ توقف عن الدعاء والاستغفار له؛ لأنه كان دوماً يطمع في هدايته، وهذا هو ما يجب أن يكون عليه المخلص في الدعوة إلى الله تعالى، ولقد رسم لنا القرآن الكريم صورة جميلة للداعية المشفق الرحيم، قال تعالى: (وَإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا{41} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي

(1) سورة الأعراف، الآية: 164.

عَنكَ شَيْئاً{42} يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً  
سَوِيّاً{43} يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً{44} يَا أَبَتِ إِنِّي  
أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً{45} قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي  
يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً{46} قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ  
كَانَ بِي حَفِيّاً{47} وَأَعْتَرِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ  
رَبِّي شَفِيّاً<sup>(1)</sup>، يتضح لنا من هذه المحاوراة القصيرة جملة من العناصر الهامة نبرز من  
خلالها أهم معالم الرفق واللين في هذه الدعوة المباركة، وهي كالاتي:

أولاً- البدء بدعوة أقرب الناس إليه: وذلك للاعتبارات الآتية:

1. لأنّ عصيان أبيه وبقائه على الشرك يضعف موقفه أمام الآخرين، إذ قد يقال إنّ أباه وهو أقرب الناس إليه وهو أعرف به.
2. لأنه في حالة بقائه على الشرك يصعب مهمته، حيث تنطلق الخصومة والعداوة من البيت، بل من أقرب الناس إليه والده، وهذا ما حدث بالفعل، إذ شنّ عليه حرباً شعواء ابتدأت بالتهديد والوعيد، وانتهت بالاعتزال والهجران، وقد تبيّن لنا من التاريخ كيف تأذت الدعوة من الداخل، كزوج لوط ونوح، وأبي جهل وزوجه أم جميل.

(1) سورة مريم، الآية: 41-48.

"إنّ أثر عصيان الأقربين من الداعية أكبر من عصيان غيرهم؛ وذلك أنّ رفضهم لدعوته قد يكون سبباً لعدم قبولها من الآخرين"<sup>(1)</sup>.

3. إنّ أباه هو أقرب الناس إليه ومن ثمة فهو أولى بالدعوة من غيره، ورحمة الولد بأبويه ألق، وحرصه على نجاتهما من عذاب الله أشدّ، خاصة إذا كانا مشركين، "قدعوة الأقرباء إلى الإيمان هي الأسلوب المتبع في دعوة الأنبياء فهم أولى الناس بهذا الخصوص"<sup>(2)</sup>، ولذلك قال تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)<sup>(3)</sup>.

ثانياً- تكرار قوله: چ گچ والذي يتضمن أهم المعاني الآتية:

1. أنّ كلمة چ گچ استصدار جميل تكرر أربع مرات في هذا الموضع الضيق وهو دلالة على نبع البتوة الصادقة الحانية، الذي يثير قلب الوالد ويذكره ضمناً بأنّ علاقة البتوة والأبوة هي أوثق رابطة بين شخصين، ومن ثمة فإنّ الابن لا يرتضي لأبيه إلا ما فيه خير وصلاح.

2. التكرار في حد ذاته دليل على مشاعر الرفق واللين والرحمة وطلب الهداية له بالحاح.

(1) أثر البيئة الاجتماعية على الدعوة، مسفر بن حسن آل مسفر، دار الصمعي، الرياض، ط1، 2007م، ص: 125.

(2) أدب الكلام، عودة بن عودة عبد الله، دار النفائس: الأردن، ط1، 2005م، ص: 316.

(3) سورة الشعراء، الآية: 214.

3. العدول عن مناداته باسمه، إذ لم يقل له يا آزر، أو يا شيخ الكهان أو نحوهما.
4. افتتاح خطابه ببناء أبيه رغم أنه كان حاضراً، وحضوره يغني عن النداء، وذلك "قصد إحضار سمعه وذهنه لتلقي ما سيلقيه إليه"<sup>(1)</sup>.

ثالثاً- الاستفهام القاصد:

إن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لم يبدأ بتسفيه وتحقير أبيه حتى لا ينقطع الحوار قبل أن يتعمق، وحتى لا تأخذ الأب العزة بالإثم فيكون ردّه غير محمود يوجّهه التهور والغضب.

لقد نبّهه إلى عبادته بصيغة الاستفهام؛ ليتبين بنفسه خطأ عمله وسوء فعله<sup>(2)</sup>، (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً)<sup>(3)</sup>.

يقول البيضاوي: "دعاه إلى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج، وأرشقه برفق وحسن أدب، حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستحق به العقل الصريح، ويأبى الركون إليه فضلاً عن عبادته التي هي غاية التعظيم... ونبّه على أنّ العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح، والشيء لو كان حياً مميّزاً سميعاً بصيراً مقتدرًا على النفع والضرر لاستتكَف العقل القويم عن عبادته، وإن كان أشرف الخلق

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، 1984م، (د، ط)، 119/16.

(2) أدب الكلام، عودة بن عودة عبد الله، مرجع سابق، ص: 318.

(3) سورة مريم، الآية: 42.

كالملائكة والنبیین لما يراه مثله في الحاجة والانتقياد للقدرة الواجبة، فكيف إذا كان جماداً لا يسمع ولا يبصر" (1).

رابعاً- عدم وسم الأب بالجهل، ونفسه بالعلم الفائق:

قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم -عليه السلام-: (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) (2)، ويظهر من هذه الآية الرفق واللين الفائقين، إذ كَرَّرَ النداء لتأكيد النصيحة، وحرصاً منه على إبقاء وشائج الوصل بينهم، فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم المطلق، وهذا من تواضعه -عليه السلام-.

يقول الزمخشري في الكشاف: " ثم تثنى بدعوته إلى الحق مترقفاً به متلطفاً فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إنَّ معي طائفة من العلم ليست معك

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط1، (د، ت)، 11/4.

(2) سورة مريم، الآية: 43.



... فلا تستتكف وهب وأني وإياك في مسير وعندني معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتنتيه"<sup>(1)</sup>.

لقد كان آزر يعتبر نفسه مرجعاً هاماً، ورائداً من رواد ديانة قومه، ومن هنا فإنّ اتهامه بالجهل تصريحاً قد يقلب الحوار الهادئ رأساً على عقب، كما أنّ إظهار الابن العلم والتفوق على الأب الجاحد قد يدعو إلى الاستتكاف. ولذلك طمأن أباه بأنّ هذا العلم الذي جاءه لم يكن بسبب من الأسباب البشرية، وإنما هو من لدن الخلاق العليم، وهو علم الوحي والنبوة.

يقول الألويسي: "ولم يسم أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك، بل أبرز نفسه في صورة رفيق له يكون أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق، فاستماله برفق، حيث قال: <sup>(2)</sup>.

خامساً- إسناد العلم إلى الله تعالى:

(1) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، اعتنى به: خليل محمود شيحا، دار المعرفة: بيروت، ط3، 2009م، ص: 638.

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألويسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط4، 1985م، 97/16.

إذ لم ينسبه لنفسه، وهذه صورة للداعية المتواضع لخلق الله، حتى وإن كانوا مشركين كفاراً، صورة جميلة للداعية المتأدب مع الله ولسان حاله يقول: (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)<sup>(1)</sup>، فسيدنا إبراهيم - عليه السلام - لم يقل إنني أعلم ما لا تعلم بل قال (يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا). وكأنه يقول له: فلا فضل لي في هذا وإنما هو فضل الله، وإنك إذا اتبعتني فإنك في حقيقة الأمر تتبع أمر الله<sup>(2)</sup>.

سادساً- إظهار الشفقة بأبيه:

بعد أن نهى أباه عن عبادة الشيطان (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)<sup>(3)</sup>، بدأ يحذره ويخوفه من عذاب الله وذلك بأسلوب غاية في الرقة والأدب، ويتضح ذلك من الآتي: أ: لم يقل لأبيه إن العذاب لا بد لاحقك ومدركك، وإنما قال له: (يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)<sup>(4)</sup>، فقد حذره على سبيل التوقع المشعر بالظن دون القطع، تأدباً مع أبيه ومعاملة له، وإبقاء مصيص الأمل،

(1) سورة الجمعة، الآية: 4.

(2) فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، أحمد البراء الأميري، دار القلم: دمشق، ط1، 2000م،

ص: 177.

(3) سورة مريم، الآية: 44.

(4) سورة مريم، الآية: 45.

والرجاء في نفسه ليعمل على النجاة من ذلك العذاب بترك الشرك<sup>(1)</sup>، والاعتصام بالتوحيد وإفراد الله بالعبودية، إذن: هو خوف غير مقطوع فيه، وعلى سبيل الحسن لا على سبيل الإصابة، وخوفه على أبيه مشعراً أنّ أمره بهمه فهو يخشى عليه من عقاب الله وعذابه، ولذلك قيل في هذا الأسلوب أنه مجاملة لأبيه، كما أنّ في قوله: جِدُّ ت مُجْد تخويفاً ضمناً من العذاب، إذ إنّ الولي: هو الصاحب والتابع ومن حالهما حال واحدة. فكفى بالولاية عن المقارنة في المصير، فكما يعذب الشيطان - وليك - فأخشى أن تعذب مثله.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ الشعراوي: "انظر إلى منطق الداعي كيف رتبّ الأمور هذا الترتيب الذي لا يثقل على أذن المجادل... ولذلك مطلوب منك حين تجادل أحداً أن تجادل بالتي هي أحسن؛ لأنك تجادله لتخرجه عن الفساد الذي هو فيه، وما دام عن فساد فهو اشتهى الفساد أولاً، ثم اعتاد الفساد بالفعل ثانياً، فاشتهاه واعتاده فأصبح متمكناً منه، وعزيراً عليه، فحين تأتي لتخرجه من الفساد لا تخرجه بقسوة، ولكن لا بد أن تحتال عليه وتتلف معه وتترفق به؛ لأنك إذا نهرتة فستجعله يعرض عنك، وإذا أعرض عنك فلن يسمع لنصحك، وإذا لم يستمع للنصح سيظل على فساده"<sup>(2)</sup>.

(1) أدب الكلام، عودة بن عودة عبدالله، مرجع سابق، ص: 322.

(2) قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول، محمد متولي الشعراوي، اعتنى به: إبراهيم عبدالستار

على- محمد سامح عمر، الناشر: حسن محمود، دار القدس، ط1، 2006م، ص: 83.

ب: التعبير بالخوف الدال على الظن دون القطع فيه تأدب مع الله تعالى، إذ لم يقطع في أمر هو من تصرف الله سبحانه وتعالى في علم الغيب، (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (1).

سابعاً- مقابلة الإساءة بالإحسان:

لقد أظهر سيدنا إبراهيم - عليه السلام - موقفه من ضلال أبيه، دونما تنازل عن عقيدته ومبادئه - لا على سبيل الحقيقة ولا على سبيل المجاز - غير أنّ هذا الموقف كان مرتبطاً بالدعوة والتي هي أحسن بألف العبارات، حتى لما ردّ عليه أبوه بجفوة وغلظة؛ كان رده مقابل إساءة أبيه إحساناً واستغفاراً، وبدعوة بالهداية!! قال له أبوه (قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً) (2) إنها عبارات قليلة؛ لكنها مليئة بالجفوة والقسوة، ففي كل كلمة من كلماته نجد إصراراً على الجحود، وتهديداً ووعيداً لابنه إبراهيم - عليه السلام - إن هو استمر في دعوته، ففي قوله: **ج** **ج** **ج** معنى التصغير والتحقير<sup>(3)</sup>، وفي قوله: **ج** **ج** **ج** إظهار التشبث والاعتزاز بها، وفي قوله: **ج** **ج** **ج** تكملة لجملة الإنكار والتعجب؛ لأنّ التعجب من فعله مع حضوره يقصد بنداؤه توبيخه على سوء فعله، فالمتكلم ينزله منزلة الغائب فيناديه لإرجاع رشده إليه<sup>(4)</sup>. وكذلك نجد أنّ أزر

(1) سورة المائدة، الآية: 40.

(2) سورة مريم، الآية: 46.

(3) أدب الكلام، عودة بن عودة عبدالله، مرجع سابق، ص: 323.

(4) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، 119/16.

خاطب ابنه بقوله: (يَا إِبْرَاهِيمُ) ولم يقل له يا بني مقابل (يَا أَبَتِ) من قبل سيدنا إبراهيم - عليه السلام - فقد سماه باسمه للإنتكار.. وفي قوله: **ج** **ج** **ج** للتوكيد، ولم يقل لأرجمك.. وفي قوله: **ج** **ك** **ك** فيه دلالة على الرغبة في الفراق والهجر، وليس فيه ما يوحي بالحنان والعطف.. بل في هذا الطرد والخلع إشعار بتحقيقه<sup>(1)</sup> رغم هذا الجواب اللفظي إلا أن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لم يفقد برّه وعطفه وأدبه مع أبيه، إذ كان جوابه رداً جميلاً، وإحساناً مقابل إساءة، وتمثل ذلك في قضيتين هامتين: الأولى - السلام: **ج** **ك** **و** **و** **ج** أي: سلام توديع ومتاركة<sup>(2)</sup>، " لك مني يا أبت السلام الذي لا يخالطه جدال أو أذى، ولك مني الوداع الذي أقابل معه إساءتك بإحسان"<sup>(3)</sup>.

وهذا هو أدب القرآن الكريم، وأدب الداعي مع المدعويين مهما كانت جفوتهم وغلظتهم، قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)<sup>(4)</sup> (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)<sup>(5)</sup>، ومن هنا فإنّ على الداعي أن يصبر على أذى الجاهلين وأن يرد على إساءتهم بإحسان؛ لأنّ ترك الإساءة للمسيء إحسان.

(1) المرجع السابق، 120/16.

(2) تفسير الكشاف، للزمخشري، مرجع سابق: ص: 638.

(3) أدب الحوار في الإسلام، محمد سيد طنطاوي، نهضة مصر: القاهرة، ط1، 1997م، ص: 154.

(4) سورة الفرقان، الآية: 63.

(5) سورة القصص، الآية: 55.

الثانية- الاستغفار لأبيه: لم يكتف سيدنا إبراهيم - ﷺ - بالسلام على أبيه، وإنما وعده بالاستغفار، وطلب التوبة له: (وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)<sup>(1)</sup> دل على ذلك قوله تعالى: (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ)<sup>(2)</sup>، فلما تبين له أنه عدو لله ترك الاستغفار له، قال تعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)<sup>(3)</sup>. وهكذا كان إبراهيم في دعوته مثلاً للابن البار الذي يحب الخير لأقرب الناس إليه، وكان منهجه في دعوته لأبيه؛ أنه دعاه برفق ولين، وأنه لم يقس عليه في الكلام، ولم يعنفه في الخطاب أو يزعه، بل كان يخاطبه بكل أدب ووقار، ويجادله بالحسنى وبألطف عبارة، ويبين له في محاورته ومجادلته معه بطلان ما هو عليه من عبادة الأصنام والأوثان بتسفيه معبوداته وتحقير آلهته، ومع ذلك كله لم يستجب له والده، بل إنه قابل كل ذلك بالبحود والنكران والتهديد والهجران لولده، قال تعالى (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)<sup>(4)</sup>.

**المبحث الثالث- ثمرات دعوة إبراهيم - ﷺ - لأبيه:** هذا الحوار الذي دار بين إبراهيم - ﷺ - وبين أبيه آزر فيه عظة وعبرة لكل من تصدر لدعوة الناس، فعليهم أن يفتدوا

(1) سورة مريم، الآية: 47.

(2) سورة الشعراء، الآية: 86.

(3) سورة التوبة، الآية: 114.

(4) سورة القصص، الآية: 56.

بهؤلاء الدعاة الموقنين والمؤيدين من قبل الله؛ لأنّ الله قد أمر باتباع هديهم، ومن اتباع هديهم سلوك طرقهم في الدعوة إلى الله بالعلم والحكمة، واللين والرفق والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة، والصبر على ذلك، وعدم السامة منه، بل مقابلة ذلك بالصفح والعفو، والإحسان القولي والفعلي، أمل كيف ترقى وتوحى إبراهيم مسالك الدعوة بكل حكمة بما فيها الرفق واللين والتواضع، والبعد عن التفضل والمنة، والازدراء والتحقير، والشدة والغلظة؛ ليحاول التسلل إلى قلب خاوي من الإيمان، وهو قلب أبيه.

لقد علّمنا الإسلام أنّ النصيحة لها آداب على الداعي أن يراعيها؛ لينجح في دعوته ويحقّق المأمول وهو الهداية لدين الله تعالى، ومن أهم هذه الآداب:

- الداعية لا تكون دعوته بحمل الأفكار والنظريات المجردة إلى من حوله قبلوها أم رفضوها، بل أن يعيش هذه الأفكار معهم ويترجمها لهم على أرض الواقع أفعالاً وأخلاقاً وممارسات.
- الداعية لا تكون دعوته بمفاصلة الناس وإقامة الحجة عليهم، وإنما يأخذ كافة الأسباب التي تؤدي إلى هدايتهم، فهو من موقع الحب لهم والغيرة عليهم والرحمة بهم، ولذلك فهو لا يسارع إلى مدايرتهم ومقاطعتهم، وهذا يحتاج منه إلى الرفق واللين وعدم فقدان الأمل في هدايتهم.
- إنّ الداعية يعتبر نفسه مربياً للناس ومعلماً لهم، ولينجح في هدفه وجب عليه أن يعامل الناس برفق ولين وليس كأنداد وأعداء له؛ لأنه حينها فقد عنصر القوامة

عليهم، فالداعية معنيّ وقيل كل الناس بقوله تعالى (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ

أَدْفَعُ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (1)

ويظهر لنا أنّ سيدنا إبراهيم - عليه السلام - بدأ دعوته بكل رفق ولين؛ لأنه مطلب أساسي مهم في دعوة الناس؛ ليقبلوا ما يقال لهم، فقد يتغافل الداعية عنه حينما يغوص في أعماق الدعوة فتأخذ الحماسة والانفعال والغضب لله ورسوله، فلا ينبغي للداعية مثل ذلك، وليكن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - قدوة له حينما تأدب مع أبيه، فلم يفقد بره بأبيه فيغظ له القول على الرغم من كفره وغلظته وجفائه، إنّ الرفق واللين من صفات الداعية الناجح، الذي كثيراً ما يجذب القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بالخير بدلاً من الزجر والتأنيب والتوبيخ، فقانون الدعوة ليس منحصراً في شخصية معينة، وإنما هو علم ومعرفة وهداية وفيض رباني، يقول الدكتور عبدالكريم زيدان: "وعلى الداعي أن يتلطف بالقول، فيستعمل في كلامه وخطابه ما يثير رغبة المدعو إلى السماع، ويقع فيه نوازع الجهل والنفور... والتلطف في القول لا يعني المداهنة والنفاق ولا إخفاء الحق أو تحسين الباطل أو الرضا به، وإنما هو تشويق للمدعو لقبول الحق وإعانتة على هذا القبول" (2).

ولا يكون الاستعطف كافياً أو الاستتكار والوعيد مانعاً من مواصلة الجهد، كما أنّ سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع إعراض أبيه وغلظته لم يقطع أمله ولم يقلل من وعظه ونصائحه حتى في ثنانيا تخويفه بل قال ( وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا

(1) سورة فصلت، الآية: 34.

(2) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط1، 2005م، ص: 449.



أَكُونُ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا<sup>(1)</sup> طالباً هدايته إلى الخير الذي هداه الله إليه، فخاطبه بألفاظ مفعمة بالتبجيل والتعظيم، كما يستفاد من هذه الدعوة أنه يجب " على الداعي أن يبتعد عن روح الاستعلاء على المدعو واحتقاره، وتحديه وإظهار فضله عليه، وإنما عليه أن يكلمه بروح الناصح الشفيق المخلص المتواضع، الذي يدل غيره على ما ينفعه ويعرفه به.. وأن يكلمه كمبئخ له معاني رسالة الله لا أن يكلمه كمبئخ له فضله وعلمه، إن ملاحظة هذه الأمور ضرورية جداً للداعي، وإذا لم يراعها انقطع ما بين قوله وبين قلب المدعو، فلا يتأثر بشيء مما يسمع، بل وينفر المدعو ولا يطيق سماع قول الداعي وإن كان حقاً<sup>(2)</sup> إن هذا الأسلوب العاطفي الذي استعمله سيدنا إبراهيم - عليه السلام - في دعوته لأبيه يعد أسلوباً ناجحاً لدى المدعويين، وهو الأسلوب نفسه عند رسول الله - ﷺ - في الدعوة، واستخدامه لهو خير دليل على فقه الداعي لما يدعو له.

يقول الشيخ الغزالي: " لكي تكون دعايتنا للإسلام ناجحة يجب أن تتوفر في الداعية خصلتان: الذكاء والنقاء، أعني ذكاء العقل نقاء القلب، ولا أريد بالذكاء عبقرية فائقة، يكفي أن يرى الأشياء كما هي دون زيادة أو نقص، فقد رأيت بعض الناس مصاباً بحول فكري لا تتضبط معه الحقائق، قد يرى العادة عبادة، والنافلة فريضة، والشكل موضوعاً، ومن ثم يضطرب علاجه للأمور، وتصاب الدعوة على يديه بهزائم شديدة، كما أنني لا أريد بنقاء القلب صفاء الملائكة، وإنما أنشد قلباً محباً للناس، عطوفاً عليهم، لا يفرح في

(1) سورة مريم، الآية: 47.

(2) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص: 448.

زلتهم، ولا يشمت في عقوبتهم، بل يحزن لخطئهم، ويتمنى لهم الصواب"<sup>(1)</sup>. وهذا ما لمسناه من خلال دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه، فقد كان حريصاً ومحبباً لأبيه متمنياً له الهداية، ولم يكن شامتاً أو فرحاً بشركه وكفره وعدم استجابته له.

كما يتبين لنا من خلال هذه الدعوة محاولة ملامسة القلب في حوار الداعي للمدعو، فالرفق واللين والرحمة مفاتيح لانسراح الصدر، وأدعى للقرب والقبول والاستجابة، قال تعالى: (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) " فالإنسان من غير قلب أشبه بالآلة الصماء، والحجر الصلد، فإن حقيقة الإنسان ليست في هذا الغلاف الطيني من لحم ودم وعظم، وإنما هي تلك اللطيفة الربانية، والجوهرة الروحية التي بها يحس ويشعر ويتأثر، ويتألم ويرحم، هي القلب الحي، ومن أخص أوصاف المؤمن أنه يتميز بقلب حي مرهف لين رحيم، يتجاوب به والأحداث والأشخاص، فيرق للضعيف، ويألم للحرزين، ويحنو على المسكين، ويمد يده إلى المهوف، وبهذا القلب الحي الرحيم ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خير ويزرّ وسلام لما حوله ومن حوله"<sup>(2)</sup>.

(1) جرعات جديدة من الحق المر، محمد الغزالي، دار نهضة مصر: القاهرة، ط6، 2005م، ص: 179.

(2) الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة: القاهرة، ط12، 2001م، ص: 81-84.

كذلك تتجلى حقيقة أنّ الدعوة قائمة على العلم، ومن الخطأ أن يتصدى للدعوة من لم يتسلح بسلاح العلم، فبه تسطع شمس التوحيد والمعرفة، وتأفل شمس الشرك والجهل، فيسدينا إبراهيم - عليه السلام - حين حاور أباه كان عالماً بما يدعو إليه، كما أنّ الجاهل بالشيء ليس كفوّاً للعالم به، فكان لزاماً تأهيل المتصدّرين للدعوة إلى الله تعالى، وتحليهم بالعلم.

ومما يجدر بالذكر مقابلة الإساءة بالإحسان، وهذه الصفة لازمة لكل داعية إلى الله تعالى؛ لأنّ لها بالغ الأثر في استجابة الناس، كما يكون معها ثبات الأجر حتى ولو لم يستجب المدعو، وقد مدح الله عباده المؤمنين المتصفين بهذه الصفة، قال تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (1)، فهذا هو شأن الداعية وصفته، إذا أسيء إليه قابل الإساءة بالإحسان، وأعرض عن جهل عليه، اتباعاً لأمر الله تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) (2)، وبهذا يكسب الداعية مدعويه، قال تعالى (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (3).

ولقد وضّحت هذه الدعوة بلوغ البر ذروته، والإحسان قمته، عندما رُفضت الدعوة من قلبٍ طغى عليه الشيطان، وعقلٍ متحجر طُمست منه معالم الأبوة والحنان، فلا يكون ردّ

(1) سورة آل عمران، الآية: 134.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 96.

(3) سورة فصلت، الآية: 34.

الداعية إلا السلام، - وهذا درس عظيم للدعاة - فبعد أن استفرغ الداعي جهده في الدعوة، مُوظفًا شتى أساليب الإقناع بليين ورفق ورحمة، وبعد أن أيس من أبيه، لم يبق له إلا جانب الله تعالى، فالتجأ إلى ربه داعياً مستغفراً، وهذا من تمام البر وكماله، دعوة الابن لأبيه وإن كان بينهما من الخلاف والشقاق ما بينهما.

كما يتضح أيضاً أنّ الإيمان بالله تعالى ومحبته أقوى من أي صلة لها كان قربها، فالعقيدة فوق روابط الأبوة والبنوة، وفوق الرفق واللين، فالعقيدة يصدق بها المؤمن ولا يخشى في الله لومة لائم، فالداعية ملزم بمصارحة من يدعو، وذلك بالصدق بالحق، دون تردد، ولا يجامل على حساب ذلك أباً ولا أمّاً ولا أخاً ولا غيرهم، قال تعالى ( لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ )<sup>(1)</sup>.

إنّ المجالات التي تتجلى فيها العقيدة عند المسلم أصدق تجلٍ، وتتضح في أجمل صورها، صلة من يستحقون الصلة، وقطع من يستحقون، من غير خوف ولا وجل ولا حرج؛ لأنه ينبغي أن يكون حبه وبغضه في الله، ووصله وقطعه له، وحركاته وسكناته في

(1) سورة المجادلة، الآية: 22.

مرضاته تعالى، وهذا ما جسده سيدنا إبراهيم حين اعتزل أباه وتبرأ منه حينما علم أنه عدو لله.

لقد كان هذا درساً بليغاً لأهل الدعوة والتبليغ والبيان؛ ليقنوا بالرسول الكرام، ويسيروا على نهجهم الكامل، وسيرتهم العطرة في الدعوة إلى الله وإخلاصهم له، حتى نبليغ المراد ونحقق الأهداف المنشودة وهي إعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه الذي ارتضاه للعالمين، مقتدين بخير خلق الله الأنبياء والمرسلين، والذي وصانا الله تعالى باتباعهم والافتداء بهم، قال عز وجل: (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكُنَّا وَإِلَيْكَ آتِبْنَا وَالْمَصِيرُ<sup>(1)</sup>).

#### الخاتمة:

ومن خلال ما سبق نستنتج ما يلي:

1- أنّ الداعية يبدأ دعوته بالأهم، فالتوحيد أساس الدين، ولأجله بعث الله تعالى الأنبياء والمرسلين.

(1) سورة الممتحنة، الآية: 4.

2- أنّ الداعية يبدأ بدعوة الأقربين، وأنّ هذه المرحلة هي البداية فقط دون توقف، سواء آمن الأقربون أو لم يؤمنوا، فلم تتوقف دعوة الخليل - عليه السلام - بإصرار أبيه على الشرك.

3- أنّ العقيدة ثابتة لا تتغير ولا تتأثر بحب أحدٍ أو بغضه، ولا بحسب أو نسب، فهي خالصة لله تعالى.

4- وضوح الدعوة منذ اللحظة الأولى في حياة الداعية، فلا يخيفه تهديد ولا وعيد من البشر، بل يصبر ويتدرج في دعوته مرحلة مرحلة؛ لأنه يتعامل مع الله تعالى.

5- أنّ الرفق واللين من أهم صفات الداعية إلى جانب العلم والإحسان؛ لأنه لأنه منهج الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله تعالى.

6- أنّ الرفق واللين أدب رفيع وخلق عظيم يجب أن يتحلّى به الداعية مع المسلمين ومع غيرهم.

7- بيان المناهج والطرق الدعوية الحكيمة التي انتهجها الأنبياء والمرسلين، والسير على نهجهم، فهم قدوة الدعاة، وعليهم أن يحذروا من مخالفة هذا المنهج في الدعوة إلى الله تعالى.

8- على الداعي أن يبتعد عن روح الاستعلاء والتكبر، وعدم إظهار الفضل والمنة على المدعو، فهو مبلغ عن الله تعالى وأجره عليه.

### قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- أثر البيئة الاجتماعية على الدعوة، مسفر بن حسن آل مسفر، دار الصمعي، الرياض، ط1، 2007م.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم: دمشق، ط5، 1999م.
- أدب الحوار في الإسلام، محمد سيد طنطاوي، نهضة مصر: القاهرة، ط1، 1997م.
- أدب الكلام، عودة بن عودة عبد الله، دار النفائس: الأردن، ط1، 2005م.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر، 1979م.
- أصول الدعوة عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط1، 2005م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط1، (د، ت).
- الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة: القاهرة، ط12، 2001م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبي الفيض السيد محمد الواسطي الزبيدي الحنفي، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، ط1، (د، ت).
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م، (د، ط).
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، اعتنى به: خليل محمود شيحا، دار المعرفة: بيروت، ط3، 2009م.
- التوقيف على مهمات التعريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد عبد الرضوان الداية، دار الفكر المعاصر: بيروت، ط1، 1410هـ.
- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة: بيروت، ط3، 1987م.
- جرعات جديدة من الحق المر، محمد الغزالي، دار نهضة مصر: القاهرة، ط6، 2005م.
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، لأحمد غلوش، ط1، دار الكتاب اللبناني: بيروت، 1987م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط4، 1985م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر: بيروت، ط1، (د، ت).



- فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، أحمد سعيد الدجوي، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، مكتبة دار المحبة، ط1، 1991م.
- فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، أحمد البراء الأميري، دار القلم: دمشق، ط1، 2000م.
- قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول، محمد متولي الشعراوي، اعتنى به: إبراهيم عبدالستار على- محمد سامح عمر، الناشر: حسن محمود، دار القدس، ط1، 2006م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة: مصر، (د، ت).
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: اتحاد الكتاب العربي، 2002م.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسل الكريم، إعداد مجموعة من المختصين، إشراف: صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك الجزائري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية: بيروت، (د، ط)، 1979م.

## مدى معرفة طلاب المرحلة الثانوية في منطقة الخمس ملامح خريطة ليبيا

إعداد: د. صالحه علي فلاح - د. ابتسام عبد السلام كشيب

## المقدمة

لم تعد الجغرافيا منهجاً وصفاً فقط، بل علم تطبيقي نظري، والخرائط تعتبر من الجانب العلمي التطبيقي في الجغرافية، وتساعد على جعل أية دراسة جغرافية ناجحة، والخريطة أداة ضرورية لعلم الجغرافية لأنها تعين الجغرافي على تفسير العلاقة بين الإنسان والبيئة<sup>(1)</sup>.

ومن أجل الحصول على المعلومات من الخارطة، فلا بد من قراءة الخارطة، التي تعني تعلم ومعرفة العلاقات والرموز والاصطلاحية المختلفة<sup>(2)</sup>، التي يستخدمها الكارتوگرافيون والتي هي عبارة عن معلومات مخزنة على الخارطة تشكل وحدة منظمة هدفها أن تحقق قراءة الخارطة<sup>(3)</sup>.

ونظراً لأهمية استخدام الخرائط في البحث الجغرافي وبخاصة في عمليات التحليل المكاني لتوزيع الظواهر الجغرافية بما فيها الملامح الجغرافية البيئية لخريطة ليبيا، فلا يعذر أي طالب يدرس الجغرافيا ولا يعرف ملامح خريطة ليبيا، فحينما تكون معرفته لملامح خريطة ليبيا ضعيفة، تبرز لنا مشكلة تتعلق بالتحصيل العلمي الذي كثيراً

(1) صبحي صالح الدايتي، خرائط الطبوغرافية وأهميتها الاستراتيجية للوطن العربي، جامعة المستنصرية، مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، مجلة كلية التربية الإسلامية، العدد 47، 2006م، ص3.

(2) أحمد أحمد مصطفى، الخرائط الجيولوجية للجغرافيين والكارثوگرافيين، دار المعرفة الجامعية، 2002م، ص35.

(3) فلاح شاكر أسود، علم الخرائط ونشأته وتطوره ومبادئه، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1988م، ص225.

ما نوقشت على مستويات متعددة، ولكن في مجال الخرائط ومدى استيعاب الطلاب لها نجد أن أكثر الدراسات في ذلك تطرقت لمهارات استخدام الخرائط ومدى كفايتها وسلامتها في المناهج ودور الأطالس في المعرفة الخرائطية.

وسنحاول في هذا البحث أن نلقي الضوء على مدى معرفة طلاب المرحلة الثانوية في منطقة الخمس لملاح خريطة ليبيا وأهم الظواهر الجغرافية حيث يعد ما كتب في ذلك قليل أو شبه نادر مما يدعم أهمية هذا البحث.

لقد تم اختيار هذا البحث بناءً على ما لمس من بعض طلابنا اليوم من عدم استطاعته تحديد أبسط المظاهر على خريطة ليبيا وكون ذلك على خريطة ليبيا يزيد الأمر خطورة مما لو كانت الخريطة لمساحة صغيرة من الأرض لليبيا لأنه يفترض أن معرفة ملاح خريطة ليبيا من البديهيات لطالب في المرحلة الثانوية، وسيكون هذا البحث مفيد للقائمين على التعليم بمختلف مستوياتهم.

## 1 - مشكلة الدراسة:

بالنظر إلى طرق التدريس التقليدية والموجودة في الثانويات اتضح من خلال عينات الاستبيان ضعف فهم الطلاب لمعالم خريطة ليبيا، ومن هنا يطرح السؤال نفسه: س/ ما مدى الإلمام بمعالم خريطة ليبيا لطلاب المرحلة الثانوية بمنطقة الخمس؟

## 2 - أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف الدراسة فيما يلي:

1- معرفة مدى استيعاب طلاب الثانوية لمعالم خريطة ليبيا؟

2- معرفة الأسباب الكامنة وراء تدني مستوى الطلاب وخاصة في رسم خريطة ليبيا؟

### 3 - فرضية الدراسة:

1- العلاقة بين طرق التدريس ومدى استيعاب الطلاب لخريطة ليبيا.

### الدراسات السابقة:

ستتمثل فيما يلي:

1- دراسة عزيز (1990م)<sup>(1)</sup>: هدفت دراسته إلى معرفة دور الأطالس في تدريس

المقررات الجغرافية في مدارس الكويت المتوسطة والثانوية وكانت أهم نتائج الدراسة

أن الأطالس المستعملة متباينة فيما بينها من حيث الحجم والمحتوى الموضوعات

وأوصى بدراسته الاتفاق على إعداد الأطالس المدرسية وتنسيق محتوياتها حسب

حصص الجغرافيا.

2- دراسة القوسي (1419هـ)<sup>(2)</sup>: تناولت الدراسة مدى استخدام معلمي الجغرافيا في

المعاهد العلمية مهارات الخرائط والبحث في أثر متغيري (سنوات الخبرة والمؤهلات

العلمية) على استخدام المعلمين المهارات الخرائط وكانت أهم نتائج دراسة قلة

(<sup>1</sup>) مكي محمد عزيز، الأطالس كوسيلة إيضاح كارتوجرافية لتدريس الجغرافيا في مدارس الكويت المتوسطة والثانوية، جامعة الإسكندرية، 1990م.

(<sup>2</sup>) عبد اللطيف سليمان القوسي، مدى استخدام معلمي الجغرافيا في المعاهد العلمية لمهارات الخرائط، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، 1418هـ.

استخدام معلمي الجغرافيا لمهارات الخرائط، وأوصى بإقامة دورات تدريبية للمعلمين في ذلك وكذلك تدريس الطلاب على استخدام الخرائط.

### أولاً: منهج الدراسة:

تتمثل هذه الدراسة في الدراسات المسحية التي يتم من خلالها جمع البيانات عن الظاهرة التي تناولتها الدراسة ومعرفة الوضع الحالي لها.

### ثانياً: مجتمع الدراسة وعينتها:

**1 - إطار العينة:** تشمل العينة طلاب المرحلة الثانوية في منطقة الخمس سواء ثانويات بنين (ذكور) أو بنات (إناث) تابعة لوزارة التعليم والبالغ عددهم (200) عينة وكان إعداد المدارس بالنسبة لمدارس البنين 4 مدارس وكذلك نفس الشيء بالنسبة لمدارس البنات تمثلت في أربعة مدارس.

**2 - العينة المختارة:** تمثلت العينة المختارة في الدراسة من نوع العينة العشوائية لكلاً من مدارس البنين والبنات تم من كل مدرسة يتم الاختيار العشوائي للفصول في كل صف دراسي بحيث يتم تمثيل الصف الدراسي لفصل واحد من الفصول للسنوات الأولى والثانية والثالثة ثانوي.

**3 - أداة الدراسة:** تمثلت أداة الدراسة في الدراسة الميدانية "الاستبانة" والتي شملت مجموعة من الأسئلة لمعرفة مستوى الطلاب بمدى معرفتهم لملامح خريطة ليبيا.

التحليل والنتائج: يتناول هذا المبحث عرض نتائج لدراستها وتحليلها لذلك سنأتي كثيراً من الجداول في هذا المبحث.

### 1 - وصف العينة:

جدول (1) عينة الدراسة

الجنس	العدد	%
ذكر	100	50
إناث	100	50

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

تم تقسيم عينة الاستبيان إلى نصفين والبالغ عددهم 200 عينة مناصفة بين الذكور والإناث، ليتضح لنا مدى استيعاب كل من الجنسين لخريطة ليبيا وملاحها.

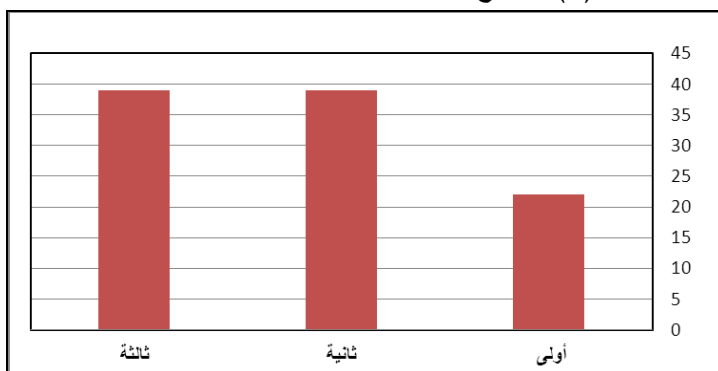
## 2 - السنة الدراسية:

جدول (2) يوضح توزيع الطلاب حسب السنوات الدراسية

السنة الدراسية	العدد	%
أولى	44	22
ثانية	78	39
ثالثة	78	39
المجموع	200	100

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

شكل (1) يوضح اعداد الطلاب حسب السنة الدراسية



ثالثة ثانوي

ثانية ثانوي

أولى ثانوي

يتضح من خلال الجدول السابق والشكل البياني أنه تم توزيع الاستبيان على طلاب السنة الثانية والثالثة ثانوي بنسبة متساوية وذلك لأنهم أكثر تخصصاً من السنة الأولى والبالغ نسبتهم 22%، حيث أن السنتين الثانية والثالثة تخصص أدبي والذي يتعمق في دراسة مادة الجغرافيا أكثر منه في السنة الأولى.

ثانياً: عرض وتحليل نتائج الدراسة:

3 - كم تشغل مساحة ليبيا:

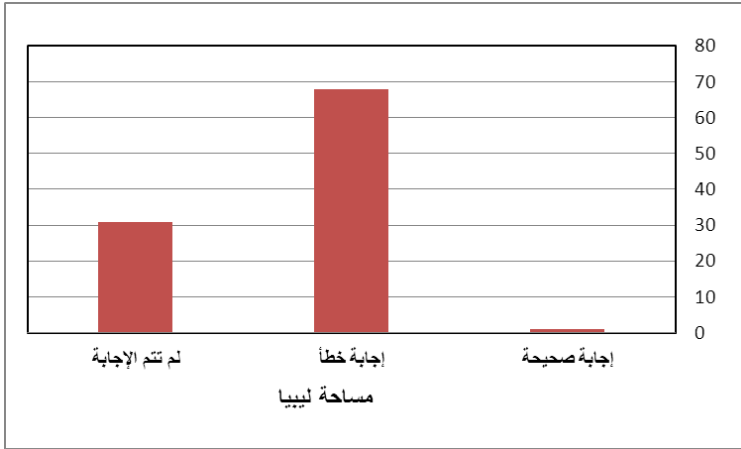
جدول (3) يبين فيه مساحة ليبيا

مساحة ليبيا	العدد	%
إجابة صحيحة	2	1
إجابة خطأ	136	68
لم تتم الإجابة	62	31
<b>المجموع</b>	<b>200</b>	<b>100</b>

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

شكل (2) يوضح اجابة الطلاب لمساحة ليبيا





من خلال الجدول (3) والشكل البياني (2) يتبين أن هناك 1% فقط كانت إجابة صحيحة والمتعلقة بمساحة ليبيا، بينما تحمل الإجابات الخاطئة أكبر نسبة، أما ما نسبته 31% امتنعوا عن الإجابة.

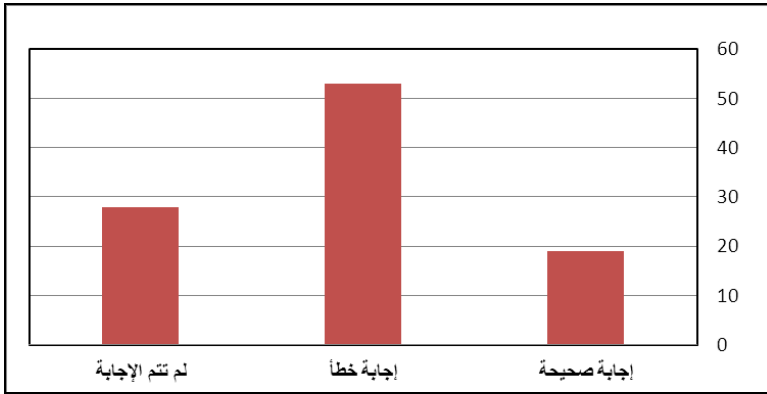
4 - كم يبلغ طول الساحل الليبي:

جدول (4) طول الساحل الليبي

طول الساحل	العدد	%
إجابة صحيحة	38	19
إجابة خطأ	106	53
لم تتم الإجابة	56	28
<b>المجموع</b>	<b>200</b>	<b>100</b>

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

شكل (3) يوضح إجابات الطلاب لطول الساحل الليبي



يتبين من خلال الجدول السابق والشكل البياني أن 53% والشكل البياني من خلال المرحلة الثانوية لا يعرفون طول الساحل الليبي، ويرجع السبب إلى ذلك أن عدم الوعي من المعلم في توضيح طول الساحل الليبي ومدى أهميته باعتباره بوابة أفريقيا من ناحية الشمال، خاصة وأن معظم الإجابات الخاطئة كان من سنة ثانية وثالثة تخصص أدبي، أما 19% فكانت إجابات صحيحة.

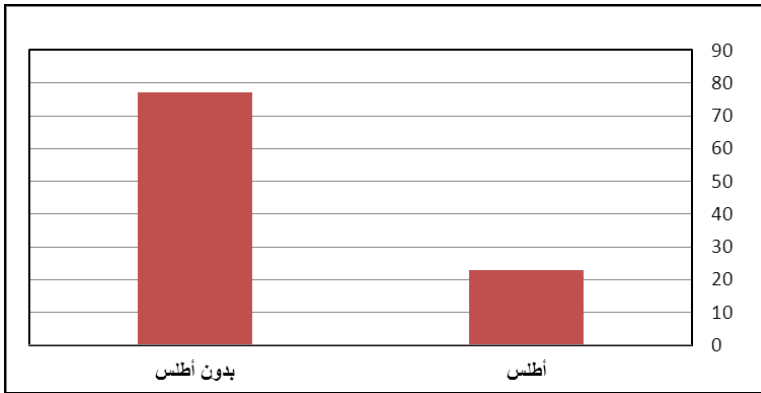
## 5 - طريقة مذاكرتك داخل المنزل:

جدول (5) طريقة المذاكرة

طريقة المذاكرة	العدد	%
أطلس	46	23
بدون أطلس	154	77
<b>المجموع</b>	<b>200</b>	<b>100</b>

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

شكل (4) يوضح طريقة مذاكرة الطلاب داخل المنزل بأطلس أو بدون أطلس



من خلال الجدول (5) والشكل البياني (4) يتضح أن النسبة الأعلى من عدد الطلاب يذكرون بدون أطلس داخل منازلهم وهذا أحد الأخطاء الشائعة لطريقة المذاكرة

لأن المذاكرة بدون أطلس تتسبب في نسيان المعلومات بسرعة، فبالتالي يجب على الأستاذ التشديد على أهمية الخرائط الذهنية في طريقة استعادة المعلومات.

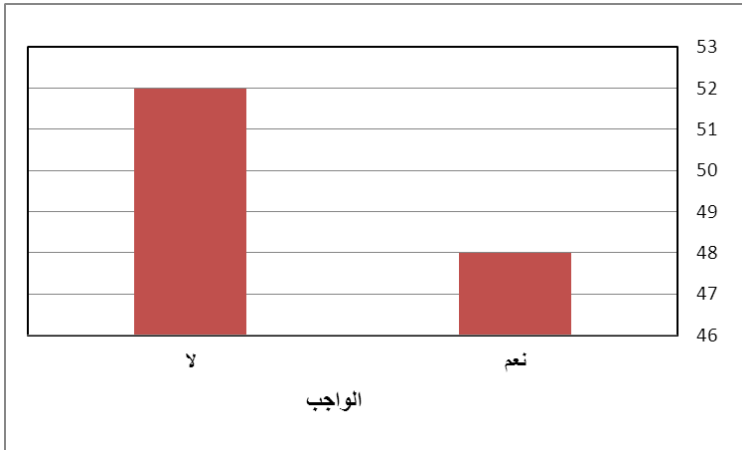
6 - هل يتم إجابة الواجب برسم الخريطة:

جدول (6) يبين كيفية إجابة الواجب

الواجب	العدد	%
نعم	96	48
لا	104	52
المجموع	200	100

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

شكل (5) يوضح مدى قيام الطلاب برسم خرائط كواجبات منزلية أو فصلية



يبين لنا الجدول السابق والشكل البياني (5) أن نسبة الذين يكتبون الواجب مدعم بالخريطة تكاد تتساوى مع نسبة الذين يكتبون واجبهم بدون رسم خريطة مع فارق بسيط جداً بين النسبتين، فيجب الحرص على كتابة الواجب بالخريطة، لكي يسهل فهم وحفظ معالم ليبيا، والمتمثلة في الجبال والهضاب والوديان.

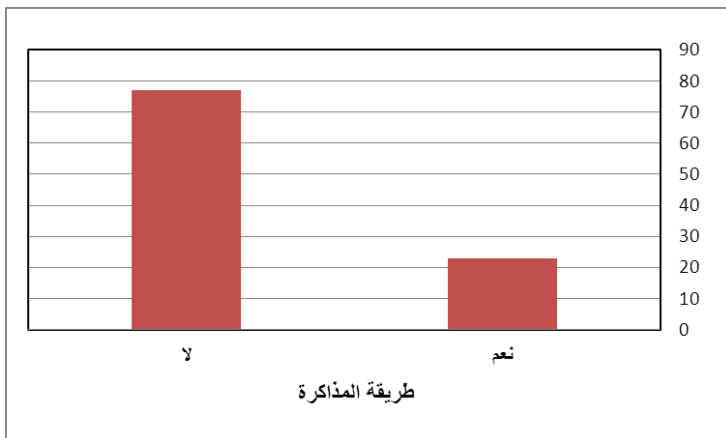
7 - هل يقوم الأستاذ بشرح المعالم الجغرافية على الخريطة داخل الفصل:

جدول (7) بين المعالم الجغرافية على الخريطة

طريقة المذاكرة	العدد	%
نعم	46	23
لا	154	77
<b>المجموع</b>	<b>200</b>	<b>100</b>

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

شكل (6) يوضح مدى شرح المدرسين لطلاب تحديد ظاهرات الجغرافية على الخريطة



بلغت نسبة الذين أجابوا بنعم 59% من خلال الجدول (7)، أما الذين أجابوا بالنفي فقد بلغت نسبتهم 41%، يجب على أستاذ المادة أن يقوم بشرح المقرر على الخريطة، فبدون وجود خريطة داخل الفصل فإن الحصة تكون مملة بدون روح منافسة، وبالتالي يسهل على الطالب نسيان المعلومات بسرعة.

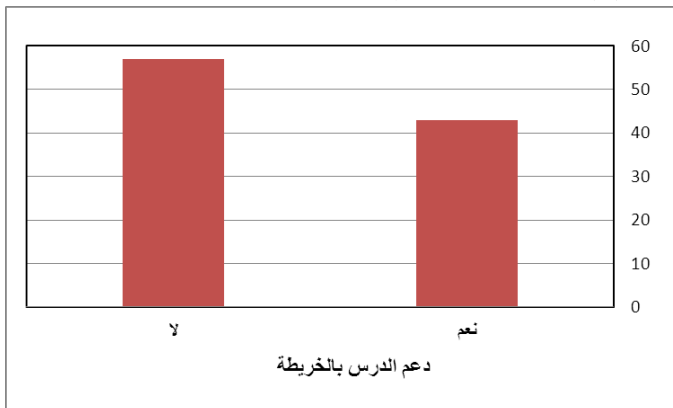
- هل يتم دعم شرح الدرس بخريطة لييبيا؟

جدول (8) دعم شرح الدرس بخريطة لييبيا

العدد	%	دعم الدرس بالخريطة
86	43	نعم
114	57	لا
200	100	المجموع

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

## شكل (7) يوضح مدى دعم شرح المدرس بخريطة ليبيا للطلاب



يوضح الجدول (8) والشكل البياني (7) دعم شرح المدرس بخريطة ليبيا، فقد بلغت نسبة الذين أجابوا بـ لا أعلا من الذين أجابوا بنعم بنسبة 14%، يجب دعم المدرس بالخريطة ويجب على كل مدرسة توفير خريطة ليبيا كي يتسنى للطلاب معرفة معالم بلادهم.

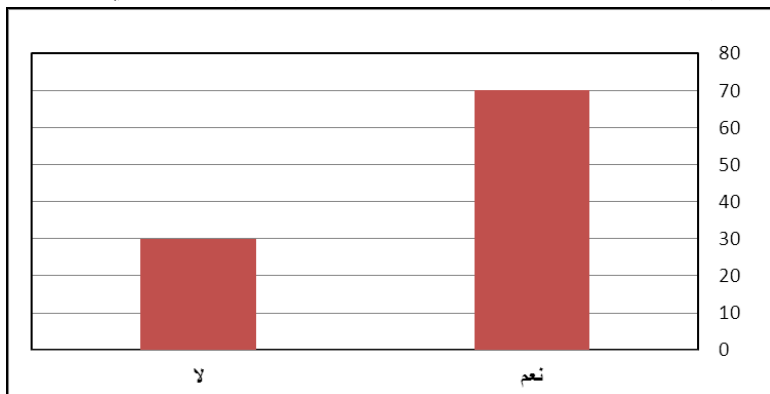
## 9 - هل سبق وأن طلب منك رسم خريطة في الامتحان أو الاختبارات الشهرية؟

## جدول (9) يبين طلب الأستاذ من الطالب رسم خريطة في الامتحان

رسم خريطة في الامتحان	العدد	%
نعم	140	70
لا	60	30
المجموع	200	100

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

### شكل (8) يبين مدى طلب الاستاذ من الطلاب رسم خريطة في الامتحان



يبين جدول (9) والشكل البياني (7) ما نسبته 70% يتم طلب منهم رسم خريطة ليبيا في الامتحان، فيجب على كل أستاذ يطلب رسم خريطة في الامتحان أن يوضح للطلاب داخل الفصل كيفية رسم الخريطة عن طريق خطوط الطول ودوائر العرض، أما الذين أجابوا بالنفي فقد بلغت نسبتهم 30% لم تطلب منهم رسم خريطة في الامتحان أو الاختبارات الشهرية وهذا ما يعني أنه لا يوجد طرق تدريس سليمة تشجع على مواكبة التعلم من خلال رسم الخرائط وفهم ومعالمها بشكل سهل ومبسط.



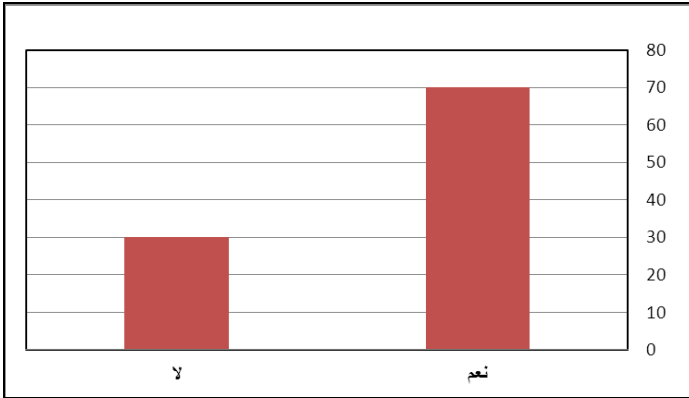
## 10 - هل تستطيع رسم خريطة ليبيا دون مساعدة أو دون النظر إلى الأطلس؟

جدول (10) يبين رسم خريطة ليبيا دون مساعدة أو النظر إلى الأطلس

رسم خريطة ليبيا دون مساعدة	العدد	%
نعم	140	70
لا	60	30
المجموع	200	100

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

## شكل (9) يبين مدى قيام الطلاب برسم خريطة ليبيا دون مساعدة أو دون النظر إلى الأطلس



بالنظر إلى الجدول السابق والشكل البياني يتبين أن الطلاب الذين يستطيعون رسم خريطة ليبيا دون مساعدة 70% وهذا يدل على اهتمام الطلبة في رسم الخريطة مع مساعدة الأستاذ، أما الذين لا يستطيعون رسم الخريطة فقد بلغت نسبتهم 30%.

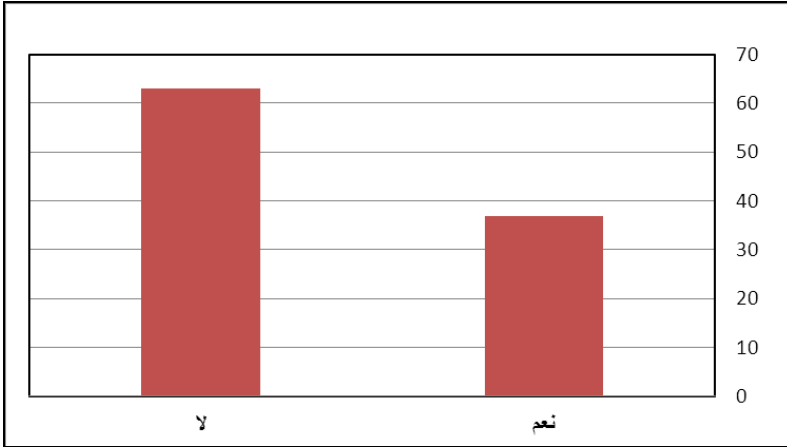
## 11 - هل تستطيع معرفة معالم ليبيا على خريطة صماء؟

جدول (11) يبين مدى معرفة معالم ليبيا على خريطة صماء

رسم معالم ليبيا على خريطة صماء	العدد	%
نعم	74	37
لا	126	63
المجموع	200	100

المصدر: من إعداد الباحثتان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

شكل (10) يوضح مدى قيام الطلاب بتدريبات أو تمارين فصلية يحددون فيها ظاهرات على خرائط صماء



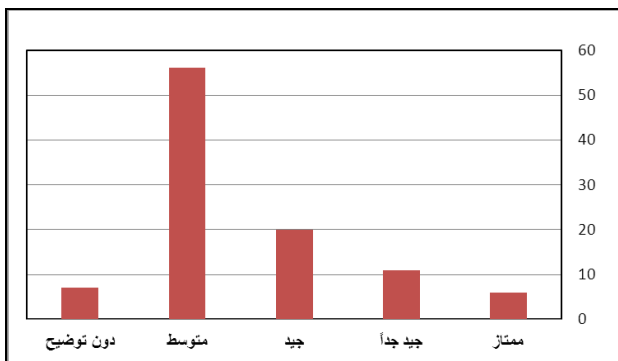
من خلال الجدول (11) والشكل البياني (10) يتبين أن 63% من عدد الطلاب لا يستطيعون معرفة أو تحديد معالم ليبيا على خريطة صماء أما نسبة 37% يستطيعون تحديد المعالم على الخريطة.

12 - جدول (12) يبين تقدير الإجابات الصحيحة في تحديد المعالم على الخريطة الصماء:

التقدير	العدد	%
ممتاز	12	6
جيد جداً	22	11
جيد	40	20
متوسط	112	56
دون توضيح	14	7
<b>المجموع</b>	<b>200</b>	<b>100</b>

المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى نتائج استبيان 2018م.

شكل (11) يوضح تقدير الاجابات الصحيحة لدى الطلاب في تحديد المعالم على الخريطة الصماء



الجدول السابق والشكل البياني يوضح أن نسبة 56% من الطلاب نسبتهم متوسطة في توضيح معالم الخريطة، فهو يتصدر القائمة، ويتذيل القائمة الممتاز فنسبتهم 6%، يجب التركيز أكثر على رسم الخريطة وتوضيح معالمها.

**خلاصة النتائج : النتائج تتمثل في:**

- 1- تدني مستوى طلاب الثانوية لمعرفة ملامح خريطة ليبيا وخاصة في توضيح الظواهر الجغرافية عليها.
- 2- قلة استخدام معلمي الجغرافيا لمهارات الخرائط وعدم استخدام طرق تدريس حديثة تسهل للطلاب رسم الخريطة وفهم معرفة معالمها الجغرافية.
- 3- عدم توفر أطالس تعليمية مبسطة تواكب مناهج الكتب الجغرافية.
- 4- عدم وعي الطلاب لأبسط المعلومات الجغرافية على ليبيا وارتفاع نسبة الأخطاء عندهم وهذا ما يدل على ضعف الكفاءة التعليمية المتبعة لمعلمي الجغرافيا.

تمثلت التوصيات في الآتي:

- 1- تدريب الطلاب على قراءة ورسم الخرائط وتبسيطها لهم بشكل بسيط، وتخصيص حصص مدرسية خلال العام يمارس فيها الطلاب بتدريب على رسم وقراءة الخرائط.
- 2- إعادة النظر في مستويات كتب الجغرافيا في مراحل التعليم الأساسي وذلك بالتوسع في شرح المواضيع الجغرافية بوضوح خاصة على ليبيا وأن يصاحب تلك الكتب كتيب أطلسي مدرسي يحتوي على عدد من الخرائط مدعماً بمعلومات مبسطة على ليبيا كم تبلغ مساحة وعدد السكان وغيره.
- 3- إقامة دورات تدريبية لمعلمي الجغرافيا ودعمهم بخرائط وكيفية تعلم طرق التدريس الحديثة والمبسطة.

### المراجع

- 1- خضر العبادي، دليل قراءة الخرائط والصور الجوية، دار الكتب العلمية الدولية للنشر والتوزيع، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002م.
- 2- فلاح شاكر أسود، علم الخرائط نشأته وتطوره ومبادئه، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1988م.
- 3- صبحي صالح الدايني، خرائط الطبوغرافية وأهميتها الاستراتيجية للوطن العربي، جامعة المستنصرية، مركز دراسات وبحوث الوطن العربي.
- 4- محمد صبحي عبد الحكيم، ماهر الليثي، علم الخرائط، دار مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1996م.

## النفط الليبي دراسة جغرافية

إعداد: د. أنور عمر أبو شينة- أ. ليلي الأبيض

## المقدمة

كان الاعتقاد السائد بين كثير من العلماء الباحثين، أن ليبيا تعد من أفقر البلدان وأنها بلد لا يوجد فيها أي مصدر من مصادر الطاقة - لقد تحطم هذا الاعتقاد عند اكتشاف النفط في عام 1956م. بما أن اكتشاف النفط يعد أهم حدث في الاقتصاد الليبي وكذلك وهو المصدر الرئيسي للدخل في ليبيا ، حيث يشكل نحو 95 % من الإيرادات العامة للدولة، و نحو 96% من الناتج المحلي الاجمالي، كما تشكل الصادرات النفطية نحو 55 % من إجمالي الصادرات الليبية، و لقد بلغ حجم إنتاج النفط الليبي نحو 400 ألف برميل يوميا بنهاية العام 2015 ، بالمقارنة بنحو 1.7 مليون برميل يوميا خلال العام 2010. على الرغم من أهمية النفط والتي ينبغي أن تنعكس على الدول المنتجة له ، إلا أنها لم تستثمر النفط لتنمية دورها السياسي والاقتصادي العالمي نتيجة للتخطيط السياسي والاقتصادي الخاطئ، وعدم امتلاك التقنيات اللازمة لتطوير الصناعات النفطية.

## مشكلة الدراسة:

تتعرض الدول المنتجة للنفط والتي تمتلك كميات كبيرة من الاحتياطي الى كثر من الضغوطات الجيوستراتيجية من قبل الدول الصناعية الكبرى تهدف معظمها الى الهيمنة على هذه الدول سياسيا واقتصادياً، ومن هذه الضغوطات ماتم تطبيقه مثل الحصار

الاقتصادي على ليبيا وقضية لوكربي، ومن هنا تبرز مشكلة البحث التي يمكن صياغتها بالسؤال الاتي:-

1. هل يمثل النفط الليبي محوراً للاستراتيجيات الدولية ضد الدول المنتجة له لضمان تدفقه الى أسواق الدول الصناعية الكبرى؟
2. كيف يتوزع النفط الليبي بين المناطق من حيث الاحتياطي والانتاج والاستهلاك؟
3. ما حجم ومستوى الصناعات النفطية الليبية؟ وما حجم عوائدها؟ وما دورها في البناء الاقتصادي الليبي؟
4. ماهي الأهمية الاستراتيجية للنفط الليبي في منظور القوى الدولية.

#### فرضية الدراسة :

- هل يساهم النفط الليبي وسيبقى مساهما في رسم الجيوستراتيجيات والخطط العسكرية التي يتم رسمها في دوائر السياسة والاقتصاد للدول الصناعية الكبرى بهدف ضمان تدفق النفط اليها.
- ان لحجم الاحتياطي وكمية انتاج النفط في ليبيا له دورا مهما في تأطير الاستراتيجيات التي تضعها الدول الصناعية الكبرى.

- لم تكن عوائد النفط الليبي بمستوى الطموح لقصر مساهمتها التتموية على مستوى الدولة.

- الصناعات النفطية الليبية لازالت تبحث عن مكان اقامتها على مساحة الارض الليبية.

أهداف الدراسة:

- توضيح صورة التباين المكاني للنفط في ليبيا انتاجا واحتياطيا واثره في الاحداث السياسية التي يمر بها، وما سيتعرض له من احداث سياسية وعسكرية في المستقبل المنظور.

- التركيز على الصناعات النفطية وعوائد النفط المالية لعلها تساهم في بناء اقتصاد متنوع، والخروج من مأزق الاقتصاد أحادي الجانب، والتخفيف من حدة التبعية الاقتصادية.

- اعطاء رؤية عن المخططات الجيوستراتيجية التي يمكن ان تصوغها الدول الصناعية للسيطرة على منابع النفط وبيان الخطط التي يمكن ان تحدث مستقبلا في ضوء تلك المخططات.

منطقة الدراسة



تتطابق الحدود المكانية للدراسة مع الخريطة السياسية لليبيا فتتمد فلكياً ما بين خطي طول (9°) و (25°) شرقاً ، ويحدها جنوباً خط عرض (18.25°) ، أما شمالاً فيحدها خط عرض (33°) شمالاً. (1)

وجغرافياً يحدها من الشمال البحر المتوسط ، ومن الجنوب جمهوريتنا تشاد والنيجر ، ومن الغرب تونس والجزائر ، ومن الشرق جمهوريتنا مصر والسودان ،

---

(1) الهادي بولقمة، (مدخل عام)، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، (تحرير) الهادي بولقمة ، وسعد القزيري ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، سرت ، ط1 ، 1995 ، ص 17 .

## شكل ( 1 )

## الخريطة (1) الموقع الجغرافي لدولة ليبيا .



المصدر: الجماهيرية، أمانة اللجنة المنطقة العامة للتخطيط والتجارة، مصلحة المساحة، خريطة التقسيم الإداري للجماهيرية سنة 2000.

ويبلغ عرض الرقعة الجغرافية من الشرق إلى الغرب حوالي 1520 كم في المتوسط بينما يتراوح عمقها من الشمال إلى الجنوب بين 1350 كم في أقصاه في الشرق و 1080 كم في أدناه في الغرب .

الأهمية الاستراتيجية لليبيا.

لقد أعطى موقع ليبيا الجغرافي عبر تاريخها المعروف أهمية خاصة، إذ إن موقع ليبيا على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط بساحل يمتد حوالى 1820 كم كان له أثر عظيم في التكوين السكاني والتاريخي والوضع السياسي للبلاد<sup>(1)</sup>.

إن وجود ليبيا وسط الشمال الأفريقي في مواجهة الساحل الجنوبي لأوروبا، كان هدف الحكومات الليبية منذ الاستقلال هو المحافظة على استقلال البلاد، وضمان حريتها، مدعمة بالصدقة والاحترام للدول الغربية، والاخوة الصادقة مع بلدان الوطن العربي.

إن الموقع الاستراتيجي الجغرافي لليبيا يحتم إقحامها تقريباً في كل خلافات ومشاكل بلاد البحر المتوسط، أن هذا الموقع جعل الأمور صعبة بالنسبة للحكومة الليبية، والتي تحتم عليها في الزمن الحديث أن تخضع في بعض الأحيان للضغوط الداخلية في أخذ مواقف حاسمة مثل مسألة الجزائر وأزمة قناة السويس وحرب العراق. كما لاحظنا خلال تاريخ ليبيا الطويل، كيف البلاد انجرت إلى صراعات حربية عديدة.

ويبلغ عدد سكان ليبيا 5363369 مليون نسمة عام 2012م، وتميزت البنية السكانية بانها شابه، اي ان نسبة الفئة العمرية في سن النشاط الاقتصادي (15 - 65) بلغت 61% من السكان، وما لذلك من انعكاسات ايجابية على مستوى مستقبل البلاد، مايشير الى ان الدولة الليبية قادرة على تحقيق انجازات حضارية حالياً وفي المستقبل<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - د. سالم علي الحجاجي ، ليبيا الجديدة دراسة جغرافية، اجتماعية، سياسية ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، 1989م، ص18، 19.

<sup>2</sup> - المسح الوطني للسكان، 2012م، ص6.

وزاد من اهمية ليبيا، امتلاكها مخزون هائل من النفط، وسيتم تناوله مع كميات الانتاج والاستهلاك في هذا الفصل.

### توزيع احتياطي النفط وإنتاجه في ليبيا

#### أولاً. توزيع احتياطي النفط(\*)

تمتلك ليبيا أكبر مخزون من النفط في إفريقيا، حيث تقدر الإحتياطيات النفطية المؤكدة بنحو 46,6 مليار برميل، أي نحو 3.36% من احتياطي العالم، ويمثل نسبة 6.36% مما تنتجه المنظمة العربية المصدرة للبترو (أوبك)، ونسبة 4.87% مما تنتجه منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك). والجدول التالي يوضح تطور معدلات الانتاج خلال الفترة من 1985 إلى 2017م<sup>(1)</sup>.

الجدول (1) احتياطي النفط في ليبيا للأعوام 1985-2015 (مليار برميل)

الدولة	1985	1995	2005	2015
ليبيا	21.3	45.0	39.1	46.6

- يعني مصطلح الاحتياطي ذلك الجزء من النفط المخزون في المكمن والذي من الممكن \* استخلاصه بالكلف والاسعار المحددة في فترة زمنية معينة وبالطرق التقنية المعروفة عند احتساب الاحتياطي.

1- منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترو (اوابك)، التقرير الاحصائي السنوي لعام 2008، الكويت، 2008، ص9.

المصدر: جامعة الدول العربية واخرون، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 1986، ص306.

وكمية الاحتياطي الكبيرة هذه جعلت ليبيا عامل جذب للاستثمارات الاجنبية في السابق، والتنافس الدولي للحصول على موطأ قدم في هذه الدولة المهمة جيوسراتيجيا. لذلك نلاحظ ضخامة الأحداث السياسية التي تشهدها الان وستشدها في المستقبل المنظور.

ثانياً: توزيع أنتاج النفط.

ولقد بلغ حجم إنتاج النفط الليبي نحو 900 ألف برميل يومياً بنهاية العام 2017م بالمقارنة 1,7 مليون برميل يومياً بنهاية العام 2010. ووصل التراجع في إنتاج النفط إلي نسبة تصل 49% مما تسبب في انخفاض في الإيرادات العامة للدولة ويرجع هذا النخفاض إغلاق حقول النفط بسبب المشاكل الفنية التي تعاني منها عدد من الحقول. والجدول التالي يوضح (2) تطور معدلات الانتاج خلال الفترة 2010-2017م.

جدول رقم (2) يوضح الإنتاج المحلي لمشتقات النفط خلال الفترة من 2010-2017م

الإنتاج بالمليون برميل يومياً			السنة
التغير في المجموع	المجموع	المتوسط اليومي	
4.0	616	1.7	2010
71-	178.6	0.5	2011
197.1	530.7	1.5	2012

31.7-	362.6	1.0	2013
51.7-	175.2	0.5	2014
16.3-	146.6	0.4	2015
5.9-	137.9	0.4	2016
132.6	320.8	0.9	2017

المصدر: النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي، إدارة البحوث والاحصاء  
المجلد 58 الربع الرابع 2018م.

ثالثاً: توزيع استهلاك النفط في ليبيا

وفيما يتعلق باستهلاك المحلي من المشتقات النفطية المتمثلة في البنزين وزيت الوقود الثقيل ووقود الديزل وغاز الإسطوانات ووقود الطائرات وكيروسين، فقد شهدت تذبذباً بين التراجع والأرتفاع خلال تلك الفترة حيث بلغت في عام 2011 و 2013 و 2015 و 2016 و 2017 نحو 7,8 و 7,7 و 9,7 و 8,8 و 8,9 ألف متر مكعب يومياً على التوالي، مقارنة بنحو 12,1 و 10,6 و 11,7 ألف متر مكعب خلال الاعوام 2010 و 2012 و 2014، مما يعني تقادم الوضع النفطي في ليبيا حيث يتزامن تراجع الإنتاج مع ارتفاع معدلات الأستهلاك المحلي.

جدول رقم (3) يوضح الاستهلاك المحلي من مشتقات النفط

خلال الفترة من 2010-2017م

الاستهلاك المحلي	خلال العام
بألاف الأطنان المترية يومياً	

12,131	2010
7,825	2011
10,6661	2012
7,707	2013
11,707.6	2014
9,761.7	2015
8,805.1	2016
8,904.0	2017

المصدر: النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي، إدارة البحوث والاحصاء  
المجلد 58 الربع الرابع 2018م.

ان استهلاك النفط يتغير من منطقة الى اخرى بحسب الاختلاف في هيكل ومستوى تطور القطاعات الاقتصادية والاجتماعية، فاستهلاك البنزين مرتبط بعدد المركبات، وطول المسافات فضلا عن نوعية السيارات المستخدمة وكفاءة استخدامها للوقود، كما ان استهلاك غاز الإسطوانات مرتبط بتطور القطاع المنزلي والتجاري من حيث عدد المساكن وحجم الاسرة وتواجدها في المدن او الريف، بينما يرتبط استهلاك زيت الغاز والديزل بتطور القطاع الزراعي والصناعي وتوليد الطاقة الكهربائية، اما زيت الوقود الثقيل فيرتبط بتطور القطاع الصناعي وتوليد الطاقة الكهربائية، لاسيما في ضوء سياسات الدولة الرامية الى التوسع في استخدام الغاز الطبيعي في قطاع الكهرباء بديلاً من المنتجات النفطية.

رابعاً: نقل النفط الليبي

هناك وسائل متعددة لنقل النفط منها، النقل البحري بواسطة السفن والبواخر العملاقة، والنقل البري بواسطة اساطيل الشحن، لكن أهم وارخص وسائل نقل النفط برياً الا وهو النقل بواسطة الانابيب (ويعد واحدا من طرق النقل البري) ، ومهمة هذه الانابيب تتلخص بنقل النفط من منابع الاستخراج الى منافذ التصدير في البحار والخلجان والمحيطات، ومن هذا يتبين بان الوسيلة مكملة لعملية النقل بواسطة السفن والبواخر العملاقة التي تنقل النفط الى مناطق استهلاكه قاطعة مسافات تصل الى عشرات الآلاف من الكيلومترات، وهناك اسباب عديدة جعلت النقل بواسطة الانابيب افضل من بقية الوسائط الاخرى ومن هذه الاسباب ماياتي<sup>(1)</sup>.

- 1- انها توفر كثيرا من نفقات النقل نتيجة لتدفق النفط بشكل مستمر عبرها، ويعكس الوسائط الاخرى التي تعود غير محملة.
- 2- توفر في تكلفة الطاقة لان خطوط الانابيب هي وسائل نقل ثابتة، والطاقة فيها تستهلك فقط لضخ النفط الخام.
- 3- اختصار المسافات وهذا يقلل في كلفة النقل ويوفر من الطاقة.
- 4- لاتحتاج الى بناء بعض المنشآت والمرافق الخدمية الخاصة بالوسائل الاخرى كالكسك الحديدية ومحطات القطارات.

<sup>1</sup> - رضا عبد الجبار سلمان الشمري، مصدر سابق، ص 47.



5- توفر في تكاليف الايدي العاملة لاسيما وان التكنولوجيا تتطور بشكل مستمر في خطوط الانابيب، وهذا يخفض في عدد الايدي العاملة اللازمة لتشغيل ومراقبة الانابيب.

6- تعد اقل تلوثا للبيئة واقل تاثرا بالظروف المناخية والمتغيرات البيئية الاخرى.

بالرغم من كل هذه المميزات التي تميز النقل بواسطة الانابيب عن غيره من وسائل النقل، الا ان هناك بعض المشاكل الجيوستراتيجية التي تعد من اهم المشاكل التي تواجه ضخ النفط عبر الانابيب، فعلا سبيل المثال توقف ضخ النفط عبر خط انبوب النفط العراقي الممتد الى حيفا في فلسطين بسبب الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين.

ان المشاكل السياسية تترك اثارها السلبية على تسويق النفط وتجارته الدولية فهي تؤدي الى رفع تكاليف ضخ النفط، وتكاليف التشغيل واجور العمال والعائدات الحكومية للدول التي تمر بها هذه الانابيب، فضلا عن الاندثار من جراء التوقف، وهذا بالمحصلة ينعكس على اسعار النفط اذ انها سترتفع بالتأكيد وستؤثر على كمية الاستهلاك وبالتالي تنعكس على معظم مفاصل الاقتصاد العالمي.

ان الدولة لم تتجاهل هذه المشاكل الجيوبولتكية، بل اخذتها بالحسبان، لذلك حاولت ايجاد اكثر من منفذ لنقل النفط بواسطة الانابيب

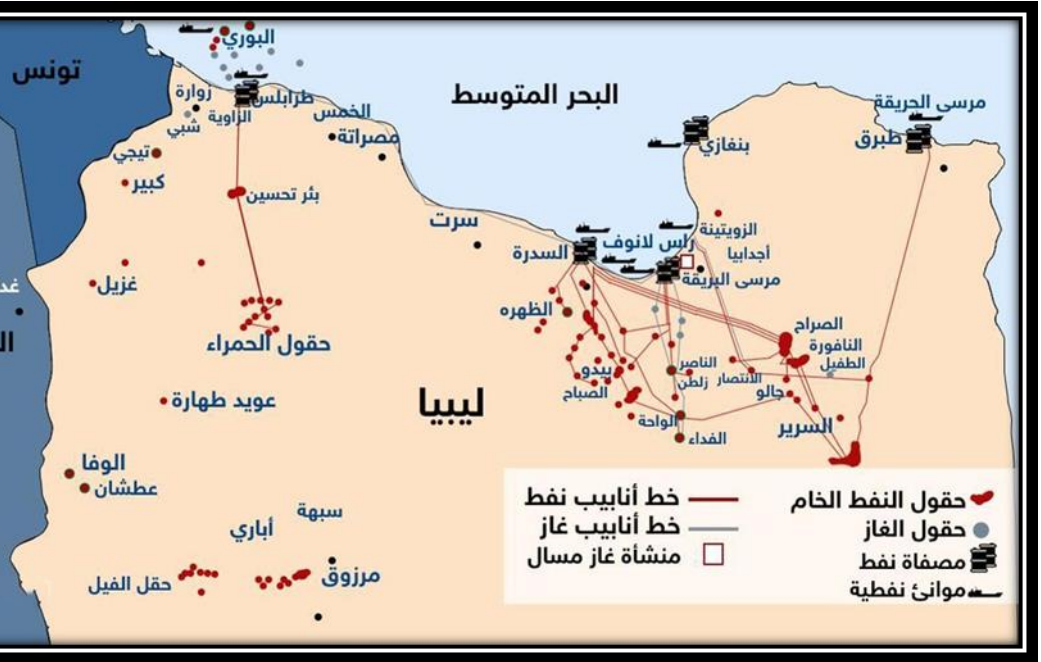
ان عملية انشاء ومد خطوط انابيب النفط تتطلب تحديد المسار الذي سوف تسلكه هذه الانابيب، وذلك يقتضي دراسة طبيعة المنطقة التي سيمر من خلالها، فمن الضروري معرفة اذا ماكان الانبوب سيمر عبر الصحراء او الغابات او مناطق جبلية او مساحات من المياه او في قاع بحر او نهر، فخطوط الانابيب واثاء مرورها تحتاج الى مستلزمات صيانه تختلف من منطقة لاخرى، ودراسة هذه الظروف تساعد في تحديد المسار

الصحيح لخط الانابيب لضمان سلامة العمل فيه بما ينسجم والاعتبارات الاقتصادية والفنية، كما ان المشروع قد يواجه مجموعة من الاحوال الطبيعية المختلفة، التي يمكن ان تحول حتى وان كان بالامكان التغلب عليها من الناحية الفنية، دون تشغيل الخط وفقا للاعتبارات الاقتصادية.

بما ان مرور خطوط الانابيب قد يكون في عدد من البلدان، فان مشروعاً لانشاء مثل هذه الخطوط انما يعتمد على تعاون البلدان المعنية، وقد يتم الاتفاق على ان ينشئ كل بلد ذلك الجزء الذي يمر عبر اراضيه مع تجهيزه بكافة الوسائل والمعدات اللازمة، والقيام باعمال الصيانه، وبذلك يعتبر كل جزء يمر في اراضي بلد ملكاً لذلك البلد، ويكون من حقه التمتع بكافة المنافع التي تترتب على هذه الملكية<sup>(1)</sup>. وقد يشترك بلدين او اكثر في انشاء مشروع لخط الانابيب حيث تتوزع بين الشركاء جميع المنافع الاقتصادية الناتجة عن ذلك بموجب اتفاقية انشاء المشروع.

## الخريطة (2) توضح حقول وشبكات أنابيب النفط

- عدنان حسين يونس، اضواء على اقتصاديات نقل النفط والغاز الطبيعي بالانابيب، بغداد، 1 دار الثورة للصحافة والنشر، مجلة النفط والتنمية، العدد 6، 1983، ص 39.



### خامساً: توزيع شبكات أنابيب النفط

تمتلك الدولة شبكات واسعة من خطوط انابيب نقل النفط فمعظمها لاسيما المنتجة للنفط انشأت شبكات من خطوط الانابيب لتصبح لديها الامكانية لتصدير النفط والقدرة على المناورة من خلال تعدد منافذ التصدير، وهذا البحث سيتناول اهم هذه الدول حسب اهمية وسعة شبكات خطوط انابيب نقل النفط.

يبلغ مجموع اطوال الانابيب 3880 كم، واهم هذه الخطوط وأطولها خط انابيب سرير - ميناء الحريقة الذي يبلغ طوله 514 كم وقطره 34 بوصة ثم خط انابيب مسلا - رأس لانوف الذي يبلغ طوله 479 كم وقطره 36/42 بوصة .

## جدول (4) يوضح أهم أنابيب النفط الخام في ليبيا لعام 2017

الطول (ميل)	القطر (بوصه)	الأنبوب
107	36	ناصر/ البريقة
55	20	الراقويه/ علم 115
94	30	جبالو/ الواحه
114	32	سماح/ الظهره
85	24	وصلة البيضاء/ وصلة السعيدة
85	30	بو الطفل/ انتصار
256	24	الواحة/ السدره
242	18	حمادة/ الزاوية
137	40	انتصار/ الزويتينة
170	30	امال/ راس لانوف
298	36/42	مسلا/ راس لانوف
321	34	سرير/ ميناء الحريقة

كما تحتوي ليبيا على موانئ نفطية هامة، يقع معظمها في منطقة الهلال النفطي، ومنها:

- ميناء السدرة: يبعد 180 كلم شرق سرت، تزيد طاقته الإنتاجية على 400 ألف برميل يوميا، ويضم 19 خزانا بسعة نحو 6.2 ملايين برميل.
- ميناء راس لانوف: يبعد 23 كلم من ميناء السدرة، وتبلغ طاقته الإنتاجية 220 ألف برميل يوميا.
- ميناء الزويتينة: يقع في مدينة أجدابيا على مسافة 180 كلم غرب بنغازي، وتبلغ طاقته الإنتاجية مئة ألف برميل يوميا.
- ميناء الحريقة: يقع في مدينة طبرق، وتبلغ قدرته الإنتاجية نحو 110 آلاف برميل يوميا.
- ميناء البريقة: يقع في خليج سرت في أقصى نقطة جنوبي البحر المتوسط، ويبعد نحو 600 كلم شرق العاصمة طرابلس، ينتج كميات ضئيلة من النفط
- الخريطة (3) توضح حقول و موانئ نفطية هامة



المصدر: بلقيس عبد الرضا، خارطة الحقول والموانئ النفطية في ليبيا.

## النتائج

تناول بحث النفط الليبي: عرض للواقع النفطي الليبي من حيث توزيع الاحتياطي والإنتاج والاستهلاك وأنابيب النفط، والصناعات النفطية والعوائد النفطية، وكذلك الأهمية الجيوستراتيجية من منظور قوى الاستهلاك الدولي ومنظمة أوبك والشركات متعددة الجنسية، وتوصل الى الاستنتاجات الآتية:-

1. نجحت الدولة الليبية في إقامة مجتمعات صناعية بتروكيماوية تشكل العمود

الفكري للتنمية المستدامة الشاملة وآفاقها، وهذه الصناعة تواجه تحدي المنافسة

العالمية، لاسيما من جانب القوى الدولية في القارتين (أمريكا الشمالية وأوروبا) التي تحمل قصب السبق في هذه الصناعة خبرة، وتقانة، وسلعة منتجات ذات جودة عالية واستخدامات صناعية واستهلاكية متنوعة، وهي المنافسة التي تتطوي في بعض صورها السلبية على قيام الأخيرة بفرض قيود مثل الضرائب على صادرات الدول المصدرة للنفط من بعض المنتجات البتروكيمياوية المنافسة في أسواقها.

2. تذبذب الإنتاج النفطي في ليبيا بشكل واضح منذ عام 2011 بسبب عدم الاستقرار السياسي والأمني .
3. يمتاز النفط الليبي بغزارة الآبار المستخرج منها، وقربة من الموانئ التصدير، ويصنف نفط ليبيا بقلّة كثافته وعدم احوائه على نسب كبريت كبيرة.
4. بسبب الكثير من القيود على الحركة التجارية من وإلى ليبيا من إقبال على النفط الليبي من جهة، وترفع تكاليف تصديره من خلال زيادة مصاريف الشحن والتأمين من جهة أخرى، وهو ما يجعل قطاع النفط الليبي أقل تنافسية في ظل الأحداث السياسية الجارية في الداخل الليبي، وفي الوقت ذاته.
5. تسعى الدولة النفطية من خلال منظمة أوبك الى المحافظة على استقرار أسعار النفط، وذلك من خلال الحوار مع الشركات النفطية العالمية، وخلق الأجواء المناسبة للحوار بين المنتجين والمستهلكين، فضلا عن توحيد المواقف داخل

منظمة أوبك، أي بين الدول الأعضاء داخل المنظمة ذاتها، واتخاذ القرارات بشكل جماعي لا فردي.

### وعليه توصى الدراسة :

- بذل الجهود لتحقيق الاستقرار السياسي واعتماد اللامركزية في توزيع العائدات، قد يسهم في التعامل مع هذه النزعات الانقسامية، وتقريب الحكومة من الشعب، ودعم قدرات المؤسسات المحلية من أجل صياغة سياسات تلبي المطالب المحلية. ويمكن تحقيق أرباح من اللامركزية دون تكلفة اقتصادية كبيرة، كما يمكن تحويل الأرباح السنوية إلى السلطات المحلية لتتصرف فيها.
- إصلاح السياسات الاقتصادية المطلوبة لتعزيز الاستقرار الاقتصادي في المدى المتوسط، ودعم التنافسية، وتنويع الصادرات في المدى البعيد .
- جذب استثمارات أجنبية بعشرات المليارات من الدولارات لإعادة هيكلة البنية الأساسية وقطاعات النفط التي تضررت جراء الحرب في ليبيا.
- تحديث المصافي القائمة و بناء مصاف جديدة، وزيادة طاقة العمليات التحويلية، وذلك بغية الانتقال التدريجي نحو إنتاج مشتقات نفطية نظيفة، وبمواصفات أكثر ملائمة للبيئة، وذلك لتغطية حاجة السوق المحلية ولتسويق الفائض إلى السوق العالمية.



- على الدول المصدرة للنفط ان تتعاون فيما بينها كمجموعة متكاملة ضمن منظمة اوابك (منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط) في الدراسة والتخطيط وتنسيق السياسات بحيث يمكنها تحقيق المصالح المشتركة كمنتجين، وأيضاً لشعوب الدول المستهلكة للنفط، والتي سيزداد اعتمادها على النفط العربي في المستقبل المنظور.

### المراجع

أولاً: الكتب

- 1- الهادي بولقمة، ( مدخل عام )، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، ( تحرير ) الهادي بولقمة ، وسعد القزيري ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، سرت ، ط1 ، 1995 .
- 2- رضا عبد الجبار سلمان، الأهمية الاستراتيجية للنفط العربي: دراسة في الجغرافية السياسية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003.
- 3- سالم علي الحجاجي ، ليبيا الجديدة دراسة جغرافية، اجتماعية، سياسية ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، 1989م.
- 4- عدنان حسين يونس، اضواء على اقتصاديات نقل النفط والغاز الطبيعي بالانابيب، بغداد، دار الثورة للصحافة والنشر، مجلة النفط والتنمية، العدد6، 1983.

ثانياً. المجالات والدوريات

- 1- الجماهيرية، أمانة اللجنة المنظمة العامة للتخطيط والتجارة، مصلحة المساحة، خريطة التقسيم الإداري للجماهيرية سنة 2000.
- 2- النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي، إدارة البحوث والاحصاء المجلد 58 الربع الرابع 2018م. المسح الوطني للسكان، 2012م.
- 3- جامعة الدول العربية وآخرون، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 1986.
- 4 منظمة الاقطار العربية المصدرة للبتروول (اوابك)، التقرير الاحصائي السنوي لعام 2008، الكويت، 2008. والله ولي التوفيق

## علم الاجتماع وإشكالية التغيير الاجتماعي

أ.نجوى الهادي الغويلى

## المقدمة

إن علم الاجتماع الغربي بكافة اتجاهاته وفروعه النظرية ، قد تطور استجابة للتطورات والمشكلات الاجتماعية في مرحلة الانتقال من النظام القديم إلى النظام الجديد ، و علم الاجتماع الغربي هذا هو الذي كتب له الاتصال والاستمرار والسيطرة ، كنظام فكري وعلمي ، بحكم ارتباطه بالحضارة المسيطرة ولهذا فقد أصبح عالمياً ، وفرض نفسه على الآخرين ، كالحضارة الغربية تماماً ، وكانت النشأة الغربية لعلم الاجتماع مرتبطة أشد الارتباط بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري ، التي كان يمر بها المجتمع الأوربي في ذلك الوقت ، وهو الاتجاه الذي ساد كل الدراسات الأدبية والإنسانية والاجتماعية في الغرب رغبةً في تحقيق مستويات رفيعة من الموضوعية والدقة العلمية ، تحاشى قطاع عريض من العلوم الاجتماعية في الغرب طيلة جيل بأكمله ، وإلى ما بعد 1990م الخوض في موضوع علم الاجتماع حيث يظن أنه يقدم نظريات وآراء ونتائج علمية، بعيدة عن الشكوك والأوهام ، من نتاج العلم وحده ، وهذا ما جعل كثيراً من أبناء المسلمين يقبل ما فيه من أفكار ونظريات وآراء ، على أنها حقائق علمية، يجب التسليم بها ، حتى ولو عارضت مبادئ دينهم . فأصبح علم الاجتماع إشكالية تبحث عن حل ، ويمكن تلخيص مشكلة علم الاجتماع بوضعه الراهن في أمرين: إمكانية تشكيل نظرية علمية لعلم الاجتماع العربي، الأولى على أساس وظيفي، والثانية على أساس المادية التاريخية، في حين جاء الاهتمام بالمسائل المنهجية والأساليب الفنية في البحث بنسبة

3.2 % فقط. أما معظم الرسائل المتبقية فقد جاءت خليطاً بين التوليف والنقل والتناول لمسائل اجتماعية جزئية ، وورد في تقرير حول الأبحاث السوسولوجية في دولة العراق أن معظم الدراسات التي أنجزت حتى 1970 كانت قصيرة ، وجزئية ، ولم ينشر معظمها. أما في دولة الجزائر فقد أشار تقرير حول وضع البحث السوسولوجي إلى أن الدراسات الجادة حول الأوضاع الاجتماعية في الجزائر لاتزال نادرة، ومحدودة. وحول الدراسات السوسولوجية التي تصدر في سوريا ولبنان والأردن والجزائر والمغرب والعراق ومصر ورد في نفس البحث الذي أعده أحد أساتذة علم الاجتماع ، عام 1981م .

إن البحث السوسولوجي في الوطن العربي بصفة عامة "يعاني من مأزق منهجي يرتبط مباشرة بأنماط التوجه النظري، وبنوعية الموضوعات الجزئية المحدودة التي يتناولها ". وعلى الرغم من أن البحث الاجتماعي يأخذ اليوم في دول الخليج العربي عموماً حيزاً كبيراً من الاهتمام ويعد بنتائج طيبة وآمال مرجوة إلا أننا لا نستطيع الزعم بعد بأننا بتنا قادرين على بناء نظرياتنا ومناهجنا الخاصة في هذا المضمار، و إن تنمية مجتمعنا وتطوره مشروط بتقدم الدراسات والعلوم الاجتماعية. فهو لا يستطيع التحكم في سيرورته دون جهد في التفكير حول حقيقته الخاصة، ومستويات بنائه المختلفة. ولا يمكن له التقدم دون تنمية كفاءاته المحلية، فهو ليس مجالاً لتجارب النظريات التنموية والنماذج الجاهزة انطلاقاً من فكرة العالمية، وإنما تحتم ضرورة التلازم بين المعرفة والواقع أن تكون العلوم الاجتماعية على اختلاف تفرعاتها نتاجاً للمجتمع الذي تنتمي إليه في فترة زمنية، وظروف خاصة من خلال إقامة علاقة بين المتغيرات الأكاديمية والتغيرات الاجتماعية حسب اختلاف التكوينات ونظم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وأشكال علاقات

الإنتاج ، والتي تسم الدراسات الاجتماعية بطبيعة خاصة في أنها تربط بين البعدين الزماني والمكاني ، كما أنها تتميز عن باقي المواد الدراسية بطبيعة اجتماعية كما هو واضح من مسماها ، كل هذا جعلها بيئة خصبة في أن تسهم بدور أكبر في إعداد جيل من الناشئة ليكونوا أفراداً نابغين في المجتمع الذي يعيشون فيه ، وتعريفهم بحقائق التطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بالبيئات الحضارية المختلفة داخل مجتمعهم والمجتمعات الأخرى ، ويتشعب علم الاجتماع من بين العلوم الاجتماعية، بالعقائد والمذاهب والفلسفات المتعددة، المبنوثة داخل الأبحاث النظرية والتطبيقية، التي تعكس الخلفيات العقائدية والفكرية لكتابها وواضعيها ، وهذا يخالف الظن الشائع والسمعة الرائجة عن هذا العلم وتبدو الحاجة ملحة وماسة لإعادة الاعتبار لدور علم الاجتماع في حل المشكلات التي تواجه الوطن العربي، بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية . لقد توالى التغيرات الاجتماعية والثقافية على المجتمعات في العقود القليلة الماضية وخاصة على المجتمعات العربية ولعل من أبرز هذه التغيرات ظهور ظاهرة العولمة وما رافقها من ثورة معلوماتية حيث أحدثت تغييراً في المواقف والاتجاهات والقيم الإنسانية لدى أفراد المجتمع وجعلت العالم أكثر إندماجاً، وجعلت التحولات سريعة هي التي ساهمت في انتقال المفاهيم والقناعات والمفردات والأذواق فيما بين الثقافات والحضارات وهي التي نقلت العالم من مرحلة الحداثة إلى مرحلة ما بعد الحداثة ومن ثم في دخوله إلى عصر العولمة.

إنّ هذه التغيرات كان لها دور في تغير الثقافة الموروثة للمجتمعات أنّ ثورة المعلومات والاتصال قد أثرت وستؤثر في حياة الأفراد اوهي اليوم من أهم العوامل التي تعقد تشكيل

خيارات وثقافة وأذواق وسلوكيات الأفراد والمجتمعات ، وهذا ما أكده عويدات حيث يقول: "لقد ترتب على هذه الثورة المعلوماتية حدوث تغير إجتماعي متسارع في القيم والمعايير والمؤسسات والعلاقات الإجتماعية والإفتتاح الإعلامي الثقافي الحضاري العالمي بفضل وسائل الإعلام السريعة " .

سأقسم البحث إلى عدة فصول يحتوى الفصل الأول على : بعض الموضوعات التي يدرسها علم الاجتماع وطرق بحثها ويتناول النظريات فى علم الاجتماع - ويحتوى الفصل الثانى : مناهج البحث فى علم الاجتماع كما يحتوى الفصل الثالث : محاور أو أبعاد أساسية لعلم الاجتماع و يحتوى الفصل الرابع : إشكالية علم الاجتماع فى العالم المتغير والواقع المعاصر له والعوائق الخارجية والداخلية التى تعترضه مع الخاتمة وبعض المصادر والمراجع .

### أهمية البحث :

1- فهم المجتمع يعتبر المجتمع من الظواهر المعقدة في هذا الكون، ويصعب إن لم يكن من المستحيل فهمه دون معرفة مسبقة بعلم الاجتماع، وبالتالي لا يمكن إصلاح المجتمع وبنائه دون هذا العلم .

بعض الأشخاص الذين لا يتبنون آراء بعض الأشخاص؛ لأسباب خلافية شخصية.

2- المساعدة على فهم الأحداث التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وحل المشكلات الاجتماعية يعاني الكثير من الأشخاص من مجموعة من المشاكل الاجتماعية التي يمكن معالجتها من خلال استخدام أساليب البحث العلمي لعلم الاجتماع، الذي يتيح لنا السيطرة على ظروف الحياة الاجتماعية وتحسينها.

3- التعرف على الشعوب المختلفة وعاداتها وتقاليدها وثقافتها وتساعد على تنمية مهارات التفكير العلمي ومساعدة المتعلمين على فهم التعميمات القائمة على الاستدلال وفرض الفروض العلمية .

4- غرس القيم الايجابية نحو الإنسانية والخير والسلام والحق وتنمية قدرة المتعلمين على النقد والتحليل والمقارنة ووزن الأدلة وإصدار واتخاذ القرارات والأحكام الايجابية بعيدا عن التعصب والتحيز .

### أهداف البحث :

1- إعطاء علم الاجتماع مكانته الحقيقية كعلم وإظهار أهميته في كل المجتمعات على إختلاف مراحلها التاريخية وأوضاعها الراهنة وإيديولوجياتها وإثبات أنه العلم الذي يكون في كل مراحل المجتمعات والأنظمة الاجتماعية.

2- التعرف على مظاهر البيئة ببعدها الزمني والمكاني محليا وعربيا وعالميا وتنمية الحاسة الاجتماعية والسلوك الاجتماعي يؤدي إلى التأهيل الجيد للعمل في مجالات العلوم الاجتماعية المختلفة و العمل كمساند في العديد من التخصصات المقترنة بها كالإعلام ، والقانون، والسياية، والاقتصاد.

3- التأكيد على نظام القيم الاجتماعي في المجتمع وتعمل على تمثله قولاً وعملاً تكوين صورة واضحة المعالم عن المجتمع الذي يقطن فيه ، وهذا يساعد في فهم دوره المهم في المجتمع .

4- إدراك الإنسان أسباب تغير أنماط الحياة الاجتماعية في هذا الوقت ، يساعده على التنبؤ بالأحداث الاجتماعية في المستقبل القريب .

إشكالية البحث :

أصبح علم الاجتماع إشكالية تبحث عن حل ، ويمكن تلخيص مشكلة علم الاجتماع مع بعض مظاهر التغير الإجتماعي القيم الإجتماعية هو انه يرجع إلى أمرين: الأول: أن هذا العلم يحمل ، مع حقائقه العلمية ، وفائدته الملموسة ، عقائد وأفكار ومبادئ واضعية ، وأن هذا العلم منذ دخوله إلى العالم الإسلامي ، كان يعزز من حالة فقدان الهوية ، التي تعني التخلي عن الإسلام ، كمبدأ عام يحكم المجتمعات الإسلامية .

**الثاني:** أن نظريات هذا العلم ، وضعت لفهم مشاكل وقضايا خاصة بالغرب ، لا يمكن تعميمها على المشاكل المماثلة في العالم الإسلامي، ولا تؤدي إلى فهم واقع المجتمعات الإسلامية ، وقد طُرحت هذه الإشكالية على بساط البحث من قبل كثير من علماء الاجتماع في العالم العربي، والعالم الإسلامي ، وكانت النتيجة اتجاهين مختلفين : أحدهما : ينادي بعلم اجتماع عربي قومي لم تحدد ملامحه ، وهذا الاتجاه لم يكن يلتفت كثيراً إلى المشكلة الأولى، وهي تشبع علم الاجتماع بالعقائد والأفكار، التي تصطدم بالإسلام ، وإنما يركز ويهتم بالمشكلة الثانية وهي: أن نظريات علم الاجتماع أخفقت في فهم المشكلات المطروحة في العالم العربي.

**الأمر الثالث :** إن علم الاجتماع العربي الإسلامي، أو علم اجتماع المجتمعات الإسلامية، وهو اتجاه لا يخلو من ملحوظات العالم المتخصص، التي يسهل الجواب عنها، ولكنه لا يهمل أياً من المشكلتين السابقتين، وهو الاتجاه الذي يجب أن يتبناه علماء الاجتماع، لأنه اتجاه وثيق الصلة بثقافة وهوية المجتمعات الإسلامية ، حيث يتخذ من الإسلام إطاراً عاماً ، يدور في فلكه . ويجب أن تتضافر الجهود للعناية به ، وان بعض



النظريات التي أنتجها علم الاجتماع العربي، والمشاكل التي استطاع أن يعالجها، والفروض التي يعمل على تطويرها. والإجابة - غالباً - سوف تكون صفراً مكعباً ، والذي يقودنا الى السؤال الرئيسي للبحث هو الآتى : هل تلعب الدراسات والعلوم الاجتماعية في العالم العربي والاسلامى نفس الدور الذي لعبته ولا تزال تلعبه فى المجتمعات الغربية ؟ وهل هذه العلوم لبنة في طريق البناء والتنمية والتطور أو معول هدم يكرس التبعية المعرفية والفكرية للغرب ولاتناسبنا وخصوصية مجتمعاتنا العربية والإسلامية وعجزت عن تقديم الحلول الناجعة للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية فى عالمنا العربى والاسلامى ؟

ثم ما هي عوائق تشكل علم اجتماع عربي؟ وهل يوجد علم اجتماع عربي يكون أكثر نفعاً ومنطقيةً ؟ وما هي أهم الصعوبات التي تحول دون تأسيس علم اجتماع عربي فى العالم العربى ؟

**الأمر الرابع :** إن محاولة البحث عن سبل تفعيل علم الاجتماع للإسهام بأساليب فاعلة لتنمية وتطوير المجتمعات العربية فى ظل المتغيرات الحاصلة فى العالم ، لوصف واقع الدراسات السوسيولوجية فى الجامعات العربية فى ظل التحولات التي تشهدها المجتمعات العربية، وما سبل إنجاح هذه الدراسات لتحقيق مسار صحيح للتغيير الاجتماعى فى العالم العربى ؟

**الأمر الخامس :** وفقاً لرؤية تحديثية آلية فرضت سماتها على مختلف مؤسسات المجتمعات العربية يفترض أن يتولى مهمة التأطير الاجتماعى لا سيما الدراسات الاجتماعية ، لم تكن وليدة النمو الطبيعى لمجتمعاتنا العربية والاسلامية ، وخاصة وأننا

نفقر لنخب متخصصة في مستوى وعى المحتوى الإيديولوجي العميق لتلك العلوم ، لان معظم النخب الأكاديمية التي تولت استحداث كليات العلوم الاجتماعية ترعرت بين أحضان الجامعات الغربية والأمريكية، فتم استنساخ النمط الغربي منهجيا وموضوعيا وحتى مؤسساتيا ، فالافتراض الأول الذي تفسر به ظاهرة تأزم العلوم الاجتماعية عندنا هو ان مضمونها ما هو الا محاكاة للنموذج الغربي الاوربي ثم الامريكي بعد نهاية الحرب الباردة علما بان هذه الخاصية هي ام المشكلات الأخرى ، والاهتمامات لهذ ه العلوم انعكاس للاشكاليات والظواهر التي تطرح في المجتمعات الغربية وهى بعيدة كل البعد عن هموم وقضايا المجتمع العري المسلم، واحتياجات البناء والتنمية، و هذا هو واقع العلوم الاجتماعية عندنا، ما يجعلها محاطة بعديد الإشكالات والتحديات، مما بات يستدعي تظافر جميع الجهود قصد تطعيم هذه العلوم باليات واستراتيجيات تستجيب للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، من اجل الانطلاق في بلورة رؤية جديدة للتنمية في بلادنا ، فعلم الاجتماع هو دراسة الحياة الاجتماعية للبشر، سواء بشكل مجموعات، أو مجتمعات ، وقد عرّف أحيانا كدراسة التفاعلات الاجتماعية. وهو توجه أكاديمي جديد نسبياً تطور في أوائل القرن التاسع عشر ويهتم بالقواعد والعمليات الاجتماعية التي تربط وتفصل الناس ليسوا فقط كأفراد، لكن كأعضاء جمعيات ومجموعات ومؤسسات (1) .

إن الاجتماع يهتم بسلوكنا ككائنات اجتماعية ، وهكذا يشكل حفلا جامعا لعدة اهتمامات من تحليل عملية الاتصالات القصيرة بين الأفراد المجهولين في الشارع إلى دراسة

<sup>1</sup> - صالح ، إدريس سلطان ، طبيعة الدراسات الاجتماعية وأهميتها ، كلية التربية ، - جامعة المنيا ، نشرت فى 2 إبريل 2011م.

العمليات الاجتماعية العالمية. بشكل أعم ، وعلم الاجتماع هو الدراسة العلمية للمجموعات الاجتماعية والكيانات خلال تحركِ بشرٍ في كافة أنحاء حياتهم. هناك توجه حالي في علم الاجتماع لجعله ذو توجه تطبيقي أكثر للناس الذين يُريدون العَمَل في مكان تطبيقي.

الفصل الاول - أ/ بعض الموضوعات التي يدرسها علم الاجتماع .

- علم الإنسان أو الانثروبولوجيا :

هو علم يهتم بكل أصناف وأعراق البشر في جميع الأوقات، وبكل الأبعاد الإنسانية. فالميزة الأساسية التي تميز علم الإنسان بين كافة المجالات الإنسانية الأخرى هو تأكيده على المقارنات الثقافية بين كافة الثقافات. هذا التميز الذي يعتبر أهم خاصيات لعلم الإنسان، يصبح شيئاً فشيئاً موضوعَ الخلافِ والنقاش، عند تطبيق الطرق الأنثروبولوجية عموماً في دراسات المجتمع أو المجموعات. من أهم علماء الانثروبولوجيا ، ايفانس بريتشارد وراذكلف براون وليفي شتراوس وروث بندكت وماكريت ميد وغيرهم.

- علم النفس :

هو الدراسة الأكاديمية والتطبيقية للسلوك، والإدراك والآليات المستبطنة لهما. يقوم علم النفس عادة بدراسة الإنسان لكن يمكن تطبيقه على غير الإنسان أحيانا مثل الحيوانات أو الأنظمة الذكية.

تشير كلمة علم النفس أيضا إلى تطبيق هذه المعارف على مجالات مختلفة من النشاط الإنساني، بما فيها مشاكل الأفراد في الحياة اليومية ومعالجة الأمراض العقلية.

باختصار علم النفس هو الدراسات العلمية للسلوك والعقل والتفكير والشخصية، ويمكن تعريفه بأنه: "الدراسة العلمية لسلوك الكائنات الحية، وخصوصا الإنسان، وذلك بهدف التوصل إلى فهم هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به والتحكم ، يرى العلماء أن جذور المصطلح الإنجليزي لعلم النفس تأتي من موضوعين هما : الفلسفة والفسولوجيا ، وكلمة سيكولوجية (نفسية) تأتي من الكلمة اليونانية Psyche=engl.soul والتي تعني الروح و Logos وتعني دراسة العلم ، وفي القرن السادس عشر كان معنى علم النفس "العلم الذي يدرس الروح أو الذي يدرس العقل"، وذلك للتمييز بين هذا الاصطلاح و علم دراسة الجسد، ومنذ بداية القرن الثامن عشر زاد استعمال هذا الاصطلاح "سيكولوجية" وأصبح منتشرا (1) .

\*ومن ناحية أخرى ، فلا يزال المسح الاجتماعي من أهم طرق البحث في علم الاجتماع ، و الحديث عن نشأة علم الاجتماع ، لا بد أن يتطرق إلى فلسفة التنوير العقلانية النقدية، التي أثارت كثيراً من مسائل علم الاجتماع ، ثم بعد ذلك ، الموقف منها، هل هو: موقف المتقبل ، كما هو الحال في علم الاجتماع الماركسي أو موقف الرفض ، كما هو الحال في علم الاجتماع المحافظ؟ أو موقف الموقف بينها وبين غيرها من الأفكار المعارضة ؟

<sup>1</sup> - صالح ، إدريس سلطان ، طبيعة الدراسات الاجتماعية وأهميتها ، كلية التربية ، - جامعة المنيا ، نشرت في 2 إبريل 2011م.

كما أن آثار الثورة الصناعية ، والثورة الفرنسية ، مهدت الطريق بشكل مباشر لتطور علم الاجتماع، حيث أفرزتا الكثير من المشاكل التي تبحث عن حل (1) .

وعلى كل حال ، فإن كونت إضافة إلى وضعه لاسم علم الاجتماع ، فقد دعا إلى الدراسة الوضعية للظواهر الاجتماعية، ووضع الفيزياء الاجتماعية على رأس العلوم قاطبة ، وقد عني بعلم الاجتماع والفيزياء الاجتماعية "ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعاً لدراسته ، باعتبار هذه الظواهر من روح الظواهر الفلكية ، والطبيعية ، والكيمائية والفسولوجية نفسها، من حيث كونها موضوعاً للقوانين الطبيعية الثابتة" .

ويعد هيربرت سبنسر الإنجليزي، أحد رواد علم الاجتماع المعاصرين لكونت. وقد أدرك إمكانية تأسيس علم الاجتماع، وأخرج مؤلفات متعددة في هذا العلم "كالاستاتيكا الاجتماعية، و "دراسة علم الاجتماع" و "مبادئ علم الاجتماع". وقد سيطرت عليه فكرة التطور الاجتماعي المستمر عبر الزمان، وهو من رواد الفكر التطوري ". كما أن ماركس الذي يعد القائد الأول للحركة العمالية الثورية، قدم وجهات نظر وآراء تعد داخلة في علم الاجتماع، بالمعنى الحديث، وقد أصبح أباً فيما بعد لعلم الاجتماع الماركسي، الذي تعد المادية التاريخية أساساً له.

ويذكر أحد المؤرخين لعلم الاجتماع ، أنه خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، انقسم إلى عدد من لمدارس الرئيسية والفرعية، بحيث أصبح من العسير أن تجد أي قدر من الالتقاء بين علوم الاجتماع المتعددة، فمثلاً كان هناك من يعرف علم الاجتماع بأنه :

<sup>1</sup> -الحوات، على، النظرية الاجتماعية " اتجاهات أساسية" ، منشورات شركة النجا، فاليتا : مالطا ، 1998 م. ص166-169.

دراسة العلاقة بين البناء الاقتصادي للمجتمع، والجوانب الأخلاقية، والقانونية، والسياسية، من بنائه العلوي. وهناك من يعتبر موضوع علم الاجتماع: دراسة صور الالتقاء الإنساني.<sup>(1)</sup>

ويعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، علم الاجتماع بأنه: " دراسة وصفية تفسيرية مقارنة للمجتمعات الإنسانية، كما تبدو في الزمان والمكان، للتوصل إلى قوانين التطور، التي تخضع لها هذه المجتمعات الإنسانية في تقدمها وتغيرها ". ويحدد علماء الاجتماع موضوع علمهم، بالظواهر الاجتماعية، التي تظهر نتيجة لتجمع الناس معاً، وتفاعلهم مع بعضهم بعضاً، ودخولهم في علاقات متبادلة، وتكوين ما يطلق عليه الثقافة المشتركة. حيث يتفق الناس على أساليب معينة في التعبير عن أفكارهم. كما أنهم يتفقون على قيم محددة، وأساليب معينة، في الاقتصاد، والحكم، والخلق، وغيرها. وتبدأ الظواهر الاجتماعية بالتفاعل بين شخصين أو أكثر، والدخول في علاقات اجتماعية. وحينما تدوم هذه العلاقات وتستمر، تشكل جماعات اجتماعية. وتعد الجماعات الاجتماعية من المواضيع الأساسية التي يدرسها علم الاجتماع. وهناك موضوع آخر يدرسه علم الاجتماع، يتمثل في العمليات الاجتماعية، كالصراع، والتعاون، والتنافس، والتوافق، والترتيب الطبقي، والحراك الاجتماعيين وهناك أيضاً الثقافة التي تعرف بأنها: "الكل الذي يتألف من قوالب التفكير، والعمل في مجتمع معين ". كما

<sup>1</sup> - غيث، محمد عاطف، تاريخ النظرية في علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعارف الجامعية، 1987، م، ص 37-38.

أن التغيير في الثقافة وفي البناء الاجتماعي، أحد ميادين الدراسة في علم الاجتماع. كما أن هناك النظم الاجتماعية، وهي الأساليب المقننة والمقررة للسلوك الاجتماعي. وكذلك الشخصية، وهي العامل الذي يشكل الثقافة، ويتشكل من خلالها، وتدل المؤلفات التي تولف في مادة علم الاجتماع، وأيضاً اهتمامات علماء الاجتماع البارزين، على أن الموضوعات الأساسية هي باختصار كما يلي:

### 1- التحليل الاجتماعي ويشمل:

الثقافة والمجتمع - ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية .

2- الوحدات الأولية للحياة الاجتماعية، وتشمل:

\* الأفعال الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية \* شخصية الفرد \* الجماعات \* المجتمعات المحلية "الحضرية والريفية" \* الروابط والتنظيمات \* السكان \* المجتمع (1) .

2- الوحدات الأولية للحياة الاجتماعية، وتشمل:

\* الأفعال الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية \* شخصية الفرد \* الجماعات \* المجتمعات المحلية "الحضرية والريفية" \* الروابط والتنظيمات \* السكان \* المجتمع.

3- المؤسسات الاجتماعية الأساسية، وتشمل:

الأُسرة، الاقتصاد، السياسة، القانون، الدين، التعليم، الرعاية الاجتماعية، المؤسسات التعبيرية والجمالية .

4- العمليات الاجتماعية الأساسية، وتشمل:

<sup>1</sup> - الجوهري، محمد، وآخرون، "ميادين علم الاجتماع"، دار المعارف، القاهرة، 1984، الطبعة السادسة، ص138.

التمييز والطبقات، التعاون والتلاؤم والتماثل ، الاتصال ، الصراع الاجتماعي ، الضبط الاجتماعي، الانحراف "الجريمة والانتحار... "، التكامل الاجتماعي ، التغيير الاجتماعي (1) .

### ب- النظريات في علم الاجتماع.

يذكر علماء الاجتماع أن التيارات الفكرية التي صاحبت ظهور هذا العلم ونشأته ، لا تزال تؤثر في توجهه النظري حتى الآن. والحقيقة أن مختلف النظريات في هذا العلم تصب في اتجاهين أساسيين، يتميز كل منهما برؤية خاصة للواقع الاجتماعي : اتجاه محافظ، واتجاه رافض وثورى والنظريات عبارة عن طرق مختلفة لإدراك الحقائق الاجتماعية وتفسيرها وتعرف النظرية بأنها : "مجموعة مبادئ وتعريفات مترابطة، تفيد في تنظيم جوانب مختارة من العالم الأمبيريقى على نحو منسق ومنظم "، فهي تتكون من قضايا مترابطة منطقياً وقابلة للتحقق الواقعي ، وتتطوي على دعاوى وبدهيات أساسية وتعد النظرية مسألة أساسية في العلم ويرى المطلعون في ميدان النظرية ، أن البحث دون سند من نظرية ، أو دون اتجاه نظري، ليس إلا نوع من العبث، وذلك لأن النظرية في علم الاجتماع مستمدة أصلاً من نتائج دراسة عملية، أجريت فعلاً في الواقع الاجتماعي، وليست مستمدة من نظر العقلي المجرد (2) .

### تؤدي نظرية علم الاجتماع الوظائف التالية:

<sup>1</sup> - الجوهري ، محمد، وآخرون ، "مبادئ علم الاجتماع"، دار المعارف، القاهرة، 1984، الطبعة السادسة، ص138.

الحوات ، على ، النظرية الاجتماعية " اتجاهات أساسية" ، منشورات شركة النجا، فاليتا : مالطا ، 1998 م، ص 188.

<sup>2</sup> - الحوات ، على ، النظرية الاجتماعية " اتجاهات أساسية" ، منشورات شركة النجا، فاليتا : مالطا ، 1998 م، ص 188.



1- تصنيف الأحداث الواقعية وتنظيمها.

2- تفسير أسباب الأحداث التي تقع ، والتنبؤ بما يمكن أن يحدث في المستقبل، في إطار شروط معينة

3- تقديم فهم علمي شامل بالقوانين التي تحكم حركة الأحداث في الواقع الاجتماعي. وسوف نشير فيما يلي إشارة سريعة ومقتضبة إلى أبرز المواقف النظرية في علم الاجتماع

### - النظرية البنائية الوظيفية

يلخص أحد علماء الاجتماع الأفكار الرئيسة التي تعتمد عليها هذه النظرية في ست نقاط هي :

\* يمكن النظر إلى أي شيء، سواء كان كائناً حياً، أو اجتماعياً، أو سواء كان فرداً، أو مجموعة صغيرة، أو تنظيماً رسمياً، أو مجتمعاً، أو حتى العالم بأسره، على أنه نسق أو نظام، وهذا النسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة ، فجسم الإنسان نسق ، يتكون من مختلف الأعضاء والأجهزة ، وكذلك شخصية الفرد، والمجتمع ، والعالم.

\* لكل نسق احتياجات أساسية لا بد من الوفاء بها ، وإلا فإن النسق سوف يفني ، أو يتغير تغيراً جوهرياً ، فكل مجتمع مثلاً يحتاج أساليب لتنظيم السلوك "القانوني"، ومجموعة لرعاية الأطفال "الأسرة"، وهكذا.

\* لا بد أن يكون النسق دائماً في حالة توازن، ولكي يبقى كذلك فلا بد أن تلبي أجزاؤه المختلفة احتياجاته، فإذا اختلفت وظيفة أحد الأجزاء فإن الكل يصبح في حالة عدم اتزان.

\* كل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفياً، أي يسهم في توازن النسق ، وقد يكون ضاراً وظيفياً، أي يقلل من توازن النسق، وقد يكون غير وظيفي، أي عديم القيمة بالنسبة للنسق.

\* يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة متغيرات أو بدائل، فحاجة المجتمع لرعاية الأطفال مثلاً يمكن أن تقوم بها الأسرة، أو دار الحضانة، وحاجة المجتمع إلى التماسك، قد تتحقق عن طريق التمسك بالتقاليد، أو عن طريق الشعور بالتهديد من عدو خارجي (1) .

\* وحدة التحليل يجب أن تكون الأنشطة أو النماذج المتكررة. فالتحليل الاجتماعي الوظيفي، لا يحاول أن يشرح كيف ترعى أسرة معينة أطفالها، ولكنه يهتم بكيفية تحقيق الأسرة كنظام لهذا الهدف. وهدف التفسير الوظيفي، هو الكشف عن كيفية إسهام أجزاء النسق في تحقيق النسق ككل، لاستمراره، أو في الإضرار بهذه الاستمرارية. وقد سميت هذه النظرية بالبنائية الوظيفية لأنها تحاول فهم المجتمع في ضوء البنيات التي يتكون منها، والوظائف التي تؤديها هذه البنيات.

#### – النظرية الماركسية

تقوم الماركسية – بوصفها نظرية في علم الاجتماع – على مسلمتين أساسيتين هما :  
\* أن العامل الاقتصادي هو المحدود الأساسي لبناء المجتمع وتطوره، فعلاقات الإنتاج في مجتمع ما، هي التي تحكم وتحدد كافة مظاهر الحياة في هذا المجتمع، أي البناء الفوقي من سياسة، وقانون، ودين، وفلسفة، وأدب، وعلم، وأخلاق.

\* النظر إلى العالم بما فيه المجتمع، من خلال الإطار الجدلي: الموضوع ونقيض الموضوع، والمركب منها، وهو إطار مستمر لا يتوقف، ويقول تيماشيف: " إذا ركبنا المسلمتين الأساسيتين لماركس معاً، خرجنا ببعض النتائج، فكل نسق من الإنتاج يبدأ

<sup>1</sup> – غيث، محمد عاطف ، تاريخ النظرية في علم الاجتماع ، الاسكندرية، دار المعارف الجامعية، 1987 م .

بحالة إثبات ، حيث يكون أكثر النظم الممكنة كفاءة في ذلك الوقت ، لكنه متى عزز اجتماعياً يصبح عقبة أمام تطبيق الاختراعات التكنولوجية ، والإفادة من الأسواق الحديثة ، والمواد الخام ، ولا يمكن للتطور التاريخي أن يقف عند هذه المرحلة ، فالنظام المعزز اجتماعياً ينبغي القضاء عليه بواسطة ثورة اجتماعية ، تخلق نظاماً جديداً لإنتاج ، مركب من القديم والجديد ."

وهذه النظرة تجعل أي مجتمع يتكون من طبقتين أساسيتين متناقضتي المصالح ، مما يجعل الصراع بينهما حتمياً، فتحدث الثورة الاجتماعية التي تؤدي إلى تغيير علاقات الإنتاج ، و على هذا فإن الصراع الطبقي هو المحرك الأساس للتغيير الاجتماعي ، من أجل الوصول إلى مجتمع بلا طبقات ، وهو مستمر في زعمهم على طول التاريخ ، فتاريخ أي مجتمع عند الماركسية هو تاريخ الصراع بين الطبقات المستغلة والمستغلة ، فيما سبق عرضنا لأهم نظريتين في علم الاجتماع ، ومع ذلك فإنهما لا يمثلان إلا جزءاً بسيطاً من النظريات في هذا العلم ، ويكفي أن نطالع كتاب تيماشيف " نظرية علم الاجتماع " مثلاً، لنعرف مدى سعة وكثرة النظريات وتعددتها في هذا العلم (1) .

### الفصل الثاني : مناهج البحث في علم الاجتماع .

هناك مناهج للبحث يستخدمها علماء الاجتماع، ويتوقف استخدامها على الباحث، وطبيعة البحث ، والإمكانات المتوفرة ، ودرجة الدقة المطلوبة ، وأغراض البحث ، ولعل من أكثر الطرق المنهجية شيوعاً في الدراسات الاجتماعية، المنهج التاريخي المقارن ، والتجريبي ، والمنهج الوصفي وغيرها ، مما قد تقتصر فيه النتائج على الوصف ، أو تتعدى ذلك إلى

<sup>1</sup> - الحوات ، على ، النظرية الاجتماعية " اتجاهات أساسية" ، منشورات شركة النجا، فاليتا : مالطا ، 1998 م.

التحليل والتفسير وقد لا يكتفي الباحث بأحد هذه المناهج ، بل يتعدى إلى المزج بينها .  
وسنطفي فيما يلي نبذة عن هذه المناهج :

1- **المنهج التاريخي**: يستخدم علماء الاجتماع المنهج التاريخي، عند دراستهم للتغير الذي يطرأ على شبكة العلاقات الاجتماعية، وتطور النظم الاجتماعية ، والتحول في المفاهيم والقيم الاجتماعية وعند دراستهم لأصول الثقافات، وتطورها، وانتشارها. وعند عقد المقارنات المختلفة بين الثقافات والنظم، بل إن معرفة تاريخ المجتمع ضرورية لفهم واقعه. وقد صاحب المنهج التاريخي نشأة علم الاجتماع، وقد كان في البداية تطورياً، يميل إلى وضع المراحل التطورية المختلفة للمجتمعات الإنسانية، كما هو عند كونت وسينسر. ولكن النزعة التطورية بدأت تتلاشى، نظراً لعدم موضوعيتها. وتعد الوثائق سواءً أكانت وثائق شخصية، أم رسمية، أم عامة، من أهم مصادر المعرفة الاجتماعية، كالتاريخ الاقتصادي، والسياسي، والديني، والتربوي، والسكاني وغيرها، ومثل ذلك الدراسات الوصفية المتكاملة لمجتمع ما في فترة تاريخية معينة، حيث تحتوي هذه الدراسات عادة على معلومات قيمة تفيد عند التحليل. يمكن أن نمثل لهذا النوع من الدراسات، بالدراسة الضخمة، التي أعدتها مجموعة علماء الحملة الفرنسية على مصر بعنوان: وصف مصر، حيث تعد دراسة مسحية شاملة للبناء الاجتماعي لمصر في فترة تاريخية معينة<sup>(1)</sup> .

<sup>1</sup> - محمد محمد قاسم، المدخل الى مناهج البحث العلمي ، ص59 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر : بيروت طبعة اولى ، 1999 م نقل عن مراد وهبة: مادة الاستنباط ، الموسوعة الفلسفية العربية ، اشراف معن زيارة ص64 .

2- المنهج الوصفي: "يعد المنهج الوصف من أكثر مناهج البحث الاجتماعي ملاءمة للواقع الاجتماعي وخصائصه. وهو الخطوة الأولى نحو تحقيق الفهم الصحيح لهذا الواقع ، إذ من خلاله تتمكن من الإحاطة بكل أبعاد هذا الواقع، محددة على خريطة ، تصف وتصور بكل دقة كافة ظواهره وسماته ". وقد واكب المنهج الوصفي نشأة علم الاجتماع، وقد ارتبطت نشأته بحركة المسح الاجتماعي في إنجلترا، أو منهج لوبلاي في دراسة الحالة ، ونشأة الدراسات الأنثروبولوجية وسماته ". وقد واكب المنهج الوصفي نشأة علم الاجتماع ، وقد ارتبطت نشأته بحركة المسح الاجتماعي في إنجلترا ، أو منهج لوبلاي في دراسة الحالة، ونشأة الدراسات الأنثروبولوجية ، والفكرة الأساسية التي يقوم عليها المنهج الوصفي هي: أن المشكلة التي واجهت الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية، هي عدم وجود منهج علمي حقيقي، يصلح لتحليل هذه الظواهر. فلم تكن الملاحظة خاضعة لقواعد تنظمها ، بحيث نعرف بدقة كيفية الملاحظة ، وأهمية الظواهر التي تُلاحظ ، وأكثرها دلالة. ولذلك فإن المنهج الوصفي يعتمد على خطوات هي :

\* اختيار الوحدة الاجتماعية الأولية والأساس في الموضوع المدروس.

\* اكتشاف الطريقة الملائمة للقياس الكمي لمختلف عناصر مكونات وحدة الدراسة.

\* فحص العوامل المختلفة المؤثرة في تنظيم الظاهرة المدروسة في وظائفها(30). وعلى هذا فإن البحوث الوصفية تتم على مرحلتين، مرحلة الاستكشاف والصياغة. ومرحلة التشخيص والوصف المتعمق. وهما مرحلتان مرتبطتان ببعضهما. ويعد المسح الاجتماعي ودراسة الحالة ، والبحوث السكانية التي تصف المواليد، والوفيات، وتحركات السكان، وتوزيعهم ، بحوث وصفية ، تمثل المنهج الوصفي، ويوفر المنهج الوصفي كثيراً من

البيانات والمعلومات التي تزيد المعرفة بالظواهر، وتتمى البصيرة بالواقع الاجتماعي بكل أبعاده (1) .

3- المنهج التجريبي: " التجريب جزء من المنهج العلمي. فالعلم يسعى إلى صياغة النظريات التي تختبر الفروض التي تتألف منها، وتتحقق من مدى صحتها والتجربة ببساطة : هي الطريقة التي تختبر بها صحة الفرض العلمي ". " فالتجريب هو القدرة على توفير كافة الظروف، التي من شأنها أن تجعل ظاهرة معينة ممكنة الحدوث في الإطار الذي رسمه الباحث وحده بنفسه ، والتجريب يبدأ بتساؤل يوجهه الباحث مثل: هل يرتبط ارتفاع المستوى الاقتصادي للفرد بإقباله على التعليم؟ أو هل هناك علاقة بين الدين والسلوك الاقتصادي؟. أو بين التنشئة الاجتماعية وانحراف الأحداث؟ ومن الواضح أن الإجابة على هذه التساؤلات، تقتضي اتباع أسلوب منظم لجمع البراهين والأدلة . والتحكم في مختلف العوامل التي يمكن أن تؤثر في الظاهرة موضوع البحث ، والوصول إلى إدراك للعلاقات بين الأسباب والنتائج (2) .

ويعتمد تصميم البحث التجريبي على عدة خطوات، هي تحديد المشكلة، وصياغة الفروض التي تمس المشكلة، ثم تحديد المتغير المستقل، والمتغير التابع، ثم كيفية قياس المتغير التابع، وتحديد الشروط الضرورية للضبط والتحكم، والوسائل المتبعة في إجراء

1 - فائق ، فوزى عبد الخالق ، د . شوكت ، على إحسان ، " طرق البحث العلمى المفاهيم والمنهجيات " دار

عصى للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، 2000م . ص 201-202.

2 - أبو النصر، مدحت ، قواعد ومراحل البحث العلمى ، دليل إرشادي في كتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه ، مجموعة النيل العربية ، ط1 ، مدينة نصر ، القاهرة - مصر ، 2004 م .

التجربة. ومع صعوبة تطبيق هذا المهج في العلوم الاجتماعية، إلا أنه طبق فيها، واستطاع أن يغزو علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية، تحت تأثير النجاح الذي حققه في العلوم الطبيعية .

4- **المنهج المقارن:** يمكن القول بأن المنهج المقارن، يطبق في علم الاجتماع بكافة فروع ومجالات دراسته، ذلك أن أي بحث في علم الاجتماع لا يخلو من الحاجة إلى عقد مقارنة ما. وقد استعان به أغلب علماء الاجتماع قديماً وحديثاً، ويمكن ذكر المجالات الرئيسية في علم الاجتماع، التي يمكن أن تخضع للبحث المقارن فيما يلي :

- \* دراسة أوجه الشبه والاختلاف، بين الأنماط الرئيسة للسلوك الاجتماعي.
- \* دراسة نمو وتطور أنماط الشخصية، والاتجاهات النفسية والاجتماعية في مجتمعات، وثقافات متعددة، مثل بحوث الثقافة، والشخصية، ودراسات الطابع القومي.
- \* دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات، كالتنظيمات السياسية والصناعية.
- \* دراسة النظم الاجتماعية في مجتمعات مختلفة، كدراسة معايير الزواج والأسرة والقرابة، أو دراسة المعتقدات الدينية، وكذلك دراسة العمليات والتطورات التي تطرأ على النظم الاجتماعية مثل التحضر.
- \* تحليل مجتمعات كلية. و عادة ما تتم المقارنة بين المجتمعات وفقاً للنمط الرئيس السائد للنظم<sup>(1)</sup>.

**الفصل الثالث : محاور أو أبعاد أساسية لعلم الاجتماع .**

<sup>1</sup> - وجيه محجوب ، أصول البحث العلمي ومناهجه ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان - الأردن ، 2001 م

تتميز الدراسات الاجتماعية بأنها ذات مجال واسع وحيوي بحكم تناولها لإبعاد تتصل بالتفاعل بين الإنسان والمجتمع والبيئة بمختلف مكوناتها وينصب الاهتمام في الدراسات الاجتماعية حول فهم الحياة في عالم اليوم ، وحول دراسة الإنسان ليصبح الموضوع الأساسي وقد حدد التقرير الصادر عن المؤتمر الوطني للدراسات الاجتماعية ( National Council For The Social Studies ) ثلاثة محاور أو أبعاد أساسية للدراسات الاجتماعية وهي ( <sup>1</sup> ) .

#### -المعرفة knowledge .

تمثل المعرفة ركنا أساسيا في مجال تعلم الدراسات الاجتماعية والتي تنظم صورة حقائق وتعليمات ومهارات وفروض ومعتقدات وقيم ....الخ والتي تأتي أيضا من الأدوار التي تتصل بالمعلمين والطلاب فيما يتعلق ببرامج التربية الاجتماعية ويتسع أطار ومحتوي هذه المنظومة لتشمل التاريخ والجغرافيا والعلوم السياسية والانتربولوجيا وعلم النفس والفلسفة والاجتماع ... الخ وتعد تلك المعارف والعلوم بمثابة عوامل أساسية تسهم في تنمية الذكاء الاجتماعي والشخصي وفي إعداد التلاميذ للمواطنة وفهم العلاقات العالمية والروابط الحيوية بين الماضي والحاضر والمستقبل بل انها أيضا تسهم في تشجيعهم علي المشاركة في صنع التغيير وخاصة في عالم يطرأ عليه الكثير من التغيرات المطردة وتصبح فيه قدرة الفرد علي إصدار قرارات صائبة فيما يتصل بحقوقه وواجباته ولذا فان تلك المعرفة التي تقدم من خلال الدراسات الاجتماعية تأثر بشكل اكبر من غيرها من

<sup>1</sup> - صالح ، إدريس سلطان ، طبيعة الدراسات الاجتماعية وأهميتها ، كلية التربية ، - جامعة المنيا ، نشرت في 2 إبريل 2011م.



المواد الدراسية الأخرى بالقيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكذلك المؤسسات الموجودة في البشرية وقد أكد المؤتمر الوطني للدراسات الاجتماعية في تقريره السنوي علي أن أهم مهارات القرن الحادي والعشرون تتمثل في اكتساب المتعلم الاتجاهات الديمقراطية واتخاذ مواقف ايجابية تجاه المتعلم ، وتنمية المهارات الاجتماعية ومهارات التفكير باعتبار هذه المهارات جزء لا يتجزأ من المناهج الدراسية مع التأكيد علي أن تدريسها واكتسابها بطريقة أفضل غالبا ما يتم من خلال مناهج الدراسات الاجتماعية بحيث يتعلم المتعلمون من خلالها كيف يفكرون ويطرحون الأسئلة ويحصلون علي المعلومات ويحلون المشاكل لا مجرد الاقتصار علي ملاحظة بعض الحقائق (1) .

### -الاتجاهات attitudes

تلعب الدراسات الاجتماعية دورا واضحا في تشكيل التلميذ حيث يقع علي عاتقها إكسابه القيم والاتجاهات التي تمكنه من المشاركة الفعالة في مجتمعه والذي يمثل جزء من المجتمع الدولي وعل الرغم من انه لا توجد اتفاق كما أشار ( N.C.S.S ) علي نوعية القيم والاتجاهات التي يجب أن تتضمنها مناهج الدراسات الاجتماعية في القرن الحادي والعشرين إلا أن التلاميذ يحتاجون إلي تنمية الاتجاهات والقيم بالوسائل الديمقراطية ، ويرى البعض أن هناك عديد من الاتجاهات التي يجب أن تتضمنها مناهج الدراسات الاجتماعية وخاصة في ظل المتغيرات والتطورات المحلية والعالمية الجارية ، ولعل من أبرزها الاتجاه نحو السلام والاتجاه نحو المحافظة علي البيئة والاتجاه نحو احترام قيم

<sup>1</sup> - صالح ، إدريس سلطان ، طبيعة الدراسات الاجتماعية وأهميتها ، كلية التربية - جامعة المنيا ، نشرت في 2 إبريل 2011م.

الجوار والاتجاه نحو نزع أسلحة الدمار الشامل بالإضافة إلى الاتجاه نحو امن البشر وتمثل الدراسات الاجتماعية علي مستوى تخطيط المنهج وتنفيذه جوانب معرفية نسيجها مهارات واتجاهات مرغوبة لتحقيق أهداف تعليمية مرغوبة ومن الملاحظ أن تغير المجتمع وذلك لتتمكن من الإسهام بفاعلية في تحقيق عملية التطبيع الاجتماعي بكل ما يحتويه المفهوم من مدلولات .

ولا تقتصر المعرفة المقدمة من خلال الدراسات الاجتماعية في فائدتها علي الحاضر فحسب وإنما يمتد إلي المستقبل أيضا حيث تؤثر في وعي التلميذ بالقوي المؤثرة في المجتمع ومدى فهمه للحياة السياسية والاقتصادية الأمر الذي يساعده في الغالب علي وضع تصور لمعالم المستقبل والمشاركة الفعالة الواعية في شتي مجالات الحياة في إطار الاهتمام بالمعارف وترجمتها إلي شكل من أشكال المعاشة بين المتعلم وبيئته وهو ما يمكن أن يعتمد في المقام الأول في تقديم تلك المعرفة بشكل متكامل وبطرق متناسقة ومرتبطة بالمواقف الحياتية .

#### الفصل الرابع: أولا/ إشكالية علم الاجتماع في عالم متغير .

يتسم التغير الاجتماعي بعدد من الصفات ، منها أنه ينبع من داخل الجماعة. يتم التغير سريعا، على مرحلة أو بعض المراحل ، يعمل التغير ا على تغير الظاهرة من جذرها، يتم التغير بشكل شامل للظاهرة ، أي اشتمال جميع جوانبها ، يعالج التغير الاجتماعي الواقع في المجتمع ، يكون التغير هادفاً وذا تخطيط، يتماشى التغير مع الحياة الحاضرة والقائمة للفرد، يقوم التغير الاجتماعي على الأسلوب العلمي المنطقي .

عرف علم الاجتماع بشكله العلمي من خلال جامعاته بعدمنتصف القرن العشرين الذي جلب معه كافة ادبيات ودراسات ونظريات علم اجتماع الغرب و التي برزت من خلال ذلك عدة اتجاهات: 1-الوضعي 2-البرجماتي 3-الماركسي .

حيث توضح هذه الاتجاهات النظريات الغربية امثال الوظيفية - البنائية والتفاعلية الرمزية والصراعية او النفعية او غيرها كما تدرس العديد من المواد المتعلقة بميادين هذا العلم ولهذا تجد ان هولاء ممن تلقوا تعليمهم في الغرب أتوا به كما نقل لهم دون أياظافة وهذا ما توضحه كتابتهم ومؤلفاتهم ولهذا يقول:

- إسحاق قطب : اناحد التحديات التي تواجه علم الاجتماع العربي هو تحيز غالبية علمائه الى النظريات الغربية التي نشأة وتطورت في ظروف تاريخية واجتماعية مخالفة لظروف المجتمع العربي.

- اما معتوق: فيقول ان غالبية كتب علم الاجتماع العربي تهدف الى نقلوترويج النظريات المبتكرة في الغرب

- وكذلك عبد الباسط عبد المعطي : يقول حول التأليف في علم ( العربي) تتضمن تقليد الغرب الى اختيار مواضيع غاية الغرابة وكان شخص ما يدرس الاغتراب الصناعي (...)  
وما هو موجود في علم الاجتماع العربي من كتابات هي: ا- تأليف مترجمة . ب- او ترجمة مؤلفة . ج- او بحوث محاكية لمواضيع البحوث الغربية<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> - صالح ، إدريس سلطان ، طبيعة الدراسات الاجتماعية وأهميتها ، كلية التربية ، جامعة المنيا ، نشرت في 2 إبريل 2011م.

وفضلا عن ذلك فهناك \* - التأليف من أجل التدريس: و الذي يتضمن نقل التراث لأجلو- أمريكي وهو جهد فردي لم يظهرأية إبداع ، - الترجمة من اجل التدريس: وهنا قد تكون محاولة هرويمم الواقع وخشية الصدام مع السلطة القائمة لغياب جو الحرية والديمقراطية فيالجامعات العربية ، ولذلك يستطيع المرى من ملاحظة وبسهولة التبعية حتى علمستوى العلم وكذا الافتقار الى الفكر والابداع العلمي وان ظهور هذا العلم في الوطنالعربي لم يكن للحاجة المجتمعية واستجابة لدراسة مشكلات اجتماعية يعاتي منهاالمجتمع العربي ، وهذا نتيجة عدم الاسترشاد بما قدمت ( ابن خلدون) في الفكر الاجتماعي العربي رغم ان ما يوجد لدى علم اجتماع الغرب قد تحدث عنه العرب وابن خلدون بالذات قبل عدة قرون .

#### ثانيا / الواقع المعاصر لعلم الاجتماع .

إن الحد من القدرة العقلية ، أو الذكاء ، ونوم حركة الاختراع ، وعدم توفر المواد الخام لها. انطواء المجتمع على نفسه وحب المحافظة على القديم وتركيبية المجتمع غير المتجانسة مع قلة الأموال اللازمة للتغيير الاجتماعي ، ومن المؤكد ان اية محاولة الاجراء تقويم عملى موضوعي الاوضاع علم الاجتماع في الوطن العربي او حتى على أي مستوى أي قطر من اقطاره ، تتجاوز جهد أي باحث فرد مهما اوتي من قدرات التألق النظري والمنهجي . فالمسألة هامة وابعادها متداخلة ومتشابكة ، فيها التاريخ وتتبعه ، وفيها التحليل والتفسير وغيرها من المسائل التي تحتاج الى فريق متكامل ، تدعمه واحدة او اكثر من الجامعات او الهيئات العربية التي تنتشر في الوطن العربي شرقا وغربا .

إن هناك جهود متفرقة نشرت بلغات عربية أو أجنبية حول الملامح العربية حول علم الاجتماع في واحد أو آخر من الأقطار العربية لكنها جميعا كانت جزئية وانطباعية ، ومع الاعتراف بعدم قدرة العمل الراهن على تجاوز انطباعية هذه الجهود ن فالمبتغى ان اضيف انطباعات اخرى او تؤكد سابقة ، ويتم جهد عربي مشترك ، ولقد سارت بعض الجهود المتاحة اما في طريق السرد التاريخي لنشأة علم الاجتماع وتطوره في أجد الأقطار العربية كما فعل الدكتور "حسن الساعاتي" في مقاله الذي وسمه بتطور المدرسة الفكرية لعلم الاجتماع في مصر سنة 1964م او كما فعل " إياد الفزاز "في مقال جعل عنوانه ملاحظات حول علم الاجتماع في العراق عام 1970م ، أو سارت بعض هذه الجهود في تحليل مضمون بعض الدراسات التي اجريت حول قطر من الأقطار العربية ، ومن قبيل هذا النوع دراسة نادية " ابو زهرة" وموضوعها (الكتابات الانثروبولوجية العربية بالكويت والتقاليد المدرسية العربية)<sup>1</sup> .

إن لفهم أوضاع علم الاجتماع في الوطن العربي في حاجة الى تحليل تاريخي ومعاصر لهذه الأوضاع ، وضرورة ربطها بالإطار المجتمعي الذي أحاط بها ، وانه لا بد من منطلقات اساسية تقود الى عملية التحليل والفهم ، ولو من خلال قضايا عامة ، ويضاف إلى هذا تحديد مهام علم الاجتماع في كل مرحلة تاريخية يمر بها المجتمع العربي<sup>2</sup> .

ثالثا /العوائق التي تحول دون تشكل علم إجتماع يعنى بقضايا الأمة العربية .

<sup>1</sup> - صلاح مصطفى الفوال : المدخل الى علم الاجتماع الاسلامي ، دار غريب ، القاهرة ، 2000 م .

<sup>2</sup> -- صلاح عثمان و فلورنتن سمارانداكه : الفلسفة العربية في منظور نيوتروسوفي ، المعارف ، الاسكندرية ،

ط1 ، 2007م

اولاً: العوائق الخارجية ومنها .

1- العوائق السياسية : تركز الأبحاث والنظريات الكبرى للعلوم الاجتماعية على إعادة النظر في القيم والتقاليد السائدة، أو تلك التي يرغب أصحاب القرار السياسي من الحكام وذوي الزعامات الدينية والاقتصادية والاجتماعية في فرضها كقيم مسيطرة أو قانونية. لذلك فمن الطبيعي أن تتعرض الأبحاث الاجتماعية الجريئة إلى رقابة شديدة، وإلى جميع أنواع الضغوط والقيود، في ظل جميع الأنظمة السياسية، وخاصة تلك الاستبدادية منها. وبالتالي فإن عالم الاجتماع الذي يعمل في ظل نظام شمولي- كالأنظمة الشيوعية في الفترة السوفياتية وكثير من الأنظمة في عالمنا العربي والإسلامي مثلاً- لإظهار محاسن نظام الأحزاب المتعددة ومخاطر السلطة الشخصية لن يمنح الفرصة لنشر أعماله أو الدفاع عنها. وبالعكس، فإن السلطات العامة في ظل نفوذ الطبقات ذات الامتيازات الخاصة- كما هو الحال في بعض الدول الرأسمالية مثل الولايات المتحدة ودول أوربية الغربية- لا تشجع أبداً الأبحاث الهادفة إلى إظهار الطابع المجحف لامتيازاتها السلطوية، وتفرد القلة بالنفوذ السياسي والاقتصادي في داخل المجموعات الاجتماعية. وغالبًا ما يتطلب نشر أبحاث تتضمن اكتشافات ثورية في العلوم الاجتماعية إلى ظروف مساعدة استثنائية تمامًا كي تستطيع الإفلات من رقابة السلطة. وحين كان يسعى عالم الاجتماع إلى اكتشاف كيفية تحول المجتمعات والأنظمة الاقتصادية والسياسية، وتحديد الحاجات

والسلوك الإنساني فلا مفر له من طرح قضية النظام القائم، وسلطة رجال الحكم، والمجموعات المتنفذة في المجتمع<sup>1</sup>.

والتي غالباً ما تتحمل الوزر الأكبر في التسبب بمظاهر الفساد التي تبلى بها الدوائر الرسمية، ولا بد للباحث في العلوم الاجتماعية ليقوم بهذه المهمة الخطرة والضرورية من أن يعتمد أولاً على وعي الفاعل الاجتماعي. وكما هو الحال في الدول العربية فإن المرء يلاحظ خضوع البحث الاجتماعي عموماً لإرادة الحكومات السياسية وتوجهاتها، بل غالباً لا يوجد قدر كافي من الاستقلالية للباحث في اختيار موضوع بحثه، وعرض نتائجه بصورة موضوعية، فمعظم الباحثين في الدراسات الاجتماعية في البلدان العربية لا يعدون أن يكونوا موظفين حكوميين في الجامعات والمراكز البحثية التي تتبع للحكومة، وهم ينفذون ما يطلب منهم<sup>2</sup>.

وبالتالي فإن عملهم البحثي ينحصر في أحيان كثيرة في عمليات القص واللصق والترجمة الانتقائية، لنقادي الاصطدام مع السلطة القائمة، ولا شك أن دراسات اجتماعية من هذا النوع المشوه لن تفضي بأي حال من الأحوال إلى تأسيس علم اجتماع عربي.

2- الطبيعة الوصفية للعقلية البحثية العربية: إن معظم الأبحاث التي يقدمها الباحثون العرب في مختلف التخصصات تقف في أغلب الأحيان عند مرحلة الوصف دون أن تتجاوزها إلى مرحلة التفسير، فأغلب هذه الدراسات تدور في فلك السؤال: كيف حدثت

<sup>1</sup> - عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب،

الكويت، 1998م

<sup>2</sup> - صلاح مصطفى الفوال: المدخل الى علم الاجتماع الاسلامي، دار غريب، القاهرة، 2000 م.

الظاهرة؟ وكيف تتبدى في الطبيعة أو المجتمع؟ دون الانتقال إلى السؤال التفسيري: لماذا حدثت هذه الظاهرة؟ هذا فضلاً عن الوصول إلى سؤال التنبؤ: ماذا سيحدث في المستقبل أو كيف ستحدث الظاهرة؟

ونحن هنا لا نقلل من أهمية عملية الوصف في الدراسات العلمية بشكل عام، فكثيراً ما يكون الوصف بمنزلة اكتشاف للظاهرة؛ لأنه عملية تعيين واختيار علاقات أكثر أو أقل عمومية بين خواص الظاهرة موضوع البحث، وهو اكتشاف؛ لأن هذه العلاقات لم تكن معروفة قبل الوصف العلمي الذي كشف عنها، لكن التفسير يتجاوز الوصف، إذ يستعين به، ويضيف إليه القوانين أو النظريات كي يحقق هدفه، فيمثل التقدم الحقيقي للعلم . إذا فالوصف هو أحد المراحل المنهجية المهمة لإنجاز العمل العلمي، لكن العمل العلمي حتى يكون مثمراً لا بد له أن يتجاوز مرحل الوصف إلى مرحلة التفسير، ومن ثمة إلى مرحلة التنبؤ، وإذا كانت هذه المراحل المنهجية تعكس بشكل أو بآخر التطور التاريخي للعقل العلمي البشري بشكل عام، فإننا نعتقد أن العقل العربي لا يزال يمارس العملية البحثية وفق المعايير المنهجية للعمل العلمي العربي في القرون العربية المتأخرة. حيث كانت المنهجية العلمية التي يمارسها العقل العربي تركز على المنهجية الوصفية، وقد نتجت الجهود العلمية للعقلية العربية في القرون الوسطى بأعمال بعض الرواد الذين استطاعوا أن يلامسوا الإرهاصات الأولى للمرحلة المنهجية التفسيرية، وهو كان مع الدراسة المميزة التي قدمها المؤرخ العربي عبد الرحمن بن خلدون (1406-1322) في كتابه المعروف (المقدمة) ، وكذلك الدراسة التي قدمها عالم الرياضيات المسلم غياث الدين الكاشي ( 1465-1436) في كتابيه: (مفتاح الحساب) و(علم الهيئة) ، اللذين



اشتملا على اختراعه الرياضي لنظام الكسور العشرية . وعلى حسب علمنا لم تقدم المجتمعات العربية أي عالم بالمعنى الحقيقي لكلمة عالم منذ نهاية القرن الخامس عشر تقريباً، وطبعاً نحن هنا نستثني العلماء العرب الذين يعملون في المؤسسات العلمية الأوروبية والأمريكية؛ لأن هؤلاء هم ثمرة التقدم العلمي في البلدان التي استقبلتهم، وفتحت لهم جامعاتها؛ ليتعلموا فيها، ومخابرها؛ ليعملوا فيها، وليسوا بأي حال من الأحوال نتاجاً للمجتمعات العربية، وبمعنى آخر نريد القول: إن العقل العلمي العربي قد جمد عند مرحلة زمانية مكانية في حركة تطور الوعي والتاريخ، وهذه المرحلة تقابل على المستوى المنهجي: المرحلة المنهجية الوصفية.

وبالتالي فإن هذه الطبيعة الوصفية للعقلية العربية تتعكس بدورها على الأبحاث الاجتماعية، بحيث نستطيع الزعم دون التورط بموقف تعميمي صارم أن معظم الأبحاث السوسولوجية العربية تراوح في المرحلة الوصفية، ولا تستطيع تجاوزها للمرحلة التفسيرية، فضلاً عن الوصول إلى المرحلة التنبؤية، على أنه لن ننسى هنا الإشارة إلى أن نظريات علم الاجتماع - بشكل عام - تعاني من إشكالية تجاوز المرحلة الوصفية إلى المرحلة التفسيرية والمرحلة التنبؤية، فذلك يعكس أحد أهم الإشكاليات المنهجية لعلم الاجتماع خاصة، والعلوم الإنسانية عامة، وبينما تنتج هذه الصعوبة في علم الاجتماع في البلدان المتقدمة من طبيعة الظاهرة الاجتماعية المعقدة، وإشكاليات البحث في العلوم الإنسانية عامة، فإنها في حالة الأبحاث الاجتماعية العربية - بالإضافة إلى كونها إشكالية تنتج من طبيعة الظاهرة الإنسانية، وخصوصية البحث الاجتماعي - أسلوب منهجي، تخلعه العقلية البحثية العربية سلفاً على مجرى البحث.

وبالإضافة إلى سيطرة العقلية الوصفية في الدراسات الاجتماعية العربية، كذلك يلاحظ المرء أن هذه العقلية تسيطر عليها المزاجية والعاطفية الواضحة في تناول المشاكل الاجتماعية المطروحة للمعالجة، وعدم مراعاة الحد الأدنى لشروط الدقة العلمية والموضوعية النسبية في جمع المعلومات، وتوثيقها، ومعالجتها والنتائج المتحصلة عنها. ونستطيع أن نزعم أن المعالجة العاطفية للمشاكل الاجتماعية، وضمور النزعة العقلية في البحث الاجتماعي، إنما هو انعكاس لمناهج التربية والتعليم في المدارس والجامعات العربية، وكذلك بتأثير التربية الاجتماعية التي تساهم في تكوين عقلية تقليدية، لا تمتلك الروح النقدية القادرة على تطوير العملية المعرفية، وتحريرها من قيود التبعية للموروثات في الحقل العلمي، وهذا يعكس ما يمكن تسميته بحالة الجمود والتخلف في الأدوات المنهجية للعقل العربي- العلمي. وفي هذا السياق نختم هذه الفقرة بذكر هذا الاقتباس:

"إنّ الدماغ العربي الآن في مرحلة الدماغ الانفعالي والغريزي، وهما مرحلتان من مراحل تطور الدماغ (...). فنحن نتعامل مع حياتنا في معظم المجالات تعاملًا عاطفيًا غرائزيًا بعيداً عن إعمال العقل فيها. نحن لسنا أمة التحليل، والبحث، والدرس. نحن أمة الحب أو الكراهية، الدفاع أو الهجوم، الإيمان أو التكفير، اليمين أو اليسار. حركة الفكر لدينا هي حركة اجترار الماضي فقط، وليس استنطاق المستقبل. نحن سجناء الماضي بقوة قاهرة عابرة للتاريخ. تراثنا فقط هو ملجأنا الوحيد ضد الأخطار التي تحدق بنا، وحين تعصف بنا العواصف، وتشتد علينا الأعاصير."

3- عائق التمويل والترجمة والنتاج العلمي : يوجد ضعف في تمويل الأبحاث العلمية بشكل عام في البلدان العربية، فقد ورد أن ما ينفقه المواطن العربي في مجال البحث

العلمي لا يتعدى 4 دولارات سنويًا، في مقابل 930 دولارًا في أمريكا، و 972 دولارًا في إسرائيل، و 39 دولارًا في الصين و 19 دولارًا في الهند، و حوالي 950 دولارًا في أوروبا، وأن ما يتم إنفاقه في 22 دولة عربية مجتمعة، على البحث العلمي لا يتعدى مليار و 700 مليون دولار سنويًا وهو يعادل ماتنتفه جامعة هارفارد وحدها في أمريكا ، وينصب الاهتمام بالدرجة الأولى على مشاريع البحث في مجال العلوم الطبيعية، في حين ينظر للأبحاث في مجال العلوم الإنسانية - بشكل عام- وعلم الاجتماع - بشكل خاص- على أنها ضرب من الترف، الذي يمكن تأجيله أو ليس له مبرر، بل يوجد اليوم في العالم العربي من يطالب بإغلاق أقسام علم الاجتماع في الجامعات؛ لأنها ليس لها أي دور أو أهمية في الحياة العلمية أو الاجتماعية، على حسب زعمهم. وقد دلت إحصائيات السنوات الخمس الماضية على أنه تم نشر ما يقرب من 305 مليون ورقة بحث علمية وتكنولوجية في جميع أنحاء العالم، كان نصيب دول الاتحاد الأوروبي منها 37%، والولايات المتحدة 34%، و آسيا الباسفيك 21%، والهند 20%، وإسرائيل 10%، بينما اكتفت أكثر من 22 دولة عربية بنشر أقل من 1% من مجموع ما نشر من أوراق. مع العلم أن عدد الجامعات العربية الحكومية والخاصة يزيد على 200 جامعة، وعدد الأساتذة يزيد على 50 ألف أستاذ، وعدد خريجي الجامعات يزيد على 10 ملايين خريج، منهم ما يزد على 700 ألف مهندس، ونستطيع أن نضيف أيضًا إلى ضعف التمويل وانخفاض المخصصات في ميزانيات الحكومات العربية للبحث العلمي ضعف حركة الترجمة ، فقد ورد في تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية لعام 2003 أن 300 مليون عربي يترجمون أقل بسبع مرات من 20 مليون يوناني، وأن العالم العربي يمثل 5 بالمئة من سكان العالم

لكنه ينتج فقط 1.1 بالمئة من الكتب العلمية والثقافية بينما ينتج ثلاثة أضعاف الكتب الدينية التي ينتجها العالم ككل. وربما يكون العرب اليوم هم أقل أمة تعنى بحركة الترجمة والثقافة المتبادلة مع بقية المجتمعات.

4- **العوائق الدينية** : لا تزال النظرة الحذرة والمتوجسة تجاه العلوم الاجتماعية، راسخة ومسيطره في ذهنية بعض المجتمعات العربية والإسلامية، فالمؤسسة الدينية بشكل عام تنتظر بعين الريبة لكل نتاج معرفي وافد من الغرب، وعلى وجه الخصوص في مجال الفلسفة، وتقييمه من الناحية الدينية على أنه يشكل خطراً على المعتقدات الدينية والأخلاقية. والبعض من رجال الدين يكفرون من يعمل ويبحث في مجال الفلسفة وعلم الاجتماع، بحجة أنهم يروجون للاتجاهات اليسارية والإلحادية في المجتمع، بل إن بعض حكومات الدول العربية تمنع تدريس بعض نظريات علم الاجتماع في جامعاتها. والمفارقة المثيرة للسخرية هنا أننا شاهدنا بعض رجال الدين يشجعون قراءة أعمال عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر في نشوء الرأسمالية؛ لأنهم يعتقدون بأن فيبر ينتصر للقيم الدينية في مقابل الفكر المادي الإلحادي، على الرغم من أن ماكس فيبر شخصياً كان علمانياً أو ملحدًا، كما ذكر هو ذلك مرارًا في مؤلفاته. وكذلك منهم من يستغرق في أحلامه، ليزعم أن علم الاجتماع بالكامل لا يعدو أن يكون علماً إسلامياً أسسه المؤرخ العربي ابن خلدون سابق الذكر، وإذا كانت الأمانة العلمية لتاريخ نشوء علم الاجتماع يجب ألا تبخس ابن خلدون حقه في التمهيد لتأسيس علم الاجتماع، وفي وضع تصور مبدئي لموضوعه، ومنهجه، وغايته، تحت ما أسماه "علم العمران البشري"، في مؤلفه "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"

الذي يعرف اختصاراً بـ "المقدمة"، فإننا بالمقابل لا نستطيع إلا أن نؤكد الدور الرئيسي المباشر للجهود التي قدمها أوغست كونت (1798-1857)، وكارل ماركس (1818-1883)، ودوركاهايم (1858-1917)، وماكس فيبر (1864-1920)، ومن أتى بعدهم ، لتأسيس علم الاجتماع، وصبغه بالشكل الذي يعرف به اليوم.

ثانياً : أهم العوائق الداخلية :

1- عدم امتلاك علم الاجتماع العربي لنظريات علمية اجتماعية عامة واضحة المعالم، يكون لها أنساق معرفية متكاملة، يمكن اختبارها واقعياً، وتكون لها قدرات تفسيرية، وقدرات تنبؤية، كما هو الحال في علم الاجتماع في الغرب، أما معظم الدراسات في فلك الدراسات الوصفية. فالنظرية تلعب دوراً أساسياً في تحديد موضوع العلم، والفضاء المعرفي الذي يجب أن يتحرك به مجال البحث، وبالتالي تسهم في تراكم الخبرات العلمية والمعرفية، وتطويرها في اتجاهات محددة.

2- الفشل في تأسيس منهج علمي خاص، يمكن تطبيقه في الدراسات الاجتماعية العربية ، ويراعي طبيعة الإشكاليات الاجتماعية العربية وخصوصيتها. ولا شك أن المنهج، والنظرية، بالإضافة إلى الموضوع، والمفاهيم، من أهم شروط تأسيس العلم.

3- عدم التنسيق بين الدراسات الاجتماعية العربية ، وعدم توحيد المفاهيم والمصطلحات ، والإستناد إلى مدارس ومرجعيات اجتماعية وافدة من نتاج الشعوب الأخرى، الأمر الذي خلق حالة من الفوضى والتضارب بين المشتغلين في الدراسات الاجتماعية العربية، نتج عنها ضياع الجهود، وخلق حالة هدامة، بدلاً من حالة بناءة، فقد يجتمع - على سبيل المثال- في أحد أقسام علم الاجتماع في إحدى الجامعات العربية

مجموعة من الأساتذة، ينتمي كل واحد منهم لاتجاه اجتماعي مغاير أو منافس ومضارب للآخر (مثلاً: وظيفي، بنوي، سلوكي، ماركسي، نقدي، إنشائي، توفيق، تنظيمي، فوضوي ... إلخ)، فيسخر كل منهم طاقاته وجهوده البحثية للانتصار لمذهبه ومدرسته، التي هي بالأساس لا تنتمي للمجتمع العربي، فتكون النتيجة أن يساهم في تطوير علم الاجتماع الفرنسي أو الألماني أو الإنجليزي ... إلخ، وليس علم الاجتماع العربي!

4- إشكالية الإطار المرجعي الفكري الفلسفي للنظرية العلمية: فمعظم المحاولات التي قام بها بعض الباحثين العرب لتأسيس نظريات خاصة بعلم الاجتماع العربي، نراها قد اعتمدت على إطار مرجعي فكري ينتمي للفكر الفلسفي الغربي ، أو الفكر الفلسفي اليساري في الفترة السوفياتية ، أو وضعت في إطار تصور الباحث لما ينبغي أن يكون عليه الإطار الفكري الفلسفي العربي، وليس في ضوء ما هو عليه واقع هذا الفكر الحالي، وذلك دون مراعاة خصوصية أن تؤسس النظرية الاجتماعية في إطار مرجعية فلسفية تنتمي للمجتمع الذي يجب أن تعمل به هذه النظرية .

5- التركيز على الجوانب النظرية والتنظيرية في البحث الاجتماعي، وعدم القدرة أو الجدية في المضي قدماً لاختبار واقعية البحث، وصدق افتراضاته من الناحية العملية، والكتابة والتأليف والترجمة بغاية التدريس الأكاديمي الصرف، ولغايات أيديولوجية، وثنائية، بدلاً من الاهتمام بتحقيق الأهداف العامة للبحث السيسولوجي، التي من شأنها محاولة فهم نشوء الظاهرة الاجتماعية، وتبديها في المجتمع، وتفسير عمليات تغييرها وتغييرها وتطورها وتطويرها، فجاءت معظم الدراسات الاجتماعية العربية في هذا السياق،

أشبه بالخيال السوسولوجي أو التصور النظري المجرد، الذي يعوزه التثبت الاختباري لصحة افتراضاته.

-5

إشكالية التعميمية، والتجزئية، كصفة ملازمة لمعظم

الأبحاث السوسولوجية العربية، فإما أبحاث عامة سطحية تلامس الموضوعات المعالجة من الخارج دون الغوص إلى أعماق المشكلة لتحليلها وفهمها جيداً، وهذا غالباً ما يتمثل بالنزعة المدرسية في التأليف، حتى نجد أن أستاذ علم الاجتماع العربي يمكن أن يكتب في أي شيء وفي كل شيء، دون مراعاة ضرورة التعمق في تخصص محدد. أو بالمقابل أبحاث تركز على مشكلات جزئية، ذات طابع أمبريقي، دون مراعاة ضرورة فهم الإطار النظري العام الذي يجب أن تعالج به هذه المشكلات، فنجد هنا نزعة ذات صبغة تبسيطية تميل للتطرف في التجزئية والتخصصية، ولا شك أننا لا نستطيع بهذه الصفحات القليلة أن نستوفي دراسة جميع الصعوبات الداخلية والخارجية، التي حالت دون تأسيس علم اجتماع عربي، وأسباب عدم امتلاكه لنظريات ومفاهيم ومصطلحات خاصة به، والتي يمكنه استعمالها وتطبيقها في معالجة القضايا والإشكاليات التي تهم مجتمعه ومواطنيه. لكن نأمل على الأقل أن نكون قد قدمنا خطوة صغيرة في الاتجاه الصحيح من أجل تسليط الضوء على بعض هذه العقبات، التي بدون تجاوزها، وبدون تهيئة الأرضية المناسبة لعمل سوسولوجي عربي جاد، لا يمكن الحديث عن علم اجتماع عربي، وعلماء اجتماع عرب، بالمعنى الحقيقي للكلمة.

الخاتمة :

إن واقعا العربي اليوم بحاجة لعديد الدراسات السوسولوجية لنطرح من خلالها واقعا للدراسة والتحليل، غير أننا نجد الكثير من المشتغلين بهذا العلم ينادون بالفكرة القائلة أن القيام بالدراسات الاجتماعية قد لا يصيب هدفه إن هو تم بوسائل نظرية ومنهجية يغلب عليها طابع التقليد والإلتباع لسبب أساسي حسبهم هو أن هذه الوسائل تجعل الباحث يرى بعض الجوانب فقط ويضخمها وتحجب جوانب أخرى وبين من يرى عكس هذه الفكرة. وهو ما يوقع بنا بين متناقضين من جهة أننا مجتمع بحاجة لدراسات اجتماعية معمقة لتطويره وتغييره كما سبقنا لذلك عديد الدول التي كان نهوضها وإعادة بنائها اتباعها سياسيات محددة للتغيير بالإعتماد على دراسات ميدانية ، هذه الدراسات بحاجة لعلم يكون الأساس في توجيهها نظريا وميدانيا، ومن جهة أخرى الرؤية القائلة بأننا أمام ازدواجية عقيمة مفادها توفرنا على علم اجتماع لكن بدون مجتمع من ناحية وأننا أمام مجتمع ما يزال ينتظر علم الاجتماع من ناحية أخرى .

إن الدراسات الاجتماعية بدراسة المفاهيم التي ترتبط بالعلوم الاجتماعية ، والمتعلقة بالعلاقات البشرية وقضايا الإنسان ومشكلاته وعاداته وسلوكياته ، وهذا يعني أن موضوعات المحتوى يتم اختيارها بحيث تستخدم كماده دراسية تحقق الأغراض التربوية المرجوة منها ، وبناءً على ذلك تركز الدراسات الاجتماعية في المراحل الأولى على نمو الفرد في علاقته ببيئته القريبة منه ثم يتدرج ذلك إلى دراسة العلاقات البشرية في البيئة المحلية ثم البيئة القومية ثم البيئة العالمية ، ولذلك نجد أن المرين يقومون باختيار المحتوى الدراسي لمناهج الدراسات الاجتماعية، من ميدان العلوم الاجتماعية، إلا أن



الدراسات الاجتماعية لا تهدف إلى توليد أو استنباط المعارف التي ترتبط بالعلوم الاجتماعية لأن الهدف الأساسي من دراسة الدراسات الاجتماعية هو تزويد الطلاب بالمهارات والاتجاهات والمعارف الوظيفية الضرورية لاضطلاعهم بدور فعال في حل قضايا المجتمع المحلي والقومي والعالمي ، كما أنها تدرس السلوك البشري ولكن من زوايا مختلفة و الاختلاف راجع إلى اختلاف في موضوعات الدراسة و كذلك نوع المتغيرات المستخدمة في التفسير ، والاختلاف اليوم في العلوم الاجتماعية هو اختلاف تمليه ضرورة الدراسة و التحليل فقط غير أن نتائج البحوث في ميادين العلوم الاجتماعية متشابكة و مترابطة ، وتعد العلوم الاجتماعية في المجتمعات العربية على إختلاف فروعها وتخصصاتها من المفعلات الأساسية لعملية التنمية الاجتماعية في البلاد العربية ، مما يستوجب الإنسجام بين المضامين التعليمية والقضايا الأساسية للمجتمع، لا من الجانب النظري التطبيقي ، وإنما من خلال الممارسات والتطبيقات الواقعية، من أجل إيجاد علم اجتماع يتماشى مع اهتماماتنا وتطلعاتنا، ولا يتأتى هذا المطلب إلا بتطعيم هذه العلوم بقيم مجتمعنا واهتماماته الكبرى في الحياة أثناء بناء برامج التكوين الرسمية، ومن خلال إعداد عروض التكوين ، ويجب تحديد الإستراتيجية للتعليم في العلوم الاجتماعية أمر يتطلب التخطيط السليم والوضوح في تحديد المفاهيم والأهداف المرتبطة بالواقع لإمكانية التحقيق مع الواقعية في النظر لتحقيق الأهداف المسطرة ، وينبغي أن تتضمن الرسالة التي تحملها العلوم الاجتماعية إعادة التشكيل المعرفي القيمي للمجتمع العربي بأصالته وتاريخه العريق، وذلك حتى تصير هذه القيم أكثر ملائمة لمتطلبات التنمية ، وضرورة ربط المؤسسات بالمحيط الاجتماعي والاقتصادي، من خلال التشجيع على

البحث العلمي الميداني وتتمين جهودهم بشتى الطرائق البيداغوجية المتاحة، وتشجيع التربصات والخرجات العلمية ، وذلك على اعتبار أن الوظيفة الأساسية هي خدمة المجتمع والسعي إلى التنمية الشاملة المستدامة في ظل هذه العولمة .

### الإقتراحات من وجهة نظر الباحث:

\*ضرورة إعادة النظر في مضمون برامج علم الاجتماع حتى تواكب التغيرات الحادثة

على مستوى البناء السوسيوثقافي للمجتمعات العربية وتكييفها مع حاجيات التنمية

والتطور .

• ضرورة وجود محور خاص بإسهامات ابن خلدون بعلم الاجتماع من باب تشكيل وبناء هوية علم الاجتماع العربي و تبني مشروع بحثي كبير لتحليل ونقد الخطاب العلمي السائد في أقسام علم الاجتماع وإبراز دور العلامة ابن خلدون في نظرياته وأفكاره وتحليلاته للمجتمعات العربية .

• إنشاء مراكز بحثية للدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية وتوفير بنك للمعلومات يشمل جميع المنشورات والدراسات الاجتماعية العربية ، لتكون مرجعا للباحثين والطلاب في علم الاجتماع وبقية العلوم الأخرى.

• مد جسور التواصل والتعاون العلمي بين الباحثين السوسيوولوجيين في المغرب والمشرق العربيين .

• المزيد من إبراز دور وإهمية علم الاجتماع في تحليل ومعالجات للكافة الظواهر والمشكلات والمتغيرات المستجدة والتي يعانها المجتمع العربي والبحث عن حلول ومعالجات لها وذلك بإقامة الملتقيات والمؤتمرات العلمية والتي يطرح فيها وجهات النظر

والاستفادة من الخبراء والباحثين والعلماء مابين الدول العربية والآفاق المستقبلية للدراسات السوسيولوجية في العالم العربي .

### المصادر والمراجع :

- 1- أبو النصر، مدحت ، قواعد ومراحل البحث العلمي ، دليل إرشادي في كتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه ، مجموعة النيل العربية ، ط1 ، مدينة نصر ، القاهرة - مصر ، 2004-2 الحوات ، على ، النظرية الاجتماعية " إتجاهات أساسية" ، منشورات شركة النجا ، فاليتا : مالطا ، 1998 م .
- 2-القزاز ، إياد: "انطباعات عامة حول علم الاجتماع في العراق مابين 1950-1970 " مجلة الخليج والجزيرة العربية، أكتوبر 1978، ص.55-64. نقلاً عن المرجع السابق ص 188.
- 3-حلاسة ، ياسين ، العلوم الاجتماعية في الجامعة الجزائرية وسيادة منطق الاجترار-كلية العلوم السياسية-تموجا-2011/12/11.
- 4- دنيكن ميتشيل ، "معجم علم الاجتماع"، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، 1981.
- 5- صالح ، إدريس سلطان . كلية التربية . جامعة المنيا ، طبعة الدراسات الاجتماعية وأهميتها نشرت في 2 إبريل 2011 م .
- 6- صلاح مصطفى الفوال : المدخل الى علم الاجتماع الاسلامي ، دار غريب ، القاهرة 8 - صلاح ، عثمان و فلورنتن، سمارانداكه : الفلسفة العربية في منظور نيوتروسوفي ، المعارف ، الاسكندرية ، ط1 ، 2007م.
- 7-عبدالباسط عبدالمعطي ، عادل الهواري، "علم الاجتماع والتنمية، دراسات وقضايا"، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1985م.

- 8 - عبد المعطي، عبد الباسط: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد 44، 1981، ص.186
- 9- فائق ، فوزى عبد الخالق ، د . شوكت ، على إحسان ، " طرق البحث العلمى المفاهيم والمنهجيات " دار عصمى للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، 2000م . ص 201-202
- 10 - قاسم ، محمد محمد، المدخل الى مناهج البحث العلمى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت طبعة اولى 1999م نقل عن مراد وهبة: مادة الاستنباط ، الموسوعة الفلسفية العربية .
- 11- مساك ، امينة : علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية بين البرامج الأكاديمية والواقع الاجتماعى ، مجلة دراسات اجتماعية وتربوية ، العدد الرابع ، جانفي 2009 ، منشورات مخبر : المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة ، جامعة محمد خيضر - بسكرة (كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية) .
- 12- محمد الجوهري وآخرون ، "ميادين علم الاجتماع"، دار المعارف، القاهرة، 1984، الطبعة السادسة.
- 13- محمد عاطف غيث ، "قاموس علم الاجتماع" ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1995.
- 14- وجيه محجوب ، أصول البحث العلمى ومناهجه ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان - الأردن ، 2001 م

## **DIFFCULTIES THAT FACE FIRST YEAR STUDENTS IN USING THE DEFINITE ARTICLE IN ENGLISH**

**SAMIRA MUFTAH EHMEAD- EKRAM JEBREEL KHALIL**

### **Introduction**

Learning a different language is sometimes difficult since the target language has different rules compared to the native language. These differences sometimes lead learners to make errors in their attempt to acquire the target language. The definite article in English has shown to be an area of difficulty for learners of English. In fact, it has been reported that learners of English make many errors with the definite article even if their first language has the article system. Research on the acquisition of articles has shown different sources of errors. One source of errors is the transfer of the notions and uses of the article systems of the first language into the article system of the second language.

Arab learners of English face difficulties when it comes to learning the definite article despite the fact that they have an equivalent article in their first language. Both articles are used to express definiteness, but they do not have identical notions of what is definite in the language.

English has three types of articles: the definite article *the* , the indefinite article *a(n)* and the zero article ( $\emptyset$ ) . Arabic has two articles: the definite article *al* and the zero article ( $\emptyset$ ). The usage and the function of articles vary from language to language. Given the fact that L2 learners make errors with all types of articles, this study limits itself to investigating and analyzing errors made with the definite article in English.

### **Statement of the problem**

Arab learners of English tend to make errors in their attempt to use the definite article in English. They tend to use *the* before nouns which are not normally preceded by this definite article. The reason for this is traced

back to Arabic. Nouns are usually preceded by the definite article *al*. The differences between Arabic and English in using the definite article have shown to be one of the sources of confusion and errors.

### **Aims of the study**

This paper aims to predict learners' errors and areas of difficulty by comparing the definite article in English and Arabic to point out similarities and differences in their usage. The study also aims at identifying the type of errors made by learners and exploring the influence of the mother tongue on the use of the definite article *the*.

### **Research questions**

The study aims to answer the following questions:

1. What is the common error made by students with the definite article *the*?

2. What is the type of errors made with *the*?

## Research Hypothesis

The research hypothesizes that students of English attach *the* with all nouns which require *al* in Arabic. This results in correct and incorrect insertions of *the*. Correct insertions are due to the match in the use of the two definite articles. The incorrect insertions occurred because of the mismatch between *the* and *al*.

## Theoretical framework of the study

The study investigates the differences between Arabic and English usage of definite articles and how might these differences affect Arab learners of English in their attempt to master articles in English. This study applies Contrastive Analysis (CA) to the study of errors made by Arab learners of English when acquiring the definite article. Contrastive studies are conducted in order to describe the differences between learners' native



language (Arabic) and the target language (English). Contrastive Analysis believes that the source of difficulty in using and mastering English articles is the difference that exist in both languages.

### **Significance of the study**

The study highlights the importance of applying contrastive analysis as a method of predicting and identifying errors in the L2. It provides useful information, which may contribute to a better understanding of the grammar of learner language. The study also highlights the importance of using the contrastive analysis method in the field of language teaching since they help teachers to predict errors, and hence choose the most appropriate teaching strategy.

### **Scope of the study**

The study offers a contrastive description of the definite article in English and Arabic to find out if differences between the two articles are the

reason behind the errors made by the students. There are other reasons behind making errors, but only errors of interference will be the interest of this study.

### **Methodology of the study**

The study uses a quantitative and a qualitative method to analyze the data. The instruments that are used for data collection are a fill-in the gap test and a translation task.

### **Contrastive Analysis (CA)**

The basic assumption of CA is that errors of second language learners (hence L2 learners) occurred because of the influence of the first language (hence, L1) on the L2. Therefore, a comparison or contrast between the L2 and the L1 is seen as the best predictor of learners' difficulties (Khalifa, 2018).

The influence of the first language of the learner on the second language is always referred back as interference. Interference of the mother tongue is also known as transfer. Selinker (1966, 103) defines transfer as 'a process occurring from the native to the foreign language'.

According to CA, L2 learners tend to transfer the habits from their L1 to their L2 production. Transfer can be observed in language learning at all levels. Transfer can happen in all aspects of the L2. L2 learners use it as a language learning strategy especially at the early stages of learning. In order to facilitate their learning, L2 Learners use their L1 as a source of information they can rely on when they face new sounds, rules, structures, etc. (Alkhresh 2016).

Language transfer is generally divided into two main categories: positive or negative. According to Gass and Larry (2001), positive transfer results in correct production and facilitates language learning. Positive transfer occurs due to similarities between L1 and L2. In contrast, negative

transfer is the transfer of habits and rules from L1 to the l2. This kind of transfer hinders the learning process and results in wrong production of rules of the L2. Negative transfer occurs due to differences between L1 and L2 (Gass and Larry,2001).

Contrastive Analysis asserts the claim that learners will tend to rely on and use their L1 as a source of information when they encounter L2 items that greatly differ with their L2. This claim attracts many researchers who are interested in exploring L2 errors since it explains why certain features in the L2 are more challenging to learn. Such claim or belief gives the CA a predictive power of errors that L2 learners will make in the future. The aim of comparison between two rules or systems is to discover any possible errors at the beginning of learning. Hence, the more differences are there, the more errors are expected to be made by L2 learners in their attempt to gain the rules or habits of the L2 (Al-khresheh, 2016).

Furthermore, the predictive power of CA detect areas of complexity and difficulty in the L1, which are discovered by comparing L1 and L2. The areas of contrast will then receive the attention of the teachers who choose these areas to be the focus of teaching materials. Whereas the strong version of the CA predicts the errors of the L2 learners before these errors even occur, the weak version of CA attempts to offer an account and analysis of the L2 errors after they had occur. This is done by using the differences between the rules of the L1 and L2 as the causes for errors made in the classroom. CA with its two versions is used not only to predict errors but also to explain why such errors occur. Teachers who apply the contrastive method will be able to detect areas of difficulty and choose appropriate classroom materials (Al-khresheh, 2016).

## **Previous studies**

A theoretical study by Salim & Kabir (2014) on the differences and similarities between English and Bengali shows that there are many differences in the use of articles in English and Bengali. The study shows that when the rules of articles are similar, the learning process becomes fast and easier. If the rules are different, learning becomes more difficult.

A study has done by Hassan & Eng (2018) examined the acquisition of the English definite article 'the' by L1 Arabic speakers. One hundred and fifty L1 Arabic respondents, drawn from three proficiency levels (advanced, upper-intermediate, and lower intermediate) were selected for the study. The respondents attempted a set of study tasks, a fill-in-article test task and a forced-choice elicitation task respectively. The data was analyzed quantitatively. The results of the study showed that L1 Arabic respondents generally are non-native-like in using the English definite article. Respondents showed low levels of accuracy with regard to the use of the definite article *the*. The findings also show that L1 transfer was

involved in the acquisition of the English articles. In addition, the different assignments of the articles in both languages seemed to have contributed to the difficulty of the definite article use in English evident in the study.

Abdullah and Thabet (2014) conducted a study on a group of students of English at the University of Aden. The study revealed that most students made errors with the definite article *the* when they attempted to translate the Arabic article *al* into English. The findings of the study showed that L1 interference is a source of errors beside other sources.

## **Contrastive description of articles**

### Uses of *the*

According to Thomson and Martinet (1986:19-20)

1. Before a noun of which there is only one, e.g.

*The earth. The moon.*

2. Before a noun which has become definite as a result of being mentioned a second time, e.g.

*I bought a car a month ago but the car is broken now.*

3. Before a noun made definite by the addition of a phrase or clause, e.g.3.

*The place where I met him*

*The milk in the refrigerator should still be good*

4. Before a noun which by reason of locality can represent only one particular thing, e.g.

*Ahmed is in the garden.* (the garden of this house)

5. with a 'ranking' adjective, e.g.



*The best way; the fifth lesson*

6. *The* can be used with a singular to represent a class of animals or things, e.g.

*The whale is in danger of becoming extinct*

7. *The* is used with some adjectives (without a noun) to represent a class of people, e.g.

*The rich. The old. The dead*

8. *The* is used for place names, e.g.

*The Atlantic. The Alps*

9. *The* is also with nouns or gerunds + of phrases, e.g.

*The changing of the guards. The election of officers*

10. In a general statement, it is possible to use *the* with a singular countable, that represents either a species, a race, or people of a nation, as in the following examples:

*The lion is a wild animal*

*The German are athletic*

There are cases in which the definite article *the* is not used. The zero article should be used in the following cases:

1. Before names of places except the places already mentioned, or before names of people, e.g.

*Cairo. Aden*

2. Before abstract and material nouns except when they are used in a particular sense, e.g.

*Water is essential for life*

Before names of meals, e.g...3

*George was having breakfast when the phone rang*

3. Before names of languages, e.g..

*Ali speaks French*

4. *The* is not used with these nouns: bed, church, court, hospital, prison, school, college, sea and university, town etc. when these places are used for their primary purpose, e.g.

*Mrs Kelly goes to church every Sunday*

*Tom is a seaman. He spends most of his life at sea*

5. *The* cannot be used with "work" when it means place of work e.g.

*He is on his way to work*

6. *The* is omitted with days of the week, e.g.

*We were in town last Monday*

7. *the* is never used before indefinite plural nouns especially when this does not refer to a particular group of people or things, e.g.

*Elephants are huge animals*

8. *the* is not used with days of the week and seasons of the year, e.g.

## **Definite Article in Arabic**

In Arabic language, *al* is the definite article. It is used with all types of nouns such as count nouns, both singular and plural, and mass nouns, e.g.

*السيارة، السيارات، الحليب*

The definite article in Arabic *al* is added to the noun to make it definite, e.g.

*word kitāb كتاب book*

can be made definite by prefixing it with *al-* resulting in الكتاب *al-kitāb* the book. Unlike most other particles in Arabic, *al* is always prefixed to another word and it never stands alone.

## Uses of the Definite Article *al*

Abdullah & Thabet (2014) refers to six uses of the Arabic definite article *al*.

### 1. Textual Use

It is used when the noun mentioned twice in the same sentence, as in the following example:

نزل مطر، فأنعش المطر زروعنا

### 2. Situational Use

*al* is used with the noun that refers to something already known and understood by both the listener and the speaker, e.g.

The listener here knows which car the speaker is talking about.

### 3. Cultural Use

*Al* is added to the names of objects that are known in their local environment,

ذهبت الي المسجد

### 4. Structural Use

*Al* precedes nouns that are modified by modifiers such as relative clauses, e.g.

الحليب الذي اشتريته منذ عدة أيام مازال صالحا للشرب

### 5. Entire Class

*al* is also used with the noun that refers to a class as a whole, e.g.

## 6. Individuals of a class

*al* can be attached to nouns that refer to all types of a class and not to a particular one, e.g.

لا تتكلم على الناس بالسوء

The word *people* refers to all people including men and women, young and old, etc.

## Similarities and differences

It has been found from comparing *the* and *al* that both articles can be used to introduce definite noun phrases, except proper names. Both articles have an identical use except in the following cases:

1. In Arabic, no article is used with nouns + of phrases, whereas in English *the* is used with nouns + of phrases, e.g.

2. In English, many words are used without the article *the*. In Arabic, however, such words are preceded by *al*. These words are:

a. Names of place and transports

*House, bed, work, town, school, car, bus, home etc.*

b. Names of meals

*Breakfast, lunch*

c. Days of the week

*Sunday, Monday*

d. Names of languages, e.g.

*We learn French*



e. Names of months and seasons of the year, e.g.

*Our holiday starts in summer*

3. Generic singular nouns in both languages are accompanied by the definite article.

However, generic plural nouns in English do not take *the*, but they take *al* in Arabic, e.g.

*Lions are wild animals*

الأسود حيوانات متوحشة

4. Non-count nouns such as abstract material nouns are not accompanied by the. Yet, in Arabic, these nouns require the definite article *al*, e.g.

*Oil is lighter than water*

الزيت أخف من الماء

*Happiness does not come from money*

## Prediction

Based on the description of the definite article in English and Arabic, which is presented above, it is predicted that students of English insert *the* correctly when use of *the* is equivalent to *al*. As we have shown earlier, students of English will be able to provide correct insertion of *the* except in one place which is (*the* +of phrases). On the other hand, students will use the definite article in sentences where it is not required in English, but it is required in Arabic. This may explain why students continue to use *the* where the zero article is required.

## The study

### Methodology and Procedure

The participants are asked to complete two tasks. The first one is a test that requires students to insert *the* where necessary and the second one is a translation task from Arabic into English. Materials of the two tasks are selected from different books of English grammar. Instructions are given in English and Arabic to make it clear for the students what they are required to do. After they finish their tasks, the participants are asked to give their consent.

### The test

The test aims to test the prediction that students insert *the* correctly where there is match between English and Arabic. On the other hand, the students will continue to use *the* in sentences where *the* is not required.

### The structure of the test

The test consists of 20 sentences. 10 sentences require insertion of the, and the other ten requires the zero article. Thus, there are 10 correct insertion of the, and 10 correct insertion of the zero article.

## The translation task

It aims to show the transfer from the L1 into the L2. It consists of the following sentences, all of which require a zero article.

هو يكون في البيت

هي لا تذهب الى العمل في يوم الاحد

اتناول الفطور دائما على تمام الساعة السابعة

ذهبت الى المستشفى لإجراء العملية

الأسود حيوانات متوحشة

الصبر مفتاح الفرج

The following incorrect sentences are the expected answers from the students

*He is at the home*

*She does not go to the work on the Sunday*

*I always have the breakfast at 7o'clock*

*She went to hospital for an operation*

*The lions are wild animals*

*The patience is the key to the happiness*

*She likes the tea with the milk*

The participants

The participants of the study are first year students of English department at the faculty of Arts, university of Almergib. The total number of the students who participated in this study is thirty.

## Results and discussion

Table 1 shows the results of the first task.

Required article	Correct insertion	Incorrect insertion
the	%45	%35
Zero article	%6	%14

The results of the test made the prediction above true to the students. As it is predicted, students of English managed to insert *the* correctly when *the* matches *al* in their use. When the two articles differ in particular uses, they have incorrect insertions of *the*. Therefore, the hypothesis of the study proves to be true.

Table 2 shows the results of the translation task

Type of use	Required article	Correct use	Incorrect use
Generic plural nouns	Zero article	3%	97%
Non count nouns	Zero article	%15	%85

The results of the translation task prove the hypothesis of the study true. Students made mistakes because of the differences between Arabic and English in the use of the definite article. Hence, they think that *al* and *the* are equivalent and their uses in each language are identical.

The results of the two tasks can give the answer to the research questions. The first question is: what is the common error made by students in using *the*?

The answer is: the common error is attaching *the* with generic plural nouns and non-count nouns, which all require the zero article.

The second question is: what is the type of errors made with *the*?

The results give clear evidence of L1 transfer. Hourani (2008) refers to two types of errors: Inter-lingual errors and intra-lingual errors. The former are the result of the L1 interference. The latter are the errors that result from other reasons. The intra-lingual errors are not the focus of this study hence they will be ignored.

Inter-lingual errors or interference errors are observed more in the first stages of learning where the influence of the L1 is still strong. Results obtained from first year students in the current study support such a claim. The answer to the second question is: the type of errors made by the students in this study is interference errors.

## **Conclusion**

The results of this study supports the claims of Contrastive Analysis. It shows evidence of both positive and negative transfer. Positive transfer



helps students use the right article whereas negative transfer impede them to acquire the article system in the L2.

## Recommendation

The findings of this study provide strong support for the claim that interference from the mother tongue is one source of difficulty that L2 learners face in their attempt to master the use of the definite article. It would be useful for the teachers as well as learners to take into consideration the differences that exist in the two article systems. The awareness of such differences and the identification of students' errors will help provide a better environment for teaching the article system.

## References

Abdullah, G and Thabet, A. (2014) Using and Translating Article 'the' / 'al' by Arab learners of English as a Foreign language. *International Journal of English and Education*. ISSN: 2278-40112, Volume:3, Issue:4.

- Al-khresheh, M. H. (2016) A review study of contrastive analysis theory. *Journal of Advances in Humanities and Social Sciences*. 2 (6): 330-338.
- Frank, M. (1986) *Modern English Exercises for Non-native Speakers*. New York University. Person Education ESL.
- Gass, M. S. & Selinker, L. (2001) *Second Language Acquisition: An Introductory Course* (2nd edition) Mahawah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.
- Hassan, M & Eng, W. (2018) Acquisition of English Definite Article 'The' By Arab EFL Learners. *Journal of Applied Linguistics and Language Research*. 5 (1): pp. 319-327.
- Hourani, T. M. Y. (2008) An Analysis of the Common Grammatical Errors in the English Essay Writing made by 3rd Secondary Male Students in the Eastern Coast of the UAE British University in Dubai (BUiD). Dubai – UAE. <https://bpace.buid.ac.ae1234/225> .

Khalifa, F. M. (2018) Contrastive analysis, error analysis, markedness theory, universal grammar and monitor theory and their contribution to second language learning. *International Journal of linguistics* 10 (1), 12-45.

Articles. Salim, M & Kabir, M. (2014) Contrastive Analysis of Bengali and English *Journal of Humanities and Social Science*. Volume 19, Issue 8, PP 24-29.

Selinker, L. (1966) A psycholinguistic Study of Language Transfer. Unpublished PhD dissertation. Cited in L. Selinker (1992). *Rediscovering Interlanguage*. New York. Longman.

Thomson, A. J. and Martinet, A. V. (1986) *A Practical English Grammar*. Fourth Edition. Oxford: Oxford University Press.

Thyab, R. A. (2016) Mother-Tongue Interference in the Acquisition of English Articles by L1 Arabic Students. *Journal of Education and Practice*. Vol.7, No.3.

## Use of literature in EFL Classes: Benefits, Difficulties & Techniques

Zaneb ali abo algasm

### Abstract

Literature plays an important role in language teaching since it provides wide scope to explore multi-dimensional use of the language. Literary texts, in general offer a rich source of linguistic input and can help learners to practice the four language skills (speaking, listening, reading and writing), beside to exemplifying other language areas such as grammatical structures and presenting new vocabulary. In addition, it can be claimed that the use of literature in language classes encourages more thoughtful and purposeful language learning. In this respect, the learners are not only exposed to the real use of language, but also they become critical thinkers.

This paper aims to debate the reasons behind the use of literature as a significant tool for language teaching. In addition, factors for choosing

appropriate kinds of literary texts in such classes and advantages of various kinds of genres of literature to language teaching and some issues faced by language instructors in teaching language via literature are considered in the present study.

## **1. Introduction**

Quite recently, considerable attention has been paid to the importance of using literature in teaching English as a foreign language and its basic role as a source of authentic texts of the language curriculum. In other words, literature starts to be viewed as an appropriate vehicle for language learning and development since the focus is now on authentic language and authentic situations.. Many scholars as Carter and McRae (2001, p. 10) recommend using literature to help students go beyond “acquiring basic knowledge of the language”, and to “learning about the language and how it works” Following this trend, Collie and Slater (1987: 3-6) support the orientation of integrating literature in the language classroom as it provides valuable authentic material, develops personal involvement and help contribute to readers’ culture as well as language enrichment.

Although the significant role of using literature in the language curriculum, many language instructors have faced with some difficulties in their teaching language through literature. First, there are few suitable pedagogical materials used for teaching language through literature. Second, there is not enough preparation in the field of literature for teaching in the language curriculum. Third, there are not enough goals to define the significance of literature in language classrooms.

The present study, therefore, investigates the advantages of using literature for teaching English in EFL and what kind of literature should be used in language classes. Totally, the position of literature as a significant instrument for teaching a foreign language will be examined in the present study

## 2- LITERATURE REVIEW

### 2.1 What is literature?

Literature is a term used to describe written or spoken material. Generally speaking, "literature" is used to describe anything from creative writing to

more technical or scientific works, but the term is most commonly used to refer to works of the creative imagination, including works of poetry, drama, fiction, and nonfiction.

Literature from the Language Teaching point of view can be defined as the use of language effectively in suitable conditions"(Baird, 1969; 203). According to literary texts can be used in language teaching, because the language used in literary text is suitable for the contexts of the events.

## **2.2 Literature in language teaching**

Literature and language are closely related and this is a fact none can deny. Literature is rooted in a language and language gets life through literature. So Literature and language are closely interconnected. Literature is an important window letting one to have a view of the world and realizing the expression of culture by means of sharing individual or collective life experience. Though the world of a novel, play, or short story, for instance, is an imaginary one yet it presents a setting in which characters from many social backgrounds are described. A reader can discover the way the characters in such literary works see the world outside i.e. their thoughts, feelings, customs, traditions, possessions; what they buy, believe in, fear, enjoy; how they speak and behave in different

settings. This world in a literary text can help the second/foreign language learner to feel for the codes and preoccupations that shape a real society through visual literacy. Literary texts provide aesthetic, intellectual and emotional pleasure. Because of its symbolic density, literature provides much impetus for language learning. Literature provides ample opportunities to develop students' interpretative power and it can familiarize students with many features of the written language. Study of literature is not merely concerned with skill acquisition. As reported by Lazar (1993), "Literature should be used with students because it is motivating stimulus for language acquisition, students enjoy it, and it is a fun, it is found in many syllabuses and the like." Literature, a convenient source of content for a course in foreign language, provides motivating materials for language teaching. According to Carter and Long (1991), "Literature is a legitimate and valuable resource for language teaching." Literature is constituted by language and it represents one of the most recurrent uses of language. Brumfit and Carter (1986: 1) already emphasized the role of literature as "an ally of language".

Generally speaking, literature paves the way for language teaching through a communicative approach. A couple of writers such as Brumfit



and Carter (1986) and Lazar (1993) have rejected the notion of the existence of a particular literary language and stated that the language used in literature is an ordinary language including linguistic traits such as metaphors, similes, poetic lexis, etc. These features cannot be seen as literature specifics because they also appear in common language application. But, in literature these features have other implications.

### **2.3 Teaching Literature: why and what**

The purpose of teaching literature needs to be interpreted according to the reason and the intention behind incorporating literature in the learning syllabus. Studying

literature without a clear purpose, is useless and a waste of time. Yaqoob (2007) pointed to Diyanni's view (2002, pp.2-7) on literature. Diyanni thinks that, literature though transports us to the world, created by imagination, yet evokes our emotions of love, sorrow, joy, and pity, and thus enhances our appreciation and understanding of life. Literature is seen as the main medium in which the students can develop their language without any doubt. The four skills, reading, writing, speaking and listening can be developed in a noticeable way that attracts the attention of the educationists. Studying literature, on the whole, is a

mutual and an interaction between the reader and the writer. The study of literature has always been viewed as something complex and unattainable. This leads to a situation where literature needs to be clarified in its broadest sense to make it more accessible to students in view of the growing interest.

The use of literature as a technique for teaching both basic language skills

(i.e. reading, writing, listening and speaking) and language areas (i.e. vocabulary, grammar and pronunciation) is very popular within the field of foreign language learning and teaching nowadays. Moreover, in translation courses, many language teachers make their students translate literary texts like drama, poetry and short stories into the mother tongue. Since translation gives students the chance to practice the lexical, syntactic, semantic, pragmatic and stylistic knowledge they have acquired in other courses, translation both as an application area covering four basic skills and as the fifth skill is emphasized in language teaching. In the following section, why language teachers use literary texts in the foreign language classroom and main criteria for selecting suitable literary texts in foreign language classes are stressed so as to make the

reader familiar with the underlying reasons and criteria for language teachers' using and selecting literary texts.

## 2.5 Reasons for Teaching Literature

The use of literature in the ELT classroom is enjoying a revival for a number of reasons. Collie and Slater (1990:3) indicate that there are four main reasons which lead a language teacher to use literature in the classroom. These are valuable authentic material, cultural enrichment, language enrichment and personal involvement. The importance of literature is also explained by Gillian (1999)

as: "By exposing students to the rich language of the text, we can expand their language awareness, their overall knowledge of how words and grammar can be used. By presenting students with the complex themes in the literary text we can motivate them to reflect imaginatively on their own experience and on that of writers in different societies. By gently encouraging them to make their own interpretations of a text, we can develop their confidence in forming well-reasoned interpretations of the language that they read and hear"

Following this, Duff and Maley (1990) demonstrated that literature is used for three reasons as a means of second language teaching. First of all

is the linguistic reason demonstrating that literature is influential in language teaching since it provides the students with real samples of language applications. It is of great significance for foreign language learners to be taught in different genres and styles and to be able to distinguish the function of each of them.

The second reason is methodological and considers the idea that literary texts can have different interpretations, thus they produce different ideas among the learners and this leads to creative, motivated interactions with the text, the learners and the teacher (Widdowson, 1983).

The third reason is that the motivational factors are of great significance since the literary texts represent the authentic feelings of their authors and this produces a strong motivation in the learners. By the help of the literary texts, the students can have access to this individual experience and are able to relate what they read to the real world. Literature has the capacity to create authentic conditions for the learners to practice and learn a foreign language with motivation. In other words, literary texts offer a rich source of linguistic input and can help learners practice the four skills - speaking, listening, reading and writing - in addition to exemplifying grammatical structures and presenting new vocabulary.

Furthermore, literature can help learners develop their understanding of other cultures, awareness of 'difference' and to develop tolerance and understanding. At the same time literary texts can deal with universal themes such as love, war and loss that are not always covered in the sanitized world of course books.

Additionally, teaching language through literature gives student motivation for learning. As Scott (2004) states "When I teach my advanced French grammar course, students engage in a semi-traditional, systematic study of grammar, and are also required to read a novel. The novel is selected for its relevance to students' experiences in order to engage them in extensive reading for pleasure" (p. 278). Scott observes that learners use grammar actively through reading literature. Furthermore, Mason (2004) observes that literature is more pleasant and interesting than traditional methods of instruction, and learners can obtain other aspects of language from literary works.

Teaching language through literature also help teachers first to acquaint themselves with language use to develop their own competence and understand language as a social phenomenon, and not as an exclusive branch of learning. And another thing is that it transforms the classrooms as the stage in which there is real practice of communicative language.

And also help teachers consider language as entailing social acceptability in other words; they can look to classroom language as carrying resemblance with the outside language. And As a result, this would raise communication to the level of a social responsibility.

## **2.6. Advantages of Teaching Different Genres of Literature**

### **1- Poetry**

Poetry is one of the most important literary genres used in language teaching. Teaching language through poetry can pave the way for the learning and teaching of basic language skills. According to Ramsaran (1983), the importance of poetry and its usefulness in language classroom lies in the fact that poetry deviates from normal language in that it has some unusual ways of ordering words, or it attributes particular, imaginative meanings to words or combines sounds in a musical, non ordinary way (phonological, lexical, syntactic, semantic, and style deviation (p.36).

This is to say that poetry is a rewarding and enjoyable experience with the properties of rhyming and rhythm both of which convey “love and appreciation for the sound and power of language.” At this juncture, it can be stated that students become familiar with the super segmental aspects of the target language, such as stress, pitch, juncture, intonation by studying poetry.

## **2- Short Stories**

Collie and Slater(1991) argued that short stories are the most suitable literary genre to use in English teaching due to the following reasons: firstly, short stories are practical as their length is long enough to cover entirely in one or two class sessions. Secondly, short stories are not complicated for students to work with on their own. Thirdly, short stories have a variety of choice for different interests and tastes. Finally, short stories can be used with all levels (beginner to advance), all ages (young learners to adults) and all classes. Pardede’s (2011) study at Christian University of Indonesia revealed that the majority of English teachers training students basically found short stories interesting to use both as materials for self-enjoyment and of as components language skill classes. The findings denoted that only 0.37% of the responses went into

“Disagree” criterion; and 18.4%, “Neutral”. The other 81.5% went into the criteria of “Agree” and “Strongly Agree”

Considering short story in foreign Language classes has advantages such as (Ariogul, 2001):

- Facilitating the learners’ reading task because of being short and simple in comparison with other literary genres.
- Promoting the learners’ attitudes and knowledge on different cultures.
- Offering a world of wonders and mystery.
- Developing critical thinking ability.
- Making the learners feel comfortable and free.

Thus, the use of a short story seems to be a very helpful technique in today’s foreign language classes. And it makes the students’ reading task and the teacher’s coverage easier.

### **3- Drama**

Using drama in a language classroom can be seen as a significant genre for teaching language as it raises the students’ awareness towards the target language and culture. In this context, the use of drama as a tool rather than an end gains importance in teaching a foreign language. Yet, there is one obvious danger: cultural imposition should be severely avoided since it results in the loss of language ego and native language identity in many cases . To put it differently, language learning should be culture-free but entirely



not culture-biased. For this reason, the new language and the context of the drama should fuse into a language learning process with high interest, relevance and enjoyment. Learners should make use of drama to promote their comprehension of life experiences, reflect on particular circumstances and make sense of their extra linguistic world in a deeper way (Sarıçoban 2004:15).

Via and some other researchers considered the value of drama in language teaching derives from the opportunities it provides the students to have a meaningful purpose to express themselves (Dodson, 2002). Rivers (1983) also mentioned that "the drama approach enables learners to use what they are learning with pragmatic intent, something that is most difficult to learn through explanation." The students have the opportunity to experiment with the language they have learnt, and the teacher has a chance to see how each person operates in a relatively unguided piece of interaction (Holden, 1981:5). According to Maley and Duff, dramatic activities are those which give the students an opportunity to use their own personalities in creating the material on which the language class is to be based (1982). According to (Lenore 1993), the educational benefits of drama, are as follows:

- stimulates the imagination and promotes creative thinking,

- develops critical thinking skills,
- promotes language development,
- heightens effective listening skills,
- strengthens comprehension and learning retention by involving the senses as an
- integral part of the learning process,
- increases empathy and awareness of others,

#### 4. Novel

The use of novel is a very beneficial technique in today's foreign language classes if selected carefully. Using a novel makes the students' reading lesson motivating, interesting and entertaining. Though many students find reading a novel written in a target language difficult, boring, unmotivating, novel is a very effective way of building vocabulary and developing reading comprehension skills. And it is through reading that students broaden their horizons, become familiar with other cultures, and hence develop their intercultural communicative competence, learning how to view the world from different perspectives. The result will be the possession of critical thinking and writing. Asamani and E.D.Thomas (1998:1-5) expound the educational benefits of novels as follows:

- stimulates their imagination,

- helps students to identify the emotions of the characters so that they can learn how others cope with situations and problems similar to their own experiences,
- helps them master the skills that will enable them to acquire information, process this knowledge, identify problems, formulate alternatives, and arrive at meaningful, thoughtful, effective decisions and solutions,
- develops oral and written language skills,
- serves as a springboard for a multitude of holistic learning and critical thinking activities beginning with basic comprehension and writing,
- presents a unique way of teaching reading by getting students involved and excited about the reading process

To sum up, most importantly is when selecting a novel to be used in the foreign language class, the language teacher should pay attention to whether the novel has an intriguing story that will be of interest to the entire class.

### **3. Difficulties of using literary texts in EFL/ESL classroom**

Despite the advantages of the use of literature in the language classroom which have been mentioned in the previous section of the present work,

there are also some major difficulties that require further attention such as language itself . Literary vocabulary and grammatical structures are often considered to be too complicated, making reading a highly demanding activity. McKay (2001) and Savvidou (2004) criticize the language of literary texts for being far from the conventions of Standard English established for the different levels of the students that is probably the reason why students often feel that literary language “does not stick to the most common usages, but exploits and even distorts the accepted conventions infresh and unexpected ways” (Lazar, 1993: 115.)

On the other hand, cultural issues also result in some problems when it comes to the use of literary texts in EFL. According to McKay(2001), literature is saturated with cultural concepts that might frustrate the unexperienced reader. For Duff and Maley(1990), cultural factors might present difficulties to the point of making it clearly impossible for an outsider to fully understand and share the scope of references of an insider literary texts might also restrain the use of certain texts (Collie & Slater, 1987: 2). Especially when there is no agreement among language teachers and designers of materials on the question of the culture L1 Vs. L2- EFL students should be exposed to.

The length of the text is also considered by some scholars one of the major difficulties.

If most of the students feel frightened to have to work with long texts, there are also some others who find shorter texts more difficult to handle with when “they do not offer extended contextual support and repetition which longer texts do” Duff & Maley, 1990:7).

Literary texts can present teachers and learners with a number of difficulties including:

- text selection - texts need to be chosen that have relevance and interest to learners.
- linguistic difficulty - texts need to be appropriate to the level of the students' comprehension.
- length - shorter texts may be easier to use within the class time available, but longer texts provide more contextual details, and development of character and plot.
- cultural difficulty - texts should not be so culturally dense that outsiders feel excluded from understanding essential meaning.
- cultural appropriacy - learners should not be offended by textual content.

Duff and Maley (2007) stress that teachers can cope with many of the challenges that literary texts present, if they ask a series of questions to assess the suitability of texts for any particular group of learners:

- Is the subject matter likely to interest this group?
- Is the language level appropriate?
- Is it the right length for the time available?
- Does it require much cultural or literary background knowledge?
- Is it culturally offensive in any way?
- Can it be easily exploited for language learning purposes?

#### **4. CRITERIA FOR USING LITERATURE**

One of the challenges teachers face is regarding the selection of a suitable literary text for the students. The types of literary texts that can be used are plenty. However, a teacher should be extremely careful while choosing the text that he wants to deal with in the classroom. McRae (1997) says that “careful text selection is fundamental to the successful use of any kind of representational materials . The needs of the students, their motivation, interest, and cultural background should be taken into

consideration while selecting a literary work for the classroom teaching.” Collie and Slater (1994) suggest that text selection depends on “each particular group of students, their needs, interests, cultural background and language level” (1994: 6). Hill (1995) demonstrates two sets of criteria in his essay. First of all, the teacher should enjoy the text that he/she chooses. It is also important to select a text of an appropriate length. Texts need to be appropriate to the level of the students’ comprehension. Shorter texts may be easier to use within the class time available, but longer texts provide more contextual details, and development of character and plot. According to Sage (1987, p.87) lengthy texts might pose “the question of how to maintain students’ interest”. Extracts from a novel, abridged versions of a play or a novel and selected poems can be used in the classroom.

Generally speaking, there are three main criteria that justify the use of literature as a second language teaching too:

**\*The student’s cultural background:**

When considering this factor, think about how far the students’ cultural background

and their social and political expectations will help or delay their understanding of

the text. For example, it would be difficult to understand Jane Austen's novels

without knowing about the class system and the values of society in England at that

time. On the other hand, it is also true that remote texts may arise the students'

interest.

**\*The students' linguistic proficiency:**

You might need to ask yourself questions like:

- Are students sufficiently familiar with the usual norms of language use to

recognise when these are subverted?

- How much of the language in the text will students be able to infer?



- Will students find it useful and enjoyable to study the text, or will they feel

demotivated by the difficulties of the language?

Even if the language is difficult, will students be motivated by other factors to

study the text?

**\*The students' literary background:**

If the students have some kind of literary competence in their mother tongue, they

may already know similar conventions for reading and interpreting literature in

English.

**5. Useful techniques to apply literature in the language classroom.**

There is no right or wrong way to teach a literary class. There is an intelligent way to teach it. The purpose of Literature teaching is not just to get an answer; it is to learn what is behind the words, and encourage the

student to think and give creative answers. The job of the teacher is not to teach the student, it is to lead the student. Literature learning is very crucial for learners and particularly the students and teachers who deal with this area. Many students in Libya are characterized with the poor knowledge of literature learning. They even ignore its influential impact on learning and behaviour. The study investigates the difficulties faced by both teachers and students when dealing with any literary text in prose or poetry. Some approaches and strategies are used to teach literature and of course the consequences touched in the students' knowledge are amazing. Most teachers consider literature as a separate subject that has nothing to do with language learning.

This assumption is based on the misinterpretation of the concept of language teaching and learning. The fact, however, remains that there are benefits that a language learner can derive from the inclusion of literature in the educational curriculum for language. The introduction of literature in the syllabus creates some difficulties to the students as well as for the teachers. Students have a poor understanding of the literary text. Besides that, they are not familiar with the text as there are no sufficient inputs or exposure to literary text especially the English literature.

The teachers face many problems in delivering their lessons because they do not know the best way to teach literature. Besides that, perhaps they are not familiar with the literary text itself which makes them need more time to prepare for the lesson. Sometimes, this preparation needs real knowledge and experience for both teachers and students and the task is tough and complicated.

- \* Analyzing: the centre of attention is the language of the text.
- \* Comparison and contrast: students have to find similarities and/or differences between two topic-related texts. In this case, the meaning is more relevant.
- \* Expansion: students have to add certain elements to the text, for instance,

what happens after the story finishes?

Matching: students are given two groups of items, which they must link  
Media transfer: a text is transformed from one medium to another, for example from poetry to prose or from written to oral.

\*Reconstruction: students have to re-establish certain elements in a text which have been omitted, or jumbled.

\* Reduction: contrary to ‘expansion’, students have to remove certain elements from a text so as to make it shorter, though still meaning the same.

## **6. TYPES OF ACTIVITIES USED:**

There are many ways to follow when preparing activities for using literature to teach language. For instance, here are some activities related to the use of short stories.

One of them is to classify them into three basic groups:

1) Pre-reading activities 2) While-reading activities 3) Post-reading activities.

The above classification is recommended by Lazar (1993) but also from various other academics such as Tomlinson. In my opinion, the headings help a lot when organizing ideas and thoughts related to the tasks and exercises which will be used with the literary text.

**\*Pre-reading activities:** This kind of activities helps students to understand the cultural background of the story. They stimulate the students' interest in the story, makes them become more focused on it and motivate them to want to learn what finally happened in the story. Activities like these teach the learner new vocabulary and this is very important because he/she expands his speaking and writing ability using new words (Lazar).

**\*While-reading activities** These activities help students (Lazar:1983): 1) To understand the plot. 2) To understand the characters 3) With difficult vocabulary 4)With style and language

**\*Post-reading activities :** Lazar claimed that the post-reading activities help students to make interpretations of the text , to understand the narrative point of view , to practice the language skills ,and helping learners to express their personal view points and experiences

## Conclusion

The inclusion of literature in language teaching is a good opportunity for language enrichment. Learners can develop their linguistic knowledge,

language skills, and language awareness in literary texts. Learners in literary texts see how words and structures function in sentences. Learners see how characters in literary texts interact with each other which help them develop their communicative competence. In other words, literature is a rich source of meaningful input for language learners and it is useful to enhance language proficiency. At the same time, Literature allows learners to learn about other cultures.

To conclude, literature helps students acquire a native-like competence in English. It helps them to express their ideas in good English, and teaches them the features of modern English, and helps them to see how idiomatic expressions are used. In other words, literatures can help EFL learners to speak clearly, precisely, and concisely, and become more proficient in English, as well as become creative, critical, and analytical learners.

## REFERENCES

Baird, A., (1969). "Literature Overseas: The Question of Linguistics Competence", ELT Vol. 23, No. 3 . (1979).

Brumfit, C. J., Carter R. (1986).. Literature and Language Teaching. Oxford: Oxford University Press.

Carter, R. & Long, M.N. (1991). Teaching literature. Harlow : Longman.

Collie, J. and S. Slater ,. (1990). Literature in the Language Classroom: A Resource Book of Ideas and Activities. Cambridge: CUP.

Duff, A & Maley, A. (2007) Literature (Resource Books for Teachers), Oxford University press

Hill, J., (1995). Using Literature in Language Teaching. London: Macmillan

Lazar, G., (1993). Literature and Language Teaching: A Guide for Teachers and Trainers. Cambridge: Cambridge University Press.

Lenore, K.L. (1993). The Creative Classroom A Guide for Using Creative Drama in Classroom. U.S.A

Maley, A. (1990). Literature in the Language classroom. In R. Carter and D. Nunan (Eds). The Cambridge Guide to Teaching

English to Speakers of Other Languages.

Cambridge: Cambridge University press

Mason, B. (2004). Free Voluntary Reading and Autonomy in Second Language Acquisition: Improving TOEFL scores from reading alone. *International Journal of Foreign Language Teaching* 2 (1), 2-5.

McRae, J. (1997). Applying the buzzwords: Literature for language learners. *BritishBook News*: 432-437, July.

Pardede, P. (2011). Short stories use in language skills classes: Students' interest and perception. *The Proceeding of the 4th International Seminar 2010: Bringing Linguistics and Literature into EFL Classrooms* (pp. 1- 17). Salatiga: Satya Wacana Christian University

Rivers, W. M. (1983). *Teaching foreign-language skills*, (2nd ed.). Chicago and London: The University of Chicago Press

Sage, H. (1987). *Incorporating Literature in ESL Instruction*. New Jersey: Prentice-Hall, Inc.

Savvidou, C. (2004). An integrated approach to the teaching of literature in the EFL classroom. *The Internet TESL Journal*, X, 12. Retrieved March, 2010 from: <http://iteslj.org/>

Scott, V. M., & Tucker, H. (2002). *SLA and the Literature*

Widdowson, H.G. (1983). *Practical stylistics: an approach to poetry*. Oxford : Oxford University Press



## How accurate is the post method in terms of teachers and learners

Ismail Alhadi Aldeb

### Introduction

Terminologically, Language Teaching carries out a set of various labels for instance, approach, methods, practice, principles, procedures, strategies, and techniques, (Kumaravadivelu, 2005). Having this amount of elements has made English language teaching is one of the most challenging jobs as it requires teachers to do hard work either in schools or outside schools. How the teacher performs the teaching process is difficult and challenging as well. According to Harmer (2003) cited in Hall (2011), a qualified teacher is not only the one who knows about the language, but also knows how to teach this language. This process of delivering information to learners is called Method which is, in terms of Harmer's point view, 'it is about types of activities, roles of teachers and learners, the kinds of material which will be helpful and some syllabus organization' (Harmer, 2007, p.62). These methods are varied and each looks at certain elements of English language. Akbari (2008) points out that, English Language Teaching has gone through different stages in the

last 20 years. Pennycook (1989) cited in Hall (2011, p.79) mentions, 'the traditional view of the development of methods over time is that, there has been a series of language teaching methods over the years, each being succeeded by a better one until we reach the present'. These stages started with Grammar Translation method at which a language is learnt through the translation from L2 into L1; for example, from Latin to English. Chang (2011) states that, when Latin language was being taught, the focus was on grammar rules and students translate texts, memorize vocabulary and do written exercises. The direct method is another teaching method that was popular over a period of time. In this method the concentration was on the target language and accuracy and the language was studied through pictures and objects; moreover, translating from L1 into L2 was neglected. Skidmore (1917) clarified this method as a way of teaching throughout the reading skill rather than the speaking skill. To some extent, this definition is acceptable but not accurate. Other scholars mentioned some different terminology about the Direct Method. For instance, Harmer (2008) defines it as, concentrating on merely the target language and because grammar translated method restricted the interaction, the Direct Method is in

favour of teachers and learners interact together. Following the direct method is Audiolingualism, and during a certain period of time it was significantly workable and it depended on drilling the language and the language is learnt via repeating after the teacher and errors were unaccepted. Harmer again gives a clear definition about this method. Audiolingualism, according to Harmer (2008), is learning a language through the repetition or in other words, acquiring new language through habit formation and no chance for mistakes. These methods led to the most resent method which is Postmethod. In this method a teacher can grasp from all of the previous and adapt what is suitable for every class. Consequently, this era is called the era of eclectic methods and the era of teachers' autonomist because education suppliers or teachers are not slaves who follow others order, roles and beliefs. Pennycook (1989), Allwright and Hanks (2009) sited in Hall (2011) mention, in the era of methods teachers became like operators who perform other people's ideas and the term *method* was controlling them. In this essay, a general investigation will be conducted on how the previous methods differ to the postmethod in terms of the teachers' role and learners' performance.

**How autonomous are the teachers in the postmethod era:**

Kumaravadivelu (2003) cited in Can (2012), contrary to the meaning of Method, postmethod does not carry on any limitations because it is not an alternative method but alternative to methods. When teachers start performing their teaching classes, it is their choice to adapt any ideas from any method to suit their classes because postmethod places the teacher in the heart of language learning and teaching. As a matter of a fact, it is very motivating to make teachers sense that they own the autonomy in what they are doing in classrooms. Can (2012) claims that, this worth which is given to teachers must be appreciated because the teachers are the ones who know their students and the class atmosphere. But how can a teacher react towards these choices in the current era which is postmethod.

Postmethod is called, as mentioned above, the age of freedom and choices i.e. educators can act freely in their lessons and adapt any method that may fulfil student's necessities. There are numbers of researchers who called this era as the age of autonomy. Accordingly, Kumaravadivelu (2001) points out that, teachers in the postmethod era have a vital role and being autonomous is the main emphasis. Other

educationists proposed some other assumptions which may guide teacher in the postmethod era. Tasmini (2014) indicates some values that teachers can follow to conform the postmethod. These values as follows:

- 1- Automaticity**
- 2- meaningful learning**
- 3- language self-esteem**
- 4- self-confidence**
- 5- risk taking**
- 6- connecting the language and culture.**

It appears that living in the age of postmethod makes the teaching process harder to teachers and education suppliers as a lot of preparations required. In addition, teachers, in order to cope, have to consider some challenges such as their knowledge and abilities. As stated by Bartlett (1990), cited in Tasmini (2014), teachers in the postmethod time must trust their potential and language awareness; they must also teach reflectively. Reflective teaching means concentrating on teachers' individual teaching methods and practices and evaluating them so that they obtain the best outcome possible. Tasmini then adds, such kind of teaching is a hard process. Similarly, Morphy (2001) claims, to teach reflectively in the postmethod era, teachers should evaluate themselves and the information they have for

the course they are teaching. Escaping from methods would bring other challenges to teachers and in order to perform accurately a number of studies and data collections must be done. The best teachers are those who hold enough background about the former methods. This background eases the way to construct an eclectic method. Conducting such techniques will result in performing teaching process dramatically accurate. Following the mentioned researches and strategies, teachers are to shift from method followers to responsible teachers who sit their own plans, (ibid). Moreover, Kumaravadivelu (2001) points out that, teachers need to be motivated in order to reveal their personal profiles and also must be authorised to embrace aspects of possibility otherwise their self-development will stay socio-politically unexperienced. Hall (2011, p.101) concludes this chapter by saying, 'waters expresses the hope that teachers will be 'better informed' and make 'sounder' decisions'.

However, there is an issue in performing a postmethod-like teacher. So, if a teacher does not have enough experience would he or she be able to handle it?

**Who can follow postmethod assumptions?**

There has been flourishing in the term of English Language Teaching during the time of postmethod because teachers are more independent now in their institutions. As an ELT teacher, when it is recommended to apply the postmethod assumptions in the teaching environment or there are rules to follow in order to integrate well.

Teachers, when integrating postmethod principles, start to act on their own and semi-ignore text books and institutional regulations. Not only this, they can also collect various techniques from different methods. It would appear that those teachers who have limited training and knowledge of the previous methods might mislead the teaching process. Richards & Rodgers, (2001) point out that, teachers who are still beginners in the teaching career and lack training experience might be frustrated when adapting the postmethod moulds because methods supply with great activities and successful rules to apply in the classroom. Although some educationists encourage adapting the postmethod, still Richards & Rodgers, (2001) insist on the idea that methods are the key point behind the success or failure in the language teaching process. These points of view may prove what Kumaravadivelu (2002) claims about the postmethod that makes teachers autonomous

and -the four factors in the previous chapter of this paper refer to that- teachers before starting to apply the postmethod criteria, some training could be conducted. On the other hand, these training programs are not essentials because the knowledge of a language and the teaching environment is there within most of teachers. Freeman (1991) cited in Kumaravadivelu (2002) mentioned, awareness about teaching is already there since teachers lived the life of students. Kumaravadivelu adds teachers must not learn about the language but also how to be autonomous in the classroom in terms of textbooks and institutional rules. Reflecting the theme that in the postmethod era teachers can go beyond the limits of methods and act on their own, Kumaravadivelu (2002) sets three parameters through which teachers can follow the postmethod pedagogy effectively and these three points are:

***The parameter of particularity:*** it is the capability to be aware of the local educational, institutional and social contexts in which L2 learning and teaching are performed, Kumaravadivelu (2002). It begins with teachers practice, in groups or separately, to witness their teaching performance, evaluate their results, classify problems and suggest alternative solutions. Additionally, the routine of method must be



flexible to the various teaching conditions and different learners' needs, (Zheng, 2014).

**The parameter of practicality:** 'practice makes perfect', this is what parameter of practicality means. It identifies that no theory of teaching can be fully valuable and practical except it is produced over practice. So, teachers with less teaching experience can manage to teach throughout the postmethod concepts but with the presence of practice. In addition to that, it refers to —teachers' skill in observing their own teaching efficiency (Kumaravadivelu, 2006).

**The parameter of Possibility:** it means to be 'concerned with teacher's identity'. It gives the teachers challenges and supply a frequent research for subjectivity and self-identity. Correspondingly, 'Possibility is about whether the teaching could be carried on successfully with regarding the social issues, language ideology and learners' identity', (Zheng, 2014, p. 193).

Kumaravadivelu then concludes, these parameters are inevitable but still unclear. The figure bellow will show how these parameters are interweaved and interacted with each other.

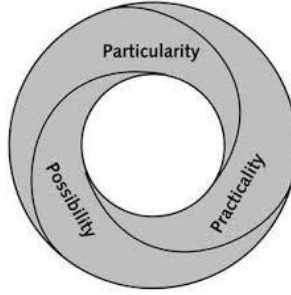


Figure 1. Parameters of a postmethod pedagogy, (Kumaravadivelu, 2002).

Above all these three parameters reflected, Kumaravadivelu (2003, 2006) cited in Zheng (2014) claimed 10 macrostrategies as the guiding framework for accurate teaching in the postmethod era. These 10 macrostrategies are: Maximize learning opportunities; facilitate negotiated interaction; minimize perceptual mismatches; activate intuitive heuristics; foster language awareness; contextualize linguistic input; integrate language skills; promote learner autonomy; ensure social relevance; and raise cultural consciousness.

If teachers apply these 3 assumptions professionally, would it be enough for teachers to master the teaching process in the era of postmethod? Or there are other factors lecturers must consider.

**The postmethod teachers:**

When teachers teach autonomously they have to depend on their understanding to the process of teaching and learning. To reach this level of independence, there are some criteria should be available in the teachers personality and performance- teaching knowledge and determination to continue working affectively. Tasmini (2014) adds, teachers' role in this period of time (postmethod era) is to adapt a critical attitude as education suppliers and challenge their own teaching principles. With regard to this point, Kumaravadivelu (2001) asks a question that how can teachers be developed through the 3 parameters: particularity, practicality and Possibility? He then continues, those teachers who admire the postmethod are required to follow some steps to achieve the level of professionals.

<a> Using and exploring methods; for instance, throughout surveys and interviews to collect learners' learning strategies.

<b> Exploring what students use in classes and this would be beneficial for teaching and researching purposes.

<c> Observing trough exploring methods how engaging are the eclectic courses which a teacher can use in performing a lesson.

<d> Teachers must imply classroom observation to evaluate their teaching by using an appropriate classroom observation. By and large, the steps and notions mentioned above are just a guide line and suggestions to persuade the teachers to carry on and develop themselves and work patiently to overcome following others' roles and the traditions of methods. Akbari (2008) cited in Hall (2011) claims that, not every teacher owns the time, desire and materials to bear the responsibilities and taking the decisions because postmethod is not leading to the 'death of methods', but it substitutes the old methods with textbook-clear practice.

#### **The postmethod learners:**

If teachers in the era of postmethod are decision makers and intellectually autonomous, how about the learners? Are they self-directed in terms of socially and academically? Similarity, Kumaravadivelu (2001) mentions likewise, autonomous students are associated with 2 types of autonomy which are, academic autonomy and social autonomy. This could happen when the learning process becomes free and without guidance and when learners become capable of leading and performing their learning. Whereas social autonomy reveals the idea

of being an effective member of a classroom community. He then adds, learners in the era of postmethod are autonomous. One most repeatedly cited definitions of autonomy is found in Littlewood (1991), where autonomy is termed as taking responsibility and it involves learners in being independent in many processes which conventionally belong to the teacher such as deciding on learning purposes, choosing learning materials and assessing progress. According to Pennycook (1997), autonomy is a state of developing skills or materials in order to encourage individual self-progress. In addition to what is being stated, not all learners can be autonomous and act freely in the learning environment. Only those who have a good background about the language and also have the features of good learners can follow the postmethod character which is 'autonomy'. Cotterall (2000) believes that, autonomous learners are the ones who own the awareness of learning decisions and figure out the importance of choices they make. It has been mentioned about the autonomous students that he/she must be good, but the question is, who are the good learners? According to Lightbown and Spada (2006) cited in Harmer (2008), a good learner's characteristics can have the following criteria: motivation, intellectual

abilities and learning preferences. Rubin and Thompson (1982) added that, good learners are the students who can find their own way of learning with no need of the guidance from their teachers, that is to say, to be autonomous. Postmethod learners can benefit the feature of autonomous learning and adapt different learning styles to enrich their 4 skills. For example, in classrooms, students can watch videos; do group work; student to student or student to teacher interactions. When they finish every day classes, learners may conduct social activities with the native speakers. When enjoying their free time activities, there are several things to do in order to learn new language elements; for instance, going to the cinema and watch a film and then writing a report reflecting the vocabulary they learn.

Kumaravadivelu (2001) points out some techniques learners could do in the presence of postmethod such as, assessing their continuing learning results by monitoring language learning progress through personal writings and taking fixed class tests. Moreover, learners can search for other opportunities to gain extra language either receptive or productive beyond what they take in classrooms, for instance, they can use library recourses and learning centres.

**The problems of *Postmethod era*:**

In everyday life there is nothing considered to be complete and the same is here with postmethod. It is mentioned above that some researchers claim that teachers with no or limited experience will be an obstacle for learners, that is to say, they may be able to master the teaching process accurately. According to Kumaravadivelu (2005) cited in Akbari (2008), if postmethod is going to be accepted as a leading teaching technique, there would be 2 key problems: the first is pedagogical barriers and the second is ideological barriers.

***Pedagogical barriers*** are dealing with the content and the nature of teacher education- teacher of a language as a second language. Additionally, it is 'a set of predetermined, preselected, and presequenced body of knowledge from the teacher educator to the prospective teacher', Kumaravadivelu (2005, p.216). Akbari (2008) adds that, ***Pedagogical barriers*** are the ingrained types of teacher education.

***Ideological barriers*** are more intimidating than the barriers mentioned above because it is affected by political, cultural and economic aspects, and the Ideological barrier puts a long hegemonic shadow over the English language teaching scheme all over the world and prove the idea

of marginalization and the practice of self- marginalization, (Kumaravadivelu, 2005). Accordingly, Akbari (2008) explains additionally and claims that, with the Ideological barriers, the teachers' practical knowledge cannot find a space and a chance to be seen and as a result it does not manage to be accepted in the society.

To conclude these problems, Akbari, cited above, claims a significant point at which why these 2 barriers appear. What is missing is a proper understanding of the limits of teachers' performance, and by placing extra roles of social reformer and cultural critic to teachers, the postmethod is leading Language Teaching past the limits of possibility and practice. Despite the enthusiasm for the alteration of students' lives, postmethod has overlooked the social and professional boundaries teachers follow in their everyday negotiation for their individuality and practice.

## **Conclusion**

To sum up, postmethod in the 21<sup>st</sup> century has made various changes in the field of ELT and has gone beyond the limitations of the previous methods. Postmethod as an alternative method seems to be challenging



and a hard nut to break; however, teachers and learners must be aware of the outcomes the new generation will gain out of it. In doing so, both teachers and students will be able to look at learning languages from a new and different side. For teachers, they should evaluate themselves in terms of knowledge and personality because if they fail in following this alternative method, no critics and blames to be put over postmethod. Also, postmethod should have more responsibility and practicality to earn the trust of society. Teachers with limited experience should attend workshops and classes of teachers with a good background about postmethod in order learn how to teach with postmethod aspects. In terms of learners, the idea of being an autonomous learner is virtuous but they should not ignore teachers' role as they are crucial in the pedagogy of postmethod. The idea of postmethod is not adapting different techniques from different methods randomly, but adapting a number of techniques from other methods and work professionally to meet learners' needs. For the success of postmethod, 3 main things must be taken into consideration: teachers' knowledge, teachers' independence and the idea of changing from being part of a method to making methods a part of teachers.

**References**

- Akbari, R. (2008). Postmethod discourse and practice. *TESOL Quarterly*, 42(4), 641-652.
- Can, N. (2012). Post-method pedagogy: Teacher growth behind walls. In *Proceedings of the 10th METU ELT Convention*. <http://dbe.metu.edu.tr/convention/proceedingsweb/Pedagogy.pdf>.
- Chang, S. C. (2011). A contrastive study of grammar translation method and communicative approach in teaching English grammar. *English Language Teaching*, 4(2), p13.
- Davies, P., and Pearse, E. (2000). *Success in English Teaching*. Oxford University Press.
- Hall, G. (2011). *Exploring English language teaching: Language in action*. Taylor & Francis.
- Harmer, J. (2008). *The practice of English language teaching: with DVD*. Pearson/Longman.
- Kamali, J. (2014). Post Method Survival. *Procedia-Social and Behavioral Sciences*, 98, 824-829.
- Kumaravadivelu, B. (2005). *Understanding language teaching: From method to postmethod*. New York:Routledge.
- Kumaravadivelu, B. (2002). *Beyond methods: Macrostrategies for language teaching*. Yale University Press.
- Kumaravadivelu, B. (2001). Toward a postmethod pedagogy. *Tesol Quarterly*, 35(4), 537-560.
- Lightbown, P. and, Spada, N. (2006). *How languages are learned* (Vol. 2). Oxford: Oxford University Press.
- Littlewood, W. (1999). Defining and developing autonomy in East Asian contexts. *Applied linguistics*, 20(1), 71-94.

- Murphy, J. M. (2001). Reflective teaching in ELT. *Teaching English as a second or foreign language*, 3, 499-514.
- Pennycook, A (1997) .Cultural alternatives and autonomy. *Autonomy and independence in languag learning* (pp.35-53). New York: Longman
- Richards, J. C., and Rodgers, T. S. (2001). *Approaches and methods in language teaching*. Cambridge University Press.
- Rubin, J., Thompson, I., & Sun, H. (1982). *How to be a more successful language learner*. Boston, MA: Heinle & Heinle.
- Ryan, R. M. (1991). The nature of the self in autonomy and relatedness. In *The self: Interdisciplinary approaches* (pp. 208-238). Springer New York.
- Skidmore, M. (1917). THE DIRECT METHOD. *The Modern Language Journal*, 1(6), 215-225.
- Zheng, C. (2014). Design for the Intermediate-level Oral CSL Class in the Postmethod Era. *Journal of Language Teaching and Research*, 5(1), 193-198.

## **An investigation of the Depth and the Breadth Knowledge of the English Academic Words among Libyan University Students**

Suad Husen Mawal

### *Abstract*

The current study is an attempt to investigate the breadth and the depth knowledge of the academic words among Libyan university students. It aims to examine the breadth and the depth knowledge of the academic words and to demonstrate the correlation between them. The outcomes of the current study illustrated that Libyan students had a great size of the academic words. However, although they controlled a reasonable size of the academic words, their worth of vocabulary knowledge of these words was insufficient and the relationship between breadth and depth knowledge was direct and clear.

### *1. Introduction*

Individuals throughout the world use English as a universal language for various purposes such as connecting to new people from different nations and providing a means for exchanging information. Recently, second language vocabulary acquisition has been a progressively fascinating issue of discussion for investigates, educators, curriculum inventers, theorists and others elaborate in second language learning. All understand vocabulary as being a very significant component in language (Shen, 2008). Following growing interest in vocabulary acquisition, a number of researchers have suggested how learners' vocabulary knowledge can be measured both in terms of the size of vocabulary that students know (breadth knowledge), and how well they know those words (depth knowledge). Therefore, a clear number of research has been conducted in order to measure these two dimensions of vocabulary knowledge and this is the main aim behind this study.

## ***2. Overview of the Research***

It seems that learners' vocabulary knowledge is one of the most significant elements of language learning and students need to develop this knowledge when learning a second language. Actually, although all language elements including grammar, vocabulary and pronunciation are essential, it is far more problematic to communicate with no words than with no grammar. This, indeed, demonstrates the significance of lexical knowledge amongst all the other elements of the language. According to many researchers (Laufer, *et al*, 2004; Milton, 2013; Milton, *et al*, 2010; Schoonen, 2010 and Stæhr, 2008), vocabulary knowledge is associated with the achievement in reading, writing, general language skills and academic achievement. As Meara (1996) and Schmitt (2010) claim, lexical knowledge has a major influence on practically all features of second language proficiency. In the same manner, Meara and Jones (1988) emphasize that vocabulary knowledge is seriously concerned in all language skills (listening, speaking, reading, and writing). Nevertheless,

the degree to which vocabulary knowledge contributes to language skills can be argued.

Vocabulary plays a significant role in teaching and learning English as a foreign language. Consequently, research in estimating and assessing vocabulary knowledge was the essential interest of many scholars. However, knowing a word is not an easy and simple thing, because this requires discussing many aspects; such as what is a word? what do we mean by knowing a word? and so on. As Yan (2005) suggested, one might suppose that this question is very simple and there is no means by asking it at all. The regular usage of the term "word" in our everyday conversation proposes that we should understand what it refers to. Nevertheless, getting a sensible definition of the word is not as simple as one may believe, as its wide range of usage forms much uncertainty. Some describe a word as an arrangement of letters isolated by space or punctuation marks. Some define it as a minimum meaningful unit.

However, there is no agreement about the specific meaning of the term “word”.

In terms of knowing a word, Wesche and Paribakht (1996, p: 14) say that, there is a "lack of agreement among theoreticians, researchers and questionnaire respondents about what it means to 'know' a word". According to Shen (2008), to describe what it means to know a word, L2 vocabulary investigators have recently offered several but opposite structures. Most scholars approve that vocabulary knowledge is not an all-or-nothing phenomenon, but contains levels of knowledge. They suggest it should be constructed as a field involving numerous levels and extents of knowledge.

As Schmitt (2010) states, besides a huge vocabulary size (breadth), a learner must also know a great deal about every separate word to be able to function well in a language. This is the meaning of the depth of vocabulary knowledge and is as significant as vocabulary breadth



knowledge. In Anderson & Freebody (1981) opinion: while breadth refers to the amount or number of words a student knows, depth refers to the value of knowledge. In other words, how well a student knows those words? For instance, L2 learner may recognize the meaning of 10,000 words (breadth), but may not be able to use them within a framework, to connect them with new words, or to distinguish how formal or informal those words are (depth). As Schmitt (2014) suggests, such a difference between breadth and depth of vocabulary knowledge is valuable particularly when an individual needs to argue the nature of the vocabulary with experts. That is, the breadth-depth difference is beneficial when explaining for the experts the need for rich, continual education and feedback in order to improve knowledge outside the simple form-meaning associations. Shen (2008) states that in the most existing vocabulary knowledge contexts, these two measurements, vocabulary breadth and depth, are at least involved. The depth and breadth of

vocabulary knowledge is a key to comprehending the material; therefore, the importance of vocabulary knowledge in achieving success in comprehending academic English material is receiving more attention (Qian, 1998). Laufer *et al.* (2004) emphasize that breadth of knowledge refers to vocabulary size, the number of vocabulary entries kept in the mental lexicon. In assessing vocabulary size, a word is regarded known when the exact sense is related to the exact form of the word. Nonetheless, form-meaning association may take altered forms. It may reflect various limitations according to which strength of knowledge of meaning is evaluated. Overall, the capability to associate form to meaning is significant since it raises the opportunity of understanding and using words. Nevertheless, this skill does not guarantee that the vocabulary will be comprehended and used correctly. Therefore, there is also a necessity to improve depth of vocabulary knowledge (Webb, 2013).

In second language vocabulary testing, very often, two dimensions of vocabulary knowledge are distinguished: one is "breadth" (i.e. vocabulary size); another is "depth" (i.e. quality of word knowledge). Anderson and Freebody (1981) are among those who first adopted these two terms. When estimating vocabulary size, what the researchers aim at is not to get the total numbers of words the second language learners know; instead, they would like to find out how many lexical items the learners know in some specific word lists of the target language. Hence, the accuracy of these measures depends very much upon the representativeness of the sample (Wesche and Paribakht, 1996). Examples of vocabulary breadth tests include the Eurocentres Vocabulary Size Test developed by Meara and his colleagues, and Vocabulary Levels Test designed by Nation. As for measuring the quality of vocabulary knowledge, researchers either scrutinize the various dimensions of word knowledge or investigate the different stages of vocabulary acquisition.

Both Paribakht and Wesche's Vocabulary Knowledge Scale (VKS) and Read's Word Associates Test belong to this category. These two depth procedures, together with the two breadth tests stated above, have been broadly considered and applied by a number of investigators.

### ***3. Research Rational and Significance***

Vocabulary plays a huge role in the field of language acquisition for both L1 and L2 learners and as a result, various studies have been conducted to measure the two dimensions of vocabulary knowledge: breadth dimension that is related to vocabulary size and depth dimension that is related to quality of word knowledge. As vocabulary is extremely important for all language skills and as depth knowledge of vocabulary has been supposed to have a strong relationship with all language skills, estimating the size and the strength of the academic words that university students know will be significant and it will add some ideas about the students' ability in mastering English language academically.

#### ***4. Research Aims and Questions***

Examining and evaluating second language students' vocabulary knowledge have now started to get the attention of many researchers. Therefore, the common purpose of the current research is to consider Libyan university students' knowledge of English vocabulary in academic backgrounds. The knowledge of the academic words here includes two dimensions: breadth and depth.

The main research questions will be the following:

- 1- Do students have great breadth knowledge of the academic words?
- 2- Do students have great depth knowledge of the academic vocabulary?
- 3- Is there any relation between breadth and depth knowledge of vocabulary?

#### ***5. Research Design and Methodology***

Approximately twenty students at the College of Education included in the study sample, all of the participants were females. As the test words were academic words, the participants were from the fourth year students at the English department. They have been studying English for ten academic years. The sample was limited to the College of Education at Elmergeb University in Alkhoms.

As the research aims to measure the students' vocabulary knowledge both (breadth and depth), an instrument, inspired by the Vocabulary Levels Test and the Word Associates Test, was devised to assess participants' different aspects of vocabulary knowledge about academic words. The tests were conducted during a class period. Before students took the test, they were informed of the common purpose of the study and were told that their presentations on the test would not impact their course results.

The breadth of vocabulary knowledge test chosen for this study was the Vocabulary Levels Test (Nation, 1990). It is in five sections, representing five different word frequency levels-the 2,000-word level, the 3,000-word level, the 5,000-word level, the University Word List (UWL) level, and the 10,000-word level. As the target words of the current study are the academic words, the researcher used a part of the original copy, which is related to the university word list level. The VLT consists of matched words and short definitions in groups of six and three respectively. Test-takers are required to match the definition to the words. They write the corresponding number of the correct word next to its definition. The responses were coded as either correct or incorrect. One point was given for each correct answer, so the maximum score was 36 for the VLT.

The depth of vocabulary knowledge test in this study was the Word Associates Test (WAT); the test used in the present study was version 4.0

of the WAT (Read, 2004). Each test item includes one incentive word, which is always an adjective, and eight words placed in two dissimilar columns, each containing four words. Among these eight words, four are related words to the incentive word and the other four are distractors. However, in the current study the adjectival stimulus words were selected from the university word list UWL. Different from Read's 1993 scoring method of valuing only four correct responses out of eight options, responses, correct or incorrect, were taken into account in the present study. That is, the response for each option (i.e., circled or not) was assessed separately and each correct response was given one point. Even though an option was not circled, it was possible to obtain one point if the response of not circling was correct. However, test-takers who gave no response for a complete test item did not earn a point. The maximum score was 8 points for each test item and 128 points for the entire test. Before the actual test, test instructions along with an example question



were prepared to guide the test-takers in how to respond to the test items, because the structure of this test is not self-explanatory.

## 6. Results and Discussion

The table below illustrates the minimum scores, maximum scores and mean scores of the participants in the vocabulary size test.

**Table 1:** The Descriptive Statistic of the Vocabulary Breadth Test

Test 1	St. n	Min.	Max.	Mean sc.	Total sc.
Vocabulary Levels Test	20	08 (22%)	26 (72%)	16 (43%)	36

As can be seen in table 1 above it appears that, students got good scores in the vocabulary breadth knowledge test of the English academic words where the maximum score was 26 out of 36 (approximately 72%).

According to this result, we can say that Libyan students have a reasonable size of the English academic words. This might be due to the nature of the VLT, where in this test the words used in the definitions are always more common than the matched words. Consequently, the participants had a chance to get the correct answer. In addition, it could be because of the classroom exposure where most of the subjects that they study presented in an academic style with academic language. Consequently, they could develop a great number of the academic words. These findings indicate that the Libyan students, even at advanced levels, still concentrate on achieving big size of words, i.e. the knowledge of the form and meaning aspect.

The second question of the current study is about the depth knowledge of the academic words among Libyan students. The next table presents the statistics of the students' scores (minimum, maximum and mean scores) in the Word Associates Test (WAT).

**Table 2:** The Descriptive Statistic of the Vocabulary Depth Test

Test 2	St. n	Min.	Max.	Mean sc.	Total sc.
<b>Word Associates Test</b>	20	08 (06%)	89 (69%)	45 (35%)	128

According to the statistics in this table it seems that, the participants did not have a great depth knowledge of the English academic words where the highest score was only 89 out of 128 (69%). This percentage indicates that Libyan university students do not have enough understanding of the academic words that are required for mastering English language skills such as reading, listening and writing. This may be due to the type of the test that the students conducted to measure their vocabulary depth knowledge or due to the lack of exposure of such words during their study at university. According to Schmitt (2014), second-language classes may include students who knew a comparatively small

size of words, but knew them fairly well. This may be because of a particular method of study, where the learners studied the vocabulary in textbooks, looked them up in dictionaries, saw them in their readings, and trained them repeatedly. This concentrated usage method may lead to a good understanding of vocabulary. However, learning a wide range of words may be lacking when students spent too much time on these few words.

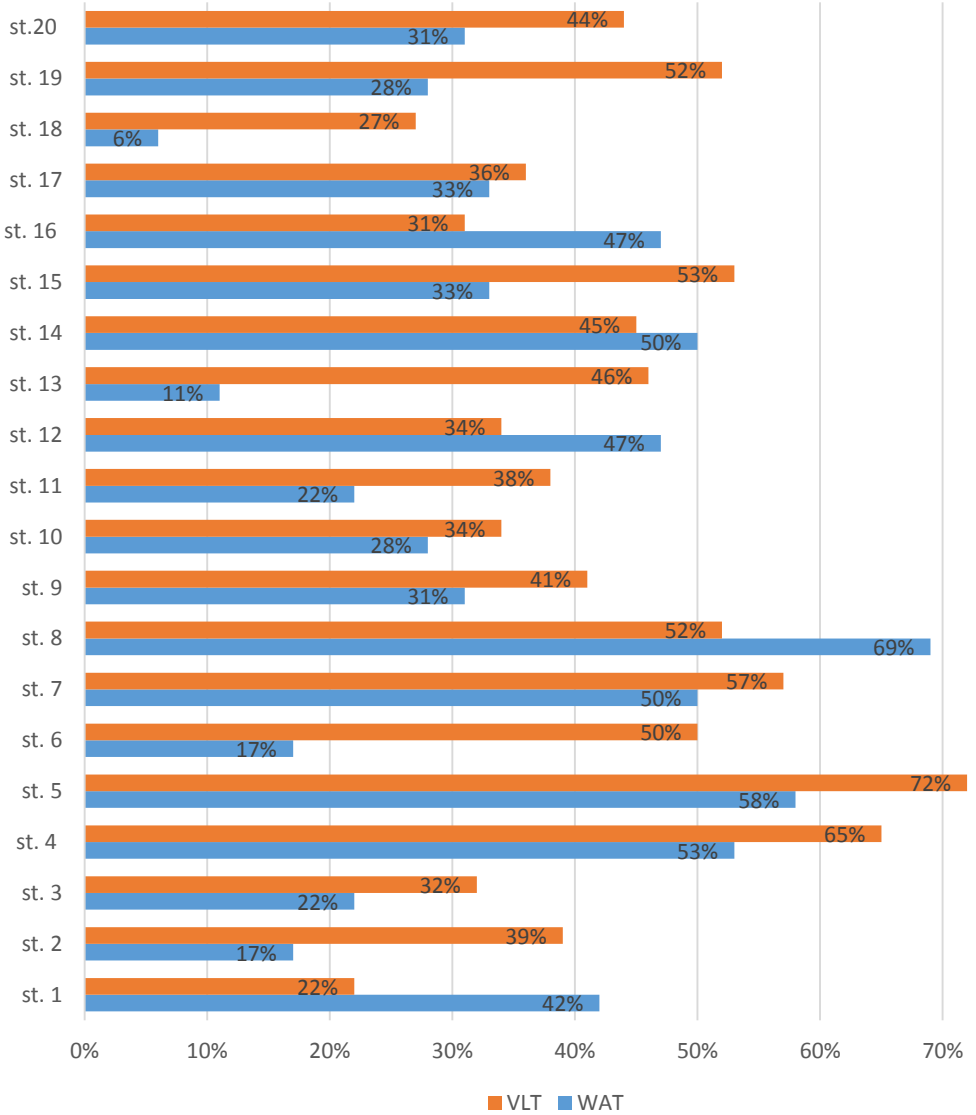
According to Vermeer (2001, p: 230), “a deeper knowledge of words is the consequence of knowing more words, or that, conversely, the more words someone knows, the finer the networks and the deeper the word knowledge”.

The third research question is about the relationship between the two dimensions of vocabulary knowledge (breadth knowledge and depth knowledge). The figure bellow presents the scores of the students on both tests.

The result demonstrates that fifteen out of twenty students got higher scores on the breadth test than the depth test. Furthermore, it appears that not all the students who got a great size of academic words got a great depth knowledge of the academic words, it means that the majority of students who got high scores on the VLT got low scores on the WAT and the opposite. However, the gap between the WAT and the VLT scores for each students was not too huge. For instance, one of the students got 46% on the WAT and 11% on the VLT. Another student got 50% and 17% respectively. Whereas one of the participants got 42% on the VLT and only 22% on the WAT and so on. This outcome could be a result of different elements. As Schmitt (2014, p: 1) states, “Ultimately, the relationship between size and depth of vocabulary knowledge depends on how each is conceptualized and measured”.

**Figure 1:** Students’ Scores on both Tests

### The relation between the depth and the breadth knowledge of vocabulary



Qian (1999) found a similar result after he administered the Vocabulary Levels Test (VLT) and the Word Associates Format to 44 Korean students and 33 Chinese students. He established that the marks of the two tests were thoroughly and meaningfully associated at .78 for the Korean students and .82 for the Chinese students. Furthermore, there is a study conducted by Schmitt and Meara (1997) to examine the relationship between depth and breadth of vocabulary knowledge among 88 Japanese students. The results of that study showed that while the students' understanding of suffix and word association were consistent with their vocabulary sizes at several levels, the relationships between word association and vocabulary size were properly high. Schmitt (2014) suggests that it is probable to know a little about a greater number of vocabulary, or to develop a great knowledge about few words. That is, breadth and depth knowledge do not essentially raise in an equivalent way. Nonetheless, although breadth and depth knowledge could be

strongly unfair for some students, for other students the correlation is possible to occur wherever between these two extremes.

## **7. Conclusion**

To sum up, it is well known that vocabulary knowledge is so important for students to be able to master the foreign language and success in the field of language learning and teaching. It is extremely significant to mention that the size of words a learner knows helps in increasing the opportunity of understanding the language texts. In addition, the extent to which a learner knows a particular vocabulary plays a vital role in the process of language learning.

Therefore, teachers and syllabus makers should pay more attention to the study of vocabulary knowledge. According to Ebrahimi (2017), teachers could assistance learners by different teaching methods or learning activities to overwhelm their difficulties in the knowledge of



word parts, associations, or connections. In addition, EFL educators ought to consider vocabulary breadth and depth as two significant mechanisms of EFL programs to develop students' understanding of the English language. They have to present synonymy and polysemy of lexicon in addition to their main meaning. They must also concentrate on the collocation of words with each other as they play vital roles in understanding the English contexts (Mehrpour. *et al*, 2011).

## **8. Recommendations**

In fact, the size of the sample plays a significant role in getting results that are more reliable and in simplifying them to other circumstances. There is no doubt that the number of the participants in the current study is small, therefore, a further research with a larger sample size has been recommended by the researcher. In addition, further studies with other language learners, different types of vocabulary, and altered features of vocabulary knowledge are recommended.

## References

- Alderson, R.C. and Freebody, P. (1981). Vocabulary Knowledge. In Guthrie, J.T. (Ed.), *Comprehension and teaching: Research reviews*. Newark, DE: International Reading Association, 77-117.
- Ebrahimi, A., B. (2017) Measuring Productive Depth of Vocabulary Knowledge of the Most Frequent Words. *Electronic Thesis and Dissertation Repository*. 4894. The University of Western Ontario. Supervisor.
- Laufer, B., Elder, C., Hill, K., & Congdon, P. (2004). Size and strength: Do we need both to measure vocabulary knowledge? *Language Testing*, 21(2), 202-226.
- Meara, P. (1996). The dimensions of lexical competence. In G. Brown, K. Malmkjrer, & J. Williams (Eds.), *Performance and competence in second language acquisition* (pp. 35-53). New York: Cambridge University Press.
- Meara, P., & Jones, G. (1988). Vocabulary size as a placement indicator. In P. Grunwell (Ed.), *Applied linguistics in society* (pp. 80-87). London: Centre for information on language

teaching and research.

Mehrpour, S., Razmjoo, S., A. & Kian, P. (2011). The Relationship between Depth and Breadth of Vocabulary Knowledge and Reading Comprehension among Iranian EFL Learners.

*Journal of English Language Teaching and Learning*, 53, No. 222

Milton, J. (2013). Measuring the contribution of vocabulary knowledge to proficiency in the four skills. In C. Bardel, C. Lindqvist, & B. Laufer (Eds.), *L2 vocabulary acquisition, knowledge and use: New perspectives on assessment and corpus analysis* (pp. 57- 78).

Milton, J., Wade, J., & Hopkins, N. (2010). Aural word recognition and oral competence in a foreign language. In R. ChacónBeltrán, C. Abello-Contesse, M. Torreblanca-López, &

M.López-Jiménez (Eds.), *Further insights into non-native vocabulary teaching and learning* (83-98). Clevedon, UK: Multilingual Matters

Nation, I. S. P. (1990). *Teaching and learning vocabulary*. New York: Newbury House.

Qian, D. D. (1999). Assessing the roles of depth and breadth of vocabulary knowledge in reading

comprehension. *Canadian Modern Language Review*, 56, 282-307.

Qian, D. D. (1998). Depth of vocabulary knowledge: assessing its role in adults' reading

comprehension in English as a second language. Unpublished doctoral dissertation,

University of Toronto, Toronto, Ontario, Canada.

Read, J. (2004). Plumbing the depths: How should the construct of vocabulary knowledge be

defined? In P. Bogaards, & B. Laufer (Eds.), *Vocabulary in a second language. Selection,*

*acquisition, and testing* (pp. 209–227). Amsterdam/Philadelphia, PA: John Benjamins.

Read, J. (1993). The development of a new measure of L2 vocabulary knowledge. *Language*

*testing*, 10(3), 355-371. Vol. 4, Issue 4, pp: (608-624),

Schmitt, N. (2014). Size and depth of vocabulary knowledge: What the research shows.

*Language Learning*, 64 (4), 913-951.

Schmitt, N. (2010). *Researching vocabulary: A vocabulary research manual*. Basingstoke,

England: Palgrave Macmillan.

Schmitt, N., & Meara, P. (1997). Researching vocabulary through a word knowledge framework.

*Studies in second language acquisition*, 19(01), 17-36.

Schoonen, R. (2010). The development of lexical proficiency knowledge and skill. Paper

presented at the Copenhagen Symposium on Approaches to the Lexicon, Copenhagen

Shen, Z. (2008). The roles of depth and breadth of vocabulary knowledge in EFL reading

performance. *Asian Social Science*, 4(12), 135-137

Stæhr, L. S. (2008). Vocabulary size and the skills of listening, reading and writing. *The*

*Language Learning Journal*, 36(2), 139-152

Vermeer, A. (2001). Breadth and depth of vocabulary in relation to L1/L2 acquisition and

frequency of input. *Applied psycholinguistics*, 22(02), 217-234.

Webb, S. (2013). Depth of vocabulary knowledge. *The Encyclopedia of Applied Linguistics*.

Retrieved from:

<http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1002/9781405198431.wbeal1325/abstract?userIAuthenticated=false&deniedAccessCustomisedMessage=>

Wesche, M. B., & Paribakht, T. S. (1996). Enhancing vocabulary acquisition through reading: A hierarchy of text-related exercise types. *The Canadian Modern Language Review*, 52(2), 155-178.

Yan, C., S. (2005). An Investigation of the English Vocabulary Knowledge of University Students in Hong Kong. A Thesis Submitted in Partial Fulfilment of the Requirements for the Degree of Master of Philosophy in Applied English Linguistics. The Chinese University of Hong Kong

